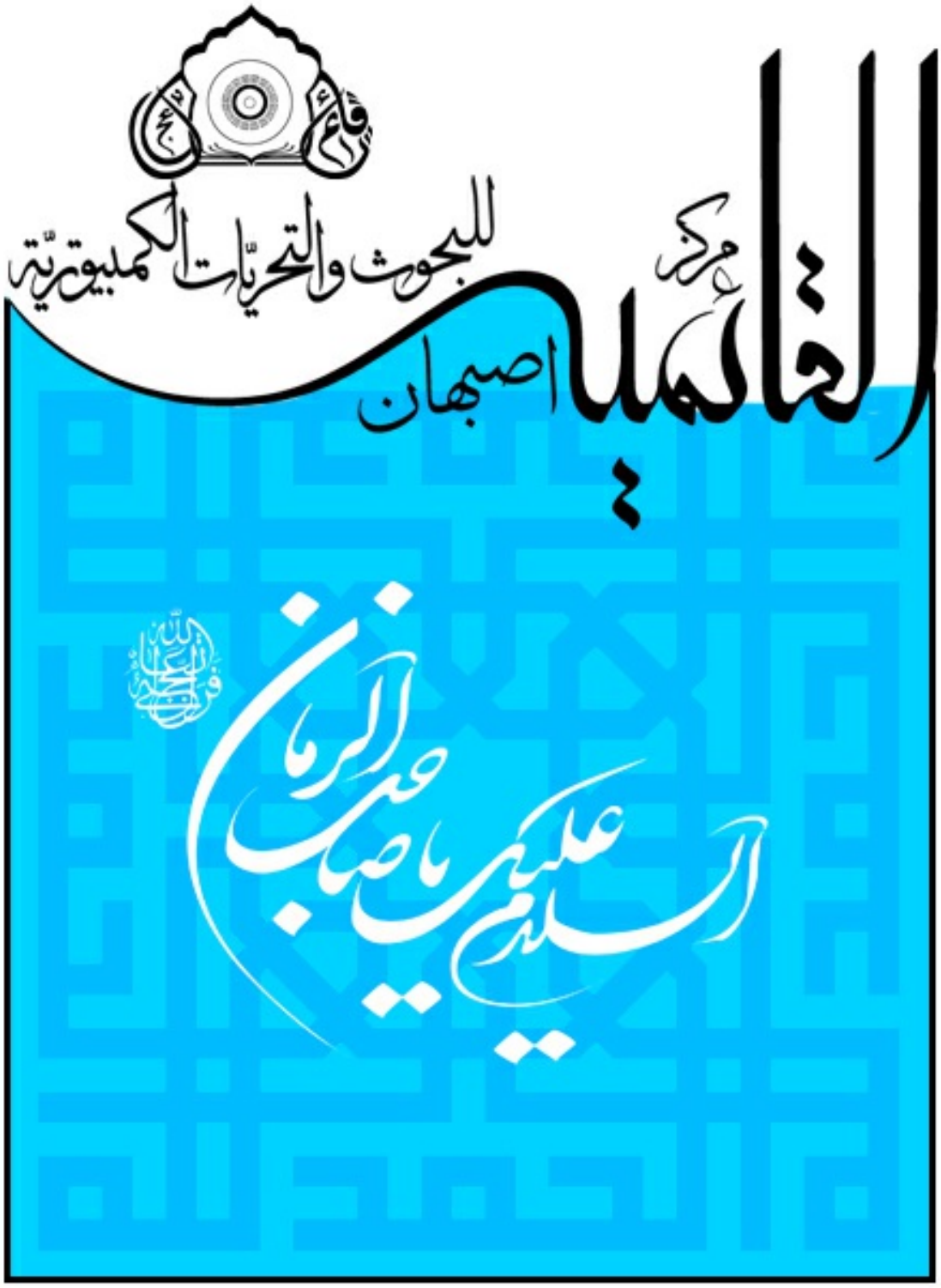

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

قراءة في السيرة الفاطمية

كفاح الجنادي

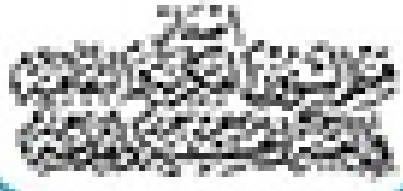

بسم الله الرحمن الرحیم

قراءه في السيره الفاطميه

كاتب:

كفاح الحداد

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

قراءه فى السيره الفاطميه 16

اشارة 16

هوية الكتاب 16

الاهداء 22

المقدمة 23

مدخل: لماذا السيرة الفاطمية ؟ 25

الفصل الاول: السيرة الفاطمية 38

اشارة 38

الولادة المباركة 41

اشارة 41

الأبوان المباركان: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة عليها السلام 42

بين الثرى والثريا 55

المكان المبارک: مختلف الملائكة 65

الزمن المبارک، الغذاء المبارک 78

وفى الدعاء: اللهم طهر بطوننا من الحرام والشبهة 84

الظروف المحيطة بولادتها 87

المحيط الاسرى 91

الاجواء الخارجية 107

خلاصة مولدها عليها السلام 110

طفولة الزهراء عليها السلام 113

اشارة 113

الحصار 117

المسلمون فی شِعب ابی طالب 121
نهاية الحصار 125
وفاة السيدة خديجة عليها السلام 131
الرعاية الابوية 140
هجرة الزهراء عليها السلام 153
اشارة 153
الى يثرب 156
الحياة الجديدة 161
زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 162
زواج الزهراء عليها السلام 168
اشارة 168
استشارة البنت فی الزواج 169
العوامل المؤثرة فی اختيار الزوج 177
أنماط الإختيار الزواجی 181
الزواج فی رحاب الدين 187
فلسفة المهر فی الاسلام 196
غلاء المهور.. مصائب ام فوائد؟ 201
زفاف الزهراء عليها السلام 206
الدعاء للزوجين 210
كلام الناس 212
الاسرة الجديدة 218
وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 220
اشارة 220
الايام الساخنة... فاطمة بعد ابيها 228
وداعا 232

عمر الزهراء عليها السلام ---- 248
الفصل الثانی: الزهراء علیها السلام... ادوار حضاریة ---- 252
اشارة ---- 252
ماهو الدور؟ ---- 254
الدور الاجتماعی ---- 270
اشارة ---- 270
الدور الاجتماعی للزهراء علیها السلام فی الحیاة الخاصة ---- 273
فاطمة البنت البارّة ---- 273
أم أبیها ---- 278
الزهراء زوجة امیر المؤمنین علیه السلام ---- 281
اشارة ---- 281
1 - اسلوب القسوة والتسلط ---- 282
2 - اسلوب النبذ والاهمال ---- 286
3 - اسلوب التدلیل المفرط ---- 288
4 - اسلوب المودة والرحمة ---- 289
لغة العیون ---- 299
الغضب فی الحیاة الزوجیة ---- 306
التسامح والتغافل ---- 310
الاسس العامة فی الحیاة الزوجیة للزهراء علیها السلام ---- 312
1. التکریم ---- 312
2. تقسیم العمل والتعاون فی أمور المنزل ---- 319
اشارة ---- 319
رؤیة فی العمل المنزلی ---- 323
رأی علماء النفس والاجتماع ---- 325
رأی دعاة تحریر المرأة ---- 327

3 - اخلاق المودة والرحمة 336
اشارة 336
أ - الخلق الحسن لكليهما 337
ب - ادب السلام والتحية 339
ج - ادب الحوار 340
د - التواضع 342
ه -- الرفق والمداراة 345
و - الهدية 345
ز - عدم التكليف فوق الوسع 346
4 - الصبر والتحمل 348
اشارة 348
نزول سورة الإنسان 353
5 - الرضا 356
6 - فن احتواء المشاكل 364
7 - رعاية حقوق الآخر 367
8 - الامن الاسرى 376
9 - الآخرة.. الهدف المنشود لكليهما 381
اشارة 381
البيت الالهى 386
الزهراء عليها السلام فى رياض الامومة 388
اشارة 388
ولادة الامام الحسن بن على عليهما السلام 395
اشارة 395
1 - الاهتمام بالالوان (ثقافة اللون) 396
2 - قراءة الأذان 400

3 - الاسم الحسن ---- 402
4 - الشكر على سلامة الولد والدعاء له ---- 405
5 - العقيقة ---- 407
6 - مداراة النفساء ---- 409
الأصول التربوية عند الزهراء عليها السلام ---- 411
اشارة ---- 411
1 - العدل ---- 418
2 - مبدأ التدرج ---- 421
3 - مرحلة الرشد ---- 427
4 - مبدأ الاعتدال ---- 428
5 - رعاية ظواهر الاوضاع وبواطنها ---- 432
6 - استثمار المحيط ---- 434
7 - الزهد ---- 435
8 - المحبة ---- 441
9 - الذكروالتذكر ---- 449
10 - الحكمة والتفكر (التعقل) ---- 450
11 - المتابعة ---- 453
12 - التصبر على تحمل المصاعب ---- 458
13 - التخطيط للمستقبل ---- 463
14 - تقديم النموذج أو القدوة الحسنة ---- 465
التربية الزهراوية تربية متكاملة ---- 467
التربية الدينية عند السيدة الزهراء عليها السلام ---- 468
تأملات تربوية من حديث الكساء ---- 475
اضاءات ---- 478
1 - ادب السلام ---- 478

2 - النداء باحب الاسماء 479
3 - رعاية الاب وبره ومساعدته رغم ان له ازواجا كُثراً 479
4 - مراعاة حقوق الآخرين 480
4 - الدعاء بخير لافراد الاسرة وبيان منزلتهم 480
5 - توقير الكبار 481
6 - الاخلاق العالية 481
الدور الاجتماعى للزهراء عليها السلام فى الحياة العامة 483
اشارة 483
1 - التكافل الاجتماعى (سنتحدث عنه فى الدور الاقتصادى) 483
2 - المشاركة الاجتماعية 486
3 - المساندة الاجتماعية 489
4 - توظيف المسائل الاجتماعية لخدمة قضية الامامة 494
الدور السياسى 498
اشارة 498
المشاركة السياسية للزهراء عليها السلام فى حياة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم 506
اشارة 506
أ - فى المجتمع المكى 506
ب - فى المجتمع المدنى 508
الدور السياسى للزهراء عليها السلام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم 511
اشارة 511
فدک 512
آليات الحركة السياسية عند الزهراء عليها السلام 520
اشارة 520
1 - الاستجواب السياسى 520
2 - الشورى السياسية 521

3 - الخطاب السياسى ----- 523
خطبتها الاولى فى المسجد النبوى وامام المسلمين كافة ----- 525
الخطبة الأولى ----- 525
الخطبة الثانية ----- 537
4 - اعلان المعارضة السياسية ----- 540
5 - المقاطعة السياسية ----- 541
6 - توجيه الناس الى مظلومية امير المؤمنين عليه السلام ----- 547
7 - التوظيف السياسى للشعر ----- 552
8 - الاحتجاج السياسى الخالد ----- 554
الحركة الفاطمية تحت المجهر ----- 556
الدور الاعلامى ----- 570
اشارة ----- 570
1 - الروايات والاحاديث ----- 576
2 - المباهلة ----- 583
3 - القدوة الحسنة ----- 584
الدور الاعلامى للزهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ----- 592
اشارة ----- 592
الوسائل الاعلامية عند الزهراء عليها السلام ----- 593
اشارة ----- 593
1 - النشر الاعلامى ----- 594
2 - البيان الاعلامى ----- 596
3 - الشعر ----- 615
4 - اعلان المقاطعة مع الخلافة ----- 617
5 - بكاؤها عليها السلام امام الملأ ----- 617
6 - بيت الاحزان.. ثقافة الرمز والصورة ----- 625

ثقافة الصورة 627
التهامس 629
8 - التعتيم الاعلامى 630
الدور الثقافى 634
اشارة 634
الزهراء عليها السلام المرأة العالمة 644
العطاء الفكرى للزهراء عليها السلام 647
اشارة 647
1 - بعض ادعيتها 647
2 - ومن اقوالها عليها السلام 649
3 - بعض أشعارها سلام الله عليها 652
4 - فقه الزهراء عليها السلام 655
5 - مصحف فاطمة عليها السلام 656
اشارة 656
مصحف فاطمة فى الأحاديث الشريفة 656
6 - خطبتا الزهراء عليها السلام 661
الاسهامات الثقافية للزهراء عليها السلام 663
اشارة 663
أ - رواية الحديث 663
ب - تعليم النساء المسلمات 676
ج - تعليم خادمتها فضة 683
اشارة 683
الخادمة فى عصرنا 694
د - تعليمها عليها السلام لأولادها 697
المرأة المثقفة المعاصرة 698

الدور الاقتصادى ـ 702
اشارة ـ 702
بمجمل القول ان الزهراء عليها السلام ساهمت فى التنمية الاقتصادية ـ 710
اشارة ـ 710
الدور القيمى ـ 712
اشارة ـ 712
1 - القيم الدينية ـ 723
1 - الايمان بالله تعالى ـ 726
2 - الصلاة ـ 733
3 - الدعاء ـ 740
ومن ادعية الزهراء عليها السلام ـ 743
تسبيح الزهراء عليها السلام ـ 744
4 - الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ 751
5 - الحجاب ـ 755
2 - القيم الاجتماعية ـ 762
اشارة ـ 762
1 - بر الوالدين ـ 765
2 - صلة الرحم ـ 766
3 - محبة الناس واحترامهم ـ 766
4 - الكرم والعطاء ـ 768
5 - الايثار ـ 769
6 - تنمية الروح الجماعية والتعاون ـ 771
3 - القيم المعرفية ـ 773
اشارة ـ 773
1 - محبة العلم والاهتمام به ـ 775

2 - النشر المعرفی 777
3 - الابداع 777
4 - القيم السياسية 781
اشارة 781
1 - الحرية 781
2 - العدالة 783
3 - المساواة 788
5 - القيم الاخلاقية 790
اشارة 790
قيمة الصدق 790
6 - القيم الصحية 792
7 - قيم التكامل الذاتی 793
اشارة 793
أ - الثقة بالنفس واحترام الذات 793
ب - الاهتمام بالمستقبل 795
ج - الشجاعة والاقدام 796
د - قيم المظهر الخارجی 798
ه - حسن التكيُّف 813
و - التصميم والإرادة 814
ز - ادب التعامل مع المصاب الجلل 815
8 - القيم الاقتصادية 816
اشارة 816
أ - محبة العمل 817
ب - محبة العامل 819
ج - الانفاق السليم 820

د - القناعة 820
كيف نرسخ القيم الزهراوية لدى الجيل المعاصر 823
اشارة 823
1 - الاسرة 824
2 - المجتمع 826
ادوار اخرى 828
اشارة 828
الدور الأول: الهوية الإنسانية التكاملية 831
الدور الثاني: حركة التكامل الفردى 833
اشارة 833
فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين 838
اشارة 838
1 - مقامها عليها السلام عند الله تعالى 849
2 - مقامها عليها السلام عند الملائكة 850
3 - مقامها عليها السلام عند الأنبياء والنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم 850
4 - مقامهاعليها السلام عند الأئمة عليهم السلام 850
5 - مقامها عليها السلام يوم القيامة 851
كلمة اخيرة 853
المصادر 856
اشارة 856
المعاجم 856
كتب متنوعة 871
المحتويات 876
تعريف مركز 888

قراءه فی السیره الفاطمیه

اشارة

سرشناسه: الحداد، کفاح، 1959

عنوان و نام پدیدآور: قراءة فی السیرة الفاطمیة / تألیف کفاح الحداد

مشخصات نشر: کربلاء: العتبة الحسینیة المقدسة – قسم الشؤون الفکریة والثقافیة. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامیة

محل نشر: کربلای معلی – عراق

سال نشر : 1436 ه ق

مشخصات ظاهری: 872 ص

یادداشت:عربی

یادداشت:کتابنامه

موضوع: السیرة – فاطمة الزهراء (س) – فضائل – أحادیث

موضوع: واقعة احراق باب دار فاطمة الزهراء (س) – فدک (المدینة المنورة، السعودیة) – تاریخ ونقد.

موضوع: فاطمة الزهراء (س) فی القرآن – الدور الاجتماعی و السیاسی

ص: 1

هویة الکتاب

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة العراقية لسنة 2013–2312

الحداد، كفاح، 1959 –

قراءة فى السيرة الفاطمية / تأليف كفاح الحداد. – الطبعة الأولى. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية 1436 ق. = 2015 م.

ص 879. – (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 154).

تبصرة ببليوغرافية: يحتوى على هوامش لأئمة مصادر: ص 841–860.

1. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه –. السيرة. 2. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه –. – فضائل – أحاديث. 3. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه –. ايذاء وتعقيب. 4. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه –. – تأثير – النساء المسلمات. 5. واقعة احراق باب دار فاطمة الزهراء (س)، 11 ه –. 6. فدک (المدينة المنورة، السعودية) – تاريخ ونقد. 7. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه –. – الشهادة. 8. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه -- فى القرآن. 9. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه –. – الدور الاجتماعى والسياسى. 10. فاطمة الزهراء (س)، حو. 8 ق. ه -- 11 ه –. – الدور الثقافى والاعلامى. ألف. العنوان. ب. السلسلة.

تمت الفهرسة قبل النشر فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ص:2

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا فاطمة! إن الله عز وجل يغضب لغضبک، ويرضى لرضاک»(1).

عن الامام الحسين عليه السلام، قال: صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بهجة قلبى وابناها ثمرة فؤادى وبعلها نور بصرى والائمة من ولدها امناء ربى وحبله الممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا ومن تخلف عنه هوى(2).

عن الامام الحسين عليه السلام، قال: صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بهجة قلبى وابناها ثمرة فؤادى وبعلها نور بصرى والائمة من ولدها امناء ربى وحبله الممدود بينه وبين خلقه من اعتصم به نجا ومن تخلف عنه هوى(3).

عن عائشة:

«ما رأيت أحدا أشبه سمتا ودلا وهديا وحديثا برسول الله، فى قيامه وقعوده، من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالت:

1- (1) (الطبرى/ذخائر العقبى/ص 39، وفى مسند الإمام الرضا عليه السلام، الحاكم/مستدرک الصحيحين/ج 3 /ص 154، الأربلى/كشف الغمة / ج 2 / ص 84).

2- (2) (المجلسى البحار 23:10 ح 16).

3- (3) (المجلسى البحار 23:10 ح 16).

وكانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها، فقبلها وأجلسها فى مجلسه، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها، قامت من مجلسها، فقبلته وأجلسته فى مجلسها»(1).

عن ثوبان، قال:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا سافر، آخر عهده إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم، فاطمة عليها السلام(2).

1- (1) (الطبرى/ ذخائر العقبى/ ص 40، ومثله فى سنن أبى داود/ج 2 /ص 354، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورىّ الشافعى 3:154).

2- (2) (الطبرى/ذخائر العقبى/ص 37).

الاهداء

الى غرس النبوة الخالدة وشجرة الامامة الباسقة وبهجة قلب المصطفى وشجنة فؤاده وبضعته الشبيهة به.

الى التى ازهر نورها فى الارض والسماء فكانت زهراء.

وفُطمت بالعلم وفَطمت شيعتها من النار فكانت فاطمة.

وكلمت الملائكة التى نادتها فى المحراب فكانت محدثة.

ام الرسول.. وبنت الرسول.. وبضعة قلب الرسول.. وام ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الى الراضية المرضية الطاهرة الزاكية الحنون الحانية.

الى التى قلّبها الدهر فى مضاجع نوائبه فكانت ممتحنة فى كل دقائق ورقائق حياتها حتى كانت سيدة المؤمنين والمؤمنات وسيدة نساء الجنة وسيدة نساء العالمين.

الى الزهراء فاطمة بنت محمد بن عبد الله..

هذه اوراق خجلة مضيقة حدودها قصيرة كلماتها تقف خاشعة عند ابواب الطهر والكمال يهز قلبها مُنى القبول.

كفاح الحداد

ص:7

المقدمة

الحمـد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على نبينا وهادينا المحمود الاحمـد أبى القاسم محمـد خاتم النبيين، وعلى اهل بيته الميامين الاطهار سيما بضعته الطاهرة وشجنة قلب المصطفى فاطمة الزهراء البتول عليها وعلى ابيها وبعلها واولادها افضل التحية والسلام.

وبعـد فإنه ماكان يدور فى خلدى أنى ساكتب يوما كتابا أتناول فيه السـيرة والتاريخ فقد كنت أرى ان المكتبة الإسـلامية تكاد تغص بما فيها من الكتب التى تناولت الكثير من بحوث السـيرة والتاريـخ، بيـد أنى لما طرت بين أفياء الكتب الكثيرة واقتحمت الاكداس الهائلة مما كُتب ودُوّن عبر سـنين طوال وعقود كثار أدركت انه مازالت هناك حاجـة مسـتمرة للكتابـة فى الموضوع نفسه؛ لاختلاف الافكار وتطور المفاهيم والرؤى وتباين الحاجات الى عروض جديـدة ومفيـدة تفيد الاجيال والامصار والاقوام المختلفة وبلغة ربما متفاوتة بعض الشـىء فقلت فى نفسى: فلأدلِ بدلوى فى بحور العلم والسيرة فربما كانت بضاعة مزجاة! تجد لها قاصدا يسأل عنها أو باحثا يبحث عنها أو

يتناولها بالتجديـد والتنقيب بالاساليب الحديثـة، فشـمرت عن ساعدى بعد تردد طويل فى الكتابة حول شخصـية عظيمة محاصـرة فى اطار ضيق!! ولهذا قلّ من فهمها وعرفها حق معرفتها... فكانت هذه الوريقات المتواضـعة التى لن تسـعفنا فى التعريف الكامل، وأنّى للناقص ان يتحدث عن الكامل! ولكنها ربما بداية أو ربما عرض وجيز.

وعلى العموم لا نـدعى الكمال أو الاحاطـة بالأمور كلها فهذا أمر لا يمكن أن يكون له حيز فى أفكارنا كما لا انكر الدعم الإلهى الذى كان واضـحا فما رميت أنا ولكن الله رمى وهو الـذى سدد رميتى رغم تواضـعى وقلة معرفتى ولكنّ لله تعالى شؤوناً وأموراً، وأرى أن الكتاب قد كتبته صاحبته عليها السـلام وهيأت له مصادره فأدركت انها مشيئة الله فى أن أخوض هذا البحر اللجى فكان السداد فى أوله والأمل المرجو فى نهاية المورد من القبول ومسک الختام..

ونأمل أن يكون هناک مايفيد القارىء والقارئة فى هذا السفر الصغير.. ونأمل أن نجد فى القلوب متسعا للعفو عن التقصير والقصور.

فهو شىء يسير لا ينافس أو يقايس بالناطحات من الكتب لكنه ربما يكون منطلقا لكتابات معاصرة تكون فيها الفائدة للجميع.

كفاح الحداد

مدخل: لماذا السيرة الفاطمية ؟

السيرة من السير والسير فى اللغة (الذهاب، كالمسير، والمسيرة، والسيرورة، والاستيار)

والفعل: سار، ومضارعه يسير، لأن أصله سَيَرَ.

وهو يستعمل لازماً ومتعديا، قال العلامة ابن منظور: (وسار البعير، وسرته أنا، وسارت الدابة (لسان العرب: سير).

وقد ذكر أهل اللغة لاسم (السيرة) أربع دلالات، فقالوا، (السيرة: الضرب من السير، والسيرة: السنة والسيرة: الطريقة، والسيرة: الهيئة) (القاموس المحيط، ومقاييس اللغة: سير).

على هذا تكون السيرة هى كل ماقام به المعصوم عليه السلام من أعمال وماقاله من أمور وقرره من حقائق سكت عنها أو نهى عنها.. فالسيرة اذن رحلة لاكتشاف الانسان العظيم وتسليط الضوء على منجزاته وأعماله وآرائه وبيان فلسفته ونظرياته وهى استنطاق لما تركه من تراث فكرى

وحضارى وثقافى يفيد الانسانية ويكون عونا لها على دحر الظلمات وسبر معابر النور.

وتتكون حياة كل إنسان وسيرته من نوعين من الوقائع:

الأول: وقائع يتشكل بها (تاريخ حياته) بدءا بولادته وظروف نشأته وانتهاءً بوفاته وظروف موته، وطبيعة هذا النوع من الوقائع غير قابل للتكرار والإعادة.

والآخر: وقائع تتشكل بها (طريقته فى الحياة) ونهجه ومذهبه العملى فيها وتتألف من عاداته اليومية وسلوكياته المختلفة إزاء الحوادث والأشياء المحيطة به، وطبيعة هذا النوع من الوقائع متكرر ومعاد ومن هنا سمّى (عادة) و (طريقة)(1).

على هذا فسيرة السيدة الزهراء عليها السلام تتناول اقوالها وافعالها وسماتها وماقامت به من أعمال على مختلف الصُعد الاسرية والذاتية والاجتماعية والسياسية والثقافية والأساليب التى تعاملت بها مع الظروف الحرجة التى مرت بها وماقالته من حِكم وأقوال وخُطب وما اتخذته من مواقف الى غير ذلک، بمعنى آخر انها (حياتها تحت المجهر) بعد الكشف والتنقيب عن كل الدوائر المحيطة والمؤثرة فى التعريف بحياتها بكل أبعادها الخاصة والعامة بما فيها مراحل حياتها فى طفولتها وشبابها ومرضها ورحيلها.. وحياتها بما فيها من حلو ومر ومصاعب عاشتها ومواقف اتخذتها مع بيان

1- (1) (السيد سامى البدرى / السيرة النبوية الباب الاول بحوث تمهيدية).

نقـاط التحول فى حياتهـا وتأثيراتهـا ونتائجهـا.. هى اذن اسـتقراء لحياة هـذه المرأة العظيمـة واسـتنطاق للتاريـخ ومحاولـة سبر أغوار تلك الشخصـية فى حقبة زمنية مميزة هى مرحلة ظهور الإسـلام وتأسيس دولته العظمى، وكيف يمكن الوصول الى فهم صحيح لهذه الشخصية العظيمة – بل اى شخصـية اخرى – دون إحاطة بالظروف التى أحاطت بها والتى شـكلت الحالة الاجتماعية والثقافية والسياسية التى كانت موجودة والتى أدت – من ثم – إلى اتخاذ اجراءات أو قرارات أو مواقف تحـدث عنها التاريخ وكتبها فى مدوناته وربما حاول البعض اخفاءها لطمس معالـم الشخصية!!... على هذا تكون السيرة هى محاولة لفهم الشخصية واختراق أسوارها عبر فهم صحيح ورؤية موضوعية واضحة.

ولمـا كـانت هـذه الشخصـية المباركـة تمتاز بأنها معصومـة طهرها الله تعالى من كل رجس ودنس وعيب ونقص فهى اذن نموذج الانسان الكامل، فالسيرة هنا بيان لمعالـم الانسان الكامل ومواصفاته وآثاره وهى انعكاس لوجوده المبارك على الرسول والرسالة والمرسل اليهم بل على الكون كله وربما على الدارين والحياتين وكلا النشأتين. ولما كانت العصمة رداءها وقد هجرتها الذنوب والأدران والمعاصى والارجاس فهى صورة مقدسـة خالـدة لكل انسان على مدى الزمان فمهما مرت العصور والدهور يبقى الانسان متلهفا باحثا عن الانسان الكامل، ففى شغاف كل قلب بشرى نزوع نحو الكمال وان اختلفت تعريفاته وصوره.. وهناك على الدوام رغبة ملحة للتعرف على الانسان

النموذج والقدوة الحسنة التى لن يكون هناك خير من المعصوم صورة لها.

بيد ان هذا النموذج الرفيع كان قد تجلى فى صورة امرأة يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها!! وعجيب ان تكون هناك امرأة بهذه المواصفات العليا!، وهو مما يتطلب منا التوقف عند نموذج الانسان الكامل أو بالأحرى المرأة الكاملة التى هى المثل الأعلى للرجل والمرأة على حد سواء.. علاوة على كونها النموذج السامى للشخصية النسائية التى أحياها الإسلام لتكون قدوة يُقتدى بها.. فمما لا شك فيه أن عصور الانحطاط – وبخاصة الانحطاط العقائدى والثقافى والاجتماعى – فى العهد الجاهلى قد أظهرت نماذج مشوهة للمرأة وهذه النماذج كانت تمثل الصور العاكسة لفكرة المجتمع عن المرأة ومكانتها فيه، فكانت نماذج سلبية تتمحور حول (قيم) خاطئة تحط من شأن المرأة (كأنواع الزواج فى الجاهلية أو العضل والظهار والوأد والجوارى.. الخ) ولما بزغ فجر الدعوة الإسلامية التى كنست من باحة الحياة كل القيم الجاهلية وأدرانها وأفكارها فإنها عرّفت بنماذج الإنسانية العليا فكان المسلمون والمسلمات الاوائل صورا خالدة ومشرقة فى تاريخ الدعوة، وكان للجميع دور كبير فى الحفاظ على العقيدة وفى إظهار الصورة المشرقة لاهتمامها بنصف المجتمع فى نساء تعددت أدوارهن فى البيعة والهجرة والى غير ذلك، لكن النموذج الكامل يظهر لنا فى صورة الزهراء عليها السلام من خلال أبعادها الذاتية كالعصمة ورعاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها وأبعادها الزمانية فى امتداد ادوارها ضمن أحرج محطات التاريخ فى المجتمع الضاغط فى مكة وفى

المجتمع الجديـد فى المدينـة بل الى مابعـد حياة أبيها، وفى أبعادها المكانيـة التى أشـرنا إليها وفى أبعادها التكاملية الأخرى – الاجتماعية والانسانية والثقافية والتربوية والسياسـية –. فهى نموذج متكامل ممتد على ارض الزمان والمكان واكب ظهور الرسالة وتكاملها واتمامها مع تمام نزول آيات الوحى المبين.

فـالزهراء عليها السـلام تمثل المثل الاعلى للانسان المسـلم ذكرا أو انثى، وهى القـدوة الثابتـة للمرأة المسـلمة فى كل زمان ومكان.. فلقد كانت عليها السـلام مسـلمة واعيـة ناجحـة فى كل أبعاد حياتها وفى عبادتها وجهادها وحجابها.. وكانت نموذجا ساميا للام المقدسـة التى تنحنى لها الجنان تـذللا لعطائها التربوى، وهل هناک مَنْ أعظم عطاءً منها وهى ام سـيدى شـباب اهل الجنة وأُم عقيلة الطالبيين بل هى ام الائمـة والامامـة كلهـا!. اضافـة الى ان الآليـات التربويـة التى اعتمـدتها فى التعامل مع اولادها كانت اساليب جديـدة ما كانت اصـلا فى المجتمع الجاهلى.. كما انها كانت نموذجا راقيا للزوجة الصالحة والتى لولا على عليه السلام لما كان لها كفؤ ابدا.

وهى البنت البارة الحنون التى يبادلها خير البشر صلى الله عليه وآله وسلم كل آيات التقدير والاحترام، وهى المسلمة الحاضرة فى ساحات الحياة بأبعادها المختلفة، بهذا فهى النموذج الكامل للانسان الذى هو خليفة الله فى أرضه، وللمرأة التى هى نصف الانسانية، وهى الصورة التى رسم أبعـاد شخصـيتها الاسـلام ضـمن اطروحته الكبرى التى تقوم على العـدل والمساواة وتزكيـة النفس والتسابق الى الجنان الى غير ذلک.

ص:14

لقد كانت الزهراء عليها السلام هى صورة الاسلام الناطق فى امرأة عظيمة خالدة فى مشاعرنا. وبهذا يتباهى الاسلام بأنه قدم نماذجه الرفيعة الخالدة فى ثلة المعصومين عليه السلام – بما فيهم النساء – لتبقى صورة خارقة لذاكرة الانسان المعاصر.

ان التعرف على سيرة هذه المرأة المعصومة والتى كانت خير النساء وافضل النساء يُسهم الى حد كبير فى وضع العلاجات لمشاكل المرأة المعاصرة ولاسيما المرأة المسلمة كما يُسهم فى ازاحة الشبهات وبيان اشكاليات الرؤى الجديدة المطروحة عالميا.

ان الاشارة والتعريف بحياة هؤلاء العظماء يساعد فى ايجاد تقارب بين الفكرة والواقع ويكون ايضا عونا على فهم النظرية اكثر ودعمها. كما ان طرح موضوع السيرة (لاى شخص ولاسيما المعصوم) ونشر معارفها انما هو محاولة لاماطة اللثام عن حياة هذه الشخصيات العظيمة وبيان محطات حياتهم وظروفهم التى عاشوها والاحداث التى مرت بهم، فالتعريف هو احد الاهداف الاولية فى مباحث السيرة.. غير ان هذا التعريف ينطوى على هدف سامٍ عظيم الا وهو ايجاد اقتراب (معنوى نفسى ثقافى تكاملى) بين السيرة والشخصية وبين الانسان المعاصر وكلما زاد الاقتراب زاد الاقتداء ووضُح النموذج التاريخى حتى يصبح كنموذج معاصر له القدرة على اقتحام النماذج الفارغة المفروضة علينا ضمن وسائل الاعلام ومساعى الحكومات الى غير ذلک.

ص:15

(ومما لا شک فيه، ان التربية عن طريق عرض الواقعة التاريخية واسـلوب القدوة هو افضل اسـلوب فى التربية وتجمع عليه المذاهب والفرق على اختلافها قديما وحديثا وهو الاسلوب الذى اتبعه خالق الانسان مع الانسان نفسه، وهو واضح من خلال الكتب السماوية المعروفة وقد تميز القرآن الكريم بهذا الصدد بما لا يضاهيه كتاب آخر، حين ضم بين دفتيه انواع القصص).

ولاـ ننكر ان هنـاک اطروحات متعـددة للسـيرة نقف أمام بعضـها لنبين ما لها وما عليها لكى يكون القارئ والقارئـة على علم ووعى بأهمية وكيفية طرح المواضيع التى تتعلق بسيرة الانبياء عليهم السلام والاولياء واهم هذه الاطروحات:

1 – الطرح التقليدى للسـيرة... وهذا الطرح يقوم على بيان الروايات والاحداث فقط وهو مهم من حيث انه يجمع هذه الروايات والاحداث ويصوغها فى قالب تاريخى ولفظى مهم، وبذلک يعين الباحثين فى امدادهم بالمادة الخام أو المادة المغذية لكتبهم وبحوثهم وقد كان لهذا النوع من الطرح – ومازال – اهميـة كبرى فى الوقوف ببسالـة امام التيارات المنحرفـة وأصـحاب الأفكار المضادة التى قـد تعتمـد أيضاً على الروايات والاحـداث، ولكنها تؤول الوقائع بما قـد يغير مسار التاريـخ كله!! ويعطى صورة مشوهـة للشخصـية العظيمة، ولولا هذا النوع من الطرح العام أو التقليدى لضاعت امور وغابت حقائق بل لغابت شخصيات وتعالت اخرى ممن لا تستحق الظهور.

2 – الطرح العملى للسيرة وهو طرح يعتمده المتخصصون فى العلوم

المختلفة فهو يحاول ان يستنبط مما قدمه الطرح الاول أبعادا مختلفة فنرى العالم التربوى يبحث من خلال السيرة عن ملامح الرؤية الاسلامية فى التربية والباحث النفسى يدرس نموذج الشخصية وسماتها وتوازنها ونفس الشيء يقال عن عالم الاجتماع وغيره وبهذا نقرأ السيرة ضمن متداولات جديدة تسهم فى تسليط الضوء على الفكر الاسلامى، وهو ايضا اسلوب يتحدث بلغة العصر فهو اكثر اقترابا من الاجيال المعاصرة ولاسيما المثقفة والمتعلمة، وقد يكون مدخلا نحو التوغل الى دراسات اوسع فى الجانب الاول فمن خلال دراسة ابعاد الشخصية قد نصل الى نتيجة ان هذه الشخصية لايمكن ان تقوم بالعمل الفلانى الذى قد ينسب إليها بناءً على احاديث أو روايات كاذبة أو مختلقة فهو اذن يستفيد من العرض التقليدى الذى يزوده بالمادة الخام والمادة الغذائية لبحوثه ويحاول ان يستنبط دروسا عملية تسهم فى (عصرنة) السيرة وتحويلها الى واقع حياتى.

وسأحاول المرور على السيرة الفاطمية وبشكل سريع ضمن بيانين:

1 – الطرح التحليلى التجزيئى الذى يتابع الاحداث والمراحل العمرية.

2 – الطرح الموضوعى العام الذى يستنبط الاصول المهمة الواضحة فى هذه السيرة.

وقبل البدء لابد ان أشير إلى بعض الإشكالات الموجودة فى الطروحات والابحاث الخاصة بالسيرة منها:

1. الاهتمام بجانب والتركيز عليه واهمال الجوانب الاخرى فقد نرى مثلا

تركيزا على حادثـة معينـة أو واقعة معينة وإهمالاً لبقية تاريخ السـيرة فى حين ان حياة هؤلاء المعصومين عليهم السـلام كلها مدارس وكلها ذات آثار وفوائد لنا وماقد يبدو (أمراً ثانوياً) عند البعض قد يكون (هاماً جدا) عند آخرين.

2. الافراط فى بيان الجانب الغيبى للشخصـية والذى يؤدى الى إبعاد المسافة بينها وبين المقتدى!!، فمن المؤكد ان هؤلاء العظام كانت لهم شخصـية غيبيـة تمثلت فى الامدادات الغيبية والكرامات وكانت لهم علاقة خاصة بالغيب فهم ليسوا كباقى البشـر، انما هم اعلى من البشـر بهذا الامتياز ولكنهم فى نفس الوقت بقوا نماذج عليا للبشـر!! ولتوضـيح ذلک أقول مثلا: إن الجاهلين كانوا يحتجون على الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم بـأنه لماذا لم يرسل الله تعالى الملائكـة لتكون لهم أنبياء ورسـلاً بـدلا من الامى الفقير؟ فيأتى جوابه صـلى الله عليه وآله وسـلم بالآية المباركة «قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» [الكهف: 110] فرغم ان مرتبة الوحى الالهى عظيمة إلا أنها لم تلغِ عالم بشـريتهم.. اننا نقرأ أن الزهراء عليها السـلام كانت تطحن بالرحى لكنها فى الوقت نفسه كانت ذات مقامات غيبيـة عالية.. ونقرأ عن الحسن والحسـين عليهما السلام انهما كانا يرتقيان ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أثناء السجود فيطيل سجوده حتى ينزلا عن ظهره الشـريف، انه يريد ان يقول ان هؤلاء اطفال يلعبون كباقى الاطفال وإن كانوا فى مراتب متقدمة تجعلهم فوق الصـغار والكبار على حد سواء، فهما سيدا شباب اهل الجنة وهما إمامان إن قاما وإن قعدا.. ان التأكيد على بشرية هؤلاء يوصل رسالة

الى المقتـدى انه يمكن الاقتداء بهؤلاء (البشـر) فى حين ان الافراط فى بيان الجانب الغيبى يوصل رسالة الى المتلقى (انه لا يمكن الاقتداء بهؤلاء العظماء فهم أبعـد شـىء عن البشـر!!) وهـذا هو الطرح التجريـدى للسـيرة الذى يجعل اهل البيت نجوما معلقة فى السـماء يكتفى المؤمن بهم بالنظر والتطلع ولا يجدُّ فى السـير إليهم.. ورغم ان للجانب الغيبى تأثيره الواضح على السيرة نفسها وعلى تعاملهم مع الظروف التى مرت بهم وعلى حياتهم بل على حياة من كان معهم لكن يجب أن نسلم أن هؤلاء بشر عِظام وفى نفس الوقت لهم مقامات غيبية قد لا تدركها عقولنا الصغيرة!!.

3. تشويه المفاهيم الاصـيلة لبعض الروايات والاحاديث فمثلا الحديث الوارد عن الزهراء عليها السـلام فى انه خير للمرأة ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل (البحار: ج 43، ص 84)(1).

.. فى حيـن أسـرف البعض فى الفهم وفسـر الحـديث بـأنه يعنى حجر النسـاء فى الـبيوت!! ولهـذا عزلهـا عن التعليم والعمـل والمشـاركة الاجتماعيـة!! فهى لا تخرج الا مرتين مرة الى زوجها ومرة الى قبرها وهذا شـجع النساء على التمرد وادى الى حدوث شـرخ واسع بين فهم الـدين وتطبيقه وحدوث خلط واسع بين الشـعارات والعادات والتقاليد ونسـبة كل ماهو غير انسانى الى الدين نفسه!!.. والذى يتأمل التاريخ يجد ان الزهراء عليها السلام خرجت من بيتها مرارا تارة الى ارض المعركة لمعونة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فى احد

1- (1) آية الله السيد الخوئى رحمه الله يرد الرواية لانها مرسلة فى كتاب مستند العروة الوثقى كتاب النكاح ج 1 ص 53.

ولتفقـده فى حرب الخنـدق ومرة خرجت آمرة بالمعروف ناهيـة عن المنكر ناصـرة للولايـة فى مواقفها العظيمة فى مطالبة أبى بكر بحقها فى فدك وحق زوجها فى الولاية وبيان الانحراف الذى طرأ على مسار الامة بعد وفاة الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم فكيف نفسر هذا الأمر مع الحديث السابق؟ بل إن العجيب أن هذا الدور يمتد الى خروجها الى بيت الاحزان يوميا لمواصلة اعلان احتجاجها رغم ألمها ومرضها وفاجعتها!!..

على هـذا نحتاج للتعرف على سـيرة الزهراء عليها السـلام لكى نصل الى تربية عقائدية وتشـريعية ونفسـية واجتماعية ولكى نسـتطيع تصور النموذج المطلوب فى الاسلام.

بيد اننا لا ننكر أن هناك تقصـيرا فى عرض سـيرة هذه الشخصـية العظيمة ويعود السـبب الى جملة أمور منها شخصية الموالين والمخالفين وكذلك المزايا والظروف التى احاطت بشخصـية الزهراء عليها السـلام نفسها.. فمن ناحية المخالفين فقد اخفوا مناقبها ومناقب زوجها عليه السـلام واولادها عليهم السـلام للترويـج لصور ونماذج واحاديث وافكار وشخصـيات معينـة الامر الذى جعل هناك عرضا هائلا للافكار الصحيحة والكاذبة مما جعل الفصل بينهما صعباً للغاية، كما وادخل الامة فى حراب شائكة غارزة ممتدة حتى وقتنا الحالى..

أما من ناحيـة الموالين أنفسـهم فقد حاصـروا الزهراء عليها السـلام فى أفق ضـيق هو أفق المأساة وحادث الهجوم على الدار ولطالما بحثتُ وقرأتُ ونقبتُ

فوجدت ان ماكتب عن أدوارها وآثارها تضيق عنه راح اليد!! وهذا تحجيم لهذه الصورة العليا للانسانية، فأين هى كمالاتها وادوارها؟.

ويبدو أن الزهراء عليها السلام كانت متقدمة على عصرها – كما كان زوجها عليه السلام – فلم تعرف الناس علياً عليه السلام حق المعرفة وهو الحاضر فى الحروب والمغازى وهو القرآن الناطق وباب مدينة العلم وكاتب الوحى وقسيم الجنة والنار، فكيف تفهم الزهراء عليها السلام فى عشرة اعوام مشحونة بالاحداث والآيات والوقائع العظيمة؟ وفى ظل تزاحم المفاهيم الجديدة مع المفاهيم الجاهلية.. ولا ننسى ان زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان متميزا فقد كان فيه خمسة معصومين عليهم السلام ومن البديهى ان الامة حينما تحتاج الى أمر ما سواء كان أمراً معرفيّاً أو غيره فإنها تتوجه بالقصد الى المعصوم الاول الذى عرفوه فيلجأون الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.. كما أن هناك الحساسيات الموجودة وغيرة النساء ومشاكل البيت النبوى، والتى أشار القرآن الى بعضها، وقد تركت آثارها خارج البيت النبوى ولعبت دورا كبيرا فى إقصاء الفهم الصحيح لكثير من القيم الاسلامية، وتكفى حادثة فدک كدليل على ذلک فقد شهدت ام سلمة رضى الله عنها للزهراء عليها السلام ولكن عائشة كذبت الاثنين!! والجميع نقلوا عن مصدر واحد الا وهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا جميعا فى بيت النبوة!! فلابد إذاً من وجود صادق وكاذب لعدم اجتماع النقيضين!!.

على هذا فنحن بحاجة الى استقراء حياة المعصومين ومنهم الزهراء عليها

السلام من خلال عدة اتجاهات واختصاصات فنحتاج الى الاديب الذى يعرفنا ببلاغة اهل البيت عليهم السلام، ونحتاج الى التربوى الذى يبحث فى النظريات التربوية عندهم، ونحتاج الى الفقيه الذى يغور فى بحار الفقه عندهم عليهم السلام كما نحتاج الى المتخصصين فى علم النفس والاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد وغير ذلک لکی نستقرئ هذه الشخصيات من عدة ابعاد ولا نبقى ندور فى فلک واحد متکرر قد لا يزيد الاجيال القادمة الا تطرفا وتغافلا عن محاسن هؤلاء العظام!!.

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطِمَة بَضْعَةُ مِنّى فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَنِى)(1).

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة منى، من سرها فقد سرنى ومن ساءها فقد ساءنى فاطمة اعز الناس على(2).

- وروى مجاهد، قال: خرج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، وهى بضعة منى، وهى قلبى وروحى التى بين جنبى، فمن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله»(3).

1- (1) صحيح البخارى ج 3 كتاب الفضائل باب مناقب فاطِمَة ص 1374 / خصائص الإمام علىّ للنسائى ص 122 / الجامع الصغير ج 2 ص 653 ح 5858 / ذخائر العقبى ص 37 / ينابيع المودّة ج 2 ص 52).

2- (2) (البخارى 5:26 باب مناقب فاطمة - امالى المفيد 260 ج 2).

3- (3) (بحار الانوار ج 43 ص 54 والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص 146).

الفصل الاول: السيرة الفاطمية

اشارة

ص:23

السيدة فاطمة بنت محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عليهم السلام

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد البشر وخاتم الأنبياء وسيد المرسلين وحبيب الله وهو ينتهى الى أشرف بيوتات قريش فجمع النسب العائلى والمعنوى ليكون خير البشر أجمعين صلوات الله عليه.

أمها: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى الاسدى.

زوجها: أمير المؤمنين ويعسوب الدين الإمام على بن ابى طالب ابن عم النبى وأول القوم إسلاما.

أبناؤها: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والسيدة زينب عقيلة الطالبيين والسيدة ام كلثوم.

ألقابها وأسماؤها: الزهراء، البتول، الراضية، المرضية، الصديقة، المحدثة، الزكية، المباركة، أم أبيها. سيدة نساء العالمين.

ص:25

الولادة المباركة

اشارة

اختلفت الروايات التى تحـدد تاريخ ولادة الزهراء عليها السـلام فبعضـها يشـير الى ولادتها قبل البعثة والغالبية المعتمدة عند مدرسة اهل البيت عليهم السلام تشير الى ولادتها بعد البعثة.

ففى الرواية عن الامام على بن الحسين عليهما السلام: لـم يولد لرسول الله من خديجة على فطرة الاسلام الا فاطمة(1).

وقال بعض المؤرخين إنها ولـدت قبل البعثـة بخمس سـنين، وتـذهب معظم روايات أهل البيت عليهم السـلام إلى أنها ولـدت بعد البعثة بخمس سنين (الكافى بسند صحيح، والمصباح الكبير، ودلائل الإمامة، ومصباح الكفعمى، والروضة، ومناقب ابن شهر آشوب، وغيرها).

ومما يـدل على أنها ولـدت بعد البعثة روايات كثيرة أكدت على أن نطفتها قد انعقدت من ثمر جاء به جبريل إلى النبى صـلى الله عليه وآله وسلم، منها ما روى عن ابن عباس، وسعد بن أبى وقاص، وعائشة.

1- (1) (روضة الكافى ح 536).

وما روى عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام كالإمام الصادق عليه السلام من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، يا عائشة! لما اسرى بى إلى السماء أدخلنى جبريل الجنة، فناولنى منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة فى صلبى، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء إنسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»(1). كما ورد فى البحار عن أمالى الصدوق، وعيون أخبار الرضا، ومعانى الأخبار، وعلل الشرائع، وتفسير القمى، وغيرها الكثير، وللتفصيل راجع الصحيح فى سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى العاملى).

الأبوان المباركان: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة عليها السلام

هى فاطمة بنت خاتم الانبياء محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصى بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤى...

وكما هو معروف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتهى الى أشرف بيوتات قريش فسقاية الحاج كانت لبنى هاشم الذى كان معروفا بكرمه وجوده فهو خير البشر وسيدالمرسلين وحبيب رب العالمين اصطفاه الله من بين الناس أجمعين ليكون هاديا ومبشرا ونذيرا ليبلغ رسالة التوحيد الى البشرية الضائعة فى غياهب الشرك والضلال وليكون على يديه وبيمنه وبركته اعداد خير امة اخرجت للناس صلوات الله عليه.

1- (1) (مستدرک الحاکم/ج 3 /ص 156، ومجمع الزوائد/ج 9 /ص 202).

وهو الولد الوحيد لأبيه الذى كان واحدا من عشرة وقد توفى عبد الله قبل مولده فجاء الى الدنيا يتيما وكانت ولادته صلوات الله عليه فى العام الـذى قاد فيه إبرهـة الجيش العظيم الـذى تتقـدمه الفيلـة لتـدمير الكعبة فحمى الله بيته بإرسال الطير الابابيل على الجيش الجرار فجعلتهم كعصف مـأكول.. وقـد صاحبت ولادته معاجز كثيرة منها إخماد نيران فارس.. وعاش فى كنف امه آمنـة بنت وهب ست سـنوات وبعـدها عاش مع جده عبد المطلب سنتين ثم انتقل الى بيت عمه ابى طالب وهو ابن ثمانى سنوات.

عرفته مكة بأنه الصادق الامين وهو الذى حسم نزاع القبائل فى حمل الحجر الاسود حينما أُعيد بناء الكعبة من جديد بعد أن أغرقها السيل.

وكانت الجزيرة آنذاک تترقب ظهور نبى جديد من الروايات التى نشـرها الرهبان والاحبار ورسـمت علاماته فلما بُعِث نبياً حاربه قومه وآذوه فلم يجـد سبيلا سوى الهجرة الى المدينـة تاركا مكـة بما فيها من حب وعلاقات وذكريات ومن المدينة التى هاجر اليها الرسول بدأ التاريخ الاسلامى وتشكلت الدولة الاسلامية الكبرى ذات الحضارة العظمى التى حكمت البشرية قرونا عدة.

تزوج صلى الله عليه وآله وسلم من السيدة خديجة وهو شاب فى الخامسة والعشرين من العمرولم يجمع بينها وبين اى امرأة اخرى.

واما خديجـة فهى خديجـة بنت خويلـد بن أسـد بن عبـدالعزى بن قصـى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر.. وفى تاريخ اليعقوبى (811/2) ان السيدة خديجة تجتمع مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى

نسبها فى قصى الذى هو الجد الرابع للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والجد الثالث لها وينتهى هذا النسب الكريم الى نبى الله إبراهيم الخليل عليه السلام.. ولقصى مكانة خاصة فى تاريخ قريش فقد جمع بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، وأسس دار الندوة، وجعل بابها إلى الكعبة، وفيها كانت تجتمع قريش وتقضى أمورها وتتشاور.. وكان اللواء يعقد فى هذه الدار، وكانت لا تزف عروس إلا فيها، وكذلك تدريع الصبية الصغيرة، وهى سن تستحق فيها أن تلبس لباسا يسمى الدرع، وسموه مجمعا لأنه جمع أمور قريش، ودانت له مكة وأيدته قريش بقوة، واعترفت به سيدا لا ينافس، وبعد وفاته قسمت تلك الوظائف الدينية بين أولاده، وظلت إلى ظهور الإسلام.

أما أبوها - رضى الله عنها - خويلد بن أسد، فهو فى الذروة من قريش نسبا وشرفا ومكانة.

وأم السيدة خديجة هى فاطمة بنت زائدة، وينتهى نسبها إلى عامر بن لؤى وجدتها هى هالة بنت عبد مناف الذى يصل إلى لؤى بن غالب، وفى لؤى تجتمع خديجة مع النبى (صلى الله عليه وآله) من جهة أمها. فكلا أبويها من أعرق البيوت فى قريش نسبا وأعلاهم حسبا.

وكانت السيدة خديجة تسمى فى الجاهلية بالطاهرة(1) و بسيدة نساء قريش.

ومن الصعب ان تكون هناك امرأة بهذه المواصفات العالية الطيبة فى

1- (1) السيرة الحلبية ص 137، اعلام النساء 1\275).

المجتمع الجاهلى الذى كان آسناً فى أوضاعه وأحواله غارقاً فى الفساد والظلم وامتهان المرأة يبارک الزنى والعياذ بالله ويئد البنات العفيفات!!..

ويرجح كثير من المؤرخين الى انها لم تتزوج غيرالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى انها تزوجته صلى الله عليه وآله وسلم ولم تكن أرملة(1) وكان عمرها 25 سنة.

وزواج السيدة خديجة من رسول الله كان قبل البعثة بعد ان عمل فى تجارتها فسمعت الكثير عن خلقه الكريم فكانت الخطبة ثم الزواج.

كانت السيدة خديجة اول من آمن بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم من النساء والى هذا يشير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: آمنت بى اذ كفر بى الناس وواستنى فى مالها اذ حرمنى الناس ورزقنى منها اولادا اذ حرمنى اولاد النساء.(2)

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كنت أول من أسلم فمكثنا بذلک ثلاث حجج وما على وجه الأرض خلق يصلى ويشهد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بما اتاه غيرى وغير بنت خويلد رحمها الله(3).

وقال فى خطبته المعروفة بالقاصعة: ولم يجمع بيت يومئذ واحد فى الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة وأشم

1- (1) (دلائل النبوة 71:2، السيرة الحلبية 140:1، البداية والنهاية 294:2).
2- (2) (صحيح البخارى 5:485 الاصابة 275/4) الاستيعاب 4.4:278.
3- (3) (البحار ج 16 ص 2).

ريح النبوة(1).

وروى المؤرخون والمحـدثون من طرق عديـدة بأسانيدهم عن عفيف الكندى قال: جئت فى الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلى من ثيابها وعطورها فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فبينما أنا عنده - وكان رجلاً تاجراً - وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس وارتفعت إذ جاء شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه وانتصب قائماً مسـتقبلها إذ جاء غلام حتى قام عن يمينه، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت من خلفهما، ثم ركع الشاب وركع الغلام وركعت المرأة، ثم خر الشاب ساجـداً وخر الغلام وخرت المرأة فقال العباس لى: أتدرى من هـذا؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخى، وهذا على بن أبى طالب، وهذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخى هذا - وأشار إلى النبى (صـلى الله عليه وآله) - حدثنا أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه، ولا والله ما أسلم على وجه الأرض، وما عليها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة، قال عفيف وقد أسلم بعد ذلک فحسن إسلامه: لو كان الله رزقنى الإسلام يومئذ كنت ثانياً مع على بن أبى طالب(2).

وفى الروايات انها كانت على دين الحنيفيـة وكانت تنتظر انبعاث نبى فى هذه الارض الغارقة فى وحل الوثنية ولما جاءها الرسول صـلى الله عليه وآله

1- (1) (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 3 ص 250).

2- (2) رواه النسائى فى (خصائص أمير المؤمنين) ص 3 والطبرى فى تاريخه ج 2 ص 212. وابن الأثير فى كامله ج 2 ص 22.

وسلم بعد نزول الوحی خائفا یطالب بالدثار طمأنته الی حاله وصبرته بل جعلته امام الرسالة قائلة (والله لا یخزیک الله تعالی ابدا انک لتصل الرحم وتحمل الکل وتکسی العدم وتعین علی نوائب الدهر ابشر یا بن عمی واثبت فو الذی نفس خدیجة بیده انی لارجو ان تکون نبی هذه الأمة(1) نعم عرفته بشمائله وصفاته لأنها عاشت شمائله وصفاته فکانت تراها قبل ان یُبعث شمائل الانبیاء وصفاتهم... فهی المؤمنة منذ البدایة.

بهذا نری ان السیدة خدیجة لم تکن امرأة عادیة ابدا فقد فرضت وجودها فی المجتمع الجاهلی الذی لا یسمح للمرأة بتبوؤ ای مکانة فضلا عن ممارساته الشائنة فی انواع الوأد المادی والمعنوی لکنه عرّفها بأنها سیدة قریش وماکانت هذه السیادة لتأتی عبثا لولا مآثرها الطیبة فی نسبها واستقامتها فی تجارتها التی کانت تنافس تجارة سادة قریش وکبرائها مع الفارق ان هؤلاء کانوا یضاعفون اموالهم بالربا فاستحالت سحتا حراما فی حین ان السیدة خدیجة کانت تتجنب الربا وتتاجر بالمضاربة فکانت اموالها حلالا.. ثم انها فرضت وجودها وسیادتها لیس علی رجال المجتمع المکی آنذاک فقد کان یُشار لها بالبنان وقدتقدم لخطبتها الکبراء ولکنها ما کانت لتهوی نفوسا غارقة فی وحل الربا ووحل الظلم لمن تحت ایدیهم.

واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان المجتمع المکی کان مقسما الی سادة وعبید وکان السادة فیهم ذوی المطامع الدنیویة وکانت نساؤهم نموذجاً متهاویاً فی

1- (1) (ابن عساکر / تاریخ دمشق / 63:13).

الجهـل والاميـة والفقر الثقـافى اما العبيـد فيضاف اليهم مع ذلک الفقر المادى وهناک تهاوى للفضـيلة فى وجود انماط شائنـة من الزواج كزواج المقت حيث يتزوج الولـد من امراة ابيه ونكاح الاسـتبضاع بان يرسل الرجل زوجته لتحمل من غيره وهناک نكاح مشابه بان يـدخل الرهط على المرأة الواحدة فاذا حملت اختارت من تشاء أبا لولدها فابطل الاسلام كل هذه الانواع السيئة.

فى هذا الجو الآسن كانت خديجة هى السيدة والطاهرة وماكان يستغرقها عبث النساء ولا ضلالتهم وهو نفس الشيء الذى يقال عن الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم ففى الوقت الذى يتباهى شـباب قريش ببطولاتهم الغرامية وبفحشـهم ومجونهم كان الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم يعيش العفـة والطهـارة ولم يـدخل فى نزوات الشـباب ولم يحضـر مجـالس اللهو والعيـاذ بالله. ولنا ان نتصور مجتمعا يقتل المرأة ويعضـلها ويحرمها ابسط حقوقها لكن هناک امرأة مثل خديجة لها تجارتها النظيفة الذائعة الصيت وهى تنافس تجارة الرجال وفيها الاجراء والغلمان ولديها الخدم والحشم ففرضت احترامها على الكل رجالا ونساءً وهذه مؤشرات على قوة شخصيتها ورجاحة عقلها واجادتها فنون البيع والشـراء والحساب والعـد فهى سـيدة اعمال بمنتهى الكلمة وهى امرأة تتعامل مع هذا الجمع الرجالى بعفة وطهارة وهم يتاجرون فى تجارتها يشترون منها ويبيعون اليها.. هى اذا ليست امرأة عاديـة. والسؤال الـذى يطرح نفسه هو كيف وصـلت السـيدة الى هـذه المرتبة من الرفعة الذاتية والعملية؟ ان المتابع لشؤونها سيعزو الامر لا محالة الى

شخصـيتها وتربيتها وذكائها لكن هـذه المفردات طالما توفرت لاناس فلم يسـتفيدوا منها!!، اننا الآن لو سألنا احدى النساء عن سـبب اميتها الفكريـة والثقافية مثلا فالجواب يأتيِ: المجتمع.. الناس لا تشـجع.. الفساد الخ من المبررات والاعاذير، لكن خديجة عاشت هذه الظروف واجتازتها بقوة ارادتها واخلاقها العاليـة فلنا ان نتصور امرأة شابـة تعيش المال الوفير والحسب والنسب ثم يتقدم لها الاثرياء فتطردهم وتقبل برجل كان يعمل عندها اجيرا لا لشـيء الا لشـمائله الطيبة وما سـمعت من اخلاقه الكريمة لأكثر!!، فمازال محمدٌ غير مبعوث بالنبوة حتى ذلک الوقت.. وإرادتها القويـة هـذه هى التى سـهلت لها أن تجود بأموالها بعـد البعثة لتشترى العبيد وتعتقهم والتجار عادة يعيشون البخل والحرص على المال لكنها تهبه كله وهى التاجرة الثريـة وتموت جوعا على الرمضاء.. إنها صور لعظمـة امرأة لم تدرس فى جامعات لكنها درست فى مدرسة الانسانية ولم تصبح أسيرة الهوى لكنها قيدت الهوى وتحكمت فيه فاستحقت بجدارة أن تكون سيدة نساء العالمين!!.

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار انه كان هناک كلام عن نبى يبعث فى مكة وهو ماتكلم عنه الرهبان والاحبار فهى رضى الله عنها عاشت إعدادا أوليا الى أن هناک تغييرا قادما وان هناک نهضـة بشـرية يقودها نبى يـدعو للتوحيد. هذه الصور المخزونة فى الذاكرة ولّدت اسـتعدادا اوليا لقبول الرسالـة وتبنى الفكر الاسـلامى والـدفاع عنه، ولعل هـذه الحالة تشـبه الى حد كبير الوقت الحالى حيث يعيش المؤمنون فى زمن الانتظار مترقبين ظهور الامام عجل الله تعالى

فرجه الشـريف فى كل لحظـة مع متابعـة العلامات الدالة على ظهوره وان كنا لا ندرى هل سـنقدم له الدعم المطلوب والتصديق والنصـرة والمؤازرة؟! ام لا والعياذ بالله..

كان رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم يخلو بنفسه فى غار حراء لايام وشهور وكانت السيدة تعلم بذلک ولم يداخلها شک بأنه قد ينفلت – والعياذ بالله – الى امور اخرى، لكن العجيب انها تتبنى هذا المشـروع فى الخلوة بعيدا عنها فى غار حراء داخل الجبل فتُعد له طعامه وما يحتاج اليه ولا تثنيه وربما لاتسأله عن سـبب الـذهاب الى الغار ولِمَ الخلوة والرسول لم يبعث بعد!، كأنها تعلم انه النبى القادم!!، وقد يسوغ للبعض تبرير ايمـان خديجـة بأن المرأة على دين زوجها فلو كان النبى غير محمـدٍ لما آمنت!! لكن هـذا الرأى الضـيق يتناسـى انبياءً كانت زوجاتهم أشـد المعارضـين لهم بمعنى آخر أن الله ابتلاهم فى زوجاتهم غير المؤمنات برسالتهم وكانت النتيجـة ان قضـمهن العذاب كما اكل كل الكافرين بالنبى كزوجة نوح ولوط قال تعالى:

«ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ ادْخُلاَ النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ» [سورة التحريم: آية 10].

فالامر يعنى ان الارضـية كانت مهيأة لقبول نداء الوحى والملاحظ ان الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم لم يجبر احدا على قبول رسالته فقد كان هاديا وما كان مسيطرا حتى على زوجته، فالسيدة خديجة رضى الله عنها هى

التى اعلنت اسـلامها وايمانها بالـدين الجديد ويكفى ان نمر على الرواية الآنفة الذكر فى انها اول المصـليات فى الكعبة والناس تنظر وترى وما كان احد قد اعلن تأييده لهذا الدين بعد بل كانت صـلاتها فى الكعبة اعلانا رسـميا عن اسـلامها وبهذا دخلت الحرب الكبرى فهجرتها النسـاء ولم تأتِ اليها امرأة واحـدة لتعينها حتى فى اشـد اللحظات حراجـة حينما ولـدت ابنتها الزهراء عليها السـلام وان كان هـذا الوجود النسوى الـدنيوى غير مبارك ولا يسـتحق حضور ميلاد انسان عظيم كالزهراء لكننا من خلال ذلک ندرک عِظم ما تحملته السـيدة من نساء قريش ورجالهم..

فقد سأل الفضل بن عمر الإمام الصادق (عليه السـلام) عن كيفية ولادة السيدة الزهراء (عليها السلام) فأجابه: «إن خديجة عليها رضوان الله لمـا تزوج بهـا رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم هجرتهـا نسوة مكـة فكنّ لاـ يـدخلن عليها ولا يسـلمن عليها ولا يتركن امرأة تـدخل إليها(1)». ولقد طال هذا الهجران أياماً وشهوراً بل سنوات!!.

ان الرجل بحاجة الى المرأة التى تشاركه حياته بما فيها من مسرات واحزان وافراح واتراح فهى العون فى الوصول الى اهدافه العليا وان الدعم النفسـى الـذى تقـدمه المرأة للرجل خاصـة فى حالة تزايد الضـغوطات على الرجل تترک اثرها الكبير على معنوية الزوج نفسه ولذا جاءت الدراسات الحديثة لتؤكد ان العزاب اكثر تضررا من المتزوجين فى حال تعرضهم لازمات

1- (1) المجلسى بحار الأنوار ج 43 ص 2).

حياتية (ايا كان شكلها) بسبب غياب الشريک الذى يقدم الدعم النفسى لشريكه ويخفف من ثقل المصيبة الواردة عليه فى الساعة الحرجة.

ولهذا فقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (انها آمنت بى حين كفر بى الناس) يشير الى الظروف الصعبة التى عاشها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل (ما أوذى نبى قط مثل ما أوذيت).

نعم كان ايمان خديجة ودعمها النفسى والمالى ومن ثم الذرية والاطفال كلها عوامل تقف مساندة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى دعوته وتصديه لأساليب قريش الظالمة.

ولما أنزل الله تعالى:«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصفا ونادى فى أيام الموسم: يا أيها الناس!.. إنى رسول الله ربّ العالمين، فرمقه الناس بأبصارهم – قالها ثلاثاً – ثم انطلق حتى أتى المروة ثم وضع يده فى أذنه ثم نادى ثلاثا بأعلى صوته: يا أيها الناس!.. إنى رسول الله – ثلاثا – فرمقه الناس بأبصارهم، ورماه أبو جهل – قبّحه الله – بحجر فشجّ بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة، فهرب حتى أتى الجبل فاستند إلى موضع يقال له المتّكأ، وجاء المشركون فى طلبه.

وجاء رجلٌ إلى على بن أبى طالب عليها السلام وقال: يا على!.. قد قُتل محمد، فانطلق إلى منزل خديجة – رضى الله عنها – فدقّ الباب، فقالت خديجة: مَن هذا؟.. قال: أنا علىّ، قالت: يا علىّ ما فعل محمد؟!.. قال:

لا ـ أدرى إلا ـ أنّ المشركين قد رموه بالحجارة، وما أدرى أحيٌّ هو أم ميّتٌ، فأعطينى شيئاً فيه ماء وخذى معک شيئا من هيس (نوع من الطعام)، وانطلقى بنا نلتمس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنا نجده جائعا عطشانا، فمضى حتى جاز الجبل وخديجة معه فقال على: يا خديجة!.. استبطنى الوادى حتى أستظهره (أى ادخلى بطن الوادى حتى أعلو أنا ظهره)، فجعل ينادى:

يا محمداه!.. يا رسول الله!.. نفسى لک الفداء فى أى وادٍ أنت ملقىً؟.. وجعلت خديجة تنادى: مَن أحسّ لى النبى المصطفى؟.. مَن أحسّ لى الربيع المرتضى؟.. مَن أحسّ لى المطرود فى الله؟.. من أحسّ لى أبا القاسم؟... ونظر جبرائيل عليه السلام إلى خديجة تجول فى الوادى، فقال: يا رسول الله!.. ألا ترى إلى خديجة قد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟.. أدعها إليک فأقرئها منى السلام، وقل لها: إنّ الله يقرئک السلام، وبشّرها أنّ لها فى الجنة بيتاً من قصب، لانصب فيه ولا صخب، لؤلؤا مكلّلا بالذهب.

فدعاها النبى صلى الله عليه وآله وسلم والدماء تسيل من وجهه على الأرض، وهو يمسحها ويردّها قالت: فداک أبى وأمى!.. دع الدمّ يقع على الأرض، قال: أخشى أن يغضب رب الأرض على مَن عليها، فلما جنّ عليهم الليل انصرفت خديجة – رضى الله عنها – ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلىّ عليه السلام ودخلت به منزلها، فأقعدته على الموضع الذى فيه الصخرة، وأظلّته بصخرة من فوق رأسه، وقامت فى وجهه تستره ببردها،

وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة وقتْه الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحيّط، وإذا رُمى من بين يديه وقتْه خديجة – رضى الله عنها – بنفسها، وجعلت تنادى:

يا معشـر قريش!.. تُرمى الحرّة فى منزلها؟.. فلما سـمعوا ذلک انصـرفوا عنه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغدا إلى المسجد يصلّى(1).

فلما خرج رسول الله مع بنى هاشم وبنى عبدالمطلب إلى شعاب مكة فى عام المقاطعة، لم تتردد رضى الله عنها فى الخروج مع رسول الله لتشاركه – على كبر سـنها – أعباء ما يحمل من أمر الرسالـة الإلهية التى يحملها، فقد أقامت فى الشـعاب ثلاث سـنين عانت ماعانت وهى صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى.

وكأن الله اختصـها بشخصـها لتكون سـنداً وعوناً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى إبلاغ رسالة رب العالمين الخاتمة، فكما اجتبى الله رسولَه محمداً واصـطفاه من بين الخلق كافة، كذلک قدَّر له فى مشوار حياته الأول لتأدية الرسالة العالمية مَن تكون له شـريكاً فى حمل هذه الدعوة فى مهدها الأول، فآنستهُ وآزرته وواسته بنفسها ومالها.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أمرت أن أبشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب(2).

1- (1) (البحار ج 18 ص 241-243 بتصرف).

2- (2) [(الإصابة) ج 4 ص 274 و (كشف الغمـة) للأربلى ج 2، ص 133 وص 134 والبحار، ج 16، ص 7-8 نقلاً عن الصحيحين البخارى ومسلم فى صحيحه ج 2 ص 370 باب فضائل خديجة].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «حسبک من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون»(1).

لقد كانت هذه السيدة العظيمة هى المسلمة الاولى وكانت باقى زوجات الرسول المسلمات فيما بعد ولكن المسلمة الاولى اسلمت والحراب على رأسها وقريش تتوعدها وتقاطعها وتمنع النساء حتى من التردد على دارها!!. وهى مع كل ماعاشته من حصار وتضييق وتهديد بقيت تمثل السند النفسى والمعنوى والاقتصادى للرسول فكان يزول ألمه لرؤياها، وهذه المساندة هى التى افتقدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما بعد مع زوجاته اللائى دخلن بيته بعد أن غاب العدو واختفى التهديد واستتبّت الامور وتزوجن من قائد الامة وحاكم الدولة لكن النفوس متفاوتة!.

بين الثرى والثريا

لم تعش نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الظروف التى عاشتها السيدة خديجة عليها السلام، ولقد كانت الى جنب الرسول فى اشد الظروف قساوة وكانت تدافع عنه بالنفس والمال بل وأنفقت كل مالديها من أجل نصرة الرسالة الفتية، ولم يعش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحب الانسانى العظيم الذى منحته اياه السيدة خديجة لذاته هو وليس لشىء آخر رغم كثرة زوجاته بعدها فقد كان حبها له انسانيا خالصا طاهراولهذا بقى

1- (1) (بحار الأنوار، ج 16، ص 7).

يذكرها حتى بعد رحيلها ففى الرواية:

عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتنى الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً، فقد أبدلک الله خيراً منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلنى خيراً منها، آمنت بى إذ كفر الناس، وواستنى فى مالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها أولاداً إذ حرمنى أولاد النساء(1).

والمتأمل يجد ان هناک تصورا دنيويا عند القائلة بأن هناک الافضل بالصورة والشکل والشباب لکن الاجابة کانت سريعة حدية ناکرة لکل هذه التعليلات المادية وجاءت معززة بالقسم وهو الصادق الامين (لا والله ما أبدلنى خيرا منها).. نفى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يکون هناک اى بديل لهذه السيدة فى حياته الزوجية على طول مسارها حتى رحيله، فمازال يذکر دعمها له ومساندتها إياه ووقوفها الى جنبه تدافع عنه وتحميه فى اشد المفاصل سخونة وخطورة وعاشت معه ألم وجوع الحصار.. والرجل الوفى يذکر هذه المواقف التى لا يمکن تقديرها بثمن أو حسابها فى اوراق فما الذى يذکره لغيرها؟ اوليس هو الحرمان من الاولاد؟ اوليس هو الحرمان من الحب؟ وهو صلى الله عليه وآله وسلم القائل (ورزقت حبها) وهو اشارة الى ان خديجة احبته لذاته ونفسه فقط ليس لوجاهة امتلکها ولا لزعامة عِرف بها

1- (1) ((الاستيعاب) لابن عبد البر فى أحوال خديجة ج 4، ص 278، و (الإصابة) لابن حجر العسقلانى ج 4، ص 275).

ولهـذا (كان حب الاخريات) مشوباً بأمور دنيويـة وكلما سـنحت الفرصة تمردن وطالبن بالدنيا ولجأن الى الاساليب الملتوية لتبرير مواقف وتمرير مطالب فتارة يوبخهن القرآن وتارة يهـددهن علهن يعدن الى الرشد وهذا ماكان يذكره لهن الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وقد عشن معه ربما عقـداً من الزمن أو يزيـد شـيئا ولكن خديجـة عليها السـلام عاشت معه خمسـة وعشـرين عاما كانت هى أيام حياته وشـبابه وزوجيته المفضلة.

وقـد عـدّ المؤرخون هذه الروايات إشارات واضـحة على مكانة هذه السـيدة العظيمة التى أنفقت كل اموالها من اجل نصـرة الدين والعقيدة حتى قضت أواخر ايامها وهى المرأة التاجرة الثريـة تتضور جوعا على رمضاء شـعب ابى طالب وتعيش حالة الفقر المؤلمة ولنا ان نمر على مقايسـة بين حال هـذه المرأة العظيمـة التى بذلت كل اموالها للرسول والرسالة حتى قال صـلى الله عليه وآله وسـلم: ((آمَنَتْ بِى إِذْ كَفَرَ بِى النّاسُ وَصَدّقَتْنِى إِذْ كَذّبَنِى النّاسُ وَوَاسَتْنِى بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِى النّاسُ وَرَزَقَنِى اللّهُ عَزّ وَجَلَ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِى أَوْلادَ النِّسَاءِ))، وبين حال البعض من زوجـاته اللاـئى تزوج بهن بعـد ان هـاجر الى المدينـة واصـبح فيها قائـدا وحاكما مع كونه نبيا ورسولا... هؤلاء تزوجن بعـد ان رُفعت الضـغوط التى كانت عليه من قبل مشـركى مكة وبعد ان اسـتتب الامر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأصبحت له دولة كبرى عاصمتها المدينة وهو حاكمها وزعيمها، ومن البديهى ان من تُقدم على الزواج من رجل مشهور له مكانة سياسية واجتماعية فضلا عن المكانة الدينية فإنها تضع

فی ذاکرتها مطالب وأمنیات وآمالاً مرسومة من خلال هذا النکاح.. فهی تنتظر عیشا سعیدا رغیدا کباقی الملوک والزعماء.. ولهذا اصیب بعضهن بالصدمة لما رأین زهد الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وقلة ماله والحیاة البسیطة التی عاشها فضج ضجیجهن واخذن یطالبن بنعیم فانٍ ومطالب مادیة لا تتناسب مع شخص الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وکان الامر ان نزل فیهن القرآن متوعدا!

قال تعالی «: (یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَیاةَ الدُّنْیا وَ زِینَتَها فَتَعالَیْنَ أُمَتِّعْکُنَّ وَ أُسَرِّحْکُنَّ سَراحاً جَمِیلاً (28) وَ إِنْ کُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِناتِ مِنْکُنَّ أَجْراً عَظِیماً (29) یا نِساءَ النَّبِیِّ مَنْ یَأْتِ مِنْکُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَیِّنَةٍ یُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَیْنِ وَ کانَ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیراً (30) وَ مَنْ یَقْنُتْ مِنْکُنَّ لِلّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صالِحاً نُؤْتِها أَجْرَها مَرَّتَیْنِ وَ أَعْتَدْنا لَها رِزْقاً کَرِیماً (31) یا نِساءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَیَطْمَعَ الَّذِی فِی قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً (32)» (الاحزاب 28-32).

قال العلامة الطباطبائی فی تفسیر المیزان ج 16 ص 306:

آیات راجعة إلی أزواج النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) تأمره أولا: أن ینبئهن أن لیس لهن من الدنیا وزینتها إلا العفاف والکفاف إن اخترن زوجیة النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)، ثم تخاطبهن ثانیا: أنهن واقفات فی موقف صعب علی ما فیه من العلو والشرف فإن اتقین الله یؤتین أجرهن

مرتين وإن أتين بفاحشة مبينة يضاعف لهن العذاب ضعفين ويأمرهن بالعفة ولزوم بيوتهن من غير تبرج والصلاة والزكاة وذكر ما يتلى فى بيوتهن من الآيات والحكمة ثم يعد مطلق الصالحين من الرجال والنساء وعدا بالمغفرة والأجر العظيم.

قوله تعالى:«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ» إلى تمام الآيتين، سياق الآيتين يلوح أن أزواج النبى أو بعضهن كانت لا ترتضى ما فى عيشتهن فى بيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من الضيق والضنك فاشتكت إليه ذلك واقترحت عليه أن يسعدهن فى الحياة بالتوسعة فيها وإيتائهن من زينتها فأمر الله سبحانه نبيه أن يخيرهن بين أن يفارقنه ولهن ما يردن وبين أن يبقين عنده ولهن ما هن عليه من الوضع الموجود.

ويضيف:

و يتبين بذلک أن ليس لزوجية النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث هى زوجية كرامة عند الله سبحانه وإنما الكرامة لزوجيته المقارنة للإحسان والتقوى ولذلک لما ذكر ثانيا علو منزلتهن قيده أيضا بالتقوى فقال: "لستن كأحد من النساء إن اتقيتن"....

فقوله:«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ» أمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبلغ الآيتين أزواجه ولازمه أن يطلقهن ويمتعهن إن اخترن الشق الأول ويبقيهن على زوجيته إن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

فالمعنى: وإن كنتن تردن وتخترن البقاء على زوجية النبى (صلى الله عليه

وآله وسلم) والصبر على ضيق العيش فإن الله هيأ لكنّ أجرا عظيما بشرط أن تكنّ محسنات فى أعمالكن مضافا إلى إرادتكن الله ورسوله والدار الآخرة فإن لم تكنّ محسنات لم يكن لكنّ إلا خسران الدنيا والآخرة جميعا(1).

ان الفارق يكمن فى ان خديجة تزوجت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يصبح نبيا وحاكما وقائدا تزوجته لشمائله العليا ولاخلاقه الحميدة تزوجته لمافيه من الفضائل والنسب الطيب رغم انه كان فقيرا وكانت هى المرأة الثرية التى يسجد الرجال عند قدميها املا فى الزواج منها!!... هذه المقاييس الصحيحة فى الاختيار السليم للزواج هى التى ادت فى نهاية المطاف الى ان تكون - وهى التى ماتت فى بداية عهد الرسالة - خير النساء وافضل النساء وسيدة النساء وهى كرامة لم تحظَ بها اى واحدة من زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى عن أم سلمة: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: وأين مثل خديجة؟ صدقتنى حين كذبنى الناس، وأعانتنى على دينى ودنياى بمالها(2).

وتأتى مفارقة اخرى فان البعض من زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما استطاعت ان تصبر على سر اودعه اياها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأعلنته ونشرته وهو مما لايتوافق مع سيماء المرأة الصالحة التى

1- (1) (العلامة الطباطبائى الميزان فى تفسير القرآن ج 16 ص 306).

2- (2) (إحقاق الحق: ج 4 ص 480).

قال عنها القرآن:

«فَالصّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللّهُ» (النساء 34).

فنزلت آيات القرآن متوعدة قال تعالى:

«وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمّا نَبَّأَتْ بِهِ وَ أَظْهَرَهُ اللّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (3) إِنْ تَتُوبا إِلَى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ (4) عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتاتٍ تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً» (التحريم 3-5).

قال القرطبى: قوله تعالى:«إِنْ تَتُوبا إِلَى اللّهِ» يعنى حفصة وعائشة، حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل إلى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» أى زاغت ومالت عن الحق(1).

وقال البخارى: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرنى عبيدالله بن عبدالله بن أبى ثور، عن عبدالله بن عباس قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللتين قال الله لهما:«إِنْ تَتُوبا إِلَى اللّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما» فحججت معه فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى

1- (1) (تفسير القرطبى ج 18 ص 188).

صلى الله عليه – وآله – وسلم اللتان قال لهما:«إِنْ تَتُوبا إِلَى اللّهِ» .

فقال: واعجبى لک يا ابن عباس! عائشة وحفصة(1).

ما هى المظاهرة؟

قال ابن منظور: وتظاهروا عليه: تعاونوا، وأظهره الله على عدوه. وفى التنزيل العزيز:«وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ» وظاهر بعضهم بعضاً: أعانه، والتظاهر: التعاون. وظاهر فلان فلاناً: عاونه. والمظاهرة: المعاونة، وفى حديث علىٍ عليه السلام: أنه بارز يوم بدر وظاهر: أى نصر وأعان. والظهير: العون(2).

وقال القرطبى: قوله تعالى:«وَ إِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ» أى تتظاهرا وتتعاونا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمعصية والايذاء(3).

قال العلامة السيد الطباطبائى:

«وَ إِذْ أَسَرَّ النَّبِىُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ» يشير إلى القصة وقد أبهمها إبهاماً، وقد كان أيد النبى وأظهره قبل الإشارة إلى القصة وإفشائها مختوماً عليها، وفيه مزيد إظهاره.

ثم التفت من خطاب المؤمنين إلى خطابهما وقرر أن قلوبهما قد صغت بما فعلتا، ولم يأمرهما أن تتوبا من ذنبهما، بل بيّن لهما أنهما واقعتان بين

1- (1) (صحيح البخارى ج 3 ص 103، صحيح مسلم ج 4 ص 192).
2- (2) (لسان العرب ج 4 ص 525).
3- (3) (تفسير القرطبى ج 18 ص 189).

أمرين: إما أن تتوبا، وإما أن تظاهرا على من الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلک أجمع ثم أظهر الرجاء إن طلقهن أن يرزقه الله نساء خيراً منهن(1).

وخديجة آمنت بالدعوة منذ ان كانت سرية ولم تعرف بها قريش ولم تخبر عن اى سر من اسرار الدعوة حتى اعلنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكانت خديجة ترى المسلمين الاوائل وتعرفهم وتعرف مواعيد لقاءاتهم وتجمعهم لكنها ماكانت لتفشى سراً ابداً.

ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم: أنه قال: ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها فى نفسها وماله(2).

وقال على عليه السلام: المرأة الصالحة ليست من الدنيا انماهى من الآخرة لانها تفرغک لها ولو كنت تطبخ وتسرح وتفرش لشغلک ذلک.

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سعادة المرء الزوجة الصالحة(3).

كانت خديجة عليها السلام من الصالحات القانتات الحافظات للغيب بما حفظ الله.

1- (1) (تفسير الميزان، ج 19، ص 332).
2- (2) (الفروع من الكافى، ج 5 ص 328 ح 9468-1 -).
3- (3) (الكافى، الشيخ الكلينى، ج 5، الصفحة 327).

كانت موضع سـر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومحط اماناته الكلامية واللفظية وكانت السيوف مسلطة على رقبتها لكنها حفظت غيب الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وسـره... يا لها من عظمة!! ولهذا نجد لها ذكرا طيبا حتى على لسان أئمتنا عليهم السلام الذين لم يروها فهذا سيد الشهداء الحسين بن على عليه السلام يفتخر بها قائلاً فى صعيد كربلاء.

هل تعلمون ان جدتى خديجة اول نساء هذه الامة اسلاما(1).

ويذكرها الامام زين العابدين بالقول:

انا ابن فاطمة الزهراء انا ابن خديجة الكبرى.

وهى المرأة الوحيدة التى بعث الله اليها بسلام فقد روى أن جبرئيل أتى رسول الله فقال:

يا رسول الله! هذه خديجة، قد أتت معها إناء فيه أدام، أو طعام، أو شـراب، فإذا هى أتتك فاقرأ عليها السـلام من ربها ومنى، وبشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب(2).

ولهذا بقيت الزهراء عليها السلام تفتخر بأمها فقد كانت عليها السلام تقول: انا ابنة خديجة الكبرى(3).

توفيت السيدة خديجة بعد ان خرج المسلمون من الحصار وقد سمى العام

1- (1) (الارشاد 170 / بحار الانوار 44:50).

2- (2) (صحيح البخارى/ج 5 /ص 48).

3- (3) (القرشى، باقر شريف، ام المؤمنين السيدة خديجة نقلا عن الانوار الساطعة فى خديجة: 963 نقلا عن فضائل ابن شاذان: 80، ج 3 /ص 185).

الذى ماتت فيه مع ابى طالب عمه وحاميه بعام الحزن ودفن كلاهما فى الحجون.

ومن هنا نعلم أن فاطمة عليها السلام قد ولدت من والدين كليهما من أعرق الأسر فى الجزيرة العربية وارفعها شأنا وكرامة. ولرسول الله عدة اولاد من السيدة خديجة منهم القاسم واليه تعود كنية الرسول والطيب والطاهر وزينب وام كلثوم ورقية والسيدة فاطمة على اختلاف الروايات التى يدمج بعضهم ان الطيب هو الطاهر أو ينقص من عدد الاولاد وليس للرسول اولاد آخرون سوى ابراهيم من زوجته مارية القبطية التى مات ولدها وهو صغير وتعود ذرية الرسول كلها الى فاطمة ابنته عليهم جميعا افضل التحية والسلام.

المكان المبارك: مختلف الملائكة

ولدت الزهراء عليها السلام بعد ان بعث ابوها بشيراً ونذيراً وهادياً ورحمةً للعالمين وبعد ان تلقى الوحى الالهى الذى جاء مع اول كلماته (اقرأ) فى غار حراء ثم تتابع نزول الآيات القرآنية (وهذا ما تذهب اليه اكثر روايات اهل البيت عليهم السلام انها ولدت بعد البعثة)... ولدت الزهراء عليها السلام فى مكان ترك فيه جبرئيل الامين آثاره فى الزوايا والحنايا واختلفت اليه الملائكة الكرام... هو مكان مبارك بهذه الانفاس الايمانية العالية والملائكة فى غدو ورواح فى هذه الاركان التى خصت الابوين الكريمين فالبيوت حسب البركة يمكن تقسيمها الى نوعين من البيوت:

ص:50

1. بيوت مباركة يسطع نورها الى اعنان السماء فتضيء لهم بانوارها بعد ان دخلتها الملائكة الكرام وترددت عليها فاصبحت تدعو لاهلها وتستغفر لهم وتصونهم وتساعدهم وتمدهم بالعون... هى بيوت مباركة بما فيها من خلق مبارک وعباد مكرمين.

قال امير المؤمنين على عليه السلام:

إن البيت الذى يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض وإن البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عزوجل فيه تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين(1).

2. بيوت بعيدة عن البركة فهى ليست مباركة وهى محرومة من الفيض الالهى فصارت مرتعا للشياطين تسرح وتمرح فيها بعد ان هجرتها الملائكة اصبحت اشبه ما تكون بالمزابل ومواقع القمامة التى تهب اليها الحشرات المؤذية والضارة كالذباب وتهجرها المناحل والنحل... وشتان بين دور الازاهير ودور الاقاذير!! فتلك تفوح طيبا وهذه تتعفن قذارة..

ان الاجواء العامة تؤثر بشكل عام على الاحوال النفسية والمعنوية والذاتية اضافة إلى انعكاس هذه الامور على مجمل الاوضاع العامة بكل ابعادها فالمناخ العام يؤثر على الطفل الصغير والشيخ الكبير كما يؤثر على سلامة وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الزوجين وباقى افراد الاسرة والمجتمع ويمكن عبر مرور

1- (1) (الكافى ج 2 ص 446).

عابر على اوضاع المجتمع الغربى ان نلمس بوضوح تقطع اواصر العلاقات الاجتماعية بعد ان اصبحت البيوت مراتع للشياطين بما فيها من كلاب زينة ومن تماثيل بمعنى آخر بعد ان اصبحت مهجورة عن ذكر الله تعالى.

يعرف القرآن الكريم الملائكة «عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ وَ لا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» (الانبياء 26-29).

والملائكة هم وسائط بين الله وخلقه ومهمتهم اجراء الاوامر الالهية.

قال تعالى:«لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» الأنبياء: - 27.

وتتفاوت الملائكة فى درجاتهم واشكالهم ووظائفهم وبعضهم ممن اسند إليه مهمة التبليغ والوحى وهو جبريل عليه السلام وقد ذكر اسمه فى القرآن ومنهم صاحب نفخة الصور وهو إسرافيل وهناك ملک الموت وعلى هذا فهناک تفاوت وظيفى وتفاوت فى المقام والمنزلة «وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ» الصافات: - 146.

وكل هؤلاء ينفذون الاوامر الالهية دون مخالفة أو تردد فهذا هو خلقهم، كما وان الملائكة لها مهام مختلفة فى حياة الانسان كالحفاظ عليه أو قبض الروح الى غير ذلک. فالملائكة وسائط رحمة الله وهى تتولى امور الانسان وهى واسطة الفيض الالهى والرحمة والبركة والكرامة..

قال تعالى:«لا يَعْصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ» التحريم: - 6.

ونحن نعرف عن اسهامات الملائكة الكرام فى تحقيق الانتصارات الاولية فى معركة بدر.

وفى حمايـة الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم والمؤمنين إضافـة الى المهـام الاـخرى التى تهتم بها من ادارة شؤون الكون والتصـرف فى الامور الى غير ذلک.

غيرها «إِذْ يُوحِي رَبُّکَ إِلَى الْمَلائِکَةِ أَنِّي مَعَکُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ کَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ کُلَّ بَنانٍ» . (الانفال 12).

«إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَکْفِيَکُمْ أَنْ يُمِدَّکُمْ رَبُّکُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِکَةِ مُنْزَلِينَ (124) بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوکُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هـذا يُمْدِدْکُمْ رَبُّکُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِکَةِ مُسَوِّمِينَ» (ال عمران 124-125).

«وَ هُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْکُمْ حَفَظَةً حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَ هُمْ لا يُفَرِّطُونَ» (الانعام 60).

وهؤلاء الحفظـة يکونون جنـد حماية للانسان يحمونه من المخاطر الکثيرة التى يتعرض لها فى حياته - وما اکثرها - حتى اذا دنا اجله خلوا بينه وبين الموت الذى هو نهاية کل حى.

کما أشار الى ذلک القرآن الکريم «إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ» الطارق - 4.

و فی البحار، عن الدر المنثور، عن أبی العلاء بن سعد: أن رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) قال یوما لجلسائه: أطت السماء وحق لها أن تئط لیس منها موضع قدم إلا علیه ملک راکع أو ساجد. ثم قرأ «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون».

هؤلاء هم نزلاء البیوت فصارت مبارکة بهم ولم یکن هناک خلق موجود من تلک العوالم من هو افضل وانقی واصفی منهم افلا یکونون نورا فی البیوت الصادحة بذکر الله ویُمنا علی اهلها؟.

وعلی العکس من ذلک تکون الشیاطین وسائل اضلال وضیاع تؤدی به الی الخسران والهلاک وهی ایضاً لا تملک السلطة الجبریة علی الانسان وانما الانسان یسمح لها بذلک.

قال تعالی:

«قالَ رَبِّ بِما أَغْوَیْتَنِی لَأُزَیِّنَنَّ لَهُمْ فِی الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ (39) إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ (40) قالَ هذا صِراطٌ عَلَیَّ مُسْتَقِیمٌ (41) إِنَّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغاوِینَ» (الحجر 39-42).

ویقول أیضاً:«إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَی الَّذِینَ یَتَوَلَّوْنَهُ وَ الَّذِینَ هُمْ بِهِ مُشْرِکُونَ» . (النحل 100).

کما ان مساحة تأثیر الشیطان هی الاوهام والتخیلات عن طریق وسائله المعروفة کالاز والتزیین والوسوسة الی غیر ذلک.

ص:54

على هذا تكون الملائكة علامة من علامات البركة والرضا كما ورد فى زيارة الامام الحسين عليه السلام (السلام على الملائكة الحافين بقبر الحسين) اشارة الى البركة ليس لصاحب المرقد فحسب بل لزواره حيث تستغفر لهم وترعاهم تدعو لهم حتى بعد موتهم..

وكذلک يكون تأثير الشياطين من خلال تشكيل النطفة الحرام بالزنا أو من خلال بث الامواج السلبية عن طريق المعاصى. قال تعالى:

«وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِکَ وَ رَجِلِکَ وَ شارِکْهُمْ فِى الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً).» الاسراء 64.

يقول العلامة الطباطبائى فى تفسير الميزان ج 13 ص 147 ((فمشاركة الشيطان للإنسان فى ماله أو ولده مساهمة له فى الاختصاص والانتفاع كأن يحصل المال الذى جعله الله رافعاً لحاجة الإنسان الطبيعية من غير حله فينتفع به الشيطان لفرضه والإنسان لغرضه الطبيعى أو يحصله من طريق الحل لكن يستعمله فى غير طاعة الله فينتفعان به معاً وهو صفر الكف من رحمة الله، وكأن يولد الإنسان من غير طريق حله أو يولد من طريق حله ثم يربيه تربية غير صالحة ويؤدبه بغير أدب الله فيجعل للشيطان سهماً ولنفسه سهماً وعلى هذا القياس وهذا وجه مستقيم لمعنى الآية وجامع لما ذكره المفسرون فى معنى الآية من الوجوه المختلفة كقول بعضهم: الأموال والأولاد التى يشارک فيها الشيطان كل مال اصيب من حرام واخذ من غير حقه وكل ولد زنا.

ویقول فی مکان آخر ج 13 ص 151: (وما ذکر فیها علی مشارکته (الشیطان) الرجل فی الوقاع والنطفة وغیر ذلک کنایة عن أن له نصیباً فی جمیع ذلک فهو من التمثیل بما یتبین به المعنی المقصود ونظائره کثیرة فی الروایات).

ومعنی مشارکة الشیطان للانسان فی الاموال حمله ایاه علی تحصیلها من الحرام وانفاقها فیما لا یجوز وعلی مالا یجوز من الاسراف والتقتیر والبخل والتبذیر ومشارکته له فی الاولاد وادخاله معه فی النکاح.

ویصف رسول الله الشخص الفاقد للحیاء بأنه (شرک شیطان) حیث یقول صلی الله علیه وآله وسلم:

«إن اللّه حرّم الجنة علی کل فحّاش بذیء، قلیل الحیاء، لا یُبالی ما قال ولا ما قیل له، فانک إن فتشته لم تجده الا لغیة، أو شرک شیطان فقیل یا رسول اللّه: وفی الناس شرک شیطان؟! فقال رسول اللّه صلی الله علیه وآله: أما تقرأ قول اللّه تعالی:«وَ شارِکْهُمْ فِی الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ» (الإسراء: 64)(1).

فی الخصال، بإسناده عن محمد بن مروان عن أبی عبد الله (علیه السلام) قال: قال رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم): إن جبرئیل أتانی فقال: إنا معشر الملائکة لا ندخل بیتا فیه کلب ولا تمثال جسد ولا إناء یبال فیه(2).

واقول اننا فی عالم الدنیا نبحث عن الطیبین الهاجرین للمعاصی القادرین

1- (1) (أصول الکافی: 323/2 وجامع السعادات: 349/1).

2- (2) (نقلا عن المیزان ج 17 البحث الروائی).

على مساعدتنا وحمايتنا فى النوائب والشدائد ونشعر بالراحة حينما نجد أنفسنا محاطين بهذا النمط الصالح والايجابى من البشر فكيف اذا كان هناك من هو بهذا النقاء والصفاء – ان لم يكن اسمى – يسكنون معنا فى بيوتنا ويدعون لنا ويخففون عنا همومنا ومشاكلنا؟.. فهم يخففون عنا الحزن والالم وما قد يجده الانسان المؤمن فى حياته من صعاب ومشاكل ويصبرونه ولانهم فى البيوت المباركة فهم يتابعون الانسان ويعرفون المواقع التى يقدمون فيها العون والمساعدة واذا اخذنا بنظر الاعتبار ان جل معاناتنا هى اما نفسية اومعنوية فإنهم يزيحون هذا الهم ويحررونا من الالم ويخففون حدة الضغوط علينا وبعد ذلک يجلس الانسان يفكر فى واقعه ليجد حلا لامره ومشكلته، والى هذه الصورة الطيبة يشير القرآن الكريم:

«إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاّ تَخافُوا وَ لا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» (فصلت 30).

«نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَ فِى الآخِرَةِ» فصلت 31.

عكس الشيطان الذى يخوف الانسان من الفقر ويعده به ويزين له المنكر وهو كل مايضر الانسان فى دنياه وأخراه.

قال تعالى:«اَلشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلاً وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ» (البقرة 268).

(ولعل أغرب ما تقوم به الملائكة فى عونها للإنسان ومساعدته فى حل مشاكله التى يعجز عنها. فكثيراً ما تتدخل الملائكة بإهداء الإنسان الحل الأوفق

لما يكون قد استعصى عليه من أمور دنياه... ويعجب الانسان وهو يرى الحل وقد ألقى اليه!!. وأيا كان هذا الحل بسيطا وسهلا أو صعبا ومعقدا، فإنه لم يكن يخطر على بال الانسان من قبل حتى يكون ذلك من عمل العقل الباطن أو اللاشعور ولكن الملائكة قد عاونته وساعدته وتكفلت عنه بالحل. وقد اعترف علم النفس بحل المشكلات التى يعجز عن حلها الإنسان عن غير طريق فكره.. إذ توصى الدراسات النفسية ان يطرح الإنسان التفكير فى المشكلة إذا لم تحل فى الوقت المناسب أو لم يستطع تفكيره حلها فإنه بطرح التفكير فيها يجد الحل ينبعث من داخله... إن ذلك انما هو بفعل الملائكة... ومن عملها..(1)

نعم كانت الملائكة تقدم العون للزهراء عليها السلام فى تخفيف شدة المصائب التى عاشتها بعد أبيها وكانت تسلى خاطرها بالحديث عن امور كثيرة جمعتها الزهراء عليها السلام فى مصحف فاطمة.

واذ تكون العوامل الغيبية مؤثرة سواء عن طريق الالهام (واوحينا الى ام موسى) أو عن طريق الوسوسة (الشيطان يعدكم الفقر) فإن هذه الامور كلها تؤثر على نفسية الام الحامل وعلى الجنين ايضا، وهذه كلها دروس وعبر لنا نحن البشر العاديين الذين نتمنى ان يكون لنا اولاد صالحون مؤمنون.

ان الجوانب الغيبية فى التربية تكاد تكون مهملة فى الفكر التربوى المعاصر فى حين تؤخذ بنظر الاعتبار الاحوال النفسية للوالدين وظروف الحياة

1- (1) (د. عبدالرزاق نوفل، عالم الجن والملائكة ص 109).

والمناخ الى غير ذلک فى حين ان الاجواء المعنوية قد لا تقل اثرا فى تأثيرها المستقبلى على الجنين. ان وجود الملائكة التى هى أرواح مباركة فى مكان ما من شأنه ان يضفى البركة على المكان كله ولهذا كانت مراقد الائمة مباركة بما فيها من ارواح مباركة (السلام على الملائكة الحافين بقبر الحسين) التى تستغفر لزوار الحسين وتدعو لهم مما يزيد البركة اكثر، ولو كان المكان مسكونا بالشياطين – والعياذ بالله – ايا كان نوعها سواء كانت شياطين الانس أو الجن فإن البركة تطير وهذه الانفاس الشيطانية التى هى امواج وانفاس سالبة تمحو ايجابية المكان وتنذر بالخطر والشرر ولهذا كانت الدعوى الى استنزال بركات الملائكة بتلاوة آيات القرآن الكريم فى البيوت، ليس هذا فحسب بل ان الملائكة وكذلک الشياطين تؤثر على كل من هو فى البيت وبهذا تبقى الآثار جيلا بعد جيل ولقد نشرت الصحف لقاءً مع احد السحرة الذى تاب من عمله حيث قال: كان السبب فى تناولى السحر هو أبى الذى كان دائما يصطحبنى معه منذ كنت صغيرا الى مجالس الشعوذة وقال ايضا انه لم يدخل مسجدا فى حياته ولم يتوضأ ابدا وكان يتعمد إهانة القرآن!!

ويحث المختصون فى علم تطوير الذات على ضرورة الابتعاد عن الاناس السلبيين فى افكارهم وآرائهم خوفا من انتقال العدوى التى تنتقل عن طريق الاقتراب من هؤلاء بالضبط كما هى الارواح المحيطة بنا ملائكية كانت أو شيطانية.

كما ان الاجواء المحيطة تؤثر تأثيرا كبيراً على تشكيل النطفة وتمامها

وعلى ولادة الانسان وعلى وصوله الى الصراط أو ابتعاده عنه – والعياذ بالله – ويكفى ان نمر على العالم المعاصر لنرى كيف يتجه نحو عبادة الشيطان علناً بعد ان كان يخاف التصريح بذلك!! فالامر لم يأتِ بغتة وانا عبر مراحل منها اكل الحرام بأشكاله المختلفة والتهافت على الكلاب للتباهى والفخر والحرص على التماثيل باشكالها واقتراف المعاصى والامر يبدأ من البيوت وبمجموعها يزداد المجتمع غرقا فى وحول الذنوب ويزداد البعد عن الله تعالى.

ان الله تعالى قد هيأ للبضعة المعصومة كل اجواء البركة والخير بل ان وجودها بحد ذاته هو فيض وبركة وكيف لا وهى حورية انسية، واقول ان كل حياة المعصوم والظروف التى احاطت به وتجاربه واعماله وماقال وما روى عنه هى دروس وعبر لنا وهى تعلمنا كيف نجعل بيوتنا بركة بفضل هذه الارواح الطيبة.

عن الاحمسى، عن أبى حمزة الثمالى قال: دخلت على على بن الحسين عليهما السلام فاحتبست فى الدار ساعة، ثم دخلت البيت وهو يلتقط شيئا وأدخل يده من وراء الستر فناوله من كان فى البيت، فقلت: جعلت فداك هذا الذى أراك تلتقطه أى شىء هو؟ فقال: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا، نجعله سيحا(1) لاولادنا، فقلت: جعلت فداك وإنهم ليأتونكم؟ فقال: يا أبا حمزة إنهم ليزاحمونا على تكأتنا(2).

1- (1) بفتح المهملة وسكون المثناة التحتانية ضرب من البرود. أو [سبحا] بالموحدة، من السبحة.

2- (2) (الكافى ج 1 ص 394).

ويمكن من خلال استقراء هذه الصورة ان نقدس ولادة اميرالمؤمنين عليه السلام فى جوف الكعبة فى اطهر مكان واكثر اماكن الارض بركة ورحمة وهى محطة الملائكة النازلة والصاعدة ثم هذا الدخول فى الكعبة والبقاء فيها اياما متتالية بعيداً عن ضوضاء البشر وعن شياطين الانس والجن وعن القاذورات العينية والمعنوية... انها رسالة تبين اهتمام ورعاية الله تعالى بأوليائه وقد اشار اميرالمؤمنين عليه السلام الى دور الملائكة فى العناية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عليه السلام: ولقد قرن الله به ومن لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طرق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره(1).

والى هذا تشير التوصيات المستحبة للوليد فى الاسلام الى ضرورة قراءة الأذان فى اذنه اليمنى ليكون الأذان هو اول صوت يفتح المجارى السمعية لهذا الوليد ففى الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لعلى عليه السلام: ياعلى اذا ولد لک غلام أو جارية فأذن فى اذنه اليمنى واقم فى اليسرى فإنه لا يضره الشيطان ابدا(2).

وقد يقول قائل ان الوليد لا يفهم ولكن التجارب الحديثة تؤكد عكس ذلک والمواليد يسمعون ويحفظون هذه الاصوات فى الذاكرة ففى الحديث عن سليمان الجعفرى قال: سمعت الامام الرضا عليه السلام يقول اذن فى بيتک

1- (1) (نهج البلاغة، خطبة 192).

2- (2) (تحف العقول ص 14).

فإنه يطرد الشياطين ويستحب من اجل الصبيان(1).

على هـذا نجـد ان الزهراء عليها السـلام ولـدت فى بيت يأتيه كبار الملائكـة مثل جبريل عليه السـلام أو الوحى الأمين عليه السـلام وتأتيه الملائكـة الكرام فهى ولـدت فى اعظم البيوت كرامـة وبركـة عند الله وهذه الاجواء الروحانية الطاهرة كفيلة بأن ترسم لهذا الوليد كل معالم الخير والطهارة والنقاء وهذه المنقبة تمثل دعوة الى اسـتحصال البركة الاولية خاصة للمواليد الجدد الذين يأتون الى الحياة الدنيا بصـفحات بيضاء.

وهناک روايات تعرّفنا بالبيوت التى تهجرها الملائكة واهمها..

عن على بن الحكم، عن أبان، عن ابى بصـير عن ابى عبدالله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن جبرئيل عليه السلام قال: إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة إنسان ولا بيتا فيه تمثال(2).

وفى الحديث فى الخصال باسـناده عن محمد بن مروان عن ابى عبدالله قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: ان جبرئيل اتانى فقال انا معشـر الملائكـة لا نـدخل بيتا فيه كلب ولا تمثال جسد ولا اناء يبال فيه (الخصال للصدوق ص 138 والمقصود هنـا بالكلاب غير كلاب الصيد).

والملائكة تحضر مجالس العلم ومجالس الذكرففى الحديث: وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به(3).

1- (1) (الكلينى الكافى ج 3 ص 308).
2- (2) (المحاسن: 614 - نقلا عن بحار الانوار ج 73 ص 160).
3- (3) (الكافى ج 1 ص 34 رواية 1).

وايضا: وإذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة(1).

ان قراءة القرآن والـدعاء والبسـملة عند الاكل وقراءة المعوذتين والحفاظ على طهارة البيوت كلها عوامل تزيد البركة، ولعلنا الآن بدأنا ندرک أهمية الدعاء فى تقرير مصير حياتنا وآجالنا فى ليلة القدر المباركة حيث تتنزل فيها الملائكة والروح.

ففاطمـة عليها السـلام ولـدت مع زجل الملائكـة وتسبيحهم بعيـدا عن وساوس الشـياطين وهمزهم وازّهم فهى اذن اجواء تفوح بذكر الله وفيوضه المتواصلة ولقد كان جبريل يحضر بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يخفف عنه مايلاقيه من الكفار والمشركين ويبشره بالنصر ويثبت فؤاده وينقل إليه التعاليم الالهية وما امر به الله ومانهى عنه بل ينقل اليه السلام الالهى من الله الى زوجته ام الزهراء!!.

الزمن المبارک، الغذاء المبارک

فى كتاب عيون الرضا ج 1 ص 93 والامالى للشيخ الصدوق رحمه الله:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، يا عائشة! لما اسـرى بى إلى السـماء أدخلنى جبريل الجنة، فناولنى منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة فى صلبى، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلک النطفة،

1- (1) (الكافى ج 1 ص 38 رواية 3).

ففاطمة حوراء انسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»(1).

وهذه الرواية دليل على انها ولدت بعد البعثة حيث ان رحلة الاسراء والمعراج حصلت بعد البعثة.

ينقل شيخنا المجلسى (قدّس سره) فى الجزء السادس من البحار هذا الحديث الشريف:

.. هبط جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فناداه يا محمد! العلى الأعلى يقرأ عليک السلام، وهو يأمرک أن تعتزل خديجة أربعين صباحاً... فشقّ ذلک على النبى (صلى الله عليه وآله) وكان لها محبّاً وبها وامقاً (محباً) فأقام النبى أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان فى آخر أيامه تلک. بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال: قل لها: يا خديجة لا تظنى أن انقطاعى عنک هجرة ولا قلى، ولكن ربى أمرنى بذلک لينفّذ أمره، فلا تظنى يا خديجة إلاّ خيراً، فإن الله عز وجل ليباهى بک كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنّک الليل فأجيفى (ردّى) الباب، وخذى مضجعک من فراشک، فإنى فى منزل فاطمة بنت أسد.

وفى هذه الروايات امور منها:

ان الرسول قد أُمر من الله تعالى بأن يترک زوجته الحبيبة خديجة عليها السلام اربعين يوما وليلة وطول هذه المدة عاشت السيدة الوجد والحب

1- (1) ونقل ذلک فى مستدرک الحاكم/ج 3 /ص 156، ومجمع الزوائد/ج 9 /ص 202).

وشوق الانتظـار الى الحبيب الـذى تركها امتثالا لأمرالله ولـم تجـد هى الا الامتثال للامر الالهى ايضاً بعيـدا عن التمرد واللوم. وان بعـدت الابدان فالقلوب متجاورة والكل يعيش وجده.

ان الرسول قضـى اربعين يوما فى عبادة وطاعـة وذكر وخلوة خالصـة كاملـة مع الله متجردا عن كل ارتباطات الدنيا حتى ما يحب!!.. وهذه الخلوة لها اثر كبير على جعل الاجواء كلها تفيض عرفانيـة ونورانيـة وروحانية كيف لا وهو لا يفتر عن ذكر الله وهو الحبيب المناجى الذى وُكلت اليه أقدس المهام.

جاء الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم الى خديجة بعد انتهاء رحلة الاسـرار والمعراج وهى رحلة عظيمة ما كانت لبشـر ابدا... فلقد صعد الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم الى السماء ليرى آيات ربه الكبرى.. رأى الجنة والنار والملائكة والانبياء ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى.. هذه الرحلة العظيمة كانت قد تركت آثارها الايجابية الطيبة على نفس الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم ورسمت فى مخيلته صورا طيبـة عن الملائكة والانبياء والخلق العظيم والرحمة الالهية. بمعنى آخر ان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم بعد عودته من المعراج كان يعيش أعظم حالات الروحانية والايجابية والفرح لِما رأى من مشاهد وما شعر به من منزلة.. كان فى لحظات من الصعب وصفها وكلنا يعلم انه لما يرى أحدنا نجاحه فى امتحان أو تجربة فهو يشعر انه ملك الدنيا بقبضتيه ولا يستطيع تقدير فرحه وسروره بهذا

الفوز.. فكيف وهو نبى ورسول يرى الآيات العظام ويصعد الى السماء حيث جنة المأوى والملائكة والارواح!! انه شىء عظيم وامرلا يمكن وصفه أو تقدير قدسيته وجماله.

تناول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طعاما فى الجنة... ومهما اختلفت الروايات حول نوع هذا الطعام أهو تفاحة ام سفرجلة فان الامر الاكيد انه كان طعاما طيبا (بمعنى الملاءمة) مباركا ليس هو بطعام مادى فحسب أو طعام معنوى متجرد بل هو يجمع بين الاثنين فهو طعام طيب مبارک مادى ومعنوى وهوطاهر لم تمسسه يد بشرية ولم تقترب منه انفاس آدمية الا انفاسه صلى الله عليه وآله وسلم وهو ذو اثر طويل اى يبقى اثره فى البدن بدليل الرواية عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (كلما اشتقت الى ريح الجنة.... فكان طعام الرسول خالصا مخلصا من طعام الجنة المباركة وما كان من طعام الدنيا الذى مهما علا وارتقى فلابد ان تكون فيه ومضات دنيا وأنفاس بشرية وآثار دنيوية.

الحالة النفسية لكلا الزوجين لها أثرها فى تكوين المولود ولهذا فلقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى أعظم أحواله النفسية من الاستقرار وأنى يمكن قياس المشاعر الانسانية وقد فاحت منها رائحة الجنة وما زال على ردائه زغب الملائكة التى التقى بها والتى استقبلته فى كل سماء وطأها.. لقد كانت صور الجنة والانبياء والآيات الكبرى هى الحاضرة فى مخيلة الرسول وكلنا يَعلم ان ما يفكر فيه الابوان وما يُرسم صورته فى المخيلة يترک اثره

الايجابى على النطفة ذاتها.

واعود الى تلك الرواية التى اختارت التوقيت المناسب لانعقاد النطفة من حيث الزمان والمكان والغذاء والحالة النفسية.

ان الشـىء الذى يمر عليه اكثر علماؤنا هو الاهتمام بتغذية الام فقط لكن هنا اشارة الى دور الأب ايضاً فى تكوين النطفة السليمة من خلال الغذاء. وفى الرواية ان الامام لما رأى طفلا جميلا قال: ينبغى ان يكون ابو هذا اكل سفرجلا ليلة الجماع)(1).

ان الغـذاء ليترک اثرا كبيرا على نفسـية الابوين بل حتى عادات الاكل وانواع الاطعمـة لتؤثر تأثيرا كبيرا على نوع الطباع التى عندهم يقول ابن خلدون فى مقدمته (اكلت الاعراب لحم الابل فاكتسـبوا الغلظة، واكل الاتراک لحم الفرس فاكتسـبوا الشـراسة، واكل الافرنج لحم الخنزير فاكتسبوا الديائة).

ونحن نجـد اشارات الى تأثيرات الاطعمـة على الانسان نفسه وعلى ذريته فى روايات اهل البيت عليهم السـلام وقـد اكـد العلم الحـديث الكثير من هذه الروايات ودعا الى التمسک بها ويمكن تصور الحالة المعاكسة لأكل الطعام المبارک من خلال اكل الطعام الحرام والنجس كأكل لحم الخنزيرو كيف يؤثر على اصابة الانسان نفسه بامراض ومزايا خلقية سـيئة يؤكدها اطباء عصرنا والى هذا يقول السيد د. الجزائرى (اذا كانت نطفة الاب مسمومة حين

1- (1) الطبرسى، مكارم الاخلاق، ص 163.

الاتصال الجنسی فإن الجنین یوجد ناقصا وعلیلا وهذا التسمم ینشأ من تناول الاطعمة الفاسدة أو معاقرة الخمر(1).

یقول الـدکتور کاریل فی کتابه (طریق الحیاة): «إن سـکر الزوج أو الزوجـة حین الاتصال الجنسـی بینهما یعدّ جریمة عظیمة؛ لأن الأطفال الذین ینشأون فی ظروف کهذه یشکون فی الغالب من عوارض عصبیة ونفسیة غیر قابلة للعلاج.

والمشـکلة اننا نهتم فقط بالغذاء المادی بما نأکله من طماطم وخیار لکننا لا نفکر هل هذا الطعام جاء من حلال؟ وهل هو مزکی؟ هل نقرأ اسم الله علیه حینما نطبخه ونأکله؟ ام اننا لا نعیر بالا لهذه الامور؟.

وقد سُئلت ام احد العلماء الکبار وهو المحقق الاردبیلی عن السـر فی وصول ابنها الی هذا المستوی الایمانی العالی فقالت: انها لم تأکل اکل شبهة أو حرام خلال حملها أو رضاعتها ابدا ولم ترضعه الا وهی علی وضوء.

وقد التقیت بأسرة نصفها مجانین والنصف الآخر عقلاء فسألتهم عن سبب هذه الحالة فقالوا: ان ابانا اکل مالاً حراما فأصبحنا هکذا!!.

والی هذه الامور یطالب اصحاب الکهف بعد مارجعوا الی المدینة ان یشتری احدهم طعاما زکیا لیس فیه شبهة:

«فَابْعَثُوا أَحَدَکُمْ بِوَرِقِکُمْ هذِهِ إِلَی الْمَدِینَةِ فَلْیَنْظُرْ أَیُّها أَزْکی طَعاماً فَلْیَأْتِکُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ» (الکهف 19).

1- (1) الجزائری، د. غیاث الدین، اعجاز الاطعمة ص 153.

ويقول احدهم: كنت احن الى طعام امى فانها لا تكاد تنفك عن تلاوة السور القصار والبسملة وباقى الاذكار فاشعر ان الطعام الذى تطبخه وتعده كان الهيا!!.

وقد ورد ان اهل الرجل واولاده يتعلقون به يوم القيامة فيوقفونه بين يدى الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم فيقتص منه(1).

وفى الدعاء: اللهم طهر بطوننا من الحرام والشبهة

ويروى التاريخ انه حين عزمت قريش على إصلاح جدران الكعبة التى هدمها السيل بعد عشر سنين من زواج محمد بخديجة شرط ابو طالب ان لا ينفق فيه إلا من طيب المكاسب وأن لا يدخل فى بنائها مال من ظلم ولا عدوان (تاريخ اليعقوبى: 19/2).

كان طعام أبى الزهراء عليها السلام من طعام الجنة!! وما ادراك ما الجنة؟... طعام ما كان وما سيكون لاحد من بعده فمن البديهى ان يولد انسان عظيم هى بضعة الرسول التى كان يشمها كلما اشتاق الى الجنة وكيف لا وقد رأى الجنان وذاق طعامها.

وأريد ان أمر على لقاء السيدة خديجة رضى الله عنها بعد رحلة الاسراء والمعراج مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعد فراق دام أربعين ليلة كما تقول بعض الروايات فقد استقبلته بفرح وكانت

1- (1) (النراقى جامع السعادات ج 2 ص 167).

الاجواء كلها تفيض بريح الجنة وسـرد الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم مارأى فى الرحلة العجيبة من آيات ربه الكبرى وكان هناک كلام وشوق وفرح كانت لحظات هناء عاشـها الزوجان فى وقت لا يشـبه الازمنـة العادية وبعد رحلة لا تمر بالاماكن العادية وعلى المدى الآخر كانت هناک تراتيل سماوية لاستقبال مخلوق جديد يكون بهجة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

على هـذا تكاملت اولويات تكوين النطفـة المباركة فيأتى هنا عامل الوراثة ليسـجل انتقال الصـفات من الابوين العظيمين الى البنت التى ولدت – عظيمة – ايضاً... ومن المعلوم ان الوراثة لا تعنى انتقال الصـفات الجسـمية فقط بل تضاف اليها الوراثة النفسية كالتحمل والوراثة العقلية كالذكاء والوراثة الخلاقية كالشـجاعة وهذه الصـفات تكون موجودة بالقوة وتظهر مع توفر الارضية المناسبة لها. يقول امير المؤمنين عليه السلام: حسن الاخلاق برهان كرم الاعراق(1).

يرى امير المؤمنين عليه السـلام أن الاصـل الكريم والعرق الصالـح يؤثر تـأثيراً واضـحاً على الانسـان، فمن كان ينتمى الى نسب عريق فى المكارم والفضائل سـتكون المكارم والفضائل صـفة ملازمة له فى جميع جوانب حياته، فللوراثة دورها وتأثيرها الواضح فى أخلاق وسلوک الانسان، حيث تخلق فى نفسه الاستعداد والقابلية للاتصالات بالمكارم والفضائل إذا كان ينحدر من

1- (1) (الامدى غرر الحكم ص 254).

أصول متصفة بها، وكذا الحال فی من ينحدر من أصول تتصف بالرذائل والمفاسد، فانه يرثها أو يكون قابلاً للاتصاف بها.

يعلق الشيخ فلسفی فی كتابه الطفل بين التربية والوراثة على الآية الكريمة «وَ قالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيّاراً إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلاّ فاجِراً كَفّاراً» . نوح 26.

يقول: ان الكافرين اما ان يفسدوا البيئة أو يخلّفوا اولادا ظالمين.

إن النفس تتأثر بالنطفة التی تتكون منها، النطفة تنعكس صفاتها على النفس، تنعكس خصائصها على النفس، ونقرأ فی الزيارات:

أشهد انک كنت نورا فی الاصلاب الشامخة والارحام المطهرة لم تنجسک الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسک من مدلهمات ثيابها.

قالت عائشة: كان النبیّ صلى الله عليه وآله إذا قَدِم مِن سفرٍ قَبّلَ نحرَ فاطمةَ وقال: «منها أشمُّ رائحة الجنّة»(1).

ان الزهراء عليها السلام ورثت أعظم الآباء وأعظم الامهات فجاءت شمائلها مشابهة لشمائلهما.

عن المنهال بن عمرو، عن عائشة فی حديث طويل أوّله: قالت: ما رأيتُ أحداً أشبَهَ سَمتاً ودَلاًّ وهَدْياً برسول الله فی قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله..»(2).

1- (1) (ينابيع المودة لذوی القُربى للشيخ سليمان القندوزی الحنفیّ 2:60 / ح 46 وص 322 / ح 934).
2- (2) (الجامع الصحيح للترمذی 5:700 / ح 3872).

الظروف المحيطة بولادتها

جاء فی بحار الانوار للعلامة المجلسی ج 43 ص 2:

عن المفضل بن عمر قال: قلت لابی عبدالله الصادق علیه السلام: کیف کانت ولادة فاطمة علیها السلام؟ فقال: نعم إن خدیجة علیها السلام لما تزوج بها رسول الله صلی الله علیه وآله هجرتها نسوة مکة فکن لایدخلن علیها ولا یسلمن علیها ولا یترکن امرأة تدخل علیها فاستوحشت خدیجة لذلک وکان جزعها وغمها حذرا علیه صلی الله علیه وآله فلما حملت بفاطمة کانت فاطمة علیها السلام تحدثها من بطنها وتصبرها وکانت تکتم ذلک من رسول الله صلی الله علیه وآله فدخل رسول الله یوما فسمع خدیجة تحدث فاطمة علیها السلام فقال لها: یا خدیجة من تحدثین؟ قالت: الجنین الذی فی بطنی یحدثنی ویؤنسنی، قال: یا خدیجة هذا جبرئیل (یبشرنی) یخبرنی أنها انثی وأنها النسلة الطاهرة المیمونة وأن الله تبارک وتعالی سیجعل نسلی منها وسیجعل من نسلها أئمة ویجعلهم خلفاءه فی أرضه بعد انقضاء وحیه.

فلم تزل خدیجة علیها السلام علی ذلک إلی أن حضرت ولادتها فوجهت إلی نساء قریش وبنی هاشم أن تعالین لتلین منی ماتلی النساء من النساء فأرسلن إلیها: أنت عصیتنا ولم تقبلی قولنا وتزوجت محمدا یتیم أبی طالب فقیرا لامال له فلسنا نجیء ولا نلی من أمرک شیئا فاغتمت خدیجة علیها السلام لذلک فبینا هی کذلک إذ دخل علیها أربع نسوة سمر طوال کأنهن من نساء بنی هاشم ففزعت منهن لما رأتهن فقالت إحداهن: لا تحزنی

ص:72

يا خديجة فانا رسل ربک إليک ونحن أخواتک أنا سارة وهذه آسية بنت مزاحم وهی رفيقتک فی الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه کلثم اخت موسی بن عمران بعثنا الله إليک لنلی ما تلی النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، واخری عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة... فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن أبی رسول الله سيد الانبياء وأن بعلی سيد الاوصياء وولدی سادة الاسباط ثم سلمت عليهن وسمت کل واحدة منهن باسمها وأقبلن يضحکن إليها وتباشرت الحور العين وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة عليها السلام وحدث فی السماء نور زاهر لم تره الملائکة قبل ذلک وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زکية ميمونة بورک فيها وفی نسلها.

فتناولتها فرحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدر عليها فکانت فاطمة عليها السلام تنمی فی اليوم کما ينمی الصبی فی الشهر وتنمی فی الشهر کما ينمی الصبی فی السنة(1).

ان ولادة الزهراء عليها السلام کانت بعد البعثة الشريفة علی اغلب الروايات - حيث ان مقاطعة النساء لها حدثت فی هذا الوقت.

والرواية السابقة تتحدث عن عون الهی لهذه السيدة العظيمة فمن المعلوم ان المرأة تحتاج الی الرفق والعون والمساعدة فی فترتی الحمل والولادة،

1- (1) (المجلسی، بحار الأنوار، ج 43 ص 2).

وكانت السيدة احوج ما تكون الى المساعدة وبخاصة وان للسيدة ولادات سابقة والزهراء – آخر العنقود – والمعروف ان التقدم فى العمر وتكرر الولادات قد يُتعب المرأة خاصة عند الولادة ورغم ذلک لم يتقدم احد لاعانتها فيأتى العون الالهى بتقديم المساعدة من خلال نزول سيدات نساء العالمين!! ياله من لطف الهى غير مسبوق ولا ملحوق بمثله!

وكان كلام الزهراء عليها السلام مع امها وهى جنين فى بطنها معجزة الهية اخرى تكشف عن المنزلة العظيمة للزهراء عليها السلام وامها ايضا، فقد كان عيسى عليه السلام يكلم الناس بعد الولادة وهو طفل صغير فكانت هذه معجزة له ساعدت على دفع التهم التى نسبها القوم الى امه العذراء، اما هنا فان هذا الامر يكشف عن عناية الهية ايضاً بالسيدة خديجة فهو نوع من الدعم النفسى لهذه المرأة العظيمة فمما لا يخفى على احد ان ولادة الزهراء عليها السلام فى هذه الاجواء الصعبة التى عاشتها الرسالة فى بداية الدعوة فهناک حرب مستعرة يخوضها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اعزل اللهم الا من سلاح الايمان المعطر بالوعد الالهى بالنصر على جبابرة قريش الخائفين على مكانتهم وعروشهم... وفى هذه الفترة الصعبة التى تقف فيها السيدة خديجة داعمة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكل ماأوتيت وبكل اشكال الدعم النفسى والمالى والمعنوى... فهى ايضا تحتاج الى دعم نفسى والى رعاية وعناية فكانت الرعاية الالهية لها ان هذا الجنين يكلمها فيقضى على مساحات الصمت التى تغلف البيت النبوى ليس هذا فحسب بل هناک صورة عظمى

رسمتها السيدة خديجة لهذا المولود المبارک من خلال هذه المعجزة ومن خلال کلام الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بان (سیجعل الله تعالی من ذریتها أئمة یهتدی بهم المؤمنون) فرسمت السیدة صورة مفرحة مشرقة عظیمة لهذه الولیدة وهذا ما یکون له أثرٌ فی تحسین المزاج وازاحة التوتر النفسی، انها لیست معجزة فقط لتبین القدرة الالهیة بل هی تکشف عن الرحمة الالهیة التی کنست الشعور بالوحدة الذی کان من الممکن ان تبتلی به السیدة والذی کان سیترک آثارا لا محالة علی حال الام نفسها.

ونحن نجد فی زماننا دراسات کثیرة حول اکتئاب الحوامل والذی یحصل فی الاشهر الاولی والاخیرة من الحمل ویؤکد الاطباء ان احد عوامل تخفیف الاکتئاب هو رسم صورة جمیلة للجنین فی المخیلة.. حینما یأتی الی الدنیا.. ویکبر.. ویلعب وینادی الام.. الی آخره، وهذه الوصفة تنجح اذا کان هناک تقبل للحمل وللجنین من قبل الوالدین ولاسیما الام بالذات فکیف اذا کان الجنین هو صاحب الحوار والکلام!! وکیف اذا عرفت الام انه لایوجد فی ارجاء الارض من یشبه جنینها نسباً وکرامةً ومکانةً.

ونقف عند حضور هؤلاء النساء العظیمات الی بیت السیدة خدیجة واعانتها علی الولادة وکل عاقل یری فی الامر تکریما سواء للولادة أو الولیدة أو للام أو للجمیع – طبعا بما فی ذلک الاب نفسه – لکن هذا الهبوط من العلیاء لحضور مولد المرأة العظیمة لهو دلیل قاطع علی موقعها السامی الذی – ربما – لا تدانیه حتی هؤلاء اللائی حضرن للمساعدة!!.

ص:75

ينقل الحسنى فى سيرة الأئمة عن بنت الشاطئ فى حديثها عن بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم: لما ولدت فاطمة (استبشر أبواها بمولدها، واحتفلا به احتفالا لم تألفه مكة فى مولد أنثى)(1).

وهذه الكلمات دليل على الحفاوة التى استُقبلت بها هذه البنت لما ولدت.. لقد كان هناك فرح مسبق ينتظر قدوم الطفلة المباركة وكل الاستعدادات الالهية والسماوية من طعام الجنة والرياضة الروحية للاب ورعاية الملائكة كل ذلك يطلعنا على العناية الربانية التى رافقت مولد هذه الانثى!!.. ولهذا فمن حق بنت الشاطئ ان تُبدى تعجبها لهذا كله فى زمن يتوارى فيه الابوان عن القوم اذا ولدت انثى!!.

وفى أمالى الصدوق: ص 57 ح 1: «فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرّ عليها».

وكما فرحت السيدة خديجة بهذه الوليدة المباركة فإن فرحة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن اقل من ذلك فقد تلقاها بالفرح والسرور وهو يعلم ان لهذه الطفلة شأناً عظيماً وان ذريته ستمتد عبر الزمن الطويل بهذه المولودة المباركة. استقبل الرسول طفلته بفرح لا يوصف فقد ملأت عليه كل جوارحه وجوانحه ونقلته الى آفاق المستقبل الذى يخلد ذرية المصطفى من

1- (1) سيرة الأئمة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسنى - القسم الأول: 65-67، دار التعارف للمطبوعات ط 1406 ه.

نسـل هـذه البنت الصـغيرة، كانت كل شـى فى حياته وكانت تطير به فى افياء الابوة الحانيـة ففاض قلبه بالحب لها ومن بعـد لبعلها وذريتها وتعاظم هذا الحب بعد رحيل السـيدة خديجة عليها السلام ليكون الرسول الحبيب هو الذى يربى ويعلم ويزوج هذه البنت التى تفوح منها ريح الجنة.

ان التغيير فى التعامل التربوى مع البنت ظهر مع ظهور الاسلام وهذا ما نجده فى تعامل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع الزهراء عليها السلام انه يعيش الفرح بها حتى قبل ولادتها وهو يعلم انها انثى ذات مؤهلات خاصة!.. هذه الصورة من المعاملة الانسانية تطفو امامنا على السطح فى مجتمع يئد البنات ويعدّهن كالسائمة!.... وهذا ان اشار الى شىء فانما يشير الى الصورة الطيبة التى ينظر بها الاسلام الى البنت فقد انتهج اسلوبا خاصا فى التعامل مع البنات يقوم على اكرامهن واحترامهن.

ففى الحـديث أن الله تبارک وتعالى على الإناث أرأف منه على الـذكور وما من رجل يـدخل فرحةً على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة(1).

وعن الامام الصادق عليه السلام البنات حسنات والبنون نعم، فالحسنات تثاب عليهن والنعم تُسأل عنها(2).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساووا بين اولادكم فى

1- (1) (الكافى: ج 6 ص 6 باب فضل البنات ح 7).
2- (2) (الحر العاملى، وسائل الشيعة، ج 15 ص 104).

العطية فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء.

وفی الکافی ج 16 باب فضل البنات رقم الحدیث:

عن عدة من اصحابنا، عن احمد بن محمد بن خالد عن محمد بن اسماعیل بن بزیع عن ابراهیم بن مهزم عن ابراهیم الکرخی عن ثقة حدثه من اصحابنا قال: تزوجت بالمدینة فقال لی ابو عبدالله علیه السلام: کیف رأیت؟ قلت: ما أری رجل من خیر فی امرأة إلا وقد رأیته فیها ولکن خانتنی فقال وما هو؟ قلت ولدت جاریة قال: لعلک کرهتها إن الله عزوجل یقول: آباؤکم وابناؤکم لا تدرون أیهم أقرب لکم نفعا.

علی بن ابراهیم عن ابیه ومحمد بن اسماعیل عن الفضل بن شاذان جمیعا عن ابن أبی عمیر، عن هشام بن الحکم عن جارود قال: قلت لأبی عبدالله علیه السلام: إن لی بنات، فقال: لعلک تتمنی موتهن أما إنک إن تمنیت موتهن فمتن لم تؤجر ولقیت الله عزوجل یوم تلقاه وأنت عاص.

هذا فی وقت عاشت فیه الجاهلیة مبدأ التمییز الجنسی ومعاقبة الانثی ونبذها واهمال انسانیتها فقد روی أن رجلا من أصحاب النبی صلی الله علیه وآله وسلم کان لا یزال مغتما بین یدی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فقال له رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: (ما لک تکون محزونا)؟ فقال: یا رسول الله، إنی أذنبت ذنبا فی الجاهلیة فأخاف ألا یغفره الله لی وإن أسلمت! فقال له: (أخبرنی عن ذنبک). فقال: یا رسول الله، إنی کنت من الذین یقتلون بناتهم، فولدت لی بنت فتشفعت إلی امرأتی أن أترکها

فتركتهـا حتى كبرت وأدركت، وصارت من أجمل النساء فخطبوها، فـدخلتنى الحميـة ولـم يحتمل قلبى أن أزوجها أو أتركها فى البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إنى أريـد أن أذهب إلى قبيلـة كـذا وكذا فى زيارة أقربائى فابعثيها معى، فسـرت بذلک وزينتها بالثياب والحلى، وأخذت على المواثيق بألاـ أخونها، فـذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت فى البئر ففطنت الجاريـة أنى أريـد أن ألقيها فى البئر، فالتزمتنى وجعلت تبكى وتقول: يا أبت! ماذا تريـد أن تفعل بى! فرحمتها، ثم نظرت فى البئر فدخلت على الحمية، ثم التزمتنى وجعلت تقول: يا أبت لا تضـيع أمانة أمى، فجعلت مرة أنظر فى البئر ومرة أنظر إليهـا فأرحمها، حتى غلبنى الشـيطان فأخـذتها وألقيتها فى البئر منكوسـة، وهى تنادى فى البئر: يا أبت، قتلتنى. فمكثت هنـاک حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وقال: (لو أمرت أن أعاقب أحـدا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتک)(1).

ان الطفل الـذى يسـتقبله اهله بحفاوة يشـعر انه مرغوب فيه ويتعزز لـديه الشـعور بالثقـة بالنفس والاعتزاز بجنسه وكيانه عكس الطفل الـذى يسـتقبله اهله بالنبذ والكره فانهم يعززون الشـعور لديه أنّه كائن منبوذ وغير مرغوب فيه وهذا ما سيدفعه للبحث عن بدائل تعويضية مستقبلا لاستعادة الاحساس بالكرامة والثقة وقد يلجأ الى الانحراف والجرائم الكبرى ليقول: انا الذى كرهتمونى استطيع ان افعل كذا وكذا!!..

1- (1) (القرطبى، تفسير سورة التكوير اية 8، 19:234-232).

ويمكن تقسيم البيوت من نمط الاجواء الاسرية فيها الى انواع منها:

1. جو الانانية: وهو جو خانق منشأه احد الزوجين أو كلاهما فالزوج الانانى يستغل زوجته ويفعل كل ما يروق له غير مكترث بزوجته التى تكون شقية بائسة وربما تفقد الثقة بنفسها فتتقبل انانية الآخرين عبر تحطيم الذات أو قد يكون الامر على العكس اى تكون الزوجة انانية وهذه تعلم البنت بان تكون انانية ايضا بقصد أو بلا قصد. وهنا تغيب مفردات اساسية فى القاموس الاجتماعى للبيت كالعطاء والتحمل والبذل والتضحية.. والطامة الكبرى ان الطرف الانانى يرى ان هذه هى اخلاقياته ولا سبيل لتغييرها وهذه تزيد من حدة الفردية الطاغية على السلوك الانسانى والتى نرى تزايد نبرتها فى مجمل العلاقات المعاصرة. هذه الانانية تعبر عن شخصية نرجسية تدور حول ذاتها المتضخمة.

2. جو الشكوى: الذى غالبا ما تخلقه الزوجة!! فهى دائمة البحث عن موضوع للشكوى حتى لو لم يكن موجودا!! فقد تشتكى من التعب – وهل هناك من لا يتعب؟ – فالمهم ان تشتكى!! فهذا هو ديدنها.. وهؤلاء يخلقون جواً كئيباً سلبياً ويجعل صاحبه شقيا ويشقى من معه، وهنا تتعلم البنت الشكوى ايضا ولا ترى امرا ايجابيا فكل شىء سلبى يُشتكى منه! وهو ما يجعل هناك ضيقاً فى الرؤية السليمة للامور وتعلّم الشخص ان ينظر دوما للقسم الفارغ من الاناء!!.

3. جو البغض: الذى يتوارى عنه العطف والحنان وقد يكون البغض

والكراهية موجودا بين الاب والام رغم انهما يعيشان تحت سقف واحد – من اجل الاطفال – وقد يكون الكره للطفل نفسه لاسباب منها كره الزوج لزوجته وبالعكس فهو يرى صورة الكائن البغيض فى هـذا الوليـد خاصة اذا كان من جنسه فتكره الام الابن الذكر لكرهها لابيه ويكره الاـب البنت بغضـاً لامها فالمرأة التعيسـة فى حياتها الزوجيـة تشـعر ان الحمل عبءٌ ثقيلٌ عليها لانه يربطها بزوج تكرهه وهى تشـعر انها تحمل فى احشائها جزءا من هذا الزوج المرفوض. وفى مثل هذا الجو يتعلم الاطفال الكره والبغض والحقد على الغير بما فى ذلك البغض والحقـد لمن يحبهم الآبـاء بـل حتى اذا رأوا اطفالاً آخرين يحبهم اهلوهم!! والاب الـذى يكره زوجته لا يحمل العطف على الاولاد عادة وبالتالى يعامله الاطفال بالمثل.. وربما يدفع الاولاد للجنوح أو الانحراف بحثا عن الحب والحنان!.

4. جو الانتقـاد: حيث تتعرض فيه الفتـاة أو الفتى للانتقاد المسـتمر بسـبب أو بلا سـبب وبعقلانيـة أو بلا تعقل من الوالـدين بل وحتى من الاـخت الكبيرة أو الاخ الاكبر، وتزداد حـدة الانتقاد عنـد المراهقـة لانها تمثل تهديـدا للاسـرة وليس امرا طبيعيا وهنا تتعلم البنت الانتقاد الصـحيح والخـاطئ ويكون الجو الاسـرى مزعجا لما فيه من كلام سـلبى محبط وليس هناك اى تعليم صـحيح بل ليس هناك من يملك آليات التوجيه الصـحيح الذى يخرج من وتيرة الانتقاد اللاذع والمتكرر.. ويتنقل هذا السـلوك الى المدرسة فيضـجر الاصدقاء ويضـطرون الى هجرانهم.. والانتقاد اما بطريقة مباشرة صراحة بالتراشق

بالالفاظ أو غير مباشـر بالغمز واللمز وتصـبح عادة الاولاد غمز ولمز الاخرين ويأخـذون معهم هذا السـلوك الخاطىء الى البيت الزوجى الذى يصبح معرضا للانهيار بسبب الانتقاد. والاولاد فى كلا النمطين من الاجواء يفقدون ثقتهم بأنفسهم وبالآخرين.

5. الجو الديكتاتورى: فيه اب دكتاتور لا يتفاهم ولا يجيد لغة الحوار مع ابنائه وربما حتى مع زوجه.. ويكون البيت هنا أشـبه بثكنة عسكرية فيها الاوامر والقوانين الصارمـة، وهى اجواء يغيب فيها الحب وينتشـر فيها الخوف، وفى اجواء كهـذه تغيب روح المبادرة وينخفض مؤشـر الذكاء وتكون معاناة البنت اكثر لانها اقل ثقة بنفسـها وهى الأضـعف التى يُصب عليها الاسـتبداد من كل الاطراف.. واحيانا يتمرد الاولاد الذكور لكنهم لا يرغبون بأن تشترك البنت معهم فى التمرد!!.. وقد تكون الزوجة هى منشأ ديكتاتورية البيت ربما لغياب الاب – لموته مثلا – أو هو موجود لكنه نمط ضـعيف الشخصية وهذا الجو يشوه صورة الانوثة عند البنت والاولاد الذكور فهى تحاول ان تكون البنت مثلها فى السـلوك المتسـلط من ناحية ومن ناحية اخرى لا تسمح لاحد بالسؤال أو الحوار فتحول الابناء الذكور الى صورة خانعة كنموذج الاب وهو تشويه للذكورة!!. ونتيجة ذلك ان تكون الشخصية قانعة خاضعة خائفة من السلطة كما أن صاحبها يشعر انه دون الآخرين ويتسم بعدم الثقة فى الذات ويؤدى ذلك إلى ارتكاب الأخطاء فى غياب السلطة.

6. الجو الديمقراطى: الذى يقوم على لغة الحوار والتفاهم وهنا تكون

البنت محترمة وقد يقدم الآباء توصيات اكثر للاولاد بالعناية بأختهم ورعايتها، وهنا يغيب الخوف وتتقبل الاسرة مراهقة البنت على انها مؤشر نموسليم فهو خير وبركة عكس الاجواء السابقة التى تكون فيها مراهقة الانثى (مشكلة ومصيبة) تستدعى التجسس والتفتيش ولابد من التخلص منها بسرعة (بالزواج السريع والمبكر).. ولأن الحرية هنا مكفولة للجميع – بضوابطها – يجد الاولاد حرية فى اختيار الزوج أو العمل أو نمط الدراسة وهذه كلها امور تكون عونا لهم فى الحياة ويبقى الاهل هنا (حزام ظهر) اى حصن حصين للفتى وللفتاة تعتز به حتى اذا خرجت من البيت الى الحياة الزوجية والاجتماعية التى تكون مستقرة اكثر.

7. الجو المتسامح: ورغم ان التسامح امر مطلوب اذ لاينبغى الوقوف عند كل عثرات الابناء بل لا بد ان يكون هناك مرور الكرام على بعض الاخطاء الصغيرة لكن الافراط فى التسامح قد يؤدى الى نمط سلبى من الحماية الزائدة وقد يقف الاب أو الام مدافعا عن اخطاء ابنهما بدل التوجيه الصحيح!! وهى مصيبة كبرى قد تؤدى مستقبلا الى جنوح الاحداث والى نشوء شخصية مشوهة لا تجيد اتخاذ القرارات الصائبة أو التكيف مع المشكلات التى تمر بها!! وبعد الزواج قد تتعرض الفتاة الى ازمات اذا لم يسامح الزوج على اخطاء الفتاة.

8. جو الاهمال: هنا يكون البيت اشبه بمقهى أو فندق لا اكثر!! اذ يعرف الاب ان مهمته فقط تحصيل المال اما الام فتعرف ان مهمتها هى فقط

فى النظافة والتسوق اما التربية ومتابعة شؤون الابناء وحل مشكلاتهم فهذا امر يتصوره طرف انه من مهام الطرف الآخر المقصر!! وحتى اذا ما ابدى البعض النصيحة بأنه لابد من متابعة شؤون الابناء قدم الآباء والامهات الاعتذارات فى قوائم طويلة عريضة يعرفهاالجميع!! ولا يدرى الآباء هنا اين مدارس الابناء؟ ولا تدرى الامهات متى ينتهى الدوام المدرسى للبنت؟ وقد تقضى الام وقتها مع الصويحبات والاب فى المقاهى مع الاصدقاء ناسين ان لهم ابناء!!.. هذا الجو يُشعر الطفل انه لا قيمة له فلا يندفع نحو المبادرة، ولأنه جو هامل فهو يضاعف من شعور الطفل بالوحدة ثم الاغتراب فيحاول جذب الانتباه بممارسات قد تكون صحيحة أو خاطئة، وفى هذا الجو تضعف العلاقات بين الافراد داخل الاسرة الامر الذى يجرها الى نموذج اسرة (القوقعة الفارغة) فهى اسرة فى الصورة امام المجتمع فقط!!.. وقد يتعود الطفل نفسه على الاهمال سواء لشؤونه أو للوالدين أو حتى لاسرته مستقبلا، وقد تنشأ عقد نفسية فيحاول التعويض فيصبح اكثر حرصا على اسرته المستقبلية، وقد تزداد الحالة سوءا فيبدأ يستفيد من هذا الجو الذى يغيب فيه المرشد والمتابع لمجازفات خطيرة.. ويرى د. فاخر عاقل ان العائلة الحديثة ميالة للانصراف عن الطفل والعناية بسبب العمل وغيره.

وهنا تكون شخصية الطفل مترددة غير آبهة بالقانون فمن السهل عليه ان يخالفه وبذلک لا يقيم وزنا لحقوق الآخرين.

9. الجو النابذ: وقد يكون الأب هنا نابذاً للبنت (لانها بنت) أو قد

تكون الام (اما لأنها من جنس الانثى واما لانها حمل غير مرغوب فيه) أو قـد يكون الانثان نابـذين للبنت فهو جو مشـبع بالكراهية والبغض وتشـعر الفتاة بالـذنب لانها انثى ليس اكثر!!.. واذا كان الاب هو النابـذ تحاول الام تعويض البنت عن طريق الحمايـة الزائدة والتدليل وكلها امور غير صائبـة تؤثر على رؤيـة الفتاة لذاتها وأنوثتها. وقد يكون النبذ مسـتمراً مما يؤدى الى اتباع اساليب سـيئة مع البنت فتبدأ بالبحث عن اجواء بديلـة يكون فيها الاشـباع العاطفى والمودة والحب اكثر – حسب تصورها – فتتزوج وتقبل الزواج بسـرعة كى تتخلص من هذا الجو دون ان يكون هناك تصور للحياة الجديـدة التى قـد يكون القيـد فيها اكثر مع صـعوبة انكساره!!.. وقد تندفع نحو الخطأ أو الرذيلة بحثا عن الاشباع العاطفى الذى تفتقده فى البيت.

يشير د. فيصل عز الدين الى الآثار السلبية للتمييز بين الجنسين فيقول فى مقال له:

... نجد أن التمييز الجنسـى قد فرض على تلك الأنثى ان تتحمل كل المسؤوليات والضـغوطات والضغوط فى آن واحد سواء داخل الأسرة أو فى حرمانها من اسـتكمال تعليمها (تحت ضـغط المجتمع) وأخيرا فى قصر حقها على بعض الوظائف التى تتاح لها دون وظائف اخرى كثيرة ذات عائد مادى مجز، تم قصرها على الرجل.

ومن هنا نجـد مـدى الظلم الـذى يقع على المرأة من خلال ذلك التمييز الجنسـى الصارخ الـذى يبدأ معها منذ ولادتها ويسـتمر معها فى الأسرة الأولى لها

ص:85

ثم فى المدرسة ثم فى المجتمع الخارجى ثم ينتقل معها إلى بيت الزوجية وأسرتها الثانية وتحمله على أكتافها إلى مكان عملها حيث تعانى من نفس التمييز وحتى عندما تريد الانفصال عن زوجها نجد أنها لا تملك فى مجتمعنا ذلك الحق وعليها أن تستمر فى المعاناة وفى تحمل خطأ ليست مسؤولة عنه ألا وهو أنها تنتمى للجنس الآخر!!).

ولا شك أن معاناة المرأة من ذلك التمييز الجنسى تكون بنسب تصاعدية كلما انخفض المستوى الثقافى والاجتماعى بين أفراد المجتمع.

ومن المعلوم ان التمييز بين الجنسين يؤدى الى عوامل واضطرابات مستقبلية اكثرها واخطرها احتقار الذات (لأنى انثى اكره نفسى واتمنى لو كنت ذكرا) وظهور عقدة الحقارة وانخفاض مؤشر الثقة بالنفس وتدنى مستوى الامل والطموح ومحاولة استعادة الذات عبر برامج غير صحية وغير سليمة (كالاسترجال) الى غير ذلك من الامور...

ف - (ما إن يدق المولود باب الحياة حتى يستقبله إحساس الكبار به. ومن المؤكد انه يلتقط باحساسه الداخلى معظم ما يجرى من انطباعات حول مجيئه الى هذا العالم وهل هو كائن مرحب به ام هو كائن غير مرغوب فيه؟ ام ان التوقعات كانت تطلبه من جنس آخر غير الجنس الذى ينتمى اليه)(1).

نعم المواليد يقرأن تعبيرات الآباء والامهات فى الوجود فيشعرون بالذنب حين يرون الوجوه مكتئبة انهم يقرأون المشاعر والاحاسيس قال تعالى:

1- (1) د. سبوک، حديث الى الامهات / ص 90.

«وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ» النحل 58-59.

وهناک تصورمعاصر انه عن طريق المساواة فی الملابس والفعاليات ونمط الدراسة تصل الاناث والذكور الى تحقيق الانسانية المطلوبة أو بالاحرى المساواة وفهم الادوار الحياتية لنقرأ ما كتب د. سبوک:

وفی الحضارة الغربية المعاصرة تحاول بعض الاسر الآ تفرق بين اسلوب تربية الولد واسلوب تربية البنت. فالبنت ترتدی نفس ملابس الولد، مثل "الجينز الأزرق" و "الفانلات" المرسوم عليها نفس الرسوم. وتتوقع الأسرة من الولد والبنت أن يلعبا نفس الألعاب معاً. وقد يخصص لهما الوالدان جزءاً متشابهاً من عمل المنزل، وبطبيعة الحال فهما يتعلمان نفس الدروس فی المدارس والجامعات.

وليس من حقنا أن نجادل الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات فی اختيار اسلوب تعاملهم بمساواة بين الجنسين، وعدم تمييز الفارق بين دور الرجل ودور المرأة. نحن لا نجادل فی ذلک رغم إيماننا بضرورة اختلاف اسلوب التعامل بين الولد والبنت، لا بما يقلل من إحساس البنت بنفسها أو يقلل من إحساس الولد بنفسه، ولكن بما يحقق لكل منهما وعياً لدوره باحترام وتقدير وإحساس بالندية لا المساواة، لأن الندية تعنی أن يتعرف الفرد علی دوره بفخر واعتزاز دون التقليل من دور الفرد الآخر، ولو كان من

جنس آخر(1).

والآن عبر التقنيات الحديثة التى تشخص جنس الجنين يتم اسقاط الاجنة البنات، فضلاً عن الاستغلال الجنسى البشع للبنات الصغيرات واستعمالهم لاداء اعمال لا انسانية مع كل الصراخ الذى نسمعه عن حقوق المرأة!!.

ونعود الى علاقة الرسول بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام كانت اذن علاقة متبادلة وطيبة بين الاثنين وكان الرسول يحاول سد الفراغ الذى تركته السيدة خديجة رضى الله عنها عند ابنتها ونفس الشىء يقال عن الزهراء عليها السلام: لقد كانت الزهراء تمتلك منذ البداية الرصيد الاول من الحب الابوى كما ورد فى الحديث:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة حينما عاتبته على كثرة تقبيله ابنته فاطمة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم، يا عائشة! لما اسرى بى إلى السماء أدخلنى جبريل الجنة، فناولنى منها تفاحة، فأكلتها، فصارت نطفة فى صلبى، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء انسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»(2).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاطمة مهجة قلبى، وابناها ثمرة فؤادى، وبَعلُها نور بصرى، والأئمّةُ مِن وُلدها أُمناء ربّى وحَبلٌ ممدودٌ بينه وبين خَلْقه، مَنِ اعتصَمَ بهم نجا، ومَن تخلّف عنهم هَوى»(3).

1- (1) (د. سبوک، حديث الى الامهات، ص 93).

2- (2) مستدرک الحاکم/ج 3 /ص 156.

3- (3) (المجلسى، البحار، 23:10 ح 16).

ان الاعراف الجاهلية كانت تقوم على نبذ واهمال البنت الانثى ورعاية الذكر الذى سوف يحمل اسم العشيرة واسم الاسرة فالمجتمع آنذاك مجتمع ذكورى يقصى الأنثى عن كل المزايا الصالحة ويعطى كل الامتيازات للذكور بما فى ذلك الرعاية والحنان ولهذا اتهموا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بانه الابتر لموت اولاده الذكور وبقاء الحياة لابنته الزهراء فكان صلى الله عليه وآله وسلم ابا بنات وليس ابا ذكور، وهذا مما اساغ للبعض ان يطلق عليه لقب الابترحاشاه – لكن الذى نراه ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يولى لابنته الزهراء عليها السلام كل الرعاية ويعطيها مساحة كبيرة من عنايته واهتمامه حتى بعد ان تتزوج وتترك البيت الى بيت زوجها وتصبح اماً اذ تبقى هذه العلاقة الطيبة وتبقى هذه الرعاية الابوية فى ابهى واكمل صورة.

على هذا نفهم ان الجو الاسرى الذى عاشته الزهراء عليها السلام كان متميزا فى كل جوانبه فمن ناحية كان هناك فرح وسرور بمجيء هذه الانثى قبل مجيئها فهى طفلة مباركة كُتبت لها الحياة لتكوّن ذرية النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم منها.. ثم هو جو يعبق فيه اريج الايثار والتضحية والعطاء ومن كلا الطرفين وهو محيط خالٍ من البغض أو الحقد بل العكس هو صحيح فهناك المؤازرة والدعم والرعاية لكل الاطراف.. ثم هو محيط آمن تغيب فيه المشاحنات والمعارك والفحش من القول والعنف والعياذ بالله – فهى اسرة طيبة تبيت على وسائد المحبة العامرة بذكر الله واعلاء رايته كهدف مطلوب يتسابق اليه الزوجان مع البنت والزوج والاحفاد فيما بعد.. وقد

اغـدق الوالـدان كل ماعنـدهما من حب وحنان لهـذه الطفلة الصـغيرة حتى اذا ماتت الام اهتم الاب اكثر بابنته وقدم كل ما فى جعبته من الحب والعطف وبادلته البنت درجة عالية من الود والاهتمام فكان نموذجا ساميا فى الروابط الاسرية.

ويجب ان لا يغيب عن بالنا ان العلاقـة مع الزوج اذا كانت ايجابية فتقبل الحمل يكون ايجابيا ايضا بمعنى انه اذا كانت العلاقة بين الطرفين تقوم على الحب والرحمـة والمودة فـان الحمل يكون مقبولا (تقبل الام للحمل يجعلها اما رحيمـة جـدا)، فى حين اذا كانت العلاقـة قائمة على الانماط الاخرى من العلائق غير السليمة كعلاقة النبذ سواء نبذ الزوج أو نبذ الزوجة أو البغض أو الاهمال فان الحمل لا يكون مرغوبا فيه لانه يمثل اسـتنساخ نسخة من الطرف غير المرغوب فيه فهناك نبذ للحمل وللجنين الامر الذى يؤدى الى اصابة الجنين وهو فى بطن امه بجملة اضطرابات نفسية وعصبية. اذ يقول العالم التربوى د. سبوك فى كتابه (تربية المراهق):

(ان الابناء الذين ينشأون فى اسر متحابة لا يعرفون انحرافات العصر الحديث).

ويضيف:

ولكنى اريـد ان اقول إن اعظم مـا يتعلم منه الأبنـاء هو السـلوك العلمى بين الأـب والأـم فـإذا كانت العلاقـة بين الأب والأم مليئـة بالمحبة والتفاهم رغم ظهور بعض من المعارك فى بعض الأحيان، فإن الأبناء يتشربون روح الأسرة

بلا أدنى شك. إن الحـديث عن الأخلاق والقيم أمر سـهل، لكن الابناء لا يتشـربون القيم من الكلمات فقط ولكن يتشـربونها ويطبقونها فى حياتهم إذا ما رأوا ذلک فى أسـرهم، واذا كان العصـر الحديث قد اكثر من المعلومات عن التشريح ووضع امام الشاب والفتاة اكثر من فرصة للتعرف العلمى على الجسد، فإن الأسـرة عليها من خلال سـلوک الأب والأم أن تعلم الابن الكثير من القيم من خلال السـلوک اليومى، ان التعاون المتفانى الذى يمارسه الأب الحنون والأم الطيبة لهو خير معلم للأبناء).

وأقول إن النمو السـليم للطفـل وتكوين ثقته بنفسه وتقبله للآخرين وتكوين علاقات اجتماعيـة سـليمة كله رهين بنمط الاجواء السائـدة فى البيت فالاـجواء السـليمة تساعـد على نمو سـليم ومتوازن اما الانماط الخاطئـة كالحمايـة والتـدليل الزائـد والنبـذ فانها تخلق انسانا مصاباً بالاضـطرابات وعـاجزاً عن تقبـل نفسه بشـكل واقعى أو تقبـل الآـخرين ولاـ اقصـد هنـا اجـواء الغنى والفقر وان كـانت مؤثرة لكن الاـهم هوالعلاقات بين افراد الاسـرة الواحدة خاصة بين الزوجين فما اكثر الفقراء الذين يعيشون بسـعادة فى اسرهم وما اكثر الاغنياء الذين يزيدون من شقاء بيوتهم!!.

بقى ان نمر على انعكاس العلاقـة الطيبـة بين الزوجين على الجنين والمولود والطفل الـذى يعيش فى هـذه الاجواء.. فمن المعلوم انه كلما كانت الاجواء الاسـرية اكثر ايجابيـة وكان التوافق بين الزوجين اكثر بما يؤدى الى زيادة الانسـجام بينهما فان التأثيرات الايجابية تكون على انعقاد النطفة وعلى

الحمل وعلى التربية الاسرية اكثر وسنتناول ذلک فی انماط العلاقات الزوجية لاحقا.

الاجواء الخارجية

وخلافا لما كان يسود البيت النبوی من أمن ومحبة وراحة ومودة وطمأنينة كانت الساحة الخارجية كرة ملتهبة تموج بالاحداث الكبرى.. فلقد كان التحدی القرشی خطيراً على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى دعوته المباركة وكانت هناک دائما محاولات احباط للدعوة سواء بالترغيب أو بالارهاب الظاهر والعلنی فضلاً عن الارهاب المخفی وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمة الاولى وباقی المسلمين يعيشون هذه الاوضاع الساخنة.

ولقد اتخذ النهج الجاهلی اساليب متعددة فی مواجهة الدعوة منها السخرية من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتهامه بانه كذاب، ساحر...

قال تعالى:«وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (23) فَقالُوا أَ بَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ إِنّا إِذاً لَفِی ضَلالٍ وَ سُعُرٍ (24) أَ أُلْقِیَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ (25) سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذّابُ الْأَشِرُ» (القمر 22-26).

وقال أيضا:«كَذلِکَ ما أَتَی الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ قالُوا ساحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَ تَواصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (53) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ (54)

وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» (الذاريات 52-55).

ومنها تعـذيب المسـلمين بشتى انواع العذاب البدنى والنفسـى اضافة الى الضـغط الاقتصادى والاجتماعى من خلال المقاطعة ومن خلال مراقبة الضـعفاء والتضـييق عليهم... وقد حاولت قريش مرارا التخلص من الرسول نفسه اما بالقتل أو بصرفه عن دعوته بوسائل عدة لكنها لم تنجـح ابـدا فى هـذا السـعى الاليم فلقـد كتب الله فى كتابه المجيد انه ناصـر لرسوله ومظهر لامره على الدين كله... فى هذا الجو الساخن ولدت الزهراء عليها السـلام فى مجتمع جاهلى له تقاليده واعرافه الخاطئة التى كان من اخطرها نبذ الأنثى ووأدها اجتماعيا وجسديا، فكيف يستقبل الوليدة الانثى التى اطلت على البيت النبوى الذى خلا من الذكور!؟.

من البديهى انه لا يقيم لهذه الولادة وزناً ولا يعيرها ادنى اهمية بل العكس هو الصـحيح فما دام الوليد انثى فالاب اذن أبتر! ولهذا جاء الوجه الجاهلى شامتا بفرح منتقصا لهذه الولادة وعادّها دلالة على نهاية الرسول ونهاية نسله!! وهو ما تصوروه وارادوه لكن لله ارادته العليا فى هذه الوليـدة التى كانت كوثرا من كل جوانبه.. وقد رد صـلى الله عليه وآله وسـلم هذه الفكرة من خلال حديثه مع زوجته المؤمنة (سـيجعل الله تعالى من ذريتها أئمة) انه يعلم شيئا غير الذى يتصوره الآخرون الذين يستحقون الرثاء والمواساة.

وتأتى هذه الرؤية الضيقة للانثى الوليدة من خلال الرؤية السائدة فى

المجتمع كله عن المرأة بوجه عام، ولهذا لما ولدت الزهراء هموا بإخناق فرحته بها من خلال اتهامه بأنه الابتر فجاء رد القرآن الكريم سريعا فنزلت سورة الكوثر.

كتب الفخر الرازى فى تفسيره لهذه السورة:

المعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من اهل البيت؟ ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بنى أمية فى الدنيا احد يعبأ به(1).

وفى الدر المنثور أخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة ثم مات عبد الله فقال العاصى بن وائل السهمى قد انقطع نسله فهو أبتر فأنزل الله «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ» . وفيه أخرج الزبير ابن بكار وابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: توفى القاسم ابن رسول الله بمكة فمر رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم وهو آت من جنازته على العاصى بن وائل وابنه عمرو فقال حين رأى رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: إنى لاشنؤه فقال العاصى بن وائل: لا جرم لقد أصبح أبتر فأنزل الله «إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ» . وفيه أخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال: كانت قريش تقول – إذا مات ذكور الرجل – بتر فلان فلما مات ولد النبى صلى الله عليه – وآله – وسلم قال العاصى بن وائل:

1- (1) (مفاتيح الغيب ج 30 سورة الكوثر).

بتر والابتر الفرد(1).

هذه الولادة كانت بداية لتصحيح مقاييس وازالة اعراف ونشر ثقافة سليمة للانسان.

خلاصة مولدها عليها السلام

1 – انها ولدت فی زمن مبارک بعد رحلة الاسراء والمعراج علی أغلب الروایات.

2 – انها ولدت فی مکان مبارک تختلف الیه الملائکة وعلی رأسهم جبریل الأمین علیه السلام.

3 – انها ولدت من ابوین مبارکین کاملین احدهما سید البشر صلی الله علیه وآله وسلم وسید الرسل والاخری سیدة النساء علیها السلام.

4 – وعند ولادتها هبطت أربع سیدات بینهن مریم وآسیة علیها السلام سیدتا نساء العالمین لمساعدة الام وللعنایة بالولیدة.

5 – انها الوحیدة من کل اولاد الرسول صلی الله علیه وآله وسلم لخدیجة التی قامت بإرضاعها.

وفی الروایات ان السیدة خدیجة اذا ولدت ولدا دفعته لمن یرضعه فلما ولدت فاطمة لم یرضعها احد غیر خدیجة(2).

1- (1) (تفسیر المیزان ج 20 ص 373).

2- (2) (عوالم العوالم 46/11 عن البدایة والنهایة 307/50 طبع مصر).

وهذا امر مطلوب اذ لايرضع سيدة النساء الاسيدة النساء كما لا يرضع سيدى شباب اهل الجنة ولا سيدة الطالبين الا سيدة النساء. وبهذا فقد توفر الحضن الطاهر مع اللبن الطاهر فى عموم الاجواء الملكوتية التى عاشتها الزهراء عليها السلام(1).

1- (1) ان واحدا من حقوق الطفل على والدته هو ارضاعه من لبنها الذى يتزامن ظهوره مع ميلاد الطفل وهو الغذاء الذى هيأه تعالى للطفل بما يناسب قابليته للهضم والامتصاص وفى الحديث: ليس للصبى خير من لبن امه (الحر العاملى / وسائل الشيعة باب 78 حديث 5 احكام الاولاد).وأيضاً: انظروا من يرضع اولادكم فان الولد يشب عليه (الوسائل باب 78 حديث 1 احكام الاولاد)ان ارضاع الطفل بالرضاعة الطبيعية يمنح الطفل الاشباع العاطفى ويساعد على تقوية العلاقة بين الام ووليدها ويركزلدى الام اهمية متابعة شأن وليدها ورعايته وهو ايضا يساهم فى منح الطفل الوقاية المناسبة ضد الامراض فهو اذا تربية صحية وغذائية ونفسية واجتماعية واقتصادية كما انه يعزز ثقة الطفل بامه والتى هى المنطلق نحو ثقته بالعالم الخارجى.يشير آلان وغييزفى كتابه لغة الجسد:(وتوضح الدراسات الآن وجود علاقة بين رضاعة الطفل من ثدى امه او رضاعته خارجيا وبين احتمال ان يصبح مدخنا عندما يبلغ. فقد وجد ان الاطفال الرضع الذين كانوا يعتمدون بشكل كبير على اللبن الصناعى يمثلون الاغلبية العظمى من المدخنين البالغين وانهم اكثر المدخنين شراهة (بنسبة ثلاثة اضعاف عن الذين يرضعون من ثدى امهاتهم). ويبدو ان الاطفال الذين يرضعون من اثداء امهاتهم يتلقون قدرا من الراحة والارتباط والامان اكبر من الذى يحصلون عليه اذا رضعوا من زجاجة خارجية، والنتيجة ان الاطفال الذين يعتمدون على الرضاعة الخارجية يستمرون - عندما يكبرون - فى البحث عن الراحة والامان عن طريق مص الاشياء.ويضيف: وليس هذا فقط وانما ظهر ايضا انهم كانوا اكثر عصبية من غير المدخنين وانهم يعانون من انواع مختلفة من الولع الشفهى بمص الاشياء مثل ذراع النظارة او قضم الاظافر او مضغ الاقلام او عض الشفة. (آلان وغييز لغة الجسد ص 266).ويعلل د. واطسون (السبب العام للانصراف عن الرضاعة عن طريق الثدى فى المجتمعات الصناعية هو خوف النساء من فقدان القوام اللائق وهو سبب يقول الخبراء عنه (انه لا أصل له)، وأن الحاجة إلى الاحتفاظ ببرنامج للرضاعة أثناء البعد عن المنزل بدون حرج قد يكون سبباً ايضاً. (د. واطسون، سيكولوجية الطفل والمراهق ص 287).

قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (كُلَّ بَنِی أَمّ يَنْتَمونَ إِلی عُصْبَةٍ، إِلاّ وُلدَ فاطِمَة)(1).

قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (أَحَبُّ أَهْلِی إِلیَّ فاطِمَة)(2).

عن الإمام الصادق علیه السلام: هی فاطمة الصدیقة الکبری وعلی معرفتها دارت القرون الأولی(3).

1- (1) الصواعق المحرقة ص 156 و 187 / قریب من لفظه فی مستدرک الصحیحین ج 3 ص 179.

2- (2) الجامع الصغیر ج 1 ح 203 ص 37 / الصواعق المحرقة ص 191 / ینابیع المودّة ج 2 باب 59 ص 479.

3- (3) [امالی الطوسی، ج 2، ص 280].

طفولة الزهراء عليها السلام

اشارة

الطفولة هى المرحلة الاولى من حياة الطفل والتى تبدأ من لحظة الميلاد حتى مرحلة المراهقة وقد قسمها العلماء الى طفولة اولى ومتوسطة ومتأخرة، وتعد الطفولة مرحلة مهمة للطفل اذ فيها تتشكل شخصيته واتجاهاته ومعرفته الاولية بالقيم والدين وعموم الامور والاشياء، كما ان خبرات الطفولـة عامل أساسـى فى توجيه سـلوك الفرد مسـتقبلا لكونها تبقى فى مخزن الـذاكرة حيث ان الطفولـة هى صـفحة بيضاء تتلقى النقش والرسم بسهولة، ومن خلال خبرات الطفولة يمكن التنبؤ ببعض انواع السلوك الذى سيصدر من الفرد، فهى اذن مرحلة خطيرة ومهمة وحرجـة ايضا ولكن السؤال الـذى نطرحه هل نحتاج الى المرورعلى طفولة الزهراء عليها السـلام وهى الانسان المعصوم الكامل الذى اراد الله ان يـذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا؟ قـد يقول قائل إن الكلام فى هذا الموضوع لن يغنى شـيئا ابدا فالزهراء – شـئنا ام ابينا – لابد وان تكون النموذج الربانى الاسـمى.. فالحديث عن الظروف المحيطة وعن مراحل الطفولة قد تكون له اهميته فيما لو كان الكلام عن شخصـية اخرى غير معصومة!!.

ص:98

ولعل هناک بعض الصواب فی هذا الکلام فهؤلاء العظام کانوا نورا فی الملکوت الاعلی وکانت صورهم موجودة علی سرادق العرش وبهم توسل الانبیاء العظام من قبلهم لما تعرضوا الی متاعب صعبة فی حیاتهم ودعوتهم.. لکننا حینما نتأمل حیاة المعصومین علیه السلام عموما نجد انها مرت بمنعطفات خطیرة نحتاج الی دراستها والتعرف علی اسالیب التعایش والمواجهة والثبات فیها.. بمعنی آخر اننا بحاجة الی ان ندرس حیاتهم بکل تفاصیلها ومراحلها لنکون علی وعی بما جری من احداث التاریخ ولنتعلم کیف نعیش ونتعایش مع ازمات الحیاة المختلفة.. فحیاة هؤلاء العظام هی محطات للتعلم واستنباط الدروس والعبر منها.

ان حیاة عظماء الامم تبقی عظیمة فی کل محطاتها ولعل للطفولة نکهة خاصة تجعلنا نتصور - دون علم - ان حیاتهم منعمة بالراحة والمسرة وتحقیق الرغبات وتوفیر کل الاحتیاجات!!.. لکننا حینما ندرس ونبحث ونتعمق نجد ان هؤلاء العظماء الذین من اجل وجودهم المبارک خلقت الافلاک والارضون والسموات قد عاشوا فی طفولتهم لحظات الالم والحزن والشقاء ولم تکن حیاتهم بمنأی عما جری لکبار عصرهم من ظروف ضاغطة واوقات حرجة!، وربما تکون طفولتنا نحن اسعد منهم بکثیر فیاتری کم تعلمنا منهم وکم سرنا فی خطواتنا نحو الرشد والتکامل؟

اننا نجد انفسنا بحاجة الی التعرف علی طفولة الزهراء علیها السلام لأمور منها:

ص:99

اننا لا نستطيع ايجاد الفهم الكامل للشخصية مالم ندرس الظروف البيئية التى احاطت بها وفى كل مراحلها بما فى ذلک مرحلة الطفولة التى هى اساس تشكيل الخبرات والاتجاهات... لقد عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتيما لكنه افاض ابوته الحنونة على أبنائه وعلى الاطفال الصغار وبهذا رسم معلما من معلم الفكر التربوى الاسلامى وقد أشار القرآن الى نقطة الالم هذه من خلال قوله تعالى «أَ لَمْ يَجِدْکَ يَتِيماً فَآوى» الضحى [6] ودعا صلى الله عليه وآله وسلم الى رعاية الايتام والاهتمام بهم وهناک الان دراسات وعلوم مستفيضة فى هذا الجانب الذى أراه بدأ من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذى ربما كان ايضاً موجودا فى حياة الانبياء الآخرين الذين سبقوه لكن تسليط الضوء على هذا المضيق الانسانى كان معه صلى الله عليه وآله وسلم..

اننا لا ندرک عظمة هذه الشخصية الا حينما نتعرف على الحياة الاولى لها... وحينما نمر على حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه ونتعرف على ماعاشته اسرته من عذاب والم من اجل الدعوة الاسلامية ندرک ثقل المعاناة وعظمة التضحيات، فنجد الزهراء عليها السلام تتعرض الى العنف (بكل اشكاله) وهى طفلة صغيرة لم تتجاوز ثلاث السنوات.. تعيش الحصار وترى ما يتعرض له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانصاره ونجد موت الام فى اول الصبا ومعاناة الاب بعدها من اذى قريش... محطات قاسية ربما لو كانت فى حياة غيرها من الاشخاص لتبدل محور حياتهم الى ماغير ذلک.

إننا نتعلم من طفولة الآخرين الايجابية ما ينفعنا فى التعامل مع اطفالنا ونمر على ظروفنا الصعبة مقارنة مع ماعاشه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه من اذى ولعل اول ما نخرج به من هذه الرؤية ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يهمل الشأن التربوى وعلاقته مع اسرته وابنته رغم كل الاوقات العصيبة التى مر بها وهذا اول درس لنا. وقد قدمت سابقا الاشارة الى العلاقة الطيبة بين ابوى الزهراء والى الامن الاسرى الموجود داخل البيت وهذه هى ارضية التربية الناجحة الصالحة بمعنى اننا نحتاج الى التعرف على محطات الحياة عندهم عليهم السلام لنتعرف على كيفية تعاملهم معها كآباء وامهات وابناء ودعاة لنتعلم نحن مانحتاج اليه.

وفى ذاكرتنا محطات طفولتنا بما فيها من وجع وانكسار وفرح وامل فنحاول ان ندرس حياتنا ونفهم طفولتنا من خلال طفولة العظماء فما اكثر الهجوم على الآباء الذين نتهمهم بأنهم لم يوفروا الظروف ولم يتعلموا فنون التربية – كما يقول الكثيرون منا – لكننا سنشعر بمقدار الغبن لهم حينما نمرعلى محطات المعصومين الصعبة والتى هى اصعب مما عشناه.

واخيراً ولأن الزهراء عليها السلام كانت بنت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فما اكثر اهمالنا لبناتنا لانهن بنات!! ناسين ان الانسان انسان! وان كل ما كان للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه الدنيا العظيمة هى هذه البنت الطيبة الطاهرة ام الذرية الطيبة التى نراها ممتدة الاولاد الى وقتنا الحاضر.. فالزهراء كانت بنت المصطفى وفى هذا السفر لابد ان ندرس

شخصياتنا من خلال سلوكنا تجاه بناتنا... ولابد ان تتعرف بناتنا من خلال سلوك الزهراء مع ابيها صلى الله عليه وآله وسلم سلوك بناتنا مع الآباء والامهات.

عاشت الزهراء عليها السلام طفولتها الاولى بعد الولادة فى مكة وقد راجعنا الظروف الداخلية التى كانت آمنة ومستقرة مع الظروف الخارجية التى كانت ضاغطة وصعبة بسبب الحرب القاسية التى شنتها قريش على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واتباعه خاصة بعد اعلان الدعوة وخروجها عن اطار الكتمان بحيث ان قريشاً استعانت بكل وسائل الترهيب والترغيب لاجبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على التخلى عن الدعوة غير ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقى مواصلا طريقه رغم التحديات وهو القائل: (والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترک هذا الامر ما تركته حتى يظهره الله أو اهلک دونه) مما دفع بقريش الى استتباع اساليب جديدة فى الضغط على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحاصرتهم ثلاث سنوات فى شعب ابى طالب.

الحصار

كان الحصار فى شعب ابى طالب طويل الامد استمر ثلاث سنوات وفى مكان محدود (وهو شعب ابى طالب) وضمن شروط صعبة فهو حصار اقتصادى واجتماعى ونفسى وبدنى الامر الذى ترک استتباعاته فيما بعد على

حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وعلى اسرته... وعلى ابنته فاطمة بهجة قلبه.

بدأ الحصار فى الاول من محرم فى السنة السابعة للبعثة النبوية الشريفة واستمرحتى السنة العاشرة واغلب الروايات تشير الى انتهائه فى شهر رجب الحرام وبعضـها فى محرم الحرام وايـا كان الامر فقـد كان الحصار جماعيا شـمل بنى هاشم مع المسـلمين الاوائل مع الرسول وآله وترک الكل ديارهم ومنازلهم وبقوا فى هذا الشعب كل هذه المدة!!.

من هنـا فكرت (قريش) فى خطـة جديـدة، وهى ان تفرض حصـاراً اقتصاديـاً قويـاً على النـبى والمسـلمين تقطع به كـل الشـرايين الحيوية للمسلمين، وبذلک تحدّ من سرعة انتشار الإسلام وتقف دون نفوذه، ومن ثَمّ تخنق بين كمّاشة هذا الحصار مؤسس هذه العقيدة التوحيدية، وأنصاره.

ولهذا اجتمع زعماء قريش فى «دار الندوة» ووقّعوا ميثاقاً كتبه «منصور ابن عكرمة» وعلّقوه فى جوف الكعبة، وتحالفوا بان تلتزم قريش ببنوده حتّى الموت.

ونصَ هذا العقد على الأُمور التالية:

1 – أن لا يبتاعوا من أنصار النبى – صلى الله عليه وآله وسلم – ولا يبيعوهم شيئاً.

2 – ان لا ينكحوا اليهم ولا يُنكحوهم.

3 – أن لا يؤاكلوهم ولا يكلّموهم.

4 – ان يكونوا يداً واحدة على «محمَّد» وانصاره.

وقد وقّعت على هذه الصحيفة الظالمة القاطعة كلُ الشخصيات البارزة فى قريش إلاّ «مطعم بن عدى» وأعلنت عن سريان مفعوله بكل قوة وإصرار.

فلما علم حامى النبى الاكبر أبوطالب رضى الله عنه بذلک جمع بنى هاشم وبنى المطلب وحمّلهم مسؤولية الدفاع عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم والحفاظ على حياته وسلامته، وأمرهم بالخروج من مكة وبدخول شعب كائن بين جبال مكة كان يعرف بشعب أبى طالب فيه بعض البيوت العادية، والسقائف البسيطة جداً، والسكنى فى ذلک الشعب بعيداً عن المجتمع المكّى المشرک.

وعمد إلى بث رجال منهم فى نقاط مرتفعة للمراقبة والحراسة تحسباً لأى هجوم مباغت تقومُ به قريش.

وقد استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة، وبلغ الجهدُ بالمحاصَرين فى الشعب بحيث ارتفع صراخ الأطفال من الجوع والضر، وبلغت هذه الصرخات مسامع قساة مكة الاّ انها لم تؤثر فيهم قط. كان الشباب والرجال منهم يعيشون على تمرة واحدة طوال اليوم، وربما تناصف اثنان تمرة واحدة، ولم يمكنهم الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث الاّ فى الاشهر

الحرم حيث يسود الأمنُ كل انحاء الجزيرة العربية.

فـاذا حلّ الموسمُ كانت بنُو هاشم تخرج من الشـعب فيشترون ويبيعون ثم يعودون إلى الشـعب إلى الموسم الثانى. وكان النبى صـلى الله عليه وآله وسلم يستغلّ هو أيضاً تلك المواسم فى نشر دينه، والدعوة إلى ما أتى به.

وكانت عناصـر قريش تحاول مضايقة النبى وأنصاره وتمارس الحصار الاقتصادى عليهم بشـكل من الأشكال حتّى فى هذه المواسم، فكانوا يحضرون عند مواقع البيع والشراء فاذا وجدوا مسلماً يريد أن يبتاع شيئاً اشتروه بثمن أغلى ليمنعوا المسلم منه!!.

وكـان «أبو لهب» أكثر النـاس اصـراراً على هـذا العمل، فقـد كان ينادى فى الأسواق: يا معشـر التجار، غالوا على أصـحاب محمَّد حتّى لا يدركوا معكم شيئاً فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فانا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافاً حتّى يرجع الرجل المسـلم إلى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يديه شىء يطعمهم به، ويغدو التجار على أبى لهب فيربّحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس!!.

وكـان «الوليـد بن المغيرة» ينادى: أيّما رجل منهُم وجـدتموه عنـد طعام يشتريه فزيـدوا عليه فكانت قريش تباكرُهم إلى الأسواق فيشترونها فيغلونها عليهم!!(1).

1- (1) (الشيخ جعفر السبحانى، سيرة سيد المرسلين ص 501-508 بتصرف).

المسلمون فی شِعب ابی طالب

لقد بلغ الجهد والجوع بالمحاصَرین فی الشعب حدّاً جعلهم یأکلون کل ما تقع علیه ایدیهم من الخبط وورق السمر، هذا وقد بثّت قریش جواسیسها علی الطرق المؤدّیة إلی الشعب لیمنعوا من إیصال الطعام إلی من فیه فلا یصل إلیهم شیء إلاّ سراً ومستخفی به ممّن أراد صلتهم من قریش.

فقد روی أن «حکیم بن حزام» (ابن اخ خدیجة) و «أبو العاص بن الربیع» و «هشام بن عمرو» کانوا یسرّبون إلی «بنی هاشم» فی الشعب سرّاً وفی أواسط اللیل تحت جنح الظلام، فکان الواحد منهم یحمل قمحاً وتمراً علی بعیر ویأتی به إلی باب الشعب ثم یصیحُ بها فتدخلُ الشعب ویأکله بنو هاشم. وربما صادفهم بعض جواسیس قریش، فهمُّوا بقتله، أو سبّبوا له بعض المتاعب.

وخلاصة القول; أن قریشاً بالغت فی تضییق الحصار علی رسول اللّه صلی الله علیه وآله وسلم ومن تبعه حتّی أن من کان یدخل «مکة» من العرب. کان لا یجسر علی أن یبیع من بنی هاشم شیئاً ومن باع منهم شیئاً انتهبوا ماله، وکان «أبوجهل»، و «العاص بن وائل» و «النضر بن الحارث بن کلدة»، و «عقبة بن أبی معیط» یخرجون إلی الطرقات الّتی تدخل «مکة» فمن رأوه معه میرة وطعام نهوه ان یبیع من بنی هاشم شیئاً، ویحذرون إن باع شیئاً منهم نهبوا ماله.

کما وعدَوا علی من أسلم فأوثقوهم وآذوهم واشتدّ البلاء علیهم،

وأبدت قريش لبنى عبدالمطلب الجفاء.

ولكن لم يستطع كلُ ذلک أن يفتَّ فى عضد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ويقلل من إصراره وثباته على الطريق، ولا مِن اصرار أتباعه وثباتهم وإيمانهم.

وأخيراً تركت صرخاتُ أطفالِ بنى هاشم فى الشعب من الجوع والعرى والجهد والضر، وأوضاعهم المأساوية أثرها فى نفوس بعض المشركين الموقعين على تلک الصحيفة الظالمة، وذلک الميثاق المشؤوم، فندموا على إمضائهم لتلک المقاطعة بشدة وصاروا يفكّرون فى نقضها بشكل من الأشكال.

ويروى طائفةٌ من المؤرخين أنّ «خديجة» و «أبا طالب» أنفقا أموالَهما برمّتها خلال سنوات المحاصرة.

وفجأة نزل ملک الوحى «جبرئيل» على رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم فى الشعب، وأخبره بان اللّه قد بعث على صحيفة المشركين القاطعة دابّة الأرض فاكلت جميع ما فيها من قطيعة وظلم وتركت جملة «باسمک اللّهم» فأخبر رسولُ الله أباطالب بذلک قائلا يا عمّ إنّ ربّى الله قد سلّط «الإرضة» على صحيفة قريش فلم تَدع فيها اسماً هو لله إلاّ أثبتتهُ فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان.

فقال أبوطالب: إذن لا يدخل عليک أحَدٌ(1).

1- (1) وإنّما اتخذ مثلَ هذا الاجراء حتّى لا يفشوا ذلک الخبر فيبلغ المشركين فيحتالُوا للصحيفة ويكذّبوا بذلک خبر النبىّ - صلى الله عليه وآله وسلم -.

ثم قامَ ولبسَ ثيابَه، ومشى هو ورسولُ اللّه وشخصٌ آخر حتّى دخلوا المسجد على قريش وهم مجتمعون فيه، فلما دَنا أبوطالب منهم قامُوا إليه وعظَّموه، وتباشروا وظنّوا أن الحصر والبلاء حمل أباطالب على التخلّى عن موقفه، فقالوا له: قد آن لک أن تطيب نفسُک عن قتل رجل فى قتله صلاحُكم وجماعتكم (أو قد آن لک أن تسلّم إلينا ابن أخيک).

فقال أبو طالب: واللّه ما جئت لهذا، ولكنَّ ابن أخى أخبرنى ولم يكذّبنى أنّ اللّه تعالى أخبَرهُ أنه بعث على صحيفتكُم القاطعة دابَّة فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وترک اسم اللّه، فهلم صحيفتكم فان كان حقاً فاتقوا اللّه وارجعُوا عمّا أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرَّحم.

وإن كان باطلا دفعتُه إليكم فإن شئتم قتلتمُوهُ، وإن شئتم استحييتموه.

فقالوا: رضينا، وتعاقدوا على ذلک.

ثم بعثوا إلى الصحيفة وأنزلوها من الكعبة، وعليها أربعون خاتماً.

فلما أتَوابها نَظر كلُ رجل منهم إلى خاتمه، ثم فكوها فاذا ليس فيها حرفٌ واحدٌ إلاّ «باسمک اللّهمَّ»، كما اخبرهم بذلک رسول اللّه - صلى الله عليه وآله وسلم -(1).

ثلاث سنوات والمسلمون محاصرون فى الشعب! هم وافراد اسرهم وهم يتضورون جوعا ولا يجدون حتى مكانا يروحون فيه عن انفسهم أو عن اهليهم وكل هذا يحدث وهم فى مكة التى وقعت حلف الفضول لنصرة

1- (1) الشيخ جعفر سبحانى سيرة سيد المرسلين ص 501-508 بتصرف.

المظلومين والأبرياء وهم قرب أقاربهم وبنى ارحامهم الذين ينعمون بما لذ وطاب!!.

ولنا ان نتصور حال اطفال المسلمين بشكل عام فمن المعلوم ان الاطفال عادة هم اكثر الشرائح تضررا فى الحصار الذى يفرض على الدول والجماعات(1) ولنا ان نتصور احوال الناس فى هذه المرحلة الصعبة فقد كان نصيب الواحد منهم فى اليوم تمرة أو نصفها!!، وكان مصعب بن عمير – قبل اسلامه – إذا وضع عطر ومشى فى شارع من شوارع مكة يعرف اهل مكة ان هذا الطريق قد مر به مصعب – وكان أجودهم حلة – لكنه وبعد دخوله فى الاسلام كان جلده يتحشف تحشف جلد الحية – يعنى جلده يتقشر ويسقط كما يتساقط الجلد عن الحية – (وطل علينا مصعب بن عمير وما عليه إلا بردة له مرفوعة بفرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى للذى كان فيه من النعمة وما هو فيه اليوم).

اكل المسلمون كل ما وقع تحت ايديهم حتى مما لا يطاق اكله!! واكلوا حتى اوراق الشجر وحتى (الخبت) وهو نوع من انواع العلف يقدم للإبل!!! واكلوا الجلود بعد نقعها فى الماء!! وفى روايات كثيرة ان صراخ الاطفال كان يسمع من خلف الوادى الى بيوت مكة!!.. ثلاث سنوات على هذه الحال حتى ارسل الله دابة الارض تأكل صحيفتهم وماكتبوه من جور وحيف فلا

1- (1) (هامش: فى الحصار الذى فرض على العراق ما بين 1991-2003 مات مليون ونصف طفل جراء سوء التغذية وفقدان الادوية إضافة الى ارتفاع نسبة الولادات الناقصة من 4/5% عام 1990 الى 25/6% عام 2001!!).

يبقى الا اسم الله (باسمک اللهم) فأعلمهم ابوطالب بالأمر ثم عاد الى الشعب ليعلن انتهاء مرحلة الحصار والعودة الى المنازل.

نهاية الحصار

انتهى الحصار بعد سنين من العذاب والصبر والتحمل وكان لابد من نهاية وكانت للحصار نتائجه التربوية فقد علّم المسلمين على التحمل والقناعة والصبر والزهد والرضا وطاعة النبى القائد صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته.

والى هذه المحنة القاسية يشير اميرالمؤمنين عليه السلام فى الخطبة التاسعة فى نهج البلاغة قائلا:

[وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف واضطرونا الى جبل وعر فعزم الله لنا على الذبّ عن حوزته.]

كما ان حالة الدعم والاعانة التى قدمها من هم خارج الحصار الى من كانوا فى الحصار قد كشفت عن دور هذا الدعم والعون فى انقاذ المسلمين من موت حتمى وعرّف بتأثير اواصر القربى على اصحابها، وان اهل مكة لم يكونوا كلهم راضين عن هذه الصحيفة الظالمة ولهذا سعى الى خرقها حكيم ابن حزام وغيره.

ويروى المؤرخون ان ابا طالب وخديجة عليهما السلام قد انفقا كل أموالهما خلال سنوات الحصار، فلقد استعان الرسول صلى الله عليه وآله

وسـلم بأموال خديجة واموال أبى طالب فى تأمين الحد الادنى من الطعام للمسـلمين. وبديهى ان هذا الانفاق أسهم فى الابقاء على الوضع الحياتى للغالبية دون الموت وكان لهذا الانفاق اكثر من اهمية من حيث انه كشف عن اهمية تقديم العون فى الظروف الحرجة وان الانسانية الصـرفة تظهر فى الازمات كمعين للآخرين ولا فرق فى الانفاق بين الرجل والمرأة بل كانت منافسـة وتسابقا نحو عمل الخيرات حتى اذا ما نضب المال اصاب المسلمين اذى كثير اوشكوامن خلاله على الانهيار التام لولا نصرة الله نبيه وامداده ب - (دابة الارض)..

(وقال الزُهْرى: «بلغنا أنّ خديجة أنفقت على رسول الله (صـلى الله عليه وآله) أربعين ألفاً وأربعين ألفاً»(1). انفقت خديجة جميع ما عندها من المال حتى صارت الى حد الضر والفاقة(2).

هذه كلها صور عاشـتها الزهراء عليها السلام فى هذه المرحلة الحرجة.. صور العطاء حتى النفاد وصور المنع حتى الموت.. صور التضحية معجونـة بصور المعانـاة والالـم.. صور الجوع والبحث فى التراب وصـراخ الجيـاع وانين الكبـار مع صور العبث الجـاهلى والنشوة بانتصار وهمى.

انه مما لا شک فيه ان السنوات الخمس الاولى من حياة الطفل هى السنوات الاصلية لبناء شخصيتة كفرد ولنمو مقوماته الانسانية (المعرفية

1- (1) (تذكرة الخواص: 314).

2- (2) تاريخ اليعقوبى 350/1.

والعقلية) ولتكامل نموه النفسى واللغوى، ويبدأ الطفل فى هذه المرحلة فى التعرف على المفاهيم البسيطة للحياة الاجتماعية وادراك علاقة الطفل باسرته وبالمجتمع ثم هى بداية تشكيل الضمير والتمييز بين الخطأ والصواب.

ففى هـذه السـنين الحرجة من حياة كل فرد تظهر الحاجة الى توفير الاجواء المساعدة على التعلم (تعلم اللغة، تعلم المشـى، تعلم النطق، تعلم اسـلوب التعامل مع الآخرين) الى غير ذلک وبهذا تكون سـنين اساسـية فى نموه مستقبلا... ولنا ان نتصور كيف قضت الزهراء عليها السـلام هذه السنوات الصعبة التى شح فيها الغذاء وانعدمت تقريباً – الحركة الى خارج الشعب وكانت هناک صور المسلمين المؤلمة على الاقل كما ذكر اليعقوبى من (تعالى صـراخ الاطفال الجياع الى خارج الشـعب نفسه) ومع كل هـذه العوامل الصـعبة فمن البديهى ان هذه الطفلـة التى دخلت الحصار وعمرها عامان فقط قضت سـنوات الحصار وهى شـبه ملازمـة للأب والأم فهى لا تكاد تفارقهما ابـدا بل على مقربة منهما ترصد الاحاسيس وتعاين الآلام وتنظر الى الناس القريبين يعيشون نفس الالم والعذاب.. ترى الأب الذى يجد انصاره يتعذبون من اجل نصرته ونصرة الدعوة الفتية التى آمنوا بها.. والأم التى تبذل وتبذل حتى ينتهى كل ما يمكن بذله وهى تعيش الم الجوع والفقر وهى ثرية قريش!!. عاشت الزهراء عليها السـلام فى تقارب تام مع المسـلمين فى محنتهم طوال هذه السـنين وهى معهم تسـمع تلاوتهم للقرآن وترى صلاتهم وتراحمهم.. يؤلمها عليها السلام صراخ جياعهم وتأوهات المسلمين من هذا الطوق المفروض

عليهم.... وحتما كان المسـلمون يتألمون اكثر لمرآها وهى طفلة صغيرة بدأت تحبو على تراب الارض اليابسة وتطالع الوجوه التى اصفرت من الجوع وهم يرون كيف يعيش القائـد معهم يشاركهم المحنة والالم فلا يجد الا الصبر والمواساة لانصاره.. وهذه مهجة قلبه تبيت على الطوى ولا يجد الرسول ما يقدمه لها بعد ان جادت الام بكل طعام ومال!! ترک وجود الزهراء عليها السـلام وهى طفلة فى الشـعب مع باقى اطفال المسـلمين الماً واضـحا (ولـدى اطفال هـذه المرحلـة قدرة هائلة على تخزين "الاشـكال العامة")والصور الموجودة فهى تنغرس فى الذاكرة وربما نجد انفسنا ننسى اشياء حصلت بالامس لكننا نتذكر وقائع حصلت فى الطفولة وبخاصّة الاحداث المرة والمؤلمة!!.

لقـد كانت سـنوات الحصار الثلاث قاسـية لكنها من ناحية اخرى كانت ذات نتائج ايجابية من خلال بيان المعجزة الالهية التى جعلت دابة الارض تأكل الصـحيفة كلها ما عدا اسم الجلالة فكانت سببا لفرح المسلمين بانتصارهم فى حين انكسرت قريش ذاتيا ومعنويا، بل ان هذا الحصار والتجويع قـد جعل العرب خارج مكـة يتساءلون عن أسـباب المقاطعة وعن هذا الدين الجديد وعن مفاهيمه ومع تزامن هذا الامر مع المعجزة الالهية فقد دخل الاسـلام أفواج اخرى من الناس. وقد تعلم المسـلمون الثبات والنصـرة وازدادوا يقينا بالاسلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى غير ذلک من الامور.

هذا هو الجو الذى عاشته الزهراء عليها السلام فى طفولتها، لقد مرت

بصعاب كثيرة ومشكلات متعددة ولا ادرى لماذا لم يكتب التاريخ تفاصيل اكثر عن هذا الحصار كى نفهم كيف عاش المسلمون هذه السنوات العجاف وكيف كانت احوالهم الاجتماعية وكيف تحملوا الحر والجوع والعزلة الى غير ذلک.

ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام فى هذه السنوات الثلاث عاشت ما عاشه كل المسلمين صغاراً وكباراً من جوع وقحط وعدم ملاءمة المكان، عاشت مثلهم وعانت مثلهم وهى ايضا عاشت بسالة الصبر والثبات والجهاد وحفظ الدين والعقيدة... وبذلک تكون طفولتها متميزة عن كل المعصومين عليهم السلام... فقد عاش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اليتم الاولى فقط وكان هناک من يغدق عليه الحب والحنان ليعوض فَقدَ الاب وعاش الامام الباقر عليه السلام اياما قاسية ابان احداث ثورة جده الحسين عليه السلام فى كربلاء حيث كان معهم وكذلک باقى الائمة عليهم السلام والامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف غاب بعد ان مرت طفولته متخفيا!!، انه من الصعب جدا تصور حالة الابوين والاحبة والاصدقاء وهم جميعاً فى وضع مأساوى ضاغط فى زمان واحد ومكان واحد!!.. ولهذا تبقى طفولة الزهراء عليها السلام هى الاقسى والاصعب بما كان وماسيكون بعد الحصار!.

ونمر على احاديث ابيها صلى الله عليه وآله وسلم حول الاطفال والتربية فيقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن

رضيت خلائقه لاحدى وعشرين سنة، وإلاّ ضرب على جنبيه فقد أعذرت إلى الله(1).

وعن يونس، عن رجل عن أبى عبدالله عليه السلام، قال: دع ابنک يلعب سبع سنين، والزمه نفسک سبع سنين، فإن أفلح وإلاّ فإنّه من لا خير فيه(2).

انه صلى الله عليه وآله وسلم يبدى كل الاهتمام بالسنوات السبع الاولى من حيث انها سنوات البناء الاساسى للشخصية كما انها سنوات النمو بكل اشكاله النمو النفسى والجسدى والفكرى والاجتماعى والعاطفى إضافة الى نمو الحواس من خلال اللعب الذى يساعد على اكتشاف قابلياته ومواهبه وينمى مهاراته ويعلمه آليات المشاركة الجماعية مع الآخرين، ودعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى تقبيل الصبيان والرحمة بهم وعدم ايذائهم، ورغم كل هذه التوصيات نجد ان طفولة الزهراء عليها السلام طفولة بعيدة عن الفرح واللعب بل هى طفولة محاصرة فى حركتها أو انتقالها بل ربما فى اظهار مشاعرها بسبب الضغوطات الكبيرة التى مرت على الرسالة آنذاک لكنها فى نفس الوقت طفولة مسؤولة طفولة انسان معصوم وكامل يستشعر همّ الرسالة وهَمّ المسؤولية وبذلک كانت هذه الطفولة الصعبة هى اعداداً للأمر الثقيل الذى ستتحمله الزهراء عليها السلام فيما بعد حينما تقوم بثورتها الفدكية والتى هى اول ثورة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

1- (1) (الوسائل: ج 15 ص 195 ح 7).

2- (2) (الوسائل: ج 15 ص 193 ح 1).

وفاة السيدة خديجة عليها السلام

خرج المسلمون من الحصار مستبشرين بالفوز الالهى وانطلقوا عائدين الى بيوتهم التى تركوها طيلة هذه السنوات وكان الفرح يغمرهم بانتصارهم وهزيمة قريش. وبدأوا شيئا فشيئا بالعودة الى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية (رغم ان قريشاً ازدادت تعنتا وبدأت تبحث عن اساليب اخرى اكثر فاعلية فى القضاء على المسلمين مما يعنى ان الضغوط تزايدت عليهم بشكل اكبر).. فى ظرف العودة الى البيوت وانتهاء الحصار الذى رافقه فرح عظيم تمر الايام حبلى فقد ترك الحصار أثره على السيدة خديجة وعلى أبى طالب وهما فى هذا السن المتقدمة.. عادت السيدة خديجة عليها السلام مع ابنتها الصغيرة الى بيتها الاول الذى فيه احلى ذكرياتها واجمل ايام عمرها بعد ان ذاقوا الم الشِعب والحصار، غير ان المرض كان رفيق الام فلم يمهلها وقتا ولم يمنح ابنتها زمنا فى شعورها بالفرح وكان الامر ايذانا بالرحيل!.. انه اثر السنين واثر الحصار وهاهى السيدة خديجة تعيش الم المرض الذى تنوء عن حمله فى هذا العمر وهى تشعر بقرب الفراق عن الحبيب المصطفى الذى ستتركه فى اشد اللحظات حراجة لحظات العوز الانسانى الى الآخر.. وصورة ابنتها امام عينيها تقتحم كل خاطرة وتقطع كل امنية وتذيب آمال الامهات وأحلامهن الوردية فى بناتهن وهن يدرجن فى ايام الصبا!.. وفى الرواية:

لمّا اشتدّ مرض السيّدة خديجة قالت: يا رسول الله اسمع وصايای:

أوّلاً: إنّی قاصـرة فی حقّک فاعفنی یا رسول الله. قال (صلی الله علیه وآله): «حاشا وکلاّ، ما رأیت منک تقصیراً، فقد بلغتِ بجهدک، وتعبت فی داری غایة التعب، ولقد بذلت أموالکِ وصرفت فی سبیل الله مالَکِ».

ثانیاً: أوصـیک بهـذه - وأشارت إلی فاطمة - فإنّها یتیمة غریبة من بعدی، فلا یؤذینها أحدٌ من نساء قریش ولا یلطمْنَ خدّها ولا یصـحْنَ فی وجهها ولا یزْینَها مکروهاً.

ثالثاً: إنّی خائفـة من القبر، أُرید منک رداءک الذی تلبسه حین نزول الوحی تکفّننی فیه. فقام النبی صـلی الله علیه وآله وسـلّم وأعطی الرّداء إلیها، فسـرّت به سـروراً عظیماً، فلمّا توفّیت خدیجـة أخذ رسول الله صـلی الله علیه وآله فی تجهیزها وغسّـلها وحنّطها، فلمّا أراد أن یکفّنها هبطَ الأمین جبرائیل وقال: «یا رسول الله، إنّ الله یقرئک السلام ویخصّک بالتحیة والإکرام ویقول لک: یا محمّد إنّ کفن خدیجة من عندنا، فإنّها بذلت مالها فی سبیلنا». فجاء جبرائیل بکفنٍ، وقال: «یا رسول الله، هذا کفن خدیجة، وهو من أکفان الجنّة أهداه الله إلیها».

فکفّنها رسول الله صلی الله علیه وآله بردائه الشریف أوّلاً، وبما جاء به جبرائیل ثانیاً، فکان لها کفنان: کفنٌ من الله، وکفنٌ من رسوله(1).

امتدت حیاتها مع رسول الله خمسة وعشرین عامًا متصلة، ربع قرن، لم

1- (1) (المازندرانی الحائری شجرة طوبی 234/2 مرسلا).

تنقل كتب السيرة خلافًا واحدًا حدث بينها وبين رسول الله، لم تنقل كتب السيرة غضبًا ولا هجرًا، لم تنقل طلبًا من السيدة خديجة لنفسها!، (لقد عاشت لرسول الله، تخفف المه وتمسح جراحه وتهون عليه الرزايا وتطلقه الى الغد المنتصر بالفيض الالهى).

نعم ماتت خديجة فى وقت كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم احوج ما يكون اليها والى وجودها الى جواره... وكانت الزهراء عليها السلام فى طور النمو احوج ما تكون الى وجود امها معها... رحلت فى ظرف عصيب للغاية وقريش تقتنص الفرص للانقضاض على الدين واهله.. وبذا حرمت الزهراء من امها. وماكان موت الام يعنى فقط غياب الجسد بل انه اكبر من هذا واعظم فهو غياب الامن والامان وهو غياب مشاعر الحب والعطف وهو ايذان بالوحدة فى تيار الالم الجارف. فالامومة اعظم بكثير من ان توصف بكلمات.

ماتت الام وقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدفنها فى قبرها المعروف فى مكة غير ان ثقل الهم كان شديدا فماذا سيقول لابنته الصغيرة أيخبرها بالحقيقة وهى طفلة صغيرة ام يخفى الامر؟ ولكن الى متى؟ أيمكن للرسول ان يكتم الحقيقة عن ابنته ويبقى يعدها بانها ستلتقى بامها فى القريب العاجل فى محاولة لإسكات الالم مؤقتا ام انه يضع ابنته امام الحقيقة التى لابد منها وهى موت والدتها؟ تقول الرواية:

عن القطب الراوندى عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«إن خديجة لما توفيت جعلت فاطمة تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدور حوله وتسأله: يا أبتاه أين أمى؟ فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله: يا أبتاه أين أمى؟ ورسول الله لا يدرى ما يقول، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: إن ربک يأمرک أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: إن أمک فى بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام»(1).

لقد كان وفاة هذه الام العظيمة هى احدى محطات الحزن فى حياة الزهراء عليها السلام بعد العودة الى البيت وما ذا كان بوسع الرسول ان يفعل غير ان يخبرها الحقيقة!.. لنتعلم نحن كيف نتعامل مع المحطات الصعبة فى حياة الاولاد ولنتابع آراء علم النفس الحديث فى هذا الشأن اذ يقول:

.. تعد الام من الدعامات الأساسية فى المنزل ومعرفة اولادها بانها ستفارقهم الى الابد قد تكون بمثابة الكارثة بالنسبة اليهم ولكن كيف يمكن للأهل أن يوصلوا إلى اولادهم فكرة أن احدهم سيغادرهم وإلى الأبد من دون أن يتركوا فى داخلهم جرحاً عميقاً لا يقدر حتى الزمن على ازالته؟ اذ تعد مسألة "الموت" من المسائل الأكثر حساسية فى ما يتعلق بالتعامل مع الأولاد حتى ولو تخطوا سنوات الطفولة واصبحوا فى سنوات الشباب ولا يقدر معظم الأهل على مواجهة ابنائهم بحقيقة الأمر خوفاً عليهم من قسوة

1- (1) (الخرائج والجرائح ج 2 ص 529 ح 4، عنه بحار الأنوار، ج 43، ص 27).

هذه الحقيقة إلا أنه فى كثير من الأحيان ينبغى إعلام الأولاد بالحقيقة مهما كانت.

تقول د. جولى ستروكس الاختصاصية النفسية، أن هناك العديد من الطرق التى يمكن تجربتها فى التعامل مع لحظات الألم والحزن كما أن الأطفال والشباب فى هذه الايام يدركون القليل جداً عن أمور الموت، على الرغم من أنه، وبمعدل نصف ساعة، يفقد طفل واحد أحد أبويه لقد سادت فى المجتمع أن فكرة الحديث عن الموت هى من الممنوعات حيث إن معظم الناس يمتنعون عن ذكر هذه المسألة، وخاصة امام الاولاد.

إن محاولة اخفاء حقيقة وفاة الام عن الأولاد هى فعلاً مسألة خاطئة، حيث إنها لا تحمى الطفل، بل على العكس فإنه سيصدم لرحيلها، كما قد يعتقد أنه السبب فى رحيلها هذا وان الاطفال عادة ما يكونون فعلا قادرين على تقبل وتحمل مسألة الموت وعواقبه.

إن مسألة الموت هى مسألة حساسة للغاية ولا ينبغى أن تصبح ابداً شيئاً من المحرم ذكره حيث ينبغى ان يعرف الاولاد الحقيقة الصحية لأهلهم فالصمت أمامهم والهمس وراء الأبواب المغلقة حركات خاطئة فعلا ويجب اشراك الأطفال فى هذه المسائل ومساعدتهم على ان يعبروا عما يدور فى بالهم من افكار ومشاعر وأن لا يخفوها فى داخلهم. (دراسة حديثة شبكة bbc.)

ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجيب بوضوح عن سؤال الزهراء عليها السلام عن امها..

ص:120

لقد اخبرها الحقيقة ولم يخفِها فالزهراء عليها السلام على الرغم من صغر سنها الا انها اهلٌ لأن تتحمل هذه الحقيقة بكل ما فيها من الم... فهى الانسان المعصوم الذى استقبل مفهوم الموت بالقول (فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام) كلمات صابرة تستحق الاكبار وهى تعرفنا بشىء يسير من عظمة الزهراء نفسها.. ونحتاج الى ان نقف من هذا الحوار لنتزود شيئاً من معارف اهل البيت عليهم السلام التى لا تعد ولا تحصى:

ان سؤال الزهراء عن امها هو امر منطقى وطبيعى وهو ليس مؤشرا على اليأس ابدا فالكبير والصغير كلاهما سيان فى الامر اذ لابد ان يكون هناك تساؤل عن سبب الغياب.. ونجد انها تدور حول والدها صلى الله عليه وآله وسلم لتأخذ منه الخبر الصحيح وان كان مؤلما فهو صلى الله عليه وآله وسلم كل ما بقى لها فى هذه الدنيا.

وترك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لها السبيل فى التعبير عن حزنها، فالحزن امر طبيعى وليدع مشاعرها تنطلق وبشكل عفوى دون إرغام على الكبت...

(ان الحزن والفقد فى حياة الانسان لا يلاحظ دائما كعوامل سلبية بل انه احيانا يحرر نمو الطفل وتقوده ليصل الى نمو طبيعى فقد تؤدى مثل هذه الظروف للطفل الى الاعتماد على النفس وعدم الاعتمادية على الغير مما يؤدى الى النضج الاجتماعى).

ص:121

ان الرسول بقى ينتظر الرد المناسب لاسـئلة الزهراء حتى جاء جبريل فأخبره فكان ان بدأ صـلى الله عليه وآله وسـلم يعلمها الامر باسـلوب منـاسب عن الوفـاة لـم يقل لها انها تركتک بلا رجعـة بل وصف لها المكان الـذى انتقلت اليه وبشـكل يخفف الحزن... فنزل جبرائيل عليه السـلام فقال: إن ربک يأمرک أن تقرأ على فاطمـة السـلام وتقول لها: إن أمک فى بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران.

ان الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم كان مع الزهراء فى هذه اللحظة الحرجة ورحيل السيدة خديجة عليها السلام كان ثقيلا عليه ايضا فهو يفـارق احب انسان اليه لكنه رغم ذلک لـم ينسَ واجبه الابوى تجاه ابنته التى ثكلت بأمها وكان لوجود الرسول اثر كبير فى تقبل المصاب؛ إذ إن مؤشرات الرعاية تتناسب عكسيا مع تخفيف ثقل المصاب.

ولهـذا نجـد الزهراء تتساءل عن امها اين هى؟ فيأتى جبرئيل طالبا من الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم اخبارها بالحقيقة بما وصـلت اليه خديجة من بيت من قصب.. فالصورة الجديدة الجميلة يمكن ان تزيح - ولو الى حد ما - صورة الاسـى والحزن رغم ان الزهراء المعصومة هى قمـة الصبر فهى الانسان الكامل الـذى يـدرک الامور، لكن تبقى مشاعر الانسانية جياشة والعواطف متأثرة بالفقد على حد قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما فقد ولده الطاهر (ان العين لتدمع وان القلب ليحزن)(1).

1- (1) البحارج 74.

ان غياب الام الـدائم بالموت – خاصة اذا كان فجأة – يؤثر على الطفل تأثيرا كبيراً وبخاصة فى السـنوات الاولى فى حياته والتى هى سـنوات بنائيـة للبناء النفسـى والعاطفى والاجتماعى للطفل ولهـذا نجـد ان غياب الام اذا لم يعالـج بإعانات عاطفيـة مقدمـة من مقربين (كالاب أو الخالـة) مثلاً فان البناء النفسـى للطفل يمر بأزمة قد تؤدى به مسـتقبلاً الى سـلوكيات غير مرضـية ولعل واحدة من اهم مشـكلات العصـر الحـديث هو الحرمـان من الامومـة بمعنى الحرمان عن وجود الام العاطفى فهـذا الحرمان قـد يكون مع وجود الام ذات النموذج الثلجى والتى لا تبـدى مشاعرها ولا تتعامل بعواطفها مع ولـدها، وقـد يكون فى غياب الام المؤقت كالام العاملة أو الغياب الدائم والذى قد يكون سببه الموت أو الطلاق... فالام محور حياة الطفل فاذا غابت يبدأ الطفل بالسؤال وتقصـى الحقائق عن سبب الغياب واحيانا ينتابه القلق لانه لا يحصل على اجابة شافية فيلجأ الى الصـراخ اذ انه لايحصل على جواب شافٍ أو مقنع وهذه هى المرحلة الاولى للطفل فى اظهار الحداد بعـد غياب الام وتسـمى مرحلـة الاحتجاج ثم تعقبها مرحلـة اليأس من عودة الام.. هنا يبـدأ الطفل فى محاولـة لفهم معنى الغياب فيتألم وينكمش وينسـحب الى ذاته وربما يلجأ الى الصـراخ أو التحجـج بأمور مختلفة فقد أدرك ان غياب الام ابدى ولا رجعة فيه، هنا يظهر تأثير الآخرين وما يحوطونه من عناية به فيبدأ شـيئا فشيئا يتقبل الامر (واحيانا تكون الحالة انسيابية سهلة اذا كان الطرف الراعى قادراً على التعامل السليم مع الطفل ويمتلك آليات الاحتواء وسعة الصدر والمفردات

الطيبـة التى تُشـعر بـالود مع المفردات التى يتحملهـا عقله فى فهم الاـمر ثم يصـبح الطفل هادئاً تماماً ففقـدان الأمل فى عودة الأم يجعل الطفل يتقبل الرعايـة من الآخرين انه يبدأ يتراجع الى الذات محاولا لملمة الجراح والخروج من الازمة). بعدها يبدأ الطفل فى مرحلة تقبل البـدائل عن الام وهى مرحلـة الانفصال والتى تعتمـد اساسا على البدائل عن الام وعلى الاساليب المتبعة فى التعامل ومدى احترام الطفل وتقدير مشاعره.

وفى الروايات:

إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل فاطمة عليهاالسلام عند ابنة عمه ام هانى بنت ابى طالب بعد وفاة خديجة عليها السلام لرعايتها والقيام بشأنها(1).

ان رحيل السـيدة خديجة رضـى الله عنها ترک اثره الجلى على الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم نفسه وجاء الامر متزامنا مع رحيل حامى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم أبى طالب رضـى الله عنه فسمىّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عام الرحيل هذا بعام الحزن وبقى فى البيت الـذى خلا من خديجة يقلب طرفه مع ابنته الصـغيرة التى كانت بأمس الحاجة الى الرعاية الامومية... واسـتمر الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم فى مشواره الدعوتى يتحدى (قطعان قريش) المكابرة ويستمر فى دعوته الى نبذ الاوثان وتوحيد الله

1- (1) (اخرجه السيوطى فى حديث عن عبدالرزاق عن ابن جريح مسند فاطمة الزهراء عليها السلام / السيوطى: 119 نقلاً عن كتاب سيدة النساء فاطمة الزهراء على موسى الكعبى / مؤسسة الرسالة)

تعالى وهنا بدأت الزهراء عليها السلام تتقمص ادوار امها فى رعاية ابيها فاصبحت تتابع شؤونه وتتفقد احواله وتخفف آلامه فازداد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حنوّاً على ابنته فكانت علاقة اقوى واعمق، لكن موقع خديجة فى قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مازال باصما اثره وبقيت الزهراء تفتخر بانها ابنة خديجة الكبرى.

الرعاية الابوية

اهتم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة عليها السلام اكثر بعد رحيل السيدة خديجة واصبحت محط عنايته ورعايته ليس فقط فى المدّة التى كانت فى بيته بل حتى بعد ان تزوجت وانتقلت الى بيتها الزوجى وهذا ان دل على شىء فهو اشارة الى العلاقة القوية بين الاثنين.

وكانت مكة تغلى بما فيها من احداث؛ اذ اشتدت مضايقة قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبخاصة بعد ان غاب حامى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناصره عمه ابوطالب رضى الله عنه فانبرت بكل الوسائل الضاغطة عليه مما جعله يبحث عن اماكن اخرى خارج مكة لتكون محطة للدعوة الاسلامية فذهب الى الطائف ولكنه لم يحقق شيئا فيها.. وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعود الى البيت بعد صراع مرير مع قريش فلا يجد سوى طفلته الصغيرة التى عاصرت كل الظروف الصعبة معه فكان يبذل جهدا فى تسلية خاطرها وتبريد المها رغم همومه الكثيرة وماكان يلاقيه فى سبيل الدعوة.. ولقد وجدت الزهراء عليها السلام عند ابيها المساندة والرحمة

والحنان فكان يغمرها بحنانه وعاطفته ليس فى طفولتها فحسب بل حتى فى شبابها وبعد زواجها.. وقد سعى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى توفير مناخ اسرى آمن للزهراء رغم حمى الوطيس خارجه وكان يعتمد آليات الحوار المشبع بالعاطفة والحنان وزرع الامل بهلاک المشركين..

فقد روى مسلم والبخارى فى الصحيح عن عبدالله، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبى معيط بسلى جزور، فقذفه على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت على من صنع ذلک فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "اللهم عليک الملأ من قريش أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربيعة وعقبة بن ابى معيط وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف – أو أبى بن خلف –" قال عبدالله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فالقوا فى القليب(1).

كانت الزهراء عليها السلام تتألم لما يتعرض له ابوها من اذى من قبل قريش وتحاول ان تخفف الالم بما تستطيع.

روى البيهقى بالاسناد عن ابن عباس عن فاطمة عليها السلام قالت: "اجتمع مشركو قريش فى الحجر فقالوا: إذا مر محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ضربه كل واحد منا ضربة، فسمعته (فاطمة) فدخلت على ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلک له، فقال: يا بنية اسكنى ثم خرج

1- (1) (صحيح مسلم 108/1419 كتاب الجهاد والسير. ودلائل النبوة / البيهقى ج 278/2).

فدخل عليهم المسجد، فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا، فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر كافرا"(1).

وكـان صـلى الله عليه وآله وسـلم يرى ان ابوته لا تنقطع بمرور الايام ولهـذا نجـد الروايات تعرض لنا صورا من تقـدير واحترام الاب للابنة (وسنمر على الشكل المعاكس حين الحديث عن الزهراء ودورها الاجتماعى).

وإذا أراد سـفراً أو غزاة كان صـلى الله عليه وآله وسـلم آخر الناس عهداً بفاطمة عليها السـلام، وإذا قدم كان صـلى الله عليه وآله وسلم أول الناس عهداً بفاطمة عليها السلام(2).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم... يدعو لها(3).

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكثر من زيارتها وتعهدها ويقول لها: «فداك أبى وأُمّى»(4). ويقبّل رأسها فيقول: «فداك أبوك»(5).

وهنا تعليق لطيف لابن شهرآشوب المازندرانى يقول فيه:

" ولو لـم يكن لها عنـد الله تعالى فضل عظيم لـم يكن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يفعل معها ذلك، إذ كانت ولـده، وقـد أمر الله تعالى بتعظيم

1- (1) (دلائل النبوة البيهقى ج 276/2 ومسند فاطمة الزهراء عليها السلام - السيوطى / 118).
2- (2) (مستدرک الحاکم 489:1 و 165:3.. وذخائر العقبى: 37. ومسند أحمد 275:5).
3- (3) (مناقب ابن شهرآشوب 334:3. ومقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمى 66:1).
4- (4) (مستدرک الحاکم 156:3).
5- (5) (مقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمى 66:1. وذخائر العقبى: 130).

الولد للوالد، ولا يجوز أن يفعل معها ذلک وهو بضد ما أمر به أمته عن الله تعالى"(1).

وحينما ماتت رقية اختها قعدت على شفير قبرها إلى جنب النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهى تبكى، فجعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الدموع عن عينيها بطرف ثوبه رحمةً لها(2).

وكان الرسول يتحسس ابوته فى مناداتها له فكان يأنس بكلمة الابوة ويجد حلاوة فى ندائها له فلما نزلت الآية:

«لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً» «قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِواذاً» «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ» النور 63.

قالت فاطمة عليها السلام:

هبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أقول له: يا أبه فكنت أقول: يا رسول الله فأعرض عنى مرة أو اثنتين أو ثلاثا ثم أقبل على فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيک، ولا فى أهلک ولا فى نسلک، أنت منى وأنا منک إنما نزلت فى أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر قولى: يا أبة، فإنها أحيا للقلب، وأرضى للرب(3).

1- (1) (المناقب ج 3 ص 112).

2- (2) (مسند أحمد 335:1. وتاريخ المدينة المنورة | ابن شبة 103:1).

3- (3) (البحار للمجلسى 32 43-3).

وكانت إذا دخلت على النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم قام إليها فقبّلها وأجلسها فى مجلسه، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته فى مجلسها(1).

ومرة لم يسـعفها جَلَـدُها ولا تصبُّرها وهى تشاهـد ما ينزل بأبيها العظيم فانفجرت باكية وهى تزيل التراب والاوساخ عن وجهه ورأسه وثيابه فرفع صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إليها قائلا: ان الله مانعٌ اباک وناصره على اعداء دينه ورسالته.

ونجد ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعزز موقع الزهراء عليها السلام حتى فى امور الخيرات ولنتأمل هذه الحكاية:

عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: صـلى بنا رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم صلاة العصر، فلما انفتل جلس فى قبلته والناس حوله. فبينما هم كذلک إذ أقبل شـيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلل وأخلق، ولا يكاد يتمالک كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستحثه الخبر، فقال الشيخ: يا نبى الله! انا جائع فأطعمنى، وعارى الجسد فاكسنى، وفقير فأرشِدنى!

فقـال صـلى الله عليه وآله وسـلم: مـا أجـد لک شـيئاً، ولكن، الـدال على الخير كفاعله، انطلق الى منزل من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق الى حجرة فاطمة (وكان بيتها ملاصق بيت رسول

1- (1) (سنن الترمذى 3872:5l700 ومستدرک الحاكم 272:4).

الله)، وقال: يا بلال، قم فقف به على منزل فاطمة.

فـانطلق الأـعرابى مع بلالـل، فلما وقف على باب فاطمـة نادى بأعلى صوته: السـلام عليكم يا أهل بيت النبوة، ومختلف الملائكـة، ومهبط جبريل الروح الأمين بالتنزيل من عند رب العالمين، قالت فاطمة: عليک السلام، فمن أنت؟

قال: شـيخ من العرب: أقبلت من أبيک السـيد البشـير من شـقة، وأنا يا بنت محمـد صـلى الله عليه وآله وسـلم عارى الجسـد جائع الكبد، فواسينى يرحمک الله!

وكان لفاطمـة وعلى فى تلک الحال ورسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم ثلاثاً ما أطعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم ذلک من شأنها، فعمدت فاطمة الى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين عليهما السلام فقالت: خذ هذا أيها الطارق، فعسى الله أن يختار لک ما هو خير منه.

قال الأعرابى: يا بنت محمد، شكوت إليک الجوع فناولتِنى جلداً، ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟!

قال (جابر الأنصارى): فعمـدت الى عقـد كان فى عنقها أهـدته. لها فاطمـة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته الى الأعرابى، وقالت: خذه وبعه، فعسى الله أن يعوضک به ما هو خير منه!.

فأخذ الإعرابى العقد وانطلق الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم والنبی جالس فی أصحابه، فقال: یا رسول الله، أعطتنی فاطمة هذا العقد فقالت: بعه فعسی الله أن یصنع لک.

قال (جابر): فبکی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وقال: کیف لا یصنع الله لک وقد أعطتک فاطمة بنت محمد سیدة بنات آدم؟

فقام عمار بن یاسر علیه السلام فقال: یا رسول الله، أتأذن لی بشراء هذا العقد؟

قال: اشتره یا عمار: فلو اشترک فیه الثقلان ما عذبهم الله بالنار.

فقال عمار: بکم العقد یا أعرابی؟

قال: بسبعة من الخبز واللحم، وبردة یمانیة أستر بها عورتی وأصلی بها لربی، ودینار یبلغنی الی أهلی.

وکان عمار قد باع سهمه الذی نقله رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من خیبر ولم یبق منه شیئاً، فقال: لک عشرون دینار ومئتا درهم هجریة وبردة یمانیة، وراحلتی تبلغک أهلک، وشبعک من خبز البر واللحم.

فقال الأعرابی: ما أسخاک بالمال یا رجل!

فانطلق به عمار فوفاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابی الی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال له رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: أشبعت وکُسیت؟

قال الأعرابی: نعم، واستغنیت بأبی أنت وأمی، قال فاجز فاطمة بصنیعها.

فقال الأعرابى: اللهم إنک إله ما استحدثناک، ولا إله لنا نعبده سواک، وانت رازقنا على كل الجهات، اللهم اعط فاطمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

فأمن النبى على دعائه، وأقبل على أصحابه فقال: إن الله قد أعطى لفاطمة فى الدنيا ذلک، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلى، وعلى بعلها ولو لا على لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما، سيدا شباب أهل أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة. وكان بإزائه مقداد وعمار وسلمان، فقال: وأزيدكم؟

قالوا: نعم يا رسول الله.

قال أتانى الروح - يعنى جبرائيل - وقال: إنها إذا قبضت ودفنت يسألها الملكان فى قبرها: من ربک؟ فتقول: إن الله ربى، فيقولان: فمن نبيک؟ فتقول: أبى. فمن وليک؟ فتقول: هذا القائم على شفير قبرى.

ألا وأزيدكم من فضلها؟ إن الله قد وكل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها، وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها فى حياتها، وعند قبرها وعند موتها، يكثرون الصلاة عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، فمن زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن زار فاطمة فكأنما زارنى، ومن زار على بن أبى طالب عليه السلام فكأنما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنما زار علياً، ومن زار ذريتهما فكأنما زارهما.

فعمد عمار الى العقد فطيبه بالمسک ولفه فى بردة يمانية، وكان له عبد

اسـمه سـهم، ابتاعه من ذلک السـهم الذی أصابه بخیبر، فدفع العقد الی المملوک وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأنت له، فأخذ المملوک العقد فأتی به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فأخبره بقول عمار.

فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: انطلق الی فاطمة فادفع إلیها العقد وأنت لها، فجاء المملوک بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فأخذت فاطمة العقد وأعتقت المملوک.

فضحک الغلام! فقالت: ما یضحکک یا غلام؟

فقال: أضحکنی عظیم برکة هذا العقد، أشبع جائعاً، وکسی عریاناً، وأغنی فقیراً، وأعتق عبداً، ورجع الی ربه(1).

ان المتأمل فی هذه الروایة یجد أموراً طیبة منها ان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم لم یخیب الرجل الفقیر بل أرشده الی من یعینه والدال علی الخیر کفاعله، هـذا من جهـة، ومن جهـة اخری انه یرشـده الی بیت فاطمـة وهو یعلم انها تبیت علی الطوی وهو بهـذا العمل یرید ان یلفت نظر الشارع العام الی مناقب ابنته فاطمة ویسـلط الضوء علی کرمها وسـخائها ولو لم یفعل ذلک لما کانت هذا الواقعة التی اصـبحت متواترة بین الناس یحکون بها فی مجالسـهم.. ولم یکتف الرسول صـلی الله علیه وآله وسلم بذلک بل انه تابع الامر وأرسل من یتابع لیکون عینا ناظرة ومتابعِة لهذا العطاء ومن ثم طلب من الاعرابی الدعاء

1- (1) (بحار الأنوار: 56/43).

لفاطمـة ولـم تكن عليها السـلام بحاجة الى هذا الدعاء بل أراد ان يعلم الآخرين شـكر النعم اولا كما ان الدعاء للاولاد من قبل الغير يثلج صدور الآباء وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم جذلا بما قدمته ابنته على قلة ذات يدها. ولقد كان الرسول يزداد حنوا واهتماما بابنته وكانت البنت تزداد حبا وحنوا على ابيها فهى تتابعه بمفاصل الرسالة الخطرة وتعيش معه التفاؤل بالنصر الكبير.

ان متابعـة شؤون الاولاـد لهو امر مهم ليس فقـط من جـانب الآباء كأمر تربوى بل هو يُشـعر الابناء بان لهم مكانتهم عنـد الآباء وهم ليسوا مهملين لشأنهم وهو دلالة على قبول الآباء للابناء بجنسـهم وهويتهم وصورتهم المادية والمعنوية ولا شـىء اعز للطفل من الشعور بمكانته عند والديه واستحسان حالة القبول عنده.

وفى دراسة ان الابناء الذين يشارک آباؤهم فى التربية يكونون اكثر قوة واكثر قدرة على التفاعل الاجتماعى الناجح واكثر مقدرة على مواجهة وحل المشكلات الحياتية.

وقد نشرت صحيفة (العربية) مقالا حول انحراف الاحداث ختمته بالقول:

ان افضل السبل للقضاء على انحراف الاحداث هو ان تلتقط الآباء من الشوارع ليلا!!...

وللاسف فإن كثيراً من الآباء يلقى بتبعات تربيـة البنت على امها (وكأنها لا اب لها) معتقدا ان البنت لا تحتاج لأبيها فى حين ان هناک مثلاً شائعاً

يقول: (كـل فتـاة بأبيها معجبـة) ولا أدرى لماذا لـم يقل كل فتى -!!.. وقـد تكون البنات اكثر احتراما للآباء واقل تمردا واكثر حنانا لهم وربما يعود السـبب الى انخفاض مؤشـر التمرد على التقاليد والاعراف عندهن اضافةً الى كون البنات اكثر حماية للأسـرة واكثر رغبة فى التواصـل معها ولهذا فهى حتى لما تتزوج تبقى تذكر البيت الاول وتكون (كل فتاة بأبيها معجبة).

كما ان حضور الاب فى الاسـرة يؤثر على الاب نفسه ففى المعالجات الحديثـة للامراض النفسـية وبخاصة القلق والاكتئاب تأتى الدعوات ملحـة الى الآبـاء المصـابين بالاضـطرابات النفسـية بأن يلعبوا مع اطفالهم وان ينسـلخوا ولو مؤقتا عن عمرهم ويـدخلوا عالم الطفولـة بكل مباهجه وافراحه التى تنسـيهم الهم والحزن.. اضافة الى ان مشاركة الاب فى العملية التربوية داخل الاسرة تشعره برغبة اكثر بمعرفة ما يدور فى المجتمع كوضع المدرسـة والشـارع والجيران.. ووضع البيت فى غيـابه وهـذه امور تجعـل الاـب نفسه اكثر احساسا بالمسؤوليـة واكثر احساسا بقيمة مكانته ودوره فى الاسـرة والمجتمع واكثر رغبة فى التعاون مع الآخرين خارج الاسرة لايجاد الحلول للمشكلات التى يعانى منها المجتمع والتى تهدد الوضع التربوى والانسانى للآبآء وكل هذه الامور ستسهم فى زيادة المدد المعنوى للآبآء ثم الابناء كما انها تجعله فى سـعى دؤوب هو وابناء المجتمع وباقى اعضاء الاسـرة الممتـدة والنوويـة من اجل تسـهيل سـبل النجاح للابناء وتسـهيل عملية نموهم الاجتماعى والثقافى والنفسى.

وكان الامام زين العابدين عليه السلام - وهو نموذج الاب الكامل -

ص:135

يدعو لابنائه فيقول: (واجعلهم أبراراً اتقياء بصـراء سامعين مطيعين لک ولأوليائک محبين مناصـحين ولجميع اعدائک معاندين ومبغضـين). (الصحيفة السجادية).

ان تعامل الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم مع الزهراء يجعلنا امام موقف يتطلب تجديد النظر فى العلاقات الاسرية والاجتماعية ولاسيما فى علاقـة الآباء ببناتهم فالاب للبنت مصدر حماية وثقة وهو معبر الفهم الاولى للفتاة لعالم الرجل الذى سـتدخله مع زوجها، كما انه من روافد نجاح المرأة وتشكيل رؤية سليمة لهاعن الحياة والمجتمع. وعموما نجد الاب المعاصر يعيش فى عالم بعيد عن ابنته.

رأى النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فاطمة عليها الصـلاة والسلام وعليها كساء من أجلة الإبل وهى تطحن بيديها وترضع ولدها، فدمعتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا بنتاه، تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة».

فقالت: «يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه».

فأنزل الله:«وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضى» .

قـالت عائشـة: خرج النبى (صـلى الله عليه وآله) غـداة وعليه مرط – كسـاء – مرحل من شـعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله. ثم قال:«إِنَّما

يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (الأحزاب: 33)(1).

عن زيد بن على عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما سميت ابنتى فاطمة لأن الله تعالى فطمها وفطم من أحبها من النار»(2).

وعن الصادق عليه السلام قال: أتدرى أى شىء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرنى يا سيدى، قال: «فطمت من الشر»(3)، أى إنها خير محض.

1- (1) صحيح مسلم 1883:4 كتاب الفضائل باب (9) باب فضائل أهل بيت النبى عليهم السلام: ح 61.

2- (2) (الكافى للكلينى: ج 1، ص 464).

3- (3) (المناقب لابن شهر آشوب: ج 3، ص 110، ط الحيدرية).

هجرة الزهراء عليها السلام

اشارة

الهجرة ظاهرة قديمة عرفتها الامم والشعوب المختلفة وكان الحصول على الماء والطعام هو احد أهم أسباب الهجرة فى العهود الغابرة ثم تعددت أسباب الهجرة مع ازدياد حالة اضطهاد الانسان والبحث عن ملاذ آمن كى يعيش فيه بحرية وذلک بعد ان تطور الفكر الانسانى وتطورت المجتمعات. فأحيانا تكون الهجرة لطلب القوت والبحث عن فرص عمل جديدة (كما فى هجرة العمالة النسائية والرجالية من شرق آسيا الى دول الخليج) واحيانا تكون الهجرة من اجل الحصول على ملاذ آمن أو البحث عن مكان جديد ينعم الفرد فيه بالحرية التى تساعده على اطلاق الافكار الجديدة التى يحملها ليجمع الانصار و المؤيدين كما حصل مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومع كثير من المصلحين والثوار وربما لايعود المهاجرون الى موطنهم الاصلى الامر الذى يشير الى ارتفاع مؤشر الاندماج فى المجتمع الجديد وهذا يعنى تغيير الهوية والثقافة.

ص:138

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ليس بلد أحق بک من بلد، خير البلاد ما حملک»(1).

وقال (عليه السلام): «شر الأوطان ما لم يأمن فى القطان»(2).

ان الامر الالهى جاء الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يأذن له بالهجرة هو وأسرته وباقى المسلمين بعد ان وصل اذى قريش حدا لا يطاق واصبح امر نجاة الفئة المؤمنة هو المطلوب.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحمل مشروعا تغييريا الى البشرية كلها وبهذا كان لابد من البحث عن الارضية المناسبة لانطلاقة المشروع وصيانته ونشره وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل فى مواسم الحج ويدعوهم الى الاسلام والايمان حتى آمن رهط من المدينة وبايعوه فى بيعة العقبة الاولى والثانية، فلما حمى الوطيس بمكة لم يجد الرسول بداً من الهجرة تاركا فى مكة كل ذكرياته وعلاقاته وخرج منها خائفا يترقب الى (طيبة أو يثرب) التى أصبحت فيما بعد مدينة الرسول وعاصمته.

ولقد كانت الهجرة النبوية المفصل الاساس فى حياة الرسالة اذ انه وبعد الهجرة الى المدينة تم توفير الاجواء الآمنة للمسلمين ليؤدوا شعائرهم وفرائضهم بحرية دونما خوف أو خشية من التعرض للاذى بما مهد لتأسيس

1- (1) غرر الحكم ودرر الكلم: ص 335 ق 4 ب 1 الفصل 5 ح 7720.

2- (2) غرر الحكم ودرر الكلم: ص 447 ق. 6 ب 4 الفصل 7 ح 10256.

دولة الله التوحيدية الكبرى.. فلقد مكنت الهجرة من تأسيس العاصمة الحرة للدولة الجديدة والتى زادت رقعة دولتها مع الايام بفضل تزايد عـدد الداخلين فى الاسـلام واتساع الفتوحات حتى صارت دولة كبرى تمتد من المحيط الى الخليج. فهى اذن احدى نقاط التحول الكبرى فى حياة الانسان المسلم التى تركت آثارها النفسية والاجتماعية والثقافية على مدى الزمان.

فقد كان لهجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة آثارها الايجابية فى الحصول على البيئة الآمنة والتخلص من الضغوطات التى كانت تمارسـها قريش وارساء القاعدة القوية فى العاصـمة الجديدة للدولة الاسـلامية ورغم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل مكة بعد هجرته – الاّ مرة واحدة الا ان الحنين الى البلد الاصلى ظل ملازما له طيلة حياته ويشير اليه قوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرادُّکَ إِلی مَعادٍ قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدی وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ» القصص 85.

فالهجرة عملية تضـحية وبذل وعملية انسلاخ شاق – ولو مؤقت – عن الوطن والعلاقات والرغبات فهى محطة خطيرة لكنها قد تكون مطلوبة وبخاصـة فى مراحل الخطورة والاضـطهاد السياسـى والازمات الاقتصادية وبعد الكوارث.. ولقد خرج المسـلمون عن ديارهم تاركين مكة لسادتها وكبرائها المتغطرسين ويؤنسهم ويشد إزرهم فى رحلتهم المحفوفة بالمخاطر والمقتحمة للمجهول ايمانهم بالله وثقتهم الكبرى بأنه ناصر لنبيه لا محالة.

ومع تنوع أسباب الهجرة – اية هجرة – ونتائجها فان المهم هنا هو منظومة القيم فى الهجرة فهى اما ان تكون هجرة تصاعدية فى القيم كما فى هجرة المسلمين الى مجتمع المدينة حيث اقاموا دعائم الدولة الفاضلة وكان المجتمع المدنى صورة لتجلى الفضائل الانسانية والاخلاق العليا لكن الامر ليس هكذا دائماً ففى احايين كثيرة – والعياذ بالله – تكون الهجرة سببا لانتكاسة القيم أو انحطاطها ومن الارقام التى عندنا انه بعد الحرب العالمية الاولى هاجر 4 ملايين مسلم الى امريكا اللاتينية بحثا عن الحياة الافضل ولكن لم يبق من هؤلاء ثابتا على دينه واسلامه سوى 700 فرد فقط حسب احصائية عام 2000!.

الى يثرب

وكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون افراد اسرته ومن ضمنهم الزهراء عليها السلام بعد ان ابقى عليا عليه السلام فى فراشه لتضليل المشركين من جهة وليؤدى الامانات ثم بعد ذلک كانت هجرة السيدة فاطمة التى تشير الروايات الى ان عمرها الشريف آنذاک كان الثامنة على تقدير اكثر الروايات.

فلما عزم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الهجرة الى يثرب ترک عليا فى فراشه وأوصاه برد الامانات وأن يلحق به مع من بقى من النسوة، وهن فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت الحمزة، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب وجاء المشركون يهمون قتل الرسول صلى الله عليه وآله

وسـلم فلما كشـفوا الغطاء وجـدوا عليا فى فراشه فعرفوا انه ترک مكة فلحقوا به ولكنهم لم يجدوا له أثرا وبهذا وصل الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم الى يثرب، وبعد أن نفذ على عليه السلام وصايا الرسول وسلم الودائع لأهلها كما نصت على ذلک المؤلفات فى سيرة النبى هيأ الرواحل وبدأت هجرة الفواطم من مكة إلى يثرب، وأشار على عليه السـلام الى من بقى فى مكة من المؤمنين أن يتسـللوا ليلاً إلى ذى طوى حيث يسـير الركب منها باتجاه المدينة، وخرج هو فى وضح النهار بالفواطم ومعه أم أيمن وأبو واقد الليثى، فجعل أبو واقد يجد السـير مخافة أن تلحقهم قريش وتحول بينهم وبين إتمام المسيرة، فقال له على عليه السلام: ارفق بالنسوة يا أبا واقد، وارتجز يقول:

ليس إلا الله فارفع ظنكا يكفيک رب الخلق ما أهمكا

فلما قارب ضـجنان أدركه طلب قريش وكانوا ثمانيـة من فرسانهم معهم مولى لحرب بن أميـة يدعى جناح، فقال على عليه السـلام لأم أيمن وأبى واقد: أنيخا الإبل واعقلاها، وتقدم هو فأنزل النسوة ناحية واسـتقبل القوم بسـيفه، ثم قالوا له: أظننت أنک ناج بالنسوة، وناشدوه أن يرجع بهن طائعاً قبل أن يرجع بهن مكرهاً، ولكن علياً اسـتقبل القوم بسـيفه، وشد عليهم حتى فرقهم عن الركب يميناً وشـمالاً، ومضـى فى أثرهم الواحد تلو الآخر، وضـرب جناحاً مولى بنى أمية على عاتقه فقده نصـفين ودخل السيف إلى كتف فرسه ولاذ الباقون بالفرار، وعاد على عليه السلام يتابع المسيرة بمن معه من النسوة حتى دخل المدينة وقد أجهده السير على قدميه، فرقَّ النبى صلى الله عليه وآله

لحاله(1).

وقد كان علىٌّ يواصل السير على قدميه دون ان يركب على ظهر دابة حتى تفطرت قدماه وتورمت من شدة المسير فنزلت الآية:

«فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا ـ أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ أُوذُوا فِي سَبِيلِي وَ قاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَ لَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ ثَواباً مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَ اللّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوابِ» (195 آل عمران).

وقد أشار العلامة الطباطبائىّ فى بحثه الروائىّ الخاص بهذه الآيات، فى «تفسير الميزان» ج 4، ص 95 و 96: أن هذه الآيات نزلت فى على (عليه السلام) لما هاجر ومعه الفواطم: فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفاطمة بنت الزبير، ثم لحق بهم فى ضجنان أم أيمن ونفر من ضعفاء المؤمنين فساروا وهم يذكرون الله فى جميع أحوالهم حتى لحقوا بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

فأقام فيها ينتظر وصول على وفاطمة، ومن كان مع الركب النبوى المهاجر، أقام بقبا وكان يقول لأبى بكر الذى طلب منه الدخول إلى المدينة: «ما أنا بداخلها، حتى يقدم ابن عمى وابنتى»(2).

والتحقت فاطمة الزهراء بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم ونزلت على

1- (1) (هاشم معروف الحسنى/سيرة المصطفى/ط 3 /ص. 205 بتصرف).

2- (2) (الحسنى / سيرة المصطفى / ص 258).

أَم أبی أیوب الأنصاری وبمجیء الفواطم اکتمل البیت النبوی فی المدینة وبدأت مرحلة جدیدة فی حیاة الزهراء علیها السلام.

وربما کان لتأخر هجرة الزهراء عن ابیها له اثره فی التعریف بها اکثر وتسلیط الضوء علیها اکثر اضافة الی تبیان منقبة اخری من مناقب امیر المؤمنین وکان لنزول الآیة المبارکة اثره فی هذا الجانب.

ولابد من اشارة الی ان المرأة المسلمة شارکت بکل الهجرات التی سبقت الهجرة الی المدینة فقد کان فی الهجرة الی الحبشة أحد عشر رجلاً وأربع نسوة فی روایة، وفی أخری أن أول عشرة هاجروا إلیها کان نصفهم من النساء. حیث رافقت النساء ازواجهن رغم مافی الهجرة من صعوبات وقد ولدت بعضهن أولاداً حیث وضعت أسماء بنت عمیس زوجة جعفر بن ابی طالب ولیدها عبد الله بن جعفربن ابی طالب وهو اول مولود مسلم یولد فی الحبشة بعد الهجرة، وفی هجرة المدینة هاجر الرجال ولحقت بهم نساؤهم فیما بعد وهاجرت بعض النساء بمفردهن وبقین فی مکة، وفی الوقت المعاصر هاجر الملایین من المسلمین الی اوربا فی القرن المنصرم وهاجر أربعة ملایین عراقی الی دول العالم المختلفة بسبب القمع الصدامی وعانی الکثیر منهم الکثیر من المشاق والاذی ومنهم من غرقت سفنهم فنجا بعض اعضاء اسرهم وبلع البحر الباقین!، فالهجرة معاناة تبدأ من محاولة قطع الارتباط المؤقت بالجذور ولا تکاد تنتهی عند ازمة التکیف والتأقلم مع المجتمع الجدید.

ص:144

قـال رسول الله (صـلى الله عليه وآله): «من فرّ بـدينه من أرض إلى أرض، وإن كـان شبراً من الأـرض، اسـتوجب الجنـة وكان رفيق إبراهيم ومحمد – صلى الله عليهما وآلهما –».(1)

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا عصى الله فى أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها»(2).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «... ومن دخل فى الإسلام طوعاً فهو مهاجر»(3).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «... والمهاجر من هجر السيئات وترک ما حرم الله»(4).

وقد تركت الهجرة النبوية آثاراً جمة منها ان عززت الشعور بحقانية المسلمين فاصبح اهل مكة يعاودون انفسهم فى سبب اقبال هؤلاء الذين ربمـا كـانوا الى الاـمس القريب اقـاربهم واهليهم لكنهم تركوا الاهل والوطن والمال من اجل مايؤمنون به فلابـد ان يكون هناک مايسـتحق التضـحية من اجله خاصـة وان المهاجرين لم يكونوا فردا أو قلـة من الناس بل كانو مجموعـة كبيرة مع اولادهم واسـرهم تاركين كل شـىء خلف ظهورهم.

1- (1) بحار الأنوار: ج 19 ص 31 ب 6.
2- (2) بحار الأنوار: ج 19 ص 35 ب 6.
3- (3) الكافى: ج 8 ص 148 ح 126.
4- (4) وسائل الشيعة: ج 12 ص 278 ب 152 ضمن ح 16300.

الحياة الجديدة

ان الهجرة الى اى مكـان جديـد تسـتتبع حتما تغيرا فى اوضاع الفرد والجماعـة، فمجتمع المدينـة يختلف كثيراً عن مجتمع مكـة من حيث الحرية الموجودة فيه وارتفاع الضـغوطات عن المسـلمين بالشـكل الذى اتاح لهم حرية التعبيرعن العقيدة واداء الشعائر الدينية بعلانية فأقيم اول مسجد فى الاسلام وبدأ الأذان يصدح عاليا بصوت بلال الرخيم.

بيد أن ذلک لا يعنى انه لم تكن هناک معارضة للرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم فقد كان عبد الله بن ابى سـلول الطامع بالكرسى والتاج يرى ان حضور الرسول الى المدينـة قـد بـدد احلامه وكان يتحين الفرص للحصول على الملک الذى انتزع. وقد أعلن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم المساواة والتآخى بين المسلمين وكانت هذه الحالة من أعظم الصورالانسانية فى المجتمع المدنى وكانت من التأثير النفسى والاقتصادى والاجتماعى بل وحتى السياسـى على وضع المسـلمين المهاجرين الى المدينة مع الانصار وما كان علىٌ عليه السـلام بمعزل عن القوم فكانت مؤاخاته مع رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم. وهذا مؤشر على تمتع المدينة وأهلها من المهاجرين والانصار بالحرية الكاملة بما يتيح لهم اتخاذ القرارات وتنفيذها بعد ان أصبح الجميع تحت قيادة واحدة هى قيادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

أما الزهراء عليها السـلام فقـد تغيرت كل الظروف المحيطة بها فقد هجرت ارض مكة وتركت ذكرياتها الحلوة مع أمها أم المؤمنين السـيدة خديجة

عليها السلام ولم يعد الرسول وحيدا بل تزوج واتخذ له عدة زوجات لاسباب كثيرة اهمها المصالحة واسكات بعض التطلعات!. ولم تعد الزهراء عليها السلام بنت نبى مطارد فقط – وان كان هذا الوسام هو الاعلى – لكنها اضحت بنت القائد الكبير والرئيس الحاكم، لكن ياترى هل تأثر معدن الزهراء بالمتغيرات الجديدة؟ ابداً.. فالزهراء هى الزهراء...

لقد بدأت الزهراء عليها السلام تلتقى بمسلمين جدد وبالنساء المسلمات وبدأت منظومة علاقات جديدة مع زوجات ابيها اللائى كن كثيرات العدد لكن واحدة منهن لم تستطع ان تملأ الفراغ الذى تركته امها ابدا!!...

والتقت الزهراء عليها السلام فى المدينة بنساء الانصاركزوجة أبى ايوب الانصارى واسماء بنت يزيد وغيرهما وتعرفت على المجتمع المدنى الجديد لترسم انطلاقة جديدة ليس للزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحسب بل للمرأة المسلمة على مر التاريخ.

زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

تزوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة خديجة عليها السلام بسودة بنت زمعة اول دخوله المدينة ثم ام سلمة وبعدها تزوج بأخريات وتعددت زيجاته وكانت هناك أسباب سياسية واجتماعية تدعو الى هذه الانواع من الزيجات بما يمكن ان يشكل حفاظا للدين وصيانة للمجتمع... ورغم هذا التعدد الا انه لم يرزق منهن بولد طيلة عمره الشريف حتى ان

ابراهيم بن مارية القبطية – وهى هدية النجاشى له – مات وهو صغير فانحسر نسله صلى الله عليه وآله وسلم فى ابنته فاطمة عليها السلام.

وأصبح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع هذا العدد من النساء يبيت ليلة عند كل واحدة بالتناوب وبقيت فاطمة عليها السلام فى قلبه ووجوده وفى اوج علاقته الابوية والرسالية.. ولكن هذا لم يمنع بأن يفتح الرسول ملف الزهراء المقدس امام زوجاته ففى الرواية:

قالت ام سلمة: تزوجنى رسول الله وفوض امر ابنته الىّ وكانت والله آدب منى واعرف بالاشياء وكيف لا ـ تكون كذلك وهى سلالة الانبياء(1).

وامر على هذه الرواية من جانبين:

الاول: دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ام سلمة رضى الله عنها الى الاهتمام بالزهراء عليها السلام.

الثانى: استجابة الزهراء عليها السلام للدعوة دون احتجاج أو اعتراض.

وفى الجانب الاول فمن المعروف ان الذى يتزوج زواجا ثانيا لا بد ان يُخبر عن اولاده وان كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غنيا عن التعريف فالناس تعرف انه لا يملك من حطام هذه الدنيا الا بضعته الطاهرة فاطمة عليها السلام ولكن يأتى الاهتمام بهذا الامر فى دعوة ام سلمة الى رعاية الزهراء عليها السلام باعتبار أن ام سلمة قد دخلت الى البيت النبوى

1- (1) (دلائل الامامة: 21/81).

ولابـد من مراعاة هـذا الجانب، كما ولابـد من ان تكون هناک علاقة بين الاثنتين، ولم يغب عن الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم عمر ام سلمة فهى الكبيرة فى السن غير ان الزهراء هى الكبيرة فى الشأن!! والتوجيه الى ام سـلمة برعاية الزهراء عليها السلام هو نوع من ايضاح وبيان للعلاقـات الجديـدة فى البيت النبوى وهونوع من التعريف بعظمـة الزهراء عليها السـلام ولكن ليس على لسان الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم أو الزهراء بل على لسان ام سلمة!! اذ ان الكل سمع بما اخبر به الرسول من احاديث تبين الشأن العظيم لها، ومن ناحية ثانية هو توجيه لام سلمة على رعاية شؤون الزهراء والاهتمام بها كنوع من دعوة مبطنة الى ضرورة اهتمام جديد من قبل ام سلمة للزهراء عليها السلام ولكن هذه الدعوة اتخذت اسـلوب (اياک اعنى واسمعى يا جارة).... فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يعلم ان الزهراء هى خير النساء بل سيدة نسـاء العـالمين ولكن مع ذلک يأتى هـذا التأكيـد على ام سـلمة ونرى انه كان لام سـلمة – فيما بعـد – مواقفها الطيبـة مع اولاد الزهراء مع الحسن والحسـين وزينب وام كلثوم عليهـا السـلام وبقيت حتى آخر لحظاتهـا تهتم بهؤلاء الاولاد وتتابع شؤونهم وهـذا اهتمام لطيف من زوجة الأب.

لقد اعترفت ام سـلمة وعرّفت بمكانة الزهراء عليها السـلام وبأنها من سـلالة الانبياء والعالمة بالاشياء ولم تأخذها غيرة من ان الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم يقبلهـا أو يتعامـل معها باحترام أو غير ذلک!! وهـذا دليل على طيب خلقها وعرفانها بمكانتها ومكانـة آل البيت عليهم السلام بل اننا نجد انها

لا تبدى احتجاجا على منع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اياها من دخولها معهم تحت الكساء وهو يقول لها صلى الله عليه وآله وسلم: انک على خير.. بما معناه انت لست كفاطمة وان كنتِ على خير! فلا نجد هناک غيرة أو مواجهة أو احتجاجاً أو حساسية بل تتقبل الامر كله وتتقبل ان هذه البنت الشابة هى اكثر منها ادبا وعلما وكرامةً!!.

ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خلال قوله هذا لم يدعُ الى الاهتمام الظاهرى بالزهراء عليها السلام فحسب بل هى دعوة الى الاهتمام المستمر بما لها من فضائل وهى دعوة للاتباع والاقتداء ومراعاة مكانتها العليا حتى بعد رحيل الزهراء عليها السلام وهذا ما يحفظه التاريخ لام سلمة التى وقفت الى جانب الزهراء فى دعواها فى فدک رغم ان ذلک كلفها حرمانها من عطائها ولعام كامل مع ان هناک من زوجات النبى من وقف مكذبا للزهراء – والعياذ بالله – وهذا مازاد فى عطائهن!!.

اما المسار الثانى فهو موقف الزهراء عليها السلام نفسها من ام سلمة فالمعلوم ان البنات – وحتى البنين – لا يرضون بمجيء من يأخذ (اويحاول ان يسلب) مكان الاب أو الام... يريدون ان يبقى هذا المكان خاليا ولايسمحون لاحد باجتيازه ولهذا تصطدم الرغبات حينما يفكر الآباء والامهات بالزواج بعد الطلاق أو الترمل، اذ غالبا مايكون الابناء فى صف المعارضة وهم لا يعطون رخصة زواج!!.. رغم ان ذلک ليس من حقهم لكن مشاعرهم لا تحتمل الشخص الثانى يجلس متربعاً فى منازل الاحباب... واحيانا تدور

صراعات واحتجاجات قد تستمر لأمد غير محدد، وقد تنصرف الام أو الاب عن الزواج الثانى لتسكين عواصف الاولاد!!.

لكن الملاحظ ان الزهراء عليها السلام – وهى صاحبة الادب العظيم – تتقبل توصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لام سلمة ولا تبدى لها مشاعر التمرد أو البغض أو اى شكل من اشكال المعاملة السلبية مما يثير تعجب ام سلمة نفسها بهذا الخلق العظيم فتروج له!!.

انها لوحة فنية رائعة ترسم ادب الزهراء عليها السلام وسلوكها الجميل مع زوجة ابيها وهى التى مازال صدرها يموج بذكريات امها الحنون.

قال أبو عبد الله (عليه السلام): لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عز وجل:

فاطمة، والصدّيقة، والمباركة، والطاهرة، والزكيّة، والراضية، والمرضيّة والمحدّثة، والزهراء؛ ثم قال (عليه السلام): أتدرى أى شىء تفسير فاطمة؟ قلت: أخبرنى يا سيّدى.

قال: فطمت من الشرّ، قال: ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) تزوجها لما كان لها كفو إلى يوم القيامة على وجه الارض، آدم فمن دونه(1).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (وهى الصديقة الكبرى، وعلى

1- (1) البحار: 10/43 ح 1، ودلائل الإمامة: 10. كشف الغمة: 463/1).

معرفتها دارت القرون الأولى)(1).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّما سمّيت فاطمة محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء، فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران))(2).

«سميت فاطمة عليها السلام البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً وديناً وحسباً»(3).

1- (1) امالى الطوسى، ج 2، ص 280.

2- (2) علل الشرائع: ج 1، ص 182، الباب 146، ح 1، ودلائل الإمامة: ص 80، ح 20، وص 152، ح 66.

3- (3) بحارالانوار، ج 43، ص 15.

زواج الزهراء عليها السلام

اشارة

كبرت فاطمة عليها السلام واصبحت شابة فى مقتبل العمر وهى ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبضعته الطيبة وهى ثمرة فؤاد قائد المسلمين وحاكم المدينة فأصبحت العيون كلها ترنو إليها وتفكر فى تحصيل القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالزواج منها وقد تقدم لخطبتها الصحابة ورجال المال والاثرياء وكان الرسول يعرض عليها أسماء الخاطبين - كنوع من الاستشارة - فيرى الكراهة فى وجهها فيعلم انها تشاركه انتظار الفيض الالهى بتقدم الكفؤ المناسب الذى يستحق هذه المرأة التى لا نظير لها أبدا.

فقد أخرج ابن سعد: أنَّ أبا بكر خطب فاطمة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «يا أبا بكر أنتظر بها القضاء» فذكر ذلک أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردَّک يا أبا بكر. ثُمَّ إنَّ أبا بكر قال لعمر: اخطب فاطمة إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فخطبها؛ فقال له مثل ما قال لأبى بكر: «أنتظر بها القضاء»، أو قال: «إنَّها صغيرة»(1).

1- (1) (الطبقات الكبرى لابن سعد 16:8، أُسد الغابة 239:7).

بل إن الآتی من خبر زواجها علیها السلام یؤکد النصّ الأول «أنتظر بها القضاء» إذ لم یکن زواجها إلاّ بأمر من الله تعالی.

وعن عبدالله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: «إن الله أمرنی أن أزوّج فاطمة من علیّ، ففعلت»(1).

ثمَّ إنَّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عرض «خطبة علیٍّ» علی فاطمة، فقال لها: «إنَّ علیّاً یذکرک»(2) ، فسکتت، فخرج یقول: «سکوتها إقرارها».

وکان محل العقد المیمون فی المسجد النبوی وفیه بارک المهاجرون والأنصار علیاً والنبیّ بهذا الافتتاح السعید،(3) وقد جرت السنة علی ذلک فکثیر من العرسان یفضلون ان یکون العقد فی العتبات والاماکن المقدسة لزیادة الخیر والبرکة.

استشارة البنت فی الزواج

الزواج من القرارات الصعبة فی حیاة الانسان وربما هو الاصعب فی حیاة البنات؛ لانه قرار مصیری یتخذ لمرة واحدة فی الحیاة وهو مهم؛ لأنه یقرر نمط الحیاة القادمة التی قد تمتد مدی الحیاة وما سیلحق بها من وجود الاولاد والشعور بالسعادة والاستقرار والصحة النفسیة الی غیر ذلک من

1- (1) (المعجم الکبیر، للطبرانی 1020:22l407، مجمع الزوائد 204:9).

2- (2) (الطبقات الکبری 16:8).

3- (3) (کشف الغمّة 1:358-359 وبحار الأنوار 120:43).

الامور مما يترک أثره على سـلوک الفرد فى المجتمع ومكانته الاجتماعية إضافة الى نمط الذرية التى تتكون من هذا الزواج.. وتلعب عوامل كثيرة دورا خطيرا فى طريقـة اتخـاذ القرارات والعمـل بهـا، وأحيانا يلعب المزاج والرغبـة والطالع الفلكى واتباع الابراج دورا اكثر من التعقل ومشاورة الآخرين واسـتعراض النتائج ومعرفة الامر الاحسن فى اتخاذ القرار المناسب فى امر الزواج المصـيرى والذى قد يبدأ من اسـتشارة البنت واعلامها بالخاطب الذى طرق بابها واختارها من بين البنات كلهن كشريكة حياة وام اولاده فى المستقبل.

وتتفاوت الرؤى المطروحـة حول الزواج فالبعض يراه مجرد اذن شـرعى لاقامـة علاقات جنسـية وهو بهذا ينظر فقط الى هذا الجانب وهذا دليل على الرؤية الضـيقة للحياة الزوجية وللاسـرة ايضاً، وللاسف فهذه هى الرؤية الغربية التى جعلت من الزواج مجرد امر جنسى وهو نوع من الترف واللهو بعيدا عن المسؤولية والسـكن والشـراكة الى غير ذلک!!.. وبهذا يمكن ايجاد بدائل لمتطلباته كالانجاب عبر تأجير الارحام وشـراء الحيامن والبيوض!! الامر الذى أسـقط قدسية هذا الميثاق الغليظ بالتعبير القرآنى وأصبح قابلا للفسخ والحل بسهولة مما اولد انماطا غير سـليمة للاسرة كالاسرة المثلية أو اسرة الشراكة بلا زواج!! فاستيقظ بعض ذوى العقول النيرة وأضحوا ينادون بضرورة إحياء الرؤى الدينية للزواج والتى تجعله امرا مقدسا مباركا وهو احب السنن كما جاء فى الحديث:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بنى بناء فى الاسلام

أحب الى اللّه من التزويج»(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «النكاح سنتى، فمن رغب عن سنتى، فليس منى»(2).

وفى عصر الرسالة حصل سوء فهم لدى البعض فلجأوا الى الرهبنة وترک الزواج والاعراض عن الجنس الآخر متفرغين للعبادة كما كان من أمر عثمان بن مظعون الذى اشتكته زوجته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، قال الإمام الصادق (عليه السلام): «جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبىّ (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله، إنّ عثمان يصوم النهار ويقوم الليل. فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) مغضباً يحمل نعليه حتّى جاء إلى عثمان فوجده يُصلّى، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال له: يا عثمان، لم يرسلنى الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثنى بالحنيفة السهلة السمحة، أصوم وأُصلى وألمس أهلى، فمَن أحبّ فطرتى فليستن بسنّتى، ومن سنّتى النكاح»(3).

والامر التبس على كلا الجنسين حيث ظنوا ان الفضل فى الرهبنة.. روى الكلينى بسند صحيح عن عبد الصمد بن بشير، قال: «دخلت امرأة على أبى عبد الله عليه السلام فقالت: أصلحک الله إنى امرأة متبتلة، فقال: وما التبتل عندک؟ فقالت: لا أتزوج، قال: ولم؟ قالت: ألتمس بذلک

1- (1) مكارم الأخلاق ا الطبرسى: 196.

2- (2) (البحار ج 23 ص 51، عن مكارم الأخلاق للطبرسى).

3- (3) (الكافى 494/5 ح 1).

الفضل، فقال انصرفى فلو كان ذلک فضلا لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منک، أما إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»(1).

نعم كان رد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان لا رهبانية فى الاسلام وان الزواج سنة تقترب من الوجوب لولا مخافة العسر ولو كانت الرهبنة خير ما تزوجت الزهراء، تقول د. كلاوديا انكلمان فى كتابها بلوغ النجاح فى الحياة:

الواقع ان ثمة العديد من النساء العازبات وصاحبات مهن رفيعة الشأن فى آن واحد، محور حياتهن يتجلى فى أشياء: المهنة، والانفاق على انفسهن. ربما لا تلعب العلاقات العاطفية دورا فى حياتهن الا لفترات قصيرة وسريعة جدا ولكن الشوق الساكن للواحدة منهن نحو كتف قوى تسند رأسها عليه يبقى قائما لا محالة.

غير ان الامر يجب ان لا يكون كذلک. فهى بالطبع لا تريد ان تضع نفسها فى المقدمة دوما، وان تبرهن للرجل بشتى الوسائل انها قادرة على اثبات نفسها ناسية بذلک ان الرجل يتوق هو الآخر بدوره لأن تستخدمه المرأة!(2).

هذا ويؤثر الزواج على التوازن النفسى للفرد من خلال تدعيم الصحة النفسية حيث تقول النظريات ان المتزوجين أفضل من غير المتزوجين فى الصحة النفسية والجسمية، ففى دراسة (وايز 1981) وجد ان نسبة غير

1- (1) (الكافى ج 5 ص 509 ح 3 باب كراهية أن تتبتل النساء ويعطلن أنفسهن)
2- (2) (د. كلاوديا انكلمان فى كتابها بلوغ النجاح فى الحياة الزوجية تعريب د. سامر نصرى مكتبة العبيكان 2005 ص 50).

المتزوجين اعلى من المتزوجين فى الشعور بالوحدة والاكتئاب والقلق وفى الادمان مما جعله يعدّ الانصراف عن الزواج فى امريكا علامة خطر على الفرد والمجتمع وذلک لان الزواج يجعل للفرد قيمة ويعطى لحياته معنى ويكوّن له اسرة ينعم فيها بالامن والاستقرار.

فالزواج هو المسار الطبيعى للحياة ولانه حياة دائمة مع شريک من جنس آخر وجب ان تكون هناک آليات معينة للاختيار وللاستشارة والوصول الى قرار ناجح يؤدى الى حياة سعيدة وزواج ناجح يحقق التكامل النفسى والنمو الانسانى ويرفد المجتمع بالذرية الطيبة.

.. وفى الروايات..

جاء الإمام على (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو فى منزل أُمّ سلمة، فسلّم عليه وجلس بين يديه، فقال له النبى (صلى الله عليه وآله): «أتَيْتَ لِحاجَة»؟

فقال الإمام (عليه السلام): «نَعَمْ، أتَيتُ خاطباً ابنتک فاطمة، فهلْ أنتَ مُزوِّجُنى»؟

قالت أُمّ سلمة: فرأيت وجه النبى (صلى الله عليه وآله) يَتَهلّلُ فرحاً وسروراً، ثمّ ابتسم فى وجه الإمام على (عليه السلام)، ودخل على فاطمة (عليها السلام) وقال لها: «إنّ عَلياً قد ذكر عن أمرک شيئاً، وإنّى سألتُ ربِّى أن يزوِّجکِ خير خَلقه، فما تَرَين»؟.

فسكتت، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقول: «اللهُ

أكبَرُ، سُكوتُها إِقرارُها»، فأتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال: يا محمّد، زوّجها على بن أبى طالب، فإنّ الله قد رضيها له ورضيه لها.

وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنس بن مالک أن يجمع الصحابة ليُعلِن عليهم نبأ تزويج فاطمة للإمام على (عليهما السلام) فلمّا اجتمعوا قال (صلى الله عليه وآله) لهم: «إنّ الله تعالى أمَرَنى أن أزوِّجَ فاطمة بنت خديجة من على بن أبى طالب»(1).

وقد خطبها بعض الصحابة فاستشارها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرض عليها الامر فرأى الكراهة فى وجهها بما يعنى عدم رضاها وهو بذلک يكون قد منحها حق الاختيار والموافقة أو الرفض لمن تقدم لخطبتها.

وكلنا يعلم ان المجتمع الجاهلى لم يعطِ اى اهمية لإذن المرأة فى الزواج واستشارة البنت ولم يبدِ اى اهتمام برأى البنت فى الرجل الذى يتقدم لخطبتها لأن الامر محسوم من قبل اسرة الفتاة ولا اثر يترتب على رأى الفتاة اطلاقا فى هذا الشأن، بل كان هناک إجبار للبنت على الزواج من شخص ما حتى لو كانت لا تريده ولا تطيقه ويعرض لنا تاريخ الاسلام عن بعض النساء اللائى جئن شاكيات الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الإجبار على الزواج والذى أدى الى زيادة روح الكراهية والبغض والى نشوء علاقة غير سليمة ومن ثم اسرة غير سليمة فقد رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ «أَنَّ فَتَاةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ – فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ أَبِى زَوَّجَنِى مِنِ ابْنِ

1- (1) (إحقاق الحق 475/4، الأمالى للطوسى: 39).

أَخٍ لَهُ؛ لِيَرْفَعَ خَسِيسَتَهُ، وَأَنَا لَهُ كَارِهَةٌ! فَقَالَ لَهَا: أَجِيزِي مَا صَنَعَ أَبُوكِ، فَقَالَتْ: لا رَغْبَةَ لِي فِيمَا صَنَعَ أَبِي! قَالَ: فَاذْهَبِي، فَانْكِحِي مَنْ شِئْتِ! فَقَالَتْ: لا رَغْبَةَ لِي عَمَّا صَنَعَ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أُعْلِمَ النِّسَاءَ أَنْ لَيْسَ للآبَاء مِنْ أُمُورِ بَنَاتِهِمْ شَيْ ءٌ»(1).

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم كان إذا أراد أن يزوج امرأة من نسائه يأتيها من وراء الحجاب فيقول لها يا بنية إن فلانا خطبک فإن كرهتِهِ فقولى: لا و إن أحببت فإن سكوتک إقرار(2).

وعموما فإن المجتمعات التقليدية والريفية لا تستشير البنات عند الزواج بل ان البنت لا تعلم من امرها أو امر عريسها شيئا وفى احايين كثيرة يُلجأ الى زواج الشغار أو البدل للتخلص من المهر وهذه امور يرفضها الاسلام.

ان استشارة البنت عند الزواج تؤدى الى امور منها:

ان هذه الاستشارة تنمى عندها الشعور بأنها كائن محترم وانسان تام الاهلية وهى تُستشار فى امر مصيرى مهم لها ولأسرتها ايضا وهذا يُسهم فى تحسين صورتها عن نفسها وفى تدعيم ثقتها بنفسها.

يقوى عندها الاحساس بالرضا عن الوالدين فهما لا يجبران انما يستشيران وهى حرة وهذا الشعور يضاعف فيما بعد من دعم الفتاة لوالديها وتقديم الحب والعون لهما والشعور بكرمهما وعظيم أخلاقها مقارنة

1- (1) (المبسوط - السرخسى - ج 5 - الصفحة 2).

2- (2) (مجمع الزوائد 281/4).

بالآخرين. وعند تمرير الزواج بلا استشارة فإن الآباء يزرعون بذور الكراهية عند البنات تجاههم.

التعريف بالمسؤولية القادمة للبنت... فهى يجب ان تدرک ماهو المصير الذى تختاره واى حياة تريدها وان الزواج عِشرة دائمة قد تستمر مدى الحياة فلابد ان تكون هناک رؤية مستقبلية للمسؤولية الحياتية التى ستتولاها.

زيادة الإحساس بقدسية الزواج فهو رباط مقدس وميثاق غليظ لا يُحل بسهولة.

الاسرة التى تستشير ابنتها عند الزواج هى اسرة ديمقراطية واعية متفهمة للامور وهى تحترم إنسانية البنت وانوثتها.

والاستشارة دليل على مكانة البنت فى الاسرة واحترام اهلها لها.

والاستشارة دليل على ان هناک علاقة طيبة بين البنت واهلها وبخاصة أبوها وهى تقوم على الحوار الطيب والاحترام والتقدير.

ولكن الامر الذى يثير تساؤلاً اكثر هو: هل ان مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحتاج الى سؤال ابنته واستشارتها؟ وهو رسول الله والعالم بأحوال قومه والعالم بأخلاقهم وهو الاب المقرب الى ابنته وهوخير البشر وهو أيضاً المربى لعلى والمواخى له؟ فرغم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم ان زواج الزهراء كان بأمر الهى وان الزواج تم فى السماء قبل ان يجرى واقعا فى الارض!! – فهو امر يكاد يكون مفروغا منه – لكنه مع ذلک يستشير ابنته ويحفظ لها حق الاختيار!!. ولكونه أباً فهو يحفظ حق الاعلان

عن الخاطبين لابنته وتعريفها بهم!!. انها دروس للامة كى تتعلم ماينبغى القيام به فى هذا الشأن كى تعرض عن الجاهلية وسبلها الظالمة.

العوامل المؤثرة فى اختيار الزوج

كلنا يعلم ان الزواج هو عملية ارادية اختيارية انتقائية حيث ان الرجل ينتقى من النساء من تكون مواصفاتها ضمن ما يريده ويرغب فيه، وهو لما يتقدم لخطبة امرأة فانه يعلن عن رغبته فى الزواج من امرأة من النساء اختارها لمزايا معينة.

نفس الشىء يقال عن المرأة، إذ إنها حينما تختار شخصا ما أو توافق على الطارق الذى يطرق باب حياتها فانها لابد وان تختاره وفق آليات معينة.

وهناك عوامل عدة تؤثر على نمط الاختيار منها البيئة والوضع الاسرى والاجتماعى والدينى وتلعب وسائل الاعلام دورا كبيرا وخطيرا ايضا فى شكل هذا الانتخاب فقد تُطرح نماذج معينة قد لا تتناسب مع ثقافتنا واوضاعنا الاجتماعية.. كما انها تُسهم فى غرس صورة خاصة تعتمد الاثارة والاغراء مع خواء الباطن وافول الوعى وتصدع الاخلاق فيصطدم الطرف بأنه وقع فى ماء آسن!! فيبحث عن حل وعن وسيلة للخلاص وفك ارتباطه بالطرف الآخر، ولهذا يرتفع معدل الطلاق فى المجتمع الحديث ويثقله بالمشكلات الخطيرة.

وتأتى الاعراف والتقاليد لتلعب دورا فى عملية الاختيار فقد يكون هناك

الزام بالزواج من بنت العم رغم عدم وجود التوافق بين الشخصين أو عدم تزويج البنت الصغرى قبل الكبرى وقد تكون الكبرى نفسها غير راغبة بالزواج فتؤخر الاخريات.. وهناك انماط من الزواج غير صحيحة ولكنها رائجة كزواج الشغار وزواج الفصل حيث تؤخذ البنت مقابل دية القتيل، أو يتم نذر الفتاة منذ الصغر للزواج من شخص ذى سمات خاصة والنذر بحد ذاته حرام لانه دون اذن الفتاة وبهذا تعطل حياة الفتاة اذ قد لا يأتى هذا الشخص ابدا.. ولا ننسى الفوارق العمرية والاجتماعية، وقد تكون هناك اعراف تعتمد ثقافة الصورة دون الاهتمام بالجوهر.. وهناك مشترطات خاصة لبعض المجتمعات فنحن نرى ان المجتمع الافريقى مثلا يشترط سمن الفتاة ووزنها الثقيل فى حين ان الصورة معاكسة تماما لذلك فى المجتمع الايرانى والاوربى.

وتؤثر ثقافة المجتمع على الاختيار وعلى نمط المعيشة وعلى مقدارالمهر.. وتأتى الثقافة الدينية لتكون صاحبة الثقل الاكبر فى تحديد الدين والاخلاق ورسم المهور واباحة الزواج من افراد وتحريم غيرهم حسب الطوائف والاديان.. وقد تُخترق كما فى المجتمعات المختلطة الاديان فأحيانا تقبل الفتاة المسلمة بالزواج من غير المسلم لوجود علاقة ما أو رغبة رغم ان هذا الزواج بحد ذاته حرام اصلا لكن العذر المقدم انه يسجل فى المحاكم المدنية!.

فالعوامل المؤثرة على عملية الاختيار كثيرة وهى تبدأ من الوالدين وتنتهى بالشارع والمجتمع الكبير، فالوالدان هما مبدأ الموافقة والمباركة وتؤثر

طبيعـة العلاقـة بينهما ونظرتهما للآخرين حسب الطبقات والمذاهب والمشاغل والعوائل، فكثير من الآباء يرفض زواج الاقارب أو من كان ابوها كـذا أو من المنطقـة كـذا والعشـيرة كذا وهذه تلعب كعوامل مجتمعة مؤثرة على نمط الاختيار كذلك طريقة الوالدين فى اعطاء الرأى للبنت ومسـتوى التحدى عند البنات للآبآء حسب العلاقات الموجودة بين الاطراف فكلما زادت المحبة والمشاورة والاحترام والتقدير كانت النتائـج افضل لهـذا الزواج... وقـد لا تشـجع الاعراف على زواج الاولاد بمخالفـة الآباء بل تـدعو الى تطييب الخواطر والاقناع الصـحيح بالنسـبة للآبآء ونجد حرص الشريعة على حفظ ولاية الاب على ابنته الباكر فى الزواج لكونه اعرف بالرجال واكثر خبرة بالمجتمع بما يمتلكه من تجارب ووعى..

وفى إحدى الدراسات التى اجريت على 492 شابا جامعياً أشار 70% إلى انهم تأثروا بوالديهم فى اتخاذ قراراتهم وكانت النسبة عند البنات أعلى منها عند الأولاد. وكشـفت دراسات أخرى وجود دوافع شـعورية ولا شعورية عند البنات لاختيار أزواج شبيهين بآبائهن، وعند الأولاد لاختيار زوجات شبيهات بأمهاتهم، اللاتى أعجبوا بشخصياتهن وبأدوارهن فى الأسرة.

كما يلعب الاصدقاء دوراً كبيراً فى التأثير على عملية الاختيار عن طريق التشويق والتعريف والتأثير الذى قد يسـلب الشـباب مشاعرهم عند الاستشارة.

ص:164

ولا ننسى ان العامل الأهم فى الاختيار نفسه هو شخصية الزوج والزوجة، فكلما كانت هذه الشخصية اكثر نضوجاً ووعياً كلما كان الاختيار سليماً اكثر وكلما ازداد الوعى بمكانة الطرف الآخر وحقوقه كلما ارتسمت معالم النجاح فى الزواج الجديد.. اما اذا كانت الشخصية ضعيفة وتتأثر بآراء الآخرين وأفكارهم وغير قادرة على تبنى مواقف متزنة فالزواج يكون مهددا بالفشل.

وتلعب الظروف الاقتصادية دورا كبيرا فى تشجيع الشباب على الزواج أو على البقاء فى مدار العنوسية، فقد تكون ظروف البلد من الضيق الاقتصادى بحيث يقع الشاب بين امر الزواج مقرونا بالتيسير لهبوط القدرة المالية وهو امر حصل فى كثير من البلاد التى تعيش ازمات اقتصادية.. وهنا يحاول علماء الدين والمؤسسات الاجتماعية تسهيل الزواج عبر المعونات والحفلات المشتركة وتخفيض المهور الى غير ذلک.

ويطرح علماء الاجتماع عدة انماط من الزواج ولكن الانجح هو مايقدمونه فى نظرية التجانس والتى ترتكز على فكرة أن الشبيه يتزوج بشبيهه، (وأن التجانس هو الذى يفسر اختيار الناس بعضهم لبعض كشركاء فى الزواج، أى تشابه وتجانس فى الخصائص الاجتماعية العامة والسمات الجسمية، أى يكون هناک تشابه بين الشريكين فى الدين، والعرق، والمستوى الاجتماعى، والاقتصادى وفى السن، والتعليم، والحالة الزواجية).

ويمكن تعريف الزواج المتجانس بأنه ميل الناس شعورياً ولا شعورياً

لاختيار شـريک تتشابه خصائصه مع خصائصـهم. ويرتبط النجاح الزواجى بمدى تقدير الفرد لمسائل الدين والقيم الرفيعة مضافا الى نمط الاهداف التى يحملها الزوجان فى حياتهما العامة وكلما كانت الاهداف اكثر تقاربا كلما كانت العلاقة بين الزوجين اكثر نضـجا واسـتمرارا وثمارا وكانت الاقدر على اجتياز الازمات والعوائق التى تقف فى طريق استمرار الزواج أو الشعور بالسعادة فيما بينهما.

بهذا يكون المهم فى الزواج تحقيق اكبر قدر من التوافق الزوجى والذى يمثل محطة عبور نحو الآخر مما يسـهل عملية التكيف بكل أنواعه بين الزوجين.

أنماط الإختيار الزواجى

على هـذا الاساس هناک جملـة عوامل مؤثرة فى اختيار شـريک الحياة فقـد تكون اجتماعية أو نفسـية أو عاطفية أو أسـرية وهذا من ثم مما يعرفنا بأنماط الخيارات المتاحة فى اختيار الزواج.. وأشـهر ذلک حاليا هو الاختيار العاطفى الذى يقوم على الرغبة العاطفية ليس اكثر دون الاهتمام بالعوامل الاخرى، وقـد لايوافق الآباء على هـذا الزواج الـذى لا يقوم على العقلنـة بل على التموجات العاطفية الامر الذى يعمق الصـراع بين الاجيال، والاعلام هو الذى ركز فكرة الغرام والحب قبل الزواج وأعطى قدسـية للعلاقات غير السـليمة بين الجنسين وهو الذى يقـدم نتـائجه الاعلامى الكثيف الـذى يـدور حول نقطـة واحـدة الا وهى العلاقات العاطفيـة بين الجنسـين ضاربا عرض الحائط كل القيم والاخلاق والاوامر الالهية الامر الذى ادى الى ايجاد تحدِ

ص:166

للآبـاء، اذ عـادة مـا يكون الطرف هنـا شديـد العناد والـدفاع عن شـريكه المنتخب، وهناك تهديـد دائم اذا لـم تتم الموافقـة!! والاحصائيات المعاصـرة تشـير الى ان نصف حالاـت الزواج (الاـعمى) الـذى تكون فيه العاطفـة بمفردها هى سـبب الاختيار ينتهى بالفشل والطلاق!!. والمشكلة هنا ان الازواج لايفرقون بين الحب كعاطفة عابرة وبين الزواج كمسؤولية ولهذا تنهار التوقعات بعد الزواج فالعاطفة غير المحكمة مصيرها الافول وعدم الثبات. يقول احد علماء النفس وهود. جورج تابورى:

ربمـا يحتـاج الانسـان الى نصف قرن آخر من الزمن حتى يعى تمامـا ان الحب ليس مهزلـة على الاطلاـق، وانمـا هو سـعى جاد وحثيث للاندماج عقليا وروحيا ونفسيا مع الطرف الآ خر، وتحقيق ذاته من خلال ذلک.

عكس ذلک النمط العقلانى الـذى يـدخل ألغازاً حسابية ومعادلات رياضـية لا تقيم وزنا للعلاقات العاطفية والخصائص الذاتية المتجاوبة مع المشاعر والانفعالات وهنا تكون الحياة جدباء صحراء لا تشعر فيها بحياة..

وهناک النمط المصـلحى فى الاختيار والمصالـح متعددة كالمصالح المادية اذ يقبل الشاب على فتاة لمجرد كونها بنت ثرى أو انها تمتلک رصـيدا ضخما فى البنوک.. واحيانا يكون الزواج لمصالح سياسية أو حكومية الى ماغير ذلک.. واذا لـم يحقق صاحبه المصلحة التى ابتغاها من خلال هذا الزواج فإنه يتصدع بشكل أو بآخر.

وفى بعض الأحايين يِسلب حق الاختيار بشكل أو بآخر من العروسين

ص:167

فقد يكون الزواج تابعا لتخطيط وارادة الاسـرة لا الشـباب انفسـهم فهؤلاء ينفذون ويطيعون وهنا تسقط كل ارادة للازواج ويشعرون انهم لا وزن لهم.. كـافتراض زواج بنت العم لابن عمها أو زواج البنت من ابن خالها الـذى قام بتربيتها بعـد رحيل ابيها حتى لو كانت الفتاة كارهة لابن خالها اصلا ولكن لا رأى هنا.. وهذا هو النمط الاسرى والعشائرى.

وأحيانا تلعب الظروف الاجتماعية دورا فى الاختيار من خلال انماط غير متوازنة من الاختيار فالفتاة التى تعيش تحت رحمة أب يضطهدها أو زوجـة أب ظالمـة ترضـى بالزواج من اى قاصـد يطرق بابها دون وعى؛ حيث تنظر إليه كمحررلها لكنها قـد تقع تحت نماذج اخرى من الظلم بسبب عدم اتباع آليات سليمة فى الاختيار.. ونفس الشىء يقال عن الفتاة التى فاتها القطار فإنها تتسرع بعد الرفض المتكرر للخاطبين فتتزوج من اول طارق جديد لها خوفا من فوات القطار.

وهنـاك نمط اختيار يقوم على الصورة والمظهر مسـقطا كل الاعتبارات الاخرى. والمشـكلة هنا ان الصورة لا تـدوم على حال ويفترض ان يدوم الزواج رغم كل حال!!.

وهناك شكل آخر من الاختيار يقوم على تحكيم رأى الدين الذى يهتم بالجوهر بالدرجة الاولى مع اهتمام بالصورة والمظهر بشكل معقول اضافة الى تبنى الخلق الحسن والاعراق الطيبة.

فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إذا جاءكم من

ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوا ذلک تکن فتنة فی الأرض وفساد کبیر)(1).

والصحیح ان یکون نمط الاختیار متکاملا یقوم علی الدین والاخلاق والصورة الجمالیة ورضا الوالدین وقبول الاسرة والنظر الی المستقبل البعید برؤیة عقلانیة تجمع مشاعر الود والامل فی تحقیق الهناء الزوجی. وقد یتصور البعض ان هذا الامر صعبٌ ولکن عند التأمل نجد أن کثیرین من أصدقائنا قد وفّقوا لهذا الاختیار.

ونعود الی الآلیات التی اتبعتها الزهراء علیها السلام فی اختیار شریک حیاتها فقد تزوجت من اول القوم إسلاما وأعظمهم شأنا وهو سیف الله المسلول وخیر البریة.

عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لفاطمة: زوجتک یا بنیة أعظم الناس حلماً، وأقدمهم سلماً وأکثرهم علماً(2).

وعن سلمان أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال: أول هذه الأمة وروداً علی الحوض أولها إسلاماً علی بن أبی طالب علیه السلام وجاء أنه لما زوجه فاطمة قال لها: زوجتک سیداً فی الدنیا والآخرة وإنه لأول صحابی إسلاماً وأکثرهم علماً وأعظمهم حلماً(3).

1- (1) وسائل الشیعة: ج 20 ص 76 ب 28 ح 25073.
2- (2) (الحاکم الحسکانی، شواهد التنزیل، ج 1 ص 108).
3- (3) (وفی السیرة الحلبیة للحلبی، ج 1 ص 432).

تزوجت الزهراء عليها السلام من علىّ عليه السلام الذى جمعها وإياه مربٍ واحد وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل:

أنا وضعت فى الصغر بكلاكل العرب، وكسوت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره وأنا ولد يضمّنى إلى صدره، ويكنفنى فى فراشه، ويمسُّنى جسده، ويشمّنى عرفه، وكان يمضغ الشىء ثم يُلقمنيه، وما وجد لى كذبة فى قول، ولا غلطة فى فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتِّباع الفصيل أثر أُمه، يرفع لى كل يوم من أخلاقه علَماً ويأمرنى بالاقتداء به. ولقد كان يجاور كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة. وأشم ريح النبوَّة"(1).

والإمام على بن أبى طالب غنى عن التعريف فقد عاش مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بيته منذ كان صغيرا وهو أول من أسلم وكان عمره ثمانى سنوات فقط ولم يسجد لصنم قط ونزلت فيه ثلث آيات القرآن منها المباهلة والدهر والولاية وغيرها.

لقد عاش مع الزهراء عليها السلام فى نفس البيئة ابتداءً من مكة ثم الى

1- (1) (نهج البلاغة خطبة 192).

المدينة. وعاش علىّ هَم الدفاع عن الاسلام وعن شخص الرسول منذ نعومة اظفاره.

وعاش نفس الهدف والهم وهو هم الرسالة وهدف نشرها وحمايتها حتى فداها بنفسه واهله وولده.

وقد أشار علىّ الى ذلک فى مواضع كثيرة، ففى الاحتجاج: روى أبو عبيدة قال: كتب معاوية إلى على أمير المؤمنين عليه السلام: إن لى فضائل كثيرة كان أبى سيدا فى الجاهلية وصرت ملكا فى الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وخال المؤمنين وكاتب الوحى.... فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبالفضائل يبغى على ابن آكلة الأكباد؟ اكتب إليه يا غلام:

محمد النبى أخى وصنوى وحمزة سيد الشهداء عمى

وجعفر الذى يمسى ويضحى يطير مع الملائكة ابن أمى

وبنت محمد سكنى وعرسى مسوط لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد ولداى منها فأيكم له سهم كسهمى

سبقتكم إلى الإسلام طرا غلاما ما بلغت أوان حلمى

وصليت الصلاة وكنت طفلا مقرا بالنبى فى بطن أمى

وأوجب لى ولايته عليكم رسول الله يوم غدير خم

فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غدا بظلمى

أنا الرجل الذى لا تنكروه ليوم كريهة أو يوم سلم

رواه الطبرسی فی أواخر عنوان: "احتجاجه علیه السلام علی معاویة فی جواب کتبه إلیه" من کتاب الاحتجاج: ج 1، ص 265.

وللأبیات مصادر کثیرة یقف الباحث علی عدة منها فی کتاب الغدیر: ج 2 ص 25 ط 2).

علی والزهراء علیهما السلام کلاهما اخذا العلم من معین واحد وعاشا تربیة واحدة ورغم زواجهما وانفصالهما عن البیت الاصلی الذی تربیا فیه الا ان التواصل بقی الی آخر لحظات الحیاة.

ولهذا کانت نسبة التوافق الزوجی عالیة اذ کان هناک توافق دینی من حیث العقیدة ووحدة الهدف وکان هناک توافق اجتماعی من حیث البیئة والمجتمع بل ومن نفس القبیلة والمهاجرة وکان هناک توافق نفسی اولی فهناک معرفة اولیة والاهداف واحدة وکان هناک توافق اخلاقی حیث کان کلاهما صورة علیا کاملة للاخلاق الاسلامیة الحمیدة.

الزواج فی رحاب الدین

یعدّ الدین اهم العوامل المؤثرة فی الاختیار الانسب لشریک الحیاة.. فالدین یحدد الدوائر المحرمة والمحللة فی التزاوج ثم انه یؤکد علی مواصفات معینة فیقدم نصائح اولیة تدعو الی الزواج بمن تمتلک مواصفات معینة اهمها (ذات الدین) والابتعاد عن (خضراء الدمن) والنهی عن (الزواج من المشرکات حتی یؤمن) ویسهل عوامل کثیرة هی الیوم تبدو بمثابة عوائق علی

طريق الزواج كالعامل الاقتصادى «إِنْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ» (النور: 32). ويدعو الاسلام الى تزويج.

وفى الحديث (تخيروا لنطفكم فإن العِرق دساس)(1).

وجاء رجل الى الامام العسكرى (عليه السلام) يستشيره فى زواج ابنته، فقال (عليه السلام): «زوجها من رجل تقى؛ فإنه إنْ أحبها أكرمها. وإن أبغضها لم يظلمها»(2).

وبإسناده قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطيبا فقال: أيهاالناس إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء فى منبت السوء(3).

وحذّر الإمام الصادق عليه السلام من تزوج المرأة المستعلنة بالزنا وعن تزويج الرجل المستعلن بالزنا حيثُ قال عليه السلام: «لا تتزوجوا المرأة المستعلنة بالزنا، ولا تزوجوا الرجل المستعلن بالزنا إلاّ أن تعرفوا منهما التوبة»(4).

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل نساء امتى أصبحهن وجها وأقلهن مهرا»(5).

1- (1) (الكافى، للكلينى 2/332:5).

2- (2) (مكارم الاخلاق: 204).

3- (3) (الكافى 1/342:5 باب ان المؤمن كفؤ المؤمنة ص 332 ح 9494-4).

4- (4) (مكارم الاخلاق: 305).

5- (5) (مكارم الأخلاق: 439/1).

وجاء رجل الى الامام الصادق (عليه السلام) يستشيره فى زواج ابنته لأحد أقاربه وكان سيّئ الخلق، أيزوجه ام لا؟ قال (عليه السلام): «لا تزوجه ان كان سيّئ الخلق»(1).

وحذّر الإمام الصادق عليه السلام من تزويج شارب الخمر فقال: «من زوّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها»(2).

وان (شارب الخمر لايزوج اذا خطب»(3).

وقد أكد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اختيار الزوج الكفؤ وعرّفه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الكفؤ أن يكون عفيفاً وعنده يسار»(4). الكفء فى اللغة هو النظير المساوى).

وفى الحديث: اذا خطب اليكم كفو فزوجوه(5) ويشير هذا التكافؤ بالمماثلة فى الايمان والتقوى والطهارة والعفاف لا فى المال والثروة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اذا جاء كم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه»(6).

وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى،

1- (1) (مكارم الاخلاق: 204).
2- (2) (وسائل الشيعة 79:20. الكافى 1/347:5 باب 29).
3- (3) (وسائل الشيعة: 53/14 ح 2).
4- (4) (الكافى 1/347:5 باب الكفؤ).
5- (5) (الوسائل ج 14 ص 50-52).
6- (6) (الكافى 2/347:5، 3).

عن عبدالله بن مسكان، عن بعض أصحابه قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنما المرأة قلادة فانظر إلى ماتقلده، قال: وسمعته يقول: ليس للمرأة خطر لاالصالحتهن ولا لطالحتهن أما صالحتهن فليس خطرها الذهب والفضة بل هى خير من الذهب والفضة وأما طالحتهن فليس التراب خطرها بل التراب خير منها(1).

وتذهب الدراسات فى علم النفس الحديث الى ان تدين الرجل والمرأة من أهم عوامل نجاحهما فى الحياة الزوجية واستقرارهما الاسرى حيث تبين ان نسبة الطلاق عند الازواج المتدينين أقل منها عند غير المتدينين وقد أرجع هذا إلى أن التدين يدفع الى حسن الخلق مع الأهل والناس، وإلى التمسك بالقيم والأخلاق ويعزز الشعور بالتقوى والخوف من الله لا فقط من الناس والمجتمع.

ولهذا نجد النهى عن الزواج من غيرالمسلمة قال تعالى:

«وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولئِکَ يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ اللّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آياتِهِ لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (221) سورة البقرة

وهذه دائرة ثابتة لا يمكن اختراقها فالحلال والحرام مسألة ثابتة غير متأثرة بالعواطف والرغبات، وذلک للآثار السلبية التى يتركها هذا الزواج

1- (1) (الكافى 1/342:5 باب ان المؤمن كفؤ المؤمنة ص 332 ح - 9491-1).

على مستقبل الابناء والازواج على حد سواء، وسمعنا وشاهدنا الكثير من الذين تزوجوا من مشركات فكان ان اولادهم لم يتبعوا دينهم بل دين امهاتهم!! حيث ان الام اكثر احتكاكاً بالاولاد واكثر تأثيرا عليهم والاطفال اكثر انصياعا لامهاتهم خلال السنوات الاولى مضافا الى ذلک كله انشغال الآباء عن أبنائهم وعن متابعة شؤونهم والاهتمام بتربيتهم، وتساعد قوانين الدول الاجنبية – التى تعطى الحضانة كلها للام بشكل يحرم الآباء من كل رعاية للابناء فى حالة الانفصال – على إبعاد الابناء عن كل تعلقات دينية مع الاباء.. و يؤدى الزواج من امرأة مختلفة فى الدين والثقافة الى تعب جميع الاطراف واضطراب الاسرة بشكل يجعل الفرد بين خيارات قاسية للغاية ويعود السبب فى ذلک كله الى اختلاف الثقافة التى يعطيها الاسلام للفرد واستتباعات هذه الثقافة فى الطهارة وعدم اكل المحرمات وفى حدود لباس المرأة واداء العبادات الى غير ذلک..

وشجع الاسلام على اختيار الزوجة الصالحة قال تعالى:

«اَلْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ أُولئِکَ مُبَرَّؤُنَ مِمّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» (النور 26).

وقال ايضاً:

«رَبَّنا آتِنا فِى الدُّنْيا حَسَنَةً» (البقرة 201).

فالزوجة الصالحة حسنة لما تضفيه على العلاقة الزوجية من امور حسنة.

قال الامام الصَّادق عليه السلام: ثلاثة من السعادة: الزوجة المؤاتية،

والأولاد البارّون، والرجل يرزق معيشه ببلده يغدو إلى أهله ويروح(1).

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها فى نفسها وماله»"(2).

وعن الحسين بن بشار الواسطى قال:

كتبت إلى أبى جعفر عليه السلام أسأله عن النكاح فكتب إلى من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته فزوجوه "إلا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير(3).

ان الدين يجعل الشخص اكثر رضا عن حياته الزوجية عن طريق تفويض الامور الى الله والتوكل عليه والتحلى بفضائل الاخلاق كالقناعة والصبر وحسن الخلق كما ان الدين يدعو الى النظر فى عواقب الامور والازمات من خلال العوامل النفسية والروحية وليس فقط الى العوامل الاقتصادية أو الاجتماعية الظاهرة. وتبدو مسألة القيم والاتجاهات مهمة لانها تؤثر على اتجاه الاهداف عند الزوجين كما تسهم فى توجيهها نحو مسار واحد.

على هذا فالدين له دور كبير فى:

1 - إن الإسلام يرى ان قضية اختيار كل قرين لقرينه هى محک سعادة

1- (1) (الكافى ج 5 ص 310 ح 26).
2- (2) الكافى ج 5 ص 327.
3- (3) (نفس المصدرص 347 ح 9538-1).

أو شـقاء الاسـرة ومن ثم وضع ضوابط لعمليـة اختيار الازواج من خلال الآليات التى طرحها والـدوائر المحرمـة والمحللـة فهناک خطوط حمراء يجب الوقوف عندها وبهذا يحمى الاسرة الجديدة من كل ما يوثر مستقبليا على افرادها وانتماءاتهم ودينهم ومسارهم الاجتماعى.

2 – كمـا أن الإسـلام يتخـذ موقفاً وسـطاً فيما يتعلق بأسـلوب الاختيار فى الزواج فمن المعروف ان الإسـلام يسـمح للأهل بالتـدخل فى الاختيـار مع مراعاة ان الأبناء يحتفظون بحريتهم فى الاختيار.. فأعطى البنت حق الاختيار وإبـداء الرأى فيمن يتقـدم طالبا يـدها بالقبول أو الرفض لكنه جعل ايضا للاب ولايـة على البنت الباكر كى يتحمل الآباء مسؤولياتهم تجاه البنات لكنه مع ذلک اعطى للمرأة الراشدة الحق فى ان تزوج نفسها دون اذن ابيها. اضافة لذلک فقد الغى كل ولاية اخرى على الفتاة دون ذلک صيانة للفتاة نفسها من تدخل الآخرين حتى لو كان الاخ الاكبر!!.

3 – اضافة الى ذلک فإن الانسان وان كان حرا فى الزواج أو العزوبية الا ان الاسلام جعل الاختيار بين الاثنين امرا بعيدا اذ جعل الزواج سنة والعزوبيـة ابتعـاد عن السـنة وان العزاب هم شـرار الأمّـة!! – كى يفكروا فى الزواج –... عن رسول الله صـلى الله عليه وآله: «ما بنى بناء فى الإسلام أحب إلى الله تعالى من التزويج(1).

1– (1) من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 383.

4 – كما ان كل الاعمال المقدمة فی الحياة الزوجية مربوطة بالثواب والعقاب فالزواج عبادة وسنة وركعتان يصليهما المتزوج تعادل 70 ركعة للأعزب!!، كما ان الطلاق أبغض الحلال...

وفی الحديث: قال رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم: يؤتی بالرجل من أمتی يوم القيامة وماله من حسنة تُرجی له الجنة، فيقول الرب تعالی: أدخلوه الجنة، فإنه كان يرحم عياله(1).

وقال ايضا: ان الرجل اذا سقی امرأته اجر(2).

وهذه دعوة الی المشاركة والتعاون حتی فی أصغر الامور كشرب الماء وهذا العمل فی حدّ ذاته عبادة.

وقال صلی الله عليه وآله وسلم ايضا: من ضرب امرأة بغير حق فأنا خصمه يوم القيامة، لا تضربوا نساءكم فمن ضربهم بغير حق فقد عصی الله ورسوله(3).

وقال ايضاً: من كان له امرأة تؤذيه، لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتی تعينه وترضيه وان صامت الدهر... وعلی الرجل مثل ذلک من الوزر والعذاب اذا كان لها مؤذيا ظالما(4).

وقال صلی الله عليه وآله: «من صبرت علی سوء خلق زوجها أعطاها

1- (1) (تاريخ بغداد: ج 3 ص 330 رقم 819 عن علقمة بن عبد الله).
2- (2) (مسند ابن حنبل: ج 6 ص 85 ح 17155).
3- (3) (الريشهری، تهزيز الاسرة نقلا عن ارشاد القلوب ص 175).
4- (4) (البحار ج 76 ص 363 ح 30).

مثل ثواب آسيا بنت مزاحم»"(1).

5 – التعريف بحقوق كلا الطرفين وهـذا يسـهم فى زيادة الاهتمام بالطرف الآخر ورعاية الحقوق (لأنها الهية) اضافة الى تعريف الافراد بما لهم وما عليهم، الأمر الذى يلزم كل طرف عند حدوده مما يسهم الى حد بعيد فى صيانة الاسرة.

أَلا ـ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَـائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَـائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَـأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَـائِكُمْ فَلا ـ يُوطِئْنَ فُرُشَـكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ وَلَا يَأْذَنَّ فِى بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ أَلا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِى كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ (2).

6 – كما ان التدين يعزز من وجود المقومات الاخلاقية للزواج من قبيل القناعة والوفاء والكرامة وتجنب الغضب والسـخط وحفظ الاسـرار الزوجية، الامر الذى يزيد من نسبة الرضا عن الزوج والحياة الزوجية. وهو من عوامل ديمومة الزواج.

7 – كما أن التدين يسهم فى الاقلاع عن السلوكيات المهدمة للأسرة مثل الزنا وشرب الخمر. وقد ازدادت فى اوربا نسبة زواج اوربيات – لم يكن مسـلمات اصـلا – من مسـلمين والسـبب يعود الى ان الاسـلام يمنع السـلوكيات الخاطئـة كالزنا والخيانة الزوجية مما يعزز الشـعور بالامان.

8 – كما يسهم التدين فى التخلص من كثير من الاضطرابات النفسية بما

1- (1) مكارم الاخلاق ص 214.

2- (2) (سنن الترمذى ج 3 ص 467 ح 1163).

يقدمه من دعم نفسى ومعنوى مضافا الى الرعاية، الامر الذى يسهم فى تقوية الصحة النفسية لدى الافراد وتوجيه الشخصية نحو التوازن بعيداًعن الاكتئاب والقلق.

9 – ويسهم التدين فى تقوية مهارات حلول المشكلات والابتعاد عن اليأس والقنوط، كما يضاعف نسبة الامل بالحياة والزواج من خلال تقوية الثقة بالله تعالى ومن ثم سوف تسهم هذه الثقة فى زيادة الثقة بالنفس والصبر على المشكلات.

مضافا الى فوائد عديدة وكثيرة وبهذا يكون الدين حصنا امينا للزواج يحول دون انهياره ويسهم فى تطييب الخواطر اذا ما ادلهمت الخطوب.

فلسفة المهر فى الاسلام

سأل النبى صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام: «هل عندک شیء؟» وكان لا يملک غير سيفه ودرعه وناضحه.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأمَّا سيفک فلا غنى بک عنه، تجاهد فى سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحک تنضح به على نخلک وأهلک، وتحمل عليه حلَّک فى سفرک، ولكنِّى رضيتُ منه بالدرع»(1).

فباعها وباع أشياء غيرها كانت عنده، فاجتمع له منها أربعمائة درهم، فكان هذا مهر فاطمة.

1- (1) (كشف الغمة: الاربلى 1:368. الطبرانى المعجم الكبير: 1021/409:22).

وجاء على عليه السلام بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان، وكان اربعمائة درهم سود هجرية، فقبض الرسول (صلى الله عليه وآله) الدراهم وأعطاها لبعض اصحابه ونسائه ليشتروا متاعا للبيت الجديد، فكان الجهاز:

«1 - قميصاً بسبعه دراهم. 2 - خماراً بأربعه دراهم. 3 - قطيفة سوداء خيبرية. 4 - سريراً مزملاً بشريط. 5 - فراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من جز الغنم (صوف). 6 - أربعة مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر. 7 - ستراً من صوف. 8 - حصيراً هجرى. 9 - رحاءَ اليد. 10 - سقاءً من أدم. 11 - مخضباً من نحاس. 12 - قعباً للَّبَن. 13 - شنّاً للماء. 14 - مطهرةً مزفَّتة. 15 - جرَّةً خضراء. 16 - كيزان خزف. 17 - نطعاً من أدم. 18 - عباءً قطرانى. 19 - قربة ماء».

وقد ورد فى الطبقات(1) انه كان جهاز فاطمة كما بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان لها غير سرير من جريد النخل، وسادة من أدم حشوها ليف، ومنخل ومنشفة، ورحى للطحن، وجرّتان وقميص، وخمار لغطاء الرأس، وثوب له زغب، وعباءة قصيرة بيضاء، وجلد كبش..

ان الجاهلية كانت ترى ان المهر لاسرة الفتاة - لا للفتاة - نفسها ولهذا يقولون عند ولادة الطفلة بما ورد فى تفسير الكشّاف وغيره: أنّه حين كان يولد لأحدهم فتاة ويريد آخر أن يهنّئه يقول له: (هنيئاً لک النافجة) أى الزيادة فى الثروة، يقصد أنّها ستجلب له مالاً حين تشب وتتزوّج ويدفع له مهرها.

1- (1) (الطبقات الكبرى 19:8).

هـذا مضافا الى ان الجاهلية كانت موبوءة بكثير من العادات الظالمة كظاهرة ارث النساء كرها وذلک من قبل ابناء الزوج أو اخوته أو اللجوء لزواج الشغار خلاصا من المهر (وللاسف فان هذه الظاهرة موجودة فی عصرنا الحالی).

يقول القرآن الكريم «وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَیْ ءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً» النساء 4.

والصدُقة بضم الدال مشـتقة من مادة صدق بمعنى انه الدليل الصادق على حب الرجل للمرأة وسعادته بالارتباط بها فهى هدية حب صادقة وهى خاصة خالصة للمرأة كما يذهب لذلک عموم علمائنا ومراجعنا.

وقد يكون المهرعبارة عن هدية مالية وقد يكون هدية منفعة كما حدث فی عصـر الاسـلام الاول فقد كان مهر بعض المسـلمات هو تحفيظ النساء لسور من القرآن أو تعليمهن ذلک، وفی عصـرنا الحالی يتنوع بين الامر المادی أو المعنوی كأن يجعله البعض سـفرا للحـج الى غير ذلک.

والاولى ان نتعرف على فلسـفة المهر من خلال كلام علمائنا الاعلام حيث يقول مرتضـى مطهری فی كتاب نظام حقوق المرأة فی الاسـلام تحت عنوان الفلسفة الحقيقية للمهر:

إنّ المهر – فی رأينا – قـد وجـد نتيجة تدبير ذكی فی أصل الخلقة من أجل تمتين علاقة المرأة بالرجل وتماسـكها. وُجد المهر لأنّ دور كل من المرأة والرجل فی مسألة الحب مختلف فی أصل الخلقة فأنّ مشاعر المرأة والرجل تجاه كل

منهما ليست متشابهة. فعادل ضعف المرأة فى مقابل قوّة الرجل بهذه الطريقة، وهكذا نجد الرجل هو الذى يذهب لخطبة المرأة، وكما رأينا من قبل طبقاً لأقوال علماء الاجتماع فى مرحلة سلطة الأم كما فى مرحلة سلطة الأب أنّ الرجل هو الذى يبحث عن المرأة.. اضطر الرجل إلى إظهار حاجته إلى المرأة والمبادرة إلى جلب رضاها، وكان من هذه المبادرات – من أجل جلب رضاها واحترام رغبتها – أن يقدّم لها هدية.

وللمهر جذر مشترك مع حياء وعفّة المرأة، فقد أدركت المرأة بإلهام فطرى أنّ عزّتها واحترامها يقضيان بأن لا تسلّم نفسها للرجل مجّاناً: أى – كما يصطلح عليه – أن تعرض سلعتها بثمن غال. وقد أدّى ذلک كلّه إلى أن تستطيع المرأة – مع ضعفها الجسمى – جرّ الرجل إلى ساحتها خاطباً، وتدفع الرجال إلى التنافس من أجلها، كما أنّها – بإخراج نفسها من متناول يد الرجل – صنعت الحب الرومانتيكى فصار كل مجنون يعدو خلف ليلاه، وحين ترضى بالزواج من الرجل تتسلّم منه هدية دليلاً على الصداقة.

ويضيف:

المهر بهذه الصورة هو إبداع الخلقة، ودور القرآن إنّما هو إعادة المهر إلى حالته الفطرية.

يقول القرآن الكريم بلطف وظرف منقطعى النظير:«وَ آتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً» 1 ، أى أعطوا النساء مهورهن – التى هى ملک لهن –

بأيديهن لا بأيدى الآباء أو الإخوة. إنّها هداياكم إليهن.

والقرآن الكريم فى هذه الجملة القصيرة أشار إلى ثلاث نقاط:

أولاً: سمّى المهر (صدقة) بضم الدال والصدقة مشتقة من مادة (صدق) ولذا يسمّى المهر صداقاً أو صدقة لدلالته على صدق العلاقة مع الرجل، وقد أشار إلى هذه النقطة بعض المفسّرين كصاحب الكشّاف، وكذلک أورد الراغب الأصفهانى فى مفردات غريب القرآن أنّ الصدقة (بفتح الدال) سمّيت كذلک لأنّها دليل على صدق الإيمان.

ثانياً: بإلحاق ضمير (هنّ) بالصدقات أراد عزّ وجل أن يشير إلى تعلّق المهر بنفس المرأة لا ـ بالأب والأُم؛ لأنّ المهر ليس أجرة التربية والإرضاع والإطعام وغيرها من الخدمات التى قدّماها.

ثالثاً: إنّه باستعمال كلمة (نحلة) يصرّح بوضوح أنّ المهر ليس له عنوان غير الهدية والمنحة فحسب.

وألغى القرآن الكريم كل عادة تستوجب تضييع مهر النساء، ومن جملتها أنّ الرجل كان حين يفقد ميله إلى زوجته فإنّه يضايقها ويؤذيها قاصداً بأذيّتها أن ترضى بالطلاق وتعيد إليه كلاًّ أو قسماً ممّا كان قد وهبها من المهر، يقول القرآن الكريم:«وَ لا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ»1 .

ومن هذه العادات – أيضاً – أنّ رجلاً مثلاً يتزوج من امرأة ويجعل لها مهراً غالياً، وحين يملّها ويشتاق إلى الزواج من أخرى، يتهم الأُولى بالفحشاء

ويلوّث سمعتها ويدّعى – لذلک – أنّ هذه المرأة لم تكن لائقة بالزواج منه أصلاً ويجب فسخ عقد الزواج، ويطالب باستعادة قيمة المهر الذى وهبه لها عند الزواج، وقد ألغى القرآن الكريم هذه العادة ومنعها(1).

فى النظام الغربى المعاصر تبدأ علاقات الحب والغرام بتقديم هدايا ولايوجد مهر للمرأة!! بل انها محرومة حتى من النفقة بعد الزواج فهى تستمر فى الانفاق على نفسها وربما على زوجها ايضا!! وبهذا فلا فارق فى وضعها المالى قبل وبعد الزواج!! وقد حاول الغربيون ايجاد لوائح قوانين تصون الحقوق المالية للمرأة لكنها مازالت متعثرة.

على هذا كان لابد لعلى عليه السلام كتعبير عن رغبته فى الزواج بابنة المصطفى ان يقدم المهر لعروسه ورغم انه لم يكن ميسور الحال الا انه اضطر من اجل تأمين المهر المتواضع للزهراء الى بيع درعه، وتقبل والد العريس المهر المتواضع فأعطاه لمن يستطيع شراء متطلبات الحياة الجديدة وهذا المهر المتواضع للزهراء عليها السلام كان قد اصبح سنة حتى عصرنا الحالى.

غلاء المهور.. مصائب ام فوائد؟

لعل واحدة من اخطر الظواهر الموجودة حاليا فى مجتمعاتنا هى مشكلة غلاء المهور، فهناک تباهٍ فى قيمة المهر بالنسبة للاسرة والازواج والنساء ايضاً!! وكأن ارتفاع المهر مفخرة لابد من التباهى بها!!.. ويعتقد بعض الآباء ان المهر العالى يمثل حصانة للمرأة عن الانفصال عن زوجها ولهذا فكلما كان عاليا

1- (1) (مرتضى مطهرى فى كتاب نظام حقوق المرأة فى الاسلام بتصرف ص 224-234).

كلما كان افضل من حيث انه سبب لارتفاع مؤشر الشعور بالامان لدى الزوجة!!.. لكن الواقع المعاصر يعكس غير ذلک تماما فان ارتفاع نسبة الخلع عند النساء والذى يكون فى غالب الاحيان عبر تنازل الزوجة عن المهر لكى يجبر الزوج على البوح بكلمة الطلاق.. لهى دليل واضح على ان المهر العالى لم يعطِ اية حماية أو صيانة للزوجة..

وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أضر بامراة حتى تفتدى منه نفسها، لم يرضَ الله تعالى له بعقوبة دون النار(1).

كما ان كثيراً من الآباء يأخذون المهور لأنفسهم رغم حرمة ذلک خاصة فى حال زواج الصغيرات من الاثرياء، ونرى شيوع ظاهرة زواج الفتيات من رجال كبار فى السن وربما اكبر حتى من آبائهن لانهم يملكون ثروة عالية!! فالمهر العالى قد لا يمثل شيئا بالنسبة لهؤلاء الاغنياء لكن هذه الحالة ادت الى عدد من الظواهر الاجتماعية منها زيادة نسبة عنوسة الشباب من الذكور الذين بدأوا للتو فى تكوين حياتهم وليس لديهم اى ثروة يتباهون بها من هذا من ناحية، والامرالثانى هو زيادة نسبة الارامل الصغيرات فى السن اللائى مات ازواجهن الطاعنون فى السن مما ادى الى ظهور مشاكل جديدة. والملاحظ ان المرأة المعاصرة لم تعد تمتلک نفس القدرة من التحمل التى كانت عند امهاتنا وجداتنا رغم انها الاكثر راحة والاكثر تنعما!! والسبب يعود الى المفاهيم الخاطئة التى بدأت تنتشر فى مجتمعاتنا عن الحقوق الخاطئة للمرأة

1- (1) (البحار: ج 76 ص 365 ح 30).

والعلاقة بين الجنسين ورؤية المرأة للرجل على انه ند وليس شريک حياة، ولهذا نجد ارتفاع نسبة الطلاق فی مجتمعاتنا بشكل مذهل ومخيف ايضا!! وهذا ادى الى ظواهر سلبية اخرى منها ارتفاع نسبة الاسر الاحادية (اى اسر اما فيها اب أو ام) وزيادة نسبة اولاد الطلاق واولاد الشوارع وتزايد الملفات المقدمة الى الشرطة والجنايات عن حوادث سابقة ولاحقة كاختطاف الاطفال خاصة حينما يحرم الطرف الآخر من اولاده.. يضاف الى ذلک ان الطلاق قد يكون حلا لمشكلة غير موجودة اصلا اى مجرد وهم!! وقد يكون حلاً لمشكلة حقيقية فلا يكون هناک اى مفر منه اذ لابد من انهاء العلاقة الزوجية بعد ان اصبح البيت الزوجی محطة للشجار والعنف وبعد افول المودة والرحمة وغياب السكينة ومن ثم فاستمرار الحياة الزوجية مع مشكلاتها امر عسير وبهذا يكون الطلاق آخر الحلول لهذه المعضلة وهنا تبرز مشكلة المهر العالی الذى يقف حائلا دون ذلک فيلجأ الزوج الى هجر الزوجة وتركها معلقة وهو امر اقسى من الطلاق نفسه فضلاً عن ان الهجر حرام والطلاق أبغض الحلال!! قال تعالى:

«فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً» 1 .

والعجيب ان الآباء عند الزواج يشترطون المهر العالی كضمان لحياة ابنتهم عند الانفصال وهذا بحد ذاته امر خطأ.. فلماذا نجعل ذاكرة الازواج

الجـددلكلا الجنسـين – ملوثة بريح الطلاق؟ وللتو كانت شـمس الخطوبة الحالمة قد اشـرقت وانارت تلافيف العقول والقلوب خاصة عند البنات ونجعهلن فى دائرة الشك والوسوسـة منـذ البدايـة وتصـبح هناك فكرة قابعـة فى الـذاكرة (اننى ربما اترك هذا الرجل حتى لو كان ابا لاولادى)!! لماذا نعطى منـذ البدايـة تصوراً للبنات ان هـذه الحياة الزوجية التى بدأت الان ربما لا تسـتمر!! ولابد ان تسـتعد البنت لما بعد الانفصال وهى للتو عروس تهيأ ثوبها الابيض لدخول الحياة الزوجية الجديدة!!.

وقد عرضت سـجلات المحاكم حالات طلاق كثيرة يكون فيها المهر عاليا ولكن الزوج لا يستطيع دفعه فيلجأ الزوج الى التقسيط للخلاص من المشـكلة نفسـها، واحيانا يسـتدين من آخرين لتقديم المهر للخلاص من طوق الزوجية وبأسـرع وقت ولا ادرى هل يكفى حصول هذا المال الوفير للزوجـة ليكون امناً وامانا للمرأة؟ ان المهر العالى اصـبح الآن احـد اهم أسـباب زيادة العنوسـة لدى الرجال والنساء على حد سواء!! وكثيراً ما ادى الى الوقوع فى الحرام بسبب عدم القدرة على تأمين الحلال!!.

وفى البلاد التى تقدم فيها المرأة جهاز العرس (مثل ايران حيث تتولى الفتاة مسألة تأثيث البيت كاملا) يتحول المهر الى وسـيلة ابتزاز!! فهى تطـالب بـالمهر العـالى ثم تطلب الطلاق (قبل الـدخول فيكون لها نصف المهر) وبهـذا المبلغ تشترى جهاز العرس لعريس آخر!! واذا لم يستطع الزوج تنفيذ ذلك فالسجن مثواه!!.. فتجد السجون تعج بنزلاء لم يرتكبوا جرما سوى انهم لا

يستطيعون دفع المهر العالى!!، لان الزواج هو احد العقود التى تستوجب الوفاء وهذا الذى يدخل السجن لا لسبب سوى فقره أو بالاحرى فشله فى الانتخاب الحسن للزوجة قد يصل به المطاف فيما بعد الى الاجرام نفسه؛ إذ إنه عند خروجه من السجن يطالبه رب العمل بورقة عدم المحكومية ولما كان السجن قد ثبّت ادانته فقد كتّب عليه الشقاء فى ساحة العمل فقد يرضى بالوظائف السيئة أو التى تكون ادنى من مؤهلاته الاصلية. ويكون الزوج هنا قد فقد مهنته وعمله؛ لأنه حكم عليه بالسجن لخطأ الحب كما يقول!!.. حقا إن المهر العالى شؤم للمرأة والرجل على حد سواء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تياسروا فى الصداق، ان الرجل يعطى المرأة حتى يبقى ذلک فى نفسه عليها حسيكة (اى عداوة وبغضا)(1).

وبإسناده عن إسماعيل بن مسلم، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أفضل نساء أمتى أصبحهن وجها وأقلهن مهرا(2).

وعن محمد بن على بن الحسين قال: روى أن من بركة المرأة قلة مهرها، ومن شؤمها كثرة مهرها(3).

1- (1) (النهاية فى غريب الحديث: ج 1 ص 386).

2- (2) (من لا يحضره الفقيه 243l3:1156، أخرجه عنه وعن الكافى والتهذيب فى الحديث 8 من الباب 6 وفى الحديث 3 من الباب 52 من أبواب مقدمات النكاح).

3- (3) (الفقيه 1160l3:1، وأورده فى الحديث 4 من الباب 52 من أبواب مقدمات النكاح).

وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) على درع حطمية تسوى ثلاثين درهما(1).

وبهذا يمكن القول إن المهر العالى لايمثل حصانة أو أمناً للمرأة ابداً فما اكثر حيل الرجال التى تجعل المرأة تتنازل عن المهر بكامله لفكاك رقبتها من زوج لا تتوافق معه! وما اكثر تبنى النساء للخلع خلاصا من الرجل!!.

زفاف الزهراء عليها السلام

وأرجح الأقوال أنَّ زواجهما عليها السلام كان بعد الهجرة وأرَّخه ابن الأثير فى الكامل فى السنة الثانية من الهجرة فى شهر شوال وقّته آخرون فى شهر ذى الحجة من السنة الثانية(2).

والروايات التى وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) تنص كلها على وقوع الزواج بعد عودة المسلمين من معركة بدر منتصرين.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «تزوج على فاطمة (عليها السلام) فى شهر رمضان وبنى بها فى ذى الحجة من العام نفسه بعد معركة بدر»(3).

1- (1) (الكافى 2:5l377).

2- (2) (الاربلى l كشف الغمة 364:1، بحار الانوار 136:43).

3- (3) كشف الغمة: 364/1، بحارالأنوار: 134/43.

وروى أيضاً أنّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) دخل بفاطمة (عليهاالسلام) بعد رجوعه من معركة بدر لأيام خلت من شوال السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة(1).

وروى ايضا انه فى أول يوم من ذى الحجة (السنة الثانية من الهجرة) زوّج رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) فاطمة علياً (عليه السلام)(2).

وروى المجلسى عن أمير المؤمنين عليه السّلام (فى حديث زواجه بفاطمة عليها السّلام)، قال: ومكثتُ بعد ذلک (بعد شراء أثاث البيت) شهراً لا أُعاود رسول الله صلى الله عليه وآله فى أمر فاطمة بشىء؛ استحياءً من رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أنّى كنتُ إذا خلوتُ برسول الله يقول لى: يا أبا الحسن، ما أحسَنَ زوجَتَک وأجمَلَها! أبشِر يا أبا الحسن، فقد زوّجتُکَ سيّدة نساء العالمين(3).

وعن علىٍّ بن أبى طالب عليه السلام قال: «لقد تزوَّجت فاطمة وما لى ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه الناضح بالنهار، وما لى ولها خادم غيرها»(4).

عن عائشة وأُمّ سلمة قالتا: أمَرَنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نجهِّز فاطمةَ حتّى نُدخِلَها على علىّ. (اى قمن باعداد زينتها وملابسها

1- (1) أمالى الطوسى: 43 مجلس 2 حديث 47.

2- (2) مصباح المتهجد للطوسى: 613.

3- (3) (البحار 43 ص 130).

4- (4) الطبقات الكبرى 18:8).

وماتحتاجه المرأة للزفاف).. فما رأينا عُرساً أحسن مِن عرس فاطمة(1).

قالت امّ سلمة: فسألت فاطمة: هل عندک طيب ادّخرْتِهِ لنفسک؟

قالت (عليهاالسلام): «نعم» فأتت بقارورة فسكبت منها فی راحتی فشممت منها رائحة ما شممت مثله قط.

أمَّا علیٌّ علیه السلام قد رشَّ أرض الدار برمل ناعم، ونصب فی البيت خشبة من الحائط إلی الحائط، لتعليق الثياب.

ولمّا كانت ليلة الزفاف، أتی (صلی الله عليه وآله) ببغلته الشهباء، وثنی عليها قطيفة وقال لفاطمة (عليها السلام): «اركبی»، فأركبها وأمر سلمان أن يقود بها إلی بيتها، وأمر بنات عبد المطّلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين فی صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن، ولا يقلن ما لا يرضی الله تعالی(2).

ثمّ إنّ النبی (صلی الله عليه وآله) أخذ علياً (عليه السلام) بيمينه وفاطمة (عليها السلام) بشماله، وضمّهما إلی صدره، فقبّل بين أعينهما، وأخذ بيد فاطمة فوضعها فی يد علی، وقال: «بارک الله لکَ فی ابنة رسول الله».

وقال (صلی الله عليه وآله): «يا علی، نعم الزوجة زوجتک»، وقال: «يا فاطمة، نعم البعل بعلک»، ثمّ قال لهما: «اذهبا إلی بيتكما، جمع الله بينكما

1- (1) (سنن ابن ماجة 1:616 / ح 1911).
2- (2) (مناقب آل أبی طالب 130/3).

وأصلح بالكما»، وقام يمشى بينهما حتّى أدخلهما بيتهما(1).

ثمّ أمر (صلى الله عليه وآله) النساء بالخروج، فخرجن. تقول أسماء بنت عُميس: فبقيت فى البيت، فلمّا أراد (صلى الله عليه وآله) الخروج رأى سوادى فقال: «من أنتِ»؟ فقلت: أسماء بنت عُميس، قال: «ألم آمرک أن تخرجى»؟

قلت: بلى يا رسول الله، وما قصدت خلافک، ولكن أعطيت خديجة عهداً. ثمّ حدّثته بما جرى عند وفاة السيّدة خديجة (عليها السلام)، فبكى (صلى الله عليه وآله) وأجاز لها البقاء(2).

عن جابر، قال: حضرنا عرس على وفاطمة عليهما السلام فما رأينا عرساً كان أطيب منه، حشونا الفراش الليف، وأُوتينا بتمرٍ وزبيب فأكلنا، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش(3).

وروى ابن شهرآشوب عن الخطيب فى تاريخه وابن مردويه وابن المؤذن وشيرويه الديلمى بأسانيدهم عن ابن عباس وجابر، قالا: لمّا كانت الليلة التى زفت فاطمة عليها السلام إلى على عليه السلام كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملک من خلفها، يسبّحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر(4).

1- (1) (بحار الأنوار 142/43.

2- (2) (البحار 138/43).

3- (3) (مجمع الزوائد 209:9. والثغور الباسمة: 33. وذخائر العقبى: 34. والرياض النضرة 144:3).

4- (4) (المناقب 354:3. وتاريخ بغداد 7:5. ومقتل الحسين عليه السلام ا الخوارزمى 66:1. وذخائر

عن ابن بابویه – فی خبر – قال: أمر النبی صلی الله علیه وآله وسلم بنات عبدالمطلب ونساء المهاجرین والأنصار أن یمضین فی صحبة فاطمة، وأن یفرحن ویرجزن ویکبّرن ویحمدن، ولا یقلن ما لا یرضی الله، فارتجزت أُمّ سلمة وعائشة وحفصة ومعاذة أُمّ سعد بن معاذ، وکانت النسوة یرجعن أوّل بیت من کل رجز، ثم یکبّرن، ودخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی علی ودعاه إلی المسجد، ثم دعا فاطمة علیها السلام فأخذ بیدها ووضعها فی یده، وقال: «بارک الله فی ابنة رسول الله»(1).

الدعاء للزوجین

وفی حدیث أُمّ سلمة: أنّه صلی الله علیه وآله وسلم أخذ علیّاً بیمینه، وفاطمة بشماله وجمعهما إلی صدره، فقبّل بین أعینهما، ودفع فاطمة علیها السلام إلی علی علیه السلام وقال: «یاعلی، نعم الزوجة زوجتک» ثم أقبل علی فاطمة علیها السلام وقال: «یافاطمة، نعم البعل بعلک»، ثم قام معهما یمشی بینهما حتی أدخلهما بیتهما الذی هیّیء لهما، ثم خرج من عندهما، فأخذ بعضادتی الباب. فقال: «طهرکما الله وطهّر نسلکما، أنا سلمٌ لمن سالمکما، أنا حربٌ لمن حاربکما، أستودعکما الله واستخلفه علیکما»(2).

روی أنس بن مالک عن أُمّ أیمن، قالت: إنّه لما کانت لیلة البناء، قال

1- (1) (المناقب 354:3. وبحار الأنوار 115:43).

2- (2) (کشف الغمة | الاربلی 361:1).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام: «إذا أتتک فلا تحدث شيئاً حتى آتيک» فدخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال لفاطمة عليها السلام: «ائتينى بماء» فقامت إلى قعب فى البيت فجعلت فيه ماء فأتته به، فمجّ فيه ثم قال لها: «قومى» فنضح بين ثدييها وعلى رأسها، ثم قال: «اللهمَّ أُعيذها بک وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال لها: «أدبرى» فأدبرت، فنضح بين كتفيها، ثم قال: «اللهمَّ إنى أُعيذها بک وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال: «ائتينى بماء» فأتته، فأخذ منه بفيه، ثم مجّه فيه، ثم صبّ على رأس على وبين يديه، ثم قال: «اللهمَّ إنى أعيذه وذريته من الشيطان الرجيم» ثم قال: «ادخل على أهلک باسم الله والبركة»(1).

وكان من عادة العرب فى الجاهلية أن يقولوا للمتزوجين: بالرفاء والبنين، فنهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى زواج الزهراء عليها السلام وسنّ فيه غيره، روى ثقة الإسلام الكلينى عن أبى عبدالله البرقى رفعه، قال: «لمّا زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة قالوا: بالرفاء والبنين. قال: لا، بل على الخيروالبركة»(2).

على هذا نرى ان زواج الزهراء عليها السلام كان جديداً فى كل مفاصله ومراحله وقد اسس لقيم جديدة مازالت فاعلة حتى وقتنا الحالى، لقد كان زواجا ربانيا سماويا ارضيا لم ير الناس اجمل منه.

1- (1) (مجمع الزوائد 206:9).

2- (2) (الكافى 568l5:52. وبحار الأنوار 144l43:46).

وفی روایـة: لمـا زوج رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله) ابنته فاطمـة (علیهاالسـلام) قـال لهـا: «زوجتک سـیّداً فی الـدنیا والآخرة، وإنّه أول أصحابی إسلاماً وأکثرهم علماً وأعظمهم حلماً(1).

کلام الناس

عن أمیر المؤمنین علیه السـلام قـال: «خلا رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم بابنته فی صبیحـة الیوم الرابع، قال لها: کیف أنت یا بنیـة، وکیف رأیت زوجک؟ فقالت له: یا أبه، خیر زوج، إلاّ أنه دخل علیَّ نساء من قریش، وقلن لی: زوّجک رسول الله من فقیر لا مال له، فقال لها صلی الله علیه وآله وسلم: یا بنیة، ما ألوتک نصحاً أن زوجتک أقدمهم سلماً، وأکثرهم علماً، وأعظمهم حلماً. یا بنیة، إنّ الله عزَّ وجلَّ اطلع إلی الأرض إطلاعة فاختار منها رجلین، فجعل أحدهما أباک والآخر بعلک. یا بنیة، نعم الزوج زوجک لا تعصی له أمراً. ثم صاح بی رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: یا علی، فقلت: لبیک یا رسول الله. فقال: ادخل بیتک والطف بزوجتک وارفق بها، فإن فاطمـة بضـعة منی، یؤلمنی ما یؤلمها، ویسرنی ما یسرها، أستودعکما الله وأستخلفه علیکما»(2).

وعن الإمام الصادق علیه السلام عن آبائه: «إنّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لمّا زوج فاطمة علیها السلام، دخل النساء علیها، فقلن: یا

1- (1) بحارالأنوار: 133/43، ومسند الإمام أحمد: 26/5.

2- (2) (کشف الغمة ا الاربلی 363:1).

بنت رسول الله، خطبک فلان وفلان، فردّهم عنک، وزوّجک فقیراً لا مال له، فلمّا دخل علیها أبوها صـلی الله علیه وآله وسلم رأی ذلک فی وجهها، فسألها فـذکرت له ذلک، فقال: یا فاطمـة، إنّ الله أمرنی فانکحتک أقدمهم سـلماً، وأکثرهم علماً، وأعظمهم حلماً، وما زوجتک إلاّ بأمرٍ من السماء، أما علمت أنه أخی فی الدنیا والآخرة»(1).

وانی اعجب لبعض المؤرخین الـذین افتقـدوا للامانة العلمیة فنقلوا الحدیث من وسـطه وکأن هذا هو رأی الزهراء!! والعیاذ بالله!! ان الزهراء علیها السـلام کانت تعرف علیاً علیه السـلام حق المعرفـة وکانت تعرف فقره وقلـة ذات یده وکانت عارفة بأنه الانسب لها وانه لا یوجد علی وجه الارض من هو کفؤ لهـا سواه، وما کانت الزهراء علیها السـلام لتتأثر بکلام هـذه وتلک وان جئن مهنئات! ولکنها نقلت الامر للرسول لیکون علی بینة من أخبار أمته وکیف یفکرون!!.

عن جابر بن عبـدالله قال: لمّا زوّج النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم علیّاً من فاطمـة علیها السـلام أتت قریش فقالوا: یا رسول الله، زوجت فاطمة بمهر خسیس، فقال صلی الله علیه وآله وسلم:

«ما زوجت فاطمة من علی، ولکن الله زوجها»(2).

والحقیقة ان کلام الناس مشکلة کبیرة وهو مدخل لمصائب اکبر

1- (1) شرح ابن أبی الحدید 227:13.

2- (2) (المناقب ا ابن المغازلی: 343ا395. وأمالی الطوسی: 266ا464. والفقیه 253ا3:1202).

ومشكلات أخطر، والمتكلمون بهذه الامور التافهة هم من اصحاب الخواء الفكرى والثقافى الذين لا يجدون ما يشغلهم سوى القيل والقال والغيبة والنميمة وهم الاعلام السيئ فى المجتمع (الطابور الخامس) وهم المروجون للاشاعات والمؤسسون للفتن ايا كان نوعها أو حجمها!!، وهم يتكلمون بهذا الكلام وامثاله اما حقدا أو حسدا أو رغبة فى اثارة النعرات وسلب الراحة والهناء لدى من يتكلمون عنهم خاصة فى حالة زواج الزهراء عليها السلام فمظاهر العظمة والسرور التى بانت فى الارض والسماء فرحا بهذا العرس الملكوتى الملائكى الدنيوى والاخروى تجعلهم يبحثون عن ثغرات ليقوضوا الشعور بالبهجة وليداووا نقصهم!!.. فهم يتكلمون بهذه الصورة المخجلة لشعورهم بالنقص والصغر والضعة فأين هم من الزهراء وابيها وزوجها!! وهؤلاء وامثالهم يتربصون الاحداث ويهولون الصغائر ويصغرون حقائق تبدو واضحة كالشمس.. ولديهم قدرة على التلاعب بالافكار والحقائق والامور الواضحة وانما تتضح قدرة التلاعب عندهم لغياب التقوى وضعف اجهزة الرقابة الذاتية مع عدم سماع نصائح النفس اللوامة.. وقد يتلبسون بمظاهر الحب والرغبة فى خدمة الآخرين لكنهم العدو فلابد من الحذر.. ولانهم جراد منتشر ولهم فى كل مساحة من المجتمع بؤر شيطانية خبيثة هدفها تدمير البيوت بالشائعات والاقاويل.... ويدخل الاعلام المشوه ضمن مساحة اراضيهم فالاعلام يحجب الحقائق ويسند الضلالات بل هو مصيبة كبرى فهو مشوه مدسوس يخفى احقاده (خاصة على المسلمين والموالين لاهل

البيت عليهم السلام فنحن نختار بيوتنا وسلوكنا وملابسنا بل وحتى افكارنا وطعامنا تبعاً لكلام الناس! فلئن خرجنا من عبودية الاوثان الترابية فقد رجعنا لعبودية اوثان اخرى ربما هى اشد خطرا وفتكا.!!. على هذا يمشى البعض مع هوى الناس فيفعلون اشياء لا يحبونها وقد تناقض عقائدهم التى آمنوا ودافعوا عنها ردحا من الزمن، فلقد اسفرت النساء خوفا من كلام الناس كى لا تتهم بالتخلف والرجعية!! وقد سألت فتاة خلعت الحجاب عن سبب ذلک قال: كلام الناس والى هذا تشير بنت الهدى رحمها الله:

رجعية إن قيل عنک، فلا تبالى، واصمدى..

قولى: أنا بنت الرسالة من هداها اهتدى

لم يثننى خجلى عن العليا ولم يغلل يدى

كلا ولا هذا الحجاب يعيقنى عن مقصدى

فغد لنا اختاه والحق يعلو فوق كيد المعتدى

.. وقديكون هذا الكلام ناتجاً عن حقد دفين اوحسد مريض فما اكثر الحساد! حتى على ابنة المصطفى!، يقول تعالى:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً» 1 .

فالزهراء عليها السلام خطبها الكثيرون بما فيهم الاغنياء فكيف تكون

لعلى عليه السلام الذى يسمو بايمانه وان خلا جيبه!!..

وقـد تزوج الزهراء بعـد معركة بدر (كما نقلت بعض الروايات) حيث تناقل الناس (بما فى ذلک الذين لا يعرفونه) بطولاته وشـجاعته وبلاءه فى المعركـة، ولعل كلام (المهنئين) اشارة اوليـة الى الزهراء عليها السـلام بما سـيلاقيه آل على فيما بعد فهى رسالة حقد بدأ ينمو فى قلوب الحاسدين!.

ونجد ان الزهراء عليها السـلام فى الوقت الذى تجد علياً (خير زوج) فإنها اكتفت بنقل الصورة الى أبيها صـلى الله عليه وآله وسـلم.. وكان البوح تخلصا من ثقل الكلام، فالزهراء الفرحة بعرسـها وعريسـها تسمع الملامة على حسن الاختيار بدل كلمات التهنئة والتبريک!!.. وهى بهـذا النقل تعلن ادانتها لما سـمعت وتعلن عدم تأثير هذه الكلمات الفارغة على شخصـها أو على اعتزازها بزوجها الفقير وهذه اشارة على قوة الشخصية عندها واشارة ايضا الى عمق الوعى لديها وهو درس للآخرين على ان لايتأثروا بكل مايسمعونه، فما اكثر البيوت التى تهدمت بسـبب الاقاويل الخاويـة. ونحن نعلم ان المتأثرين بالشائعات والاقاويل هم ضـعاف الشخصـية وهم السـذج من الناس (والامّعـة) الـذين يدورون مع الغير حيث داروا حتى لو كان الدوران الى الحائط الذى يشج رؤوسهم!!.

على اننا يجب ان لا ننسى ان النساء لقلة الوعى لديهن وقياسهن الامور بالصور الخارجية هن الاكثر تأثرا بكلام الناس والامر يعود ايضا الى انخفاض مؤشر الثقة بالنفس عندهن اضافة الى الفراغ العقائدى، وفى نفس الوقت هن

الاكثر اثارة لهذا النمط من الكلام فى الميدان الاجتماعى بسبب تعدد العلاقات الموجودة، اما الرجال فهم الاكثر اثارة لمثل هذه الاقاويل فى الميدان السياسى والتجارى بل وحتى المعرفى والجميع يبتغى ان يؤثر على عقلية الطرف المقابل وجره الى انماط معينة من السلوك أو على الاقل اثارة الفكرة عند الآخر لسلب الراحة وايجاد ثقب صغير لنفوذ الهواء الملوث!!.

وقد يكون الامر غير متوقع من نساء المدينة التى هاجر اليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تاركا كل ماعنده فى مكة وهو ايضا تحذير لنا اذ قد نجد من الآخرين ما لاننتظره حتى فى لحظات الفرح! فالناس حتى فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفى مدينته المقدسة هم انماط شتى ودرجات متباينة من الايمان.

أخرج المحبُّ الطبرى فى (الرياض النضرة) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال للإمام على عليه السلام: (أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلى، ولم أوت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتى ولم أُوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبى مثلهما، ولكنكم منى وأنا منكم)(1).

وفى كتاب مستدرک الحاكم - كتاب معرفة الصحابة - سدوا هذه الأبواب إلاّ باب على - حديث رقم (4608) أخبرنى: الحسن بن محمد بن إسحاق الإسفراييني، ثنا: أبو الحسن محمد بن أحمد بن البراء، ثنا: على بن

1- (1) (المحب الطبرى، الرياض النضرة ا 3:172).

عبد الله بن جعفر المدينى، ثنا: أبى، أخبرنى: سـهيل بن أبى صالح، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال لأن تكون لى خصلة منها أحب إلى من أن أعطى حمر النعم قيل: وما هن يا أمير المؤمنين قال: تزوجه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسكناه المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحل له فيه ما يحل له والراية يوم خيبر.

الاسرة الجديدة

انتقلت الزهراء عليها السـلام الى بيتها الجديـد المتواضع وبـدأت حياتها الزوجية مع امير المؤمنين عليه السـلام.. حياة هادئة طيبة يحميها رضا الاثنين عن بعضـهما ويشـد اواصـرها الهـدف السامى الـذى عاشوا له. واثمرت حياتها الجديدة عن اولادها الاربعة الذين هم قرة عين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم:

الامام الحسن عليه السلام ولد فى عام 3 ه – 15 رمضان.

الامام الحسين عليه السلام ولد فى عام 4 ه – 3 شعبان.

السيدة زينب عليها السلام ولدت فى عام 5 ه – أو 6 – على اختلاف الروايات – فى الخامس من جمادى الاولى.

السيدة ام كلثوم ولدت عام 7 ه –.

والمحسن اسقط فى حادث الهجوم على الدار.

وعاشت الزهراء عليها السلام مع اولادها مشغولة بتربيتهم وتهذيبهم

ومراعيـة لامور زوجها الـذى يسـجل فى ساحات الوغى بطولات حيدرية، لكنها لم تهمل الشأن الخارجى فى رعايتها للامة وفى الاهتمام بشؤونها وهو ما سنستعرضه فى الفصل الثانى من هذا الكتاب، كما سنمر مفصلا على اهم مبانى حياة الزهراء عليها السلام الزوجية مع اهم الاسس التربوية عندها ضمن الدور الاجتماعى فى الفصل الثانى من هذا الكتاب.

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا كانَ يَوْمُ القيامَةِ نادى مُنادٍ: يا أَهْلَ الجَمْعِ غُضُّوا أَبْصارَكُمْ حَتى تَمُرَّفاطِمَة)(1).

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (أَوَّلُ مَنْ يدخل الجَنَّةَ فاطِمَة بنت محمد)(2).

- وعن عائشة قالت: ما رأيتُ قطُّ أحداً أفضلَ مِن فاطمةَ غيرَ أبيها(3).

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطِمَة بَضْعَةٌ مِنّى، يُريبُنِى ما رابَها، وَيُؤذِينى ما آذاهَا)(4).

1- (1) (الصواعق المحرقة ص 190 / أسد الغابة ج 5 ص 523 / تذكرة الخواص ص 279 / ذخائر العقبى ص 48 / مناقب الإمام على لابن المغازلى ص 356).

2- (2) (ينابيع المودّة ج 2 ص 322 الخبر 932).

3- (3) (الإصابة 4:378، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى الشافعى 9:201، السيرة النبويّة لابن هشام 2:107).

4- (4) صحيح مسلم ج 5 ص 54 / خصـائص الإمام على للنسائى ص 121 و 122 /مصابيح السنّة ج 4 ص 185 / الإصابة ج 4 ص 378 / سير أعلام النبلاء ج 2 ص 119 / كنز العمّال ج 13 ص 97 / وقريب من لفظه فى سنن الترمذى ج 3 باب فضل فاطِمَة ص 241 / حلية الأولياء ج 2 ص 40.

وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

اشارة

عاد الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم الى المدينـة بعـد أداء مناسک الحج، وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى ادى فيها الرسول (وكذلک ابنته) مناسک الحج فيما عرف (بحجة الوداع)...

عاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا السفر الذى اكمل فيه الوحى والتليغ واعلن - بأمر من الله تعالى - ان على بن ابى طالب عليه السـلام هو الولى والوصـى من بعده، وبايعته الامة الحاضرة فى غدير خم والتى تفاوتت الروايات فى بيان عددها فمن قال مئة الف ومن قال اكثر أو اقل والمهم ان الكثرة الكاثرة من الامـة كانت حاضـرة. ولقـد تم اعداد الامة على تقبل امر الرحيل بعد اعلان الوصاية والولاية لعلى عليه السلام فقد اخبر الرسول اكثر من مرة انه راحل الى ربه عما قليل..

وقـد رأت فاطمـة (عليهـا السـلام) فى منامها - بعـد حجّـة الوداع - أنّها كانت تقرأ القرآن وفجأةً وقع القرآن من يـدها واختفى، فاستيقظت مرعوبةً وقصّت الرؤيا على أبيها (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله

علیه وآله): «أنا ذلک القرآن - یا نور عینی - وسرعان ما أرحل»(1).

ولم یطل الامر کثیرا اذ سرعان ما داهمه صلی الله علیه وآله وسلم المرض وانتابته حمی وشعر بدنو اجله وانه بعد قلیل مفارق لأمته واخذ المرض یشتد به وعلی مدی هذه الایام القاسیة والصعبة لم تفارقه ابنته التی کانت معه فی هجرته ودعوته وغزواته، ولقد کانت فاطمة (علیها السلام) وأمیر المؤمنین (علیه السلام) أشدّ الناس لصوقاً وأقربهم إلی رسول الله فی مدة مرضه وحتی وفاته (صلی الله علیه وآله)، فعن علیّ (علیه السلام): أنّ معاذاً سأل عائشة کیف وجدت رسول الله (صلی الله علیه وآله) عند وجعه ووفاته؟ فقالت: یا معاذ ما شهدته عند وفاته ولکن دونک هذه فاطمة ابنته فاسألها(2).

کما أنّ فاطمة کانت تطوف حین مرض النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم علی أزواجه فتقول: إنّه یشق علی النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم أن یطوف علیکنّ، فقلن هو فی حلّ (3).

واشتد المرض بالنبیّ صلی الله علیه وآله وسلم أکثر فأکثر، وکانت الزهراء تتابع ذلک وتقدم کل ما عندها من رعایة وعنایة وتدعو لوالدها بالسلامة.

وعن أنس قال: جاءت فاطمة علیها السلام ومعها الحسن والحسین علیهما السلام إلی النبیّ (صلی الله علیه وآله) فی المرض الذی قبض فیه فانکبّت

1- (1) (البحار 470/22، إرشاد المفید 88).

2- (2) (الإصابة: 178/2 (ط. مصر).

3- (3) (عوالم العلوم: 390/11).

علیه فاطمة وألصقت صدرها بصدره وجعلت تبکی، فقال لها النبیّ (صلی الله علیه وآله): «یا فاطمة لا تبکی علیَّ ولا تلطمی ولا تخمشی علیَّ خداً ولا تجزّی علیَّ شعراً، ولا تدعی بالویل والثبور، وتعزّی بعزاء الله، ثم بکی وقال: اللهمّ أنتَ خلیفتی فی أهل بیتی، اللهمّ هؤلاء ودیعتی عندک وعند المؤمنین.

وعن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشی، کأن مشیتها مشیة رسول الله صلی الله علیه وآله فقال: مرحباً یا بنتی، ثم أجلسها عن یمینه أو شماله، ثم إنه أسر إلیها حدیثاً، فبکت، فقلت لها: استخصک رسول الله صلی الله علیه وآله حدیثه ثم تبکین؟ ثم أنه أسر إلیها حدیثاً فضحکت، فقلت: ما رأیت کالیوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها علیها السلام قال، فقالت: ما کنت لأفشی سر رسول الله صلی الله علیه وآله، حتی إذا قبض النبی صلی الله علیه وآله سألتها، فقالت: إنه أسر إلی فقال: إن جبرائیل علیه السلام کان یعارضنی بالقرآن فی کل عام مرة، وإنه عارضنی به العام مرتین، ولا أراه إلا قد حضر أجلی، وإنک أول أهل بیتی لحوقاً بی، ونعم السلف أنا لک. فبکیت لذلک، ثم قالت: ألا ترضین أن تکونی سیدة نساء هذه الأمة - أو نساء المؤمنین - قالت فضحکت لذلک(1).

ثم ضمّها الیه وقبّل رأسها وقال: «فداکِ أبوکِ یا فاطمة» فعلا صوتها بالبکاء ثم ضمّها الیه وقال: «أما والله لینتقمنّ الله ربّی، ولیغضبنّ لغضبک،

1- (1) (مسند أحمد: 282/6، الطبقات الکبری: 47/2، الاستیعاب: 4 / کشف الغمة: 79/2، بحار الأنوار: 40/37).

فالويل ثم الويل للظالمين، ثمّ بكى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعن موسى بن جعفر عن أبيه (عليهم السلام): «لمّا كانت الليلة التى قُبض النبىّ فى صبيحتها، دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وأغلق عليه وعليهم الباب وقال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة! وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً فلمّا طال ذلک خرج علىّ ومعه الحسن والحسين وأقاموا بالباب والناس خلف الباب، ونساء النبىّ ينظرن إلى علىّ (عليه السلام) ومعه إبناه» فقالت عائشة: لأمر ما أخرجک منه رسول الله وخلا بابنته عنک فى هذه الساعة؟ فقال لها علىّ (عليه السلام): «قد عرفت الذى خلا بها وأرادها له، وهو بعض ما كنتِ فيه وأبوک وصاحباه فوجمت أن تردّ عليه كلمة».

قال علىّ (عليه السلام): «فما لبثت أن نادتنى فاطمة (عليها السلام) فدخلت على النبىّ (صلى الله عليه وآله) وهو يجود بنفسه فقال لى: ما يبكيک يا علىّ؟ ليس هذا أوان بكاء فقد حان الفراق بينى وبينک، فأستودعک الله يا أخى، فقد اختار لى ربّى ما عنده، وإنّما بكائى وغمّى وحزنى عليک وعلى هذه أن تضيع بعدى، فقد أجمع القوم على ظلمكم، وقد استودعتكم الله وقِبَلَكُم منى وديعةً، إنّى قد أوصيت فاطمة ابنتى بأشياء وأمرتها أن تلقيها اليک فنفّذها فهى الصادقة الصدوقة.

ثم ضمّها اليه وقبّل رأسها وقال: «فداكِ أبوكِ يا فاطمة» فعلا صوتها بالبكاء ثم ضمّها اليه وقال: «أما والله لينتقمنّ الله ربّى، وليغضبنّ لغضبک،

فالويل ثم الويل للظالمين، ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال علىّ (عليه السلام): «فوالله لقد حسبت قطعة منّى ذهبت لبكائه حتى هملت عيناه مثل المطر، حتى بلت دموعه لحيته وملاءة كانت عليه، وهو يلتزم فاطمة لا ـ يفارقها ورأسه على صدرى وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان ويبكيان بأعلى أصواتهما» قال علىّ (عليه السلام): «فلو قلت إنّ جبرئيل فى البيت لصدقت لأنّى كنت أسمع بكاء نغمة لا أعرفها، وكنت أعلم أنّها أصوات الملائكة لا شك فيها، لأن جبرئيل لم يكن فى مثل تلك الليلة يفارق النبى (صلى الله عليه وآله)، ولقد رأيت بكاءً من فاطمة أحسب أنّ السماوات والأرضين بكت لها».

ثم قال (صلى الله عليه وآله) لها: «يا بنية، الله خليفتى عليكم وهو خير خليفة، والذى بعثنى بالحقّ لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة والسماوات والأرضون وما بينهما، يا فاطمة والذى بعثنى بالحقّ لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها، وإنّك لأول خلق الله يدخلها بعدى، كاسية حالية ناعمة، يا فاطمة هنيئاً لكِ، والذى بعثنى بالحقّ إنّ جهنّم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل إلاّ صعق، فينادى إليها أن يا جهنّم يقول لک الجبار اسكنى بعزّى واستقرى حتى تجوز فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الجنان لا يغشاها فقر ولا ذلة، والذى بعثنى بالحقّ ليدخلن حسن وحسين، حسن عن يمينک وحسين عن يسارک، ولتشرفنّ من أعلى الجنان بين يدى الله فى المقام الشريف، ولواء الحمد مع على بن أبى طالب (عليه

السلام)، والذی بعثنی بالحقّ لأقومن بخصومة أعدائک، ولیندمنّ قوم أخذوا حقکِ وقطعوا مودّتکِ وکذبوا علیَّ، ولیختلجنّ دونی فأقول: امتی امتی، فیقال: إنّهم بدّلوا بعدک وصاروا إلی السعیر»(1).

روی الشیخ الطوسی بسند صحیح إلی أبان بن تغلب، عن عکرمة عن عبد الله بن عباس قال: «لما حضرت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم الوفاة بکی حتی بلت دموعه لحیته، فقیل له: یا رسول الله ما یبکیک؟ فقال: أبکی لذریتی وما تصنع بهم شرار أمتی من بعدی، کأنی بفاطمة بنتی وقد ظلمت بعدی وهی تنادی یا أبتاه، فلا یعینها أحد من أمتی، فسمعت ذلک فاطمة علیها السلام فبکت، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: لا تبکی یا بنیة، فقالت: لست أبکی لما یصنع بی من بعدک، ولکنی أبکی لفراقک یا رسول الله، فقال لها: أبشری یا بنت محمد بسرعة اللحاق بی، فإنک أول من یلحق بی من أهل بیتی»(2).

وأقول لقد رأیت الکثیر من الامهات یطلبن تأجیل الموت من اجل اطفالهن ففی بعض الاماکن اقام الناس مسجدا یتبرکون فیه لامراة علویة اصیبت بمرض عضال وأخبرها الاطباء بأنها عما قلیل ستفارق أولادها فکان ان قضت اللیل کله تبکی وتتوسل الی الزهراء علیها السلام ان تکون لها عونا فی تحصیل العافیة کی لایبقی اولادها لوحدهم بلا ام!، فرأت السیدة الزهراء

1- (1) بحار الأنوار: 490/22، وراجع: نصوص المقطع الأخیر من الحدیث فی صحیح البخاری: کتاب الفتن، الأحادیث (1-5) بتصرف.

2- (2) (الأمالی ص 188).

عليها السلام تمسح على جسمها فأصبحت معافاة وبقيت مع اولادها حتى كبروا!! فى حين ان امر الزهراء عليها السلام عكس ذلک تماما وهو بيان عمق الحب الالهى العظيم الذى كانت تحيا به والشوق للقاء الله وهو ارفع درجات الايمان حين تغيب عن الانسان كل متعلقاته الدنيوية حتى لو كانت اعز ماعنده!! فهو ينظر بعين الله ولا خيرة له فى امره بل اوكل الامور الى بارئه وهو يعلم ان الله تعالى سيجعل له الخير فيما اراده وهذه قلوب المخلِصين بالكسر والمخلَصين بفتح اللام الذين أخلصهم تعالى بخالصة الدار وهى عليها السلام مازالت فى ريعان شبابها واوج حياتها لكن لقاء الله والشوق اليه كان سابقا لكل امر مهما علا وغلا.

وقد أشار الأربلى إلى هذه الواقعة بشىء من التحليل، وعقد مقارنة بين شوق الزهراء عليها السلام إلى الموت وبين عدم رغبة بعض الأنبياء فيه مع وجود أولى العزم فيهم، ثم قال:

«فهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم ممن عرفت شرفهم وعلو شأنهم وارتفاع مكانهم ومحلهم فى الآخرة، وقد عرفوا ذلک وأبت طباعهم البشرية إلا الرغبة فى الحياة، وفاطمة عليها السلام امرأة حديثة عهد بصبى، ذات أولاد صغار وبعل كريم، لم تقض من الدنيا إربا وهى فى غضارة عمرها وعنفوان شبابها، يعرفها أبوها أنها سريعة اللحاق به فتسلو موت أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وتضحک طيبة بفراق الدنيا وفراق بنيها وبعلها وفرحة بالموت، مائلة إليه مستبشرة بهجومه، مسترسلة عند قدومه، وهذا أمر عظيم

ص:211

لاـ تحيـط الألسن بصـفته، ولا تهتـدى القلوب إلى معرفته، وما ذاک إلا لأمر علمه الله من أهل هـذا البيت الكريم، وسـر أوجب لهم مزية التقـديم، فخصـهم ببـاهر معجزاتـه، وأظهر عليهـم آثـار علاـئمه وسـماته، وأيـدهم بـبراهينه الصادعـة ودلالاـته، واللـه أعلم حيث يجعل رسالاته»(1).

توفى النبىّ (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين فى الثامن والعشرين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ورأسه فى حجر على (عليه السلام). مات رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم بعـد ان اكمل الرسالـة والنعمـة وبعد عمر قضاه ذائبا فى الله ذادا عن حياضه ناشـرا لواء التوحيد ماحقا لألوية الشـرک والضـلال التى حكمت دهورا فى الارض.. اغمض عينيه بعد ان اخرج خير امة للناس وبعد ان اسس اعظم دولة على وجه الارض.. وبموته اعلن انقطاع الوحى وانتهاء النبوة واعلنت مرحلة جديدة فى تاريخ الاسـلام.. وكانت الزهراء عليها السـلام اشد الناس حزنا على ابيها فعن الامام الباقر عليه السـلام مارئيت فاطمـة عليها السـلام ضاحكـة مستبشـرة منـذ قبض أبوها حتى قبضت (كشف الغمة المجلد الثانى).

وقد تمّلک الزهراء عليها السـلام حزن شديد فقد غاب عنها الاب والصديق والمواسـى والمربى والنبى والقائد والرسول والحاكم والسند مما جعل هم الفراق يطحن قلبها.

وقد روى أنها ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس، ناحلة الجسم، منهدة

1- (1) (كشف الغمة ج 2 ص 82).

الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذى كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟ أين أبوكما الذى كان أشد الناس شفقة عليكما فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟ ولا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما!(1)

.. وفى الرواية:

(.. وكان جبريل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعد فى ذريتها، وكان على يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة)(2).

لقد بدأت مرحلة اخرى فى حياة الزهراء عليها السلام، مرحلة قاسية وممرا صعبا عدّه البعض أضيق المضايق فى التاريخ!!.

الايام الساخنة... فاطمة بعد ابيها

ما زال الحزن يلف المدينة برحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان لهذا الامر ثقله الكبير على البيت الهاشمى الذى انشغل بتجهيز الرسول ودفنه، فى حين ان المناورات كانت فى اعلى تصعيد لها فى السقيفة!!، اذ سرعان ما اهمل امر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم!! فرغم ان جسده المبارك مازال على وجه الارض ولم يُوارَ الثرى الا ان (كبارالقوم) منشغلون بالمؤامرة الجديدة التى خططوا لها طويلا!! وبحجة البحث عن خليفة للمسلمين

1- (1) [مناقب ابن شهر آشوب، ج 3، ص 342].

2- (2) الكافى: ج 1 ص 241، والبحار ج 26 باب 26 ص 41 رواية 72).

ضربوا عرض الحائط ببعتهم مع سيد الاوصياء عليه السلام فى يوم الغدير!! نكثوا البيعة والعهد والميثاق الذى أبرموه علانية امام الامة الكثيرة من المسلمين!!، وهو دليل على ما خبّأته النفوس الضالة من حقد لئيم وحسد دفين لهذا البيت الذى كان ومازال أعظم البيوت وأرفعها شأنا، وان دل الامر على شىء فهو تعبير عن عدة انهيارات للامة فهناك انهيار اخلاقى كبير وانهيار ادبى صريح، فالأدب كان يتطلب من الناس جميعا الاشتراك بمراسم دفن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإقامة مجالس العزاء على فقده وتسلية اسرته ولكن لم يكن هناك من اهتم بهذا الامر غير علىّ عليه السلام واسرته والخلص من اصحابه اما باقى القوم فقد سكنوا السقيفة لتحصيل مكاسب اكبر!!، قال الشيخ المفيد: "ولم يحضر دفن رسول الله كثير من الناس لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر فى أمر الخلافة. وفات أكثرهم الصلاة عليه. وأصبحت فاطمة تنادى: واسوء صباحاه. فسمعها عمر فقال لها:" إن صباحک لصباح سوء"(1).

فهل هناک ادنى من هذا الخلق؟!، وهناک انهيار عقائدى تمثل فى نكث بيعة الرسول ووصيه على بن ابى طالب والاغفال والتغافل عن الامر تماما وكأن شيئا لم يكن!! كل ذلک من اجل تحصيل زعامات غير شرعية بعد ان كانت املا يسكن النفوس منذ ان كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيا لكنه انكشف للامة بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم!!، وظهرت

1- (1) (الإرشاد للمفيد: ج 1 ص 189).

بوادر الانهيارات الاجتماعيـة والسياسـية والثقافيـة التى تلت الحـدث وكان من أخطرها بعـد سـلب الولاية ممن نصب الرسول له البيعة هو غصب أرض فدک من اهلها الشرعيين اى من الزهراء عليها السلام!!، اذ لـم تمضِ ايام قلائل على الفاجعة واذا بالخلافة تُستتب لأبى بكر بعد ان كان احـد المبايعين للامام على عليه السـلام فى بيعـة الغـدير واول انجاز للخليفـة الجديد انه طرد عامل الزهراء عليها السـلام فى فدک وصادر ملكيتها!! وكأن الزهراء عليها السـلام اسـتفاقت من حلم مهول!! فماذا جرى للامة كى تصل الى هذا الحد من الانقضاض على اسرة نبيهم ومازال قبره نديا لـم يجف بعد، فقد تسارعت الاحداث فى ايام قلائل بُعيد رحيل أبى الزهراء صـلى الله عليه وآله وسـلم! كان الحدث القاسى هو غصب حقها فى هذه الارض التى نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى زمانه غير ان الحدث الاقسى هو غصب الولاية من زوجها امير المؤمنين عليه السـلام رغم العهود والمواثيق فانبرت الزهراء عليها السـلام تـذود عن حياض الامامة وتتخذ من فدک جسـرا للمطابـة بكل الحقوق المسـروقة ولبيان الخطر الذى تتعرض له الامة الفتية بعد رحيل النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم.. وكانت مناوشات وخطابات فكانت تـدور على بيوت الانصار والمهاجرين تـذكّرهم بما عاهدوا عليه الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وهو ما سـنمر عليها مفصلا فى دورها السياسى.

كانت الاحداث قاسية وفى ظروف حرجة للغاية.. وهاهى ام سلمة تسأل الزهراء عن حالها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم؟: فتجيب عليه السلام بالم:

أصبحت بين كمد(1) وكرب: فقد النبى وظلم الوصى، هتك والله حجابه من أصبحت إمامته مقتضبة على غير ما شرع الله فى التنزيل وسنها النبى صلى الله عليه وآله فى التأويل ولكنها أحقاد بدرية، وترات أحدية(2) ، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لا مكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق(3) ، فيقطع وتر الإيمان من قسى صدورها(4) ، وبئس على ما وعد من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين أحرزوا عائدتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم فى مواطن الكرب ومنازل الشهادات(5).

لقد كانت الامور كلها غير متوقعة على الاقل بهذه السرعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة!! وكأن الوله بالزعامة قد مسح كل حياء وكل اعتبار.. فمازالت عيونها عليها السلام ندية بدمع فراق ابيها واذا بالاحداث تمر سراعا كأنها نذر شؤم هبت على الامة على غير انتظار.. أبهذه العجالة تهجر الامة محمدا نبيها وهاديها وتبدأ المطاردة لعترته التى مثلت احب الخلق الى الرسول والى بارئه.. يالعجب الايام!! غير ان الامور تسارعت واذا بالقوم يعلنون الحرب على آل على ولم تستثنَ الزهراء التى

1- (1) الكمد - بالتحريک -: تغير اللون وذهاب اللون والحزن الشديد.

2- (2) ترات: جمع ترة - كعدة -: الانتقام.

3- (3) المخيلة: السحابة المنذرة بالمطر. والمخيلة أيضاً: المظنة.

4- (4) الوتر: شرعة القوس. والقسى - بالكسر والضم -: جمع القوس.

5- (5) البحار: ج 43، ص 156-157، نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب، ج 2، ص 205.

يغضب الله لغضبها من هذه الحرب الشعواء ولم يبالِ القوم بذلک فليس المهم الغضب الربانی انما المهم اصطياد الدنيا!! ولايام لا تتجاوز عـدد اصابع اليـد هجم القوم على دار بضـعة المصـطفى فأسـقطت الزهراء ولـدها المحسن وبقيت طريحة فراش المرض تندب امة فتحت مشوار الظلم لآل محمد على مصراعيه وبأقبح صورة وأفتک ظليمة!!.

وداعا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:... فتكون أول من يلحقنى من اهل بيتى فتقدم على محزونة مكروبة مغصوبة مقتولة(1).

مرت الايام ثقيلـة على آل البيت بعـد رحيل الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وقـد اصـرت الخلافـة الجديدة المغصوبة على اجبار امير المؤمنين على المبايعة مما ادى الى تأزيم الاوضاع اكثر.. وتمت محاصـرة البيت الفاطمى لاخذ البيعة من امير المؤمنين فى محاولة بائسـة لاسـباغ الشرعية على الخلافة المغتصبة والتلويح بأن الامام عليه السلام هو ممن يؤيد هذه الخلافة وكانت محاولة يتيمة بائسة جعلت القوم ينسون كل ما قاله الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم فى اهل البيت عليهم السلام وفى فاطمة عليها السلام بالذات حيث تجمع القوم امام دار الزهراء منادين عليا بأن يخرج مبايعا فلما أبى هجم القوم على الـدار هجوما شـرسا كانت نتيجته ان اسـقطت الزهراء جنينها الذى سـماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى ايام حياته محسنا!.

1- (1) (امالى الصدوق ص 176).

اذ تنقل مصادر الفريقين ان القوم بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هجموا على بيت فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأضرموا فيه النار، وروى خبر الهجوم وحرق الدار جملة من ائمة المخالفين ک -: ابن قتيبة الدينورى فى الإمامة والسياسة (ج 1، ص 30) والبلاذرى فى أنساب الأشراف (ج 1، ص 586) وابن عبد ربه الاندلسى فى العقد الفريد (ج 5، ص 12). وأرخ الحادثة شعراً الشاعر حافظ ابراهيم فى ديوانه(1).

قال ابن قتيبة الدينورى (ت 276 ه -) تحت عنوان: كيف كانت بيعة على (عليه السلام): وإن أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند على، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم فى دار على (عليه السلام) فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذى نفسُ عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على مَن فيها!. فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة (عليها السلام)؟

فقال: وإن!(2)

كما روى البلاذرى وغيره؛ وروته الشيعة من طرق كثيرة: أن أبا بكر أرسل إلى على يريده للبيعة، فلم يبايع، فجاء عمر، ومعه قبس، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت: يا ابن الخطاب، أتراک محرقا على بابى؟!. قال: نعم، وذلک أقوى فيما جاء به أبوک.(3)

1- (1) (ج 1، ص 75، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة).

2- (2) (الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: 19، أعلام النساء، كحالة: 114/4).

3- (3) (البحار: ج 28 ص 389 و 411، وهامش ص 268، عن البلاذرى، وأنساب الأشراف: ج 1 ص 586).

وعن سلمان وعبد الله بن عباس، فذكرا: إنه بعد أن بويع أبو بكر، بعثا - أبو بكر وعمر - مرارا، وأبى على عليه السلام أن يأتيهم، فوثب عمر غضبان، ونادى خالد بن الوليد، وقنفذا، فأمرهما أن يحملا حطبا ونارا، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب على، وفاطمة عليهما السلام قاعدة خلف الباب، وقد عصبت رأسها، ونحل جسمها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: يا ابن أبى طالب; افتح الباب، فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولک لا تدعنا وما نحن فيه؟!. قال: افتحى الباب، وإلا أحرقنا عليكم. فقالت: يا عمر، أما تتقى الله عز وجل، تدخل على بيتى، وتهجم على دارى، فأبى أن ينصرف، ثم دعا بالنار، فأضرمها فى الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه عمر، فاستقبلته فاطمة، وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله(1).

وقد ادى كسر الضلع وانبات المسماروعصرها بين الباب والحائط الى ان تسقط (عليها السلام) جنينها (محسنا) من بطنها، وهذا ما كثر ذكره حتى فى مصادر المخالفين ک -: ميزان الاعتدال للذهبى (ج 1، ص 139) ولسان الميزان لابن حجر (ج 1، ص 292) والوافى بالوفيات للصفدى (ج 5، ص 347) وغيرهم الكثير.

وقد ندم ابو بكر بعدها... ففى الرواية:

ودخل عبد الرحمن بن عوف فى مرضه - أى مرض أبى بكر - إلى أن

1- (1) (البحار: ج 43 ص 197 و 198 وج 28 ص 299 وكتاب سليم بن قيس: ج 2 ص 250 (ط الأعلمى).

قال له: فلا تأس على الدنيا؟

قال: ما آسى إلاّ على ثلاث خصال صنعتها ليتنى لم أكن صنعتها... وليتنى لم افتش بيت فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأدخله الرجال، ولو كان أغلق علىَ الحرب...(1)

ويقول المسعودى: "فوجهوا إلى منزله، فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرها"(2)

وحتى الـذين يترددون فى قبول روايات الهجوم على دار فاطمة فإنهم لا يشـككون ان ثمة احداثا ساخنة قد حصـلت بعد الرسول صـلى الله عليه وآله وسلم ادت الى إسقاط الزهراء لجنينها ورحيلها عن هذه الحياة وهى فى ريعان الصبا.

وروى أن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم قال فى وصيته لعلى عليه السلام عن فاطمة "...وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها"(3).

وهـذا ان كشف عن شـىء فإنه مؤشـر على الحقـد الـدفين على اهل البيت عليهم السـلام وهو تعريـة لهم امام الملأ انفسـهم الـذين ظلوا متحيرين من هذا الخطب الجليل!! كما ان هذا الحادث كان بداية لسياسة العزل والمحاصرة التى

1- (1) (تاريخ اليعقوبى: 137/2).

2- (2) (مأساة الزهراء عليها السلام ج 2 - السيد جعفر مرتضى ص 294).

3- (3) (مأساة الزهراء عليها السلام ج 2 - السيد جعفر مرتضى ص 292).

اتبعها الخلفاء الثلاثة تجاه بنى هاشم عموما وامير المؤمنين خصوصا حيث تم اقصاؤهم تماما عن الحياة السياسية والاجتماعية!!.

اما فاطمة عليها السلام بعد هذه الاحداث الساخنة «فقد مرضت واشتد مرضها، فلزمت الفراش وقد نحل جسمها وذاب لحمها وصارت كالخيال، وعاشت بعد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم سبعين يوماً»(1).

وهذا مما جعل الحزن والاسى يخيم على البيت العلوى الفاطمى المحمدى.. وقد انتشر الخبر فى المدينة عما تعرضت له ابنة المصطفى فزارتها فى مرضها نساء الانصار.. فقد روى العلامة المجلسى رحمه الله عن الشيخ الثقة الصدوق رحمه الله عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليها السلام قالت: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وغلبها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلنَ لها، يا بنت رسول الله: كيف أصبحت من علتك؟ فقالت عليها السلام: أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأى، و «لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِى الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ» . لا جرم لقد قلدتهم ربقتهاوشننت عليهم غارها فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين ويحهم أنى زحزحوها عن رواسى الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الوحى الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلک هو الخسران المبين، وما نقموا من أبى

1- (1) (مستدرک الوسائل للنورى: ج 2، ص 361، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام).

الحسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطئه، ونكال وقعته، وتنمره فى ذات الله عز وجل. والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله إليه لاعتقله، ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه ولأصدرهم بطاناً، قد تحير بهم الرى غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء وردة شررة الساغب، ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون. ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب فقد أعجبك الحادث! إلى أى سناد استندوا، وبأى عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون،«أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» . أما لعمر إلهك لقد لقحت فنظرة ريث ما تنتج، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً، وذعافاً ممقراً، هنالک يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما سن الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً، وطأمنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً فيا حسرتى لكم، وأنى بكم، وقد عميت (قلوبكم) عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون).

وهذا العتاب كان كافيا لكى يفهم الناس ان ما يجرى ليست (امورا عادية) مما ابقى لواعج الزهراء حزينة فى كل قلب.. يذكر سليم بن قيس

(وخرجت نسوة بنى هاشم فصرخن وقلن:" يا أعداء الله، ما أسرع ما أبديتم العداوة لرسول الله وأهل بيته، لطالما أردتم هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تقدروا عليه، فقتلتم ابنته بالأمس ثم (أنتم) تريدون اليوم أن تقتلوا أخاه وابن عمه ووصيه وأبا ولده؟ كذبتم ورب الكعبة، ما كنتم تصلون إلى قتله"(1).

بقيت الزهراء عليها السلام مريضة ناحلة حتى وفاتها وكان ممن زارها ايضا ام المؤمنين ام سلمة رضى الله عنها وعائشة بنت طلحة ولم تسمح للشيخين بعيادتها وكان ذلک الرفض هو تسجيلا لاحتجاج خالد للزهراء عليها السلام ليبقى ألمها وجرحها خالدا مدى الدهر على صفحات التاريخ... وكان مرضها شديداً، فمكثت اربعين ليلة فى مرضها، فلما نعيت اليها نفسها قالت لعلى عليه السلام: يابن عم، انه قد نعيت إلى نفسى، واننى لا أرى مابى إلاّ أننى لاحقة بأبى ساعة بعد ساعة، وانا أوصيک بأشياء فى قلبى.

قال لها على عليه السلام: أوصى بما أحببت يابنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عند رأسها وأخرج من كان فى البيت، ثم قالت: يابن عم، ما عهدتنى كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتک منذ عاشرتنى.

فقال عليه السلام: معاذ الله، أنت أعلم وأبر واتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله، من أن أوبخک بمخالفة، وقد عزعلى مفارقتک وفقدک إلا انه أمر لابد منه، والله جددت على مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

1- (1) (كتب سليم ج 2 ص 169).

وقد عظمت وفاتک وفقدک، وإنا الله وانا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لاعزاء لها، ورزية لا خلف لها، ثم بكيا جميعاً ساعة(1) وبعد ان بكيا ساعة أخذ على عليه السلام رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصينى بما شئت، فإنک تجدينى فيها أمضى كما أمرتِنى به، واختار أمرک على أمرى.

ثم قالت: جزاک الله عنى خير الجزاء، وأوصته بوصاياها، وهى:

يابن عم، أوصيک ان تتزوج بعدى بابنة أختى امامة، فانها تكون لولدى مثلى، فإنّ الرجال لابد لهم من النساء(2).

ان أنت تزوجت امرأة فاجعل لها يوماً وليلة واجعل لاولادى يوماً وليلة، يا أبا الحسن لا تصح فى وجوههم فيصبحا يتيمين غريبين(3).

أوصيک يابن عم، ان تتخذ لى نعشا، فقد رأيت الملائكة صوروا صورته، فقال لها: صفيه لى.. فوصفته، فاتخذه لها(4).

أوصت لأزواج النبى لكل واحدة منهن اثنتى عشرة أوقية.

ولنساء بنى هاشم مثل ذلک.

وأوصت لأمامة بنت أبى العاص بشىء.

وكانت لها وصية مكتوبة جاء فيها: "هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول

1- (1) (البحار: 43|191).

2- (2) (مناقب ابن شهر اشوب: 3|362).

3- (3) (البحار: 43|178).

4- (4) (البحار: 43|192).

الله بحوائطها السبع؛ ذى الحسنى والساقية، والدلال، والغراف، والرقمة، والهيثم، ومال أم ابراهيم، إلى على بن أبى طالب، ومن بعده فإلى الحسن، فإلى الحسين، ومن بعد الحسين فإلى الاكبر فالاكبر من ولده، شهد الله على ذلك وكفى به شهيداً، وشهد المقداد بن الاسود، والزبير بن العوام، وكتب على بن أبى طالب(1).

ثقل عليها المرض، والإمام لا يفارقها، وأسماء تمرضها، والحسن والحسين وزينب وام كلثوم عندها، وهى تفيق مرة ويغشى عليها اخرى من شدة المرض، وتجيل بصرها فى أولادها.. يقول الإمام على عليه السلام: انها لما حضرتها الوفاة فتحت عينيها وقالت: السلام عليک يا جبرئيل، السلام عليک يا رسول الله، اللهم احشرنى مع رسولک، اللهم اسكنى جنتک وفى جوارک.

ثم قالت: هؤلاء ملائكة ربى، جبريل ورسول الله حاضرون عندى، وأبى يقول: القدوم الينا يقول على عليه السلام: فلما كان الليلة التى أراد الله ان يكرمها ويقبضها إليه اخذت تقول: وعليكم السلام. يابن عم، هذا جبريل أتانى مسلماً، وقال: السلام يقرئک السلام يا حبيبة حبيب الله وثمرة فؤاده – اليوم تلحقين بالرفيق الاعلى وجنة المأوى ثم انصرف عنى.

وقد اوصت عليا عليه السلام ان لا يشهد جنازتها كل من كان سببا للاذى عليها.. ففى الرواية.

1- (1) (دلائل الإمامة: 42).

عن أبی جعفر علیه السلام قال: قالت فاطمة لعلی علیهما السلام: إنی أوصیک فی نفسی وهی أحب الأنفس إلی بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، إذا مت فغسلنی بیدک، وحنطنی وکفنی وادفنی لیلاً، ولا یشهدنی فلان وفلان، واستودعتک الله تعالی حتی ألقاک، جمع الله بینی وبینک فی داره وقرب جواره(1).

وعن جعفر بن محمد عن آبائه علیهم السلام: لماحضرت فاطمة الوفاة بکت فقال لها امیر المؤمنین:

سیدتی ما یبکیک؟ قالت: ابکی لما تلقی بعدی(2).

ثم اوصت ان لا یؤذن لجنازتها وروی صاحب کشف الغمة وابن عبد البر فی الاستیعاب بسنده أن فاطمة الزهراء (علیها السلام) لما مرضت مرضها الذی توفیت فیه، قالت لأسماء بنت عمیس: إنی قد استقبحت ما یصنع بالنساء إنه یطرح علی المرأة الثوب فیصفها لمن رأی. فقالت أسماء: یا بنت رسول الله أنا أریک شیئا رأیته بأرض الحبشة، فدعت بجرائد - النخل - رطبة فحنتها ثم طرحت علیها ثوبا، فقالت فاطمة (علیها السلام): ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل، ثم قالت فاطمة (علیها السلام): إذا أنا مت فاغسلینی أنت ولا یدخلن علی أحد.. ولا یصلِّ علیّ الشیخان(3).

وکان لابد من رحیل.. ولکن ای رحیل؟.. ماتت فاطمة مظلومة

1- (1) بحار الأنوار، ج 81، ص 390 ح 104.
2- (2) (المجلسی، البحار، ج 43 ص 218 ح 1110).
3- (3) بحار الأنوار، ج 81، ص 391.

مغصوب حقها وحق زوجها.. ماتت والالم يعتصر قلبها لما اقدمت به الامة من ظلم للبيت النبوى.. ماتت وارتحلت عن الدنيا بعد ان اجتازت امتحانات عدة خرجت منها متفوقة بامتياز، وانتقلت الروح الى بارئها وكان لابد من صعود الروح فما جعل الله لبشر الخلد وكان الوداع وكان الفراق.. رحلت أعظم النساء قدسية وكرما وفضلا ورزية!! امرأة ليس لها شبيه على وجه الارض.. امرأة اسمها فاطمة بنت محمد هى آخر ذرية النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأول من ظُلم من ذرية النبى الخاتم.

نعم رحلت فاطمة عليها السلام بعد ان عاشت مع الاسلام فى كل مرافئه وكل محطاته المفرحة والمحزنة والخطيرة والصعبة وانبرت للدفاع عنه فى كل مراحل حياتها فى طفولتها وشبابها.. وذادت عن حياض الاسلام ورسمت للانسان ابعاد حركته الرسالية وعرفت المرأة كيف تعيش الهم الرسالى وتتحرر من اطار الجمود والدوران حول الذاتية والفردية لتنطلق الى رحاب الايمان الواسعة وتعيش السبق مع الرجل والتنافس – وليس الندية – لتحصيل الرضا الالهى وارساء دعائم الكمال البشرى بعيدا عن التطرف والغلو وبعيدا عن تضييع حقوق الآخرين فكانت سيدة نساء العالمين بفضائلها وأدوارها وأخلاقها قبل ان تكون ذلک بنسبها وسرعان ما انتشر خبر وفاة بضعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى المدينة، فصاح أهلها صيحة واحدة، واجتمعت نساء بنى هاشم فى دارها تتزعزع فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة ان تتزعزع لصراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه، يا بنت رسول الله، واقبل الناس

مثل عرف الفرس إلى على عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين عليهم السلام بين يديه يبكيان، فبكى لبكائهما، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة تجر ذيلها، متجللة بردائها وقد غلب عليها نشيجها، وهى تقول: الله يا أبتاه، يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الآن حقاً فقدناک فقداً لا لقاء بعده أبداً؛ واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون وينتظرون ان تخرج الجنازة فيصلون عليها فخرج أبو ذر الغفارى وقال: انصرفوا فان ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أخر إخراجها فى هذه العشية فقام الناس وانصرفوا.

يقول السيد العاملى رحمه الله:

الناس يلوم بعضهم بعضاً: ولا ندرى لماذا يتلهّف الناس على ما فاتهم من الصلاة على البنت الوحيدة لنبيهم، وهم الذين خذلوها بالأمس، ولم ينصروها على من هاجمها، وضربها وحاول احراق بيتها عليها وعلى زوجها وابنائها، وخالفوا بذلک وصية أبيها فيها؟!

وماذا ينفع هذا التظاهر بالإعزاز والمحبة للزهراء (عليها السلام)، وكيف نفسره من أناس كانوا هم الذين آذوها، وقتلوها.. أو سكتوا عما يجرى عليها..

فما أحرى هؤلاء بقول عبيد بن الأبرص:

لا ألفينک بعد الموت تندبنى وفى حياتى ما زودتنى زادى(1).

1- (1) (العاملى، الصحيح من سيرة الامام على عليه السلام، ج 10، ص 311).

فلمـا جن الليل غسـلها أمير المؤمنين عليه السـلام ولم يحضـرها غيره والحسن والحسـين وزينب وأم كلثوم عليهم السـلام وفضـة جاريتها وأسماء بنت عميس.

قال على عليه السـلام: «والله لقد أخذت فى أمرها وغسلتها فى قميصها ولم أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة، ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكفنتها وأدرجتها فى أكفانها فلما هممت ان أعقد الرداء ناديت يا أم كلثوم يا زينب يا سكينة يا فضة يا حسن يا حسين هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء فى الجنة.

فأقبل الحسن والحسـين عليهما السـلام وهما يناديان: واحسـرة لا تنطفئ أبـداً من فقد جدنا محمد المصـطفى صـلى الله عليه وآله وسـلم فأقرئينه منا السلام وقولى له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين فى دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنى أشهد الله أنها قد حنت وأنّت ومدت يديها وضمتهما إلى صدرها مليا؛ وإذا بهاتف من السماء ينادى يا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماء فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب، قال: فرفعتهما عن صدرها»(1).

فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه على خديه وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

"السـلام عليـک يا رسول الله، السـلام عليک من ابنتک وحبيبتک، وقرة عينک وزائرتک، والبائتـة فى الثرى ببقعتک، المختار الله لها سـرعة اللحاق بک،

1- (1) (البحار ج 10 ص 51).

قل يا رسول الله عن صفيتک صبری، وضعف عن سيدة النساء تجلدی، إلا أن فی التأسی لی بسنتک، والحزن الذی حل بی لفراقک، موضع التعزی،..... إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء.

يـا رسول الله، أمـا حزنی فسـرمد، وأما ليلی فمسـهد، لايبرح الحزن من قلبی أو يختار الله لی دارک التی فيها أنت مقيم، كمـد مقيـح، وهـم مهيج، سـرعان ما فرق بيننا، وإلی الله أشـكو، وسـتنبئک ابنتک بتظاهر أمتک علی، وعلی هضـمها حقها فاسـتخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلی بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين»(1).

وانشد يقول:

أری علل الدنيا علی كثيرة وصاحبها حتی الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقةٌ وكل الذی دون الممات قليل

وان افتقادی فاطماً بعد احمد دليل علی ان لا يدوم خليل

وكيف يهناک العيش من بعد فقدهم لعمرک شیء ما إليه سبيل

سيعرض عن ذكری وتنسی مودتی ويظهر بعدی للخليل بديل(2)

.. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلی بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.. هذا مايقوله عنه زوجها وهو اعلم الناس بما كان

1- (1) (أمالی المفيد ص 281 ح 7 وأمالی الطوسی ص 109).
2- (2) (الأمالی للصدوق: ص 58).

يجول بخاطرها وبما مر عليها من مصائب ونوائب.. لهفى لسيدة النساء التى يموج قلبها بالاسى فلا تجد من تبثه احزانها.. وربما لم تبث حزنها لزوجها كيلا يزداد الما بعد الم!!...

وقد اختلفت الروايات فى تاريخ وفاتها والارجح انه فى الثالث من جمادى الآخرة فى نفس العام الذى قبض فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اى بعد ثلاثة اشهر من وفاة ابيها كما ذكره المجلسى(1) والطوسى(2) وهناك روايات تشير الى وفاتها بعد أربعين يوما من وفاة أبيها أو خمسة وسبعين يوما من رحيله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: عاشت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين يوما، لم تر كاشرة ولا ضاحكة، تأتى قبور الشهداء فى كل جمعة مرتين: الاثنين والخميس، فتقول: ها هنا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وها هنا كان المشركون»(3).

قال الكلينى (رحمة الله عليه): ولدت فاطمة (عليها السلام) بعد مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بخمس سنين، وتوفيت (عليها السلام) ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما، وبقيت بعد أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وسبعين يوما(4).

1- (1) البحار ج 1 ص 1.

2- (2) مصباح المتهجد ص 554

3- (3) (الكافى ج 4 ص 561 ح 4).

4- (4) (اصول الكافى ج 1 ص. 459).

وكـان النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم قـد وصّـى عليّـاً برعايـة سـبطيه، وكـان ذلک قبل موته بثلاثـة أيام، فقـد قال له: سـلام الله عليک أبا الريحانتين، اوصـيک بريحانتىّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناک، والله خليفتى عليک، فلمّا قبض رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم قال علىّ: هذا أحد ركنى الذى قال لى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، فلمّا ماتت فاطمة (عليها السلام) قال علىّ: هذا الركن الثانى الذى قال لى رسول الله(1).

اما محل دفنها فهو ايضا محل اختلاف فهناک روايات تشـير الى دفنها فى البقيع وهناک روايـة تقول إنها دفنت إلى جانب رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، وقد سـئل الإمام الرضا عليه السـلام عن هذه المسألة كما فى (عيون أخبار الرضا)، فعن أحمد بن محمد بن أبى نصير البزنطى، قـال:" سـألت أبـا الحسن الرضـا عن قبر فاطمـة عليهـا السـلام، قال: دفنت فى بيتها، فلمّا زادت بنو أميّـة فى المسـجد صارت فى المسجد"(2). فالإمام على عليه السـلام لم يخرجها من بيتها ليـدفنها فى البقيع أو فى مكان آخر، فهو حينما قال: أخّر دفنها هذه الليلة، إنما أراد دفنها ليلاً فى بيتها ليتمثّل بذلک الاحتجاج على القوم الذين ظلموها، وهذا الرأى يتبنّاه الكثير من علمائنا الأوّلين.

فالسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث شاكية ظلم الامة لها نادبة اولادها!.

1- (1) (بحار الأنوار: 262/43).

2- (2) الكافى، ج 2، ص: 361.

عمر الزهراء عليها السلام

اذا اردنا ان نحسب عمر الزهراء عليها السلام فهو لم يكن ليتجاوز العشرين ببضع سنوات حسب عموم الروايات التى تجعل ولادتها قبل البعثة اما الروايات التى اعتمدناها والتى جعلت مولدها المبارک بعد البعثة بخمس سنوات مما يعنى انها فارقت الحياة عن ثمانية عشر ربيعا ليس اكثر وبهذا فقد ذهبت وهى فى ريعان شبابها. ان العمر الذى نحسبه من خلال السنوات التى يعيشها الانسان فى الحياة هو العمر الزمنى وهو ماتشير اليه شهادة الميلاد والوفاة وهو يمثل رسالة ضمنية بان كل من يمتلک شهادة الميلاد فلينتظر شهادة الوفاة لاحقا مهما طال به العمر!!.

فى الكافى عن عبد الله بن جعفر، وسعد بن عبد الله جميعاً، عن إبراهيم ابن مهزيار، عن أخيه على بن مهزيار، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستانى قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: ولدت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) بعد مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخمس سنين؛ وتوفيت ولها ثمانى عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما.(1)

1- (1) البحار: 9/43 ح 13.

فی کتاب «موالید الأئمة (علیهم السلام)» بسنده، عن نصر بن علی الجهضمی، قال: سألت أبا الحسن الرضا (علیه السلام) عن عمر فاطمة (علیها السلام)؟

قال: ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوته بخمس سنین وقریش تبنی البیت؛ وتوفّیت ولها ثمانی عشرة سنة وخمسة وسبعون یوماً؛

وکان عمرها مع النبی (صلی الله علیه وآله) بمکّة ثمانیة سنین.

وهاجرت مع النبی إلی المدینة وأقامت فیها عشر سنین.

وأقامت مع أمیر المؤمنین من بعد وفاة رسول الله (صلی الله علیه وآله) خمسة وسبعین یوماً.

وفی الثقافة الیابانیة یضاف عمر سنة الی عمر الانسان الزمنی لحساب العمر الفعلی لحیاة الشخص، غیر ان هناک اعمارا اخری للانسان تفوق اهمیتها العمر الزمنی ومنها:

1 – العمر الاجتماعی: وهو العمر الذی قضاه الانسان فی علاقاته الاجتماعیة ربما مع الاسرة وربما مع المجتمع والاصدقاء والمؤیدین والاحبة وهو یحسب بإنقاص ساعات النوم والخلوة من مجمل العمر الزمنی وهو یشمل ایضا العمر الذی یقضیه الانسان فی تعلم أو تعلیم خبرات أو مهارات اجتماعیة.

2 – العمر الثقافی وهو العمر الذی یقضیه الفرد فی التعلیم وتحصیل الثقافة وتعلم المهارات الثقافیة وهو یحسب بنفس الطریقة التی یحسب بها

العمر الاجتماعى حيث تُنقص الساعات الاجتماعية مع اوقات النوم والخلوة وغير ذلک. وهذا العمر تُنقصه ساعات الامية والجهل والتعلم الخاطئ والثقافة المشوهة بمعنى آخر انه العمر الذى نقضيه فى تعلم الثقافة الهادفة والواعية وهو لا يعنى مجرد التعليم الاجوف فما اكثر متعلمينا واقل مثقفينا!! فالثقافة هى امتلاک المعرفة التى تؤهل للعمل الجاد والمثمر وتحقيق الفلاح فى الدنيا والآخرة.

3 – العمر الايمانى: وهو مايقضيه الانسان من وقت فى عبادة الله وطاعته وربما يشمل کل العمر الزمنى مضافا اليه ما کرّسه من ثقافة للآخرين وما سنّ نّه من سنن اجتماعية هادفة وما تعلمه الناس منه بل حتى ساعات النوم قد تکون قربة الى الله (ونومکم فيه عبادة) وکذلک ساعات الطعام والخلوة فتسجل حسنات مضاعفة وزمنا اطول وهذا العمر المبارک يمتد فسيحا على مدى التاريخ وربما قبل ولادة الانسان نفسه وبعد رحيله وبعد انتهاء العوالم فهل يمکن لأحدنا ان يحسب الزمن والوقت الذى سنّته سورة الدهر؟، وضربة على يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين فهل عبادة الثقلين تقاس بسنين وجودهما على هذه الارض؟، ومن هنا لا تکون هناک اهمية لعمر طويل اذا لم يکن فيه مايخلد الانسان، ونفس الشىء يقال عن العمر القصير.

وفى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام: من يموت بالذنب اکثر ممّن يموت بالآجال ومن يعيش بالاحسان اکثر ممن يعيش بالاعمال.

ومما يساعد على إسباغ البرکة على الأعمار هو بر الوالدين وصلة

الرحم (وقد جاء فی ان الذنوب التی تعجل الفناء هی قطیعة الارحام) والعدل والصدقة والاحسان الی الزوجة (من حسن بره بأهله زاد الله فی عمره) والدعاء (وأسالک ان تطیل عمری فی خیر وعافیة).

- قال رسول اللّه (صلی الله علیه وآله): (خَيْرُ نِساءِ العالَمين أَرْبَع: مَرْيَم وَآسية وَخَدِيجَة وَفاطِمَة)(1).

- وفی فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (1339) - بسند صحیح - عن ابن عباس قوله: فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: أفضل نساء أهل الجنة: خدیجة بنتُ خویلد، وفاطمة بنت محمد، ومریم ابنة عمران، وآسیة امرأة فرعون.

- وفی المستدرک علی الصحیحین (170/3) أن النبی - صلی الله علیه وآله - قال لفاطمة - علیها السلام -: یا فاطمة ألا ترضین أن تکونی سیدة نساء العالمین، وسیدة نساء هذه الأمة، وسیدة نساء المؤمنین.

- قال رسول اللّه (صلی الله علیه وآله): (أَفْضَلُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ: مَرْيَمُ وَآسيةُ وَخَديجَةُ وَفاطِمَة(2).

- قال الامام الحجة عجل الله تعالی فرجه الشریف: وفی ابنةِ رسولِ اللّهِ لی اسوةٌ حسنةٌ (3).

1- (1) الجامع الصغیر ج 1 ح 4112 ص 469 / الإصابة فی تمییز الصحابة ج 4 ص 378 / البدایة والنهایة ج 2 ص 60 / ذخائر العقبی ص 44).

2- (2) (سیر أعلام النبلاء: ج 2 ص 126 /ذخائر العقبی: ص 44).

3- (3) (المجلسی، بحارالانوار، ج 53، ص 180 179).

الفصل الثانی: الزهراء علیها السلام... ادوار حضاریة

اشارة

ص:237

ماهو الدور؟

الدور هو مجموعة من الصفات والتوقعات المحددة اجتماعياً والمرتبطة بمكانة معينة. والدور هو النشاط الذى يقوم به الشخص وفق الموقع الـذى يحتله فى الجماعـة.. ويمكن لصاحب الموقع ان يتخـذ ادوارا عديـدة الى جانب دوره الرئيسـى(1) والـدور له أهمية اجتماعية؛ لأنه يوضح أن أنشـطة الأفراد محكومة اجتماعياً، وتتبع نماذج سلوكية محددة، فالمرأة فى أسرتها تشغل مكانة اجتماعية معينة، ويتوقع منها القيام بمجموعـة من الأنمـاط السـلوكية تمثـل الـدورالمطلوب منهـا. ولمـا كـان لكـل فرد أوضـاع كثيرة داخل المجتمع لـذلك فهو يؤدى ادوارا مختلفة(2).

وهنـاك ادوار مسـتمرة مثل ادوار المرأة والرجل واخرى متغيرة كـدور الطالب، وهناك ادوار سـهلة كـدور المواطن فهو سـهل نسبيا اما دور العالم فهو دور صعب(3) ، وبهذا يكون دور الإمام والمعصوم والقدوة المطلقة هو أصعب

1- (1) (د. رجاء مكى طبارة، علم النفس الاجتماعى، ص 15)

2- (2) (محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 390).

3- (3) (الزهران، علم النفس الاجتماعى، ص 131).

حتى من دور العالم نفسه.

والدور يمكن جمعه فى ثلاث محطات هى ما يتوقع أن يقوم به الفرد وما قام به فعلا وماينبغى القيام به.

وهناک تفاوت فى الرؤى الاسـلامية والغربية للدور ففى الرؤية الغربية يقوم الدور على ما يقوم به الفرد من سلوكيات معينة ايا كانت دوافعها أو اهدافها أو الآليات المتبعة فيها، فى حين انه فى المنظومة الاسـلامية التى تستند إلى القيم الاسلامية نجد ان مفهوم الدور ينطلق من مبدأ الاسـتخلاف فهو غير ثابت أو محـدد فالانسان الخليفـة هو: (النائب والقائم بالـدور الموكول إليه نيابة عن غيره) ويتمثل دوره فى الحياة فيما يمكن أن يسـهم به فى تحقيق الاسـتخلاف التوحيدى بحسب مايقوم به من اعمال لنشـر التوحيد والعدالة والرحمة الى غير ذلک، فالآليات والاهداف والدوافع لابد من ان تنسـجم مع القيم الالهية وحيثما كانت المرأة – كما هو الرجل – كائناً مسـتخلفاً فالدور الاسـتخلافى واحد لكلا الجنسـين ولهذا نجد عليا عليه السـلام يقاتل بالسـيف ولكن الزهراء عليها السـلام تقاتل بالكلمة!! وكلا الامرين ينطلق من دافع واحد ويسـير نحو غاية واحدة وهدف واحد ولكن هناک انسـجاماً مع الهوية الخاصة، فكما نعلم ان لكل شـخص هويتين؛ الهوية الانسانية تحدد مساره الانسانى والهوية الخاصة تحدد متعلقات الدور من الانوثة والذكورة وليس هناک اى منقصة فى اتجاه الاهداف الواحدة، فهناک ادوار خاصة بالنساء كدور الامومة وادوار عامة تشترک فيها مع الرجل كمختلف الانشطة السياسية والاجتماعية والثقافية الى

غير ذلک.

وقـد كانت مشـكلة الـدور غير واضـحة عنـد نساء صـدر الاسـلام خاصة وان الاسـلام قد قام على مبدأ المساواة بين الجنسـين وهذا مادفع المسـلمات الاوائل الى السؤال والبحث عن المطلوب منهن فى الاسلام، فهذه أسماء بنت يزيد الانصارية وَفَدَتْ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جماعة من النساء، فقالت:

بـأبى أنت وأُمّى يا رسول الله، أنا وافـدة النساء إليکَ، إنّ الله عزّوجلّ بعثک إلى الرجال والنساء كافّـة، فآمنّا بک وبإلهتک، وإنّا معشـر النساء محصورات مقصورات، قواعد فى بيوتكم، ومقضـى شهواتكم، وحاملات أولادكم. وانّكم معشر الرجال فُضّلتم علينا بالجُمَعِ والجماعات، وعيادة المرضـى، وشهود الجنائز، والحجّ بعد الحجّ، وأفضل من ذلک الجهاد فى سبيل الله عزّوجلّ. وأنّ الرجل إذا خرج حاجّاً، أو معتمراً، أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربّينا لكم أولادكم، أفما نُشارككم هذا الأجر والخير؟

فالتفتَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه فقال: «هل سَمعتم مقالةَ امرأةٍ أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟!..

فقالوا: بلى والله يا رسول الله.

فقـال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: «انصـرفى يـا أسـماء، وأعلِمى مَن وراءکِ من النساء أنّ حُسن تبعّل إحـداكنّ لزوجها، وطلبها لمرضاته،

واتّباعها لموافقته، يعدل ما ذكرتِ للرجال.

فانصرفتْ أسماء وهى تُهلّل وتُكبّر استبشاراً بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(1).

ويمكن القول إن الاسـلام قد وجّه الانسان بصورتيه (الذكر والانثى) الى روضة الاسـتخلاف ونشـر راية التوحيد والعدل وبهذا انتشلهما من الادوار الهامشية والضيقة واللاانسانية التى كانت سائدة فى المجتمع الجاهلى والتى عادت الى الانتشار مع الجاهلية الجديدة.

وتتفاوت الأدوار فيما بينها فهناک أدوار مكملة كدور الزوج إزاء زوجته، وأدوار متطابقة كدور الصديق إزاء صديقه، وتنشأ المشـكلات حينما تضطرب توقعات الأفراد للأدوار المنوطة بهم أو بغيرهم.

وتلعب عوامل عديدة فى تحديد الادوار ومداخل عدة فى فهمها، فهناک المدخل الثقافى لفهم ادوار البشر والذى يرى ان كل مجتمع يتوقع من افراده انماطا معينـة من السـلوک تبعا لثقافته بالمعنى الواسع للثقافة بما تحتويه من قيم وعادات وتقاليد واعراف، وعموما فان هناک رؤية عامـة الى ان ادوار النسـاء – فى مختلف الثقافـات – هى ادنى من ادوار الرجـال من حيث الاهميـة (غيـدنز، انتونى، علم الاجتماع، ترجمة وتقـديم فايز الصـباغ) ومشـكلة هذا التصور انه يرى انجازات الرجال شاخصة امام الابصار وانهم قاموا بادوارهم كاملة فى حين لا يرون فى الادوار النسائية الا انها ادوار هامشية؛ إذ إن حركة الرجل فى

1- (1) (انظر الاصابة 234:4، الاستيعاب (المطبوع بهامش الاصابة) 238:4).

الاقتصاد والسياسة هى الكفيلة بتحصيل المال والمكانة والمنصب، وهؤلاء يخلطون بين الدور وبين الوظيفة التى تستوجب انماطا معينة من السلوك، ولان ثقافة المجتمعات متباينة ولا تعتمد كلها على رؤى دينية فإن الفهم الخاطئ للدور النسوى قد ادى الى تحميلهن فوق الوسع مع طمس كل معالم الحركة الحضارية التى تقوم بها المرأة سواء من خلال تربية الاجيال أو صيانة ونقل القيم الى غيرها من الادوار، وهذه الرؤية لا تعطى وزنا لادوار النساء بل ترى لها دورا هامشيا تابعا للرجل وبخاصة فى ظل تقسيم العمل القائم على التفرقة بين الذكور والإناث. فى حين (أن أغلب الأدوار المنوطة بالمرأة هى أدوار "جذرية" ،فهى تؤدى دور الجذر فى الشجرة فلا يكون لها الظهور ولكن يكون عليها الاعتماد والارتكاز).

وهناك من يرى ان المرأة لا تمتلك دورا محددا انما دورها تابع للرجل ومعنى هذا انها لاتمتلك القناعات الاصلية بما يمكن ان تقوم به!! بمعنى انها ليست كائنا مستقلا حرا يمكن ان يتخذ قراراته التامة فيما يمكن ان تقوم به من ادوار واعمال وبما يمكن ان تحققه لنفسها وللآخرين!!، وهذه الرؤية تطمس كل معالم الابداع عند المرأة بل وتسلب منها كل خياراتها!، وفى هذه الحال تكون المرأة كائناً متلقياً خاضعاً لاملاءات الغير مما قد يتعارض مع مسؤولية التكليف التى تتحملها المرأة كالرجل تماما وتجعلنا نتساءل عن جدوى الحساب الالهى لكائن مستعبد يؤدى ما يأمرونه دونما ارادة؟!.

وفى مدخل التبعية يُحرص على إبقاء المرأة كقوة عمل احتياطية يستعان

بها عنـد الضـرورة ويتم الاسـتغناء عنها تبعًا لمتطلبات الإنتاج. ويرى أنصار هـذا المـدخل أن الأدوار التى تقوم بها المرأة تعد أكثر ارتباطًا بالاقتصاد المحلى كما أنها تقوم بأدوار أقل تخصصًا وأقل انتاجية وهذه الرؤية لا تختلف عن سابقتها.

وهناک الرؤى المادية للدور فالانسان قيمته ومكانته بما يحصل عليه من اموال وبدوره فى العمل الاقتصادى والانتاجى اى حسب موقعه فى السـلم الاقتصادى فهل هو صاحب رؤوس اموال ام هل هو منتج ام مستهلک؟ وهذه النظرية تطيح بإنسانية العاطلين عن العمل وتصور ربة البيت على انها كائن غير منتـج، وقـد تبنى الفكر الماركسـى هـذه الرؤى فهدم كل مايعارضه من افكار واديان غير انه سـقط فسـقطت قيمه وافكاره!! اذ لا يمكن ان يكون السارق والمحتكر والطماع قـد قاموا بادوار ساميـة!! ويرى هذا المدخل أن أدوار المرأة ومكانتها فى المجتمع تفسـر فى ضوء حجم مشاركتها فى عمليات الإنتاج، ومن ثم يمكن تفسـير تدنى مكانة المرأة فى ضوء قيامها (بأدوار هامشية) لا تُعد ضمن موارد الانتاج وفى تصنيع سلع ذات قيمة اقتصادية مرتفعة فى السوق. فهنا دور الانسان مبنى على الاموال والانتاج لا اكثر!!.

اما المـدخل البنائى فيرى ان دور المرأة قـد يكون بنائيا يرتبط بالمتغيرات الاجتماعيـة التى قد لاتعنى التحول الى احسن لكن عملية التغيير تؤثر على نمط الانتاج والمكانـة الاجتماعية كما حصل فى المجتمعات التى ظهر فيها البترول مما ادى الى قلب الاوضاع الاجتماعية لكنه أسهم فى ايجاد ظواهر ايجابية وسلبية

ص:244

كارتفاع نسبة العنوسة لطغيان القيم الاستهلاكية على القيم الاخلاقية.

على هـذا نجـد ان كـل هـذه المـداخل لفهم الـدور ومتطلباته تنبع من افق مادى بحت لا يهتم للثوابت كالـدين وتُقرر آراؤه حسب نسـبة العاملين والعاملات فى السوق بغض النظر عن نوع المادة المنتجة أو حقوق العامل أو خلق الانسان وقيمَّهُ.

أمـا الاسـلام فانه يرى ان هناک ادوارا انسانيـة لا يمكن التخلى عنها تتميز بـدوافعها واهـدافها واساليبها الربانيـة، ولهـذا جاء القرآن معظما لتصدّق اهل البيت عليهم السـلام على المسـكين واليتيم والاسـير رغم انه كان رغيفا لا اكثر!!، فليست القيمة بالمادة أو الصورة انما المهم هنا النيـة فنيـة المرء خير من عمله والايثار سـجية انسانية عظمى، وقد جعل الاسـلام الجنة تحت اقدام الامهات تكريما وتعظيما لدور الام لكنه فى نفس الوقت دعـا كلا الجنسـين الى التكامل عبر الايمان بالله والعمل الصالـح وسـنمر على اسـتقراء بسـيط عن الفرق القيمى بين الثقافتين لنصل الى فهم محدد.

والبعض يرى ان ادوار المرأة يجب ان تحصـر فى البيوت ويقـدم مبررات كثيرة لتعطيل الطاقة الانسانية للمرأة فى حين ان الحجز فى البيوت يحرم المرأة من تحقيق نمو سليم لقدراتها العقلية والذاتية ثم اذا كانت المرأة أمّاً تنشغل بالاولاد فما بال البقية من النساء اللائى لم يتزوجن ولم يصـبحن امهات!! أفيعقل ان طاقاتهن الانسانيـة تهدر الى فناء لعدم وضوح الرؤية الى ادوارهن؟! ويؤثر تقييد دور المرأة فى إطار المنزل على قدراتها الذهنية (وهو ما أشار إليه

ضمنياً الطهطاوى عندما قال: إن تحديد دور المرأة فى المنزل فقط سيحول قدراتها إلى الثرثرة والأقاويل) فاذا كان لكل انسان طاقة يمكن ان يوجهها فى اتجاه الخير والشر، فما أحوجنا الى تعلم آليات توجيه الطاقة نحو دور الانسان الرئيسى فى الحياة الا وهو الاستخلاف.

يقول الشيخ محمد الغزالى: المرأة عندنا، ليس لها دور ثقافى ولا سياسى، ولا دخل لها فى برامج التربية، ولا فى نظم المجتمع، ولا مكان لها فى صفوف المساجد ولا ميادين الجهاد!!.

واذا اردنا ان نحدد صورة الادوار فى الرؤية الاسلامية فهى نابعة من:

الرؤية الاستخلافية التى تنظر الى ان الانسان يمتلك القدرات والامكانيات والقابليات التى تؤهله لاسمى وارقى الادوار الانسانية، ويمكن ان يوظف هذه القابليات فى خدمة الغايات التوحيدية.

الرؤية الفسيولوجية للانسان والتى تحدد ادواره ومهامه الجنسية والتناسلية على اساس هويته الذكرية والانثوية.

والمشكلة ان الحالة الثانية مقبولة عند الجميع اما الحالة الاولى فمحل تساؤل (لغلبة واستمرارية الثقافة الذكورية الجاهلية حيث يصعب على الرجال أن يأخذوا بثوابت الشريعة الإسلامية بعد أن اقتحمت حدودها أسباط من الأحاديث الموضوعة والضعيفة التى زلزلت مكانة وأدوار المرأة للمشاركة فى منظومة الاستخلاف والتنمية والاعمار وأعادتها إلى الوراء فراسخ وأميالا عن خطوات مسارات الرجال، فهى مجرد وعاء للمتعة

والإخصاب وتجريدها من إرادتها للمشاركة الحقيقية فى مسؤولية الاستخلاف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر).

على هـذا لو اخذنا الادوار التقليدية للنساء فى صورة الزهراء عليها السـلام لوجدناها فى القمة فهى نِعم البنت البارة الحنونة المتابعة لشؤون والدها صـلى الله عليه وآله وسلم فى سرائه وضرائه وهى الزوجة التى تعطى من نفسها الكثير من خلال تحملها لمسار حياة زوجها المرهقة اقتصاديا وحركيا وجهاديا، وهى نِعم الام التى كانت وراء سيدى شباب اهل الجنة واختهم العقيلة عليهم جميعا افضل التحية والسلام.

واذا اخذنا الرؤى الاخرى للادوار فيكفى انها اعطت مفهوم التملك الصـحيح للمال من خلال الانفاق السـليم بعيدا عن الاسـراف والتقتير، وهى التى جعلت اموال فدک صدقة جارية لفقراء المسلمين مما أسهم فى تحسين ظروفهم المعاشية.

اما المدخل الثقافى للدور فإن وجودها المبارک فى بداية ظهور الاسـلام قد أسهم فى التعريف بالثقافة الاسلامية الصحيحة وما حملته من قيم جديدة مازالت نافذة المفعول حتى وقتنا الحاضـر وسـتبقى كذلک بفضل الصورة السـليمة والحسـنة التى قدمتها فى وقت كانت هناک الحاجة الماسة الى النموذج الاسلامى الواضح فبانت صورة المرأة المثقفة الواعية ذات المشاركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولا ننسى ان الاسلام جاء بأفق جديد للمرأة ونقلها من ضيق الجمود

والجسـد الى المنافسـة الرحبـة فى رحاب الله والى العلم والـدعوة وتحصـيل الثواب، وحفظ لها كرامتها وهذا التطور النوعى ترک اثره على حركـة المرأة المسـلمة وعلى اتجاهاتها فى الحياة وعلى طموحاتها ايضا فلم تعد تلک الفتاة التى تؤأد بأى شـكل من اشـكال الوأد ولم تَعُد ذاک الانسان المقهور ضحية الشعوذة والخرافة بل استعادت المرأة المسلمة إنسانيتها اولا ومن ثم كانت ادوارها إنسانية تكاملية سامية.

يقول د. حليم بركات:

ماذا نعنى بالتطور النوعى؟ بكل بساطة نعنى ان تتحول المرأة من وظيفة ودور وموضوع جنسى وانجابى الى انسان، فيكون لها الحقوق وعليها الواجبـات والمسؤوليات لفرض ذاتها التى للرجل دون تمييز، اذن، يجب ان تكون المرأة اولاً وآخراً انساناً لا جسـداً، وان تشترک فى جميع الميادين العامة، وان تتساوى مع الرجل فى الحقوق وبخاصة فى إطار الاحوال الشخصية، وان تكون كائناً بذاتها لا بغيرها(1).

اما بالنسبة لادوار الزهراء عليها السلام فقد وجدت علماءنا يتخذون عدة اتجاهات فى فهمها وعرضها؛ اهمها:

1 – الاتجاه الاول يـدعو الى الاهتمام فقط بالدور الاسـرى وصـرف النظر عن الادوار الاخرى!! وهذا امر عجيب فلو كان هذا هو الحق لما ذهبت عليها السلام شهيدة مظلومة لدفاعها عن دينها وإمامها وهى فى ريعان

1- (1) (حليم بركات، النظام الاجتماعى وعلاقته بمشكلة المرأة العربية).

شبابها!! تاركة اسرتها واولادها الصغار. وهذه اكبر اساءة للزهراء عليها السلام نفسها بل هو منتهى الظلم لها.

2 – الاتجاه الثانى على العكس ربط الزهراء عليها السلام بمسألة فدک ولاشیء آخر!! ای اختزل هذه الشخصية التى لانظير لها فى احداث فدک!! فانا لانفهم شيئا عن الزهراء عليها السلام سوى مطالبتها بفدک!، الامر الذى ترک اثره على الاجيال المعاصرة التى بات يغيب عنها انها عليها السلام كانت امرأة مثقفة وناشطة نسوية واجتماعية وممرضة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى الحروب وداعية مجاهدة وامرأة عاملة الى غير ذلک من الادوار!!، وهذا العرض قد جمد صورتها عليها السلام وحدد حياتها كلها فى دائرة فدک لا اكثر!!.

3 – الاتجاه الثالث لا يستطيع ان يقدم الزهراء عليها السلام بروح المعاصرة كل الذى يملكه انها قالت: خير للمرأة ان لا ترى رجلا! وهذا معناه حجر النساء فى البيوت! وحرمانهن من العلم والعمل وكل انماط الفاعلية فى المجتمع وهو مالم تقم به الزهراء عليها السلام نفسها!!. فنراها ذهبت الى مسجد النبى وألقت خطابها الجماهيرى فرآها الرجال والنساء وتابعها الجميع فى بيت الاحزان فكيف استند الحجر على المرأة إلى كلمة الزهراء عليها السلام هذه بل لماذا لم يتم الحجر على الزهراء نفسها والناس سواسية؟!!.

4 – الاتجاه الرابع يحاول ان يرسم صورة ادوارها بشيء من المرونة عله يستطيع ان يروج الرؤية المعاصرة للزهراء عليها السلام والتى تنسجم مع

التطور الانسانى والحضارى، ونرى هنا ان الرؤيـة الاسـلامية الصـحيحة للمرأة وماهو المطلوب منها تبـدو اكثر وضوحا فى هذه الشخصـية العظيمة.

على هـذا نرى ان الزهراء عليها السـلام قـد امتدت ادوارها وكذلک القيم التى حملتها لتكون اكثر من الثمانية عشـر ربيعا التى عاشـتها فلها ادوار خالـدة ذات منطق سـليم يواكب الفطرة تمتد مع بقاء الانسانية وخلود الحياة ولهذا يذهب السـيد محمد باقرالحكيم رحمه الله الى ان دور الزهراء فى التكامل الفردى والاجتماعى قـد أسـهم فى بناء الجماعة الصالحة التى بنت المجتمع الاسـلامى الاول ولانه دور ديناميكى حضارى فسيبقى يرفد المجتمعات على مر الدهور بالجماعات الصالحة التى تحفظ للدين كيانه وقدسيته وافكاره.

ويضيف السيد الحكيم:

لابد من معرفة سـر كل هذا التأكيد الواسع من قبل رسول الله، وقبله تأكيد القرآن الكريم، على شخصية الزهراء عليها السلام؛ وذلک لرسم معالم الأدوار التى يمكن أن تضـطلع بها المرأة فى الحياة الإنسانيـة وفى المجتمع الصالـح، من خلال تقـديم هـذا المثل الصالـح، وهـذه القدوة والأسوة الطاهرة، وهذا النموذج الراقى والكامل للمرأة وأدوارها فى المجتمع (الحكيم، فاطمة الزهراء عليها السلام، الموقع).

وحتى لو لـم تكن هنـاک نشاطـات للزهراء عليهـا السـلام سواء فى خطبتها التى قالتها دفاعا عن الـدين أو فى رعايتها للقيادة أو فى اهتمامها بالتعليم ونشر الثقافة فان مجرد ادائها الادوار التقليدية وفق الاسس الاسلامية الجديدة مع

ماحملته هذه الادوار من قيم جديدة واطروحات اسلامية حديثة الوجود فإن هذا التأسيس لهذه المشاريع التربوية لهو شيء عظيم، وحتى لو لم تكن هذه الادوار واضحة للبعض فإن وجود اهل البيت عليهم السلام بركة لاهل الارض وامان لهم، وهم مصدر كل خير وكرامة وهم اصل الامور ووجودها فى الحياة ونجد فى زماننا من يفرح بانه عاصر الرئيس الفلانى أو العالم الفلانى فكيف بمن عاصر مدن العلوم الالهية وابوابها ومنشأ خيراتها وهم الذين قال عنهم تعالى:

وعزتى وجلالى: إنى ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً تسرى إلا لأجلكم ومحبتكم.

يقول العلامة السيد جعفر مرتضى العاملى:

كل زمان له متطلباته وتقنياته، وأطر نشاطه. وإنما يطالب كل من الرجل والمرأة ويحاسب وفقا لذلك، ويتم تقويم نشاطاته أيضا على هذا الأساس، من حيث حجم تأثيرها فى الواقع الإسلامى كله.

وبالنسبة لعصر النبوة، فإن تعليم الزهراء القرآن للنساء، وتثقيفهن بالحكم الشرعى، وبالمعارف الإلهية الضرورية. ثم مشاركتها الفاعلة والمؤثرة فى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فى المواقع المختلفة، حتى فى المباهلة مع النصارى. ثم دورها الرائد فى الدفاع عن القضايا المصيرية، ومنها قضية الإمامة. ثم خطبتها الرائعة فى المسجد، التى تعتبر مدرسة ومعينا يرفد الأجيال بالمعرفة... هذا، عدا عن إسهامها المناسب لشخصيتها ولقدراتها، ولظروفها

فى حروب الإسلام المصيرية.

وعدا عن طبيعة تعاملها مع الفئات المحتاجة إلى الرعاية كاليتيم، والأسير، والمسكين، وهو ما خلده الله سبحانه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة. وأعظم من ذلك كله.. موقفها القوى والمؤثر، الذى وظفت فيه حتى فصول موتها ودفنها لصالح حفظ ثمرات الجهاد، فى سبيل قضية الإسلام الكبرى، تماما فعلته ابنتها زينب عليها السلام فى نطاق حفظها القوى والمؤثر لثمرات الجهاد والتضحيات الجسام للإمام الحسين عليه السلام وصحبه فى كربلاء.. نعم، إن ذلك كله، ونظائره، يدل على أن الزهراء (عليها السلام)، قد شاركت فى العمل الإنسانى، والسياسى، والثقافى، والإيمانى بما يتناسب مع واقع، وحاجات، وظروف عصرها.

ويضيف:

وهنا الذى حققته قد لا يوازيه أى إنجاز لأية امرأة عبر التاريخ، مهما تعاظم نشاطها، وتشعبت مجالاته، وتنوعت مفرداته، لأنه استهدف تأصيل الجذور. فكان الأبعد أثرا فى حفظ شجرة الإسلام، وفى منحها المزيد من الصلابة والتجذر، والقوة. وفى جعلها أكثر غنى بالثمر الجنى، والرضى، والهنى.

ولا يجعل إنجاز المرأة فى هذا العصر أعظم أثرا، وأشد خطرا. حتى ولو اختلفت متطلبات الحياة، واتسعت وتنوعت آفاق النشاط والحركة فيها.. لأن من الطبيعى أن يكون عصر التأصيل لقواعد الدين. والتأسيس الصحيح لحقائق الإيمان، وقضايا الإنسان المصيرية هو الأهم، والأخطر، والانجاز فيه لا

بد أن يكون أعظم وأكبر. (مأساة الزهراء عليها السلام، ج 1 جعفر مرتضى العاملى، ص 49).

وسنمر على ادوار الزهراء عبر ستة محاور اساسية هى:

الدور الاجتماعى

الدور السياسى

الدور الاعلامى

الدور الثقافى

الدور الاقتصادى

الدور القيمى

ص:253

الدور الاجتماعی

اشارة

ص:255

يعرف الـدور الاجتمـاعى بـانه النشاطات التى تقوم بها المرأة فى نطاق أسـرتها وبخاصـة ما يتعلق بتربيـة أبنائها وعلاقتها مع زوجها وعلاقة أسرتها بغيرها من الأسر الأخرى من خلال نشاطها اليومى والاجتماعى.

والدور الاجتماعى هو ما يتوقعه الآخرون بنسق اجتماعى من شـخص يشغل وضعا اجتماعيا معينا؛ وذلک فى أثناء موقف معين يتفاعل فيه هذا الشخص مع الآخرين.

وقد كان للزهراء عليها السلام اكثر من دور واكثر من نشاط اجتماعى سنمر عليها تباعا.

ص:257

الدور الاجتماعی للزهراء علیها السلام فی الحیاة الخاصة

فاطمة البنت البارّة

لقـد مررنا سابقا علی نمط العلاقة بین الاب تجاه ابنته فاطمة وسـنمر الآن علی دورها علیها السـلام کبنت، وعلاقتها السامیة بأبیها، اذ تبدو علیها السـلام اکثر حنانا واکثر متابعـة واکثر اعانـة لأبیها حتی فی ظروفه الحرجـة التی عاشـها، فقـد کانت معه فی هجرته وجروحه وجوعه ومرضه.. ولقد کانت رعایتها لأبیها مستمرة متواصلة حتی بعد زواجها وعند مرضه ورحیله صلی الله علیه وآله.

فقد روی مسـلم والبخاری فی الصـحیح عن عبدالله، قال: بینما رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم ساجد وحوله ناس من قریش، إذ جاء عقبـة بن أبی معیط بسـلی جزور، فقذفه علی ظهر رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم فلم یرفع رأسه حتی جاءت فاطمة فأخذته عن ظهره ودعت علی من صـنع ذلک فقال صـلی الله علیه وآله وسـلم: "اللهم علیک الملأ من قریش أبا جهل ابن هشام وعتبة بن ربیعة وعقبة بن ابی معیط وشیبة بن ربیعة، وأمیة بن

ص:258

خلف – أو أبى بن خلف –" قال عبدالله: فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا فى القليب(1).

– وقد الم بها الحزن والاسى لما تراه من اذى المشركين لابيها ومواصلته طريق الدعوة فانفجرت مرة باكية وهى تزيل التراب والاوساخ عن وجهه ورأسه وثيابه فرفع صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إليها قائلا: ان الله مانعٌ أباك وناصره على اعداء دينه ورسالته.

– وكانت إذا دخلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قام إليها فقبّلها وأجلسها فى مجلسه، وكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته فى مجلسها(2).

– وكانت «سلام الله عليها» تؤثره بما عندها من طعام كالأُمّ المشفقة على ولدها، فعن أنس، قال: جاءت فاطمة عليها السلام بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما هذه الكسرة؟» قالت: «قرص خبزته ولم تطب نفسى حتى أتيتک بهذه الكسرة..»(3).

– وعن عبدالله بن الحسن قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة عليها السلام فقدّمت إليه كسرة يابسة من خبز شعير، فأفطر عليها، ثم قال: «يابنية، هذا أول خبزٍ أكل أبوک منذ ثلاثة أيام»،

1- (1) (صحيح مسلم 108/1419 كتاب الجهاد والسير. وصحيح البخارى ج 220 26/4 كتاب الجزية والموادعة باب طرح جيف المشركين فى البئر ودلائل النبوة / البيهقى ج 278/2).

2- (2) (سنن الترمذى 3872:5l700. ومستدرک الحاكم 272:4).

3- (3) (مجمع الزوائد 312:10).

فجعلت فاطمة عليها السلام تبكى ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح وجهها بيده(1).

- أخرج البخارى ومسلم فى الصحيح عن عبدالعزيز بن أبى حازم، عن أبيه، أنّه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد، فقال: جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته وهشمت بيضته على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغسل الدم، وكان على بن أبى طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجَنّ، فلمّا رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم(2).

- وفى معركة احد.. وكُنّ أربع عشرة إمرأة منهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم(3).

- أخرج الطبرانى والحاكم وغيرهما عن أبى ثعلبة الخشنى، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر، صلّى فى المسجد ركعتين، ثمّ أتى فاطمة فتلقته على باب البيت، فجعلت تلثم فاه وعينيه وتبكى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما يبكيک؟» فقالت: «أراک شعثا نصباً، قد أخلولقت ثيابک» فقال لها: «لا تبكى، فإنّ الله قد بعث أباک بأمرٍ

1- (1) (مناقب ابن شهر آشوب 333:3. وبحار الأنوار 40:43).

2- (2) (ذخائر العقبى: 51. والمناقب ا ابن شهرآشوب 343:3. وبحار الأنوار 28:43l26).

3- (3) (المغازى/الواقدى/ج 1 /ص 249).

لا يبقى على وجه الأرض بيت ولا مدر ولا حجر ولا وبر ولا شعر إلاّ أدخله الله به عزّاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل»(1).

- وقد روى أن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قدم من غزاة له، فدخل المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثم بدأ - كعادته - ببيت فاطمة قبل بيوت نسائه، جاءها ليزورها ويسر بلقائها، فرأت على وجهه آثار التعب والإجهاد، فتألّمت لمّا رأت وبكت فسألها (صلى الله عليه وآله): «ما يبكيک يا فاطمة؟» فقالت: «أراک قد شحب لونک» فقال (صلى الله عليه وآله) لها: «يا فاطمة إن اللّه - عز وجل - بعث أباک بأمر لم يبق على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أدخله به عزاً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل(2).

- كان رسول الله منهمكاً مع أصحابه فى حفر الخندق لتحصين المدينة وحماية الإسلام، جاءت وهى تحمل كسرة خبز فرفعتها إليه فقال (صلى الله عليه وآله): «ما هذه يا فاطمة؟» قالت: «من قرص اختبزته لابنى، جئتک منه بهذه الكسرة» فقال (صلى الله عليه وآله): «يا بنية أما إنها لأول طعام دخل فى فم أبيک منذ ثلاث»(3).

وإذا ما أخذنا فى الحساب ان المعركة حصلت فى شوال فمعنى ذلک ان الاستعدادات لحفر الخندق بدأت قبل ذلک وفى السنة الخامسة للهجرة الذى

1- (1) (مستدرک الحاکم 1:488 و 3:155. وحلية الأولياء / أبو نعيم 3:30 و 6:123 دار الكتب العلمية).

2- (2) (حلية الأولياء لأبى نعيم: 2/30، وكنزالعمال 1 / ح 1448).

3- (3) (ذخائر العقبى: 47).

هو عـام الاـحزاب كانت ولادة الامام الحسن المجتبى عليه السـلام الابن البكر للزهراء فمعنى ذلک ان زيارتها عليها السـلام لابيها اما فى اخريات ايام الحمل أو بعد الولادة وهى ايام ثقيلة على المرأة والطفل أيضاً.

– وسأل مُعاذُ بن جبل عائشة: كيف وجدتِ رسول الله صـلى الله عليه وآله عند وجعه ووفاته؟ فأجابته: يا مُعاذ، ما شَـ هِدتُه عند وفاته، ولكنْ دونک فاطمةَ ابنتَه فاسألْها(1).

– وخرجت مع ابيها وبعلها يوم فتح مكة، وقد ضرب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بخباء بالبطحاء وجلس فيه يغتسل وكانت فاطمة تستره وقيل امرها: فسكبت له غسلا فاغتسل(2) وقد كانت لرسول الله زوجات كثار آنذاک ولكنها عليها السـلام اختصت برعاية شؤونه صلى الله عليه وآله وسلم وحمايته من تطفل أو اذى بقية النساء.

– ولعل واحـدة من أسوأ الظواهر الموجودة فى عصـرنا الحالى هو طغيان النزعة الفردية عند الابناء، والذى انتقل إلينا من الغرب؛ إذ كثيراً ما تلاحظ الوالدين قد أصـبحوا فى زاوية الاهمال من قبل الابناء الذين انشـغلوا بالحياة ومشاكلها وأفراحها وأتراحها فنسوا أن لهم آباء عليهم أن يبروهم ويحسـنوا اليهم بل ان الابناء ليضـيق صدرهم اذا ما أعلن الآباء والامهات عن حاجتهم الى شـىء من الرعاية من قبل الابناء الذين استنزفوا حياة آبائهم بما فى ذلک

1- (1) (الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى الشافعى 4:360).

2- (2) (الازرقى، اخبار مكة، 1:161 ومغازى الذهبى ص 555).

الجهد والمال والعافية فاصبحت دور العجزة مزدهرة وتكاد تضيق بازدحام نزلائها!!. هذا حال بلاد المسلمين!!.

أم أبيها

عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام: «أنّ فاطمة عليها السلام كانت تُكنى أُمّ أبيها»(1).

وفى كشف الغمة «إن النبى كان يحبها عليها السلام ويكنيها بأم أبيها».

وقـد اختلفت التفسـيرات حول هـذا اللقب من ناظر يرى انه دلالة على العلاقة الطيبة بين الاب وابنته وعلى الحب العظيم الذى يعلنه الاب لهـذه البنت البارة من خلال هـذا اللقب، وقـد أشـرنا سابقا الى الرعاية الابوية للبنت وأثرها فى نضج الشخصـية ونموها وسـلامتها من كل الجوانب، والمسألـة هنا لا تبـدو عاطفية ابدا وان كانت العاطفة جزءاً من الحنان الابوى لكن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم لا ينطق عن الهوى بل هو وحى يوحى وانما اراد بهـذه الكلمات بيان عظمة هذه الشخصـية وقد لاحظنا ذلک مرارا من خلال ارسال الفقراء الى بيتها والاشادة بها وبعطائها امام المسـلمين، فهى اذن رسالة تعريف وتعظيم لالفات النظر الى مقامها السامى عليها السـلام وسنتحدث عن دور الاسـماء والالقاب وتأثيرها فى القسم الاخير من هذا الكتاب.. ولا ننسـى ان الام فى اللغة هى الاصل فى كل شـىء فقد يكون المراد بهذا اللقب ان

1- (1) (مقاتـل الطالبيين، أبى الفرج: 29 والمنـاقب. ابن المغازلى: 340l392. والاستيعاب 380:4 عن الإمام الصادق عليه السـلام. وبحار الأنوار 19l43:19).

الزهراء عليها السلام هى الاصل فى ذرية المصطفى الممتدة حتى عصرنا الحالى بعد ان حرم عليه الصلاة والسلام من الذرية من كل زوجاته الاخريات وهوالذى اشارت اليه سورة الكوثر، ولكن تبدو المسألة اكثر من رؤية نسبية فأن الزهراء عليها السلام كانت السبب فى البقاء الاصيل للرسالة من خلال المواقف العظيمة التى ذادت فيها عن روضة الجمع بين النبوة والامامة فالامومة نسبية سببية دعوية خالدة. وهذا اللقب هو تكريم للزهراء عليها السلام لتثبيت مكانتها الفضلى العليا فى المجتمع فربما فرحت زوجات النبى بلقب ام المؤمنين الذى منحه القرآن لهن «اَلنَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِ بِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ» 1 فيأتى علو المقام للزهراء عليها السلام فهى افضل من ام المؤمنين؛ لانها ام ابيها وابوها هو حبيب إله العالمين ونبيه المصطفى ورسوله الذى ختم به رسالة السماء فأى تكريم هذا لاتدانيه مرتبة؟!!.. بل ان الزهراء عليها السلام لتكون اما لابيها فى صورته التى جسدتها فى كيانها وذاتها.

قالت عائشة: «إذا أقبَلَت فاطمة كانت مِشْيتُها مِشيةَ رسول الله صلى الله عليه وآله..»(1).

وعن عائشة بنت طلحة، عن عائشة قالت: ما رأيتُ أحداً كان أشبَهَ كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله، وكانت إذا دخَلَت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبّلها، وأجلَسَها فى مجلسه»(2).

1- (2) (صحيح مسلم 4:1905 / ح 99).

2- (3) (المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوريّ الشافعى 3:154).

يقول السيد محمد على الحلو فى كتابه مقامات الزهراء ص 101:

واذ أكرم الله زوجاته (صـلى الله عليه وآله) بأن جعلهن أمّهات للمؤمنين لقوله تعالى «اَلنَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ» اشارة الى بعض آثار الامومة من الاحترام والتكريم لهن كاحترام الأم الحقيقية وتكريمها، فإنّ فاطمة عليها السلام قد فاقت منزلتها بحجيتها الالهية لتكون أمّاً للنبى صـلى الله عليه وآله وسلم وعلى لسانه بقوله "فاطمة أمّ أبيها" مما يشير الى عِظم منزلتها وخطير درجتها، فأمومتها له صلى الله عليه وآله وسـلم تعنى أن هناك علاقة ارتباط وثيق على مستوى الحجية، أى انّ امومتها للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن رعايتها له صـلى الله عليه وآله وسـلم والقيام بشؤونه، فانّ لأمومتها جنبة اشـراف ورعاية لدعوته وتصديقه، كاشراف مريم عليها السلام لنبى الله عيسى ورعايتها له فضلاً عن رعايتها لدعوته والقيام ببعض شؤون رسالته.

فكما انّ الرسالـة العيسويـة قـد اعتمـدت نشوءاً وبقاءً على مقام السـيدة مريم من بدء الحمل حتى ما بعد الولادة، فإن فاطمة عليها السـلام تحتل مقام الحجية المشار اليها سابقاً مما يعطى لوقفتها عليها السـلام بُعداً آخر فى تأييد النبى صـلى الله عليه وآله وسلم وتصديقه بدعوته، اذ اقترانهـا معه بآيـة التطهير ومشاركتهـا له بآيـة المباهلـة وبيـان مقامها فى سورة الـدهر من كونها من المقربين الـذين يفيضون على الابرار ويتزودون من عين السلسبيل وهى عين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك يؤكد أن أمومتها استناداً الى حجيتها

ص:265

ستكون رعاية اشراف وحجية للدين، وبهذا فكم فرق بين الأمومة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والأمومة للمؤمنين.

ويحتمل معنى أمومتها للنبى (صلى الله عليه وآله) ما تقدم فى المقام السابق من كون وجودها النورى أصلاً لوجوده البدنى، لأن الأم فى اللغة تستعمل بمعنى الأصل، نظير ما ورد أن المؤمن أبوه النور وأمّه الرحمة).

وكأن الامر اقرار مسبق بأن الزهراء وأباها على نهج واحد وخط واحد، وكأن الامر يثبت لكرامة ومنزلة عليا لا تدانيها اى من زوجات النبى صلى الله عليه وآله وسلم!! وهى رسالة موجهة للآباء فى التعامل السامى مع البنات لتكون كل واحدة ام ابيها بحق وهى ايضا رسالة موجهة الى البنات بأن يسعين ليكن ام أبيهن سببا ونسبا ورسالة ودعوة فمحمد وعلى هما أبوا هذه الامة وهذه هى الصورة التى يجب ان تعيشها كل فتاة وكل امراة فتضع فى جدول طموحاتها ان تكون ام ابيها!!.

الزهراء زوجة امير المؤمنين عليه السلام

اشارة

تحدثنا سابقا عن زواج الزهراء عليها السلام مع امير المؤمنين عليه السلام والامور التى رافقته، وبهذا الزواج تشكلت اول اسرة فيها زوجان معصومان لم ولن يوجد مثلها على مدار التاريخ، والاسرة هى اللبنة الاساسية للمجتمع ولابد للاسرة – كل اسرة – ان تسعى لتحقيق اهداف الزواج فى السكن النفسى وتحكيم المودة والرحمة وانجاب الابناء وتربيتهم

ص:266

التربيـة السـليمة، وأحد العوامل المؤثرة على ذلک هو نمط العلاقة بين الزوجين وهل هى علاقة سوية تحقق اهداف الزواج وترسم نموذجاً ساميا للاسـرة المسـلمة ام انها – والعياذ بالله – علاقـة غير سوية تكون سـببا لخراب البيوت وتوجد اختلالات فى تربية الاولاد وسـلامتهم نفسيا ودينيا واجتماعيا.. ويمكن القول ان كل مايصدر من الزوجين من اشارات وكلمات وهمسات وتحركات اضافة الى سلوكيات التعامل فى مختلف مفردات الحيـاة الخاصـة بين الاـثنين، وكـذلک نمـط شخصـيتى الزوجين والثقافـة التى يحملانهـا والاعمـال التى يمارسـانها والاهداف التى يحملانها لهى عوامل تؤثر على نسـبة تحقق النجاح و الاسـتقرار و التوافق فى الحياة الزوجية ولهذا لابد من التعرف اولا الى اهم الاتجاهات والاساليب فى العلاقة الزوجية واهمها:

1 – اسلوب القسوة والتسلط

وغالباً ما يلجأ الرجال الى هـذا الاسـلوب كوسـيلة للتحكم بالزوجـة، وقـد يصل اسـلوب القسوة هـذا الى حد ممارسة العنف ضد الزوجة والذى يتخذ اشكالاً متعددة (النفسى والاقتصادى والبدنى والاجتماعى وغيره) مع استعمال وسائل مؤذية كالضرب والحبس والحرق، وربما يعود السـبب فى استشـراء هـذه الظاهرة فى المجتمعات الحديثـة الى اعلاء قيمة الذكورة واغماض وانتقاص قيمة الانوثة فالملاحظ مثلا ان المجتمع يشجع الرجل (احيانا) على هذا النوع من العنف، وفى الاحصائيات العالمية نجد ان:

70% من النساء تعرضن للضرب لمجرد انهن رددن على أزواجهن بلهجة

ص:267

لا تعجبهم!

35% من النساء فى فرنسا وتركيا يتعرضن لعنف الازواج!

82% من الازواج يمنعون الزوجات من الخروج (بلدان الشرق الاوسط والخليج!

25% من حالات الطلاق فى الصين بسبب عنف الازواج.

90% من نساء الهند يعانين من العنف!. ومثل ذلک فى الباكستان.

40-70% من النساء فى كل من أستراليا وإسرائيل وجنوب إفريقيا وكندا والولايات المتحدة ممن تعرضن للقتل وقتِلن على أيدى أزواجهن أو رفاقهن.

90% من حالات قتل النساء يرتكبها الازواج بما يشكل عنفاً جسدياً قاسياً!.

واحدة من كل أربع كل نساء فى كندا يتعرضن للعنف!.

40% من النساء اللاتى يتعرضن للقتل يلقين حتفهن بأيدى الزوج أو الرفيق. و 70% من ضحايا العنف فى السويد كن قد عايشن بعض أشكال العنف أو التحرش الجنسى.

وأكثر من 200 ألف امرأة فى هولندا يتعرضن سنوياً للعنف على أيدى أزواجهن. أما فى الهند فإن 8 من بين كل 10 نساء هن ضحايا العنف، وفى كل يوم تلقى 14 زوجة حتفها على يد أسرة زوجها فى عموم الهند.

كما أن 50% من الأسر فى جورجيا تمر ببعض أشكال العنف المنزلى.

ص:268

و 6 من بين كل 10 نساء فى بتسوانا هن ضحايا العنف المنزلى.

وتؤثر عوامل اخرى على زيادة هـذا النمط من الاذى على المرأة كنمط التربية والمشـكلات الاقتصادية والتوقعات اللامعقولة وغياب الثقافة الزوجية.. واحيانا يتم اللجوء للقسوة كوسـيلة ضـغط لانهاء حالة اختلاف الرأى وحل الخلافات.. وتزرع هذه القسوة الشعور العميق بالغبن والحيف عند المرأة وتؤدى الى اضـعاف لغة الحوار فى البيت وسـيادة ثقافة القهر، ولا نتوقع من اى فرد يعيش اجواء القهر ان ينتج أو يبدع أو يكون نتاجه (من الاولاد) سويا. ويقل هذا النوع من العنف عند المثقفين والمتدينين والذين يشعرون بمكانة المرأة وحماية الدين لها.

وهذا الاسـلوب يُفقد الزوجة – ومن ثم الاسـرة – شعورها بالامن والامان ويزيد الشعور بالعداء تجاه الطرف الآخر ويؤدى بالزوجة الى ان تتحول الى مخلوق سـلبى ضـعيف خائف، وهذه العلاقة لا يمكن ان تكون ناجحة ابداً باعتبار انها تفتقد لمقوماتها الاساسية وتعتمد التجبر والاهانة والبحث عن مبررات لتفعيل العنف وتقنينه مما يجعل اجواء الخوف هى المسيطرة على الاسرة.

وقـد ادى استشـراء هـذه الحالـة الى ظهور رد فعل معاكس للزوجات فظهرت بوادر عنف الزوجات ضـد الازواج!! خاصـة مع تزايـد النظرة النسوية المطروحة عالميا من ان الرجل ند للمرأة وليس شـريك حياة وانه سـبب لمشكلات المرأة ولتردى اوضاعها.. فالإحصائيات الأمنية لدى ولاية أمن

ص:269

أغادير التى حصـلت عليها "المغربية" (العدد: 8374 – الجمعة 23 ديسمبر 2011 – أن قضايا الضـرب والجرح العمدى التى بلغت نحو 711 قضـية يشـملها» حظ الرجال! اذ كشف تقرير تقييمى صـدر أخيرا عن "الشـبكة المغربيـة للـدفاع عن حقوق الرجل" ،وهى منظمة غير حكوميـة تعنى بالدفاع عن حقوق الرجال "المُعنفين" ،أن أكثر من أربعة آلاف رجل تعرضوا للعنف من طرف زوجاتهم منذ 2008، أى فى غضون أربعة أعوام تقريباً، من ضمنها 20 فى المائة من حالات العنف المادى!

وأثبتت دراسـة حديثة أن 30% من الرجـال فى العـالم العربى يعانون من العنف الزوجى ويتوزع هـذا العنف الـذى يتعرض له الرجال بين العنـف الجسـدى والمعنوى ويصـل العنف الجسـدى فى الحالاـت إلى مـا يقـارب 20% مـن الحالاـت، (الاـهرام الرقمى 2011، 26 اغسطس).

وفى دراسة ميدانية مصرية أجريت بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية أكدت أن 30% من الزوجات يضربن أزواجهن وتضمنت العينة ستمائة شخص من مختلف المستويات الاجتماعية فى المجتمعات العربية.

والملاحظ ان العنف كان سائداً قبل الاسـلام وتلاشـى مع ظهور الاسـلام وانتشاره، والذى يتأمل الارقام يجدها متقاربة فى الشرق والغرب رغم اختلاف الثقافات والاديان والاعراف ورغم ان الغرب حمل لواء المناداة بتحرير المرأة وحقوق المرأة ولكن هذه هى النتائج!..

عن امير المؤمنين على عليه السلام: بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى

ص:270

الْعِبَادِ(1).

يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: اى رجل لطم امرأته، امر الله مالكا خازن النيران فيلطمه على حر وجهه سبعين لطمة فى نار جهنم(2).

وعنه ايضا صلى الله عليه وآله وسلم: اما يستحى احدكم ان يضرب امرأته كما يضرب العبد، يضربها اول النهار ثم يضاجعها آخره؟ اما يستحى؟(3).

2 - اسلوب النبذ والاهمال

يعدّ هذا الاسلوب من اقسى اساليب المعاملة الزوجية وغالبا ما يكون مصدر الاهمال هو الزوج ونادرا ما تكون الزوجة ويمكن تمثيله بانه حالة هجر للآخر غير ان الزوجين مازالا تحت سقف واحد بمعنى انه هجرنفسى عاطفى وربما بدنى!!.... فالزوج يهمل الزوجة ويكون اشبه بالحاضر الغائب!! لا حوار ولا ضحک ولا مشاركة أو مشاورة فى اى شأن!!.. هنا تغيب الكلمة الطيبة والابتسامة الحلوة وتشعر الزوجة انها وجود ميت!! ربما لا يزيد عن كونها مدبرة لشؤون المنزل ولاعداد الطعام كما لو كان البيت مطعما اوفندقا لا اكثر!.. وهى قد تصبر على ذلک لكن قلبها يبحث عن الحب والاهتمام العاطفى وهو مفقود فالزوج يُشعرها بسلوكه هذا انها لا تحتل حيزا فى حياته

1- (1) (نهج البلاغة، الحكم الحكمة 218).

2- (2) (مستدرک الوسائل ج 14 ح 16619).

3- (3) (السنن الكبرى للنسائى: ج 5 ص 371 ح 9166 ومسند احمد: ج 5 ص 481 ح 16221).

فهو (لا شـريک له!!) وربما يكون الامر عن عمد أو عن انشـغال، وهنا يزداد شـعور الزوجة بقتامة الحياة فلا وجود لها فى حياة زوجها سواء كانت حاضـرة أو غائبـة فليس هناک من يفرح بوجودها أو يحزن لغيابها وليس هناک من يشاركها همومها أو يساعدها على حل مشـكلاتها وبتعبير آخر هى شىء مهمل ملقى على الرف!!. وفى احايين كثيرة تشعر المرأة بالتعاسة الزوجية امام اهتمام الزوج المفرط بالعمل أو متابعة التلفاز أو السـياحة الى غير ذلک.. وكل ذلک يؤدى الى جمود الحياة الزوجية وسـيطرة الاوهام والوساوس على الزوجة التى تحاول البحث عن سـبب ذلک وكيفية العلاج مما يؤدى الى ضـعف ثقتها بنفسـها وانخفاض شـعورها بمقوماتها الانثوية والزوجية مما يقلل من اهتمامها بـذاتها، وقد تزداد الحالة سوءاً الى مايسـمى بالطلاق العاطفى حيث يكون الزوجان تحت سـقف واحد ولكنهما اغرب الغرباء وهو جو غير سليم يزيد من حدة الوساوس والاضـطرابات النفسـية كما قد يكون عاملا لتصدع الاسرة التى تتحول الى مايعرف بأسرة القوقعة الفارغة فهى اسرة بظاهرها لكنها لا تنبض بالحياة!! هنا تشعر الزوجة بالوحدة وتبدأ بالبحث عن بدائل قد تكون سليمة أو خاطئة.

وفى تقرير لمجلة "بونته" الألمانية توضح الإحصائيات أن تسعًا من كل عشر سيدات يعانين من صمت الأزواج، وتشير الأرقام إلى أن 79% من حالات الانفصال تكون بسبب معاناة المرأة من انعدام المشاعر، وعدم تعبير الزوج عن عواطفه لها، وعدم وجود حوار يربط بينهما.

ص:272

3 – اسلوب التدليل المفرط

وهو الافراط فى تلبيـة حاجات احـد الطرفين المعقولـة وغير المعقولـة وبـديهى ان الامر سـيكون على حساب الطرف الآخر وعلى حساب سلامته ووجوده، وقد يؤدى الامر الى قيام احد الزوجين بكل أعباء المنزل والاسـرة والاولاد رغم وجود الطرف الآخر والذى يكون بعيدا عن تحمل المسؤوليـة أو الاهتمام والمساعـدة والمتابعـة لشؤون الاسـرة، وهنا يغيب التعاون بين الزوجين حيث يتحول احدهما الى اداة منفذة ليس اكثر ويعيش على الهامش، وهذا الاسـلوب يؤدى شـيئا فشـيئاً الى ضمور القوة فى الشخصية وظهور الاعتمادية المطلقة وقد يؤدى الى اسـتفحال الانانية والنرجسـية فلا يرى الفرد الا نفسه ورغباته وذاته!!، وقد تلجأ المرأة لهذا الاسـلوب لانه يحررها من المسؤولية!! وهى تفرح ان الزوج ينتظر اوامرهـا وتتباهى بـذلك!!. والحمايـة مطلوبـة من كلا الطرفين ولكلا الطرفين ولكنها يجب ان تكون بحـدودها، وفى بعض الاحايين تلغى الحمايـة الزائـدة كل شـعور بالمسؤوليـة الزوجيـة الامر الذى قد يلغى شخصـية الطرف الآخر وكأنه فارق هذا العالم!! وهذا الاسـلوب ينبئ بنتائج خطيرة اذ عادة مايفشل الشـخص الذى يكون تحت الحماية الزائدة فى ادارة شؤون الاسرة عند غياب الطرف الآخر – كما فى حالات الوفاة المفاجئة أو المرض – الامر الذى يؤدى الى شلل الاسرة واحيانا يحصل تمرد بشكل مفاجىء مسقطا كل الاعتبارات منذرا بنتائج سلبية.. كما ان هذه الصورة المشوهة للحياة الزوجية تؤثر على الابناء وعلى حياتهم المستقبلية.

ص:273

كما يكون الجوالاسرى بعيدا عن السلامة اذ ليس فيه اى شعور بالمعية الزوجية وغالبا مايؤدى الى الشعور بالغبن والاحتراق النفسى.

4 - اسلوب المودة والرحمة

وهو الاسلوب الصحيح والمتوازن والسوى فى العلاقة الناجحة والطيبة بين الزوجين، وهو الاسلوب الذى طرحه القرآن الكريم لإلغاء كل صور التعامل الخاطئ الذى كان سائدا فى الجاهلية ولايجاد مقاييس سليمة لانشاء اسرة متوافقة وموفقة وآمنة.

قال تعالَى:

«وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» 1 .

أما المودة فأصلها من الود وهو الحب ويكون فى جميع مداخل الخير (لسان العرب - ابن منظور) ومن أسمائه تعالى الودود وقيل ان المودة هى اللين والبشاشة والتواضع واظهار الميل والحب اى التعبير عن الحب، وقيل ان الود هو اول الحب. ولم يكتفِ القرآن الكريم بالاشارة الى المودة فالحب وحده لا يكفى بل لابد من وجود الرحمة فى العلاقة الزوجية وتعنى الرحمة العطف والشفقة والتحمل والبعد عن الانانية.

وما ذكرناه من اساليب غير سوية فإنما يعود منشؤه الى غياب المودة

والرحمـة، ولاـينفع وجود احـدهما فى غيـاب الآخر فالمودة والحب مما يزيـد من قوة الجـذب والتعلق ويصون الجانب العاطفى وهو من أسـباب اسـتمراره، اما الرحمـة فتأتى من الرؤية الانسانية للطرف الآخر بمعنى انه كلما ساد شـعور بانسانية الطرف الآخر وباسـتتباعات هذه الانسانيـة اسـتوجب الامر ان تفيض الرحمـة عليه وان يقـدم له العون والمساعدة وبهذا فمن باب الرحمة ان لا يُكلف بما لايطيق ومن باب الحب والمودة مداراة الحبيب. والمودة والرحمة مطلوبتان فى السـراء والضـراء وفى ايام اليسـر والعسـر كى تسـير قافلة الاسـرة دون تلكؤ أو انكسار.

يقول صاحب الميزان:

فقوله: (أن خلق لكم من أنفسـكم أزواجا لتسـكنوا إليها) أى خلق لأجلكم - أو لينفعكم - من جنسـكم.. فكل واحد منهما ناقص فى نفسه مفتقر إلى الآخر ويحصل من المجموع واحد تام له أن يلد وينسل، ولهذا النقص والافتقار يتحرك الواحد منهما إلى الآخر حتى إذا اتصـل به سكن إليه لان كل ناقص مشتاق إلى كماله وكل مفتقر مائل إلى ما يزيل فقره وهذا هو الشبق المودع فى كل من هذين القرينين. وقوله:«وَ جَعَـلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَـةً» المودة كأنهـا الحب الظاهر أثره فى مقام العمل فنسـبة المودة إلى الحب كنسـبة الخضوع الظاهر أثره فى مقام العمـل إلى الخشوع الـذى هو نوع تأثر نفسانى عن العظمـة والكبرياء. والرحمـة نوع تأثر نفسانى عن مشاهـدة حرمان المحروم عن الكمال وحاجته إلى رفع نقيصته يدعو الراحم إلى انجائه من

الحرمان ورفع نقصه. ومن أجل موارد المودة والرحمـة المجتمع المنزلى فان الزوجين يتلازمان بالمودة والمحبـة وهما معا وخاصة الزوجة يرحمان الصغار من الاولاد لما يريان ضعفهم وعجزهم عن القيام بواجب العمل لرفع الحوائج الحيوية فيقومان بواجب العمل فى حفظهم وحراستهم وتغذيتهم وكسوتهم وايوائهم وتربيتهم ولو لا هذه الرحمة لا نقطع النسل ولم يعش النوع قط (1).

وبهـذا تكون المودة هى الترجمـة الحقيقيـة للحب بمعنى اظهـار الحب للطرف الآخر، والملاحظ ان القرآن الكريم لم يقل ان الرجل يود فقـط أو ان المرأة تود وانمـا قالهـا بلحاظ الكل «وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَـةً» وهو بهـذا يعلمنا ان اظهار المودة والحب للطرف الآخر امر مطلوب من كلاـ الزوجين فلابـد للمحب ان يعلم الطرف الآخر بأنه يحبه بالكلمـة والموقف والتأييـد والمـداراة والرفق وعـدم التكليف فوق الوسع، وفى حديث الكساء صورة جميلة لهذه المحبة والمودة الظاهرة من خلال التعبير ومن خلال لحن الكلام ونمط السلوك.

ومما لا شک فيه ان هذا الاسلوب سيؤدى الى احترام الحياة الزوجية والشعور بقدسيتها لأنها ميثاق غليظ لابد من ايجاده على ارض سمحة سهلـة قابلـة للانبات وهذا كله سـيؤدى الى نتائج طيبة كاحترام الطرف الآخر واحترام اسـرته وافكاره مالم تخالف الدين اضافة الى انه عامل لزيادة الثقـة بين الزوجين كما يعزز الشـعور بالامان لـدى الزوجة بالخصوص مما يجعل كلا الزوجين ينطلقان لتحسـين احوالهما الحياتية والاسرية، فالمطلوب هو ايجاد

1- (1) (الطباطبائى تفسير الميزان ج 16 ص 166).

الـدوافع الانسانية التى تقوى الوشائج بين الاثنين والبداية تكون من القلب فهو موضع العاطفة والحركة نحو الآخر ولانه يحبه فلابد ان يكون له عونا وسندا حينما يقع تحت طائلة الضعف أو الارهاق بشتى انواعه ولأن الحب هو المحرك الاساس فالفرد لا يترفع عن خدمة المحبوب وعن احتواء ضـعفه وتخليصه من ازماته أو مشـكلاته، ولأن الحركة تتجه نحو اكمال النقص لدى كل طرف حيث ان الزواج هو احد عوامل التكامل كما تشـير الى ذلک الـدراسات النفسـية فلابـد ان تكون هناک حركة نحو الكمال الذى يكون باتجاه واحد فهو حركة واعية نحو الله ولهذا كانت رؤية الزهراء عليها السـلام: (انه نعم العون على طاعة الله) فالتكامل يكون مع الوحى الالهى بل مع ماارادە الله تعالى للانسان من خير وصلاح.

وبهـذا يكون الزواج حركـة تكاملية نحو الله تتطلب كنس كل ما لا يليق بالرحمة من الضـرب والعنف والقسوة أو تضـييع الحقوق ولابد ان تحمـل فى طياتهـا الرحمـة والشـفقة والايثـار والتفـانى والاحترام والسـعى لاضـفاء اجواء السـكينة على الاسـرة بكل اعضائها بما فى ذلک المخلوقات الجديـدة التى ولـدت عبر هـذا الميثاق الغليظ. واذا كان الزواج احد عوامل نضج الشخصـية وتكاملها فلابد ان تتهيأ له الدعائم والارضـية الكافيـة المساعـدة على نجاحه ووصوله الى اهـدافه الساميـة فى انتشال الانسان من الذاتيـة والفردية والشـعور بالوحدة الى كماله وسعادته وتوفير السكن والرحمة وتقوية الاحساس بوجود الحبيب القريب دائما والمعين فى المهمات.

وينعكس هـذا الاسـلوب فى مجمل الحياة الزوجيـة فهو يبـدأ من لغـة السـلام والتحيـة والبشاشة والتفانى من اجل اسـعاد الطرف المقابل والسـعى لجعل البيت الاسـرى جنة الخلد التى تبث الراحة لمن فيها والابتعاد عن كل ما يمكن ان يُذهب صفاء الحياة الزوجية من العنف والفحش والتحقير واللا مبالاة والاهمال وبخاصـة فى تلبية الحاجات بكل صورها واشـكالها (المادية والمعنوية) وبهذا تسـتقر الاسـرة عند شاطئ الامان والمحبة والدفء العائلى.

وهذا واضح فى سيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الذى سئلت زوجته عائشة عن أخلاقه – فى المنزل – فأجابت: كان خلقه القرآن.

وعن الإمام الصادق عليه السـلام: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن لى زوجة إذا دخلت تلقتنى وإذا خرجت شيعتنى وإذا رأتنى مهمومـاً قالت: ما يهمك؟ إن كنت تهتم لرزقك فقـد تكفل به غيرك وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله هماً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بشرها بالجنة وقل لها: إنک عاملة من عمال الله ولک فى كل يوم أجر سبعين شهيداً»(1).

وإذا كانت المرأة تؤدى دور اعادة بناء الشخصـية من جديـد، ولها القـدرة والتأثير الايجابى والمفيد على الرجل، فالاطمئنان والسـكينة التى تعطيهـا المرأة للرجـل لا يمكن اسـتبدالها بأى شـىء ابـدا. يقول «ويل ديورانت»: «إن المرأة التى بإمكانها تبـديل الرجل الخيالى والضائع المتحير الى رجل كله ايثار وعلاقة

1- (1) (مكارم الاخلاق، ص 200).

بالاسرة والاطفال، ان مثل هذه المرأة سبب حفظ النوع وبقائه...»(1).

وأحـد أهم الأسـباب التى تـدفع بالرجل والمرأة إلى الزواج وتحمل مسؤولياته الجسـيمة هو السـعى لتحقيق حالـة من الاسـتقرار الروحى وايجاد السند الداعم الذى يكون الى جانبه فى اشد اللحظات حراجة وضعفا فهو نوع من التخلص من الشعور بالوحدة والغربة.

كتب د. عادل صادق استاذ الطب النفسى عن مواصفات الزوجة الناجحة فيقول:

هى زوجـة قادرة على احتواء الزوج بالحنان والاهتمام، فهى بحسـها الانثوى تدرک احتياجات الرجل، فهى تعرف بفطرتها وبساطتها ان فى الرجل جزءاً كالطفل يحتاج الى ام وبه جزء ناضج واع ِمنطقى يحتاج الى امرأة ناضـجة عاشقة وبه جزء ابوى يحتاج فيه ان يؤدى دور الراعى المسؤول والقائد ولذا فهى تعطيه حنان الام وحب المرأة العاشقة وخضوع الابنة المتفهمة. فهى تعرف ان الرجل يتوقع الاهتمام من الزوجة يتوقع التقـدير ولـذا فهى تعيش احلاـمه وانتصاراته وامجاده حتى وان كانت هى الشاهـدة الوحيـدة عليها... تعيش حياته واهتماماته وعمله لحظة بلحظة ولا تفارقه لحظة. فالحب هو حياتها وزوجها هو محور حياتها واسرتها هى مملكتها.

ويشـير د. سبوک الى ان اطمئنان الطفل الشخصى والاساسى يحتاج دائما الى تماسک العلاقة بين الوالدين ويحتاج الى انسجام الاثنين فى مواجهة

1- (1) (الذات الفلسفة، ويل دورانت، ص 49).

مسؤوليات الحياة.

وحينما نعود الى الزهراء عليها السلام فى علاقتها الزوجية مع امير المؤمنين عليه السلام والتى ربما زادت عن عشر سنوات تقريبا فلانجد فيها الا معالم الحب والمودة والرحمة واول المداخل نحو القلوب وهى التحية كما ورد فى حديث الكساء:

.. فأقبل عند ذلک أبو الحسن على بن أبى طالب وقال: السلام عليک يا فاطمة يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: وعليک السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة إنى أشم عندک رائحة طيبة كأنها رائحة أخى وابن عمى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: نعم، هاهو مع ولديک تحت الكساء.

اى صورة اجمل من هذا الكلام؟ ففيه تعظيم واحترام ونداء بأحب الاسماء وتبادل التحية بأجمل منها، فيه التقدير والاشعار بالمودة والرعاية.. وعلى مدى السنين التى عاشتها الزهراء عليها السلام مع زوجها نجد وقوف الاثنين الى جانب بعضهما فى الشدة والرخاء والجوع والشبع وفى الفرح والحزن.. كانت الى جنبه فى جهاده ودفاعه عن الاسلام وماكانت تنغص حياتها القصيرة مع الحبيب بالشكوى والضجر وبالتافه من الكلام والعمل - والعياذ بالله - بل كانت حياتها كلها تفيض عطاءً وبركة، تجود بخبزها ويجود بخبزه فيتحرک الصغار ليتعلموا كيف يجودون هم ايضا برغيفهم الذى لم يكن لهم غيره ويبيت الجميع على الطوى تلفهم المحبة ويسمو بهم حب الله تعالى..

ص:280

يقول عليٌّ عليه السلام واصفا الزهراء عليها السلام لرجل من بنى سعد بعدما غابت عن حياته:

«ألا احدثک عنى وعن فاطمة؟ إنها كانت عندى وكانت من أحب أهله (صلى الله عليه وآله) إليه، وإنها استقت بالقربة حتى أثر فى صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلک ضرر شديد(1).

كانت معه فى حروبه وانتصاراته وفى امجاده التى سطرها واحدا بعد آخر وكانت تتابع اخباره وتقوم عنه بمهامه فى الاسرة - اذا غاب - ف - (تستقى بالقربة) ولاتشتكى ثقل المهام، وأنى يكون ذلک وقد نذرا نفسيهما عليهما السلام للامانة الكبرى التى عجزت عن حملها السموات والارض، وكانت عليها السلام تدارى مشاعره وتخفف عنه شدة الحراب المسنونة الى صدره من قبل الكافرين والمنافقين والمسلمين على حد سواء!!، وحملت سيفاً مسلولا فى الدفاع عن احقيته فى الولاية وماكان من خطبتها ومحاججتها أبى بكر الا لتثبت ان لا راعى للامة خير من على عليه السلام فهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقادر على مواصلة مسيرة النبوة الى ساحل الامان للامة والنجاة والصيانة للدين. كما ان الزهراء عليها السلام كانت قد شاركت فى القرارات الاسرية كاختيار الخادم اوالمساهمة فى تأمين المورد الاقتصادى من خلال الغزل أو فى القرارات المصيرية الكبرى مثل ما جرى فى

1- (1) (البحار 43 ص 82).

قضية فدک.

أمـا هو عليه السـلام فقـد كانت هى اعز الناس الى قلبه وكان يهب لاعانتها حينما تؤذيها الرحى ويجمع التمرات لها فى ايام الجوع، ووقف الى جانبها يقود بغلتها ويـدور على بيوت الانصار والمهاجرين معلناً ظلامتها وقالت له معتـذرةً فى وصـيتها حينما احست بمرارة فراقها عن الحبيب الذى ستتركه نهبا للهموم والخطب الجليلة، تقول له:

.. ثم قالت: يا بن عم، ما عهدتنى كاذبة، ولا خائنة، ولا خالفتک منذ عاشـرتنى. فقال: معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله، من أن أوبخک بمخالفة، وقد عز على مفارقتک وفقدک إلا أنه أمر لا بد منه.

وفى الخصال عن الامام الباقر عليه السلام لما ماتت فاطمة قام عليها امير المؤمنين عليه السلام وقال:

اللهم انى راضٍ عن ابنـة نبيـک اللهم انها قـد اوحشت فآنسـها، اللهم انها قـد هُجرت فصـلها، اللهم انها قـد ظُلمت فاحكم لها وانت خير الحاكمين(1). محبة واضحة تصب دمع الفراق فى قالب الوداع.

وهى تنادى زوجها يا أمير المؤمنين: يابن العم وفى الرواية:

«- رُوحى لِرُوحِکَ الْفِداءُ ونَفْسى لِنَفْسِکَ الْوَقاءُ يا ابَا الْحَسَنِ انْ كُنْتَ فى خَيرٍ كُنْتُ مَعَکَ وإنْ كُنْتَ فى شَرٍّ كُنْتُ مَعَکَ.

1- (1) (الخصال ص 588 ح 12).

اما هو عليه السلام فقد قال عنها:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «والله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمرٍ حتى قبضها الله عزَّ وجلَّ. ولا أغضبتنى، ولا عصيت لى أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّى الهموم والأحزان(1).

لله درک ياعلى فأى رجل انت؟ لم تغضب زوجتک يوما ولم تكرهها على امر ما.. ياللعجب!! وقد وقف عند قبرها باكيا متألما يبوح بوجده ويعلن حزنه ومن عادة الرجال ان تترفع عن بيان حزنها على زوجاتها فلا يعبر عن حزنه بارتداء السواد بل يحضر الجنازة بالقميص الابيض ليعلن للملأ.. ان هى إلا امرأة!! وعلى عليه السلام يقف على القبور مناديا اياها ليطلع الجميع على الحب العظيم الذى كان يملأ جوارحه وجوانحه لبنت المصطفى، وهو يتكلم عن عشقه الخالد اشبه مايكون بفتى استكن الغرام قلبه.. اى رجل انت ياعلى؟.. احتفظ لها بخصوصياتها وخصائصها واحتفظت له بذلک، فلم تنقل الزهراء عليها السلام اى شىء عن حياتها الخاصة معه كما قامت بذلک بعض نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث كشفن الاسرار الخاصة!! ناسيات ان المرأة المسلمة لابد ان تكون حافظة للغيب لا اذاعة بث!!.

وهو عليه السلام لم يعارض وصيتها ولم يهملها بل قام بتنفيذ كل ما أوصت به وهو الذى كان سندا لها فى حياتها وعونا لها على حل مشاكلها ومشاكلهما، ويواسيها فى تظلمها ويدعمها فى دفاعها.. وهذا هو الحب

1- (1) (كشف الغمة | الاربلى 1:363. وبحار الأنوار 43:134).

الحقيقى الخالد الذى ينمو مع الزواج ومع العلاقة الشرعية فيسبغ المحبوب كل صفات الجمال على محبوبته.

ويشير على عليه السلام الى حبه للزهراء عليها السلام فيقول:

ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنّى الهموم والأحزان(1).

لغة العيون

هنـاک وسائـل کثيرة للتواصـل الانسـانى منهـا التواصـل اللفظى عن طريق الكلاـم والكتابـة ومنهـا التواصل غير الفظى عبر الاسـتفادة من الايماءات والاشارات وهى التى تعرف بلغـة الجسـد فهى اللغـة غير الناطقة التى تعتمد الاشارات والحركات، وكلها رسائل موجهة للطرف الآخر، وقـد يكون لهذه الرسائل غير اللفظية تأثيرٌ اقوى من مثيلتها اللفظية لما لها من تأثير واضح على المتلقى والتى قد تكون اشد تأثيرٌ من الكلام نفسه، وهـذه تُسـهم فى نقل وايضاح وبيان مايقرب من 90% من الرسائل التى تتعلق بالمشاعر والاحاسـيس، وتختلف لغـة التعبير هذه باختلاف الثقافات، ومن صور لغة الجسد هذه هى حركة العيون ونمط النظرات والتحديق وتحريک اليدين الى غير ذلک.

ويعد النظر احد مفاتيح الجذب والانتباه والتأثير فالنظرة هى اللسان الناطق، فحينما يعجز لسان الفم عن الافصاح عن رأيه والبوح بما يكنه

1- (1) (كشف الغمة ا الاربلى 1:363).

القلب من وجـد يـأتى لسـان البصـر ليوصل الرسالـة المطلوبـة بقوة وعمق، فالنظرة هى مفتاح المودة ومفتاح الشـر أيضا!!، ان النظرة الودية الحنونة تُسهم فى تقوية العلاقة بين الزوجين وتزيد من مشاعر الاعتزاز والحب تجاه الاخر وفى الحديث:

عن سـهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشـعرى، عن عبدالله بن ميمون القداح، عن أبى عبدالله (عليه السـلام) عن آبائه (عليهم السـلام) قال: قال النبىّ (صـلى الله عليه وآله): ما اسـتفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الاسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها فى نفسها وماله(1).

والنظرة هى سبب من أسباب الألفة والاتفاق أثناء لقاء المخطوبين لأول مرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما" أى يؤلف ويوفق بينكما.

وتُسهم النظرات الحنونة ونظرات المودة فى اعطاء الحياة الزوجية الدفء والشعور بالحب والتواصل العاطفى الذى قد نحتاج الى التعبير عنه والى اظهاره وبخاصـة فى حالـة وجود آخرين (كالأولاد مثلا) فتكون هـذه النظرات هى الاقوى تعبيرا والاشـد تأثيرا فهى لغة خاصة معروفة بين الاثنين.

وقد أشار القرآن الكريم الى بعض مظاهر لغة الجسد كقوله تعالى:

1- (1) (وسائل الشيعة ج 20 ص 41 ح 24979).

«سِيماهُمْ فِی وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»1 .

وفی قوله تعالی:«وَ إِنْ یَکادُ الَّذِینَ کَفَرُوا لَیُزْلِقُونَکَ بِأَبْصارِهِمْ لَمّا سَمِعُوا الذِّکْرَ وَ یَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ»2 .

إشارة الی البغض والکراهیة التی اشتعلت فی نفوسهم ضد النبی صلی الله علیه وآله وسلم لما أحسوا بخطر الدعوة الآخذة فی الانتشار. یقول العلامة الطباطبائی فی ج 20 تفسیر سورة القلم: حول الآیة والمعنی: أنه قارب الذین کفروا أن یصرعوک بأبصارهم لما سمعوا الذکر.

والمراد بإزلاقه بالأبصار وصرعه بها الإصابة بالأعین، وهو نوع من التأثیر النفسانی لا دلیل علی نفیه عقلا وربما شوهد من الموارد ما یقبل الانطباق علیه، وقد ورد فی الروایات فلا موجب لإنکاره.

وقیل: المعنی أنهم ینظرون إلیک إذا سمعوا منک الذکر الذی هو القرآن نظرا ملیئا بالعداوة والبغضاء یکادون یقتلونک بحدید نظرهم.

وأشار القرآن إلی أنماط متعددة من لغة العیون فمثلا یقول فی لغة الغمز:

«وَ إِذا مَرُّوا بِهِمْ یَتَغامَزُونَ * وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلی أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَکِهِینَ»3 .

وأشار تعالی الی النظرات الخائنة:

«يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ ما تُخْفِي الصُّدُورُ»1 .

وعن نظرات الخوف قال تعالى:

«وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلى لَهُمْ»2 .

وقال ايضا:«وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ هَلْ يَراكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ»3 .

وشخوص البصر يوم القيامة قال تعالى:

«وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يا وَيْلَنا قَدْ كُنّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هذا بَلْ كُنّا ظالِمِينَ»4 .

وفى قصة يوسف عليه السلام:

قال تعالى:«فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَ قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ قُلْنَ حاشَ لِلّهِ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ»5 .

فهنا لغة العيون كانت قد طغت على المشهد فمهما أعطت زوجة العزيز من تبريرات حول الامر الذى حصل مع يوسف عليه السلام ماكان ليعطى

نفس النتيجة كما هو الذى حصل لما رأت النساء يوسف عليه السلام نفسه بشبابه وهيبته ورجولته وكانت الدهشة من التأثير بحيث فقدن صوابهن وقطعن أيديهن!

ولما كانت لغة العيون هى احدى وسائل الاتصال الانسانى التى يمكن من خلالها نقل رسائل خاصة عن طريق إشارات العيون، كان لابد ان تتنوع النظرات وان تكون لها أوصاف وإشكال عدة فى اللغة منها نظرة استياء، اشمئزاز، غضب، فرح، دهشة، تقدح شررا، نظرة ماجنة، نظرة تذمر، نظرة حب، نظرة قاتلة، سعيدة، حزينة، ثاقبة الى غير ذلك.. ان نظرات العيون تمتلك من التأثير ما لا تمتلكه الوسائل الاخرى من القوة والبيان ولهذا ذكر الشعراء العيون فى شعرهم وقال أحدهم:

فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

وقال الشاعر:

إن العيون لتبدى فى نواظرها ما فى القلوب من البغضاء والإحن

وقال الآخر:

العين تبدى الذى فى قلب صاحبها من الشناءة أو حب إذا كانا

إن البغيض له عين يصدقها لا يستطيع لما فى القلب كتمانا

فالعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من صميم القلب تبيانا

يقول الان غييز فى كتابه الشهير (لغة الجسد):

ص:288

ان الاتصال بالعين ينظم الحوار وتعتبر اشارات العين جزءا اساسيا من القدرة على قراءة موقف الشخص الآخر وافكاره، وعندما يلتقى الناس للمرة الاولى يصدرون سلسلة من الاحكام على بعضهم البعض، اعتمادا فى المقام الاول على مايرون... كما ان النظرة الطويلة يمكن ان تولد مشاعر حميمة (ص 185).

ويضيف: تظهر الابحاث ان المعلومات التى تصل الى المخ تأتى 83% عن طريق العين و 11% عن طريق الاذن و 6% عن طريق الحواس الاخرى(1).

ومنه جاء الامر الالهى بغض البصر لان النظر اول مفاتيح القلوب نحوالهيام والعشق..

قال الله تعالى:«قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ * وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ»2 .

لان النظر بحد ذاته رسالة موجهة فاذا كان فيها تتابع فهو جواب وتأكيد ولهذا جاء فى الحديث: النظرة الاولى لک والثانية عليک!!.

قال الامام الصادق عليه السلام: «النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، وكم نظرة أورثت حسرة طويلة»(2).

1- (1) (نفس المصدر ص 188).

2- (3) (الكافى / الكلينى 559:5).

وقال عليه السلام: «النظرة بعد النظرة تزرع فى القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة»(1).

فالعين تعرض ماهو موجود فى النفوس من مشاعر واحاسيس وانفعالات وتصورات بشكل مباشر كما لو كان هناك عرض مكبر على شاشة العين وبذلك فهى لغة تمتلك مصداقية اكبر من الكلام؛ لأنها لغة كاشفة لما فى السرائر!

وفى دراسة على الشبكة العنكبوتية حول وسائل الاتصال الصامت مع الآخرين جاء فيها:

تقول عالمة النفس الفرنسية "سوزان بياكسيل:" إن لغة العيون هى الأقوى تعبيرا والأسرع فى توصيل الرسالة إلى الإنسان لذلك من المهم جدا أن يتطلع الفرد فى عين محدثه ليقنعه بالصدق فى حديثه، كما أنه يمكن من خلال النظر فى العيون الكشف عن الكذب فى عينى الإنسان الذى تتحدث معه".

وأفادت دراسة بريطانية شملت 460 شخصاً من الجنسين بالتساوى أن النظرة المباشرة والابتسامة العريضة يساعدان فى إقناع الشخص الآخر بأنه" الشريک المناسب "،وفضل المشاركون النظرة المباشرة والوجه المبتسم، وظهر أن تأثير الشعور بالانجذاب من النظرة المباشرة كان واضحاً.

وهناک نظرات كاسحة للألم كانسة للهموم وهناک نظرات مكدرة للبدن جالبة للهموم!!.

1- (1) (من لا يحضره الفقيه / الصدوق 4970/18:4).

ونعود الى الزوجين المعصومين عليهم السلام فنقول: اى امراة هذه اذا نظر إليها زوجها انجلت عنه الاحزان والاكدار!!؟ انها نظرات تفيض بالحب والمودة والحنان والاجلال وهى نظرات ماسحة للهموم والاكدار متفائلة بالامل فياضة بالدفء فهل التفت الازواج المعاصرون الى هذه اللغة القديمة الحديثة؟.

الغضب فى الحياة الزوجية

الغضب احد اخطر الامور التى تهدد الحياة الزوجية بل حتى الحياة العادية لما تترتب عليه من مضاعفات سيئة على المدى البعيد والقريب!، وقد تؤدى الى تهديد وتمزيق العلاقة الزوجية بالكامل.. وأحيانا تكون أسباب الغضب تافهة بيد ان غياب القدرة فى الضبط والتحكم فى الانفعالات يؤدى الى عواقب خطيرة!.

وقد يكون الغضب طبيعيا لأسباب معقولة كما لو تعرض الشخص الى ظلم من الآخرين أو الى التعدى على حقوقه فيهب غاضبا لنفسه وحقه وهو الغضب المحمود.

وأحيانا تكون أسباب الغضب خارج الحياة الزوجية كالبطالة وسوء ظروف العمل وعدم القدرة على تدبير الامور المعيشية بسبب الازمات العالمية، واحيانا يكون السبب نمط الشخصية فالزوج قد يكون سريع الانفعال أو انه نمط متشنج متسلط لا يقبل بلغة الحوار أو الحلول الوسط، كما ان نمط

العلاقات داخل الاسـرة لها أثرها فی تهییـج الغضب فکلما کان هناک الانسـجام والمودة والتقـدیر للطرف الآخر انخفضت حدة الغضـب وقلت اضراره، ویُعدّ النقد المستمر من عوامل تأجیج الغضب.

وقد یؤدی الغضب إلی استعمال لغة العنف بأشکاله المتعددة مع الآخرین وبخاصة مع الاضعف وعادة ما تکون الزوجة!

وهو یؤدی أیضا الی أخطار صـحیة مثل ارتفاع ضـغط الـدم وتزایـد نبضات القلب اضافـة الی التغیر الهرمونی وقـد ینتهی بالموت الفجائی بسبب هذه التغیرات.

ویترک الغضب آثـاره السـیئة علی الفرد والاسـرة والاولاد بل وحتی المجتمع وقـد یؤدی الی انفصال الزوجین وانحراف الابناء وبخاصـة اذا استمر النکد الزوجی.

ولهذا دعت الشـریعة الی کظم الغیظ وعدّته من الخصال الحمیدة وکذلک التحلی بالحلم والصبر والتغافل کی لا یصاب الشـخص بالتوتر والانفعال والاحتقان نتیجة امر ما.

قـال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: إن الغضب جمرة من النـار وان الشـیطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحـدکم فلیتوضأ(1).

قال الإمام الصادق علیه السلام «الغضب مفتاح کل شر»(2).

1- (1) (سنن أبی داود رقم 4784).

2- (2) (أصول الکافی، ج 2، کتاب الإیمان والکفر، باب الغضب، ح 3).

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم" الغَضَبُ يُفْسِدُ الإيمانَ كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ"(1).

كما جاء فى الكافى عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث له: كان أبى يقول: "أَيُّ شَيْ ءٍ أَشَدُّ مِنَ الغَضَبِ؟ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ وَيَقْذِفُ المُحْصَنَةَ"(2).

وبإسناده، عن ميسر قال: ذُكر الغضب عند أبى جعفر الباقر عليه السلام فقال:" إِنَّ الرَّجلَ لَيَغْضَبُ فَما يرضى أبداً حَتّى يَدْخُلَ النّار فَأَيُّما رَجُلٍ غَضبَ عَلى قَوْمٍ وَهُوَ قائِمٌ فَلْيَجْلِسْ مِنْ فَوْرِهِ ذلِکَ فَإِنَّهُ سَ يَذْهَبُ عَنْهُ رِجْزُ الشَّيْطانِ وَأَيُّما رَجُلٍ غَضِبَ عَلى ذى رَحِمٍ فَلْيَدْنُ مِنْهُ فَلْيَمَسَّه، فَإِنَّ الرَّحِمَ، إذا مُسَّت، سَكَنَتْ"(3).

يُحكى أن زوجين ظلا يتصارحان حول كل شىء فى حياتهما طوال مدة زواجهما التى تعدت الستين، ويسعدان بقضاء كل الوقت فى الكلام أو خدمة أحدهما الآخر، ولم تكن بينهما أسرار، ولكن الزوجة العجوز كانت تحتفظ بصندوق فوق أحد الأرفف، وحذرت زوجها مرارا من فتحه أو سؤالها عن محتواه، ولأن الزوج كان يحترم رغبات زوجته فإنه لم يأبه بأمر الصندوق، إلى أن كان يوم أنهک فيه المرض الزوجة وقال الطبيب إن أيامها باتت معدودة، وبدأ الزوج الحزين يتأهب لمرحلة الترمل، ويضع حاجيات زوجته فى حقائب

1- (1) [أصول الكافى، المجلد الثانى، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح 1].

2- (2) [أصول الكافى، المجلد الثانى، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح 4].

3- (3) [أصول الكافى، المجلد الثانى، كتاب الإيمان والكفر، باب الغضب، ح 2.].

ليحتفظ بها كـذكريات. ثم وقعت عينه على الصـندوق فحمله وتوجه به إلى السـرير حيث ترقد زوجته المريضة، التى ما أن رأت الصـندوق حتى ابتسمت فى حنو وقالت له: لا بأس بإمكانك فتح الصندوق، فوجد بداخله دميتين من القماش وإبر النسج المعروفة بالكروشيه، وتحت كل ذلك مبلغ 25 ألف دولار، فسألها عن تلك الأشياء. فقالت العجوز هامسة: عندما تزوجتك أبلغتنى جدتى أن سر الزواج الناجح يكمن فى تفـادى الجـدل والناقر ونقير، ونصـحتنى بأنه كلما غضـبت منك، أكتم غضبى وأقوم بصـنع دميـة من القماش مسـتخدمة الإبر. هنا كاد الرجل أن يشـرق بدموعه: دميتان فقط؟ يعنى لم تغضب منى طوال ستين سـنة سوى مرتين؟ ورغم حزنه على كون زوجته فى فراش الموت فقد أحس بالسعادة لأنه فهم أنه لم يغضبها سوى مرتين. ثم سألها: حسنا، عرفنا سر الدميتين ولكن ماذا عن الخمسة والعشرين ألف دولار؟ أجابته زوجته: هذا هو المبلغ الذى جمعته من بيع بقية الدمى!!.

فالغضب قـد يكون سـببا لمزيـد من التوتر والخلافات الامر الـذى قد يؤدى الى اسـقاط هيبة الزوجين امام بعضـهما وامام الاولاد ان كانوا حاضرين.

وعليه يمكن تجاوز الغضب بالوضوء وتغيير الحال فلو كان واقفا جلس ولو كان جالسا استرخى واسـتلقى على السـرير، اضافـة الى ان تغيير المكان عامل مؤثر فى تخفيف الغضب فالخروج من البيت أو الذهاب الى الحدائق له دوره فى ذلك.

ولابد من اكتساب مهارات حل المشكلات والتعامل مع الضغوط بشكل

سليم وكثير من النساء يلجأن الى كتابة مشاعرهن وما فى صدورهن من ألم كى يتم التفريغ السـليم للطاقة السـلبية دون اذى للطرف نفسه أو للآخرين. ولهذا قد نحتاج الى بدائل عن الغضب أو امور تجنبنا الغضب كالتسامح والتغافل.

التسامح والتغافل

اى يتسامـح الفرد ايـا كـان مع الآـخر على عثراته ولاـ يقف منه موقف المتربص ويكظم غيظه فى الموارد التى تتطلب ذلـک، ولا يلجأ الى العنف والانتقام.

ففى الحديث: صلا حا مكيال ثلثاه فطنة ثلثه تغافل(1).

ولا يمكن لامرئ عاقل ان يبقى طول حياته متربصا بأخطاء غيره ناقـدا منتقـدا.. فهو بهذا الحال يحول الحياة الى جحيم أبدى ويقتل فيه حالة السـكينة والمودة، فالزوجان يجب ان يتغافلا عن تقصير الآخر أو تلكئه فى تنفيذ المرام ففى الحديث: عن امير المؤمنين: من لـم يتغافل ولا يغض عن كثير من الامور تنغصت عيشته(2).

واذا غابت لغة التسامح والتغافل عن الأخطاء فهنا سيكون العنف حاضرا مما يهدد امن الاسرة والافراد.

عن محمد بن يعقوب، عن أبى على الاشعرى، عن محمد بن عبد

1- (1) (شرح احقاق الحق ص 339 المرعشى).

2- (2) (غرر الحكم ح 9149).

الجبار، عن صـفوان، عن إسـحاق بن عمار قال: قلت لابى عبدالله (عليه السلام): ما حق المرأة على زوجها الذى إذا فعله كان محسنا؟ قال: يشبعها ويكسوها وان جهلت غفر لها، وقال أبو عبدالله (عليه السلام): كانت امرأة عند أبى (عليه السلام) تؤذيه فيغفر لها(1).

وَقَالَ الامام الصادق عليه السلام: مَنِ احْتَمَلَ مِنِ امْرَأَتِهِ ولَوْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَعْتَقَ اللَّهُ رَقَبَتَهُ مِنَ النَّارِ وأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ وكَتَبَ لَهُ مِائَتَى أَلْفِ حَسَنَةٍ ومَحَا عَنْهُ مِائَتَى أَلْفِ سَيِئَةٍ ورَفَعَ لَهُ مِائَتَى أَلْفِ دَرَجَةٍ وكَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ عَلَى بَدَنِهِ عِبَادَةَ سَنَةٍ (2).

والمطلوب ان يقدم له العون المطلوب عند الازمة أو المشكلة، وان يعينه على التخلص من حالة الترصد.

يمكن القول ان الزهراء عليها السـلام كانت قد اسـهمت فى تغيير الواقع الاجتماعى عن طريق تقديم نموذج الاسرة الصالحة التى لا تستند إلى الاسس الضيقة التى اعتمدتها النساء فى الاختيار كما اوردنا ذلك فى مواقفهن من فاطمة عليها السلام لزواجها من فقير.. فقدمت عليها السـلام نموذجاً لاسـرة لا تقوم على المقاييس الماديـة انما تعتمـد الايمان والكفاءة، كما انها لا تسـتند الى اساليب خاطئة فى التعامل بين الزوجين بل كانت هناك اصول عليا فى التعامل السـليم والناجـح إضافـة الى اهتمامها عليها السـلام بالشأن التربوى الـذى سـنمر عليه مع استعراض مواقف الدعم التى قدمها كلا الزوجين للآخر.

1- (1) (الوسائل ج 20 ص 169).

2- (2) (الكافى ج: 5 ص: 513).

الاسس العامة فى الحياة الزوجية للزهراء عليها السلام

1. التكريم

كرّم الاسلام المرأة من خلال التشريعات الجديدة التى جاء بها، والتى كانت ثورة على الافكار الجاهلية التى أهانت المرأة وغرست الشعور بالحقارة فى نفسـها، كما اقرّ الاسـلام لها حقوقا ماكانت لها سابقا أو لاحقا بل ان المرأة المعاصـرة استنزفت قواها الى حد الاعياء والارهاق حتى استحصلت على جزء منها!!.

ومن علامات اكرام الاسـلام للمرأة انه اعلن انسانيتها الكاملة فهى ليست شيئاً ناقصا فى الانسانية كما كان متصورا قال تعالى:«يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَ نِساءً» 1 .

وهى أيضاً تدخل ضمن لائحة التكريم الالهى الذى يشمل الانسانية جمعاء، قال تعالى:

«وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِی آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّیِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِیلاً»1 .

وبهذا فالکون کله مسخر لها وله فهی کالرجل خلیفة الله فی ارضه لها مهام استخلافیة واهداف علیا، واقرّ الاسلام ان التفاضل لا یقوم علی اساس الجنس – وهو امر غیر ارادی – بل علی اساس العمل الصالح والعلم والتقوی – وهی امور اکتسابیة – فالانسان یکّرم لانه عالم أو متقٍ لا لانه ذکر أو انثی. قال تعالی:

«یا أَیُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَ أُنْثی وَ جَعَلْناکُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاکُمْ»2 .

ودعا الإسلام الی إکرام البنات ونبذ کل أشکال الوأد عنهن بل انه حارب مظاهر الکراهة لمولدها، وأعطی المرأة حقها فی التعلیم والتملک والارث واختیار الزوج وجعل نفقتها واجبة علی الزوج وشدد علی معاشرتها بالمعروف وعدم اللجوء الی العنف أو الاذی اوالاضرار بها، واهتم الاسلام بالمرأة الام وجعل حقها اکبر من حق الاب نفسه!!. قال تعالی:

«وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ إِلَیَّ الْمَصِیرُ»3 .

وقال أيضاً:«فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّی لا أَضِیعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْکُمْ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی بَعْضُکُمْ مِنْ بَعْضٍ»1 .

وقال:«وَ مَنْ یَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ مِنْ ذَکَرٍ أَوْ أُنْثی وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِکَ یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لا یُظْلَمُونَ نَقِیراً»2 .

والزوجة أولی بأکرام الزوج وکذلک الزوج أولی بإکرام الزوجة فهما مصدر الود والسکن والراحة القلبیة والنفسیة والاسریة.

قال تعالی:«وَ عاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»3 .

قال تعالی:«وَ مَتِّعُوهُنَّ عَلَی الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَی الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ»4 .

قال تعالی:«وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَیْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَیْهِنَّ دَرَجَةٌ وَ اللّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ»5 .

قال تعالی:«أَسْکِنُوهُنَّ مِنْ حَیْثُ سَکَنْتُمْ مِنْ وُجْدِکُمْ»6 .

وقال ایضاً:«وَ لا تُضآرُّوهُنَّ لِتُضَیِّقُوا عَلَیْهِنَّ»7 .

وقال تعالی:«وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَیْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجالِ عَلَیْهِنَّ»

«دَرَجَةٌ» 1 .

وفی الحدیث: عنه صلی الله علیه وآله وسلم: من اتخذ زوجة فلیکرمها(1).

وفی الحدیث: ما استفاد المؤمن بعد تقوی الله عز وجل خیراً من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إلیها سرته، وإن أقسم علیها أبرته، وإن غاب عنها حفظته فی نفسها وماله]. (رواه ابن ماجه)

وجعل لها المهر تکریما لها وصیانة لحقوقها کما دعا الرجل الی تعلیمها شؤون دینها والاهتمام بها فهی ریحانة ولیست قهرمانة وهی لیست خصما للرجل انما هی مکمل له وراع لشؤونه.

وقال علیه الصلاة والسلام: [الدنیا متاعٌ وخیرُ متاعها المرأة الصالحة].

وهذا التکریم یعزز لدی المرأة الشعور بالمحبة وبأن لها شأناً عند زوجها فتسعی لإسعاده علی الاقل کی لا تخسر هذا الشأن.

وفی الحدیث عن الإمام الصادق علیه السلام: کان ابراهیم مکرماً لسارة یعزها ویعرف حقها(2).

وفی رسالة الحقوق عن الإمام السجاد علیه السلام: وأما حق الزوجة فإنک تعلم ان الله عز وجل جعلها لک سکناً وانُساً، فتعلم ان ذلک نعمة من

1- (2) (الحر العاملی، وسائل الشیعة، ج 14 ص 122 ح 5).
2- (3) (تفسیر مجمع البیان ج 4 ص 455 وتفسیر الصافی ج 2 ص 427).

الله (عز وجل) فتكرمها.

ومن مفاتيح تعزيز الشعور بكرامة الطرف الآخر هو النداء بالاسم الحسن وبما يحب ان يُنادى به ففى الحديث قالت فاطمة عليها السلام "لا والذى أكرم ابى بالنبوة واكرمک (ياعلى) ما اصبح الغداة عندى شىء وما كان شىء اطعمناه مذ يومين الا شىء اوثرک به على نفسى وعلى ابنى هذين الحسن والحسين"(1).

وجاء فى حديث الكساء (فاقبل عند ذلک ابوالحسن على بن ابى طالب وقال السلام عليک يا بنت رسول الله فقالت وعليک السلام يا ابا الحسن ويا أمير المؤمنين.

ويذكر السيد دستغيب فى كتابه القصص العجيبة: ان رجلا مات فرآه ولده فى منامه فى عيش كريم فقال له الاب: انا هنا فى بحبوحة من نعيم ولكن فى كل يوم تأتى عقرب وتلدغنى من لسانى مما يسبب لى الما وناراا!! فسألت عن ذلک؟ فقالوا لى ان هذه العقرب عقاب لى لما كنت أنادى به امک باسم (سكو) فاطلب لى منها المغفرة، وسكو بمعنى الكلب وكان اسم المرأة هى سكينة!! ولكن يبدو انه استعمل اسم الكلب للدلع!!.

والحوار الطيب بين الاثنين من صور المحبة والتقدير، وحينما يكون الحوار بين الزوجين قائما على الكلام الطيب البعيد عن الهمز واللمز والاهانة والتحقير تزداد العلاقة بين الزوجين سمواً وارتقاءً وتقترب المسافات بين الاثنين

1- (1) (بحار الانوار: 59/43).

ويعيش كلا الطرفين الأمن من صاحبه من اى هجوم لاذع قد يكون سببا فى تهاوى استقراره النفسى.

وواحدة من اهم مشكلات الازواج فى زماننا انهم يبيعون الكلام الطيب للاصدقاء والغرباء ويحرّمونه فى العش الزوجى!! ناسين أو متناسين ان اول مكان للكلام العذب والطيب والجميل هو بيت الاسرة، فبه تصفو الاجواء ويستحكم الود والاحترام.

وايضا من علامات الاكرام هو المشاركة الوجدانية ضمن مشاعر الفرح والحزن اذ لايعقل ان يكون حزن طرف ما هو سرور للآخر ومحطة بهجة له!! وهذا يأتى منسجما مع الاخلاق الاسلامية، فالمسلمون كلهم جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى فكيف بالعلاقة الزوجية التى هى أقدس العلاقات واكثرها دواما واثراً، ولهذا نحتاج الى الذكاء العاطفى فى كل العلاقات خاصة فى العلاقة الزوجية وكان علىٌّ عليه السلام مع الزهراء عليها السلام فى كل محطات الفرح والحزن وهى أيضاً كانت الى جواره فى كل محطات الحياة بما فيها من فرح أو حزن، ولهذا بقى يذكرها ويذكر ألمها.. فقد قال عليه السلام: إنها استقت بالقربة حتى أثر فى صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرر شديد اشارة الى توجعه لحالها وهو الذى أشار عليها بالخادم.

والزهراء عليها السلام انبرت تدافع عنه عليه السلام فى اقسى محطات

ص:302

التاريـخ فقالت عليها السـلام: (وما الذى نقموا من أبى حسن! نقموا والله نكير سـيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره فى ذات الله، وتالله لو تكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله صـلى الله عليه وآله لاعتلقه ولسار إليهم سـيراً سجحا لا تكلم حشاشته ولا يتعتع راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً فضـفاضاً يطفـح ضـفتاه ولأصـدرهم بطانا قد تحير بهم الرأى غير متحل بطائل إلا بغمر الناهل وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون).

والاكرام لا يعنى الذوبان فلكل خصوصيته وتوجهاته ولا تضاد بين مراعاة الخصوصيات والتكريم.

ولا ننسـى ان من مظاهر اكرام المرأة هو اكرام اهلها فقـد كان رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يكرم هالـة اخت السـيدة خديجة عليها السـلام بل كان يكرم صديقاتها ويرسل لهن مما ذبح من قرابين رغم اسـتنكار زوجاته اللائى كن يرين انه مضى على موت خديجة دهرا فما الداعى لهذا الاكرام؟.

ومن مظاهر الاكرام والتكريم هو الاحترام فنحن حينما نشـعر بكرامة شخص ما فلابد اولا ان نحترمه بل ونحترم غيابه فلا نغتابه، وكلما شعر الطرف بأنه محط احترام الطرف الآخر تزايد الشعور بحب الطرف الآخر ومودته له مما يعزز الثقة والطمأنينة اليه.

ونحتاج لتقديم نموذج طيب للمودة والرحمة فاحترام الام للأب يشجع

البنت على ان تكون كذلک مع زوجها كذلک رعاية الاب للام يشجع الابن على ان يكون كذلک. ويمكن القول إن اكرام كل طرف للطرف الآخر سيشكل الاصول الاخرى للحياة السعيدة والتى سنقدمها لاحقاً.

ولا ننسى ان الرجل يتأثر بالعرف الموجود والذى يكون احيانا ظالماً للمرأة فيشجع على إهانة الزوجة وتحقيرها!! الامر الذى يجعله يدور فى متاهة بين ماتأمر به الشريعة من التكريم والاكرام وبين العرف القاسى الذى يصفه بنعوت شتى إن تمرد عليه!!.

2. تقسيم العمل والتعاون فى أمور المنزل

اشارة

جاء فى الحديث: عن الامام الصادق عليه السلام كان امير المؤمنين يحتطب ويستقى ويكنس وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز(1).

وروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه: «تقاضى على وفاطمة إلى رسول الله فى الخدمة، فقضى على فاطمة عليها السلام بخدمتها ما دون الباب، وقضى على على بما خلفه، قال عليه السلام: فقالت فاطمة: فلا يعلم ما دخلنى من السرور إلا الله بإكفائى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحمل أرقاب الرجال»(2).

يقول العلامة المجلسى فى شرح ذلک: «تحمل رقاب الرجال أى تحمل أمور تحملها رقابهم من حمل القرب والحطب، ويحتمل أن يكون كناية عن

1- (1) (الكافى ج 5 ص 86 ح 1، الامالى للطوسى: ص 661 ح 1369).
2- (2) (الحر العاملى/وسائل الشيعة/ج 20 /ص. 172).

التبرز من بين الرجال...»(1).

وعن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام قال: «دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمةُ جالسةٌ عند القِدْر وأنا أُنقّى العدس، قال: يا أبا الحسن، قلت: لبّيک يا رسول الله، قال: إسمَعْ منّى - وما أقولُ إلاّ مِن أمر ربّى -، ما مِن رجلٍ يُعين امرأتَه فى بيتها إلاّ كان له بكلّ شعرةٍ على بدنه عبادة سنة: صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله تعالى من الثواب مِثل ما أعطاه الصابرين: داودَ النبىّ ويعقوبَ وعيسى عليهم السلام.

يا علىّ، مَن كان فى خدمة العيال فى البيت ولم يأنَفْ كتب اللهُ تعالى اسمَه فى ديوان الشهداء، وكتب الله له بكلّ يومٍ وليلةٍ ثواب ألف شهيد، وكتب له بكلِّ قَدَمٍ ثوابَ حجّةٍ وعُمرة، وأعطاه الله تعالى بكلّ عَرَقٍ فى جسدِه مدينةً فى الجنّة.

يا علىّ، ساعةٌ فى خدمة العيال خيرٌ من عبادةِ ألفِ سنة وألفِ حجّةٍ وألف عمرة، وخيرٌ مِن عِتق ألفِ رقبة وألفِ غزوة، وألف مريضٍ عاده، وألفِ جمعة وألف جنازة، وألفِ جائعٍ يُشبعهم وألفِ عارٍ يكسوهم، وألفِ فَرَسٍ يُوجّهُها فى سبيل الله، وخيرٌ مِن الف دينارٍ يتصدّق بها على المساكين...

يا علىّ، مَن لم يأنف مِن خدمة العيال دخل الجنّة بغير حساب.

يا علىّ، خدمةُ العيال كفّارة للكبائر، وتُطفئ غضبَ الربّ، ومهورُ الحور العِين، وتزيد فى الحسنات والدرجات.

1- (1) (بحار الانوار ج 43 ص 81).

يا علىّ، لا يخدم العيالَ إلاّ صدّيق أو شهيد، أو رجلٌ يريد الله به خيرَ الدنيا والآخرة»(1).

عن أبى عبد الله عليه السلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئا من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً، نظر الله عز وجل إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه(2).

مع العلم ان الشريعة أعطت للمرأة حق المطالبة بالأجر لقاء عملها فى المنزل بل تعطى لها أجرة إرضاعها لأبنائها، قال تعالى:

«وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضاعَةَ»3 .

ولقد تم تقسيم العمل مع بداية الحياة الزوجية فلا تحميل ولاضغط لطرف على آخر وكان علىٌّ لا يستنكف أن يساعد زوجته وكان صلى الله عليه وآله وسلم قبله فعائشة سئلت عن فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى بيته، قالت: ((كان يكون فى مهنة أهله.. يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب شاته) (صحيح مسلم).

وعن أبى طالب المكى(3): كان على عليه السلام يحمل التمر والمالح بيده ويقول:

1- (1) (المجلسى، بحار الأنوار 132:101 / ح 1).
2- (2) (امالى الصدوق ص 336، البحار ج 103 ص 106).
3- (4) (قوت القلوب فى معاملة المحبوب ج 2 ص 233).

لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع إلى عياله

وقد روى العياشى عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إن فاطمة ضمنت لعلى عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها على ما كان خلف الباب من نقل الحطب وأن يجىء بالطعام»(1).

ويسهم تقسيم العمل بين الزوجين فى تحديد مسؤوليات وواجبات كل طرف فيعرف كل فرد بأنّ له عملاً كما أن لغيره عملاً وانه مسؤول عن أداء هذه الاعمال بالشكل الأحسن اذ لا أحد يقوم بمهامه، فلابد ان يكون تقسيم الاعمال متناسبا بين الاثنين كى يعرف كل طرف التزاماته وحدوده، كما ان مساعدة الزوجين لبعضهما هو تعبير عن المحبة وعن الوعى بقيمة ومكانة الطرف الآخر، وحاليا هناك مطالبات بتخصيص مرتب خاص يمثل أجرة لعمل المرأة داخل بيتها، مع العلم ان الاسلام قرلها ذلک مسبقا ان هى طالبت به، هذا وتتنوع اتجاهات الازواج فى العمل البيتى فهناک طرف يلقى بأمور البيت كلها على المرأة ابتداءً من رعاية الاولاد إلى إصلاح العطب فى الأجهزة الكهربائية والتسوق وغيره الامر الذى يثقل على الزوجة ويجعل حياتها موزعة ضمن هذه الدائرة كما انه يحول صورة البيت لدى الزوج الى مجرد مقهى أو فندق للمبيت وتناول الطعام ليس اكثر!!، وهذا لا يترک اثره على الطرف الآخر فحسب بل على الاسرة كلها، وأحيانا توكل الامور كلها الى

1- (1) (تفسير العياشى ج 1 ص 303 ح 42/680).

وسطائهم وهم الخدم فهم يقومون بتربية الأطفال والتسوق وإعداد الطعام الى غير ذلك!! ولا ادرى هنا ماهو دور المرأة واى اعتزاز لها ببيتها وماهو دور الزوج والاب فى المكان الذى يبيت فيه واسمه بيته!! مع هذه المجموعة التى تشكل اسرته؟!!..

رؤية فى العمل المنزلى

يشكل العمل المنزلى ثلث الدخل القومى فى بلدان كبيرة مثل امريكا وربما تقترب النسبة من هذا الرقم فى بلدان الشرق الاوسط، وفى دراسة ان الخسارة الناتجة من خروج المرأة للعمل واستئجار الخادمات يساوى الزيادة النقدية التى تحققها المرأة نتيجة التحاقها بقطاع العمل المنظم!. وهناك جدل معاصر حول العمل المنزلى مع تعدد الاتجاهات:

1 – فالاتجاه التقليدى يرى ان عمل المرأة هو امر متعارف عليه فى عموم المجتمعات ولا يوجد من هو افضل من المرأة فى القيام بهذا العمل.

2 – اتجاه الحركات النسائية الذى يرى فى هذا العمل ظلما وانتقاصا للمرأة لأنه عمل بلا اجر.

3 – الاتجاه الوسط يرى ان العمل المنزلى وان كان عُرفا تقوم به المرأة ولكن لا بأس بمساعدة الرجل زوجته وتقسيم بالعمل بينهما.

وحتى فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان العمل المنزلى يُنظر اليه على أنّه محطة تصغير لا حسبان له!! ويتضح ذلك من قول اسماء بنت

ص:308

يزيـد الانصاريـة (إنـا معشـر النسـاء محصورات مقصورات، قواعـد بيوتكم وحاملاـت أولاـدكم وأنكم معاشـر الرجـال فضـلتم بـالجُمع والجماعات وعيادة المرضـى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلک الجهاد فى سبيل الله، وإن أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهـداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم فى هـذا الأجر والخير؟ فالتفت النبى (صـلى الله عليه وآله وسلم) إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟ قالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا، فالتفت النبى (صلى الله عليه – وآله – وسلم) إليها وقال: افهمى أيتها المرأة وأعلمى من خلفک من النساء أن حُسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلک كله).

.. اذ انها كباقى النساء كن يرين الكرامة والفضل فقط فى حمل السيوف والقتال ولا يرين لأنفسهن قدراً! فجاء رد الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم شافياً فهو من باب اشاد بحرصـها على تحصـيل المقامات العليا وعلى التنافس مع الرجل فى بناء الآخرة ومن ثم عرفها بأن الاسلام يولى عنايته للاسـرة التى هى مصنع الاجيال ولهذا فعمل المرأة داخل البيت له من الاجر ماقد يساوى ماتقوم به الرجال وانها لكرامة لو كان هناک من يعقل!.

وقـد أشـارت سـارا ديلامونت فى كتابها (علم اجتماع المرأة) الى أن عمل المرأة ينقسم الى ثلاثـة انواع: العمل المنزلى وهـذا العمل ينجز بدون أجر والعمل التطوعى وهو ينجز بدون أجر أو بأجر بسيط ثم العمل المأجور

والذى يهمنا فى هذا المجال هو العمل المنزلى.

فالعمل المنزلى هو شىء لصيق بكل النساء سواء كن كباراً أو صغاراً، متزوجات أو غير متزوجات فقراء أو أغنياء منجبات أو غير منجبات عاملات أو غير عاملات حتى بين الزوجين اللذين يريدا أن يكسرا التقسيم القليدى للعمل فان مسؤولية العمل المنزلى تكون فى جانب المرأة اكثر من الرجل وأيضاً داخل جماعات الكوميون (تلك الجماعات الراديكالية الرافضة لحياة الاسرة التقليدية) فإن المرأة تتحمل عبء استمرار المنزل..

رأى علماء النفس والاجتماع

يتفق كثير من علماء النفس والاجتماع مع فقهاء المسلمين على ان الاعمال المنزلية فى مقدمة اهتمامات الزوجة والعمل خارج البيت فى مقدمة اهتمامات الرجل. ويذهب بارسونز وهو من اشهر العلماء فى علم الاجتماع الوظيفى فى امريكا إلى أن لكل من الرجل والمرأة مهامه فى الاسرة تناسب طبيعته البيولوجية والنفسية والاجتماعية فالزوج يقوم بالاعمال التى تمثل الاسرة خارج البيت وفى كسب الرزق والانفاق وهى اعمال ترتبط بالأدوار الوسيلية فى الاسرة اما الزوجة فتقوم بالاعمال المنزلية وتربية الاطفال وتوفير الراحة والأمن لزوجها واولادها وهى اعمال ترتبط بالأدوار التعبيرية فى الاسرة.

يرى بارسونز ان العائلات المستقرة التى تدعم اطفالها هى المفتاح للتنشئة

ص:310

الاجتماعية الناجحة وهى العائلات التى يقسم فيها العمل بين الجنسين بطريقة واضحة بحيث تؤدى الاناث ادواراً تعبيرية يوفرن فيها العناية والامن للاطفال ويقـدمن لهم الـدعم العاطفى. اما الرجال من ناحيـة اخرى فإن عليهم ان يؤدّوا ادوارا مساعـدة، اى يزودوا العائلـة بمصدر الرزق والمعيشة. ونظرا للضغوط المفروضة على دور الرجل العامل، فإن النزعة التعبيرية والعاطفية لدى المرأة ستكون بمثابة عنصر استقرار وراحـة واطمئنـان للرجـل، وسـيكون من شـأن هـذا التقسـيم التكاملى للعمل القائم على اساس التمايز البيولوجى بين الجنسـين ان يؤمن التضامن للعائلة(1).

ويقول د. كمال مرسى فى كتابه العلاقة الزوجية والصحة النفسية فى الاسلام ص 166:

ولاـ يعنى تقسـيم العمل عـدم المساواة بين الرجل والمرأة قـدر ما يعنى التكامل بين أدوارهما ومساواتهما فى الحقوق والواجبات والمكانة الاجتماعيـة. فالزوجان يعاملان على قـدم المساواة فى المجتمع وتحصل الزوجـة على المكانة الاجتماعية لزوجها ومن ثم فإن عملها فى المنزل لا ينقص من قدرها ولكن يجعلها زوجة صالحة فى رعاية اطفالها وزوجها. (يرى اصحاب النظرية الفوارق الطبيعية ان تقسيم العمل بين الزوجين يقوم على اساس بيولوجى، فالنساء والرجال يقومون بالمهمات التى يصلحون لها بيولوجيا. ومن هنا فإن

1- (1) (انتونى غدنزعلم الاجتماع ترجمة د. فايز الصياغ مؤسسة ترجمان عمان الاردن ط 1 عام 2005 ص 192).

العـالِم الاـنثرولوجى جورج ميردوک يعتقـد ان من الافضـل والاـكثر نفعـا من الناحيـة العمليـة ان تركز النسـاء على العمـل البيـتى وعلى المسؤوليات العائلية، بينما يتولى الرجال العمل خارج المنزل، وخَلَصَ ميردوک بعد دراسة مقارنة لنحو مئتى مجتمع الى ان تقسـيم العمل بين الجنسين موجود فى جميع الثقافات وهو لا يعد ذلک نتيجة للبرمجة البيولوجية بقدر مايراه نتيجة منطقية لتنظيم المجتمع(1).

رأى دعاة تحرير المرأة

افترض دعاة تحرير المرأة فى العصر الحديث وجود صراع مستمر بين الجنسين يأخذ شكل استغلال جنس للجنس الآخر بحيث يكون احد الجنسـين مستفيداً والثانى ضحية مما يدفع الاخير الى مقاومة الاول ومصارعته (يقوم هذا الفرض على أساس التعارض بين مصالح الرجال والنساء والعداوة والصـراع بين الجنسـين ولا يوجد فى الواقع ما يؤيد هذا الفرض؛ لأن الله خلق الذكر والأنثى وجعل النساء شـقائق الرجال فالمرأة ابنة واخت وأم وزوجة الرجل والرجل ابن واخ وزوج المرأة.

وذهبوا إلى ان الرجـال يسـتغلون النسـاء ويسـتعبدونهن فى أعمـال المنزل وتربيـة الاطفـال ودعوا إلى تحريرهن من هـذه العبوديـة وعـدّوا مسؤوليـات ربـة البيت وتربيـة الاطفال من الاعمال الزائفـة التى تقوم بها المرأة بـدون أجر وهى اعمال لا تناسب طبيعـة المرأة وتنقص من مكانتها الاجتماعية مقارنة بالرجل،

1- (1) (انتونى غدنزعلم الاجتماع ترجمة د. فايز الصياغ ص 191)

فالمرأة من وجهة نظر هذا الفريق ند للرجل ومنافسة له فى جميع الاعمال بعد ان اختفى التقسيم التقليدى للعمل بين الرجال والنساء ودخل الرجل مهناً كانت حكرا على النساء ودخلت النساء مهناً كانت حكراً على الرجال وظهر الصراع والتنافس بين الجنسين فى جميع الميادين.

وتقوم نظرة "دعاة تحرير المرأة" إلى الأعمال المنزلية وتربية الاطفال على أساس النظرية الماركسية فى الأسرة والتى شرحها فردريک انجلز ودعا الى هدم نظام الزواج والأسرة بوصفهما أنظمة رأسمالية تدعم سيطرة الرجل على المرأة وتجعل الزوج سيدا والزوجة خادمة له بدون أجر ولن تتحقق المساواة بين الجنسين إلا بتخلص المرأة من دورها التقليدى كربة بيت ومربّية للأطفال وتابعة للرجل فهى لم تخلق لهذه الأدوار(1).

أما المرأة المعاصرة نفسها فهى أمام مفترق طرق اهمها:

1 – صنف يشعر بالحقارة لانها (مجرد ربة بيت) وتستحى من التعريف بمهنتها.

2 – صنف يرى ان هذا امر طبيعى وهى مهمة المرأة فى كل عصر وزمان وهى مهمة لا تزول عن عاتق المرأة لكنها قد تخفف أو قد تكون على العكس.

3 – صنف يشعر بالغبن لعدم مشاركة الزوج لزوجته ومساعدتها.

4 – صنف يرى ان العمل المنزلى غبن للمرأة من حيث انها مسؤولة عنه

1– (1) (د. كمال مرسى العلاقة الزوجية والصحة النفسية فى الاسلام – ص 167).

والرجل محرر منه.

على هذا فالنساء ايضا منقسمات امام العمل فهناک:

1 – صنف يستعين بالخدم ليس فقط لادارة شؤون المنزل بل حتى لتربية الاطفال! الامر الذى افرز مشكلات جديدة اهمها ضعف شعور الاطفال بالانتماء للدين والوطن والاسرة مع ضعف اللغة وتبنى ثقافة الخدم مما اولد جيلا لا يملک هوية واضحة.

2 – صنف يرى ان البيت مملكة المرأة المقدسة فلا يجوز حتى للخدم عبور بوابته.

3 – صنف يرى ان المرأة حقا مسؤولة عن امور المنزل ولكن لا بأس من الاستعانة بخادم على الاقل للتنظيف فهؤلاء يقرّون ان تربية الاولاد مهمة المرأة الاولى.

أما المرأة العاملة فهى اذا كانت لا تستطيع ترک العمل لحاجتها اليه بسبب الوضع الاقتصادى – وهذه نسبة محدودة – للاسرة فهى تحتاج الى دعم من الزوج أو امها أو شقيقتها أو اى شخص آخر، اما باقى النساء فهى انما تطالب بالعمل خارج البيت لتعلن مساواتها مع الرجل ولتعزيز الشعور عندها بتحقيق الذات ولتحقيق الاستقلال الاقتصادى الذى يحررها من اعباء كثيرة!!.. لكنها لا تستطيع التخلص من اعباء المنزل ابداً فالمرأة – شاءت ام أبت – هى المسؤول الاول عما فى داخل البيت، ولهذا تبدو المرأة العاملة تحت طائلة ضغوط كثيرة.

تقول الشهيدة بنت الهدى رحمها الله:

وتقسيم العمل نظرية أثبتت جدارتها فى جميع البلدان فى كل المجالات الاقتصادية، والتنموية، وكل شؤون الحياة الاخرى... فنحن إذا أجبرنا العامل الميكانيكى مثلاً على أن يكون فناناً وإذا أجبرنا الفنان على أن يكون ميكانيكياً نحكم على مواهب كل من الطرفين بالعدم فى الوقت الذى نحصل فيه على أبرع عامل ميكانيكى أو على أروع فنان لو تركنا كلاً منهما يسير وراء هوايته وطبيعته الفكرية(1).

وهناک الكثير من الدراسات التى توعز أسباب ذلک الى ماتتمتع به المرأة من ميزات منها نمط الذكاء الافقى الذى يساعدها على اداء عدة اعمال فى وقت واحد فى حين ان نمط الذكاء عند الرجل هوعمودى يستوجب اداء عمل بعد آخر، ثم ان المرأة تتمتع بقدرة على التحمل والتصبر اكثر من الرجال وتحمل الم الولادة يكسبها قدرة اكثر، ورغم انه موجع الا انها تُعيد الكرة فى ولادة اخرى!!، ثم ان المرأة تتمتع بميزات عاطفية كالذكاء العاطفى والقدرة على فهم المشاعر وتوجيه العواطف واشباع الحاجات النفسية للاطفال بشكل لا يمكن ان يعوضه اى رجل آخر!! وهناک امور اخرى لا مجال لذكرها.

وقد اظهرت دراسة جديدة نشرتها صحيفة ديلى اكسبرس ان الام البريطانية تستحق راتبا سنويا مقداره 37 الف جنيه استرلينى اى ما يعادل نحو

1- (1) (المرأة مع النبى فى حياته وشريعته/الشهيدة بنت الهدى ص 82).

60 الف دولار امريكى مقابل 71 ساعة فى الاسبوع من العمل المنزلى.

وقالت الدراسة ان الام النموذجية تقضى 10 ساعات باليوم على الواجبات المنزلية مثل التنظيف بعد الاطفال ووضعهم بالسرير والمساعدة بالواجبات المنزلية، واضافت ان هذه الساعات تجعل العمل الاسبوعى للام اطول من عمل الطبيب المبتدئ.

وفى اسرائيل كانت هناك موجة حادة من نقاشات حول اعطاء المرأة مرتبا شهرياً لما تقوم به من دور عظيم فى تربية (ابناء شعب الله المختار).. و فى ايران يُقدم للمرأة (اجرة المثل) عند الطلاق والموت حيث يحسب ما قامت به من خدمة فى بيت زوجها فيما لو كان هناك شخص آخر يقوم بهذا العمل ويحسب مع المدة الزمنية التى قضتها مع زوجها.

وحينما نأتى الى كل هذه الصور نجد انها لا تخلو من اكثر من مفارقة فمن جهة نجد ان المرأة تشعر بالحقارة اذا بقيت فى البيت وبخاصة اذا سألتها النساء ما هى وظيفتك؟ واين مكان عملك؟ وهى تبحث عن العمل ذى الاجر – وان كان اقل من الاستحقاق – خارج المنزل ولو على حساب بيتها، وهذا ليس كل المشكلة بل هى تكمن فى ان المرأة المعاصرة باتت تكره الادوار الانثوية كادوار الامومة ورعاية الاولاد والزوج الى غير ذلك وتعدّ هذه الادوار والمهام انتقاصات لها!! فى حين صارت تتقبل وظائف خارج البيت مهما كانت وضيعة وتافهة!! والضحية الاولى هنا هى المرأة نفسها!! إذ إنها تتمرد على ذاتها الانثوية نتيجة الصراع الذى تعيشه داخليا، الامر الذى أدى

الى زيـادة الازمـات والامراض النفسـية وارتفاع نسـبة الطلاق وأخطرها الطلاق العاطفى حيث تعود الزوجـة المرهقـة من عملها الى البيت باحثة عن قسط من الراحة فلا تجد لزوجها متسـعا من الوقت والتفرغ النفسـى فضلاً عن الاولاد، ونفس الشىء يقال عن الزوج الذى يبحث عن حريته ازاء انشغال الزوجة مما أضعف العلاقات داخل الاسرة.

يقول د. الكندرى:

إن المرأة... اليوم تظهر، وهى حائرة وسط تناقضات من القيم والمعتقـدات. فإذا كرست المرأة المتزوجة حياتها لزوجها ولحياتهما العائلية، فإنها تدعى بأنها مجرد ربة بيت، وحتى اذا كانت راضـية عن هذا الدور الذى تقوم به فإنها ربما ستشـعر بالذنب، لأنها لا تسـتطيع عمل اكثر من ذلک فى حياتها وروتين العمل المنزلى يجعلان ربة البيت غير راضية عن عملها.

ان المرأة العاملة، ربما تصـبح محبطة من جراء الضـغط الناتج من كونها مسؤولة عن الاعمال المادية وكذلک مسؤولة عن كل شؤون البيت فى بعض الاحيان.

وربما وجب على الزوجـة العاملة ان تكون امرأة (خارقة) يطلب منها القيام بالمهام كافة مثل عمل الامومة والزوجية فى الوقت نفسه، وغالبا ما يبقى لديها من الوقت والطاقة القليل لتلبى حاجاتها الخاصة(1).

وفى الدراسات الحديثة وجد ان انتاج المرأة ونشاطها اقل من الرجل!!

1- (1) (د. الكندرى، احمد محمد مبارک، علم النفس الاسرى ص 92).

رغم ان لهما نفس ساعات العمل وفى نفس المكان حيث ان المرأة تبقى متعلقـة قلبيا بالبيت بعـد ان غاب الجسد فى العمل عكس الرجل الذى يغيب عقلا وجسدا بل وحتى عاطفة فى عمله!!.

وحينما نعود الى الزهراء عليها السـلام نجد انها رضـيت بتقسيم العمل بينها وبين زوجها بل انها فرحت بذلك التقسيم – كما رأينا ذلك فى الحـديث الذى ذكرناه سابقا – إذ ان تقسـيم العمل بين الاثنين كان قد خفف عنها مهام خارج المنزل، وهى مهام اوكلت الى امير المؤمنين عليه السـلام ولم تكن الزهراء عليها السـلام وهى ابنـة القائـد والحاكم وهى زوجة الوصـى ترى اى غضاضة فى ان تقوم بمهامها فى المنزل ورعايـة شؤون زوجها واولادها ولم نجـد موردا واحـدا يشـير الى تـذمرها من هـذه المهام رغم ان ظروف الحياة انذاك كانت ظروفا صـعبة وعسيرة ولم تكن وسائل الحياة مكيفة اما الان فبالضغط على الزر تغسل الملابس وتجفف ويُعد الطعام ويأتى الماء الى البيوت.

وكان علياً عليه السلام يساعد زوجته ولا يتكبر عن ذلك ويقوم بأداء بعض المهام المنزلية وهو سيد الاوصياء.

(إن مسألـة الخدمـة – أن يخـدم احـدنا الآـخر فى دائرة مسؤوليته ليست مسألـة تتصـل بالكرامـة لتعـد المرأة ان العمـل فى البيت احتقـار لشخصـيتها أو يعتبر الرجل من مشاركتها فى العمل احتقاراً له ايضاً وانما هى مسألة تتصل بالانسانية وقيمة الانسان فى هذه الدنيا ان يخدم الانسان ويخدمه الإنسان الآخر وليس هناك إنسان خادم بالمطلق وليس هناك انسان سيد بالمطلق كل

إنسان منا سيد فى دائرة وخادم فى دائرة أخرى).

قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: "جهاد المرأة حسن التبعل"(1).

ودخل النبى صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام وهى تطحن مع على عليه السلام، فقال النبى صلى الله عليه وآله لأيكما اعقب، فقال على عليه السلام لفاطمة فإنها قد أعيت، فقامت فاطمة عليها السلام، فطحن النبى صلى الله عليه وآله مع على لفاطمة(2).

لم يتأفف بطل الحروب من تقديم العون لزوجه كما لم يتأفف القائد والحاكم والنبى من ذلك، ولم تشعر الزهراء عليها السلام بأن البيت كان سجنا أو ان اشتراك على فى حروبه كان ثقلا ومنقصة لها وهى سيدة نساء العالمين بل كانت ترى البيت محطة للتكامل ولصناعة الانسان وهى افضل الصناعات، ورغم انها كانت كفؤ على عليه السلام لكنها كانت ترى ان مكانها بيتها وهو محطة خدمة الدين والعطاء، ولكنها لم تهمل مشاركتها فى الحياة الاجتماعية والسياسية كما سيمر بنا لاحقا بل كانت حاضرة فى كل مكان يحتاج الى تواجدها وحضورها المقدس.

الى هذا يشير آية الله مظاهرى بالقول:

ان افضل العبادات فى الإسلام هى الخدمة المتقابلة بين الرجل وامرأته وكلكم تعلمون أن الشهادة فى سبيل الله هى اعظم الفضائل لكن الروايات

1- (1) [وسائل الشيعة، ج: 15، باب: 4، ص: 23، ح: 2، من أبواب جهاد العدو].
2- (2) (البحار ج 43 ص 50 ح 47).

المتواترة تؤكـد على أن خدمـة المرأة لزوجها فى البيت تعد بمصاف شـهادة الشـهيد، وكذا الأمر بالنسـبة للرجل الذى يكد خارج الدار من أجل توفير العيش الشريف لعياله:

" الكاد على عياله كالمجاهد فى سبيل الله"(1).

إن أسـمى الخـدمات وارقاهـا هى تلك التى يمكن أن يقـدمها المرء لعياله فى بيته، وتلك التى يمكن أن تقـدمها المرأة لزوجها وأبنائها فى ذلك البيت المبارك(2).

وفى الـدراسات المعاصـرة وجد ان من عوامل اسـتمرار الحياة الزوجية هو اعانة الزوجين بعضـهما لبعض، إذ إن اعانة الزوج لزوجته يمثل رسالـة مفتوحـة الى الزوجـة تعبر عن الحب وعن الاحترام والرعاية اضافة الى تقدير المسؤولية، وهذه الحالة لها ردود فعل كبرى فى صـيانة البيت الاسرى وعدم تهدمه بالطلاق.

وفى الحديث: ان الرجل اذا سقى امرأته من الماء أُجر(3).

ولو قلنا جـدلا ان الزهراء عليها السـلام عاشت حياة الملوك والاباطرة فلم تتخشن يدها من عمل البيت ولم يسـتولِ عليها التعب فتنام على الرحى افتُرى سـنأخذ منهـا صورة الكمال الانسانى الـذى تجلى فى صورة امرأة؟ ام سـنقول ان حياتها حياة الملوك هى لها فحسب والامر بعيد عنا فكرا وتطبيقا واقتداءً؟..

1- (1) (بحار الانوار / ج 103، ص 13).
2- (2) (مظاهرى. الاخلاق البيتية ص 92).
3- (3) (المعجم الكبير ج 18 ص 259).

ان تقسيم الادوار بين الزوجين يُسهم فى تكامل كلا الزوجين واذا كانت ثقافات الشعوب تجعل الادوار المنزلية من مهام النساء فهذا يعنى ان اهمال هذه الادوار أو تضييعها سيلحق ضررا بالمرأة والاسرة والمجتمع.

يقول الشيخ الشعراوى:

((إن دور المرأة فى البيت أشرف من دور الرجل خارجه؛ لأنه يتعامل مع الأجناس الدنيا فى الوجود، فإنه إما مزارع يتعامل مع تربية المواشى والحيوانات وإما صانع يتعامل مع المادة الصماء، ولكن المرأة تتعامل مع أشرف شىء فى الوجود وهو الانسان، والمرأة التى لا تريد أن تقتنع بهذه المهمة امرأة فاشلة)). وبما أن خطابه يتوجه به إلى المرأة المتعلمة والعاملة فهو يرى ((أن المنزل وتدبيره يحتاج منها أن تكون مثقفة ثقافة الطبيب وثقافة الاقتصادى وثقافة المعلم)).

3 - اخلاق المودة والرحمة

اشارة

وهى العمود الفقرى لكل علاقة وليس فقط للعلاقة الزوجية وان كانت هى اهم العلائق، ولكى نستقرئ وجود المودة والرحمة فلابد ان تكون هناك سلوكيات تُعرف بها والتى تشمل كل الاخلاق الفاضلة والابتعاد عن الرذائل وعن الخلق السىء، فاذا كان الحديث عن زوجين معصومين فإننا نعنى كل الاخلاق والملكات الفاضلة بما لاتسعه هذه الصفحات القلائل ولكن لا بأس من استعراض اهمها:

ص:321

أ - الخلق الحسن لكليهما

وهما عليهما السلام قدوة للكل فى حسن الخلق بل انهما الاخلاق الكاملة صُبّت فى شكل بشرى، وقد فاضت الاحاديث والروايات الواصفة لهما، وفى وصيتها عليها السلام اشارة الى مجمل الاخلاق الحسنة التى كانت عندها عليها السلام وكان من ادبها العالى واخلاقها النبيلة ان قالت ام سلمة رضى الله عنها: تزوجنى رسول الله وفوض امر ابنته الىّ وكانت والله آدب منى واعرف بالاشياء وكيف لا تكون كذلک وهى سلالة الانبياء(1).

وعن عائشة بنت طلحة، عن عائشة قالت: ما رأيتُ أحداً كان أشبَهَ كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله، وكانت إذا دخَلَت عليه رحّب بها وقام إليها فأخذ بيدها فقبّلها، وأجلَسَها فى مجلسه»(2).

قال الإمام على عليه السلام عن فاطمة عليها السلام: "فو الله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتنى ولا عَصَت لى أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنى الهموم والأحزان(3).

وفى الحديث: أن حدّ حسن الخلق أن تلين جانبک وتطيب كلامک وتلقى أخاک ببشر حسن(4).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:" ان أحبكم إلى واقربكم منى مجلساً

1- (1) (دلائل الامامة: 21/81).

2- (2) (المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابورىّ الشافعى 3:154).

3- (3) (المجلسى، بحار الأنوار ج 43، ص 134).

4- (4) (بحار الأنوار: ج 71، ص 389).

يوم القيامة أحسنكم خلقاً".

وقيل له صلى الله عليه وآله وسلم: أى المؤمنين أفضلهم ايماناً؟ قال:" أحسنهم خلقاً"..

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:" ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن محارم الله وحلم يكف به السيئة، وخلق يعيش به فى الناس".

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:" ما يوضع فى ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق"(1).

وعن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان فى الأعمار(2).

وعن عنبسة العابد قال: قال لى أبو عبد الله (عليه السلام): «ما يقدم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه»(3).

وعن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر (عليه السلام): أن اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً(4).

وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْداً أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ

1- (1) (الكافى: ج 2، ص 99 - وسائل الشيعة: ج 8، ص 505).
2- (2) (الكافى: ج 12 ص 100 باب حسن الخلق ح 8).
3- (3) (بحار الأنوار: ج 68 ص 375 ب 12 ح 4).
4- (4) (الكافى: ج 2، ص 99 - الأمالى: ج 1، ص 139 - وسائل الشيعة: ج 8، ص 503).

زَوْجَتِهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ مَلّكَهُ نَاصِيتَهَا وجَعَلَهُ الْقَيمَ عَلَيهَا(1).

كان الزوجان قمة عليا فی الاخلاق الحسنة والفضائل ولعل هذا يفسر لنا كيف استمرت حياتهما الزوجية الی عشر سنوات لكن لم تحصل فيها ای مشاجرة أو خصومة.

ب - ادب السلام والتحية

وفی حديث الكساء:

فاقبل عند ذلک ابوالحسن علی بن ابی طالب وقال السلام عليک يا بنت رسول الله، فقالت وعليک السلام يا اباالحسن ويا اميرالمؤمنين.

وهی عليها السلام تنادی زوجها بأمير المؤمنين، يابن العم، وفی الرواية «روحی لروحک الفداء ونفسی لنفسک الوقاء»(2).

وفی الحديث عن رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم ياأنس... اذا دخلت بيتک فسلم علی اهل بيتک يكثر خير بيتک(3).

قال النبی صلی الله عليه وآله وسلم ان خياركم اولو النهی، قيل: يا رسول الله من اولو النهی؟ قال: هم اولو الاخلاق الحسنة، والاحلام الرزينة، وصلة الارحام، والبررة بالامهات والآباء، والمتعاهدون للجيران واليتامی ويطعمون الطعام، ويفشون السلام فی العالم، ويصلون والناس نيام

1- (1) (وسائل الشيعة ج 20 ص 170).
2- (2) (الحائری المازندرانی، شجرة طوبی 1374: ج 1، ص 196).
3- (3) (المعجم الاوسط: ج 5 ص 328 ح 545).

غافلون(1).

عن ابن محبوب، عن مالک بن عطیة، عن أبی حمزة الثمالی، عن علی ابن الحسین (علیهما السلام) قال: من أخلاق المؤمن الانفاق علی قدر الاقتار، والتوسع علی قدر التوسع، وإنصاف الناس، وابتداؤه ایاهم بالسلام علیهم(2).

ج - ادب الحوار

وقد أشرنا الیه آنفا ولکنه رکن مهم فلا بأس من التذکیر ففی الحدیث عن الامام السجاد علیه السلام: القول الحسن یثری المال وینمی الرزق وینسیء فی الاجل، ویحبب الی الاهل ویدخل الجنة(3).

وماذا کان کلام هذین المعصومین علیهما السلام؟ وعن ای شیء یدور؟ أو لیس هو حدیث القرآن وما نزل من آیات وکیف استقبلها المسلمون وما یفکر به الرسول صلی الله علیه وآله وسلم من شؤون الدولة ونشر الدین.. حدیث یفیض نورا وطهارة ویترفع عن احادیث الناس فی امور الدنیا والتی تکون فی غالب الاحیان مثقلة بالسیئات.. نعم هذا هو حدیث الزهراء علیها السلام مع زوجها علیه السلام وهی القائلة: (ما عهدتنی کاذبة ولا خائنة ولا خالفتک منذ عرفتک "فقال لها:" أنت أبر وأتقی وأعرف بالله من

1- (1) (الوسائل ج 15 ص 192).

2- (2) المصدر نفسه.

3- (3) (امالی الصدوق ص 12 الخصال ج 1 ص 317).

أن أوبّخک فی شیء من ذلک).

وجاء عن الإمام علی علیه السلام: وأحسنوا لهن المقال لعلهن یحسن الفعال(1).

الحدیث الطیب مفتاح العلاقة الطیبة وله اثره الکبیر فی التقریب بین الافراد واهم مشکلة معاصرة بین الازواج الآن هو صمت الازواج ففی دراسة عربیة نشرت فی صحیفة الوطن أن سبعاً من کل عشر أسر من عینة الدراسة تعانی من صمت الأزواج.

کما ان 79% من حالات الانفصال تکون بسبب معاناة المرأة من انعدام المشاعر، وعدم تعبیر الزوج عن عواطفه لها، وعدم وجود حوار یربط بینهما.

ویعلل الکثیرون الظاهرة بأنها بسبب الانشغال بالتقنیات الحدیثة کالانترنت والهاتف النقال والتی الغت - الی حد ما - الحوار الاسری مضافاً الی عوامل کثیرة.

ومع الکلام الطیب والحوار الجمیل تأتی عوامل البشاشة والابتسامة والانصات الحسن للطرف الآخر واظهار الاهتمام بالکلام لتکون مکملات الحدیث.

ففی الحدیث عن أمیر المؤمنین: وتعلم حسن الاستماع کما تعلم حسن

1- (1) (آمالی الصدوق ص 172).

القول، ولا تقطع عن احد حديثاً(1).

وأيضاً قال عليه السلام: من أحسن الاستماع تعجل الانتفاع(2).

وفى الحديث عن الإمام الصادق: خير نسائكم.. الطفهن بأزواجهن وأرحمهن بأولادهن(3).

واذا كان للصمت مساوئه فإن من مساوئ الكلام هى اللجاجة والعتاب المستمر والانتقاد الدائم والاستخفاف بالآخر لذا فالأفضل تجنبها.

فعلى عليه السلام يقول: اللجاج مثار الحروب(4).

وايضاً يقول عليه السلام: اللجاج ينتج الحروب ويوغر القلوب(5).

د - التواضع

وهو: احترام الناس حسب أقدارهم، وعدم الترفع عليهم.

قال تعالى:«وَ اخْفِضْ جَناحَکَ لِمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»6 .

وقال النبى صلى الله عليه وآله: «إن أحبكم إلىّ، وأقربكم منى يومَ القيامة مجلساً، أحسنكم خُلُقاً، وأشدكم تواضعاً، وإن أبعدكم منى يوم القيامة، الثرثارون وهم المستكبرون».

1- (1) (الاختصاص ج 1 ص 233 البحار ج 1 ص 222).
2- (2) (شرح غرر الحكم ج 5 ص 475).
3- (3) (الكافى ج 5 ص 326).
4- (4) (شرح غرر الحكم ج 1 ص 110).
5- (5) (شرح غرر الحكم ج 2 ص 33).

وقال النبی صـلی الله علیه وآله: «إن أحبّکم إلیّ، وأقربکم منی یوم القیامـة مجلساً، أحسـنکم خلقاً، وأشدکم تواضـعاً، وإن أبعدکم منی یوم القیامة، الثرثارون، وهم المستکبرون»(1).

وقد نقلنا مرارا طاعتها لزوجها وإقرارها بإمامته وهی لا تقل عنه شرفا وسموا.

حدثتنی أسـماء بنت عمیس، قالت: کنت عند فاطمة جدتک اذ دخل رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وفی عنقها قلادة من ذهب کان علی بن ابی طـالب علیه السـلام اشتراهـا لهـا من فی له؛ فقال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: لا یغرنک الناس ان یقولوا «بنت محمـد» وعلیک لباس الجبابرة! فقطعتهاوباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها فسر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بذلک(2).

إن الضائقـة المادیـة کانت عاصـفة لیس بالبیت النبوی بل بالامـة کلها، وکثیرا ما مرت الایام واهل البیت علیهم السـلام یبیتون علی الطوی والجـوع یکـوی القلوب، ورغم ان علیـاً علیه السـلام کـان الوصـی وکـان امیراً للمؤمنین الاـ انه لم یـک یتورع عن العمـل لـدی یهودی أو الاسـتقراض منه لتـأمین حاجـة الاسـرة وهو دلیل علی التواضع والحب للاسـرة. وکـذلک الزهراء علیها السـلام لم تک تسـتنکف ان تغزل بالمغزل لإعانة أسرتها، والزهراء علیها السلام لیس لها

1- (1) البحار مج 15 ج 2 ص 209.

2- (2) (بحارالانوار، ج 43، ص 26)

كفؤ سوى على عليه السلام ومع ذلک تتقبل قيمومته ورأيه وولايته، وهذه قمة التواضع. ومن علامة تواضع كليهما هو خدمة أحدهما للآخر كما مر بنا.

ان قول النبى عليه وآله الصلاة والسلام، ((لو كنت آمراً بشراً أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، لعظم حقه عليها)) يستند اليه البعض على انه دلالة على فوقية الرجل التى تجعله الآمر الناهى وعلى أحقيته فى استعباد المرأة واذلالها والذى يتعارض مع ما تكلمنا به عن إكرام الزوجة، وبهذا فإن تكبرالزوج له اعتباره الشرعى!!، فى حين ان الحق بعيد عن هذا التصور فإن المسألة هنا تكمن فى الطاعة التى لا تعنى اى استعباد أو الغاء لشخصية المرأة أو استقلاليتها الفكرية والاقتصادية، ونجد ان التوصيات الدينية تحث على العفو واللين والرفق لا على الغلظة والشدة التى هى علامات المتكبر بل تجعل للرجل الأجر العظيم لو عبر عن تواضعه بأن يسقى زوجته شربة ماء!!.

ولا يمكن ان يسود التفاهم اذا كان هناک طرف متكبر على الآخر، مما يؤدى الى ايجاد نوع من الحاكمية والتسلط، ولا ننسى ان التكبر يمنع من الاستماع لرأى الطرف الآخر أو القبول به، بل يمنع من القبول بإنسانية الطرف الآخر فيحمله مالا يطيق، ولا يضعه فى موضعه اللائق به.

وفى الحديث عن على عليه السلام: ثمرة التواضع المحبة، ثمرة الكبر المسبة(1).

1- (1) (غرر الحكم الآمدى ج 1 ص 321).

ه -- الرفق والمداراة

ففی الروایة: دخل النبی صلی الله علیه وآله وسلم علی فاطمة وهی تطحن مع علی علیه السلام فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم لأیکما أعقب؟ فقال علی: لفاطمة فإنها قد أعیت. فقامت فاطمة، فطحن النبی مع علی لفاطمة(1).

قال صلی الله علیه وآله وسلم: إذا أراد الله بأهل بیت خیرا أدخل علیهم الرفق(2).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وآله وسلم:.... فَأَشْفِقُوا عَلَیهِنَّ وطَیبُوا قُلُوبَهُنَّ حَتَّی یقِفْنَ مَعَکُمْ وَلا تکْرَهُوا النِّسَاءَ ولا تَسْخَطُوا بِهِنَّ وَلا تَأْخُذُوا مِمَّا آتَیتُمُوهُنَّ شَیئاً إِلاّ بِرِضَاهُنَّ وإِذْنِهِنَّ الْخَبَرَ(3).

وعَن أَنَسِ بنِ مالِکٍ عَنِ النَّبِی أَنَّهُ کانَ إذا قامَ مِنَ اللَّیلِ یقتَرِئُ، زَمزَمَ قِراءَتَهُ إلاّ أَنَّهُ یُفهِمُنا الآیَةَ بَعدَ الآیَةِ، قُلتُ: یا رَسولَ اللّه، ألا تَرفَعُ صَوتکَ بِالقرآن؟ قالَ: أکرَهُ أن اوذِیَ بِهِ رَفیقی وأهلَ بَیتی(4).

و - الهدیة

عن أسماء بنت عمیس کنت عند فاطمة اذ دخل علیها رسول الله صلی

1- (1) (البحار ج 43 ص 50 ح 47).
2- (2) (مسند احمد بن حنبل ج 6 ص 71).
3- (3) (مستدرک الوسائل ج 14، ص 253).
4- (4) (کنز العمّال: ج 2 ص 319 ح 4123).

الله عليه وآله وسلم وفى عنقها قلادة من ذهب كان اشتراها لها على بن ابى طالب من فىء(1).

ان الهدية من علامات المحبة والمودة فعلى عليه السلام يقدم هدية للزهراء عليها السلام والهدية مهما كانت بسيطة اوصغيرة اوثمينة فهى دليل على تذكر الحبيب لمحبوبه فى وقت غيابه وهى من عوامل ادخال السرور والفرح وهى بيان واظهار للمحبة.

وفى الحديث عن الامام الصادق: اذا سافر احدكم فقدِم من سفره فليأت اهله بما تيسر ولو بحجر(2).

ز - عدم التكليف فوق الوسع

فهى عليها السلام لم تكلف علياً عليه السلام مالا طاقة له به ابدا، وكانت عليها السلام تعرف ما يقدر عليه، والتكليف فوق الوسع أمر خاطئ لكلا الجنسين؛ إذ ليس صحيحا ان يحمّل الزوج زوجته مالا تطيق فيلقى عليها بكل المسؤوليات الصعبة بما فى ذلک المهام الثقيلة فى الاسرة وبذلک يقتل إحساسها بوجوده معها ويضاعف إحساسها بالغربة!!، والعكس ايضاً غير صحيح فما اكثر مطالب النساء التى لم تستطع الرجال تلبيتها فأدت بهم الى الحرام والى الجريمة والسجن!!.

ان التكليف فوق الوسع يؤدى الى زيادة الضغوط التى قد لا يستطيع

1- (1) (عيون اخبار الرضا ج 2 ص 44 ح 161).
2- (2) (وسائل الشيعة ج 8 ص 337 البحار ج 12 ص 11).

الشخص نفسه تحملها والله تعالى يقول:

«لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها»1 .

والوسع هو حالة نفسية وجسدية ومعنوية ومادية والتكليف فوق الوسع يزيد المطالبات والتوقعات والانتظارات وتحول الانسان الى آلة منفذة ليس اكثر، مما يجعل العلاقة بين الاثنين قائمة على مقدار ما يحققه وينفذه الطرف الآخر من متطلبات الشريك!! وهذا اعلان عن فشل الحياة الزوجية حيث تنمو فى القلوب جذوى المنى بالخلاص من هذا الطرف الذى لا يعرف الرحمة ولا يفكر الا بما استحكمت به انانيته المفرطة، وهذه كلها ترسم للاولاد صوراً سيئة عن الحياة الزوجية وعن الزواج نفسه، وتحول الزواج الى شركة وحسابات ومحاسبات ليس اكثر!

فى الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الا ـ وايما امرأة لم ترفق بزوجها وحمّلتْه مالم يقدر عليه ومالا يطيق لم يقبل الله منها حسنة وتلقى الله وهو غضبان(1).

قال الامام على عليه السلام: فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلک حتى قبضها الله إليه، ولا أغضبتنى ولا عصت لى أمراً(2).

وفى الرواية أن الزهراء عليها السلام قالت لعلى: يا أبا الحسن، إنى

1- (2) (امالى الصدوق ص 350، من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 16).
2- (3) (كشف الغمة ا الاربلى 363:1. وبحار الأنوار 134:43).

لأستحى من الهى ان تكلف نفسک (اکلفک) مالا تقدر علیه(1).

وفی وصیة فاطمة: ما عهدتنی کاذبة ولا خائنة ولا خالفتک منذ عرفتک "فقال لها:" أنت أبر وأتقی وأعرف بالله من أن أوبّخک فی شیء من ذلک".

وعاشت الزهراء مع علی (علیه السلام) سنوات عدیدة لم تطلب منه خلال هذه المدّة الطویلة شیئاً وذلک بتأدیب من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ومع ذلک فإنها کانت تعین علی النفقة بغزل الصوف(2).

علی اننا یجب ان لا یغیب عن بالنا أن الامام علیه السلام کان یهم بتحسین الحال وبأن یخفف عن حال زوجته ولکن الظروف لم تسعفه وهو الذی أشار إلیها بطلب الخادم وهو الذی کان یتقدم لإعانتها حینما یستطیع ذلک.

4 - الصبر والتحمل

اشارة

الصبر لغة: حبس النفس عن الجزع وحبس النفس عن شیء یریده المرء، وقیل الصبرعلی طاعة الله، والصبر علی الدخول فی معاصیه وقیل الثبات(3).

وفی الاصطلاح: (حبس النفس علی ما یقتضیه العقل والشرع أو عما

1- (1) (البحار ج 37 ص 103 ح 41 ومناقب ابن شهراشوب ج 2 ص 76-77).

2- (2) (تفسیر البرهان 412:4).

3- (3) (ابن منظور لسان العرب، ج 5، ص 267).

يقتضيان حبسه(1).

قال تعالى:«وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»2 .

وقال ايضا:«إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِکَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ کَبِيرٌ»3 .

والصبر يقوى الارادة الانسانية التى تساعد صاحبها على الثبوت والتحمل فى المواقف الحرجة والصعبة. والصبر يعلم الانسان المثابرة على العمل بما يحقق اهدافه، واذا تعلم الانسان الصبر قوى على مواجهة الاحداث الجسام وتخطى الصعوبات وتحمل اذى الناس وكلامهم.

وقد عاشت المدينة المنورة ابان نشوء الدولة الاسلامية حالة من الضغط الاقتصادى الذى جعل الفقر هو الصورة الغالبة للمجتمع والمتسمة به اكثر شرائحه، وكان هناک فقراء الصفة الذين لم يكن لهم مأوى سوى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبيتون فيه ويعيشون على ماتجود به الايدى عليهم. فى هذا الجو الضاغط عاشت الزهراء عليها السلام فى حياة صعبة ظاهرها الفقر وباطنها القناعة ومستقرها الرضا.. وفى هذه الظروف الصعبة انجبت عليها السلام اولادها الاربعة واحدا تلو آخر وهى بهذه البنية الضعيفة كما اشارت الى ذلک بعض الروايات، على انها عليها السلام عُرف عنها الصبر والاهتمام برعاية الاسرة والبيت من کل مايعکر صفوه.

1- (1) (الأصفهانى، ص 273).

وفی مسند فاطمة للتویسرکانی ص 6-7 یقول:

لمّا کان أمیر المؤمنین (علیه السلام) من السبّاقین فی میادین الجهاد وکان الجهاد آنذاک یستغرق أیاماً متطاولة فإنّ مسؤولیة إدارة شؤون العائلة کانت تلقی علی عاتق الزهراء (علیها السلام) تلقائیاً فکانت تستقی بالقربة إلی جانب مهام الدار المتعبة ممّا سبب لها الاعیاء وحمل علیاً (علیه السلام) علی أن یطلب من رسول الله (صلی الله علیه وآله) خادمةً تعین الزهراء فی الحیاة(1).

وینقل لنا المؤرخون کیف انها کانت تطحن الرحی بید وترضع الطفل بید وقلبها مع الله ولسانها لا یفتر عن الذکر ابداً.. ففی الروایة:

جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاری رضی الله عنه أنه قال: (رأی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فاطمة علیها الصلاة والسلام وعلیها کساء من أجلة الإبل وهی تطحن بیدیها وترضع ولدها، فدمعتْ عینا رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فقال: «یا بنتاه، تعجلی مرارة الدنیا بحلاوة الآخرة». فقالت: «یا رسول الله، الحمد لله علی نعمائه والشکر لله علی آلائه». فأنزل الله:«وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی).»

وأنّ علیّاً أمیر المؤمنین (علیه السلام) رقّ لحالها وامتدح صنعها، وقال لرجل من بنی سعد: «ألا احدّثک عنّی وعن فاطمة؟ إنّها کانت عندی وکانت من أحبّ أهله (صلی الله علیه وآله) إلیه، وإنّها استقت بالقربة حتی

1- (1) (بحار الانوار 43:82).

أثّر فی صـدرها، وطحنت بالرحی حتی مجلت یـداها، وکسـحت البیت حتی اغبرّت ثیابها، وأوقـدت النار تحت القـدر حتی دکنت ثیابها، فأصابها من ذلک ضـرر شدید فقلت لها: لو أتیت أباکِ فسألتِهِ خادماً یکفیکِ ضرّ ما أنتِ فیه من هذا العمل، فأتت النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم فوجدت عنده حدّاثاً فاستحت فانصرفت.

وهذا المقطع یبین لنا حالة الفقر التی عاشها المسلمون آنذاک:

عن زرارة، عن أبی جعفر (علیه السـلام) قال: کان رسول الله (صلی الله علیه وآله) إذا أراد السفر سلم علی من أراد التسلیم علیه من أهله ثم یکون آخر من یسلم علیه فاطمة (علیها السلام) فیکون وجهه إلی سفره من بیتها، وإذا رجع بدأ بها.

فسافر مرة وقد أصاب علی (علیه السلام) شیئا من الغنیمة فدفعه إلی فاطمة فخرج فأخذت سوارین من فضة وعلقت علی بابها سترا، فلما قدم رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم دخل المسجد فتوجه نحوبیت فاطمة کما کان یصنع، فقامت فرحة إلی أبیها صبابة وشوقا إلیه فنظر فإذا فی یدها سواران من فضة وإذا علی بابها ستر، فقعد رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم حیث ینظر إلیها، فبکت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بی قبلها.

فـدعت ابنیها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارین من یـدیها، ثم دفعت السوارین إلی أحدهما والستر إلی الآخر ثم قالت لهما: انطلقا إلی أبی فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدک غیرهذا فشأنک به، فجاءاه فأبلغاه

ذلک عن أمهما فقبلهما رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينک السوارين فكسـرا فجعلها قطعا ثم دعا أهل الصـفة [وهم] قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال، فقسـمه بينهم قطعا، ثم جعل يـدعوالرجل منهم العـارى الـذى لايسـتتر بشـىء وكان ذلک الستر طويلا ليس له عرض فجعل يؤزر الرجل فإذا التقيا عليه قطعه حتى قسـمه بينهم ازرا ثم أمر النسـاء لا يرفعن رؤوسـهن من الركوع والسـجود حتى يرفع الرجال رؤوسـهم، وذلک أنهم كانوا من صـغر إزارهم إذا ركعوا وسـجدوا بـدت عورتهم من خلفهم ثم جرت به السنة أن لا يرفع النساء رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال.

ثم قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله فاطمة ليكسونها الله بهذا السترمن كسوة الجنة، وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنة.

وقـد كانت زوجـة الوصـى وابنة القائد فلا يمكن بأى حال ان تكون بعيدة عن هذا الواقع المرير، فالقائد الناجح هو من يشارک الرعية فقرهم وغناهم ويعيش معهم افراحهم واحزانهم وهل يمكن لمثل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وهو الرحيم بالمؤمنين ان يرضى لابنته ان تضع سترا يكفى ليكون ازارا لعـدد من المسـلمين؟!! والملاحظ ان الفقر الـذى عاشـته لم يمنعها من العطاء أو الصدقة بل كانت تجود بما عندها ولو على حساب نفسها وقوتها وقوت صغارها، وهذه صورة عظمى للانسانية التى تعيش وجود الانسان وتدرک احتياجاته.

ص:337

وفی الروایة:

... فقالت علیها السلام: لا والذی أکرم أبی بالنبوة وأکرمک بالوصیة ما أصبح الغداة عندی شیء، وما کان شیء أطعمناه مذ یومین إلا شیء أؤثرک به علی نفسی وعلی ابنی هذین الحسن والحسین(1).

وکانت أحداث فدک ساخنة وقد اشتعلت بعد رحیل الرسول مباشرة ولنا ان نتصور حالها فی هذه المحنة فهی تدافع عن علی وعن الإمامة وتدور علی بیوت الانصار وتذکّرهم بما جری یوم الغدیر، ثم کانت أحداث الدار والهجوم علی بیت فاطمة وإسقاطها جنینها محسناً ثم ندبها لما جری کل یوم فی بیت الاحزان، ایاما صعبات عظیمات الخطب ولهذا أخبرها الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بأنّها أکثر نساء المسلمین معاناة ورزیة حیث روی عن عائشة: أنه قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم لفاطمة علیها السلام: «إنّ جبرئیل أخبرنی أنّه لیس امرأة من نساء المسلمین أعظم رزیة منک، فلا تکونی أدنی امرأة منهن صبراً»(2).

نزول سورة الإنسان

عن ابن عباس:

أن الحسن والحسین: مرضا، فعادهما رسول الله صلی الله علیه وآله

1- (1) [البحار، ج 43، ص 59].

2- (2) (الهیثمی، مجمع الزوائد، ج 9، ص 23، ح 14245، وکذلک اورده العسقلانی فی فتح الباری، 8:111).

وسلم فی ناس معه. فقالوا: یا أبا الحسن لو نذرت علی ولدک. فنذر: علی وفاطمة وفضة جاریة لهما، إن برءا مما بهما أن یصوموا ثلاثة أیام، فشفیا، وما معهم شیء.

فاستقرض علی: من شمعون الخیبری الیهودی، ثلاثة أصوع من شعیر.

فطحنت فاطمة: صاعا، واختبزت خمسة أقراص علی عددهم، فوضعوها بین أیدیهم لیفطروا. فوقف علیهم سائل وقال: السلام علیکم أهل بیت محمد، مسکین من مساکین المسلمین، أطعمونی أطعمکم الله من موائد الجنة. فآثروه: وباتوا لم یذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صیاما. فلما أمسوا: ووضعوا الطعام بین أیدیهم.

وقف علیهم یتیم: فآثروه، ووقف علیهم أسیر فی الثالثة ففعلوا مثل ذلک.

فلما أصبحوا أخذ علی بید الحسن والحسین، وأقبلوا إلی رسول الله.

فلما أبصرهم: وهم یرتعشون کالفراخ من شدة الجوع، قال:

ما أشد ما یسوءنی ما أری بکم، فانطلق معهم فرأی فاطمة فی محرابها، قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عیناها، فساءه ذلک.

فنزل جبریل علیه السلام وقال: خذها یا محمد، هنأک الله فی أهل بیتک، فأقرأه السورة(1).

1- (1) (المیزان فی تفسیر القرآن ج 20 ص 133). (تفسیر فرات الکوفی: ص 519 ح 676).

والذى نشـير اليه هنا أن الكل قد باتوا على الطوى وكان الجوع قد ترك رسـمه عليهم فكانوا متساوين حتى فيما حوت أو خوت بطونهم، وهذا دلالة على انها كانت حياة حقيقية فى السـراء والضراء، وقد رأينا كثيراً من الحالات حيث يشبع فيها الاب – واحيانا الام – ويترك افراد اسرته يتضورون جوعا!.

وقـد نزلت سورة (هل اتى) اكراماً لهـذه الاسـرة الكريمـة التى تصدق أعضاؤها بكل ماعندهم حتى باتوا مخمصـى البطون، فنزلت السورة لتخلـد هذا الايثار وتشـكر هذا العطاء العظيم ولتُظهر مراتب اهل البيت عليهم السـلام العليا وتصور مشاعرهم الانسانية بكل بهاء وجلال لمـا قـاموا به من مـداراة ومراعـاة لمشـاعر أولئـک الـذين طرقوا بابهم وهم يتلوون من الجوع، فجاءت السورة ذاكرة لأنعم الجنـة ومباهجها المتعددة لكنها لا تقدم اشارة واحدة الى الحور العين اكراما للزهراء عليها السلام!!. انها مداراة الهية للمرأة وان كانت سيدة نساء العالمين!!. فياليت الناس يعلمون.

وقد مرت على امتنا ظروف صـعبة فى الحرب والحصار فكان الناس لاينالون طيب المطعم ولا جميل الملبس وحتى العروس كانت تهدى الى بيت زوجها بابسط المتاع بسبب تردى الوضع الاقتصادى، وكثير من النساء جعلن المهور فى اقل صورة لتيسير الزواج وربما وصلن الى فهم وتفهم اكثر لسيرة الزهراء عليها السلام من خلال المعاناة التى مررنَ بها.

ولا بأس من إشارة اخيرة إلى أن التحمل مطلوب فى كل أبعاد الحياة الزوجية وليس فقط على الصـعيد الاقتصادى بل يحتاجه كلا الزوجين فى

الصبر على ماقـد يصـدر من اخطاء أو هفوات من الطرف الآخر وعدم التشـنج ازاء تباين الآراء أو حصول الاختلافات والخلافات وهوبهذا يمثل نوعا من المرونة فى التعامل ازاء الامور التى لا تنسجم مع الرغبات.

5 - الرضا

يُعدُّ الرضا مفتاح السـعادة والديمومة والاسـتقرار النفسـى والاسرى، وهوعامل مهم فى ابعاد اجواء التوتر وتحقيق المودة والسكينة، واذا كان عدم الرضا اى السـخط هو المهيمن على الاجواء الاسرية فإن هذا مؤشر على أفول السكينة وغياب الراحة واشتعال البيت فى اكثر الاحايين - ان لـم يكن دائما - بأجواء التوتر والنقـد مما يفسح المجال لظهور الازمات، فإن السـخط يدفع للتمرد والى بذل المحاولات للتخلص من الشريك بأى وسيلة ولو بتكدير الحياة بالشكوى المستمرة والعتاب الدائم!!. والرضا مدخل نحو مراعاة الشريك وعدم تكليفه مالا طاقة له به، كما انه يشـجع على مراعاة حقوق الشـريك الذى اسـتحكمه الرضا عن كل ماهو موجود فى الحياة المشتركة فقد نجد أحدهم يقضى العمر مع زوجة مريضة تحتاج الى رعاية وعناية مسـتمرة ولكن لا يدفعه ذلك الى السـخط بل هو صابر على مافيه ويجره صبره على الرضا عن كل مايتبع ذلك من متاعب وظروف غير ملائمة واحيانا نجد العكس اذ تتوفر كل متطلبات الحياة ولكن الرضا هجر البيت منذ زمن!!.

وقد عاشت الزهراء عليها السلام حياة صعبة للغاية - على ماقدمته لنا الروايات الحاكية عن الفقر والجوع والجود - لكنها ماكانت شاكية أو

ساخطة!! بل كانت راضية قانعة ومن أسمائها الراضية المرضية، وقد سميت (الراضية) اى الراضية بما قسم الله لها، فكانت الزهراء (عليها السلام) راضية بما قدّر الله لها من امور حياتها بما قرأناه فى تاريخها من قساوة الحياة، وبما أعطاها الله ايضا من المراتب العليا فى الدنيا والآخرة، وفيما أعطاها ايضاً من القرب والمنزلة والطهارة.

وسميت أيضا بالمرضية اى مرضية عند الله بأعمالها وأقوالها فأصبحت النتيجة ان الزهراء عليها السلام عاشت الرضا عن كل ماقدره الله من فقدان الام فى الطفولة وما عاشته مع ابيها من ظروف قاسية وحياة قاسية فكانت النتيجة ان الله يرضى لرضاها!.

ان الرضا تعبير عن عمق ايمان الفرد ومعرفته ووعيه وهو مقام عظيم لا يصل اليه كل فرد، وقد ورد فى دعاء كميل «وتجعلنى بقسمک راضياً قانعاً» أى إن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا فى كل ما يقسمه له سواء من خير أو غير ذلک.

عن على بن الحسين عليهما السلام أنه قال: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا ما هو خير له»(1).

وجاء فى حديث آخر عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إنّ أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل(2).

1- (1) (اصول الكافى: 2|66).

2- (2) (اصول الكافى: 2|66).

يقول الشيخ المسعودى فى كتابه الاسرار الفاطمية:

.. وبمراجعة بعض الروايات فى المقام يظهر ان هناک حالة ترابط بين اسم الصديقة لفاطمة سلام الله عليها وبين اسمها الراضية، فهناک حالة تلازم كما يظهر من الحديث الذى سوف أنقله إليک بين حالة الرضا بقضاء الله تعالى وبين الصدّيق الذى يكون عند الله بهذا المقام، فلقد روى عن أبى عبدالله عليه السلام أنه قال: «قال الله عز وجل: عبدى المؤمن لا أصرفه فى شىء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائى، وليصبر على بلائى، وليشكر نعمائى أكتبه، أكتبه يا محمد من الصدّيقين عندى»(1).

وتمام هذا الحديث منطبق على سيرتها الذاتية عليها السلام فهى كانت راضية بقضاء الله تعالى وصابرة على ما جرى عليها من الظلم والهوان، وكانت شاكرة لله تعالى فالشكر يدل على الرضا، وبملاحظة أسماء الزهراء عليها السلام نجد أن من أسمائها الصديقة وأن من الأسماء الأخرى لها هو الراضية، إذن الرضا يؤدى بالعبد إلى درجة الصديقين، والزهراء من خلال استقراء حياتها وسيرتها الذاتية نجد أنها كانت راضية بكل ما قدر الله لها، فهى إذن صديقة وهذا من أفضل البراهين على أنها كانت صديقة سلام الله عليها.

أما من خلال الأحاديث والأقوال الواردة فى المقام فهى كثيرة والتى من خلالها بينت أن فاطمة سلام الله عليها كانت الراضية، وكما قلنا إن سيرتها الذاتية طافحة بالأحداث الكثيرة التى أثبت أنها كانت راضية بما قدر الله لها.

1- (1) (اصول الكافى: 2|68).

والاحتمال الآخر أنها سلام الله عليها كانت مرضية، من جهة ما أعطاها الله تبارک وتعالى من المقامات النورانية التى بها فضلها على غيرها وكذلک، ومن خلال ما أعطاها تبارک وتعالى من الذرية الكثيرة حيث جعل منها الائمة الهادين، وكذلک هى مرضية سلام الله عليها من جهة أن لها مقام الشفاعة الكبرى وكما ورد فى أحاديث مجيئها يوم القيامة وكيفية شفاعتها لشيعتها ومحبيها، وهذا ما بحثناه فى الفصل الخاص الذى بيناه فيه مقاماتها سلام الله عليها، وأياً كان تفسير معنى المرضية سواء كان الاحتمال الأولى أو الثانى، فغن فاطمة سلام الله عليها قد حازت وفازت بهذه المنزلة الرفيعة والدرجة الراقية فهى راضية مرضية أعمالها عند الله عز وجل «يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) اِرْجِعِى إِلى رَبِّکِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِى فِى عِبادِى (29) وَ ادْخُلِى جَنَّتِى (30)» الفجر.

وعندما يكون الرضا من العبد لا قيود له، يكون فى المقابل الرضا من الله عز وجل لا حدود له، وهذا ما يجده المرء فى الروايات الكثيرة التى تتحدث عن إكرام الله عز وجل للزهراء عليها السلام فى الدنيا والآخرة، فصارت لأجل هذا وبحق: الراضية المرضية(1).

ان الشخصية السوية تتقبل الواقع الذى تعيشه وبخاصة عندما ترى عدم امتلاک القدرة على تغييره، فى حين ان الشخصية التى تعيش اضطرابا أو مرضا أو خللااو بالاحرى نمط الشخصية غير السوية فإنها تعيش حالة عدم الرضا

1- (1) (الاسرار الفاطمية ص 411-413 بتصرف).

والسخط الذى تعلن عنه أحيانا وتحاول تغطيته احيانا اخرى – حسب الظروف – وغالبا ما تلجأالى الحيل النفسية كالتبرير والعدوان والتمرد ومحاولـة التعويض وتقـديم الاعتـذار للتخلص من الواقع – كمـا تصوره لصاحبها –، وقـد تصاب بحالـة من التأزم النفسـى والاكتئاب أو المرض النفسـى والعقـد النفسـية كعقـدة الحقارة والشـعور بالاحباط وعدم القدرة على التأقلم وقد تختم حياتها بالانتحار – والعياذ بالله – الذى نسمع عنه كثيرا لدى اناس ساخطين على ماهم عليه من حال رغم ان حال بعضهم افضل بكثير من حال غيرهم!!.

وفى الدراسات النفسـية وجد ان الفلاحين مثلا تكون معدل اصابتهم بالامراض النفسـية كالاكتئاب اقل بكثير من غيرهم من سـكان المدن فى البلد الواحد وعُزى الامر الى تمتعهم بنسـبة عالية من الرضا عن حالهم وشـكرهم لنعم الخالق عليهم، فى حين ان سـكان المدن تزداد إصابتهم بالامراض النفسية ويعُزى الامر الى عدم الرضا وارتفاع معدلات السخط والتذمر فالمدنية الحديثة زادت من متطلبات الافراد تحت شعار العصـرنة والحداثـة مع غلبـة القيم الماديـة الاسـتهلاكية وغياب وافول القيم الروحيـة والاخلاقيـة فالانسان بما يملك من ارصدة فى البنوک واثاث فاخر وسـيارة على آخر طراز وليس بما لديه من عقل وفطنة وقيم واخلاق وهوبهذا فى لهاث شديد لا يقف عند حد مما سبب فى اطراد نسبة التوتر والقلق.

وفى الحديث عن الامام على عليه السلام: من رضىَ بالقضاء طاب

ص:345

عيشه(1).

وايضاً قال: إن أهنأ الناس عيشاً من كان بما قسم الله له راضياً(2).

لابد إذاً من تقييم الامور بشكل واقعى وبخاصة فى الحياة الزوجية وعدم تحويل البيت الاسرى الى سباق للماديات والكماليات، وكلما كان الحب والمودة والرحمة بين الزوجين عالياً كلما زادت نسبة التحمل والرضا، وما اكثر ماسمعنا عن نساء تتهاوى حياتهن الزوجية مع اول هبة من رياح الفقر الخائبة أو سوء الفهم أو تباين الآراء وهذه مؤشرات على عدم وجود الحب اصلا والا فالبناء المعنوى لاتهدمه الماديات.

واذا غاب الرضا تحول الجو الاسرى اما الى جو الانتقاد أو جو الشكوى الذى أشرنا اليه سابقا وهى اجواء مريضة وغير سليمة.

كما ان العلاقة الطيبة بين الزوجين ووحدة الاهداف والطموحات ووضع الآخرة أمام البصر والبصيرة يخفف كثيراً من المعاناة ويجعل الامور تتبدل الى رضا وقناعة بما هو كائن، ولقدكانت الآخرة نصب عينى الزهراء عليها السلام وكان الرسول يذكرها بها (يافاطمة تجرعى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة) وما كان حب الآخرة من اجل حريرها وديباجها بل كان من اجل الفوز برضا الله وتحقيق المقامات النورانية والقرب منه تعالى كما يقول علىٌ عليه السلام فى وصف المتقين (كبر الخالق فى أعينهم فصغر مادونه فى أعينهم).

1- (1) (غرر الحكم ح 8011).

2- (2) (غرر الحكم ح 3397).

روی عن جابر الانصاری أنّه رأی النبیّ صـلی الله علیه وآله وسـلم فاطمـة وعلیها کساء من أجلـة الابل، وهی تطحن بیـدیها وترضع ولدها، فـدمعت عینا رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم، فقال: یا بنتاه، تعجلی مرارة الـدنیا بحلاوة الآخرة، فقالت: یا رسول الله الحمد لله علی نعمائه، والشکر لله علی آلائه، فأنزل الله تعالی «وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضی» .

ومن علامات السـعادة النظر الی من فوقه فی الـدین والی من تحته فی الـدنیا، وهـذا مما یزید من ملکة الرضا عن الحال عند الانسان، لکن الواقع المعاصـر یحکی غیر ذلـک فهناک تطلع وبحسـرة الی من فوقه فی الـدنیا مع اهمال لمن فوقه فی الـدین وبهـذا یزداد الحسـد والغیرة والتحسر علی الدنیا وبین کلا الجنسین ولکل الشرائح بما فیها العلماء واصحاب المنطق حینما لا تستطیع الدنیا أن تحملهم فی سفنها.

وفی الروایة: مر عیسی بن مریم برجل اعمی وابرص مضروب الجنبین بالفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو یقول: الحمد لله الذی عافانی ممـا ابتلی به کثیراً من خلقه فقـال له عیسـی علیه السـلام: یاهـذا وأی شـیء فی البلاء مصـروفٌ عنک؟ فقال له: یاروح الله انا خیر ممن لم یجعل الله فی قلبه ماجعل فی قلبی من معرفته!

فقال عیسی علیه السلام: صدقت.

وقال الشاعر:

وعین الرضا عن کل عیب کلیلة ولکنَّ عین السخط تبدی المساویا

ان السخط فی الحیاة الزوجیة یمیت الحب ویقتل الرحمة والمودة ویدفع نحو الخراب بل ان السخط وعدم الرضا من عوامل فرار الناس عن هذه الشخصیة الشکّاءة فما عند الناس من هموم یدفعها للبحث عمن یقلصها لا من یضاعفها!!.

عن الامام الصادق علیه السلام: «ان اعلم الناس بالله ارضاهم بقضاء الله. عزو جل»(1).

أیضاً قال علیه السلام:

«ان الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحه فی الیقین والرضا وجعل الهم والحزن فی الشک والسخط»(2).

وعن أمیر المؤمنین علی علیه السلام قال: لما رأیت ما أصاب فاطمة الزهراء من العناء فی خدمة البیت وقد جاء سبی إلی النبی صلی الله علیه وآله وسلم قلت لها: هلا أتیت أباک تسألیه خادما یکفیک مشقة خدمة البیت؟ فأتت النبی صلی الله علیه وآله وسلم وإذا عنده جماعة، فانصرفت، وعلم أبوها أنها جاءت لأمر أهمها، فغدا إلی دارها صباحا، وسألها علیهما السلام (عما) جاءت له، فاستحت أن تذکر له، فقلت له: أنت تعلم ما تلاقیه فاطمة من القیام بشؤون البیت من الاستقاء والطحن والکنس. وقد أثر ذلک علیها، فقلت لها: لو سألت أباک یخدمک من یکفیک مشقة ما أنت فیه من

1- (1) (اصول الکافی، ج 2، ص 49 (کتاب الایمان والکفر، باب الرضا بالقضاء).

2- (2) (اصول الکافی، ج 2، ص 57).

العمل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فقال رسول اللّه: «يا فاطمة أعطيک ما هو خير لک من خادم، ومن الدنيا بما فيها: تكبرين اللَّه بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين اللَّه ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتسبحين اللَّه ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، ثم تختمين ذلک ب - (لا إله إلا اللَّه)، وذلک خير لک من الذى أردتِ ومن الدنيا وما فيها، فلزمت صلوات اللَّه عليها هذا التسبيح بعد كل صلاة، ونُسب إليها»(1). فرغم الضرر الذى كان يلحق بها عليها السلام نتيجة الأعباء الكثيرة إلا أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما لم يستجب - مباشرة - للطلب واجل الخادم فإنها عليها السلام لم تسخط ولم تشكُ بل زادها الحال رضاعلى رضا!.

6 - فن احتواء المشاكل

تعرف المشكلة: بأنها حاجة لم تشبع، أو جود عقبة أمام إشباع بعض الحاجات مما يزيد من حدة الصراع، وقد يكون سبب المشكلات ضغوطات خارجية قاسية واحيانا يكون السبب عدم القدرة على التكيف مع المتغيرات والاحداث والاشخاص ربما لنقص المهارات اللازمة أو نمط الشخصية كسبب ذاتى. والمشاكل متنوعة فهناک مشاكل نفسية وسياسية واقتصادية وتربوية واسرية الى آخره.

وهناک من المشكلات ما نملک له حلولاً سريعة وبعضها تتأخر حلولها، وهناک مالا نستطيع حله لأسباب ضاغطة كولادة طفل مصاب بمرض غير

1- (1) بحار الأنوار 85 336

قابـل للعلاج، فلابـد من الصبر فلعل الحل يأتى مع الايام مع التطور الطبى مثلا أو مع التكيف السـليم، كما يمكن تجميـد المشـكلة عند حدود معينة كى لا تتسع ابعادها وآثارها حتى نصل الى الحل الانسب.

وقـد مرت على الزهراء وعلى عليها السـلام ظروفٌ كثيرة صـعبة وساخنـة للغايـة ولكن رغم ذلک كانت المشـكلة تُزاح بالعلاقـة الطيبة بين الاثنين ومشاركة أحدهما الآخر فى تفهم المشكلة وايجاد السبل لحلها، ولعل اقسى هذه المشاكل كانت مشكلة فدک وغصب حق زوجها فى الخلافـة ونجد فى هذا المقطع الزمنى الحساس اكثر صور التعاون والمساندة والمصابرة بين الاثنين، وقد كانت مشـكلة الخادم موجودة وأشار علىٌ على زوجته باسـتشارة الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم الـذى أوصاهما بالتسبيـح ليكون كرامة وتخفيفاً (ولو مؤقتا) حتى جاء السبى الـذى كانت فيه فضة التى وهبها لها النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم لتكون جارية للزهراء عليها السـلام والتى بقيت معها الى آخر حياتها عليها السلام.

اما فى مشـكلة فدک فقد تدارس الزوجان ما يمكن القيام به وما يتطلبه الامر من حركة سريعة فائضة من الزهراء عليها السلام مع مراعاة حال الامة وصـيانتها من التمزق والحرب بالنسـبة لامير المؤمنين عليه السـلام، والمشاركة كانت واضـحة بين الاثنين فى القيام بدورين مختلفين لكنهما مطلوبان وفى آن واحد وظرف عصيب.

ان الزوجين اللذين يكون بينهما حوار طيب ووعى لأدوارهما

ومسؤولياتهما وفهم أيضا للمشكلة من أبعادها المختلفة مع ادراك لمتطلبات الزمان والمكان يكونان اكثر قدرة على الصمود امام المشكلات التى تعترض مسار حياتهما، وبداية الحل يكون من تشخيص المشكلة وتحديدها ودراسة ظروفها وابعادها، وربما يحتاج الامر الى الاستعانة بالغير وربما يكون الصبر هو المطلوب. وفى العلاقات الناجحة تتكاثف الاسرة كلها لحل المشكلة والصمود امام الازمة.

بيد اننا لا ننسى ان الزهراء عليها السلام بما تمتعت به من صبر وقناعة وتحمل وتقدير للامور قد استطاعت ان تعبر هذه الازمات، ففى مشكلة الخادم كانت توصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باللجوء الى الدعاء والتسبيح ولولا ان القيم الدينية كانت هى الاعلى بين كل القيم عند الزهراء عليها السلام لما تم قبول الامر بل ربما لو كانت هناك امرأة اخرى لما طاقت الصبر بل بدأت بالبحث عن حلول اخرى وسريعة ولو على حساب بعض المبادئ!! على هذا فرصيد التحمل الذى كان عند الزهراء عليها السلام مع الصبر الجميل خفف عنها كثيراً من الامور.

ولا ننسى موقف الزوج الذى يهتم بالرعاية والمداراة ويهبّ لمساعدتها كلما استطاع ذلک وكلها مظاهر لحبه لها ورحمته بها، والزوجة فى ذلک كأى زوجة محبة تجد دعم الزوج لها بمثابة القوة النفسية التى تصبّرها امام المشكلة والازمة..، كان علىٌّ عليه السلام يساعدها وكذلک الرسول بل وحتى الصحابة وهذا خفف كثيراً من وطأة المشكلات، والعكس صحيح ايضا فما

تقدمه الزوجة من حنان ومساندة ولو بالكلام الطيب له اثره فى اعانة الزوج على اجتياز ازماته. ونرى انفسنا كثيراً مانتعثر امام المشاكل التى تعترض سبيلنا وربما يعود السبب الى تباعد وجهات النظر وعدم وجود الطرف المساعد والمضحى والمحب بإخلاص، الامر الذى يجعل من توافه المشكلات جبالاً رواسى!!.

فالمشكلات كواشف لما فى الصدور من حب ولما فى النفوس من تحمل ولما فى القلوب من ايمان بالله يذيب جليد الدواهى والخطوب ولكنها ايضا تفضح الحب الزائف عند اهمال السند والدعم!.

7 - رعاية حقوق الآخر

الحقوق هى المزايا التى نصت عليها الشريعة لكلا الجنسين وماهو مثبت فى القرآن الكريم وفى كتب الفقه، والحق بالنسبة لطرف يشكل واجبا لطرف آخر، ومن خلال التناسق بين الحقوق والواجبات يتشكل المجتمع السليم، ومصادر الحقوق فى الاسلام هو الله تعالى فالتكاليف هى حقوق الله تعالى اما مصادر الحقوق فى الغرب فهى العوامل المادية التى تطرحها النظريات المتعددة والمختلفة ضمن اطر متفاوتة، ولهذا لا تتسم بالثبات أو الدوام وهى متأثرة بالمتغيرات العالمية والاجتماعية، والمرأة تبعا لهذا العامل المادى مكلفة بتوفير امورها المادية سواء كانت بنتاً أو زوجة أو اماً!!، وهذا ما ساعد على تركيز الانانية والفردية وادى الى استشراء العنف للحصول على امتيازات مالية اكثر!!.

امـا فی الاسـلام فحقوق الزوجـة هی مسؤولیـات الزوج ومسؤولیـات الزوجـة هی حقوق الزوج، فلابـد من احترام الحقوق ورعایتهـا لکلا الطرفین، فما الفائدة من وجود طرف یطالب بحقوقه ولکنه فی نفس الوقت ینسی ویتناسی حقوق الطرف الآخر، وبدیهی ان العلاقات – بکل أشـکالها – اذا ماروعی فیها الجانب الحقوقی فإن ذلک یؤدی الی زیادة الاحترام والرضا والشـعور بالامن والعکس صحیح ایضاً فکلما شعر الفرد بأن هناک بخساً لحقوقه فإنه لا یشعر بالرضا عن حیاته ویسعی لتغییر واقعه بدءاً من المطالبة بإقرار حقوقه الی تأمینها. والحقوق الزوجیة فی الاسلام واحدة وثابتة لم ولن تتغیر علی مدی الازمان واهمالها أو عدم رعایتها یمثل ذنبا واثما.

وفی مستدرک الوسائل – فی حَدیثِ الحَولاءِ –:... قالَت: فَما لِلنِّساءِ عَلَی الرِّجالِ؟ قالَ رَسولُ اللّهِ صلی الله علیه وآله: أخبَرَنی أخی جَبرَئیلُ – ولَم یَزَل یُوصینی بِالنِّساءِ حَتّی ظَنَنتُ ألاّ یَحِلَّ لِزَوجِها أن یَقولَ لَها: افٍّ – یا مُحَمَّدُ، اتَّقُوا اللّهَ عَزَّ وجَلَّ فِی النِّساءِ، فَإِنَّهُنَّ عَوانٌ بَینَ أیدیکُم، أخَذتُموهُنَّ عَلی أماناتِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ مَا استَحلَلتُم مِن فُروجِهِنَّ بِکَلِمَةِ اللهِ وکِتابِهِ مِن فَریضَةٍ وسُنَّةٍ وشَریعَةِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الله صلی الله علیه وآله، فَإِنَّ لَهُنَّ عَلَیکُم حَقّا واجِبا لِمَا استَحلَلتُم مِن أجسامِهِنَّ، وبِما واصَلتُم مِن أبدانِهِنَّ، ویَحمِلنَ أولادَکُم فی أحشائِهِنَّ، حَتّی أخَذَهُنَّ الطَّلقُ مِن ذلِکَ، فَأَشفِقوا عَلَیهِنَّ، وطَیِّبوا قُلوبَهُنَّ حَتّی یَقِفنَ مَعَکُم، ولا تکرَهُوا النِّساءَ ولا تَسخَطوا

بِهِنَّ، ولا تَأخُذوا مِمّا آتَيتُموهُنَّ شَيئا إلاّ بِرِضاهُنَّ وإذنِهِنَّ (1).

وجاء فی رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام:

واما حق رعيتک بالنكاح:

فأن تعلم ان الله جعلها سكنا ومستراحا وانسا وواقية، وكذلک كل واحد منكما يجب ان يحمد الله على صاحبه ويعلم ان ذلک نعمة منه عليه، ووجب ان يحسن صحبة نعمة الله ويكرمها ويرفق بها، وان كان حقک عليها اغلظ وطاعتک بها الزم فيما احببت وكرهت ما لم تكن معصية – فان لها حق الرحمة والمؤانسة، ولا قوة الا بالله.

ويقول الإمام عليه السلام –: أمّا حَقُّ الزَّوجَةِ فَأن تَعلَمَ أنَّ اللّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ جَعَلَها لَکَ سَکَنا وأُنسا، فَتَعلَمَ أنَّ ذلِکَ نِعمَةٌ مِنَ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَيکَ، فَتُکرِمَها وتَرفُقَ بِها، وإن کانَ حَقُّکَ عَلَيها أوجَبَ، فَإِنَّ لَها عَلَيکَ أن تَرحَمَها لِأَنَّها أسيرُکَ، وتُطعِمَها وتکسُوَها، وإذا جَهِلَت عَفَوتَ عَنها..

وعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبی عبد الله (عليه السلام): ما حق المرأة على زوجها الذى إذا فعله كان محسناً؟ قال (عليه السلام): «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها».

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «كانت امرأة عند أبی (عليه السلام) تؤذيه فيغفر لها»(2).

1- (1) (مستدرک الوسائل: ج 14 ص 252 ح 16627).

2- (2) (وسائل الشيعة: ج 20 ص 169 ب 88 ح 25330).

وعن أبی عبد الله (علیه السلام) قال: «أتی رسولَ الله صلی الله علیه وآله وسلم فی لیلة ثلاثون امرأة کلهن تشکو زوجها، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: أما إن أولئک لیسوا من خیارکم»(1).

وروی أن امرأة معاذ قالت: یا رسول الله ما حق الزوجة علی زوجها؟ قال (صلی الله علیه وآله وسلم): «أن لا یضرب وجهها ولا یقبحها وأن یطعمها مما یأکل ویلبسها مما یلبس ولا یهجرها».

والانانیة اکبر سارق للحقوق فاذا کان احد الطرفین مصاباً بالنرجسیة فهو لا یفکر الا فی تحصیل حقوقه – بل واکثر – علی حساب الآخر!!..، ولا یبالی بشریکه، فالمهم انه یحصل علی کل شیء دون ای اهتمام أو رعایة لحقوق الغیر عنده، ولهذا تبدو الشخصیة النرجسیة شخصیة صعبة التعایش لانانیتها المفرطة.

وحینما ننتقل الی حیاة الزوجین المعصومین علیهما السلام نری ان امیر المؤمنین علیه السلام لم یهمل ای حق من حقوق زوجته علیها السلام الفکریة أو الاجتماعیة أو الاقتصادیة وکذلک السیاسیة، فلم یرهقها بالمطالب الذاتیة، ولم یقم بحجز الزهراء علیها السلام عن المجتمع ولم یحرمها من المشارکة السیاسیة والاجتماعیة والثقافیة بل جعلها فی دائرة الحیاة کما ان الزهراء علیها السلام لم تهمل حقوقه بل قامت بمراعاته ومراعاة الاولاد بل کل الاسرة.

قال صلی الله علیه وآله وسلم فی خطبة حجة الوداع:

1- (1) (مستدرک الوسائل: ج 14 ص 248 ب 63 ح 16611).

أَلا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ، إِلاّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، أَلا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً، فَأَمّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلا وَإِنَّ حَقَّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ (1).

وحينما تعيش الزوجة مع من يراعى حقوقها ولا يبخسها شيئا تشعر بالرضا عن حياتها فتندفع للتفانى، أما حينما يكون العكس فأقل ما يحدث هو الامراض والاضطرابات النفسية والتمرد على الحال وتراكم الشعور بالغبن والاحباط مما يدفع الى السخط عن الحياة الزوجية.. والشيء المهم فى الاسلام ان الحقوق ربانية بمعنى ان اى حرمان لطرف من حقوقه هو تعرض لغضب الله تعالى وحسابه وعذابه وهو بمثابة تطاول على الشريعة، ولهذا فالذى يحرم زوجته من المقدار المعقول من النفقة أو من التعلم - وبخاصة تعلم امور دينها - فهو انما يزيد أو زاره ويجعل نفسه فى بوابة المساءلة الالهية وهو يحمل آثام ذلك، ونفس الشيء يكون للزوجة فرعايتها حقوق زوجها يسهم فى زيادة الشعور بالتقدير من الآخر وفى تحصيل الرضا الالهى وزيادة المودة والمحبة.. كما ان إعطاء كل ذى حق حقه من علامات الشخصية الناجحة والسليمة والمتوازنة اما بخس الحقوق فهو اشارة الى الانماط غير السليمة من الشخصية.

1- (1) (الخصال: ص 487 ح 63).

وقد ركزت الحركات النسوية المعاصـرة على المطالبة بحقوق المرأة بشكل منفرد منفصل عن الاسرة وهى لـم تعرفّها بواجباتها داخل الاسرة بل نظرت الى الزواج على انه غل للمرأة وقيـد يقيـد حريتها ويحـدّ من انسانيتها (راجع ستيوارت مل، استرقاق النساء)؛ إذ عد مل ان الزواج هو الشـكل الوحيد الذى بقى من نظام العبودية والرق الذى كان سائدا فى الدورات التاريخية الماضـية!!، وقد أسـهمت التيارات النسوية فى تكريس مبدأ الحرية المطلقة للمرأة التى انتُزعت من كل اواصرها وعلاقاتها الاسرية والزوجية فأصبحت كائنا مجردا يمتلك الحرية المطلقة فى الجسـد والحمل، فإذا ارادت الحمل حملت واذا لـم ترغب فلا احـد يجبرها على ذلک حتى زوجها!! مما ترک ضـبابية فى هدفية الزواج فهل هو مجرد اشـباع للشهوة لا اكثر؟، كما انها ركزت على فردية المرأة وجعلتها كياناً منفرداً ليس له ارتباط بالاسرة أو المجتمع فهى تحقق ذاتها خارج نطاق الاسـرة والـدين والمجتمع حسب ماتريـده هى!، وهـذه الفرديـة قطعت كل عوامل الارتباط مع الاسـرة والمجتمع فليس هناک تعاون بل تصارع للاستحواذ على المصالح المادية الامر الذى يلغى كل القيم الانسانية كقيم الايثار والتضحية والمساندة الاجتماعية ويحول المجتمع الى ارض خصـبة لنمو الانانية وحب السـيطرة و.. (إنّ الفرديّة تفكک لحمة الاجتماع البشرى، وتؤسس للصراع مع الآخر فى معركة الحقوق والمساواة، والتهميش والتفعيل، وغير ذلک)!!.

فى حين ان مدار الحياة الاسلامية قائم على الشراكة والتعاون، وهو

ينطلق من مفهوم الحقوق والواجبات مما يجعل الحياة قائمة على الاخذ والعطاء يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ) وبهذا فالمرأة شريک فی الحياة والاستخلاف وشريكة فی الهدف والمصير وهی وان كانت لها شخصية مستقلة عن الرجل لكنها تسير معه نحو التكامل سواء الفردی أو الاجتماعی. وهذا هو الذی يفسر لنا دور المرأة المسلمة فی صدر الاسلام فی صناعة الحضارة الاسلامية، فقد هاجرت مع الرجل وقاتلت وبايعت وتعلمت امور دينها ولم تكن انوثتها عامل اعاقة أو طغيان بل العكس هو الصحيح.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله سائل كل راع عما استرعاه، أحُفِظَ ام ضيّع؟ حتى يسأل الرجل عن اهل بيته(1).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ملعون ملعون من ضيّع من يعول(2).

وعن محمد بن يعقوب، عن علی بن محمد، عن صالح بن أبی حماد، وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد وغيرهما، بأسانيد مختلفة، فی احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام): علی عاصم بن زياد حين لبس العباء وترک الملاء، وشكاه أخوه الربيع بن زياد إلی أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قد غم أهله وأحزن ولده بذلک، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): علیّ بعاصم بن زياد، فجیء به، فلما رآه عبس فی وجهه، فقال له: أما استحييت

1- (1) (السنن الكبری ج 5 ص 374).
2- (2) (الكافی ج 4 ص 12 ح 9).

من أهلک؟ أما رحمت ولدک؟ أترى الله أحل لک الطيبات وهو يکره أخذک منها؟ أنت أهون على الله من ذلک، أو ليس الله يقول:«وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ (10) فِيها فاکِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَکْمامِ»1 .

أوليس يقول:«مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (19) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ» - إلى قوله -«يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ»2 فبالله، لا بتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال، وقد قال الله عز وجل:«وَ أَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ»3 .

فقال عاصم: يا أمير المؤمنين، فعلام اقتصرت فى مطعمک على الجشوبة وفى ملبسک على الخشونة؟ فقال: ويحک، إن الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس، کيلا يتبيغ بالفقير فقره.

فألقى عاصم العباء ولبس الملاء(1).

عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبى داود المسترق، عن بعض رجاله، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: إن ثلاث نسوة أتين رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت إحداهن: إن زوجى لا يأکل اللحم، وقالت الأخرى: إن زوجى لا يشم الطيب وقالت الأخرى: إن زوجى لا يقرب النساء، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) يجر رداه حتى صعد

1- (4) (راوه الطبرسى، مجمع البيان 88:5)، نحوه (نهج البلاغة 204:2).

المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام من أصحابى لا يأكلون اللحم، ولا يشمون الطيب، ولا يأتون النساء؟ أما إنى آكل اللحم، وأشم الطيب وآتى النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى(1).

تقول الزهراء عليها السلام فى وصيتها: ولا خالفتک منذ عرفتک... فحق الزوج هو الطاعة وهذا اشارة الى طاعتها.

وفى قضية فدک يقول على عليه السلام: خذى ميراثک.. اى يكون لها سندا فى تحصيل حقوقها المادية.

وهى تتقبل رأى الزوج فى مسألة الخادم حينما طلب منها ان تذهب الى ابيها ولم تجادله تقول مثلا لماذا انت لم توفر الخادم أو ان هذا الشان يعنيک انت لانک زوجى فلماذا ابى؟!.

وقد استعرضنا صور المداراة واهتمام على عليه السلام بتوفير القوت الى غير ذلک.

وتتعالى فى الاوساط الاسلامية دعاوى لسحب القوامة عن الرجل العاطل عن العمل والذى كان سبب بطالته اما عدم توفر فرص العمل الشريف والمناسب له واما وجود عوائق صحية أو جسدية تحول بينه وبين العمل والانتاج وتأتى هذه الدعاوى لمساهمة المرأة فى الانفاق على الاسرة من خلال عملها.. وأقول لماذا هذه المطالبة بانتزاع الثوابت لمجرد ان المرأة خطت خطوة اضطرارية غير ثابتة أو مستمرة امام الرجل!!، بل هى خطوة متطوعة

1- (1) (الفروع 57:2).

إذ إن انفاق المرأة على اسـرتها غير واجب، ونفس الصورة نجدها فى ارتفاع معدلات الطلاق بعد اكمال البنات لدراستهن فالرجل مستنزف من اجل توفير العيش الكريم الامر الـذى قـد يحجبه عن اكمال الدراسة اما المرأة فباتت تسـتفيد من تزايد فرص التعلم عبر الانترنت أو غير ذلـک لإكمـال دراسـتها والحصول على الشـهادة الاكاديميـة وبمجرد ان تحصـل عليها تنادى بالطلاق لانها متقدمـة على زوجها بالكفاءة التعليمـة ولو كـان على حسـاب اسـرتها واولادها!!. ولـم نسـمع اشارة واحـدة للزهراء تطالب بأن تكون (اميرة للمؤمنين أو المؤمنات) رغم اسـتحقاقها هذا اللقب والامر يأتى من وعى دورها ومكانتها كامراة فى ظل الشـريعة وان كانت هى ليست اقل شأنا من على عليهما السلام. بل ان الامر يسـمو على ذلک فرغم ان الزهراء عليها السـلام لـم يكن لها كفؤ الا على عليه السـلام لكنها لـم تقف امامه بل كانت الى جواره فهى تراه الوصى والامام اى امام الكل وامامها هى ايضا – وان كان هو مثلها معصوما – فلنعد قراءة هذه الجملة:

قالت فاطمة عليها السلام "رضيت بالله رباً، وبک يا ابتى نبياً وبابن عمى بعلاً وولياً(1)" .ان هذه الكلمات لهى مؤشر على الاحترام والاكرام وعلى قبول قوامة الامام عليه السلام.

8 – الامن الاسرى

هل يمكن ان تنجح العلاقات الاسرية اذا كانت قائمة على التهديد

1– (1) (احقاق الحق 5/117).

والوعيد والتلويح الدائم بالعصا الغليظة حتى وان كانت عصا نفسية أو معنوية؟ واذا لم تكن الاجواء آمنة فهل هناك معنى للتفاهم أو الاكرام أو باقى اسس الحياة الزوجية الناجحة؟ بل هل يمكن ان تكون هذه العلاقة الزوجية ناجحة؟.

ان الأمن الأسرى هو أهم دعامة لاستقرار الاوضاع داخل الاسرة ومن ثم تهيئة الظروف المناسبة التى تساعد الاسرة على القيام بواجباتها المختلفة. وقد كان ومازال الأمن الاسرى يُعد واحدا من اهم متطلبات الاسرة وبخاصة بعد ارتفاع مؤشرات العنف بكل أشكاله ضد المرأة والرجل والطفل والمسن على حد سواء.

ويشكل الامن الاسرى مدخلا نحو الاستقرار والامن النفسى والمعنوى والذى هو اساس التقارب بين الزوجين وبين باقى أعضاء الاسرة، فشعور الزوجة بالأمن والأمان يشجعها على بذل كل مالديها من جهد وقدرة من أجل إسعاد أسرتها؟. وتساعد الأجواء الآمنة على خفض التوتر داخل الاسرة وامتصاص التشنجات والصراعات التى قد تظهر فى الاسرة والتى يكون عدم فهم الافراد لادوارهم احد عوامل ايجادها.

وصراع الادوار بين الزوجين دلالة على عدم التوافق الزوجى بينهما وله اسبابه المستمدة من عدم التوافقات الاخرى واحيانا يكون الصراع موجودا ولكن هناك قدرة تكيف عالية ازاء الامور التى توجد التوتر، ولا ننسى ان قوة العلاقة العاطفية والانسجام والتوافق الزوجى بين افراد الاسرة

يخفف الصراع ويساعد على اصلاح الامور بسرعة عالية.

ويشكل التهديد بالطلاق أو الهجر والطرد احد اهم عوامل زعزعة الراحة النفسية وهو ايضا من العوامل التى تقتل عند المرأة الشعور بالثقة بزوجها أو بالمستقبل، كما يقتل عندها كل رغبة فى الابداع أو تحقيق الذات، وللأسف فإن أساليب التهديد والتلويح بالعصا بات هو الاكثر رواجا فى عصرنا!!، وهو يتمدد فى مساحات واسعة تطال منام الاطفال وتجعلهم اسرى المخاوف والهواجس.

ويعد الزوج المصدر الرئيسى للأمان بما يقدمه لأسرته وزوجته من حب وحنان ورعاية واهتمام، فإذا شعرت الزوجة بحب الزوج واهتمامه بها شعرت بالأمن والطمأنينة والذى ينعكس ايجابيا على كل اعضاء الاسرة فتقبل الزوجة على رعاية بيتها وزوجها وعلى الاهتمام بأولادها بما يُسهم فى انجاح عملية التنشئة الاجتماعية، كما ان القوامة ليست استبداداً أو تسلطاً بقدر ماهى ادارة ومسؤولية، وهى ليست الغاءً للطرف الآخر بقدر ماهى اعلان للنتائج النهائية بعد مشاورات ودراية بالامور.

ومن المعروف أن إشاعة اجواء المودة والرحمة يسهم فى تقوية الامن الأسرى كما ان الكلمة الطيبة والسلام والتحية ومساعدة الطرف الآخر وإشعاره بقيمته ومكانته فى البيت كلها تؤثر ايجابياً فى هذا الجانب، اضافة الى أن نمط شخصية الأزواج والظروف المحيطة بالأسرة (الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية) كلها مؤثرة على الامن داخل الاسرة.

ص:363

ويعد التضييق أحد مخلات الامن الاسرى ويشمل كل انواع التضييق المالى والاجتماعى والمنع من زيارة الاهل أو الخروج من البيت الى غير ذلک.

قال تعالى:«وَ لا تُضآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ» 1 .

وفى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يعول(1).

عنه صلى الله عليه وآله وسلم: من أضر بامرأة حتى تفتدى منه نفسها، لم يرض الله تعالى له بعقوبة دون النار، لأن الله تعالى يغضب للمرأة كما يغضب لليتيم(2).

وعن أمير المؤمنين فى وصيته لابنه الحسن: لا يكن أهلک أشقى الخلق بک(3).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير الرجال من امتى الذين لا يتطاولون على أهليهم ويحنون (عليهم) ولا يظلمونهم(4).

ومن علامـات الامـان ان يبث كل من الزوجين همومه ويعلن اهـدافه امام الآخر ويطلعه على أسـراره ولا يحاول اخفاء شـىء عنه، ويلعب الدعاء للطرف الآخر والدفاع عنه فى المواقف الحرجة والدفاع عن سمعته وأهدافه

1- (2) (من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 168).

2- (3) (البحار ج 76 ص 365 ح 30).

3- (4) (نهج البلاغة كتاب 31).

4- (5) (مكارم الاخلاق ج 1 ص 468 ح 1597).

وطموحاته دورا رئيسيا فى تعزيز الشعور بالامان فهو حتما عارف بهذه الطموحات والاهداف ومؤمن بها.

وهناک قاعـدة اساسـية فى علم الاجتماع الاسـرى تؤكـد ان احـداثا معينة خارج نطاق الجماعة قد تؤدى الى تماسـكها مثل نشوء حرب أو فيضان فالاحداث الخارجية الضاغطة تشـكل ازمة بالنسبة للاسرة أو الجماعة الا أنها تؤدى الى تضامن أعضائها حتى يتمكنوا من ان يتغلبوا عليها لـذا تعـد هـذه الاحـداث الخارجيـة الضاغطة عاملا مهما فى توحيد اعضاء الاسـرة وجعلها اكثر تماسـكا وهوما يؤدى الى التكامل الاسـرى والـذى (هو مفهوم دينامى يعنى حالـة مسـتمرة من التآزر والتفاعل والحيويـة يقود الافراد الى تحقيق الاهداف المنشودة وهو يعزز الولاء للاسـرة وصـيانة أهدافها والتمسک بمعاييرها) وقد استنفرت الاسرة الفاطمية العلوية كل اعضائها فى احداث فدک وهب الجميع كما لو كانوا يـدا واحدة للدفاع عن الحق، فالزهراء عليها السـلام تتصدى للموقف والامام على عليه السـلام يقود بغلتها مرورا على ديار الانصار والحسنان عليهما السلام مع أمهما فى بيت الاحزان والسيدة زينب عليها السلام مع الزهراء فى المسجد النبوى، وهذا دليل على قوة الاسرة نفسها فى حين ان الاسر قد تتصدع فى الازمات التى تحاصرها مما ينذر بانهيارها!!.

إن البيت الفاطمى العلوى كان مهـداً للامن والامان ولجميع من فيه ولم تكن هناک تهديدات ابدا، وانى يكون ذلک وقد كان الحب الالهى هو المعين الذى ينهل منه الجميع فى كل حركة وكل فكرة وكل شاردة وواردة، والزهراء

عليها السلام ماتمردت على قوامة امير المؤمنين عليه السلام وهو الوحيد الكفؤ لها ولهذا لم تظهر صراعات الدور أو استتباعاته بما يوجد التوتر أو الضيق أو غياب الاستقرار، ووجود الامن الاسرى هو الذى يفسر لنا اقبال الزهراء عليها السلام على بيتها وزوجها وتحملها عوامل الضيق الاقتصادى الذى عاشته الاسرة.

9 - الآخرة.. الهدف المنشود لكليهما

اشارة

كانت الدنيا مزرعة للآخرة لكلا الزوجين عليهما السلام، فرضا الله تعالى وعبادته وتحصيل الآخرة كانت هى الأهداف الكبرى التى عاشا لها عليهما السلام والتى أذابت كل التعلقات الدنيوية من القلب والفكر وكانت الشاغل لهما والموجه لسلوكهما.. فهذه الشفاه التى مافترت عن ذكر الله وتلاوة كتابه لتفتح جسرا موصلا الى الآخرة من خلال التعبد والدعاء ومساعدة الغير الى غير ذلک.. وهذا هو أحد الأسباب التى تؤدى الى التحمل والرضا والصبر والقناعة وحسن الخلق وغيره، فلم يكن البيت فى عين الزهراء عليها السلام سجنا أو محطة تضييق بل كان محطة انطلاق لخدمة المجتمع ولتدعيم الآخرة من خلال التعبد والاعمال الصالحة كتعليم النساء والانفاق، ولهذا كانت محورية طاعة الله هى الحاكمة والموجهة والفاعلة ونجد ذلک واضحا فى حياة كلا الزوجين المعصومين فقد جعلا علاقتهما وحياتهما الزوجية مسارا لتحصيل الرضوان الالهى ولإعطاء نموذج الأسرة الصالحة والاسرة المتعبدة والمؤمنة.

ولهذا كانت الزهراء عليها السلام تفهم عليا عليه السلام فهما واعيا

عميقا لا كما يفهمه بقيـة الناس فهى عرفت مشاعره وأهـدافه ووسائله للوصول الى المحبوب الازلى ففى الرواية: (كنا جلوسا فى مجلسٍ فى مسـجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتذاكرنا أعمال أهل بدر، وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم!.. ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً وأكثرهم ورعاً، وأشدّهم اجتهاداً فى العبادة؟.. قالوا: مَن؟.. قال: على بن أبى طالب (عليه السلام).. فو الله إن كان فى جماعة أهل المجلس إلا معرضٌ عنه بوجهه، ثم انتدب له رجلٌ من الأنصار فقال له: يا عويمر!.. لقـد تكلّمت بكلمةٍ ما وافقك عليها أحدٌ منذ أتيت بها، فقال أبو الـدرداء: يـا قوم!.. إنى قائـلٌ مـا رأيت، وليقل كلّ قومٍ منكم ما رأوا.. شـهدتُ على بن أبى طالب بشويحطات النجار، وقـد اعتزل من مواليه، واختفى ممن يليه، واسـتتر بمغيلات النخل، فافتقـدته وبَعُد علىّ مكانه، فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوتٍ حزينٍ ونغمة شـجىّ، وهو يقول: "إلهى!.. كم من موبقـةٍ حملتَ عنى مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرةٍ تكرّمتَ عن كشـفها بكرمك.. إلهى!.. إن طال فى عصـيانك عمرى، وعَظُم فى الصّحف ذنبى، فما أنا أؤمّل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك" ..فشغلنى الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو على بن أبى طالب (عليه السـلام) بعينه، فاسـتترتُ له وأخملتُ الحركة، فركع ركعاتٍ فى جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما به الله ناجى أن قال: "إلهى!.. أفكّر فى عفوك، فتهون علىّ خطيئتى، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظُم علىّ بليتى" ،ثم قال:

"آه!.. إن أنا قرأتُ فی الصحف سیئةً أنا ناسیها وأنت محصیها، فتقول: خذوه، فیا له من مأخوذٍ لا تنجیه عشیرته، ولا تنفعه قبیلته، یرحمه الملأ إذا أذن فیه بالنداء" ،ثم قال: "آه!.. من نارٍ تنضج الأکباد والکلی، آه!.. من نارٍ نزّاعةٍ للشوی، آه!.. من غمرةٍ من ملهبات لظی" ،قال: ثم أنعم فی البکاء فلم أسمع له حسّاً ولا حرکةً، فقلت: غلب علیه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر.. قال أبو الدرداء: فأتیته فإذا هو کالخشبة الملقاة، فحرّکته فلم یتحرّک، وزویته فلم ینزو، فقلت: إنا لله وإنا إلیه راجعون، مات والله علی بن أبی طالب.. قال: فأتیت منزله مبادراً أنعاه إلیهم، فقالت فاطمة (علیها السلام): یا أبا الدرداء!.. ما کان من شأنه ومن قضیته؟.. فأخبرتها الخبر، فقالت: هی والله یا أبا الدرداء!.. الغشیة التی تأخذه من خشیة الله، ثم أتوه بماء فنضحوه علی وجهه، فأفاق ونظر إلیّ وأنا أبکی، فقال: ممَّ بکاؤک یا أبا الدرداء؟!.. فقلت: مما أراه تنزله بنفسک، فقال: یا أبا الدرداء!.. فکیف ولو رأیتنی ودُعی بی إلی الحساب، وأیقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتنی ملائکةٌ غلاظ، وزبانیةٌ فظاظ، فوقفتُ بین یدی الملک الجبّار، قد أسلمنی الأحباء، ورحمنی أهل الدنیا، لکنتَ أشدّ رحمة لی بین یدی مَن لا تخفی علیه خافیة.. فقال أبو الدرداء: فو الله ما رأیت ذلک لأحدٍ من أصحاب رسول الله(1).

وهذا الموقف یشیر الی معرفة الزهراء علیها السلام بخصوصیات زوجها

1- (1) (البحار 41:11-12).

الامر الذى غاب عن البقية من المسلمين وهو يكشف عن العلاقة الوطيدة بين الاثنين، ولا ننسى انه كلما زاد التعرف على الآخر بكل خصوصياته وأموره ترتفع نسبة التوافق الزوجى بين الاثنين مما يدعم حالة السعادة الزوجية.

ورد عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: "ما كان فى هذه الأمة أعبد من فاطمة كانت تقوم حتى تورَّمت قدماها".

ومن شدَّة احتياطها فى عبادتها كانت تضع من يراقب لها أوضاع الشمس ليُعْلِمَها بالأوقات التى يستحب فيها الدعاء كالوقت الذى يسبق غروب الشمس يوم الجمعة، وكانت تروى عن أبيها النبى صلى الله عليه وآله انه قال: "إن فى الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلا أعطاه" فسألته الزهراء عليها السلام: يا رسول الله أى ساعة هى؟ فقال صلى الله عليه وآله: "إذا تدلى نصف عين الشمس للغروب".

وقد وصف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عبادة ابنته فاطمة عليها السلام: "وأما ابنتى فاطمة، فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهى بضعة منِّى، وهى نور عينى، وهى ثمرة فؤادى، وهى روحى التى بين جنبىّ، وهى الحوراء الإنسية، متى قامت فى محرابها بين يدى ربِّها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: (يا ملائكتى، انظروا إلى أَمَتِى فاطمة سيدة إمائى، قائمة

بين يدى، ترتعد فرائصها من خيفتى، وقد أقبلت بقلبها على عبادتى، أشهدكم أنى قد أمنت شيعتها من النار)"(1).

عن الإمام الباقر عليه السلام قال:" قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ ابنتى فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً ويقيناً إلى مشاشها، ففرغت لطاعة الله"(2).

والآية الكريمة:«تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ»3 .

نزلت فى على وفاطمة ليلة زواجهما. وفى صبيحة اليوم التالى سأل صلى الله عليه وآله وسلم عليا: "كيف وجدت أهلك، قال نعم العون على طاعة الله"(3).

والآية «كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ»5 نزلت فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(4).

ومن أسمائها: الزكيَّة والزاكية، لاهتمامها بتزكية النفس الموصلة إلى الفلاح كما قال تعالى:«قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها» . أما على فكان امام الموحدين.

1- (1) (بحار الأنوار 43:172).

2- (2) (دلائل الإمامةالطبرى: 139l47. والمناقب l ابن شهر آشوب 337:3. بحارالأنوار: 29:43).

3- (4) (المناقب لابن شهر آشوب. 356:3).

4- (6) (شواهد التنزيل: 268:2. عوالم العلوم: فاطمة الزهراء عليها السلام فى المستدرک: 85).

البيت الالهى

لقد كان بيت الزهراء عليها السلام متميزاً فى كل شىء وأهم مافيه أنه كان بيتا إلهيا يتعالى فيه صوت القرآن والدعاء ويفوح فى أجوائه نسيم العبادة وهو مهبط الملائكة ومحل حضورها لتطالع وجوهاً ماخلق الله ارضا مدحية ولا سماءً مبنية الا لأجلهم، وكان البيت قريبا وملاصقا للمسجد فحينما يؤذن بلال تسمع الزهراء عليها السلام صوته وهى فى بيتها فتأنس بهذا الصوت وتهب للصلاة والدعاء.

وهو بيت تغيب فيه كل مظاهر الاثم والذنب – والعياذ بالله – وربما ماكان هناك بيت على الاطلاق على مر العصور يحوى هذه الثلة من المعصومين المطهرين الذين أبعد الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وهذا البيت تبدو أحاديثه رسالية ايمانية ليس فيه الا حديث القرآن ومانزل منه من آياته المحكمات وحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى غزواته وحروبه وجهاده ضد أعدائه.

لقد كان بيت الزهراء عليها السلام يفيض نوراً بذكر الله وطاعته وكان خير سكن وبخاصة لعلى عليه السلام الذى كان يخوض غمار الحروب ويقف الى جوار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى مهمة الدعوة بل كان هذا البيت سكناً وأمناً وطمأنينة حتى لأبيها صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان أول عهده بفاطمة وآخر عهده بها إذا خرج أو دخل المدينة.

هذا البيت الذى كان أطهر البيوت وأصفاها يفيض بالرحمة والمحبة

والطمأنينـة فكان بحق سـكنا آمنا (بحيث اسـتطاع علىٌ عليه السـلام أن يجـد فيه الراحـة والسـعادة والانطلاقـة والانفتاح، لأن الدعاة الكبار يحتاجون عنـدما يعيشون مع المرأة المسـلمة كزوجة، أن يتنفسوا فى بيوتهم الإسـلام ليعيشوا دوماً فى أجواء الروحانية والرسالية، وقد وجد أمير المؤمنين ذلک كله فى بيت فاطمـة عليها السـلام، بحيث كان يـدخل البيت فيرى الإسـلام يحيط به من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شـماله، فصار يتنفس الإسـلام فى البيت مع ابنة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم كما كان يتنفس الإسلام فى المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

من ثم فكل ما ذكرناه سابقا مهـد الى خلق أسـرة متماسـكة متوازنـة تعيش أهـدافها السامية بعيدا عن المشاحنات والخلافات وتمثل التوافق الاسرى فى أحلى وأسمى أشكاله وهذا التوافق استند إلى ارضية صلدة مما فتح للزهراء عليها السلام أدوارا اجتماعية وساسية كبرى.

ص:372

الزهراء عليها السلام فى رياض الامومة

اشارة

الأم هى الاصل فى الشيء ومنه ام القرى وهى مكة وتسمى الام ايضا(1).

والأم: هى أصل الشيء، وهى الوالدة اى التى تلد، والامومة لها أهمية دينية ونفسية وتربوية واجتماعية، وتحظى الام بمنزلة سامية فى الشريعة الاسلامية قال تعالى:

«وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِي عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَ إِنْ جاهَداكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما وَ صاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»2 .

وكرّر هذه الوصية فقال:«وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً»3 .

1- (1) (المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية - 2000).

ولقد كرم الله الأمومة فى تكريم سعى هاجر لما تركها إبراهيم الخليل عليه السلام من خلال السعى بين الصفا والمروة.

وكان الإنسان البدائى يرى فى الامومة خلقا جديدا ولهذا قدس المرأة وقام بعبادة الالهة الانثى كأفروديت وعشتار، وبعدها اكتشف دور الرجل فى الخلق الجديد فظهرت عبادة الالهة الذكور.

وقد عرّف القرآن بعدد من الامهات فمريم عليها السلام جعل لها الله تبارک وتعالى سورة كاملة باسمها وحكى القرآن فيها قصتها منذ أن حملت بها أمها ونذرتها لله سبحانه إلى أن حملت بعيسى عليه السلام ثم قصتها مع قومها...

قال سبحانه:«وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ آوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَ مَعِينٍ» 1 .

وقال ايضا:«وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ» 2 .

وذكر القرآن أم موسى وحكى قصتها مع ولدها فى زمن فرعون وعرّف بمعاناة الام وحبها لولدها وايثارها كل شىء من اجله.

قال تعالى:«وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَ لا تَخافِى وَ لا تَحْزَنِى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ...» «وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ»1 .

وقد اختلف فى تفسير الامومة ويرى بعضهم(1) الى ان الامومـة تمثل احد انواع الدوافع الفطرية الثابتة عند الانسان والحيوانات العليا وان للأمومة جذوراً بيولوجية (جينية وهرومونية كافراز البرولاكتين).

ويراها البعض تظهر منذ الطفولة (ويفسـرونه فى لعب البنات الصغيرات بالدمى والعرائس ولكن الحركة النسوية fem تُرجع هذه الحالة الى تربيـة المجتمع وتنكر اصولها البيولوجية!، وهو ما اوقع النساء بين رغبة ذاتية فى الامومة وبين انتقاص الغير لهذه المهمة السامية)، والعجيب انه فى مؤتمر بكين تم مناقشـة موضوع الامومـة وعلقت بعض الحاضـرات ان الامومـة خرافة ولا يوجد هناک غريزة بهذا الاسم بل ان ثقافة المجتمع هى التى صنعته!!، فى حين تُقسم حياة المرأة فى الكتب الدراسية التخصصية الى ثلاث مراحل: الاولى ماقبل الانجاب ثم مرحلة الانجاب ثم مابعد الانجاب!! وبهذا يُعد الانجاب اساسيا فى حياتها.

ان الامومة هى اعمق واصدق صور الحب لما فيها من تضحية وايثار ومتابعة رغم العناء.

ويرى د. الكسيس كاريل: ان الحمل يكمل جسم المرأة:

ويقول د. يوسف مراد فى كتابه سيكولوجية الجنس: إن أنوثة المرأة لا تكتمل الا بالامومة.

1- (2) (د. احمد عزت راجح فى كتابه اصول علم النفس ص 77)

ويضـيف: ويمكننا أن نقول بكل اطمئنان إن هدف المرأة الأعلى هو أن تصبح امّا وان تُسهم بلحمها ودمها وبكل جوارحها فى هذه الوظيفة السامية وظيفة خلق الحياة.

إن حياة المرأة مركزة تركيزا عميقا حول هـذه الوظيفـة ونزعتها الى الامومة متأصـلة فى دوافعها اللاشـعورية.. فالمرأة تجد فى غريزة الامومة المركز أو المحور الذى سيوجه جميع دوافعها وينظمها بصورة متسقة منسجمة.. فإذا كانت الامومة هى مركز نشاط المرأة فإن هذا المركز لا يتعارض فى صميمه مع اى نشاط آخر من شأنه أن تكمله الطبيعة البشرية فى نواحيها العاطفية والروحية بل على العكس من ذلک فإن ألوان النشاط الثقافى والاجتماعى تسـتمد من هـذا المركز قوتها الدافعـة وطاقتها الابداعيـة.. فوظيفـة الامومة هى التى تعيّن للمرأة المراحل التى تجتازهـا فى نموهـا الجسـمى والوجـدانى والاجتمـاعى، هى كالقطب الـذى يجـذب إليه مختلف القوى والطاقات التى يتضـمنها المجال الحيوى وبقـدر خضوع هـذه القوى والطاقات أو بعبارة اخرى دوافع السـلوک المختلفـة لهـذه الجاذبيـة تقترب عمليات النمو والتكيف من تحقيق تكامل الشخصية(1).

كما أن الحمل والامومة يسـهم فى تأصيل الهوية الانثوية لدى المرأة مما يشعرها أنها ومن خلال هذا الوليد قد أصبحت امرأة كاملة، علاوة على أن الحمل يغير منظومة الجسم بالكامل ويسهم فى تمرين البدن والروح على تحمل

1- (1) (د. يوسف مراد سيكولوجية الجنس ص 140-142 بتصرف).

الصـعاب والخروج من دائرة الانـا، ممـا يـدعم آليات التوازن النفسـى. وينظر البعض الى ان الحمل يمثل رباطاً بيولوجيّاً قويّاً بين الزوجين وكلما كانت العلاقة بينهما طيبة كان الفرح بالحمل اكثر.

والعجيب ان كل سيدات نساء العالمين عشن الامومة بشكلها المباشر واللا مباشر!، إذ إن الامومة تقسم الى نوعين:

الامومة الكاملة: وهى التى تكون فيها الامومة بكل أبعادها البيولوجية (اى تحمل وتلد) والنفسية والتربوية اى تربى الطفل بعد الولادة، وهى الامومة المباشرة وكانت الزهراء عليها السلام وخديجة عليها السلام ومريم بنت عمران عليها السلام ضمن هذا النمط.

اما النوع الثانى فهى الامومـة الناقصـة أو النفسـية وهنا يغيب المفهوم البيولوجى للام فهى لا تلـد ولاتعيش الم الحمل والوضع وهى تعيش أمومة نفسـية وتربوية فقد تكون مربية فقط كمهنة وهو المصـطلح الذى يسـمى فى عصرنا بالام البديلة وقد تعيش تجاوباً نفسيّاً قويّاً وعاطفيّاً كما هى الحال فى آسية زوجة فرعون.

وكان عالم الاجتماع النفسـى باولبى يعتقد انه يمكن اسـتبدال الام الغائبة بأم بديلة لكنه كان يصـر على أن تكون هذه المرأة أنثى مما يوحى بأن دور الامومة هو مهمة مخصصة للنساء فحسب(1).

قال النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: الجنة تحت أقدام الأُمهات.

1- (1) (غيدنز علم الاجتماع ص 192).

وعن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

وأمّا حقّ امک أن تعلم أنّها حملتک حيث لا يحمل أحـد أحـداً، وأطعمتک من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً، ووقتک بجميع جوارحها، ولم تبالِ أن تجوع وتطعمک، وتعطش وتسـقيک، وتعرى وتكسوک، وتضحّى وتظلک، وتهجر النوم لأجلک، ووقتک الحر والبرد لتكون لها، وانک لا تطيق شكرها إلاّ بعون الله وتوفيقه».

وروى هشام بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام أنه قال:

جاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله مَن أبَرُّ؟

قال: أُمک قال: ثم مَنْ؟ قال: أُمک. قال: ثم مَن؟ قال: أُمک. قال: ثم مَنْ؟ قال: أبوک»(1).

وعن فاطمة الزهراء عليها السلام فى حديث لها عن الأم: الزم رجلها فإن الجنة تحت أقدامها(2).

على هـذا فالامومـة مرحلة تكاملية للمرأة وتكميلية لهويتها وهى مرحلة النضج والخروج من الانا، كما انها مرحلة التقدير الاجتماعى التى يمنحه اياها المجتمع الذى يولى عناية خاصة للامهات باعتبار ان:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق

1- (1) (وسائل الشيعة 15:207، حديث 1).

2- (2) (مسند فاطمة، لجلال الدين السيوطى، ص 116).

والام من خلال الحمل والولادة تعيـد اكتشاف الذات والتمحور حول الوليد الذى يعزز عندها الشـعور بحاجته إليها وحبه لها الامر الذى لا يمكن ان يقدر بشىء.

وقـد كان لاحتقار الادوار الانثويـة وبخاصة دور الامومة اثره فى انخفاض معدل النمو السـكانى فى الغرب الى ما تحت الصـفر احيانا! مما بات يلوح بالانقراض السـكانى للسكان الاصليين فى البلاد!، ثم ان هذا الاحتقار قد شوه دور الجنس كغزيزة سامية هدفها حفظ النوع وبقاء الانسانية الى أداة للمتعة فحسب، كما شوه صورة الزواج بأنه مجرد تصـريف شهوات وليس لايجاد السكن الاسرى ولاعداد الجيل الصالح، وبـديهى ان كل هـذه الامور كانت وراء الانقسام الكبير الـذى حصل فى الحركة النسوية مما دعا الكثير من قياداتها الى العودة الى الادوار الانثوية خاصة دور الامومة والى احترام الام والطفل.

يقول ويل ديورانت فى كتابه الشـهير قصة الحضارة: «... عندما يكون الاعلام عن حرية المرأة فعلى المطبلين لذلک أن يعلموا ان الرجل لا ينقصه ولا يعوزه شـىء، بل المهم هو كون المرأة متكاملة... فلو عجزت الطبيعة عن رعاية الاسرة والطفل وحفظهما فما ذلک إلا لأن المرأة قد تناست الطبيعة مدة من الزمان، ولكن لا يدوم الخروج على الطبيعة ابدا».

وفى حديث الحولاء قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وآله: يا حولاء ما من امرأة تكسى زوجها إلاّ كساها الله يوم القيمة سبعين خلعة من الجنّة، كلّ خلعة منها مثل شقايق النّعمان والرّيحان ويعطى يوم القيمة أربعون جارية

ص:379

تخـدمها الحورالعين يـا حولاـء والّـذى بعثنى بـالحقّ نبيّاً ورسولاً ومبشّـراً ونـذيراً ما من إمرأة تحمل من زوجها ولـداً إلا كانت فى ظلّ الله عزّوجلّ حتّى يصـيبها طلق يكون بها بكل طلقـة عتق رقبة مؤمنة، فإذا وضـعت حملها وأخذت فى رضاعه فما يمصّ الولد مصّة من لبن أمّه الاّ كان بين يـديها نوراً ساطعاً يوم القيامة يعجب من رآها من الأولين والآخرين وكتبت صائمة، وإن كانت غير مفطرة كتب لها صـيام الدهر كله وقيامه، فإذا فطمت ولدها قال الحقّ جلّ ذكره: يا أيتها المرأة قد غفرت لک ما تقدّم من الذّنوب فاستأنفى العمل(1).

وفى الروايـة.. فقـالت أم سـلمة: يـا رسول الله صـلى الله عليه وآله ذهب الرّجال بكلّ خير فأىّ شـىء للنساء..؟ فقال عليه السـلام: بلى إذا حملت المرأة كانت بمنزلـة الصائم القائم المجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله فإذا وضـعت كان لها من الأجر ما لايدرى أحد ما هو لعظمه فإذا أرضـعت كان لها بكلّ مصّة كعدل عتق محرّر من ولد إسـماعيل. فإذا فرغت من رضاعه ضـرب ملک كريم على جنبها وقال: اسـتأنفى العمل فقد غفرلک(2).

ولادة الامام الحسن بن على عليهما السلام

اشارة

ولـد الامام الحسن عليه السـلام فى الخامس عشـر من شـهر رمضان فى المدينة المنورة، أطل عليه السـلام على دنيا الزهراء عليها السـلام فنقلها الى رحاب الامومة الواعية.. وبمولده فُتح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1- (1) (مستدرک الوسائل: ج 2 ب 47 ص 623 ح 1).

2- (2) (الوسائل: ج 15 ص 174-175 ح 1).

عالم الاحفاد الجميل فكانت الذريـة الطيبـة التى آنست النبى وابنته وتركت مفاخرها فى عالم الرسالة الخاتمة بل والانسانية جمعاء، وكانت هذه الولادة بشـرى خير باسـتمرار النسل المبارک على وجه الارض وبأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس أبترا كما تصور البعض بل هو الخالد المخلد.. وولادته عليه السـلام كانت نافذة جديدة لمتابعة الافكار التربوية فى الاسـلام وما نسفه من الافكار الخاطئة التى كانت موجودة فى الجاهلية ويمكن استقراء اهم المستجدات فى الشأن التربوى من خلال عدة زوايا منها:

1 - الاهتمام بالالوان (ثقافة اللون)

فقـد روى عن جابر أنّه قال: لمّا حملت فاطمـة بالحسن فولـدت، وقد كان النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم أمرهم أن يلفوه فى خرقة بيضاء، فلفوه فى صـفراء، فجىء به إلى النبىّ صـلى الله عليه وآله وسلم فأخذه وقبّله، وأدخل لسانه فى فيه، فجعل الحسن عليه السلام يمصّه، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم أتقدم إليكم أن لا تلفّوه فى خرقة صفراء، فدعا صلى الله عليه وآله وسلم بخرقة بيضاء فلفّه فيها ورمى بالصفراء فلمّا ولد الحسين جاء إليهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ففعل به كما فعل بالحسن عليه السلام(1).

وعن الحسن بن محمد الطوسـىّ فى الأمالى، عن أبيه، عن الحفّار، عن إسـماعيل بن علىّ الدعبلىّ، عن علىّ بن أخى دعبل، عن الرّضا، عن آبائه

1- (1) (بحارالانوارج 43 ص 240).

عليهم السّلام، عن أسماء بنت عميس، قالت: لمّا ولدت فاطمة الحسن جاء النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هاتى ابنى، فدفعته إليه فى خرقة صفراء، فرمى بها وقال: ألم أعهد إليكم ألاّ تلفّوا المولود فى خرقة صفراء ودعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها(1).

إن الألوان لها مواصفات خاصة واستفادات محددة بتعبير آخر هى كالعقاقير يجب أن تؤخذ بوصفات معينة، كما انها تعرّف بنمط الشخصية ولها تأثيرات موجبة وسالبة على الافراد، ولهذا تهتم الدراسات المعاصرة بثقافة اللون حيث تعتمد الالوان المناسبة لغرف الاطفال أو الدراسة أو المستشفيات والمحال التجارية والثياب حسب الحاجات المختلفة الى غير ذلک.

واللون الاصفر من الالوان الموجبة التى تمتاز بالشعاع المنشط والمثير فهو يرهق العين؛ لأنه لون التحذير والتنبيه ومنه كان الكارت الاصفر فى الالعاب، وهومنشط للجهاز العصبى، ولأن الطفل الوليد بحاجة اكثر الى النوم والراحة يفضل الابتعاد عن كل المنبهات بما فى ذلک اللون الاصفر. كما ان اللون الاصفر يشعر بالدفء ولعل ذلک يرجع إلى اقترانه بلون الشمس ولون النار، وهو يوحى بالضوء أكثر من غيره من الألوان، ولهذا نجد ان المستشفيات عموما لا تجعل للون الاصفر حضورا فى الاسرّة أو الثياب. كما تتميز الغالبية العظمى من الحيوانات السامة عن بقية الحيوانات الأخرى باللون الأصفرالذى يدخل فى تركيبها بشكل كبير وملفت للنظر، حيث يتوزع هذا

1- (1) (الوسائل: ج 15 ص 142 ح 15).

اللون ويحزم جسمها مثل الشريط التحذيرى تماماً وهى بهذا الامتياز الذى يمنحه لها اللون الصفر تكون قادرة على بث الرعب والخوف فى نفوس الحيوانات التى تهاجمها.

وعادة مايكون هناك تشاؤم إذا كان وجه الانسان أصفر فهو علامة على المرض وربما جاء الرمز من سقوط الاوراق الخريفية الصفراء من الشجرة دلالة على موتها ولهذا فكل شىء غير صحى يوصف بالاصفر! فالحسد والحقد والغيرة كلها تأتى مع الوصف الاصفر ونقول فى لغاتنا الدارجة (وجهه اصفر) دلالة على لؤمه!! وذكر بعضهم ان وصف البقرة فى قصة أصحاب موسى بأن لونها أصفر فاقع يعود الى علاقة اللون الاصفر بالذهب وكان فيما بعد أن صاحبها باعها بملء جلدها ذهباً!!.

وقد طلب جماعة من السكان فى احدى المدن من صاحب إحدى البنايات الشاهقة أن يطلى بنايته بغير اللون الأصفر؛ لأن هذا اللون يزعجهم ويجلب إليهم المرض، فلم يبال الرجل بالشكوى، ولم يعر المتذمرين أدنى اهتمام فلم يكن منهم إلا ـ أن رفعوا عريضة إلى المجلس البلدى يبسطون فيها القضية ويطالبون بإزالة اللون الأصفر، فنقص عدد الذين يصابون بالتقيؤ بمعدل خمسين فى المائة!!.

ويستعمل اللون الاصفر لمعالجة حالات الوهن العصبى، ويصلح للاستعمال فى غرفة معتمة، الا انه لايمكن استعماله فى الطائرات، لأنه يسبب الغثيان والتقيؤ لذلك تم استبعاده فى الطائرات!! ومنه ايضا الاشارة الصفراء

ص:383

فى أنظمـة المرور التى تعنى الانتباه للتغيير، واللون الأصـفر ينشط الدماغ ويقوى العقل.. وارتداء الملابس الصـفراء من شأنه تحفيز الإبداع وتصفية الذهن وبخاصة أثناء الإصابة بالتوتر النفسى.

امـا اللون الأـبيض فهو لون نقى ويرتبـط بالإضـاءة والجودة والنقـاء.. وهو أكثر الألوان راحـة للنفس. وهو لون يجلب الراحـة والسـلام وله دلالات ومفاهيم عديـدة.. وله صـلة بالمستشـفيات.. ومن خصائص اللون الأبيض قدرته على خفض قوة تأثير أى لون إلى جانبه. وهو نافع فى علاج حالات الاصـفرار عنـد الاطفال حديثى الولادة. ونرى ان ثياب العروس بيضاء وكذلك الاكفان وثياب الحجيج والمصـلين دلالة على الطهر والنقـاء وربما اسـتدل على ذلك لقـدرة اللون الابيض على كشف الملوثات وربما يعود الامر الى ارتباطه بالنور والاشـراق، قال تعالى:

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمـانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَتِ اللّهِ هُمْ فِيها خالِدُونَ. تِلْکَ آياتُ اللّهِ نَتْلُوها عَلَيْکَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعالَمِينَ» 1 .

وفى تعابيرنا الدارجة (قلبه أبيض) دلالة على صفاء السريرة.

على هذا فاللون الاصفر غير مناسب للاطفال حديثى الولادة؛ لانه يضاعف حالات التقيؤ ويقلل مدة النوم.

ص:384

2 - قراءة الأذان

عن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلى، عن السّكونى، عن أبى عبدالله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ولد له مولود فليؤذّن فى أذنه اليمنى بأذان الصّلاة، وليقم فى أذنه اليسرى فإنها عصمة من الشيطان الرّجيم(1).

وعن الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: إنّ النبى صلى الله عليه وآله أذّن فى اذن الحسين عليه السلام بالصّلاة يوم ولد(2).

وفى الحديث:.. وأذن فى أذنه (الحسن) اليمنى، وأقام فى اليسرى، وحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره ورقاً (أى فضة)(3).

ان اول كلام يدخل اذن الوليد هو الأذان كما أن آخر كلام يدخل اذن المحتضر والميت هو الأذان وما كان ذلک الا لما لهذا التلقين من اثر مهم على الانسان نفسه، فالأذان يهزم الشيطان ويرسخ الصورة الاولية عن عقائد الاسلام ويفتح المجارى السمعية. فكأن الأذان فى اذن الوليد وسيلة لتقديم دعوة الاسلام الى الاولاد قبل أن يبدأ الشيطان بالنزغ.

يعلق السيد العاملى فيقول رحمه الله:

1- (1) (الوسائل: ج 15 ص 136 ح 1).
2- (2) (البحار: ج 104 ص 112 ح 21).
3- (3) (بحار الأنوار ج 101 ص 111، مناقب آل أبى طالب ج 3 ص 189).

إن السـنن التى أجراها رسول الله "صـلى الله عليه وآله" حين ولـد الإمام الحسن "عليه السـلام" قد حملت معها أروع الدلالات، ولا سـيما لجهـة إعلام الناس كلهم: أن عليهم أن لا يعتبروا المولود، ولو فى ساعاته الأولى بمثابة الجماد الخالى من أى شـعور أو إدراك. بل هو يتأثر بالأصوات، وبالكلام الذى يسمعه، ويتفاعل بمعانيه، بالنحو وبالمستوى المناسب لحاله وقت ولادته..

كمـا أن للحالاـت التى تحيـط به، وللأفعال التى تمارس بالقرب منه آثارها عليه سـلباً أو إيجاباً، بحسب اختلاف طبيعـة تلك الممارسات، ووفق ما تكون عليه تلك الحالات.

وللطفل علاقات بـذلک كله.. تتناسب مع عالمه الذى يعيش فيه، والقدرات المتوفرة لديه، والحالات التى هو عليها وذلک كله يوضح لنا أن الأذان فى الأذن اليمنى والإقامة بالأذن اليسـرى للمولود لم يكن عبثاً، ولا كان مجرد مراسم تجرى لنيل بركة الألفاظ وثوابها، بل هى أعمال لها آثار حقيقيـة، على روح وعقل، ونفس وشخصـية المولود.. وإن لم نسـتطع تحديد هذه الآثار، بسـبب محدودية المعارف التى نملكها، وعجز الوسائل المتوفرة لدينا..(1)

فالأذان تنفير للشيطان الذى يكون قد تأهب لولادة الوليد لكى ينفث فيه من وساوسه وهمزاته فيأتيه صوت الأذان رادعا طاردا له.

وفى الحديث.. ان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم قال لعلى (ياعلى اذا ولد لک غلام أو جارية فأذن فى أذنه اليمنى وأقم فى اليسرى فإنه لا يضره

1- (1) (العاملى، فى كتابه الصحيح من سيرة الامام على ج 3 ص 85).

الشيطان ابدا)(1).

ويذكر ان احد الصابئة نشأ مُحبا للاسلام ومن ثم أعلن إسلامه مما أثار تعجب المقربين والاصدقاء ولما سألوا عن سبب حبه للاسلام قالت امه انه لما ولد جاء جارهم لزيارته وكان مسلما وعالما وقرأ الأذان فى اذنه!!.

3 - الاسم الحسن

كان اهل الجاهلية يسمون أولادهم بالأسماء القاسية أو التى فيها علامات القوة أو التشبه بالسباع لبعث الاحساس بالقوة والغلبة، فى حين كانوا يسمون عبيدهم بالاسماء الهادئة والمريحة والباعثة على الراحة؛ وذلك لأنهم كانوا اهل حرب وغارات، فأما أسماء أولادهم فكانت حرب وصخر وحنظلة وكليب، واما اسماء عبيدهم فكان رباح وميسرة وغير ذلك فجاء الاسلام ليؤكد على اهمية التسمية بل جعلها حق الطفل على ابيه..

فى الحديث: جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسأله عن حق ولده فقال صلى الله عليه وآله وسلم: تحسن اسمه وادبه وضعه موضعا حسنا(2).

وعن محمّد بن يعقوب، عن أبى علىّ الأشعرى، عن محمد بن عبدالجبّار، عن صفوان، عن أبى بصير، عن أبى عبدالله عليه السلام فى المولود، قال: يسمّى فى اليوم السابع ويعقّ عنه ويحلق رأسه ويتصدّق بوزن

1- (1) ابن شعبة الحرانى تحف العقول ص 14.

2- (2) (الكلينى، الكافى ح 6 ص 18).

شعره فضّة، ويبعث الى القابلة بالرّجل مع الورک ويطعم منه ويتصدّق(1).

وفى الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام اول ما يبر الرجل ولده ان يسميه بالاسم الحسن فليحسن احدكم اسم ولده(2).

ولما ولد الحسن عليه السلام سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الاسم ففى الروايات:.. ان فاطمة لما ولدت الحسن جاءت به الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقالت ما احسنه يارسول الله؟ فسماه حسن. ولما ولدت الحسين قالت هذا احسن من هذا فسماه حسينا(3).

عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن على بن الحسين عليهم السلام عن أسماء بنت عميس قالت: قبلت جدتک فاطمة عليها السلام بالحسن والحسين عليهما السلام فلما ولد الحسن عليه السلام جاء النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هاتى ابنى فدفعته إليه فى خرقة صفراء، فرمى بها النبى صلى الله عليه وآله وقال: ياأسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود فى خرقة صفراء، فلففته فى خرقة بيضاء ودفعته إليه فأذن فى اذنه اليمنى وأقام فى اليسرى ثم قال لعلى عليه السلام: بأى شىء سميت ابنى؟ قال: ما كنت أسبقک باسمه يارسول الله.. فقال النبى صلى الله عليه وآله: ولا أسبق أنا باسمه ربى.

ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العلى الاعلى يقرئک

1- (1) (الوسائل: ج 15 ص 149 ح 1).

2- (2) نفس المصدر.

3- (3) (دلائل الامامة: 60).

السلام ويقول: على منک بمنزلة هارون من موسى ولا نبى بعدک سم ابنک هذا باسم ابن هارون قال النبى صلى الله عليه وآله: وما اسم ابن هارون؟ قال: شبر، قال النبى صلى الله عليه وآله لسانى عربى قال جبرئيل عليه السلام: سمه الحسن.

قالت أسماء: فسماه الحسن فلما كان يوم سابعه عق النبى صلى الله عليه وآله عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا ودينارا وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى رأسه بالخلوق (نوع من الطيب) ثم قال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

قالت أسماء: فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاءنى النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا أسماء هلمى ابنى، فدفعته إليه فى خرقة بيضاء فأذن فى اذنه اليمنى، وأقام فى اليسرى، ووضعه فى حجره فبكى، فقالت أسماء: قلت: فداک أبى وامى مم بكاؤک؟ قال: على ابنى هذا قلت: إنه ولد الساعة يارسول الله صلى الله عليه وآله فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدى لا أنالهم الله شفاعتى.

ثم قال: يا أسماء لا تخبرى فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته ثم قال لعلى عليه السلام: أى شىء سميت ابنى؟ قال: ما كنت لأسبقک باسمه يارسول الله فقال النبى صلى الله عليه وآله ولا أسبق باسمه ربى عزوجل.

ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يامحمد العلى الاعلى يقرئک السلام، ويقول لک: على منک كهارون من موسى، سم ابنک هذا باسم ابن

هارون قال النبی صـلی الله علیه وآله وما اسم ابن هارون؟ قال: شبیر قال النبی صلی الله علیه وآله: لسانی عربی قال جبرئیل: سمه الحسین فسماه الحسین(1).

یقول المؤرّخون: «لم تکن العرب فی جاهلیتها تعرف هذین الاسـمین حتّی تُسمِّی أبناءهم بهما، وإنّما سمّاهما النبی (صلی الله علیه وآله) بهما بوحی من السماء.

والاسم الحسن یعزز الشـعور بالثقـة عنـد صاحبه ویزید من شـعوره بالکرامة فی حین ان الاسم الوضـیع أو الاسـماء المرتبطة بشخصـیات یمقتها التاریخ تعزز الشعور بالوضاعة والحقارة.

4 - الشکر علی سلامة الولد والدعاء له

عن البراء بن عازب قال: رأیت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حاملاً الحسین بن علی علی عاتقه وهو یقول: اللهم انی أحبه فأحبه(2).

کانَ عَلیُّ بْنُ الْحُسَیْنِ - عَلَیْهِ السَّلامُ - اذا بُشِّرَ بِوَلَدٍ لَمْ یَسْأَلْ أَذَکَرٌ هُوَ امْ انْثَی بَلْ یَقُولُ أَسَویٌّ فَاِذا کانَ سَویّاً) قالَ: الْحَمْدُ لِلّه الَّذی لَمْ یَخْلُقهُ مُشَوَّهاً(3).

وعن ابن عباس قال: کان النبی (صلی الله علیه وآله) یُعوّذ الحسن

1- (1) (بحار الأنوار، ج 43، ص: 237).
2- (2) (ابن الصباغ المالکی، الفصول المهمة فی معرفة احوال الأئمة، منشورات الاعلمی / ص 171).
3- (3) «مکارم الاخلاق، ص 119».

والحسين عليهما السلام فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، ثم يقول: هكذا كان يعوذ إبراهيم بنيه إسماعيل و إسحاق(1).

وقال ابن شهر آشوب: جاء فى اكثر التفاسير انّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يعوّذهما بالمعوذتين ولهذا سمّيت المعوذتين(2).

وقد نهى النبى صلى الله عليه - وآله - وسلم عن الدعاء على الأولاد والأموال والأنفس، خشية أن يوافق ساعة إجابة، فقال صلى الله عليه - وآله - وسلم: (لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لا تُوَافِقُوا مِنْ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ)(3).

ويقول تعالى على لسان نبيه ابراهيم الخليل عليه السلام:«وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ»4 .

أما عباد الرحمن فيقولون:«رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً»5 .

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى هذا الخصوص: «أيّما رَجلٍ دعا على ولده أورثه الفقر(4).

1- (1) (ينابيع المودة ج 2 ص 44، ذخائر العقبى ص 133، 134، تذكرة الخواص ص 177).
2- (2) (المناقب 384:3، عنه فى البحار 282:43، ح 49).
3- (3) رواه مسلم (3014).
4- (6) (بحار الأنوار 99:104).

وقد سُئل الزمخشری عن سبب قطع رجله فقال: أمسکت عصفوراً فی صبای وربطته فی رجله، وأفلت من یدی ودخل فی جحر بین حجرین فجذبته فانقطعت رجله. فتألمت أمی وقالت: قطع الله رجلک کما قطعت رجله. فلما رحلت إلی بخاری لطلب العلم سقطت من الدابة فانکسرت رجلی وقطعت، وکان یمشی برجل من خشب.

وفیما یروی عن الفضیل بن عیاض انه کان یأمل فی ان یکون ولده واسمه (علی) صالحا تقیا ولکن الامر صعب علیه فکان یدعو له فقال:

اللهم إنی اجتهدت أن أؤدب علیا فلم اقدر علی تأدیبه فأدبه لی.

فاصبح الولد اماما فی العلم والزهد وقال عنه البعض انه کان افضل من ابیه فی ورعه وتقواه.

5 - العقیقة

.. قالت أسماء: فسماه الحسن فلما کان یوم سابعه عق النبی صلی الله علیه وآله عنه بکبشین أملحین وأعطی القابلة فخذا ودینارا وحلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلی رأسه بالخلوق (نوع من الطیب) ثم قال: یا أسماء الدم فعل الجاهلیة.

ثم قال لعلی علیه السلام: أی شیء سمیت ابنی؟ قال: ما کنت لأسبقک باسمه یارسول الله فقال النبی صلی الله علیه وآله ولا أسبق باسمه ربی عزوجل.

ص:392

ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يامحمد العلى الأعلى يقرئک السلام، ويقول لک: على منک کهارون من موسى، سم ابنک هذا باسم ابن هارون قال النبى صلى الله عليه وآله وما اسم ابن هارون؟ قال: شبير قال النبى صلى الله عليه وآله: لسانى عربى قال جبرئيل: سمه الحسين فسماه الحسين.. فلما كان يوم سابعه عق عنه النبى صلى الله عليه وآله بكبشين أملحين، وأعطى القابلة فخذا ودينارا ثم حلق رأسه، وتصدق بوزن الشعر ورقا وطلى رأسه بالخلوق، فقال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

وكان اهل الجاهلية يعقون عن أولادهم ولكن يقومون بمسح وجه الطفل بدم الذبيحة فنهى الاسلام عن ذلک(1).

وفى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام عق النبى عن نفسه بعد ما جاءته النبوة وعق عن الحسن والحسين عليهما السلام كبشين(2).

وفى العقيقة فوائد كثيرة منها اعلان الفرح والسرور بقدومه وهى كناية عن الكرم والجود، ولأنها توزع على الملأ بطرائق شتى فهى اعلان صريح عن نسبه بأنه ولد لفلان هذا مولود، كما أنها تسهم فى دفع الآفات والمصائب عنه بعيدا.

عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن الحسن، عن عمرو ابن سعيد، عن مصدق بن صدقة، عن عمار بن موسى الساباطى، عن أبى

1- (1) (بحار الأنوار ج 43، ص: 237).

2- (2) (الحر العاملى وسائل الشيعة ج 15 ص 145).

عبد الله عليه السلام قال: كل مولود مرتهن بعقيقته(1).

وعنه عن أبى على الاشعرى عن محمد بن عبدالجبار عن صفوان عن عبدالله بن بكير قال: كنت عند أبى عبدالله عليه السلام فجاء رسول عمه عبـد الله بن على فقال له: يقول لک عمک انا طلبنا العقيقـة فلم نجـدها فما ترى نتصدق بثمنها؟ قال: لا إن الله تعالى يحب الإطعام وإراقة الدماء(2).

6 - مداراة النفساء

فى الحديث... فقالت أسـماء: قلت: فداک أبى وامى مم بكاؤک؟ قال: على ابنى هذا!. قلت: إنه ولد الساعة يارسول الله صـلى الله عليه وآله فقال: تقتله الفئة الباغية من بعدى لا أنالهم الله شفاعتى.

ثم قال: يا أسماء لا تخبرى فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته(3).

ان ولادة الطفل تمثل واحـدة من محطات السـعادة الاساسـية للوالـدين وربما أجملها، كما وتعـدّ مرحلة النفاس مرحلة حساسة من خلال سلسـلة التغيرات النفسـية والجسدية والهرمونية التى تحصل للام إضافة الى التغيرات الأسرية فى دخول مولود جديد الى هذه الاسرة، وكثير من النساء يصـبن باكتئاب مابعد الولادة من خلال هذه التغيرات من ناحية وبسبب التخوف من أن تكون المرأة إما غير ناجحة أو الخوف من صعوبات التربية، ولحساسية هذه المرحلة فالنفساء

1- (1) (الكافى، الشيخ الكلينى، ج 6، الصفحة 25).

2- (2) (الطوسى التهذيب ج 7 ص 437).

3- (3) (التويسركانى مسند فاطمة ص 253 نقلا عن الوسائل).

بحاجـة الى رعايـة الغير ومسانـدتهم لها من اجل اجتياز هـذه المرحلـة، ولذلک فالانباء غير السارة والصدمات والاحداث غير المتوقعة قد تضاعف من حـدة مشاعر الاحباط ومن حالـة الاكتئاب، وقـد ينعكس الحال على إرضاعها لوليـدها وبخاصـة فى الساعات الاولى وقد بدأ الطفل الوليـد للتو يلقم ثـدى امه؛ إذ إنه عن طريق الرضاعة تنتقل الانفعالات النفسـية الى الرضع مما يكون له اثر سـيئ عليهم. كما تحتاج النفساء الى الراحة والنوم بعد مشـقة الولادة فالقلق والتعب يثبط افراز الحليب.. وأحد أهم أركان الرعاية السـليمة والصحية تكون بعدم نقل الاخبار غير السارة أو التعريف بالامور المحزنة ومن هنا جاءت توصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يخبروا الزهراء عليها السلام عما سيجرى على ولدها ولكنها اعلمت بالامر بعد ذلک اى بعد تخطى هذه المرحلة.

عن محمد بن يعقوب، عن عدة من أصـحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عدة من أصـحابه، عن على بن أسـباط، عن عمه يعقوب بن سـالم رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السـلام قـال: قال رسول الله صـلى الله عليه وآله: ليكن أول ما تأكله النفساء الرطب فان الله قال لمريم: "وهزى إليک بجذع النخلة تساقط عليک رطبا جنيا" قيل:

يا رسول الله فإن لم تكن أيام الرطب قال: سبع تمرات من تمر المدينة، فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم، فإن الله عز وجل يقول:

وعزتى وجلالى وعظمتى وارتفاع مكانى لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاما إلا كان حليما "حكيما - خ ل" وإن كانت جارية كانت

حليمة(1).

بيـد أن الحال بالنسـبة لمريم عليها السـلام أنه أمرها بهز النخلـة وهو امر شاق على المرأة العادية فكيف بامرأة مشـرفة على الولادة؟! اذ كان الامر تسـلية خاطر ومحاولة لإشـغال الذهن بما يُنسـى المخاوف حيث سـتبدأ حرب قاسية مع القوم وسيهاجمها الجميع بعد ولادة عيسى عليه السلام من غير أب.

الأصول التربوية عند الزهراء عليها السلام

اشارة

بيت الزهراء عليها السـلام هو أول مدرسة إسـلامية لتنشـئة الجيل الصالح وقد كانت هناك عدة اسس تربوية وقواعد اعتمدتها عليها السلام فى تنشئة الجيل الصالح ومن أهم هذه الأسس:

1 - التكريم: وقد مررنا على التكريم كأحد أسس نجاح العلاقة الزوجية، وقد أشار القرآن الكريم الى تكريم الانسان لأنه إنسان حيث قال:

«وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً»2 .

وأشار القرآن الى خلقة الإنسان فى أحسن تقويم قال تعالى:«لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»3 .

وقال تعالى:«وَ مَنْ يُهِنِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ» (الحج 18).

1- (1) (وسائل الشيعة، الحر العاملى، ج 15، الصفحة 134).

وقد اهتم الاسلام كثيرا بتعزيز الشعور بالكرامة عند الصغار حتى وان كانوا اجنة فالجنين (بعد ولوج الروح فيه) يرث ويُصلى عليه اذا مات ويدفن حسب الشريعة الاسلامية! كما ويوصى الاسلام باحترام الصبيان والاطفال ورعايتهم، ومن البديهى ان الطفل اذا ماشعر انه انسان مكرم محترم فانه يعتز بنفسه واسرته ودينه ويكون ذلک سبباً لخلاصه من عقد كثيرة اهمها عقدة الحقارة، مع اننا نجد بعض الامهات والآباء يتبعون احياناً أساليب خاطئة تزرع عندهم هذه العقدة – بدل ان تخلصهم منها – كنعت الطفل بأسماء الحيوانات أو تعمد اهانته امام الغير أو تحقيره أو تذكيره بأمور سابقة خاطئة قام بارتكابها ناسين انه مازال طفلا ليس اكثر!! وهذه الامورتحبط عنده الشعور بالكرامة فيحاول التعويض عنها مستقبلا اما بالانقياد للعصابات والمنحرفين الذين يعطون معنىً مشوها للكرامة أو بتحويله الى انسان ضعيف ذليل خانع غير قادر على اتخاذ رأى أو قرار.

ولهذا نجد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكرم الزهراء عليها السلام سواء اكان هناک اناس حاضرون ام لا، ففى الروايات (وكانت الزهراء اذا دخلت على النبى صلى الله عليه وآله وسلم قام اليها فقبلها فاجلسها فى مجلسه(1) لم يكتف بأن يقبلها بل يجلسها فى مجلسه!!.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: اكرموا اولادكم وأحسنوا ادبهم، يُغفر لكم(2).

1- (1) (البحار الانوار ج 43 ص 285)

2- (2) (مكارم الاخلاق: ج 1 ص 478 ح 1651، البحار ج 104 ص 95 ح 44).

قال الحموینیّ مسنِداً خبرَه إلی ابن عبّاس أنّه قال: لمّا وُلد الحسین بن علیّ أوحی الله عزّوجلّ إلی «مالک» خازن النار أن أخمِدِ النیران علی أهلها؛ لکرامة مولود وُلد لمحمّدٍ فی دار الدنیا(1).

وروی أنّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم کان یصلّی یوماً فی فئة والحسن صغیر بالقرب منه، فکان النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم اذا سجد جاء الحسین فرکب ظهره ثم حرّک رجلیه، وقال: حل حل، فاذا أراد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أن یرفع رأسه أخذه فوضعه الی جانبه، فاذا سجد عاد علی ظهره وقال: حل حل، فلم یزل یفعل ذلک حتی فرغ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم من صلاته. فقال یهودیّ: یا محمد إنکم لتفعلون بالصبیان شیئاً ما نفعله نحن فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: امّا لوکنتم تؤمنون بالله ورسوله، لرحمتم الصبیان. قال: فإنّی أؤمن بالله ورسوله. فأسلم لما رأی کرمه صلی الله علیه وآله وسلم مع عظم قدره(2).

وروی أنّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم مرّ علی بیت فاطمة علیها السلام فسمع الحسین یبکی، فقال: ألم تعلمی أنّ بکاءه یؤذینی(3).

وعن أبی هریرة: خرج رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ومعه الحسن والحسین هذا علی عاتقه، وهذا علی عاتقه، وهو یلثم هذا مرّة وهذا مرّة حتی انتهی الینا فقال له رجل: یا رسول الله صلی الله علیه وآله

1- (1) (فرائد السمطین الحموینی 2:152).

2- (2) (بحار الانوار ج 43 ص 296).

3- (3) (بحار الانوار ج 43 ص 295).

وسلم انّک لتحبّهما؟ فقال: من أحبّهما فقد أحبّنی، ومن أبغضهما فقد أبغضنی(1).

وکلما شعر الطفل أنه انسان مکرم وأنه ذو مکانة محترمة کلما سعی للحفاظ علی هذه المکانة واحترامها کی لا یفقد قیمته لدی الآخرین ولهذا نجد التوصیات الاسلامیة تقوم علی امور عدیدة منها:

اظهار الحب للاولاد والسلام علیهم والتصابی معهم ففی الحدیث عن الإمام الرضا علیه السلام عن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم:

خمس لا أدعهن حتی الممات.. والتسلیم علی الصبیان لیکون سنة من بعدی(2). وفی ترقیص الزهراء علیها السلام لولدها تطالبه بأن یشبه أباه فهنا یشعر الطفل بالکرامة والفخر بأن له أباً کهذا موضع افتخار الکل.. فالزهراء علیها السلام کانت تلاعب الحسن علیه السلام وتقول:

أشبه أباک یا حسن واخلع عن الحق الرسن

واعبد إلهاً ذا منن ولا توالِ ذا الإحن

وقالت للحسین علیه السلام:

أنت شبیه بأبی لست شبیهاً بعلی(3)

ولقد نشأ أولاد الزهراء علیها السلام جمیعهم علی العز والکرامة

1- (1) (بحار الانوار ج 43 ص 281).

2- (2) (وسائل الشیعة ج: 12 ص: 62 رقم 15651)

3- (3) (عوالم العلوم 58:16)

ورفض الظلم وكانوا كلهم ابطالا اسوداً فی ساحات الوغی سواءٌ الـذكور ام الاناث فمانقوله عن بطولة الامام الحسـين عليه السـلام واباءه هو نفس مانقوله عن شجاعة السيدة زينب عليها السلام و إبائها.

وفی رواية التوريث تقول الزهراء لرسول الله صـلی الله عليه وآله وسـلم: هذان ابناک فورثهما شيئاً قال صلی الله عليه وآله وسلم اما الحسن فله هيبتی وسؤددی واما الحسين فله جرأتی وجودی(1).

تُری الا يكفی لأی طفل ان يشـعر بالسعادة والكرامة حينما يُعلم انه يرث من الرسول صلی الله عليه وآله وسلم شمائله، بل ان الرسول يورثه شيئا؟!.

وعن سـلمان الفارسـی المحمدی قال: كان الحسين عليه السلام علی فخذ رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وهو يقبله ويقول: انت سيد ابن السادة ابو السادة، انت الامام ابو الائمة، انت الحجة ابن الحجة ابو الحجج التسعة من صلبک وتاسعهم قائمهم(2).

ونجد فی سيرهم التربوية ما يشير الی احترام الصغار وتكريمهم فعن الامام الحسن عليه السلام انه دعا بنيه وبنی اخيه فقال: انكم صغار قوم ويوشک ان تكونوا كبار قوم آخرين فتعلموا العلم فمن - لا - يستطع منكم ان يحفظه فليكتبه وليضعه فی بيته(3).

1- (1) (الهيثمی مجمع الزوائد 9:185).

2- (2) (البحار ج 43 ص 295).

3- (3) (كنز العمّال المتقی الهندی، 339/5، البحار، 152/2 ح 37).

وعن المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «الحسن والحسين ابناى من أحبّهما أحبّنى، ومن أحبّنى أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضنى، ومن أبغضنى أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار».

وقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبة له اذ اقبل الحسين عليه السلام نحوه متعثراً فسارع النبى يقطع خطبته ليلتقط ابنه (الحسين) القادم نحوه ويرفعه معه على منبره(1) كلّ ذلک ليدلّ على منزلته ودوره الخطير فى مستقبل الأُمّة.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدخل فى صلاته حتى إذا سجد جاء الحسين عليه السلام فركب ظهره وكان يطيل السجدة فيسأله بعض أصحابه: انک يا رسول الله سجدت سجدة بين ظهرانى صلاتک أطلتها حتى ظننا انه قد حدث أمر أو انه يوحى إليک فيقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: "كل ذلک لم يكن ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط)(2).

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب

1- (1) [مسند أحمد 354/5، وصحيح الترمذى 616/5 ح 3774.]

2- (2) (صحيح الترمذى/ ج 2 /ص 307).

اهل الجنة وابوهما خير منهما(1).

وروى عن أبى بكر قال: سـمعت النبىّ صـلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرّة وإليه مرّة، وقال: انّ ابنى هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين(2).

وكان امير المؤمنين يقول للحسن والحسـين عليه السـلام: انتما امامان بعقبى، وسـيدا شـباب اهل الجنة، والمعصومان، حفظكما الله ولعنة الله على من عاداكما(3).

ومن البديهى ان كلمات التقدير والاحترام والنعت بالصفات الجيدة تضاعف ثقة الطفل بنفسه وتعزز الشعور عنده بكرامته فيراعى سلوكه كى يحتفظ بنعوتات التقـدير وكلما ازداد اعتزاز الطفل بـذاته وهويته كلما شـعر بالكرامة اكثر، ويمكن الاسـتفادة من اساليب بيان النعم الكثيرة للانسان ليعرف مقـدار كرامته عنـد الله تعالى الذى خلقه بأحسن تقويم وسـخر له مافى الكون جميعا مع قصور الانسان عن تقديم الشـكر اللائق بالله تعالى، اضافة الى اسلوب التغافل عن الاخطاء غير المؤثرة فالملامة الزائدة والتذكير بالخطأ يقلل من الشعور بالكرامة والعزة.

عن محمد بن على عليهما السلام أنه قال: أذنب رجلٌ ذنبا فى حياة رسول الله فتغيب حتى وجد الحسن والحسين فى طريق خال فأخذهما

1- (1) (البحار ج 43 ص 281 (.

2- (2) (البحار ج 43 ص 305).

3- (3) (المصدر نفسه ص 265).

فاحتملهما على عاتقيه وأتى بهما النبى فقال: يا رسول الله انى مستجير بالله وبهما، فضحک رسول الله حتى رد يده إلى فمه ثم قال للرجل: اذهب وأنت طليق، وقال للحسن والحسين: قد شفعتكما فيه اى فتيان، فأنزل الله تعالى:«وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً» 1 .

1 - العدل

الاسرة هى المحيط الاول لبسط العدالة الداخلية ولغرسها فى وعى وذاكرة الطفل، ومن هنا كانت دعوة الاسلام الى التعامل بمساواة مع الاولاد وعدم اظهار التفاضل بينهم لاى سبب كان، وهذا ما نجده فى اقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام. ان العدالة بين الاولاد تعزز الشعورعندهم بأن لهم جميعا مكانة عند الآباء والامهات وبهذا لا يشعرون بفوقية احد من الاخوة على الآخر فيتعمق الاحساس بالمساواة، وحينما تغيب العدالة فإن الاولاد يشعرون بالغبن وبالظلم.. وأن الآباء غير العادلين يؤسسون لهذه التصورات عند الابناء منذ الطفولة وقد يمهد هذا التمييز بين الاولاد الى طغيان الطرف المفضل والذى يحاول الاستفادة من موقعه الخاص من والديه لتحصيل امتيازات معينة الامر الذى يُشعر باقى الاخوة والاخوات بالانكسار ويقوى عقدة الحقارة عندهم مما يشجعهم على البحث عن اطراف اخرى - خارج محيط الاسرة - يجدون عندها العدل

والمحبة والاحترام (ولو بشكل صورى) وهذه بداية الضياع والانحراف - والعياذ بالله -.

فى الحديث: نظر رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم الى رجل له ابنان فقبل أحدهما وترک الآخر فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهلاّ ساويت بينهما(1).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: اعدلوا بين أبنائكم كما تحبون ان يعدلوا بينكم فى البر واللطف(2).

و ايضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم: ساووا بين اولادكم فى العطية، فَلو كُنْتُ مُفضِّلاً أحَداً لَفَضَّلتُ النِّسَاء.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ اللهَ تَعالى يُحِبُّ أن تَعدِلوا بَينَ أولادِكُم حَتَّى فى القُبَلِ.

يقول عالم النفس الامريكى جاک بريـد: ان من اكبر الاخطاء التى يرتكبها الوالـدان هو مقارنة الاطفال مع بعضـهم فالطفل اذا شـعر بتفوق اخيه يشـعر بالهزيمة المُرة ومن ثم يختزن احزانه وآلامه فى عقله الباطن وهذه الاحزان تتحول الى شـعور بالنقص فيحقد على أشقائه وعلى المجتمع ويميل للعزلة احيانا والبكاء احيانا اخرى وهذه الظاهرة تسمى بالانفجار النفسى(3).

قال الامام العسكرى عليه السلام:.. ثم تناول رسول الله صلى الله

1- (1) (الطبرسى / مكارم الاخلاق / ص 321).
2- (2) (الكاشانى، المحجة البيضاء، ج 2، ص 46).
3- (3) (د. محمد رفعت، قاموس الطفل الطبى).

عليه وآله وسلم الحسن بيمينه والحسين بشماله، فوضع هذا على كاهله الأيمن وهذا على كاهله الأيسر، ثم وضعهما على الأرض، فمشى بعضهما إلى بعض يتجاذبان، ثم اصطرعا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: للحسن ايها أبا محمد، فيقوى الحسن، فيكاد يغلب الحسين، ثم يقوى الحسين فيقاومه.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله أتشجع الكبير على الصغير؟

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة اما ان جبرئيل وميكائيل كلما قلت للحسن: أيها أبا محمد، قالا للحسين، "أيها أبا عبدالله" ،فلذلک قاما وتساويا.

أما إن الحسن والحسين لما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيها أبا محمد، ويقول جبرئيل، أيها أبا عبدالله، لو رام كل واحد منهما حمل الأرض بما عليها من جبالها وبحارها وتلالها وسائر ما على ظهرها لكان أخف عليهما، من شعرة على أبدانهما، وإنما تقاوما لأن كل واحد منهما نظير الآخر.

هذان قرتا عيني، وثمرتا فؤادي، هذان سندا ظهري، هذان سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، وأبوهما خير منهما، وجدهما رسول الله خيرهم أجمعين(1).

وقال على عليه السلام زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1- (1) (البحار / ج 39 / ص 10).

وبات عندنا فاستسقى الحسن عليه السلام فتناول الحسين عليه السلام قربة لنا فجعل يعصرها فى القدح ثم جاء يسقيه فناول الحسن فتناول الحسين ليشرب فمنعه وبدأ بالحسن فقالت فاطمة: يارسول الله كأنه أحبهما إليک؟ قال: انه استسقى أول مرة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انى وهذين وهذا الراقد يعنى علياً يوم القيامة فى مكان واحد(1).

إن المفاضلة بين الاولاد تؤدى الى استعار نار الحقد والبغض بين الاولاد مع بعضهم وربما يزداد الحال سوءاً فيتجه البغض نحو الآباء أنفسهم.

وإحدى آليات تحقيق العدالة فى الاسرة هو التكليف حسب الوسع فقد سمحت الشريعة للاطفال باللعب فى السبع السنوات الاولى لكنها ألزمت عليهم العبادات فيما بعد فلا تكليف دون السابعة ولا مسؤوليات شاقة.. وينبغى للآباء ان لا يحملوا سيفا بتارا على أولادهم لمجرد انهم أخطأوا اذ لابد من معرفة سبب الخطأ وعدم ظلم الاولاد بعقوبات قاسية قد تدمر حياتهم الآتية.

2 - مبدأ التدرج

كان الحسنان عليهما السلام امامين وهما سيدا شباب اهل الجنة لكنهما عاشا طفولة حلوة فهما يلعبان مع بعضهما ومع أمهما وأبيهما وجدهما، وهما يأتيان المسجد حتى فى وقت الصلاة فيقبلان الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وربما يجبرانه على اطالة السجود حينما يركبان ظهره المقدس! وهما طفلان معصومان فليس هناک ضغط من هذه الناحية بل نجد رعاية مبدأ

1- (1) (المعجم الكبير ج 3 ص 40 ح 2622، البحار ج 37 ص 86 ح 54).

التدرج فی اختصاص السنوات الاولی باللعب.

وهذا غیر ماعاشته الزهراء علیها السلام من ضیق وحرمان بسبب قساوة الظروف التی مرت بها فی مکة.

فی الحدیث عن أمیر المؤمنین علیه السلام: یُرخی الصبی سبعا ویؤدب سبعا(1).

وعن الامام الصادق علیه السلام: احمل صبیک حتی یأتی علیه ست سنین ثم أدبه وایضاً یقول الامام الصادق علیه السلام: احمل صبیک حتی یأتی علی ست سنین، ثم أدبه فی الکتاب ست سنین، ثم ضمه إلیک سبع سنین فأدبه بأدبک، فإن قبل وصلح وإلا فخل عنه (البحار: 74، 7، 1)... ان مراحل التربیة فی الاسلام هی ثلاث:

مرحلة السبع الاولی وهی مرحلة اللعب

یعرف الدکتور الزهران اللعب بأنه نشاط سار وممتع، وهو مخرج وعلاج لمواقف الاحباط فی الحیاة کما لو ضربت الام طفلها فهو یعبر عن ألمه من خلال ضربه للعبته، کما أن أغلب العاب الاطفال موضوعاتها متاعب الاطفال وهدفها التخفیف من القلق الناتج من هذه المتاعب اضافة الی کون اللعب احد الانشطة الدفاعیة التعویضیة وهو احد الاسالیب التی یعبر فیها الطفل عن نفسه ویفهم بها العالم من حوله(2) وقد عدّت الشریعة ان السنوات

1- (1) (الطبرسی مکارم الاخلاق ص 234).

2- (2) (د. حامد زهران الصحة النفسیة والعلاج النفسی ص 337)

الاولى من عمر الطفل هى سنوات اللعب فقد جاء فى الحديث:

قال صلى الله عليه وآله وسلم: الولد سيّد سبع سنين(1)...

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (دع ابنک يلعب سبع سنين..)(2).

وقال الامام الصادق عليه السلام فى تربية الابن: اتركه سبعا وادبه سبعا وصاحبه سبعا.

حيث يعد اللعب محطة تنمية واستكشاف لمواهب الطفولة واكتشاف وتعرف على المحيط، واللعب مع الطفل يعلّم الطفل الآداب الاجتماعية للعلاقات المستقبلية إضافة الى انه يعرّفه بحقوق الآخرين وينمى عنده روح المساعدة والتعاون، وهو من افضل الوسائل لتصريف فائض الطاقة بشكل ايجابى ممتع ومفيد.

ونجد أن الزهراء عليها السلام اهتمت بهذا الجانب فمن باب تقوم هى بترقيص ولديها مع استعمال الالفاظ الجميلة، كما كانت تسمح لهما باللعب فيما بينهما ومع جدهما فقد جاء فى الروايات:

وعن جابر قال: دخلت على النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره وهو يجثو لهما ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما(3).

1- (1) (بحار الانوار: ج 101 باب فضل الأولاد).

2- (2) (المصدر السابق).

3- (3) (البحار ج 43 ص 285).

وعن يعلى العامرى، أنّه خرج مع رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم الى طعام دعى اليه، فاذا بحسـين يلعب مع الصبيان، فاستقبل النبىّ صلى الله عليه وآله وسـلم أمام القوم، ثمّ بسط يـديه فوثب الصبىّ هنا مرّة وهنا مرّة، وجعل رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يضاحكه حتى أخـذه، فجعل احـدى يديه تحت ذقنه والاخرى تحت قفاه ووضع فاه على فيه وقبّله، ثمّ قال: حسـين منّى وأنا منه، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط (1).

وكان رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم يلعب الحسين والحسن عليهما السلام كما روى عن أبى هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم اخذ بيديه جميعاً بكتفى الحسن والحسـين، وقدماهما على قدم رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، وقال: ترقّ عين بقّة. قال: فرقا الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال له: افتح فاک ثمّ قبّله، ثمّ قال: اللهمّ أحبّه فإنّى أحبّه(2).

وعن أبى هريرة أيضاً قال: اصـطرع الحسن والحسـين، فقال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم ايهاً حسن، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم تقول: إيهاً حسن، وهو أكبر الغلامين، فقال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم أقول به: ايهاً حسن، ويقول جبرئيل:

1- (1) (بحار ج 43 ص 271).

2- (2) (بحار الانوار ج 43 ص 286).

ایهاً حسین(1).

وعن الرضا علیه السلام عن آبائه قال: انّ الحسن والحسین علیهما السلام کانا یلعبان عند النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم حتی مضی عامّة اللیل، ثمّ قال لهما: انصرفا الی أمّکما، فبرقت برقة فی السماء فما زالت تضیء لهما حتی دخلا علی فاطمة علیها السلام والنبیّ صلی الله علیه وآله وسلم ینظر الی البرقة، فقال: الحمد لله الذی أکرمنا أهل البیت(2).

حیث یرخی الطفل کما ورد فی حدیث امیر المؤمنین علیه السلام ای تترک له الحریة فی اللعب فلا تعطی للاولاد تکالیف بل یکفی التعریف بها، ونجد ان الزهراء علیها السلام ترسل اولادها الی المسجد فکانا یتلاعبان مع الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وکان الرسول یتصابی لهما کما مر بنا فی اطالته الرکوع والسجود فهذه هی الطفولة.. وکان بإمکان الزهراء ان تحول دون ذلک فما هو عمل الصغیرین فی المسجد وسط المصلین؟ لکن المسجد فی العهد النبوی کان اضافة الی کونه مکانا للصلاة والاجتماع کان ایضا مکانا للاستجمام فمنه والیه تقام المسابقات الریاضیة حیث یروح المسلمون عن أنفسهم من خلال الجمع الحاضر فهو احد اهم اماکن الترویح.. ثم ان الصغیرین یلتقیان بجدهما فی المسجد وعادة تذوب الطفولة فی ریاض کبار السن بالنسبة لهم ففی الروایة:

انَّ النَبِیَّ کانَ یُصَلّی یوماً فی رِفئَةٍ وَالحُسَینُ صغیرٌ بالقُرب مِنهُ فَکانَ النَبیُ

1- (1) (بحار ج 43 ص 265).

2- (2) (بحار ج 43 ص 266).

اذا سَجَدَ جاءَ الحُسَين فَرَكَبَ ظَهرَهُ ثُمَّ حَرَّکَ رِجلَيهِ وقالَ: حَل حَل، فَلم يزَل يفعَلُ ذلِکَ حَتّى فَرَغَ النبُّى مِن صَلاتِه، فَقالَ يهوُدِىٌّ: يا محمّد، انَکُّم لَتَفعَلوُنَ بالصِبّيانِ شَيئاً ما نَفعَلُهُ نَحنُ، فقالَ النبىُّ: امّا لوکنتم تؤمنون باللهِ ورَسُولِهِ لَرَحمتُم الصِبّيانَ قال: فَاِنّى اؤمَنَ باللِه وبِرَسُولِهِ فَاَسلَمَ لَمّا رأى کَرَمَهُ مَعَ عِظَمِ قَدرِهِ (1).

وأفضل الأساليب التربوية المتبعة فى هذه المرحلة هو اسلوب التلقين والاهتمام والتعريف بظواهر الامور كالحجاب والدعاء والصدقة وظاهر الصلاة كى يتعلم الاولاد.

والتلقين فى هذه المرحلة مهم والتكرار مفيد ايضاً؛ إذ إنّه يساعد على تثبيت الصورة فى الذاكرة، وكثيراً مانرى كباراً فى السن يذكرون كيف أن آباءهم كانوا قد اصطحبوهم الى العتبات المقدسة حينما كانوا صغاراً وعلموهم بهوية صاحب المرقد وفضائله مما كان له أثر كبير فى استقرار الهوية والعقيدة.

المرحلة الثانية: السبع الثانية

حيث يعلّم الطفل فى هذه المرحلة الحلال والحرام وكيفية الصلاة والعبادة وقراءة القرآن، وهى اولى سنوات الانسلاخ التدريجى من الطفولة الى الرشد وهو مانسميه بالمراهقة، وربما من هذا الباب جاء فى وصية الزهراء عليها السلام الى أمير المؤمنين بأن تكون هناک ليلة خاصة للاولاد وليلة

1- (1) (بحار الانوار - مجلد 43)

لزوجه کی یتابع امر اولاده الذین تجاوزوا مرحلة الطفولة. وهوتذکیر وتأدیب لنا اولا.

ونری أن الزهراء علیهـا السـلام کانت ترسل الحسـنین الی المسـجد وحینما یعودان تسألهما اخبار المسـجد وما نزل من آیات، وهـذه هی التربیة الدینیة للاولاد التی تعتمد مبدأ تقویة العلاقة مع المسجد والقرآن والمربی الذی هو الرسول صلی الله علیه وآله وسلم.

کمـا أن الزهراء علیها السـلام کانت تـدعو للجار قبل الـدار ویکون الـدعاء بالصوت المسـموع کی یسـمع الاولاد هـذه الکلمات فیسألون ویتساءلون وهو دلیل علی الانتباه والفطنة وهی بدایة التعلم.

3 - مرحلة الرشد

وهی مرحلـة اکتمال القوی البنائیـة والمعرفیة مع القدرة علی ادارة الامور الاقتصادیة من خلال العمل مثلا، وکذلک الامور الاجتماعیة من خلال الزواج مثلا وهی سن التکلیف لکلا الجنسین وهی مرحلة العمل والانخراط فی المجتمع.

قال تعالی:«وَ أَمَّا الْجِدارُ فَکانَ لِغُلامَیْنِ یَتِیمَیْنِ فِی الْمَدِینَةِ وَ کانَ تَحْتَهُ کَنْزٌ لَهُما وَ کانَ أَبُوهُما صالِحاً فَأَرادَ رَبُّکَ أَنْ یَبْلُغا أَشُدَّهُما وَ یَسْتَخْرِجا کَنزَهُما رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ وَ ما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِی ذلِکَ تَأْوِیلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَیْهِ صَبْراً» 1 .

ص:412

وتلعب خبرة الوالدين دوراً مهما فى التعلم واكتساب الفضائل وفى كل المراحل العمرية، وقد حرصت الزهراء عليها السلام على الاستفادة من كل الوسائل لتثبيت الفكرة رغم انهم كانوا ائمة سلام الله عليهم وكانت العصمة رداءهم ولكنها دروس للتعلم، فإنها عليها السلام كانت تصطحب ولديها الى بيت الاحزان رغم انها محطات حزن!! ولكن هذا الاصطحاب ساعد على اذكاء مظلوميتها فى النفوس وفى التعريف بنفسها من خلال اولادها، والتعريف بواقع الامة بالنسبة لاولادها كى يأخذوا الادوار المطلوبة مستقبلاً، وهى عليها السلام قد اصطحبت ابنتها زينب عليها السلام الى المسجد لمّا القت خطبتها لتكون السيدة زينب عليها السلام احد رواة الخطبة فيما بعد ولتتعلم زينب ادوارها القادمة.

4 - مبدأ الاعتدال

بمعنى انها كانت تربية وسطا «وَ كَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً» لا افراط فيها أو تفريط كما انها تربية متوازنة تعطى للدنيا ماتحتاج اليه وتبنى الآخرة كما وجدنا فى الروايات التى تتحدث عن عبادة الزهراء عليها السلام التعليمية للابناء.

يقول تعالى:«وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَيْنَ ذلِکَ سَبِيلاً» 1 .

ويقول ايضا:«وَ لا تَجْعَلْ يَدَکَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِکَ وَ لا تَبْسُطْها كُلَّ

الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً»1 .

وتأتى هذه التربية المتوازنة من الوعى والفهم الصحيح للدين حيث يقول أمير المؤمنين: لا ترى الجاهل الا مفرطا أو مُفرِطا(1).

ويقول ايضا: خير الاعمال اعتدال الرجاء والخوف(2).

ويقول ايضا: فكل تقصير مضر وكل افراط له مفسدة(3).

ونحن نحتاج الى مبدأ الاعتدال والوسطية فى كل جوانب حياتنا.. يقول امير المؤمنين: "أَلا إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفَقِيهِ الَّذِى لا يُقَنِّطُ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلا يُؤَمِّنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلا يُرَخِّصُ لَهُمْ فِى مَعَاصِى اللَّهِ، وَلا يَدَعُ القرآن رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ، لا خَيْرَ فِى عِبَادَةٍ لا عِلْمَ فِيهَا، وَلا خَيْرَ فِى عِلْمٍ لا فَهْمَ فِيهِ، وَلا خَيْرَ فِى قِرَاءَةٍ لا تَدَبُّرَ فِيهَا"(4).

والاعتدال عامل مهم فى التوجيه السليم وتحصيل الراحة النفسية.

عن يعلى بن مرة، قال: إنهم خرجوا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب فى السكة، قال فتقدم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمام القوم، وبسط يديه تحت ذقنه والأخرى فى فأس رأسه. فقبله وقال: حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً،

1- (2) (نهج البلاغة حكمة 70)

2- (3) (غرر الحكم ج 1 ص 355).

3- (4) (نهج البلاغة حكمة 108).

4- (5) (حلية الأولياء لأبى نعيم رقم الحديث: 234).

حسين سبط من الأسباط (1).

ورب قائل يقول إن الحسنين عليهما السلام ولدا رسول الله وريحانتاه وهذا امر قد يتطلب الحماية الزائدة أو التدليل!! لكن العكس هو ما نراه فنجد انهما يشاركان فى المصيبة والجوع والفقر وغيره (كما مر بنا فى نزول سورة الدهر) كما انها لم تكن تربية تفريطية فيها المنع من حضور الاماكن التى يرتادها عامة الناس كالسوق أو (السكة) اى ليست تربية قائمة على العزل الاجتماعى حيث يساعد هذا الحضور على تنمية القدرات والمهارات الاجتماعية والتعرف على الناس خاصة وانهما أماما الامة مستقبلا.. ولو نقرأ توصيات الرؤساء الى الابناء بعدم الاختلاط ب - (الطبقة الفقيرة) أو عدم دخول شوارع البؤساء لفهمنا لماذا يتعرض أبناؤهم مستقبلا حينما يلجون الحياة الاجتماعية الى ازمات وهزات قد لا يستطيعون تحملها فيلجأون الى الانتحار!! ان التربية الاسلامية التى تقول للانسان انت انسان اولا فكن ذاتك ولا تمل يمينا اوشمالا كى تحافظ على ذاتك.

ونجد مراعاة الزهراء عليها السلام واهل البيت لمتطلبات المراحل التربوية فهناك لعب فى مرحلة اللعب كما فى الرواية:

- وعن أبى هريرة قال: كنا نصلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العشاء الآخرة، فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما من خلفه أخذاً رفيقاً، ويضعهما على ظهره، فإذا عاد عادا حتى

1- (1) خصائص النسائى (ص: 37)

قضـى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال: فقمت إليه، فقلت: يا رسول الله أردهما؟ فبرقت برقة فقال لهما: الحقا بأمكما. قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما(1).

وهناک اهتمام بمتطلبات المراحل الاخرى كما فى حـديث التوريث وحـديث المحبة بل اننا نجد ان التربية الزهراوية لتبدو اكثر واقعية فهى عليها السـلام تأخـذهما الى جـدهما الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم فى لحظاته الاخيرة لحظات الموت والوداع والاحتضار والفراق.. ورب قائل يقول انهما معصومان وهذا صحيح ولكنها دروس لنتعلمها نحن.

وإذا أردنـا ان نحصـر جـلّ المشـكلات المعاصـرة فى التربيـة فهى تعود اما الى التفريط أو الافراط فنرى هناک غلواً فى جانب أو قصوراً فى جانب، وكمثال نرى اهمال الـدين على حساب الـدنيا أو تضـييق الـدين فى دائرة محدودة هى دائرة العبادات أو تكفير الآخرين لوجود اتجاه واحد من التعامل مع اهمال لقداسة الانسان المسلم وحرمته.

وقد نهى الاسلام عن التطرف والغلو والذى يمثل ابتعادا عن الوسطية..

قال تعالى:«قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَ لا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيراً وَ ضَلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ»2 .

1- (1) (الهيثمى، مجمع الزوائد، كتاب المناقب، باب فيما اشترک فيه الحسن والحسين من الفضل، ج 9 ص 181 ح 15076).

وقـال تعـالى:«يـا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِهِ وَ لا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ كَفى بِاللّهِ وَكِيلاً»1 .

5 - رعاية ظواهر الاوضاع وبواطنها

ممـا لاشـک فيه أن للامور ظواهر وبواطن فالحجاب صورة ظاهريـة ولكن لها انعكاسات معنويـة، فی حين أن الرياء صورة باطنيـة ولكن له انعكاسات باطنيـة وظاهرية.. ومن هذا المنطلق اهتمت الشـريعة بظواهر الامور من قبيل تهيئة البيئة الصالحة ومن قبيل الصـلاة والحجاب والحج ولكن هذه الامور الظاهرية لها انعكاسات باطنية وتأثيرات معنوية وهی تسهم فی تربية الفرد وتهذيب شخصيته..

وقـد أشار القرآن الى هـذا الترابط فقال:«وَ إِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الـدَّمْعِ مِمّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدِينَ»2 . وقال ايضا:«وَ ذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَ باطِنَهُ» .

ويقول تعالى مخاطبا نبيه صـلى الله عليه وآله وسلم:«يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ (3) وَ ثِيابَکَ فَطَهِّرْ (4) وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)»3 .

وهذا الاهتمام بظواهر الامور وبواطنها نجده واضحا فی التربیة الزهراویة.. فرعایة الظاهر من قبیل الارسال للمسجد واصطحابهم الی بیت الاحزان وزیارة شهداء احد والتوصیة بالنعش (الذی هو رعایة اکثر للحجاب عند الموت) فهی حالات تؤثر علی الباطن وتحیی فیه الامور المعنویة وتثبت الخوف من الله والشعور بمعیته الدائمة، فهما صغیران ولکن مجرد وجودهما فی المسجد له آثار معنویة کبیرة اضافة الی الآثار الظاهریة، ونفس الشیء یقال عن رعایة الباطن وتأثیره علی الظاهر العام والذی نجده من خلال الاهتمام بمتابعة نزول الآیات القرآنیة والدعاء والصلاة حیث تتعمد ان یکون الصوت مسموعا (لتحریک الباطن من خلال الصورة الظاهریة). کذلک زهدها علیها السلام ولباسها المتواضع مع ایثارها رغم فقرها (والذی ینبع من الذات الطاهرة) ودعائها للجار دلیل علی ذاتها السلیمة فی حبها للآخرین والدعاء لهم وهی دروس اوصلتها الی اولادها، فهذا الحسین علیه السلام بکی یوم العاشر لما رای اعداءه وهم کثرة کاثرة سیدخلون النار بسببه!.. وهذه هی الرحمة المتأصلة فی النفوس والتی تنعکس ماً حتی لمرأی الاعداء وهو یتهافتون علی نیل الدنیا من خلال استباحة دمه المقدس!

وفی لحظات وداع رسول الله نری حضور الزهراء علیها السلام مع ولدیها مطالبة بالارث المعنوی وهو درس بلیغ فالمواریث لا تکون ظاهریة أو مادیة فقط!

ص:418

ويمكن تعميق هذا الاسـلوب من خلال بيان فلسـفة الحياة والموت والبعث والتى هى من اكثر الامور التى يسأل عنها الاولاد والتأكيد على اهمية النية فى العمل، وبيان ان الدنيا مرحلة عابرة فهذه امور تسهم فى تنمية الباطن وتوجيهه نحو الغايات الربانية.

ومن خلال الاهتمام بظواهر الامور تلعب البيئة والمحيط دورا فاعلا ورئيسـيا فى التربية، ومن هنا ندرک معاناة المسلمين الذين يعيشون فى بيئات غير متناسبة مع الفكر الدينى فمشاهد الطفولة صور مؤثرة على البناء الذاتى كما ان المحيط يشوّه كثيرا من المفاهيم مما يوجد صعوبة واضـحة فى الارشاد الدينى فى اوساط معاندة ولهذا اهتم الاسـلام بأمر اصلاح البيئة والمحيط كى يكون متناسبا مع المتطلبات الدينية الى الحد الذى يدعو فيه الانسان المسلم الى الهجرة الى اوساط اكثر سماحة وحرية فى ممارسة الشعائر الدينية..

6 - استثمار المحيط

وقـد أشـرنا بعض الشـىء الى تأثير البيئـة والمحيط من خلال المظاهر الظاهرة المؤثرة على البواطن وبالعكس، ولعل العصـر النبوى الاول يمثل العصر الذهبى للتربية بما توفرت من بيئة خاصة صالحة للتربية، فقد كان مناخ المدينة مناخا اسلاميا مميزا وقد زاده شرفا وسموا وجود النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم واهل بيته عليهم السلام ووجود المسجد النبوى الذى تتابعت فيه نزول الآيات الشريفة، ولا ننسى ان بيت الزهراء عليها السلام كان ملاصقا للمسجد مما يتيح للحسنين الحضور فيه بسهولة دون عناء فكل وقت الحسنين

كان اما فى البيت مع سيدة نساء العالمين عليها السلام ومع امير المؤمنين عليه السلام أو فى المسجد ومع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان يعطى لهما اهمية خاصة مع كونه قدوة حسنة لجميع المسلمين.

اضافة الى الاستفادة من آلية الزمان والمكان فى انتخاب بيت الاحزان مثلا.

كذلك فى قضية المسكين واليتيم والأسير حيث كان من الممكن إعفاء الحسنين من الصوم المرهق للاطفال الصغار ولكن سُمح لهما بالصيام وبقوا ثلاثة ايام لم ينالوا شيئا من الطعام واكتفوا بالماء!! وهذا توجيه نحو الاستفادة من الظروف المستجدة للتدريب على مهارات معينة.

7 - الزهد

كان بالامكان ان نجعل هذا المفهوم ضمن القيم الدينية وضمن قيم المظهر الخارجى لكنى أدرجته هنا لما له من تأثير على الاولاد انفسهم بل على كل نظام الاسرة الاقتصادى والثقافى والتربوى والاجتماعى وغيره. وتلعب الام دورا كبيرا فى توجيه الابناء نحو الطريقة السليمة فى التعامل مع الدنيا فهى اما ان تحول أبناءها إلى أسارى اوعبيد للدنيا وذلك حينما تصبح الدنيا هدفهم الوحيد فى الحياة فيقاتلون ويتقاتلون من اجل تحصيل الرصيد الاكبر منها!!، أو تجعلهم يعيشون الفهم الواعى للتعامل الصحيح مع الدنيا والذى يقضى بتحويلها الى مزرعة للآخرة مع تحصيل النصيب المعقول منها، وهذا

يتوقف على الفهم الصحيح لمعنى الزهد، فالزهد ضد الرغبة وضد الحرص على الدنيا والزهادة فى الاشياء كلها(1) فالزهد هو انعتاق النفس من التعلق المسرف بالدنيا، وفى الحديث: (حب الدنيا رأس كلّ خطيئة).

وأيضاً: (من تعلّق قلبه بالدنيا تعلّق قلبه بثلاثِ خصال: همّ لا يفنى، وأملٍ لا يُدرک، ورجاء لا يُنال)(2).

ويتصور البعض ان الزهد هو ترک الدنيا والاعراض عن مافيها والانصراف عنها والسكن فى الكهوف والمغارات وعدم الاستفادة من التقنيات المعاصرة وهذا الفهم الخاطئ موجود فى عصرنا الحالى وقد أسهم فى زيادة المسافة بين الشباب والدين!! وهو اقرب الى الرهبنة منه الى الاسلام الصحيح يقول تعالى:

«ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَ قَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَ آتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً، وَ رَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها ما كَتَبْناها عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغاءَ رِضْوانِ اللّهِ فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ، وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ»3 .

وقد حارب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا التصور الخاطئ كما نرى فى موقفه من عثمان بن مظعون، حين جاءت امرأة عثمان تشكو حالها عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا رسول الله! إنّ عثمان

1- (1) (لسان العرب مجلد 3 ط 1997)

2- (2) (أصول الكافى ج 2 ص 320).

يصوم النهار، ويقوم اللّيل، فخرج رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) مغضبا، حتّى جاء إلى عثمان فوجده يصلّى، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له:

«يا عثمان! لم يرسـلنى الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثنى بالحنيفية السهلة السمحاء، أصوم وأُصلّى، وألمس أهلى، فمَن أحبّ فطرتى فليستن بسنّتى، ومن سنّتى النّكاح»(1).

فالزهـد الايجابى هوالتحرک فى دائرة الحياة وممارسة نشاطاتها المختلفة مع تحرير القلب والعقل من عبودية الدنيا والشـهوات والاسـتغراق فيها فهو عامل تجميع للقوى الايمانية من خلال توجيهها نحو غاية واحدة.. فالزاهد يرى النكاح سـنة النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم التى من رغب عنها فليس منه، وهو يرى انجاب الاولاد وظيفـة دينيـة واجتماعيـة تثقل الارض بلا اله الا الله (وإن الزاهد والراهب كليهما يتركان الدنيا، إلا أن الزاهد يترک الدنيا بترک الانهماک بالتنعم والتمتع والكماليات، ويحذر من أن يحسبها منتهى آماله وأكمل مناه، أما الراهب فإنه يترک الدنيا بترک العمل فيها وتحمل مسؤولياتها.

يقول الإمام علىّ بن الحسين (عليهما السلام): «ألا وإنّ الزُّهد فى آية من كتاب الله:«لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ...»2
.

ويقول على عليه السلام:

1- (1) (الفروع من الكافى / الكلينى / ج 5 / ص 494).

"إنما الدنيا منتهى بصـر الأعمى لا يبصـر مما وراءها شيئاً والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص والبصير منها متزوّد والأعمى لها متزود"(1).

ويقول عليه السلام:

" واعلموا أن ما نقص من الدنيا وزاد فى الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد فى الدنيا"(2).

من كتـاب ابن تغلب، عن ابن الوليـد، عن يونس بن يعقوب، عن عطيـة أخى أبى العرام قال: سـمعت أبا جعفر عليه السـلام يقول: إنا لنحب الدنيا ولا نؤتاها وهو خير لنا وما اوتى عبد منها شيئا إلا كان أنقص لحظه فى الآخرة(3).

وهكـذا كان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم واهل بيته الكرام عليهم السـلام يعيشون الحياة الدنيا بأبعادها المختلفة ولم يكونوا منعزلين عنها، فهم يتزوجون ويسـهرون الليل تعبّدا ويسارعون الى الخيرات، وقد كان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم قائدا وحاكما لكن الهدف الاسمى كان الآخرة.

وهكذا كانت الزهراء عليها السـلام فى حياتها كلها فقد عاشت اروع مصاديق الزهد الايجابى الفاعل والمتحرك الذى يسـهم فى بناء الحياة وفى حماية

1- (1) (قصار الحكم 367).
2- (2) (نهج البلاغة خطبة 8 ص 319).
3- (3) (البحار ج 69 ص 66).

العقيدة والدعوة اليها بعد ان فرغ قلبها من كل هم الا من همّ الآخرة.

عن زرارة، عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد السفر سلم على من أراد التسليم عليه من أهله ثم يكون آخر من يسلم عليه فاطمة (عليها السلام) فيكون وجهه إلى سفره من بيتها، وإذا رجع بدأ بها.

فسافر مرة وقد أصاب على (عليه السلام) شيئا من الغنيمة فدفعه إلى فاطمة فخرج فأخذت سوارين من فضة وعلقت على بابها سترا، فلما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل المسجد فتوجه نحو بيت فاطمة كما كان يصنع، فقامت فرحة إلى أبيها صبابة وشوقا إليه فنظر فإذا فى يدها سواران من فضة وإذا على بابها ستر، فقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث ينظر إليها، فبكت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بى قبلها.

فدعت ابنيها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارين من يديها، ثم دفعت السوارين إلى أحدهما والستر إلى الآخر ثم قالت لهما: انطلقا إلى أبى فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدك غيرهذا فشأنک به، فجاءاه فأبلغاه ذلک عن أمهما فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتزمهما وأقعد كل واحد منهما على فخذه، ثم أمر بذينک السوارين فكسرا فجعلهما قطعا ثم دعا أهل الصفة [وهم] قوم من المهاجرين لم يكن لهم منازل ولا أموال، فقسمه بينهم قطعا، ثم جعل يدعوالرجل منهم العارى الذى لايستتر بشىء وكان ذلک الستر طويلا ليس له عرض فجعل يؤزر الرجل فإذا التقيا

عليه قطعه حتى قسمه بينهم أزرا ثم أمر النساء لا يرفعن رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال رؤوسهم، وذلک أنهم كانوا من صغر إزارهم إذا ركعوا وسجدوا بدت عورتهم من خلفهم ثم جرت به السنة أن لا يرفع النساء رؤوسهن من الركوع والسجود حتى يرفع الرجال.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله فاطمة ليكسونها الله بهذا السترمن كسوة الجنة، وليحلينها بهذين السوارين من حلية الجنة.

من الواضح أن ثمن السوارين والقرطين الفضيين والعقد الفضى كان زهيداً، والأزهد ثمناً منها ذلک الستار الذى يعلقه الإنسان على باب الغرفة، غير أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يعد فاطمة (عليها السلام) ارفع شأنا من هذه التعلقات الدنيوية، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يريد ان يدون رسالة خالدة ان قيمة الانسان بخصاله وفضائله الانسانية، بل ماكان الرسول ليريد لابنته أن تعيش تعلقات الحياة الدنيا كما عاشها الآخرون، وهى رسالة ايضا لتدريب القادة والاسر الحاكمة على اهمية مواساة الطبقة الفقيرة من المجتمع وبخاصة مجتمع صدر الاسلام حيث ان الدعوة مازالت ناشئة وفتية وتحت الرصد من قبل الجميع، وهوحثٌ على اكتساب قيم التعاون والمساندة الاجتماعية فهى مطلوبة فى كل عصر وزمان.

وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: قلت: يا رسول الله انحل ابنى الحسن والحسين، فقال صلى الله عليه وآله: أما الحسن فإن له هيبتى وسؤددى، وأما الحسين فإن له جرأتى وجودى.

هـذه المطالبـة أمام الصـغار تؤكد لهم ان هناک أموراً كثيرة قد لا تعوض بثمن ولا يمكن تحصـيلها بسـهولة، وهذا التذكير يرسخ فى اذهان الاولاد القيم الدينيـة والاخلاقية وتجعلهم يتعاملون مع الحياة من خلال وعى سـليم حملوه فى أعماقهم من خلال النماذج التى ثبتت هذه الصور فى وجـدانهم، لـذا يجب تعويـد الابناء على مبادئ الزهد فلا نعطيهم كل مايطلبون مما قد لايكونون بحاجة اليه اصـلا بل نعودهم على مبـدأ تأجيل الحاجات ولنـذكرهم بالفقراء والمعوزين ونشـجعهم على الانفاق السـليم فى مساعدة الفقراء، وان نعودهم على الاهتمام بالفضائـل الكبرى كـالعلم والايمـان وتحصـيل التقوى والموالاـة كى لاـ تسـتغرقهم الحيـاة الـدنيا ولا يسـتنفدوا حياتهم فى صورة الثياب والملابس وسنمر بتفصيل اكثر فى هذا الجانب عند حديثنا عن قيم المظهر الخارجى.

8 - المحبة

يتغـذى الاولاـد من الحب والحنـان كمـا يتغـذون من الحليب واللبن!، فالغـذاء العاطفى هو الاساس فى نمو الجهاز العاطفى للطفل وفى تحقيق النضج المعقول للشخصـية، ويعد الاشباع العاطفى من اهم الحاجات النفسية للطفل فهو بحاجة الى المحبة من قبل الغير وبخاصة من قبل الوالـدين بوصـفهما المحطـة الاولى التى يفتـح الطفل عينه عليها، وفى الحـديث قالَ رَسُولُ اللهِ صـلى الله عليه وآله وسـلم: احِبُّوا الصِّبْيانَ وارْحَمُوهُمْ واِذا وَعَدْتُمُوهُمْ فَفُوا لَهُمْ فَاِنَّهُمْ لايَرَوْنَ الّا انَّكُمْ تَرْزُقُونَهُمْ (1).

1- (1) «وسائل الشيعة، ج 5، ص 126»

وقال الامام الصادق عليه السلام: انَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ لَيَرْحَمُ الرَّجُلَ لِشِدَّةِ حُبِّه لِوَلَدِهِ (1).

وقال الامام الصادق عليه السلام: اكثِرُوا مِنْ قُبْلَةِ اوْلادِكُمْ فَاِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ قُبْلَةٍ دَرَجَةً (2).

وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يهتم كثيرا بهذا الجانب ففى الرواية.. قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه - الحَسَنَ والْحُسَيْنَ - عَلَيْهِما السَّلامُ - فَقالَ الاقْرَعُ بْنُ حابِسٍ: انَّ لى عَشَرَةً مِنَ الاَوْلادِ ما قَبَّلْتُ واحِداً مِنْهُمْ. فَقالَ صلى الله عليه وآله وسلم: ما عَلَىَّ انْ نَزَعَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِنْکَ (3).

وعن أبى هريرة، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا. فقال له رجل: يا رسول الله إنک تحبهما؟ فقال: نعم من أحبهما فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى(4).

وقد اتبع نفس الاسلوب مع ابنته الزهراء عليها السلام ففى الروايات دخلت عائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقبل فاطمة فقالت له اتحبها يا رسول الله؟ قال: اما والله لو علمت حبى لها لا زددت لها حبا(5).

1- (1) «مكارم الاخلاق، ص 113».

2- (2) «بحار الانوار، ج 101، ص 92».

3- (3) «مكارم الاخلاق، ص 113» (بحار الانوار ج 43 ص 282).

4- (4) ذخائر العقبى ص 123، 124، مسند أحمد (369/5).

5- (5) (المجلسى، بحار الانوار 43، ص 5).

وقد كان رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم سـباقا فى هذا الجانب فقد كان يقبل الحسن والحسـين بمرأى من اصحابه كى يعلمهم هذا الادب. وروى ان النبى صـلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى يوماً فى فئة والحسين صغير بالقرب منه فكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا سجد جاء الحسين فركب ظهره ثم حرك رجليه، وقال: حل حل، فإذا أراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرفع رأسه أخذه فوضعه إلى جانبه، فإذا سجد عاد على ظهره وقال: حل حل، فلم يزل يفعل ذلک حتى فرغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته، فقال يهودى: يـا محمـد! إنكم لتفعلون بالصبيـان شـيئا مـا نفعله نحن. فقال النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم: أما لو كنتم تؤمنون بالله ورسوله: لرحمتم الصبيان. قال: فإنى أؤمن بالله ورسوله. فأسلم لما رأى كرمه صلى الله عليه وآله وسلم مع عظم قدره(1).

وروى أن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم كان يقول لفاطمة عليها السـلام: ادعى لى ابنى، فيشمهما - كما يشم الوردة العطرة - ويضمهما إليه(2).

وعن أبى هريرة قال: رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمص لعاب الحسن والحسين كما يمص التمرة(3).

وهذا السلوک التربوى يسهم فى التعريف بالمحبة التى يكنها الآباء

1- (1) (بحارالانوار ج 43 ص 296).

2- (2) (بحار الانوار ج 43 ص 299).

3- (3) (بحار الانوار ج 43 ص 284).

والامهات للابناء ففی جانب اظهار المحبة هناک نمطان من الامهات:

1 – الام الثلجیة: الباردة المشاعر والتی یستوی فی وجهها الحب والبغض والحزن والفرح فهی کأم تحب اولادها حتماً لکنها عاجزة عن اظهار هذا الحب لهما لانها لم تتعلم (فن اظهارالمشاعر) وکیفیة التعبیر عن العواطف، وهذا النمط من الامهات یصیب الاولاد بالاحباط حیث یتسرب الیهم الشعور بان لا احد یحبهم! ممایولد عندهم رؤیة سیئة للحیاة وللوالدین ویترک اثرا سیئا فی تعاملهم المستقبلی مع الآخرین.

2 – الام الربیعیة التی تبدی مشاعر الود لأبنائها فهی تقبلهم وتحتضنهم وتعبر عن محبتها بالکلام واللعب معهم وتقیم علاقة طیبة مع الصغیر منذ ولادته (بل قبل ذلک من خلال فرحها بالحمل) وهو الوقت الذی لا یفهم فیه الطفل لغة الکلمات لکنه یفهم لغة المشاعر.

ولما کانت السنوات الاولی اساسیة فی بناء شخصیة الطفل فهی اذاً سنوات الحب والتقبیل والمداعبة.

وکانت الزهراء علیها السلام ترقص ولدیها وتقول:

أشبه أباک یا حسن واخلع عن الحق الرسن

واعبد إلهاً ذا منن ولا توال ذا الإحن(1)

فالملاحظ هنا انها قامت بترقیصهما مع الکلمات الحلوة المشجعة لهما علی التأسی والاقتداء وهما یسمعان ما تقول مما یضاعف الشعور بالقیمة

1– (1) (مناقب ابن شهرآشوب 389:3، أعیان الشیعة 563:1).

والتكريم وبحرص الام على مستقبل الاولاد وهى بيان ومؤشرات على حبها العظيم لهما. ويشير القرآن الكريم الى رابطة المحبة بالتعبير اللفظى فى موارد عدة منها:

فى وصية لقمان:«وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» 1 .

«قالَ يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ» 2 .

بل نجد أن نوحاً عليه السلام فى اللحظات الاخيرة ينادى ابنه بهذا الكلام فحينما يغيب تأثير الكلام فربما تتحرك العواطف «يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَ لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ» 3 رغم انه كان فى الاتجاه المضاد لابيه النبى وكان بعيدا عن رسالته ودعوته بل كان مع أعدائه مما يعنى بعد المسافة بين الاثنين، انها مشاعر الابوة الحانية التى تحاول انقاذ فلذة الكبد من عذاب اكيد.

ويحاول الآباء والامهات فى عصرنا غض الطرف عن اظهارمشاعر الحب للأبناء معللين ذلک بما يعيشون تحت وطأته من ضغوط حياتية صعبة وقاسية ولكن هذا ليس مبرراً اذ ان الحاجة الى الحب يجب ان تُشبع عند الاولاد، والوالدان مسؤولان عن تأمين القوت النفسى والمعنوى والعاطفى إضافة الى القوت الغذائى. ويرى علماء التربية المعاصرون ان سبب ارتفاع نسبة العنف

بأنواعه المختلفة فى المجتمعات الحديثة يعود بالدرجة الاولى إلى عدم تلبية الحاجات العاطفية للاولاد وعدم توفر الاشباع العاطفى الكافى لهم نتيجة لغياب الام عن دورها التربوى وايعاز هذه المهمة الى دور الحضانة والام البديلة التى لن تكون اما بديلة ابدا..

وفى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام:

قال موسى عليه السلام: يارب اى الاعمال افضل عندك؟ قال حب الاطفال فإنى فطرتهم على توحيدى فان أمتهم ادخلتهم جنتى برحمتى(1).

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: قبّلوا اولادكم فان لكم بكل قبلة درجة فى الجنة ما بين كل درجة خمس مئة عام(2).

ان التعبير عن الحب للاولاد يُسهم فى تنمية الثقة بالنفس عندهم والاحساس بقوة الشخصية ويكون سببا لنجاحها فى مستقبل الحياة، كما ان اظهار الحب للاولاد وهم صغار يعلمهم كيف يطلقوا هذا الحب لأبنائهم حينما يصبحو كباراً.

ومن هنا جاءت التوصيات الدينية برعاية الايتام وإظهار الحب لهم لتعويض ما فقدوه من حب الوالدين، يقول اميرالمؤمنين عليه السلام فى وصيته:

الله الله فى الايتام فلا تغبوا اموالهم ولا يضيعوا بحضرتكم(3).

1- (1) (المصدر نفسه ص 249).

2- (2) (المصدر نفسه ص 231).

3- (3) (نهج البلاغة رسالة 47).

وفی دراسة أن الفرد إلی أن یصل إلی عمرالمراهقة یکون قد سمع مالا یقل عن ستة عشر ألف کلمة سیئة ولکنه لا یسمع إلابضع مئات کلمة حسنة!. فللأسف تزید عندنا الاشارات والکلمات السلبیة التی لا تعبر عن عاطفة الحب (ان لم تدمرها) فی حین تنقص القدرة علی استعمال الکلمات الحانیة مع الاولاد والمقربین.

ومن الملاحظ ان رعایة الزهراء علیها السلام کانت واضحة لأبنائها:

1 – فهی معهم دائما وأبداً ولم تکل امرهم الی خادم أو خادمة رغم ان ظروف الحیاة آنذاک کانت صعبة وعصیبة فهی تطحن بالرحی والطفل علی صدرها ولم تترکه أو تهمله وکانا معها حتی فی اللحظات الحرجة حینما کان الرسول یحتضر أو فی بیت الاحزان، بل انها حتی لما جاءتها الخادمة أو کلت إلیها مساعدتها فی أمور المنزل کالطحن وتنظیف البیت اما الامر التربوی فقد بقی ساحتها الخاصة.

وفی الاصابة عن ابن حجر فی فوائده وابن بشکوال فی کتاب المستغیثین، بالاسناد عن أمیر المؤمنین علیه السلام، قال: «إنّ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أخدم فاطمة ابنته جاریة اسمها فضّة النوبیة، وکانت تشاطرها الخدمة... فقالت لها فاطمة علیها السلام: أتعجنین أو تخبزین؟» فقالت: بل أعجن یا سیدتی وأحتطب..»(1).

وقد مر بنا ترقیصها لأولادها کنوع من الاظهار والتعبیر عن مشاعر الحب،

1- (1) (الاصابة | ابن حجر 4:387)

وفی الروایة: عن «أنس بن مالک» أنه قال: إن بلالا بطأ عن صلاة الصبح فقال له النبی صلی الله علیه وآله وسلم ما حبسک فقال: مررت بفاطمة وهی تطحن والصبی یبکی فقلت لها إن شئت کفیتک الرحا وکفیتنی الصبی وإن شئت کفیتک الصبیَّ وکفیتنی الرحا فقالت أنا أرفق بابنی منک. فذاک حبسنی. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «فرحمتها یرحمک الله»(1).

وفی نهج البلاغة یقول أمیر المؤمنین علیه السلام لابنه الإمام الحسن علیه السلام:

وجدتک بعضی بل وجدتک کلّی، حتّی کأنَّ شیئاً لو أصابک أصابنی، وحتّی کأنَّ الموت لو أتاک أتانی، فعنانی من أمرک ما یعنینی عن أمر نفسی، فکتبت إلیک کتابی هذا، مُستظهراً به إن أنا بقیت لک أو فنیت..

3 – واننا نجد أنها تفکر بمن سیهتم بأولادها مستقبلاً وبکل عقلانیة اذ لابد من الزواج واذا کان الامر هکذا فلتکن الزوجة الجدیدة ممن یعطف علی اولادها ففی وصیتها:

یابن عم، أوصیک ان تتزوج بعدی بابنة أختی امامة، فإنها تکون لولدی مثلی.. وایضا تقول:

.. فاجعل لها یوماً ولیلة واجعل لاولادی یوماً ولیلة، یا أبا الحسن لا تصح فی وجوههم فیصبحا یتیمین غریبین(2).

1- (1) (مسند أحمد، ج 3، ص 150).

2- (2) (البحار: 43l178).

9 - الذكروالتذكر

تقول الامهات اننا نُنبّه الاولاد الى امور ولكن الابناء يهملون هـذه التوصـيات وتنسـى الامهات ان الاولاد بحاجـة الى تكرار الممارسة كى تسـتقر الصورة فى اذهانهم وعقولهم فنحن نرى مثلا ان الزهراء عليها السـلام تكرر الـدعاء فى كل ليلة وبصوت مسـموع كى يتلقى الاولاد الرسالـة المطلوبة بأهمية الدعاء للجار قبل الدار، وهى تحرص على هذا التكرار، واذا سـلمنا ان الفاصـلة بين مشاورتها لأبيها فى امر الخادم فأرشـدها الى تسبيح الزهراء وبين ان حصـلت على الخادمة فهناك على الاقل سـنوات بين الامرين فمعنى هذا اسـتمرار أداء الزهراء عليها السلام لهذا التسبيح كى يقوم به أولادها فيما بعد وهو ماحصل وما سنمر عليه مفصلا فى بحث التسبيح.

فإذاً الذكر المتواصل امام الاولاد هو المرشد لهم فى التعلم والتعليم، ومن هذا الباب كان ارسال اولادها المسـتمر الى المسـجد، فلم يكن هناك نزول يومى للآيات ولكن هذا الحضور كان مستمراً! فهو يعمق بصيرتهم بالحقائق الايمانية.

ومن الـذكر والتـذكر تأتى المواظبـة على الاعمال التعبديـة والحياتية فاسـتمرار الدعاء ولّد عند الامام الحسن عليه السـلام السؤال، وكذلك مواظبتها عليها السـلام على زيارة قبور الشـهداء ومتابعة نزول الآيات القرآنية، كل هذه الامور كانت منبهات ومذكرات بالعقيدة، فالطفل لا يتعلم من مرة واحدة انما التكرار امر ضرورى؛ لأنه يتحول الى نوع من التلقين

ص:434

المستمر الذى يؤدى الى ترسيخ النموذج أو الصورة.

ومن الاساليب المتبعة فى التذكر والتذكير هو اسلوب استعراض النعم التى يملكها الانسان والشكر عليها واسلوب الموعظة الحسنة وهو اسلوب مستمر مع الاولاد، كذلک اسلوب استنباط العبر من المواقف والامكان والاحداث.

10 - الحكمة والتفكر (التعقل)

اهتم الاسلام بالامور العقلية كثيراً ونجد أن التربية العقلية تقوم على عدة مناهج كالتفكر والتدبر والتأمل إضافة الى عمليات استنباط الاحكام والاستقراء والتحليل، وكلها نجد لها مصاديقها واضحة فى الفكر الاسلامى.

قال تعالى:«كَذلِکَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»1 .

وقال أيضا:«وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ»2 .

وفى الحديث: من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل(1).

وعلى سبيل المثال اهتمت الشريعة بمسألة التفكر والتفكير والذى يعد من أساسيات التربية العقلية التى تقوم على تنمية الفكر وتقوية العمليات العقلية كالاستدلال والتحليل والاستقراء وغيره.

قال تعالى:«إِنَّ فِى ذلِکَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»4 .

1- (3) (غرر الحكم ج 1 ص 153).

وقال أيضاً:..«وَ يَتَفَكَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» 1 .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: أفضل العبادة إدمان الفكر فى الله وفى قدرته(1).

والإمام الرضا عليه السلام يقول: ليست العبادة بكثرة الصلوات والصوم، إنما العبادة التفكُّر فى أمر الله.

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه: كان أكثر عبادة أبى ذر رحمه الله التفكّر والاعتبار(2).

وكان عليه السلام يقول: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة، إنما يتذكّر أولو الألباب(3).

ونجد حرص الزهراء عليها السلام على تعليم أولادها من خلال إرسالهم للمسجد ومن ثم اعادة الدرس اليومى الذى اخذاه من المسجد مع الام، وهذه الاعادة تثبت الفكرة فى العقل والذهن وتشجع الصغير على الاستمرار فى متابعة الامور الفكرية فى المسجد، ونجد انها عليها السلام فى تكرارها لأداء العبادات امام الابناء تحاول جذب العقل الى الانتباه والتأمل ومن ثم محاولة تحليل الفكرة من خلال السؤال مثلا: لماذا لم تدع الام لنفسها؟...

1- (2) [أصول الكافى/ باب التفكّر].

2- (3) [بحار الأنوار، المجلد رقم 15، ص 195].

3- (4) [بحار الأنوار، ج 15، ص 195].

بل ان الزهراء عليها السلام كانت تحيى التربية السياسية عند أولادها من خلال اصطحابهم معها الى اماكن الثورة سواء خطبتها فى المسجد أو فى بيت الاحزان، وهذه تنمية للعقل السياسى لدى الاولاد اضافة الى توصياتها لامير المؤمنين عليه السلام بأن يفرغ نفسه لولديه ليلة كى يواصل تعليمهما وتنمية مواهبهما. ومن اهم وسائل التربية العقلية والفكرية هو اسلوب الحوار الذى كان بين الامام الحسن والزهراء عليهما السلام اى المناقشة والسؤال والجواب.. ومن الاساليب الجديدة المتبعة حاليا للتربية العقلية هو اسلوب الوسائل الايضاحية التى تستخدمها المدارس وافضل نموذج على ذلک هو بيت الاحزان نفسه!! (كما سيمر بنا)، وايضا هناک اسلوب القدوة وهو ما سنمر عليه آنفا.

والتربية العقلية تسهم فى منح العقل مساحة اكبر لتوجيه العواطف وبلورة الاتجاهات ونضج الشخصية وتهذيب السلوک ولهذا نجد السيدة زينب عليها السلام تمتاز بقدرة عالية على الضبط العاطفى الامر الذى أبهر الاعداء قبل الاصدقاء. كما ان الاهتمام بتنمية الذكاء والاستعدادات العقلية يسهم فى زيادة القدرة على التعلم المفيد وعلى امتلاک مهارات افضل فى تعليم الآخرين واللجوء الى الاساليب المعقولة لحل المشكلات.

وروى عن أبى بكر قال: سمعت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرّة وإليه مرّة، وقال: انّ ابنى هذا سيّد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين(1).

1- (1) (البحار ج 43 ص 305).

11 - المتابعة

تكاد تكون المتابعة لأمور الآخرين أمراً مطلوباً فى كل الدوائر التى فيها رعاية وعناية للغير، قال تعالى عن النبى سليمان عليه السلام:

«وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» 1 .

فكيف الحال بمن توكل إليه مهمة تربية الانسان وإعداد الجيل الصالح اذ تبدو الحاجة اكبر الى هذا الامر، فالمتابعة امر مطلوب لفهم الطفل نفسه ورغباته ونزعاته وما يفكر فيه وما يريد القيام به، وما يمكنه القيام به وماقام به فعلا، ولكن لاتعنى المتابعة أو المراقبة التجسس على الاولاد بالشكل الذى قد يسبب لهم الالم لتصورهم غياب ثقة الآباء بهم وانما المعنى هنا ان لا تكون الام فى غفلة عن اولادها وامورهم ومواقفهم المختلفة فهو امر مطلوب، كما ان هذه المتابعة تعزز الشعور عند الابناء أن الآباء مهتمون بهم لحبهم لهم وانهم حريصون على شؤونهم، وكثيرا مانرى الاجيال المعاصرة تشتكى من اهمال الاباء! فنسمع منهم مثلا ان (ابى لا يعرف فى اى مرحلة دراسية انا أو لا يدرى اين هى مدرستى) ولكن قلوبهم تتمنى ان يبدى الآباء والامهات - على الاقل امامهم - اهتماما بهذه الشؤون.

ومن البديهى ان متابعة الاولاد فى الشؤون المختلفة يعرّف الآباء والامهات ايضاً بما يجب القيام به من التوجيه والتأديب والتهذيب، فالمطلوب

هو اظهـار الاهتمام والمتابعـة على اداء الابناء للعبادات والواجبات المدرسـية بل حتى شؤون النظافـة والملبس واختيار الاصـدقاء ومراعاة الاداب الاجتماعية، وقد حرص القرآن على تعزيز هذه الروابط من خلال دعوته الآباء والامهات الى الاهتمام البالغ بكل افراد الاسـرة، قال تعالى:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَةُ»1 .

وهذه الوقاية لابد وان تكون معها متابعة للاولاد بشكل مستمر ونحن نجد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقى يتابع شؤون ابنته الزهراء عليها السلام حتى بعد زواجها وانتقالها الى بيت آخر.

جاء فى (اعيان الشـيعة): روى الحاكم فى المسـتدرک بسنده عن ابى ثعلبة الخشنى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا رجع من غزاة أو سـفر أتى الى المسـجد فصـلى فيه ركعتين ثم ثنّى بفاطمة، ثم يأتى أزواجه. (وبسـنده) عن ابن عمر أنّ النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم كان اذا سافر كان آخر الناس عهـداً به فاطمـة واذا قدم من سـفر كان اول الناس به عهداً فاطمة. واسـتطرد صاحب الاعيان قائلاً: وقد اعتاد الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم ان يمرَّ عند خروجه على بيت فاطمة وهى من احب اهله اليه، فمر ذات يوم عليها ورجع من الباب دون ان يدخل واسـتمر هاجراً فاطمة ثلاثة ايام، فاستقدمت عمار بن ياسر وهو من اكرم صحابته لديه، قالت له ان يستنبئ من ابيها عن سبب هذا الهجران. ولما سأله عمار قال له الرسول

الكريم – وانظر لما قال –: رأيت فی معصم فاطمة اسورة من الفضة واهل الصّفة يتضورون جوعاً، فجاء عمار وأخبرها الخبر فقالت له: خذ الاسورة وبعها واشتر بثمنها خبزاً لأهل الصفة، ولما فعل ما امرته به عاد فأخبر اباها بما كان فرجع لعادته معها(1).

وفی روايـة عن أبی هريرة: انّ النبیّ أتی بتمر من تمر الصدقـة، فجعـل يقسـمه، فلمـا فرغ حمل الصبیّ وقام، فاذا الحسن فی فيه تمرة يلوكها، ففطن له رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم فأدخل اصبعه فی فی الصبیّ فانتزع التمرة ثمّ قذفها، وقال: انّا آل محمد لا نأكل الصدقة(2).

وعن الرضا عليه السـلام عن آبائه قال: انّ الحسن والحسـين عليهما السلام كانا يلعبان عند النبیّ صلی الله عليه وآله وسلم حتی مضی عامّة الليل، ثمّ قال لهما: انصـرفا الی أمّكما، فبرقت برقة فی السـماء فما زالت تضـیء لهما حتی دخلا علی فاطمة عليها السلام والنبیّ صلی الله عليه وآله وسلم ينظر الی البرقة، فقال: الحمد لله الذی أكرمنا أهل البيت(3).

روی ان السـيدة زينب عليها السـلام كانت شديدة المحبة للامام الحسين عليه السلام منذ الصغر فحكت فاطمة ذلک الی رسول الله فبكی النبی صلی الله عليه وآله وسلم واخبر بمصابهما واشتراكهما فی ذلک(4) ولولا ان السيدة

1- (1) (اعيان الشيعة / السيد محسن الامين العاملی / ج 2 / ص 430).
2- (2) (ينابيع المودة ص 46 وبحار الانوار ج 43 ص 305).
3- (3) (البحار ج 43 ص 266).
4- (4) (الحائری المازندرانی شجرة طوبی ج 2 ص 392).

الزهراء علیها السلام لم تکن متابعة لشؤون أولادها لما عرفت بهذه الحالة.

روی الحموینی عن عبدالله بن عباس، قال: کنّا ذات یوم مع رسول الله صلی الله علیه وآله إذ أقبَلَتْ فاطمة علیها السّلام تبکی، فقال لها رسول الله صلی الله علیه وآله: فداکِ أبوکِ، ما یُبکیکِ؟

قالت علیها السّلام: إنّ الحسن والحسین (علیهما السّلام) خَرَجا، فما أدری أین باتا، فقال صلی الله علیه وآله: لا تبکی یا بُنیّة، فإنّ الذی خلقهما ألطَفُ بهما منّی ومنکِ. ثمّ رفع النبیّ صلی الله علیه وآله یدیه فقال: اللهمّ إن کانا أخذا بَرّاً أو بحراً فاحفظهما وسلّمهما. فهبط جبرئیل علیه السّلام فقال: یا محمّد، لا تغتمّ ولا تهتمّ، وهما فاضلان فی الدنیا والآخرة وأبوهما خیرٌ منهما، هما فی حظیرة بنی النجّار نائمَین، وقد وکّل اللهُ بهما مَلَکاً یحفظهما(1).

عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن جدتها أسماء بنت عمیس عن فاطمة أن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم زارها یوما فقال: أین ابنای یعنی حسنا وحسینا قالت أصبحنا ولیس فی بیتنا شیء یذوقه ذائق فقال علی أذهب بهما فإنی أتخوف أن یبکیا علیک ولیس عندک شیء فذهب إلی فلان الیهودی فتوجه إلیه النبی صلی الله علیه وآله فوجدهما یلعبان فی شربة بین أیدیهما فضل من تمر فقال یا علی ألا تقلب.. قبل أن یشتد علیهما الحر فقال علی أصبحنا ولیس فی بیتنا شیء فلو جلست یا نبی الله حتی اجمع لفاطمة تمرات فجلس النبی صلی الله علیه وآله حتی اجتمع لفاطمة شیء من تمر

1- (1) (فرائد السمطین الحموینی 2:91-92)

فجعله فی صرته ثم أقبل فحمل النبی صلی الله علیه وآله أحدهما وعلی الآخر حتی أقلبهما(1).

وقد جاء فی الروایات عن علی بن ابی عمران قال: خرج ابن للحسن ابن علی علیهما السلام فی الرحبة وعلیه قمیص خز وطوق من ذهب فدعاه الامام فشقه علیه واخذ الطوق منه فجعله قطعا قطعا(2).

وعن سلمة بیاع القلانس قال کنت عند أبی جعفر علیه السلام اذ دخل علیه ابو عبد الله علیه السلام فقال ابو جعفر یا بنی ألا تطهر قمیصک؟ فظننا ان ثوبه أصابه شیء فرجع فقال انه هکذا فقلنا جعلنا فداک ما لقمیصه؟ فقال کان قمصه طویلا فأمرته ان یقصره.. ان الله عز وجل یقول وثیابک فطهر(3).

وهذه امور تلمسها فی وصایاهم منها وصیة الامام الحسین علیه السلام لاحد ابنائه حیث یقول: یابنی لا تؤاخ احدا حتی تعرف موارده ومصادره فاذا استنبطت الخبرة ورضیت العشرة فآخه علی إقالة العثرة والمواساة فی العسرة(4).

وفی الروایات أن الزهراء علیها السلام لما شعرت باقتراب الاجل أرسلت ابنتیها زینب وام کلثوم الی بیوت بعض الهاشمیات بینما کان الحسنان خارج المنزل(5).

1- (1) (المعجم الکبیر للطبرانی: 422/22).
2- (2) (النوری، مستدرک الوسائل، ج 3 ص 309 ش 3646).
3- (3) (الحویزی تفسیر الثقلین ح 5 ص 454).
4- (4) (تحف العقول ص 236).
5- (5) (فاطمة من المهد الی اللحد ص 616).

ان متابعة الاولاد لها دور كبير فى تنبيه الابناء الى مواقع الخطأ بما يصونهم عن الانحراف ويبقيهم عند جادة الصراط.

12 - التصبر على تحمل المصاعب

لا تخلو الحياة من مصاعب ومكاره، ولا يعيش الانسان كل الظروف الحسنة التى يتمناها فكثيرا ما تكون هناك ظروف غير ملائمة وصعبة وضاغطة عليه، وربما عاش البعض فى ظروف تكون فيها نسبة المصاعب اقل من غيرهم وربما هناك آخرون تكون جل حياتهم مع المصاعب!! فهم ولدوا مع الفقر والحرمان والظروف السياسية المتأزمة والاوضاع الصحية المتردية وتدنى المستوى الثقافى الذى قد لايساعد على منحهم اوضاعا افضل واحسن فى المستقبل وتركت هذه الصعوبات أثرها فى حياتهم وافكارهم ونمط معيشتهم.

ورغم تنوع المصاعب والضغوطات فإنها تولّد تنوعا فى أساليب التعامل معها، فالبعض قد يجتازها بصمت متكيفا معها، فى حين يحاول آخرون التمرد عليها ومحاولة تغييرها أو اصلاحها، وآخرون قد ينكفئون فى مسار حياتهم نحو الأسوأ!! خاصة حينما يكون الفارق بين الطموحات والصعوبات عالياً جداً.. واحيانا يتأقلم الفرد ويكتسب آليات التوافق والتكيف الذكى ويذلل الامور بالاتجاه الاحسن واحيانا يكون العكس.

ويكون للايمان بالله دوره فى التعامل مع هذه الصعوبات، فرغم ان الحصارعلى المسلمين فى الشِعب كان قاسيا وطويل الامد وقد امتدت آثاره الى

خارج مكة نفسها الا ان المسلمين خرجوا فرحين بانتصارهم وبانكسار قريش وذلة جبروتها المصطنع، وقد كان تأثير الايمان بالله قويا على النفوس وبخاصة فى مرحلة انتهاء الحصار. فالمصاعب لها دور كبير فى التربية والبناء وزيادة المناعة الداخلية والقدرة على تخطى العوائق التى تحول دون تحقيق الاهداف. والى هذه الحالة يلفت القرآن الكريم النظر الى اجواء الابتلاء التى يُراد منها امتحان البشر وكشف سرائرهم وتقوية القدرة عندهم على التحمل.

يقول تعالى:

«وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْ ءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَ مْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ (155) اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (156) أُولئِکَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)» البقرة.

فالابتلاء والتمحيص والغربلة والافتتان كلها عوامل يُراد منها تربية الشخصية القوية فى الدين والثابتة فى الشدائد.

والى هذا يشير امير المؤمنين عليه السلام:

فى تقلب الاحوال علم جواهر الرجال...(1)

ان عدم تعرض الطفل الى المصاعب فى حياته يجعله غير قادر على التكيف مع الاحداث التى تعترض حياته فيما بعد والتى قد لا يمتلك القابلية على التخلص منها أو تغيير مسارها، وقد تؤدى الى تحوله الى شخصية

1- (1) (نهج البلاغة قصار الحكم حكمة 17).

نرجسية تطوف حول ذاتها لكنها غير مستعدة للتضحية أو البذل أو تجاوز المعضلات مما يؤدى الى صعوبة فى الاندماج مع الآخرين فى المجتمع اوعلى العكس قد تؤدى الى تحوله الى شخصية ضعيفة غير قادرة على التكيف مع ادنى المتغيرات. وتساعد المصاعب والابتلاءات على تقوية ملكة الصبر والتحمل وتعزيز القناعة اضافة الى تربية الشخصية على الاستعداد للطوارئ الحرجة والازمات التى قد تتعرض لها.

يقول اميرالمؤمنين عليه السلام:

ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل فى نفوسهم وليجعل ذلک ابوابا فُتُحا الى فضله واسبابا ذُللا لعفوه(1).

وفى الحديث: ان الله تبارک وتعالى اذا احب عبداً غثه بالبلاء غثا(2).

اننا نرى فى حياتنا اليومية اناسا يتهاوون امام اقل مشكلة تعترض حياتهم ويعللوا الحال (باننا لم نتعود المشكلات) وربما يلجأون الى ازهاق حياتهم وانهائها لتعرضهم لمشكلة قد تكون عادية جدا عند غيرهم!! فى حين نرى آخرين يعيشون أحرج الظروف ويمرون بأشد الازمات (وزلزلوا) ولكنهم يبقوا صابرين متوسلين الى الله تعالى فى انهاء الازمة وحل المشكلة وبذلک يزداد تعلقهم بالله وتقوى عندهم المحصلة الدفاعية ضد الازمات مما يكسبهم

1- (1) (نهج البلاغة خطبة 192).

2- (2) (الكلينى / الكافى ج 2 ص 253).

متانة فى الشخصية وقوة وتماسكا فى البناء الذاتى الداخلى حتى لو تهاوى البناء الخارجى وبانت عليه علائم المرض والضعف والهوان.

وحينما نمر على نزول سورة (هل اتى) فالملاحظ ان الزهراء عليها السلام كان بإمكانها ان لا تقدم طعام اولادها لليتيم والمسكين والاسير ولكنها سمحت للاولاد بالمشاركة فى اغاثة اليتيم والمسكين والاسير.. فرب قائل يقول: ان القرصين اللذين قدمهما الوالدان كانا كافيين لاشباع شخص واحد فلِم الكل يعطى ويجود حتى الصغار؟ والجواب انها عملية اعداد تربوى للمستقبل لتعليم الصغار كيف يفكرون فى الآخرين ويعيشون فقرهم وجوعهم ويتعلمون الايثار والتضحية وهكذا كانوا وصاروا.. ان حياة العظماء عموما مليئة بالصعاب ويعتمد علماء التربية مبدأ تأجيل الحاجات بمعنى عدم منح الطفل كل مايريده لتدريبه على الحرمان والنقصان وعلى تحمل الضغوط، فليس من الصحيح تلبية كل رغبات الابناء وما يريدونه؛ لأن فى ذلک تعويداً لهم على التراخى والضعف، كما ان الحماية الزائدة للاطفال تدمرهم وتقتل عندهم الشعور الانسانى بالآخرين وتجعلهم نماذج لشخصيات ضعيفة هزيلة لا تعيش افقا اكثر من الحصول على مطاليبها والسعى وراء رغباتها ولو بالاساليب الخاطئة، كما تجعلهم غير قادرين على التأقلم مع الاوضاع غير المرغوبة أو الصعوبات التى تمر بهم فيما بعد وبخاصة حينما يدخلون المدرسة ويصطدمون مع الآخرين المختلفين عنهم فى الرغبات والاتجاهات والاخلاق، مما قد يولّد عندهم ازمات نفسية تترک آثارا سلبية

على تعاملهم مع الحياة والناس. والصحيح ان تتوقف الاسرة عن تلبية بعض الامور التى يريدها الاولاد والتى يمكن تأجيلها. ولنا فى سورة (هل اتى) خير وسيلة للتربية فليجودوا برغيف كى يتعودوا التحمل والتصبر..

وكانت فاطمة عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام، وتتأهب لها من النهار وتقول: محروم من حرم خيرها(1).

فالمطلوب ان لاينامواأو ان يُمنعوا من بعض اللذات والاطايب كى يتحملوا القول الثقيل.

روى الراوندى عليه الرحمة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يوماً جالساً وحوله على وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال لهم: كيف بكم إذا كنتم صرعى، وقبوركم شتى؟ فقال الحسن (عليه السلام): أنموت موتاً أو نُقتل قتلا؟ فقال: يا بنى، بل تقتل بالسم ظلماً ويقتل أخوك ظمأ، ويُقتل أبوك ظلماً، وتُشرَّد ذراريكم فى الأرض. فقال الحسين (عليه السلام): ومن يقتلنا؟ قال: شرار الناس. قال: فهل يزورنا أحد؟ قال: نعم، طائفة من أمتى يريدون بزيارتكم برّى وصلتى، فإذا كان يوم القيامة جئتهم وأخلصهم من أهواله(2).

وهذا اعداد مستقبلى فلقد مرت على الحسنين ظروفٌ وأوضاعٌ قاسية،

1- (1) [بحار الأنوار، ج 97، ص 10].

2- (2) (الإرشاد، المفيد: 131/2).

فكم من ليلة باتوا جياعا.. وماحصل بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من احداث سلبتهم الراحة وحرمتهم من كثير من الامور.. لكنهم تعودوا الصبر والتصبر.

13 - التخطيط للمستقبل

تختلف رؤى الناس فى التعامل مع المستقبل وغالبا ما يكونون على أربعة أصناف:

الصنف الاول: لا يبالى بغده ولا بمستقبل اولاده!! فالمستقبل عنده لغة غائبة لا من باب الاتكال على الله ابدا بل من باب اللاابالية...

وهناك من يخاف المستقبل!! فتراه يبخل على نفسه خوفا من الفقر فى المستقبل!!..

وهناك من يستوى عنده الماضى والحاضر والمستقبل فلا يفكر لا بغد ولا باليوم..

وهناك من يعيش اللحظة الراهنة لكنه يفكر فى المستقبل ويخطط له...

وحينما نمر على سيرة الزهراء عليها السلام نجدها عليها السلام تعيش هذا الهم الكبير حتى فى آخر لحظات حياتها وفى الرواية:

أتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئاً، فقال: امّا الحسن فانّ له هيبتى

وسؤددى، وامّا الحسين فانّ له شجاعتى وجودى(1). واننا نجد انها تفكر بمن سيهتم باولادها مستقبلاً وبكل عقلانية فتقول فى وصيتها:

اوصيک أولا أن تتزوج بعدى بابنة [اختى] أمامة فإنها تكون لولدى مثلى(2).. وفى رواية:

فقالت:

يا أبا الحسن ولا تصح فى وجههما، فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنّهما بالأمس فقدا جدّهما واليوم يفقدان امّهما، فالويل لامّة تقتلهما وتبغضهما.

وهى تحفظ احاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التى يخبر فيها عن مقتل الحسين بكربلاء وينقل ارباب المنابر وصيتها لابنتها زينب عليها السلام حينما ترى الحسين وحيدا فريدا فى كربلاء.

فلا ننسى ان الهدف الرئيسى من التربية هو الاعداد للمستقبل والتخطيط له ولهذا فالصواب ان يكون هناک اهتمام للوقت الراهن مع التخطيط للمستقبل وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله من أعان ولده على بره. قلت: كيف يعينه على بره؟! قال: يقبل ميسوره، ويتجاوز عن معسوره، ولا يرهقه، ولا يخرق به ".فكما نعامل اولادنا الآن سيعاملوننا فى المستقبل ان خيرا فخير وان شرا فشر.

1- (1) (البحار ج 43 ص 263).

2- (2) (البحار ج 43 ص 192).

14 - تقديم النموذج أو القدوة الحسنة

يعـدّ الوالـدان هما القدوة الحسـنة الاولى للاولاد، وتمتاز هذه القدوة بمزايا اولها انها قدوة تلقائية يبتعد فيها الوالدان عن التصـنع والتكلف فعادة ما يكونون احراراً فى ممارساتهم فى البيت الاسـرى، اضافة الى ذلک فهى قدوة شبه دائمة حيث يكون الطفل كثير الالتصاق بالوالدين فى سـنواته الاولى وكثير التأثر بهما ثم هى قدوة فكرية عاطفية تحمل اواصـر الحب للاولاد وتحاول التعبير عن هذا الحب والمودة لهم مع التوجيه السـليم وبهـذا تكون قـدوة فاعلـة قـد تمتد تأثيراتها طوال الحياة. وتنبع فكرة القدوة من وجود غريزة المحاكاة والتقليد عند الانسان وبخاصة فى مرحلة الطفولة حيث ينظر الصـغار الى الكبار على انهم الحق كله والعصـمة كلها فكل ما يصدر منهم صحيح ولهذا يتسابقون نحو الاقتداء، وكان امير المؤمنين يقول واصفا اقتداءه بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أُمّه، يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه عَلَما، ويأمرنى بالاقتداء به(1).

وعموم القـدوات تساعـد على التعلم السـريع وايصال الفكرة وتوضـيحها وتصـحيح الاخطاء فيها ولهـذا فالقدوة الصالحة من عوامل الرقى والكمال، والعكس صحيح يقول الشاعر:

إذا كان ربّ البيت بالدفّ ناقراً فشيمةُ أهل البيتِ كلّهم الرقصُ

1- (1) (نهج البلاغة، الشريف الرضى، ج 2، الخطبة 192، ص 157).

وقد اشار القرآن الى اسلوب القدوة قال تعالى:«قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ»1 .

وقال أيضاً:«أُولئِکَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ»2 .

وتسعى كل نظرية تربوية الى تقديم النموذج الذى يجسد افكارها واطروحتها وبذلک توجه الانظار الى هذا النموذج وقد كان رسول الله واهل بيته – ومازالوا – هم القدوة الحسنة لهذه الامة على مر الدهور قال تعالى:

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً»3 .

عن الحسين بن على، عن أخيه الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام قال:" رأيت أمّى فاطمة عليها السلام قامت فى محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعةً ساجدةً حتّى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشىء، فقلت لها يا أمّاه لِمَ لا تدعين لنفسک كما تدعين لغيرک؟ فقالت يا بنىّ: الجار ثمّ الدار"(1).

وكما مر بنا فإن الزهراء عليها السلام كانت تراعى ان يرى الابناء امهما وهى تؤدى التكاليف الشرعية وتقرأ الدعاء بصوت مسموع.

ولم تكتف الزهراء عليها السلام بذلک بل كانت هناک السيرة العملية

1- (4) (علل الشرائع الشيخ الصدوق: ج 1 ص 182).

للزهراء عليها السلام من خلال الاحسان الى الفقراء (نزول هل اتى)... فالمعروف ان الوالدين احسنا الى الفقير ثم سمحا للاولاد ايضاً فى المشاركة فى الاحسان والعطاء.

ويمكن الاشارة ايضا الى صلابة مواقفها عليها السلام السياسية ومشاركة اولادها لها فى كل حركة وكل خطوة بما رسم لهم صورة الجهاد السامى الذى قاموا به فيما بعد. ومن هنا نجد ان القدوة الحسنة هى نمط التربية الصامتة التى اعتمدتها الزهراء عليها السلام.

التربية الزهراوية تربية متكاملة

مما لاشك فيه ان الانسان الكامل يرشد نحو التكامل ونحو تقديم الانسان الكامل ايضا، ولما نمر على تربية الزهراء عليها السلام لاولادها نرى انها جمعت كل اقسام التربية فالتربية الفكرية واضحة من خلال ارسال الاولاد للمسجد كى يتعلموا ومن خلال مناقشة الآيات معهم فيما بعد، والتربية الاجتماعية واضحة من خلال تعليم الآداب الاجتماعية والحث على احترام حقوق الآخرين اضافة الى ادوات التربية من خلال الحوار والسلام والانصات والتزاور والاستئذان وغير ذلک، والتربية البدنية واضحة من خلال ماامتلكه الاولاد من حرية لعب سواء داخل البيت ام خارجه ومن خلال حرية التنقل والحركة والعناية بالبدن، والتربية النفسية نجدها فى اكثر من زاوية فمن جهة تسمح للحسنين بحضور ساعات الاحتضار الاخيرة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لكنها ترسلهما مع ابيهما عليه السلام لما علمت بدنو

اجلها!! لما لفقـد الام من اثر عميق على الاولاد وبخاصـة بعد الاحداث المؤلمة التى عاشـتها من قبيل الهجوم على الدار واسـقاط جنينها، امالتربيـة السياسـية فقـد كان اولادها معها فى فتح مكة وفى بيت الاحزان وكذلک اصـطحبت زينب عليها السـلام الى المسـجد لما قالت خطبتها وكذلک فى الرواية:

... فلما أن كان الليل حمل على عليه السـلام فاطمة عليها السـلام على حمار وأخذ بيدى الحسن والحسـين عليهما السلام، فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه فى منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته».

بل وحتى التربية الترويحية من خلال اللعب أو مشاركة المسـلمين مسابقاتهم وافراحهم فى المسـجد النبوى ومن خلال اللعب مع الاولاد اضافـة الى التربيـة الاخلاقيـة التى زرعت فيهم كل الكمالات الاخلاقيـة وكـذلک التربيـة الاقتصاديـة التى اعتمدت مبدأ التعاون والانفاق السـليم الى غير ذلـک... بل اننا نجـد التنوع فى الاساليب التربويـة فتارة تأتى التربيـة بالحب كاسـلوب وتارة من خلال الملاحظـة كما فى احـداث فـدک وتارة بالعبرة كما فى بيت الاحزان ومرة بالقدوة واخرى بالحوار والى غير ذلک وسأمر فقط على التربية الدينية عندها اختصارا للمطلب.

التربية الدينية عند السيدة الزهراء عليها السلام

تعدّ التربية الدينية هى الحجر الاساس لبناء شخصية الفرد، فسلوک

الانسان هو نتاج لما يعتقد فيه ويفكر فيه، وقد اهتمت الشـريعة اهتماما كبيرا بهذا الجانب ووضعت سبل العناية والتقويم للانسان حتى قبل ولادته لتحقيق غاية التربية الاسلامية الا وهو بناء الانسان الصالح.. الصالح فى افكاره والصالح فى عقائده والصالح فى اعماله.

وقد حثت الشـريعة الآباء على تبنى الحوار الهادف مع الاولاد ففى الحديث: عن ابى عبد الله عليه السلام: بادروا اولادكم بالحديث قبل ان يسبقكم اليه المرجئة(1) قال المجلسـى فى المرأة عند شـرح هذا الحديث: «أى علموهم فى شـرخ شبابهم بل فى أوائل إدراكهم وبلوغهم التمييز من الحديث ما يهتدون به الى معرفة الأئمة (عليهم السـلام) والتشـيع قبل أن يغويهم المخالفون ويدخلوهم فى ضـلالتهم، فيعسـر بعد ذلک صرفهم عن ذلک. والمرجئة فى مقابلة الشيعة من الإرجاء بمعنى التأخير، لتأخيرهم عليّاً عليه السلام عن مرتبته.

وفى قول امير المؤمنين عليه السلام: صيّر الدين جُنة حياتک، والتقوى عدة وفاتک(2).

وعنه ايضاً: من رُزق الدين فقد رُزق خير الدنيا والآخرة(3).

وفى الكافى عن ابى بصير عن الامام الصادق عليه السلام فى قول الله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ» قال: كيف نقى أهلنا؟ قال: تأمرونهم

1- (1) (الكافى، ج 6 ص 47، ح 5)

2- (2) (غرر الحكم ح 4594).

3- (3) (غرر الحكم ح 8523).

وتنهونهم(1).

وعن الامام الصادق عليه السلام لما نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكى وقال: انا عجزت عن نفسى، كُلفتُ اهلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسبک أن تأمرهم بما تأمر به نفسک وتنهاهم عما تنهى عنه نفسک(2).

ان الاهتمام بالتربية الدينية يساعد على إعطاء الهوية الواضحة للافراد والتى تميزهم عن غيرهم كما يمنح الاولاد القدرة على التحمل والثبات امام الشدائد والضغوطات التى يمرون بها، وتسهم ايضاً فى تقوية حصانة الفرد ضد التيارات المنحرفة - وما اكثرها فى زماننا - اضافة الى الانعكاسات الطيبة والتأثيرات الايجابية للطقوس الدينية وانواع العبادات والرياضات الروحية على الانسان والتى تعمل على زرع الفضائل وتوجيه الافراد للعمل بها، كما تساعد التربية الدينية الواعية على تعزيز الشعور بمعية الله لدى الانسان بالشكل الذى يسهم فى صقل الشخصية وإبعادها عن الذنوب والرذائل وبذلک تحاول انتزاع الانسان من مجرد التفكير المؤقت بالحياة الفانية الى التفكير الدائم بما أعدّ الله من نعيم لعباده الصالحين فى جنات الخلد.. مضافاً الى ان التربية الدينية لها الدور الكبير فى تحديد المسار الفكرى للاولاد ويرسم له الصراط الواضح الذى يخلصهم من التوتر والقلق اللذين يتعرضون لهما من

1- (1) (الكافى، ج 5 ص 62).

2- (2) (الكافى، ج 5 ص 62 ح 1).

خلال تزاحم الرؤى المختلفة وضبابية الافكار الوافدة.

ويرى علماء التربية ان الدين من أعظم العوامل المؤثرة فى التربية والتهذيب. ولهذا نجد مثلا فى وصية لقمان أن بداية التربية تكون مع الدين حيث يقول:

«وَ إِذْ قالَ لُقْمانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» 1 .

ويقول الإمام على لولده الإمام الحسن (عليهما السلام): (إنَّمَا قَلْبُ الحَدَث كالأرْضِ الخَالِيَة، ما أُلقِيَ فِيهَا مِنْ شَيءٍ قَبلتْهُ، فَبَادَرْتُكَ بالأدَبِ قَبلَ أن يَقسُو قَلبُكَ، ويَشْتَغلَ لُبُّكَ).

ومن وصايا أمير المؤمنين لابنه الحسن (عليهما السلام): (ابتدأتُك بِتَعليمِ كِتَاب اللهِ عزَّ وَجَلَّ وتأويلِه، وشَرائِعِ الإسلامِ وأحْكَامِه، وحَلالِهِ وحَرامِه، لا أجَاوزُ ذَلكَ بِكَ إلى غَيره).

وتبدأ التربية الدينية حتى قبل الولادة من خلال اختيار الوالدين المؤمنين بالله والقائمين على شؤون دينهم ولهذا نهى الاسلام عن الزواج من المشركة أو زواج المسلمة من غير المسلم لما لهذا التفاوت من اثر فى تخريب العقيدة الدينية للاولاد. وتبدأ ابجديات التربية الدينية من خلال التعريف بالله الخالق الواحد الدائم المثيب المعاقب وتعريف النبى صلى الله عليه وآله وسلم والائمة عليهم السلام ومن ثم التعريف بتكاليف الدين فى الصوم والصلاة وتلاوة

القرآن والحجاب الى غير ذلک.

ويتم البناء الدينى من خلال أمرين أساسين:

1 – الحوار الطيب بين الطرفين حيث يتم فيه الاجابة وبشكل مناسب عن التساؤلات التى يطرحها الاولاد فهم غالبا مايسألون عن الله تعالى واين هو؟ وكيف خلقنا؟ ومتى المعاد؟ والى غير ذلک، فلابد من تقديم اجوبة مناسبة للاولاد فهم اذا مافقدوا الاجابة ذهبوا الى الغير يسألونه ولا ندرى أ كان هذا (الغير) مؤمناً ام لا؟!.

2 – تعريفهم وتعويدهم على الفروض الدينية والعبادات كالوضوء والصلاة والصوم من خلال عدة آليات كالاصطحاب الى المساجد، واداء الفروض أمامهم الى غير ذلک.

ففى حديث الامام الصادق عليه السلام: احمل صبيک حتى يأتى على ست سنين، ثم ادبه فى الكتاب ست سنين، ثم ضمه اليک سبع سنين فأدبه بأدبک، فإن قبل وصلح وإلا فخل عنه(1).

والاهتمام بتعليم الاولاد التلاوة الصحيحة للقرآن يسهم فى توثيق العلاقة مع كتاب الله وايضاً ينمى الفصاحة والبلاغة وتوسيع آفاق التفكير فى الآيات والانفس والتدبر والتأمل مما ينشط المهارات والقدرات العقلية.

ويفترض فى المربى ان يتحلى بسعة الصدر والالمام بالعقيدة بشكل يمكنه من تقديم الاجابة السليمة لما يطرحه الاولاد من اسئلة مع الابتعاد عن الشدة

1- (1) (البحار، ج 74 ص 7 ح 1).

والقسوة واعتماد آليات معاصرة لايصال الفهم السليم للدين الى الاولاد.

وكان الحسنان عليهما السلام امامين ان قاما وان قعدا ومع ذلک فاننا نجد فی حياتهما اشارات تربوية ايمانية جيدة تنفعنا فی تعاملنا مع أبنائنا ولعل اهمها هو ارسال الاولاد الى المسجد، والذی كان حضورا واعيا متميزا إذ إن الحسنين كانا ينقلان لامهما الزهراء عليها السلام مادار من احداث فی المسجد وما نزل من آيات بل ربما يسبقان أباهما فی التعريف بهذه الامور.

ففی الروايات: أن الحسن بن علی عليهما السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحی فيحفظه، فيأتی امه فيلقی اليها ما حفظه وكلما دخل علی عليه السلام وجد عندها علما بالتنزيل فيسألها عن ذلک؟

فقالت: من ولدک الحسن.

فتخفی فی الدار يوما وقد دخل الحسن وقد سمع الوحی فأراد أن يلقيه إليها فارتج عليه، فعجبت امه من ذلک فقال عليه السلام: لا تعجبی يا أماه فإن كبيرا يسمعنی فاستماعه قد أوقفنی فخرج علی عليه السلام فقبله.

وفی رواية قال: يا اماه قلّ بيانی وكلَّ لسانی لعل سيداً يرعانی(1).

لقد كانت حياة الاسرة الفاطمية حلقة موصولة بين البيت الملاصق للمسجد والمسجد نفسه وهو امر تحتاجه الاجيال المعاصرة التی فتحت عيونها لترى المساجد خالية من روادها، اللهم الا من الشيب المنتظرين لملک الموت

1- (1) (البحار ج 43 ص 338 ح 11).

الذى يتمنونه فى المسجد كنوع من الشعور بالرضا بحسن العاقبة!!.

ان اصطحاب الاولاد الى المساجد يسهم فى تقوية الحس الدينى ويربيهم على حب النظام من خلال تنظيم الاعمال فى المساجد وينمى لدى الاولاد ملكة الاستماع الجيد والاصغاء الحسن وهو من علامات الشخصية الناجحة، كما انه يخلص الاولاد من الشعور بالخجل والملل والاكتئاب؛ لانه يفتح آفاق المشاركة الاجتماعية ويجعلهم فى متابعة لامور الاسلام من خلال المواقيت المختلفة، وكذلک يوجّه الآخرين الى احترام الاولاد الحاضرين فى المساجد وتشجيعهم والاهتمام بهم واخراج المسجد عن طابع الجمود عن طريق اقامة الفعاليات المناسبة للاولاد فيه.

وكانت هناک متابعة لتعليم الاولاد امور الدين سواء فى البيت أو خارجه، فعن ابى عبد الله الصادق عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فى الصلاة والى جانبه الحسين بن على عليه السلام فكبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحر الحسين التكبير، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكبر ويعالج الحسين التكبير ولم يحر حتى اكمل سبع تكبيرات، فأحار الحسين التكبير فى السابعة(1).

وكان الحسنان يستيقظان آناء الليل ليروا انشغال امهما بالصلاة وكانت عليها السلام تتعمد إسماعهما الدعاء كى يتعلما ادب الدعاء.

وكانت فاطمة عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلک الليلة

1- (1) (البحار ج 43 ص 318).

(ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام، وتتأهب لها من النهار وتقول: محروم من حرم خيرها(1).

تأملات تربوية من حديث الكساء

نص الحديث:

عن فاطمة الزهراء عليها سلام الله (بنت رسول الله صلى الله عليه وآله) أنها قالت: دخل علىَّ أبى رسول الله صلى الله عليه وآله فى بعض الأيام فقال: السلام عليک يا فاطمة، فقلت: وعليک السلام يا أبتاه، فقال: إنى لأجد فى بدنى ضعفاً، فقلت له: أعيذک بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمة ايتينى بالكساء اليمانى وغطينى به، فأتيته وغطيته به وصرت أنظر إليه فإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر فى ليلة تمامه وكماله. فما كانت إلا ساعة وإذا بولدى الحسن قد أقبل فقال: السلام عليک يا أماه، فقلت: وعليک السلام يا قرة عينى وثمرة فؤادى، فقال لى: يا أماه إنى أشم عندک رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول الله، فقلت: نعم يا ولدى إن جدک تحت الكساء، فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليک يا جداه يا رسول الله أتأذن لى أن أدخل معک؟ فقال: وعليک السلام يا ولدى وصاحب حوضى قد أذنت لک، فدخل معه تحت الكساء. فما كانت إلا ساعة فإذا بولدى الحسين قد أقبل وقال: السلام عليک يا أماه، فقلت: وعليک السلام يا قرة عينى وثمرة فؤادى فقال لى: يا أماه إنى أشم عندک رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول

1- (1) [بحار الأنوار، ج 97، ص 10].

الله صلى الله عليه وآله، فقلت: نعم يا بنى إن جدک وأخاک تحت الكساء، فدنا الحسين عليه السلام نحو الكساء وقال: السلام عليک يا جداه، السلام عليک يا من اختاره الله أتأذن لى أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟ فقال: وعليک السلام يا ولدى ويا شافع أمتى قد أذنت لک، فدخل معهما تحت الكساء. فأقبل عند ذلک أبو الحسن على بن أبى طالب وقال: السلام عليک يا فاطمة يا بنت رسول الله، فقلت: وعليک السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين، فقال: يا فاطمة إنى أشم عندک رائحة طيبة كأنها رائحة أخى وابن عمى رسول الله، فقلت: نعم، هاهو مع ولديک تحت الكساء، فأقبل على نحو الكساء وقال: السلام عليک يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذن لى أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال له: وعليک السلام يا أخى وخليفتى وصاحب لوائى فى المحشر، نعم لقد أذنت لک، فدخل على تحت الكساء. ثم أتيت نحو الكساء وقلت: السلام عليک يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لى أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال لى: وعليک السلام يا بنتى ويا بضعتى قد أذنت لک، فدخلت معهم، فلما اكتملنا واجتمعنا جميعاً تحت الكساء فأخذ أبى رسول الله بطرفى الكساء وأومى بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتى وخاصتى وحامتى، لحمهم لحمى، ودمهم دمى، يؤلمنى ما يؤلمهم، ويحزننى ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، وإنهم منى وأنا منهم، فاجعل صلواتک وبركاتک ورحمتک وغفرانک ورضوانک على وعليهم، وأذهب عنهم الرجس

وطهرهم تطهيراً. فقال عز وجل: يا ملائكتى ويا سكان سماواتى إنى ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمرا منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يدور ولا فُلْكاً تسرى ولا بحراً يجرى إلا لمحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء. فقال الأمين جبرائيل يا رب: ومن تحت الكساء؟ فقال الله عز وجل: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وهم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها، فقال جبرائيل: يا رب، أتأذن لى أن أهبط إلى الأرض لأكون معهم سادساً؟ فقال الله عز وجل: قد أذنت لک، فهبط الأمين جبرائيل وقال لأبى: السلام عليک يا رسول الله، العلى الأعلى يقرئک السلام ويخصک بالتحية والإكرام، ويقول لک: وعزتى وجلالى: إنى ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلكاً يسرى إلا لأجلكم ومحبتكم، وقد أذن لى أن أدخل معكم، فهل تأذن لى أنت يا رسول الله؟ فقال أبى: وعليک السلام يا أمين وحى الله، نعم قد أذنت لک، فدخل جبرائيل معنا تحت الكساء، فقال جبرائيل لأبى: إن الله قد أوحى إليكم يقول:«إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» . فقال على: يا رسول الله أخبرنى ما لجلوسنا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: والذى بعثنى بالحق نبياً، واصطفانى بالرسالة نجياً، ما ذكر خبرنا هذا فى محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلا ونزلت عليهم الرحمة، وحفت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا. فقال على: إذا والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة. فقال أبى: يا على والذى بعثنى بالحق نبياً

واصطفانی بالرسالة نجیاً ما ذکر خبرنا هذا فی محفل من محافل أهل الأرض وفیه جمع من شیعتنا ومحبینا وفیهم مهموم إلا وفرج الله همه، ولا مغموم إلا وکشف الله غمه، ولا طالب حاجة إلا وقضی الله حاجته، فقال علی: إذا والله فزنا وسعدنا وکذلک شیعتنا فازوا وسعدوا فی الدنیا والآخرة برب الکعبة.

اضاءات

1 - ادب السلام

بین الرسول الاب وابنته (السلام علیک یا فاطمة، فقالت: وعلیک السلام یا أبتاه) ثم الحسن علیه السلام قد أقبل فقال: السلام علیک یا أماه، فقالت: وعلیک السلام یا قرة عینی وثمرة فؤادی.

فأقبل الحسن علیه السلام نحو الکساء وقال: السلام علیک یا جداه یا رسول الله أتأذن لی أن أدخل معک؟ فقال: وعلیک السلام یا ولدی وصاحب حوضی.

الامام الحسین علیه السلام قال: السلام علیک یا أماه، فقالت: وعلیک السلام یا قرة عینی وثمرة فؤادی.

فدنا الحسین علیه السلام نحو الکساء وقال: السلام علیک یا جداه، السلام علیک یا من اختاره الله أتأذن لی أن أکون معکما تحت هذا الکساء؟ فقال: وعلیک السلام یا ولدی ویا شافع أمتی.

فأقبل أبو الحسن على بن أبى طالب وقال: السلام عليک يا فاطمة يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: وعليک السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين.

فأقبل على نحو الكساء وقال: السلام عليک يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال له: وعليک السلام يا أخى وخليفتى وصاحب لوائى فى المحشر.

ثم قالت فاطمة: السلام عليک يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لى أن أكون معكم تحت الكساء؟ قال لى: وعليک السلام يا بنتى ويا بضعتى قد أذنت لک.

2 - النداء باحب الاسماء

قرة عينى وثمرة فؤادى... ولدى وصاحب حوضى.... يا جداه، السلام عليک يا من اختاره الله... ولدى ويا شافع أمتى.... يا فاطمة يا بنت رسول الله.... يا أخى وخليفتى وصاحب لوائى فى المحشر... يا بنتى ويا بضعتى.. ونجد لغة المدح والثناء سارية مع الجميع.

3 - رعاية الاب وبره ومساعدته رغم ان له ازواجا كُثراً!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنى لأجد فى بدنى ضعفاً، فقلت له: أعيذک بالله يا أبتاه من الضعف، فقال: يا فاطمة ايتينى بالكساء اليمانى وغطينى به، فأتيته وغطيته به وصرت أنظر إليه.... رغم ان ام سلمة كانت حاضرة!!.

ص:464

4 - مراعاة حقوق الآخرين

حيث ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء متلحف به ورغم ذلک لا يدخل احد تحت الكساء كائنا من كان الا بالاستئذان!!.

يا جداه يا رسول الله أتأذن لى أن أدخل معک؟.

يا جداه، السلام عليک يا من اختاره الله أتأذن لى أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟.

فأقبل على نحو الكساء وقال: السلام عليک يا رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذن لى أن أكون معكم تحت الكساء؟.

وقالت فاطمة: السلام عليک يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لى أن أكون معكم تحت الكساء؟.

ولما استاذنت ام سلمة لم يؤذن لها رغم انها فى خير! وهذا أدب آخر من السيدة ام سلمة لشخص الرسول ولآل بيته عليهم السلام وهى لم تعترض أو تجادل أبدا!!.

4 - الدعاء بخير لافراد الاسرة وبيان منزلتهم

.. فأخذ أبى رسول الله بطرفى الكساء وأومى بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتى وخاصتى وحامتى، لحمهم لحمى، ودمهم دمى، يؤلمنى ما يؤلمهم، ويحزننى ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، وإنهم منى وأنا منهم، فاجعل

صلواتک وبرکاتک ورحمتک وغفرانک ورضوانک علی وعلیهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً.

وهذا الدعاء بالخیر قد یکون له ما یشبهه فی دعاء إبراهیم علیه السلام لما بنی البیت الحرام قال تعالی:

«وَ إِذْ قالَ إِبْراهِیمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً» 1 .

والملاحظ ان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم دعا لاهل بیته بالخیر فهو لم یسأل الله ان یعطیهم دنیا فانیة أو ملکا عظیما وانما طلب الطهارة المعنویة وابعاد الرجس بمعنی آخر طلب منه تعالی ان یسلک بهم سبل المکارم وهوتوجیه للامة بأن لا تقتصر علی طلب الدنیا بل تضع الکمالات الذاتیة امامها، وهو ایضا تعلیم للآخرین علی دور الاسرة فی اجابة الدعاء فقد جمعهم الاب والرسول ثم دعا وقد کان الامام زین العابدین یجمع من فی البیت صغارا وکبارا ویدعو.

5 - توقیر الکبار

کما نلاحظه فی قول الحسنین ونداء الرسول بیا جداه وهذا مؤشر ایضا علی محبتهما له صلی الله علیه وآله وسلم.

6 - الاخلاق العالیة

یبدو ان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم کان متوعکاً وربما مریضا

لكن هذه الحالة لم تغيّر الخلق العالى الذى كان له فهو يتعامل مع الجميع بأخلاق سامية ويأذن لهم ان يشاركوه الكساء. ومن المعروف ان الذى يشعر بتوعک لا يرحب باقتراب الصغار منه فضلا عن الكبار لكن هنا يبدو الفارق كبيراً.

على هذا يمثل حديث الكساء صورة واقعية عن نمط العلاقة بين افراد الاسـرة النبوية العلوية وهو يعطى صورة عملية للاخلاق التى تبدأ من خلال سـلوكيات البيت الواحـد وما نسـتفيده من آيـة التطهير هو توجيه الفكر الى اهميـة الطهارة والتطهر الذاتى والمعنوى فمن المعلوم ان الناس يفكرون ويسـعون لتحصـيل الطهارة الخارجية فى الثياب والبدن وهو امر جميل ومسـتحب ومطلوب ايضا ولكنهم يهملون الطهارة الباطنيـة والـدعاء هنـا لفت الانظـار الى هـذا الأمر؛ إذ إنه لا يكتفى بالاشارة اليه بل يـدعو الله ان يرزقه لكل الاسـرة فلابـد اذا من السـعى لاكتساب الطهارة من خلال المجاهدة وترک المعاصى ومراقبة النفس.

ص:467

الدور الاجتماعى للزهراء عليها السلام فى الحياة العامة

اشارة

كـانت الزهراء عليهـا السـلام مشـغولة بشؤون البيت والاطفال والرحى الى غير ذلک لكنها لم تكن بمعزل عن الحياة الاجتماعيـة بل كانت حاضـرة حتى فى اشد المواقف حراجة وصعوبة كساحات القتال والمعارک والمغازى التى قادها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت عليها السلام تتابع مايجرى على ارض الواقع وتؤدى أدوارها الاخرى واهمها:

1 - التكافل الاجتماعى (سنتحدث عنه فى الدور الاقتصادى)

- روى الحلبى عنه عليه السلام "أن فاطمة عليها السلام جعلت صدقاتها لبنى هاشم وبنى المطلب"(1).

وبهذا أسهمت الزهراء عليها السلام فى تحسين الوضع الاقتصادى لجمع من الناس الفقراء.

... مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى

1- (1) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج 2، ص 38 ح 1639).

ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديک، فنذر علیّ وفاطمة وفضّة (وهی جارية لهما) إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام، فشفيا وما معهم شـیء، فاسـتقرض علیّ (عليه السلام) من شمعون الخيبری اليهودی ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة (عليها السلام) صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضـعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السـلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين من مساكين المسـلمين أطعمونی أطعمكم الله من موائد الجنّة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير فی الثالثة ففعلوا مثل ذلک، فلمّا أصبحوا أخذ علیّ (رضی الله عنه) بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله (صـلى الله عليه وآله) فلمّا أبصـرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شـدّة الجوع قال: ما أشـدّ مايسوؤنی ما أری بكم! وقام فانطلق معهم فرأى فاطمـة فی محرابها قـد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها فساءه ذلک، فنزل جبرئيل ثم قال: خذها يا محمّد هنّأک الله فی أهل بيتک فأقرأه السورة.. سورة الدهر أو الإنسان أو هل أتی(1).

– عن أبی هريرة وثوبان أنّها عليها السـلام نزعت قلادتها وقرطيها ومسكتيها – أی سواريها – ونزعت ستر بيتها، فبعثت به إلى أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: «اجعل هذا فی سبيل الله» فلمّا أتاه قال صلى الله

1– (1) (راجع الكشّاف للزمخشری والثعلبی فی تفسيره الكبير وأُسد الغابة: 530/5 والتفسير الكبير للفخر الرازی).

علیه وآله وسلم: «قد فعلت فداها أبوها – ثلاث مرات – ما لآل محمد وللدنیا، فإنّهم خلقوا للآخرة، وخلقت الدنیا لغیرهم» وفی روایة أحمد: «فإنّ هؤلاء أهل بیتی، ولا أُحب أن یأکلوا طیباتهم فی حیاتهم الدنیا»(1).

– وعن الإمام الباقر علیه السلام أنّه قال: «أمر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بذینک السوارین فکسّرا فجعلهما قطعاً، ثمّ دعا أهل الصُّفّة – وهم قوم من المهاجرین لم یکن لهم منازل ولا أموال – فقسّمه بینهم قطعاً، ثم جعل یدعو الرجل منهم العاری الذی لا یستتر بشیء، وکان ذلک الستر طویلاً، لیس له عرض، فجعل یؤزّر الرجل، فإذا التقیا علیه قطعه حتی قسّمه بینهم أُزراً... ثم قال صلی الله علیه وآله وسلم: رحم الله فاطمة، لیکسونّها الله بهذا الستر من کسوة الجنة، ولیحلّینها بهذین السوارین من حلیة الجنة»(2).

– وفی صحیفة الإمام الرضا علیه السلام عن الإمام علی بن الحسین علیه السلام قال: «حدثتنی أسماء بنت عمیس، قالت: کنت عند فاطمة جدتک، إذ دخل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وفی عنقها قلادة من ذهب، کان علی بن أبی طالب علیه السلام اشتراها لها من فیءٍ له، فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: لا یغرّنک الناس أن یقولوا: بنت محمد، وعلیک لباس الجبابرة؛ فقطعتها وباعتها، واشترت بها رقبة فاعتقتها، فسُرّ رسول الله بذلک».

1– (1) (المناقب / ابن شهر آشوب 3:343. ومسند أحمد 5:275. وأمالی الصدوق: 305).

2– (2) (مکارم الأخلاق / الطبرسی: 94 وبحار الأنوار 43:82/6).

2 – المشاركة الاجتماعية

المشاركة الاجتماعية ظاهرة اجتماعية تحدث نتيجة تفاعل الفرد وتعامله مع أفراد مجتمعه، ويقصد بها مشاركة الفرد مع الآخرين فى أعمالٍ تساعـد على تحقيق الهـدف الاجتماعى حين يكون مؤهلاً اجتماعياً لـذلك، وهى تنبع من المسؤولية الاجتماعية التى تتطلب من الفرد ان يكون متابعا لشؤون مجتمعه.

وتسـهم المشاركة فى تنمية المجتمع وفى تطور الوعى الاجتماعى لدى الافراد وتعزيز الشـعور عندهم بمسؤولياتهم الاجتماعية المتعددة، وتُظهر المشاركة قدر الفرد وقدرته على القيام بواجباته وتحمّل مسؤولياته بضـمير حى وروحية صافية، وإرادة ثابتة كما ان مشاركة المرأة فى قضايـا المجتمع الكبرى وإسـهامها فى حـل مشـكلاته يسـهم فى تعبئـة وتوجيه وتحريـك الطاقات الكامنـة فى الاتجاه السـليم بعيـدا عن التهميش والاقصـاء والادوار السـلبية واللافعّالـة، ولعـل واحـدة من أسوأ انتكاسات المرأة المسـلمة المعاصـرة هو تأرجحها بين الغياب أو التغيب عن الساحة الاجتماعية أو تمركزها فى دائرة الادوار الهامشـية والسـلبية الضـيقة رغم ان التغيير الاجتماعى المعاصـر هو تغيير قوى وسـريع وهو كاسـح نحو العولمـة وتمييع الثقافات الامر الـذى يتطلب مشاركة اكثر للمرأة فى الحياة الاجتماعية. وغياب المرأة عن التغيير الاجتماعى يؤدى الى تعطيل نصف طاقات المجتمع كما يؤدى الى حب الكسل والانانيـة والاثرة وغياب القيم الاجتماعيـة النبيلة كالايثار والتعاون وغيره.

ص:471

ويعد القادة هم جوهر هذه العملية واهم عناصرها ومنهم يتعلم الناس وبهم يقتدون.. وقد تكون هذه المشاركة افقية فقط اى ان حركة الفرد تكون ضمن اناس متماثلين ومتقاربين معه فى الصفات أو المكانة الاجتماعية كحركة كبار الدولة ضمن دائرة اعضاء الدولة فقط من وزراء وبرلمانيين ومدراء وهى حركة محدودة، وهناك مشاركة عمودية تطال فئات المجتمع المختلفة واكثر ما يقوم بها المصلحون والعلماء، ومن هذه الصورة كانت المشاركة الاجتماعية للزهراء عليها السلام هى مشاركة عمودية فهى عليها السلام لم تتحرك فى اطار من هم اقرب اليها فى النسب السياسى أو الاجتماعى أو الدينى بل شملت حركتها الفقراء والجهال من النساء ومركز الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها. ولم تكن الزهراء عليها السلام غائبة أو مغيبة عن الساحة الاجتماعية بل كانت حاضرة وفى اصعب المحطات واخطر المعابر، وكانت لها إسهامات واضحة فى اماكن الحرب للتضميد والاسعاف وفى عموم محاور الخدمة الاجتماعية. ومنها:

- أخرج البخارى ومسلم فى الصحيح عن عبدالعزيز بن أبى حازم، عن أبيه، أنّه سمع سهل بن سعد يُسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد، فقال: جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته وهشمت بيضته على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغسل الدم، وكان على بن أبى طالب عليه السلام يسكب عليها بالمجَنّ، فلمّا رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلاّ كثرة، أخذت

قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسک الدم(1).

- وقال الواقدی فی حدیثه عن معرکة أُحد: خرجت فاطمة علیها السلام فی نساء، وقد رأت الذی بوجهه صلی الله علیه وآله وسلم فاعتنقته، وجعلت تمسح الدم عن وجهه.

- وفی وقعة أُحد کانت قد جاءت مع أربع عشرة امرأة یحملن الطعام والشراب علی ظهورهن، ویسقین الجرحی ویداوینهم(2).

وعندما أُصیب سید الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، کانت الزهراء علیها السلام من المبادرات إلی مصرعه مع صفیة بنت عبدالمطلب، وکانت تبکی وجعل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یبکی لبکائها(3).

- عن علی بن الحسین عن عبد الرحمن بن أبی نجران، وسندی بن محمد، ومحمد بن الولید جمیعا عن عاصم بن حمید عن یزید بن خلیفة قال: کنت عند أبی عبد الله علیه السلام فسأله رجل فقال: یا أبا عبد الله أتصلی النساء علی الجنازة؟ قال: فقال: أبو عبد الله علیه السلام ان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کان فیما هدر دم المغیرة بن أبی العاص، وحدث حدیثا طویلا، وان زینب بنت النبی صلی الله علیه وآله توفیت وإن فاطمة

1- (1) (صحیح مسلم 101/1416:3 کتاب الجهاد والسیر - باب غزوة أُحد. وصحیح البخاری 113/226:5 کتاب المغازی - باب ما أصاب النبی صلی الله علیه وآله وسلم من الجراح یوم أُحد. ومغازی الواقدی 250:1 عالم الکتب - بیروت).
2- (2) (مغازی الواقدی 249:1).
3- (3) (مغازی الواقدی 290:1).

عليها السلام خرجت فی نسائها فصلت علی أختها(1).

- عن الامـام الصـادق علیه السـلام: إنّ فاطمـة علیهـا السـلام کانت تأتی قبور الشـهداء فی کل غـداة سـبت، فتأتی قبر حمزة وتترحم علیه وتستغفر له(2).

وفی مغازی الواقدی: کانت الزهراء علیها السلام تأتی قبور الشهداء بین الیومین والثلاثة، فتبکی عندهم وتدعو(3) ، واتخذت من تربة حمزة مسبحة علی عدد التکبیرات تدیرها بیدها فتکبّر وتسبّح بها، وعملت بعدها التسابیح فاستعملها الناس(4).

وهذا یعنی انها علیها السلام لم تکن بعیدة عن اوضاع الساحة بل کانت متواجدة فی المفاصل الخطرة.

3 - المساندة الاجتماعیة

وهی من مصادر الدعم الاجتماعی للافراد وبخاصة حینما یتعرضون لضغوط قاسیة فیکون الی جانبهم اناس یرتاحون لهم ویطمئنون الیهم ویشـعرون ان هـذه الرعایـة انما هی خدمـة لهم ولانسانیتهم لا من اجل مطلب مادی، والمساندة الاجتماعیة تعنی وجود اشـخاص یمکن للفرد ان یثق بهم ویعتمد علیهم وبخاصة فی وقت الازمات والضغوط ویمکنهم ان یقدموا له

1- (1) (الاستبصار - الشیخ الطوسی - ج 1 - ص 485-486 ح 1880-1).
2- (2) تهذیب الأحکام 168/465:1).
3- (3) (مغازی الواقدی 313:1)
4- (4) (بحار الأنوار 64/133:101).

العون والمساعـدة بكل أشـكالها النفسـية والماديـة، وهـذه المسانـدة تمنحهم الشـعور بالامن والقدرة على التعامل السـليم مع الضـغوط وتخفض مسـتوى المعاناة نتيجة الاحداث الضاغطة مما يكون له الاثر الكبير فى حماية الصـحة النفسية للافراد، كما وتساعد على تخفيض حدة الاحباطات الناجمة عن الضغوط التى يتعرضون لها وبذلک فهى تلعب دورا مهما فى التوافق الايجابى وزيادة القدرة على التكيف مع الاحداث، وبذلک لا يصاب الفرد بالاضـطرابات النفسـية كالاكتئاب، كما ان وجود هذا الدعم يعمق عنده الشـعور بالرضا بالقضاء والقدر اضافة الى انها تسهم فى تقوية العلاقات الاجتماعية. وفى الرواية:

– ولمّا استشـهد جعفر بن أبى طالب فى مؤتـة أمرها رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم أن تتخـذ لأَسـماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، فجرت بذلک السُنّة، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هى ونساؤها لتسليها عن المصيبة ثم اصبحت تلک سنة عامة(1).

ولم تكن هناک اى رعاية للمرأة الارملة فى الجاهلية بل كان ترملها بداية معاناة لها وبداية ظلم الآخرين عليها فموقف الزهراء عليها السـلام كان سُنة جديدة مازالت فاعلة حتى يومنا الحالى.

– وكانت الزهراء عليها السلام تتفقد جيرانها وتعود مرضاهم(2).

1– (1) (على موسى الكعبى سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ص 81 نقلا عن المحاسن للبرقى).

2– (2) (اعلموا انى فاطمة، ج 4، ص 534).

– وروى عن جابر بن عبدالله الأنصارى أنّه قال: صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العصر، فلمّا انفتل جلس فى قبلته والناس حوله، فبينا هم كذلک إذ أقبل شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلّل وأخلق، ولا يكاد يتمالک كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستحثّه الخبر، فقال الشيخ: يا نبىّ الله، أنا جائع الكبد فأطعمنى، وعارى الجسد فاكسنى، وفقير فأرشنى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أجد لک شيئاً، ولكنّ الدالّ على الخير كفاعله، إنطلق إلى منزل من يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يؤثر الله على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة». (وكان بيتها ملاصقاً لبيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى ينفرد به لنفسه من أزواجه) وقال: يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة.

فانطلق الأعرابى مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمة; نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ومختلف الملائكة، ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين، فقالت فاطمة: «عليک السلام، فمن أنت يا هذا؟» قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيک السيد البشير من شقّة، وأنا يا بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم عارى الجسد جائع الكبد فواسينى يرحمکِ الله.

وكان لفاطمة وعلىّ ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلک من شأنهما، فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن

والحسین، فقالت: «خذ أیّها الطارق، فعسی الله أن یختار لک ما هو خیر فیه»، قال الأعرابی: یا بنت محمد، شکوت الیک الجوع فناولتنی جلد کبش ما أصنع به مع ما أجد من السغب؟

قال: فعمدت لمّا سمعت هذا من قوله إلی عقد کان فی عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبد المطلب، فقطعته من عنقها ونبذته الی الأعرابی وقالت: «خذ وبعه، فعسی الله أن یعوضک به ما هو خیر منه».

فأخذ الأعرابی العقد وانطلق إلی مسجد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم والنبیّ جالس فی أصحابه فقال: یا رسول الله، أعطتنی فاطمة هذا العقد، فقالت: «بعه». قال فبکی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وقال: «کیف لا یعوّضک به ما هو خیر منه؟! وقد أعطتک فاطمة (علیها السلام) بنت محمد سیّدة بنات آدم. فقام عمار بن یاسر (رضی الله عنه) فقال: یا رسول الله، أتأذن لی بشراء هذا العقد؟ قال: «اشتره یا عمار، فلو اشترک فیه الثقلان ما عذّبهم الله بالنار»، فقال عمار: بکم العقد یا أعرابی؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم وبردة یمانیة أستر بها عورتی وأُصلی بها لربّی ودینار یبلغنی أهلی..

وکان عمار قد باع سهمه الذی نفله رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم من خیبر ولم یبق معه شیئاً، فقال: لک عشرون دیناراً ومئتا درهم هجریة وبردة یمانیة وراحلتی تبلغک أهلک، وشبعک من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابی: ما أسخاک بالمال یا رجل! وانطلق به عمّار فوفاه

فأضـمن له، وعـاد الأعرابى إلى رسول الله (صـلى الله عليه وآله) فقال له رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم «أشـبعت واكتسـيت؟» قال الأعرابى: نعم، واسـتغنيت بأبى أنت وأُمى قال: «فأجز فاطمة بصنيعها» فقال الأعرابى: اللهمّ إنّک إله ما استحدثناک ولا إله لنا نعبده سواک، وأنت رازقنا على كلّ الجهات، اللهمّ أعطِ فاطمة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت.

فأمّن النبى على دعائه وأقبل على أصـحابه، فقال: «إنّ الله قـد أعطى فاطمة فى الدنيا ذلک، أنا أبوها ولا أحد من العالمين مثلى، وعلىّ بعلها ولولا علىّ; لما كان لفاطمة كفؤ أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما سيدا شباب أسباط الأنبياء وسيدا شباب أهل الجنة.

وكان بإزائه مقداد وعمار وسـلمان. فقال: «وأزيدكم؟»، قالوا: نعم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أتانى الروح – يعنى جبرئيل – أنّها إذا هى قُبضت ودفنت يسألها الملكان فى قبرها: من ربّک؟ فتقول: الله ربّى، فيقولان فمن نبيّک؟ فتقول: أبى، فمن وليّکِ؟ فتقول: هـذا القائم على شـفير قبرى ألا وأزيدكم من فضلها؟ إنّ الله قد وكّل بها رعيلاً من الملائكة يحفظونها من بين يديها ومن خلفها وعن يمينها وعن شمالها، وهم معها فى حياتها وعنـد قبرها وعنـد موتها، يكثرون الصـلاة عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وبنيها، فمن زارنى بعـد وفاتى فكأنّما زارنى فى حياتى، ومن زار فاطمة فكأنّما زارنى، ومن زار على بن أبى طالب فكأنّما زار فاطمة، ومن زار الحسن والحسين فكأنّما زار عليّاً، ومن زار ذريّتهما فكأنّما زارهما.

فعمد عمار إلى العقد فطيّبه بالمسک، ولفّه فی بردة یمانیة، وکان له عبد اسـمه (سـهم) ابتاعه من ذلک السهم الذی أصابه بخیبر، فدفع العقد إلی المملوک وقال له: خذ هذا العقد وادفعه لرسول الله وأنت له، فأخذ المملوک العقد فأتی به رسول الله (صـلی الله علیه وآله) فأخبره بقول عمار، فقال النبی صـلی الله علیه وآله وسلم: «انطلق الی فاطمة فادفع الیها العقد وأنت لها»، فجاء المملوک بالعقد وأخبرها بقول رسول الله صلی الله علیه وآله وسـلم فأخذت فاطمة (علیها السـلام) العقد وأعتقت المملوک فضحک الغلام، فقالت: «ما یضحکک یا غلام؟»، قال: أضحکنی عظم برکة هذا العقد، أشبع جائعاً وکسی عریاناً وأغنی فقیراً وأعتق عبداً ورجع إلی ربّه(1).

4 - توظیف المسائل الاجتماعیة لخدمة قضیة الامامة

فنجـد أن الزهراء علیهـا السـلام تقوم بتوظیف الاحـداث من اجـل القضایا المصـیریة ففی ساعاتها الاخیرة قام البعض بعیادتها عیادة فردیة وجماعیة فی ایام مرضـها فقد زارتها عائشة بنت طلحة فقالت فاطمة "علیها السلام" فی جواب عائشة بنت طلحة: «أتسألینی عن هنة حلق بها الطائر، وحفی بها السائر، رفعت إلی السـماء أثرا، ورزئت فی الأرض خبراً. إن قحیف تیم، وأُحیول عـدی جاریا أبا الحسن فی السـباق، حتی إذا تفریا فی الخناق، فأسـر له الشنئان، وطویاه الإعلان، فلما خبا نور الدین، وقبض النبی الأمین، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدالا فدکا، فیالها کم من ملک ملک أنها عطیة

1- (1) بحار الأنوار: 43/56-58.

الرب الأعلى للنجى الأوفى، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلى، وإنها لبعلم الله وشهادة أمينة، فإن انتزعا منى البلغة ومنعانى اللمظة، فأحتسبها يوم الحشر، وليجدن آكلها ساعرة حميم فى لظى جحيم(1).

وقالت فاطمة "عليها السلام" فى جواب أم سلمة – رضى الله عنها – إذ قالت لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟: «أصبحت بين كمد وكرب: فقد النبى وظلم الوصى، هتك والله حجابه من أصبحت إمامته مقتضبة على غير ما شرع الله فى التنزيل وسنها النبى صلى الله عليه وآله فى التأويل ولكنها أحقاد بدرية، وترات أحدية، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لامكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان من قسى صدورها، ولبئس – على ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين – أحرزوا عائد تهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم فى مواطن الكرب ومنازل الشهادات»(2).

وكذلک زارتها نساء الانصار ولما سألنها عن حالها وجهت الامر نحو القضية الاساسية الا وهى غصب الولاية عن امير المؤمنين.

فعن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قال: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله عليها السلام اجتمع عندها

1- (1) (أمالى الطوسى، ج 1 ص 207).

2- (2) (بحار الأنوار: 156/43-157، نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب: 205/2).

نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت، من علتک؟.

فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأى، و «لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِى الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ» .

لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين، ويحهم أنى زحزحوها عن رواسى الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الوحى الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين «أَلا ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ» .

وما نقموا من أبى حسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره فى ذات الله عز وجل، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتلقه، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه، ولا وردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانا، قد تخير لهم الرى غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاسمع وما عشت أراک الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبک الحادث، إلى أى سناد استندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم

يحسنون صنعا «أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ» ،«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» .

أمـا لعمر إلهـک لقـد لقحت فنظرة ريثمـا تنتجوا، ثم احتلبوا طلاـع القعب دمـا عبيطا وزعافا ممقرا، هنالک يخسـر المبطلون.... الى نهاية الخطبة، وقد نقلت النساء خطبة الزهراء هذه الى رجالهن مما اثار كلاما بينهم حول نكثهم البيعة.

والعجيب انها فى كل اللقاءات لم تركزعلى فدک وانما كان كل الحديث عن مظلومية امير المؤمنين عليه السلام.

ص:482

الدور السياسی

اشارة

ص:483

يعرف الـدور السياسـى بانه مايقوم به المرء فى الشأن السياسـى وما يمارسه من حقوقه السياسـية وما يؤديه ضـمن هـذا الجانب، اضافـة الى المشاركـة فى التصويت والانتخاب والترشـح والـدفاع عن البلـد والمبادئ وتحصـيل الحقوق والمطالبة بالحرية والعدالة والمساواة الى غير ذلک مع حريته فى التعبير عن الرأى وحق الحياة وغير ذلک من حقوق المواطنة وواجباتها.

وكان الاسـلام ومنـذ ظهوره يمثل حركـة سياسـية دينيـة تقوم على تطهير الارض من الزعامات الوثنية السائدة وبناء المجتمع المسـلم فمن خلال ترشـيد عقيـدة التوحيد يتم اقصاء كل الضـلالات والزعامات الضالة، ويعدّ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومتابعة اوضاع الامة السياسـية واجباً دينياً يقع على عاتق المرأة والرجل دون تمييز انطلاقا من الـدور الاسـتخلافى لهما، كما ويعـدّ الطاغوت اكبر منكر يتوجب على الامة ازالته.

وقد كانت فكرة مشركى قريش وسادتها عن الدعوة الاسلامية انها حركة سياسية تهدد وجودهم ولهذا انبروا بكل وسيلة من اجل محاربتها

والقضاء عليها لِما شعروا به من تهديد خطير وكبير على مصالحهم ومكانتهم سواء السياسية أو الدينية.. كما ان الصراع بين المسلمين والمشركين لم يكن مجرد صراع دينى فحسب بل كان يمثل انقلابا كاملا على الاوضاع العامة وبداية لتطهير المجتمع من الاوثان عبر نسف الضلالات والزعامات الحاكمة، لذا كان الاسلام – بجبهتيه المؤيدة والمعارضة – هو مدار الحركة السياسية والدينية والاجتماعية بل وحتى الثقافية وكانت حالة الاضطهاد التى تعرض لها المسلمون تشكل واحدة من اقسى انواع الاضطهاد الدينى والسياسى عبر التاريخ.

ان دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاسلام كانت دعوة دينية تهدف الى تخليص الناس من الشرك وتوجيههم نحو التوحيد وكانت دعوة سياسية ايضا لكون الزعامة الدينية مرتبطة بالزعامة السياسية وهذا ما حصل لما اسس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دولته الاسلامية العظمى وعاصمتها المدينة، فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتمتع بالصلاحيات الثلاث التشريعية والتنفيذية والسياسية بما فى ذلک الحكم والقضاء وغير ذلک، وقد كان الخطاب الاسلامى عاما لكلا الجنسين فى ممارسات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومحاربة المشركين والمنافقين وتأسيس دولة الاسلام والدفاع عنها وحمايتها وارسال الوفود الى الملوک والبعثات الى الامصار وهذه كلها ممارسات سياسية عرفها المجتمع آنذاک وكانت سببا لقيام الدولة الجديدة وانتشار رقعتها.

ص:486

ولم تكن المرأة المسلمة بمعزل عن الاوضاع فقد عانى الرجل والمرأة على حد سواء من أقسى أنواع الاضطهاد السياسى وكان لهذا الاضطهاد الدينى والسياسى مظاهره المتعددة ولعل أخطرها كان حصار المسلمين فى شعب ابى طالب، إضافة الى القتل والتعذيب فحِراب قريش تقلبت على اجساد الرجال والنساء معا فكانت سمية أول شهيدة فى الاسلام، والمرأة كانت – اسوة بأخيها الرجل – تتابع مايجرى من احداث سواء ابان الدعوة السرية أو العلنية وشاركت فى عموم الادوار السياسية التى حصلت آنذاك من قبيل البيعة والهجرة والمشاركة فى الحروب والغزوات وغير ذلک.

قال تعالى:«وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضٌ هُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»1 .

وانطلاقا من ذلک تكون المشاركة السياسية للمرأة جزءاً من الواجب الدينى الملقى عليها وهذه الرؤية تعاكس تماما الرؤية النسوية التى تدعو الى تفعيل المشاركة السياسية للمرأة المعاصرة بعيدا عن الفكر الدينى من اجل تحقيق ذاتها أو تأكيد وجودها لا اكثر!!.

ان المشاركة فى العمل السياسى – إضافة الى كونها طاعة ربانية – فإنها تمنح المرأة الوعى السياسى بأحوال الامة بشكل عام مما يجعلها تراقب عن كثب اهمية اصلاح الاوضاع السائدة وتفعيل القوانين التى تصب فى خدمة

الفرد والمجتمع وبخاصة قضايا المرأة نفسها فهى أعرف بمواطن الخلل من غيرها وادرى بما تحتاج اليه النساء عموما، ولا ننسى ان هذا الاهتمام يساعد على تقوية الشعور بالانتماء العام للامة وللرسالة، كما يمنح المرأة فرصة لتنمية الشخصية وتحقيق الذات ويعزز شعورها بالمسؤولية إزاء مجتمعها ودينها، وقد تابعنا عن كثب مشاركة النساء فى كثير من بلدان العلم لإزالة المنكر الاكبر الا وهو الطاغوت ومازال الحِراك مستمرا لتطهير الارض منهم حتى ظهور دولة العدل الكاملة. وقد افرز اهتمام النساء المسلمات بالشأن السياسى ظهور كوادر سياسية رائدة أسهمت من خلال موقعها فى التعريف بالحقوق السياسية التى منحها الاسلام للمرأة قبل اكثر من ثلاثة عشر قرناً قرن والتى ناضلت النساء كثيراًفى كل أرجاء المعمورة من اجل تحصيل بعضها!.

واهم اشكال المشاركة النسوية السياسية فى عصر الاسلام هى:

1 – الدعم المالى والذى تمثل فيما قدمته السيدة خديجة عليها السلام لنصرة الدين ولتحرير الارقاء والمستضعفين.

2 – النصرة السياسية من خلال دعم الحروب والمغازى التى قادها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. سواء بحضور النساء كمحاربات مثل نسيبة أو كممرضات مثل رفيدة أو من خلال دعم المقاتلين عموما وتشجيعهم.

3 – ومن أشكال النصرة السياسية كانت بيعة النساء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم والبيعة تعنى إعطاء اليد عند إقرار المعاملة وهى تعنى الطاعة

للرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وهى أشـبه ما تكون بالتصويت لانتخاب الحاكم، وقد مارسته المرأة المسلمة من خلال البيعة التى هى التسليم لحاكمية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأول مشاركة سياسية للمرأة كانت فى بيعة العقبة حيث شاركت امرأتان هما، نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن ثابت. قال تعالى:

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللّهِ شَيْئاً وَ لا يَسْرِقْنَ وَ لا يَزْنِينَ وَ لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَ لا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»1 .

4 – اللجوء السياسى والذى تمثل فى الهجرة اولا الى الحبشة وثانيا الى المدينة.. فقد هاجر المسلمون الى الحبشة وكانت النساء مهاجرات مع ازواجهن الـذين هاجروا، وقـد ولـد عبـد الله بن جعفر بن ابى طالب فى الحبشة، وكانت الاقامة فى الحبشة قد اسـتمرت ثلاث سـنوات تحمل الجميع فيها الغربـة وقساوة الحياة وعانوا من صـعوبة الاوضاع العامـة. اما الهجرة الى المدينـة فقـد تمت على مراحل فبعض النساء هـاجرن بمفردهن تاركـات الاهـل والوطن من اجـل الـدين الحنيف، وكـانت وثيقـة التعاقـد مع قريش تنص على ان لا ـ يتم ارجاع النساء المهاجرات الى قريش مما شجع على بقائهن فى المدينة ناصرات للدعوة المحمدية.

قال تعالى:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا وَ لا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَ سْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَ لْيَسْئَلُوا» «ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»1 .

ص:490

المشاركة السياسية للزهراء عليها السلام فی حياة ابيها صلی الله عليه وآله وسلم

اشارة

وذلک من خلال عدة أمور:

1 – مشاركة المسـلمين فی مواجهة انواع الضـغوط التی تعرضوا لها كالمقاطعة الاقتصادية السياسـية فی شعب ابی طالب والهجرة وتحمل شتی صـنوف الاذی من قريش وقد عرّفنا سابقا بالظروف التی رافقت ولادتها ثم وفاة امها الی غير ذلک من أشـكال الاضـطهاد السياسی من قبل قريش.

2 – الدفاع عن النبوة

قبل وبعد الهجرة، والنبوة هی الزعامة الدينية والسياسية والتشريعية والقضائية والتنفيذية.

أ – فی المجتمع المكی

لا يخفی علی احد العلاقة الحميمة بين الرسول صلی الله عليه وآله وسلم وابنته منذ نعومة اظفارها، فالرسول صلی الله عليه وآله وسلم كان

محور حياتها، فهى تتابع شؤونه وتتألم لألمه وتدافع عنه بما أوتيت من قوة وقدرة، وقد أشرنا الى ذلک فى الدور الاجتماعى ولا بأس من ذكر بعض مواقفها عليها السلام:

- دخل صلى الله عليه وآله وسلم مرة إلى البيت وقد حثا الكافرون التراب على رأسه الشريف، فتستقبله الزهراء وتغسل التراب عن رأسه وهى باكية، فيقول لها الرسول: لا تبكى فإن الله ناصر أبيک. وعندما رمى أبو لهب رسول الله بروث البقر اندفعت فاطمة لتذب عن أبيها الرسول، وتسمع أبا لهب من الكلام ما يتوقف خلاله من السخرية برسول الله.

وعن ابن مسعود قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيّكم يقوم إلى سلا جزور بنى فلان فيأخذه فيضعه فى كتفى محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنبى ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة فجاءت فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلمّا قضى النبى صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم)(1).

1- (1) الطبرى/ذخائر العقبى/ص 47، البداية والنهاية لابن كثير/ج 6 /ص 262، وج 3 /ص 44 و 135.

ب - فى المجتمع المدنى

اى بعد الهجرة، وأهم المواقف:

1 - عن أبى حازم عن أبيه أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد فقال: جرح وجه رسول الله وكسرت رباعيّته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله تغسل الدم، وكان على بن أبى طالب يسكب عليها بالمجنّ، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدّم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا، فألصقته بالجرح فاستمسك الدّم(1).

2 - وجاء فى ذخائر العقبى: "روى عن على فى حفر الخندق عن رسول الله أن فاطمة جاءت إليه بكسرة من خبز فرفعتها إليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنىّ جئتك منه بهذه الكسرة. فقال: يا بنية أما إنها لأول طعام دخل فى فم أبيك منذ ثلاث.

3 - وخرجت مع أبيها وبعلها يوم فتح مكة، وقد ضُرِبَ للنبى صلى الله عليه وآله وسلم خِباء بالبطحاء، وجلس فيه يغتسل وكانت فاطمة عليها السلام تستره، وقيل: أمرها فسكبت له غسلاً فاغتسل(2).

لقد كانت مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى آخر لحظات عمره

1- (1) (صحيح البخارى ج 1 كتاب الوضوء باب غسل المرأة أباها الدم عن وجهه، وج 4 كتاب فضل الجهاد باب لبس البيضة، وصحيح مسلم ج 5 باب غزوة أحد).

2- (2) (مغازى الذهبى: 555).

فهی تتفقد امره وتبادر لإعانته ولو کان فی ساحة الوغی.

4 - الهجرة مع الفواطم ضمن آخر القوافل المهاجرة من مکة الی المدینة.

5 - المشارکـة فی المباهلة والتی کانت مؤتمراً لنصـرة الرسالة والدفاع عن العقیدة وحضورها علیها السـلام المباهلة کما ورد فی الروایات دلیل علی اهمیة حضورومشارکة المرأة فی العمل السیاسی.

قـال تعـالی:«فَمَنْ حَاجَّکَ فِیهِ مِنْ بَعْـدِ ما جاءَکَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَـدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ وَ أَنْفُسَـنا وَ أَنْفُسَـکُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللّهِ عَلَی الْکاذِبِینَ»1 .

المباهلة لغةً: هی الملاعنة(1) ، أی أن یطلب کلاـ المتباهلین نزول اللعنـة من الله علی الفریق الکاذب وهـذه الآیـة تبین مقام أهل البیت علیهم السـلام، ولاسـیما بضـعة المصـطفی صـلی الله علیه وآله وسـلم، وهذه المشارکة اشارة الی أفضـلیتها علیها السـلام علی کل نساء عصـرها ومنهنّ زوجات الرسول صـلی الله علیه وآله وسلم بلا استثناء. والناظر یری ان النبوة والامامة قد اجتمعتا فی وقت مبکر ضمن هذا الحضور العظیم مع ما ینعکس علیه الموقف من مخاطر کبری.

قال العلامة الطباطبائی رحمه الله:

إنها علیها السلام هی المصداق الفرد لنسائنا، وإن علیاً علیه السلام هو

1- (2) (الصحاح للجوهری: ج 4، ص 164، مادة «جهل»).

المصـداق الوحيد لأنفسـنا وانهما مصداق أبنائنا، وكان المراد بالأبناء والنساء والأنفس فى الآية هو الأهل فهم أهل بيت رسول الله وخاصـته كما ورد فى بعض الروايات بعـد ذكر إتيانه صـلى الله عليه وآله وسـلم بهم انه قال: «اللهم هؤلاء أهل. بيتى، فان معنى الجملة إنى لم أجد من أدعوه غير هؤلاء»(1).

1- (1) (تفسير الميزان: ج 3، ص 238).

الدور السياسى للزهراء عليها السلام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم

اشارة

كانت مرحلة مابعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرحلة مضطربة وساخنة بل لعلها الاسخن فيما حصل من احداث فى تاريخ الاسلام الاول، اذ تدافع الطامعون للسلطة على الاستباق للجلوس على كرسى الحكم!! ناكثين البيعة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تاركين الوصى عليه السلام مشغولا بتكفين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتغسيله وتجهيزه مع القلة القليلة من المسلمين.. انها لحظات الم حقيقية ماكان احد ليصدقها لولا ان التاريخ نطق بها!! وهى دلالة كبرى على ماكان فى النفوس خافيا من مطامع وأمانى ومن حقد دفين على صاحب الرسالة نفسه فنراه مسجى على الارض ينتظر وصيه ان يقوم بتغسيله والامة فى شغل شاغل عنه!! وبدل ان تهب الامة لوداع النبى صلى الله عليه وآله وسلم واقامة مجالس العزاء التى تليق بشأنه وتخفيف الخطب عن ابنته ومواساتها بدأ صراع محموم على الرئاسة وبدأت جبهة قاسية مع بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومن هنا

بدأ انحراف الامة عن جادة الصواب!.

وكان بامكان امير المؤمنين عليه السلام ان يعلن المعارضة المسلحة التى لن تخدم الاسلام بل انها لتنذر بفتنة كبرى قد تترك آثاراً سيئة للغاية وعلى مدى الدهر مما جعل امير المؤمنين عليه السلام يسكت عن حقه وفى العين قذى وفى القلب شجى!.. وهنا يظهر موقف الزهراء عليها السلام العظيم فى اول حملة دفاعية عن الامامة فى الاسلام بل حملة دفاعية عن الاسلام نفسه لحمايته وصيانته من التحريف والتشويه، وما جاء بعدها كان تكملة لهذا المسار الذى بدأته واستمر ويستمر هذا الدور الخطير حتى ظهور الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فدک

فدک: قرية فى الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهى أرض يهودية فى مطلع تاريخها المأثور(1).

وكان يسكنها طائفة من اليهود، ولم يزالوا على ذلک حتى السنة السابعة حيث قذف الله بالرعب فى قلوب أهليها فصالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصف من فدک وروى أنه صالحهم عليها كلها.

ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، قال تعالى:

«وَ ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لا رِكابٍ»

1- (1) (معجم البلدان / ياقوت الحموى 4:238-239).

«وَ لكِنَّ اللّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلى مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ عَلى كُلِّ شَيْ ءٍ قَدِيرٌ» 1 .

ثم قدمها لابنته الزهراء(1) ، وبقيت عندها حتى توفى أبوها صلى الله عليه وآله وسلم فانتزعها ابو بكر (2).

وقد أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فى سنة سبع للهجرة صلحا.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا بنتى ان الله قد أفاء على أبيک بفدک واختصه بها، فهى له خاصة دون المسلمين افعل بها ما أشاء وانه قد كان لامک خديجة على ابيک مهر وان أباک قد جعلها لک وانحلتکها لک ولولدک بعدک(3).

فجمع الناس الى منزلها وأخبرهم أن هذا المال لفاطمة. ففرقه فيهم وكان كل سنة كذلک وتأخذ منه قوتها(4)....

جاء فى الدر المنثور «للسيوطى» عن البزاز وأبى يعلى وابن حاتم وابن مردويه عن سعيد الخدرى أنه قال:

«لما نزلت الآية «وآت ذا القربى حقه» دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام وأعطاها فدكاً».

1- (2) (فتوح البلدان: 44)

2- (3) (الصواعق المحرقة: 38).

3- (4) (بحارالانوار: ج 29، ص 116. الخرائج: ص 25).

4- (5) (بحارالانوار: ج 29، ص 118. المناقب: ج 1، ص 142).

على هذا فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدكا فى حياته وبأمر من الله تعالى الى ابنته فاطمة عليها السلام:

- عن فضيل، عن عطية، عن أبى سعيد، قال: لما نزلت هذه الآية: وآت ذا القربى حقه، دعا النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وأعطاها فدكاً(1).

وفى المجمع فى قوله تعالى:«وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» وروى أبو سعيد الخدرى وغيره أنه لما نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وآله وسلم أعطى فاطمة عليها السلام فدكا وسلمه إليها وهو المروى عن أبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام(2).

وذكر الشيخ المجلسى عن كشف المحجة أن وارد فدک كان أربعة وعشرين ألف دينار فى كل سنة، وفى رواية أخرى سبعين ألف دينار ولعل هذا الاختلاف فى واردها حسب اختلافهم بالسنين.

فهى تمثل ثروة كبيرة وسندا قويا للبيت الهاشمى الامر الذى جعل الخلفاء يخشون ان تقع فى يد الهاشميين فتكون سببا لقوتهم ودعمهم على كسب ود الناس أو اعانة المعارضة.

و يستفاد من الروايات التأريخية أن فدكاً كانت بيد الزهراء عليها السلام وأنها كانت تتصرف فيها، ويستدل على أن فدكاً كانت بيد آل الرسول من

1- (1) (أبو يعلى الموصلى - مسند أبى يعلى 1037).
2- (2) (تفسير الميزان، السيد الطباطبائى، ج 16 - الصفحة 189).

تصريح الإمام على (عليه السلام) فى كتابه الذى أرسله إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «بلى كانت فى أيدينا فدک من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قومٍ وسخت عليها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم اللَّه...(1)

ولما ولى ابو بكر الخلافة اخرج عامل الزهراء عليها السلام من فدک(2).

واذاً كانت فدک هبة الرسول للزهراء عليها السلام أو بالاحرى هبة الله تعالى للزهراء عليها السلام، فقد بقيت عندها طيلة حياة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فلما انتقل الى الرفيق الاعلى بأيام انتزعها أبو بكر فتصدت الزهراء عليها السلام للدفاع عن حقها فالاحداث كلها دارت فى العشرة الأيام الاولى من الرحيل!، فلما استولى عليها أبو بكر كانت الزهراء بين أمرين إما أن تسكت عن حقها وإما أن تدافع عنه وتطالب به، فإن سكتت تعلم الناس السكوت عن الحق والاخطر ان السكوت يساعد على اغلاق عيون الامة عن الانحراف لما فيه الاخطر والاخطر، فلابد إذاً من مطالبة وسؤال ومقاضاة وهذا ماحصل، كما ان المطالبة بفدک كانت جسر العبور إلى المطالبة بحق امير المؤمنين عليه السلام بالخلافة، فلابد من تحريک الحق فى ضمير الأمة، وبهذا بدأت السجالات فلم تكتف الزهراء عليها السلام بالمطالبة بفدک بل بكل ما اخذ من آل البيت عليهم السلام ظُلما ولاسيما الخلافة..

1- (1) [نهج البلاغة: الكتاب رقم 45].

2- (2) (اصول الكافى، كتاب الحجة، ج 1 ص 543 رقم 5 باب الفى والانفال).

.. وقـد أرسـلت الى أبى بكر بضـعة الرسول فاطمـة الزهراء عليهـا السـلام تسـأله أن يـدفع اليها ما بقى من خمس خيبر فأبى أن يـدفع إليها شيئا(1).

كان لابـد إذاً من حركـة أو اعتراض على الاقل لبيان الحق وتعريف الناس بالانحراف الـذى بـدأ يقضم الدولة الاسـلامية الفتية ولم يكن من الصـحيح حدوث مواجهة مسـلحة لان الامر قد يؤدى الى حرب ممتدة تقضم كل انجازات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكل جهوده التى بـذلها طيلـة ثلاثـة وعشـرين عاما من الجهاد المسـتمر بل من الممكن ان تبيد الاسـلام وتجعله فى خبر كان!! فاذاً لابد من المواجهة السلمية التى لايوجد من يقودها سوى الزهراء عليها السلام!!.

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هو:

لمـاذا تطـالب المرأة الزاهـدة بأرض ذات ثقل اقتصادى عظيم قـد تقـدر بسـبعين الف دينار أو اقل على اختلاف المصادر؟ فهل هى الرغبة الدنيوية والاستئثار بالمال ام ان هناك اهدافاً اخرى؟

اننا لو تأملنا حياة الزهراء عليها السلام بعد حصولها على فدک لما وجدنا تغييراً فى حياتها، فالزهد واضح فى حياة اهل البيت عليهم السلام كلهم، فهم ما اخذوا من الدنيا شـيئا، فهم قوم اجلت طيباتهم الى الآخرة وهذا ما رأيناه من سيرة هذه المرأة العظيمة التى تعجب سلمان من ثيابها متذكرا لباس الملوک والجبابرة!! ثم انها عليها السلام فى حياة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وعندما

1- (1) (صحيح البخارى 36/3، صحيح مسلم 72/2).

اعطاها فـدكا كانت – كما تؤكـد الروايات – تنفق هذا الريع على فقراء المسـلمين ولـم تدخر منه شـيئا لزينة اولثوب اوغيره بل بقيت الزهراء عليها السـلام المتواضـعة الزاهـدة تردد ما كان على يقول: يا دنيا غرى غيرى... فما قبل فـدك وما بعدها لـم يكن سوى شـيء واحد وهو ان الزهراء عليها السـلام قبل فدك لـم تک تملک شيئا وكانت زاهدة فى الدنيا على بساطة لباسها وثيابها وعيشها وبعد فدک ملكت الكنز الكبير لكنها ايضا بقيت الزاهـدة المتواضـعة فى ملبسـها وعيشـها!! فالمسألة هى ان هناک فرقاً بين ان تكون زاهدا وبين ان تكون مظلوما مغصوب الحق!، ان المسألـة فى فـدک ان هناک حقاً مغتصـباً وهناک ظلـم لال البيت عليهم السـلام بسـلبهم حقوقهم الكثيرة ومنها حقهم فى هـذه الارض التى اعطيت للزهراء عليها السـلام بامر الهى، هـذا من جانب ومن جانب اخر ارادت الزهراء عليها السـلام ان تجعل من مطالبتها بارض فـدک مـدخلا لبيان انحراف الحاكم عن جادة الصـراط ولبيان عـدم التزامهم بجملـة من الاوامر الالهيـة ومن ضـمنها مسالة الامامة فتصدت الزهراء عليها السـلام لكى تسحب الشرعية من الحكومة الحاضرة وجعلت فدكاً جسرا للمطالبة ومنبرا اعلاميا لبيان ضلال الخليفة وانحرافه عن الحق!

روى الحلبى عنه عليه السلام "أن فاطمة عليها السلام جعلت صدقاتها لبنى هاشم وبنى المطلب"(1).

كانت عائدات فدک للفقراء والمستضعفين وكانت مطالبة الزهراء عليها

1- (1) (من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج 2، ص 38 ح 1639).

السلام بهذا الحق هو مطالبة بحق الفقراء والمستضعفين الذين لا يقدرون ولن يمكنهم المطالبة بها!! ولما ضاعت فدک وحرموا من عطائها وخيراتها فقد استشعروا الحرمان وبهذا بقوا يتذكرون عطاء الزهراء عليها السلام طوال الدهر ويكنون لها الولاء والمحبة.

يقول السيد الحكيم رحمه الله:

لقد كانت هناک مقاصد كثيرة جعلت الزهراء تطالب بحقها فی فدک وان كانت المطالبة قد لا تؤتی بشیء، منها؛ تنبيه الامة الی سلسلة الانحرافات الجديدة عن جادة الدين ومنها اماطة اللثام عن الوجه الحقيقی للخلافة التی لم ينص عليها الرسول صلی الله عليه وآله وسلم، ومنها تعليم الناس الاساليب الصحيحة فی المطالبة بالحقوق اضافة الی انها استطاعت ان تسحب الشرعية عن الحكومة الجديدة وفی نفس الوقت ثبتت شرعية اهل البيت عليهم السلام فی ارض فدک(1).

واقول: ان الامة كانت قد تعودت – خلال حكم الرسول صلی الله عليه وآله وسلم – علی قيادة المعصوم عليه السلام الذی ماكان ينطق عن الهوی بل هو وحی يوحی، ورغم ان المسلمين فی احايين كثيرة كانوا يتمردون علی بعض التشريعات أو الاوامر الالهية فتنزل آيات الوحی لتعاتبهم امام احتجاجاتهم علی تقسيم الفیء مثلا أو امور اخری، وقد تصور المسلمون وبخاصة الذين دخلوا فی الاسلام بعد فتح مكة ان الامور ستستمر علی هذه

1- (1) (فاطمة الزهراء عليها السلام الموقع)

الحال فكل من يجلس على دفة الحكم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو انسان معصوم لا يخطئ أبدا!!، ولو أنهم اجرَوا الامور على ماعاهدوا عليه الرسول فى يوم الغدير من بيعتهم مع الوصى من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذى هو أمير المؤمنين عليه السلام لكان الحق واضحا ولكن حينما يزاح الامام المعصوم عليه السلام عن حقه فى ولاية الامة فان هذا يعنى استقبال الاخطاء والتأويلات والانحرافات والحكم بما لم ينزل الله.. بمعنى آخر كان يجب ان تفهم الامة ان مسيرة الانحراف قد بدأت تنخر فى جسد الامة وان عليهم ان يفهموا ما ألحقه الحكام من ظلم بأهل البيت عليهم السلام ومن مروق عن الثوابت الدينية من خلال هذه السجالات الاولية.

إن موقف الزهراء عليها السلام كان حركة تغييرية واضحة المعالم استخدمت فيها عليها السلام الاساليب الحضارية فى المطالبة بالحقوق اما الطرف الآخر فلجا الى أساليب متدنية من قبل التكذيب والاهانة والهجوم على الدار الى غير ذلک مما مهد لصراع تاريخى طويل الامد مازالت آثاره واضحة حتى الوقت الحالى.

يقول على عليه السلام:

فرأيت ان الصبر على ذلک أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفک دمائهم والناس حديثو عهد بالاسلام والدين يمخض مخض الوطب يفسده ادنى وهن ويعكسه اقل خلف(1).

1- (1) (عبدالحميد بن ابى الحديد، شرح نهج البلاغة ج 1، ص 308).

وقد أشاروا عليه بارجاع فدک حينما تولى الخلافة فقال عليه السلام:

«لما آلت الخلافة إلى علىّ بن أبى طالب كُلِّم فى رد فدک فقال: إنّى لأستحى أن أرُدَّ شيئاً منع منه أبوبكر وأمضاه عمر»(1).

آليات الحركة السياسية عند الزهراء عليها السلام

اشارة

لقـد اتخـذت الزهراء عليها السـلام من قضـية فـدک مـدخلا للمطالبة بحق زوجها فى الخلافة وبيان مدى انحراف القيادة الجديدة عن خط الرسالـة، وكانت اول المـدافعين عن الامامة لا من باب ان الامام عليّاً هو زوجها.. ابدا.. بل من باب الحرص على الامة والتوجيه الى اهمية اطاعة امر الله ورسوله فى تثبيت الوصى الحق بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد امتنع الامام عليه السـلام عن البيعة وبقى فى بيته استنكاراً على ما سارت عليه الامور بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا اعلن شـجبه لما حصل فى السـقيفة، ولكنه عليه السـلام حقنا لدماء المسـلمين وخشـية الدخول فى ممارسات مسـلحة قد تأكل الاخضـر واليابس حرص الامام - وكذلک الزهراء - على ان تكون المعارضة سلمية من خلال مظاهر شتى اهمها:

1 - الاستجواب السياسى

فقد أرسلت الزهراء عليها السلام الى ابى بكر تستعلمه عن سبب طرد

1- (1) (كتاب سليم بن قيس" ص 353).

وكيلها من فدک...

وعن أبی الطفیل قال: (أرسلت فاطمة إلی أبی بکر: أنت ورثت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أم أهله؟ قال: بل أهله..).(1).

واننا نلاحظ هـذا الاسـتجواب نفسه یحصل امام المسـلمین فی المسـجد النبوی بعد أن أتمت الزهراء علیها السـلام خطبتها فی المسـجد، ومهما کانت النتائـج فإن مجرد اسـتجواب أبی بکر وبتلک الصورة وبخاصـة امام الناس جمیعا ومن قبل الصدیقة بنت المصـطفی لهو اهانة کبری ومؤشر علی عدم وجود الاهلیة التامة عنده للرد السلیم والمنطقی مما أبان ضعفه فی المسائل الدینیة کما سنری.

2 - الشوری السیاسیة

فقد أشار إلیها امیر المؤمنین علیه السلام أن تذهب الی الخلیفة وتطالبه بمیراثها، عن أبی جعفر (علیه السلام) قال: قال علیٌّ لفاطمة (علیهما السـلام): «إنطلقی فـاطلبی میراثک من أبیک رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله) فجاءت إلی أبی بکر وقالت: لِمَ تمنعنی میراثی من أبی رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله)؟ وأخرجت وکیلی من فـدک وقد جعلها لی رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله) بأمر اللّه تعالی؟» فقال: إن شاء اللّه إنک لا تقولین إلا حقاً ولکن هاتی علی ذلک شـهوداً، فجاءت ام أیمن وقالت له: لا أشهد - یا أبابکر - حتی أحتج علیک بما قاله رسول اللّه (صلی الله علیه وآله)، انشدک باللّه

1- (1) شرح نهج البلاغة ابن أبی الحدید 16:218219.

ألست تعلم ان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) قال: «أُم أيمن امرأة من أهل الجنة»؟ فقال: بلى، قالت: فأشهد أن اللّه - عز وجل - أوصى إلى رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله) (فآت ذا القربى حقّه) فجعل فدكاً لها طعمة بأمر اللَّه، وجاء على (عليه السلام) فشهد بمثل ذلک.

وروى أن الإمام علياً عليه السلام جاء إلى أبى بكر وهو فى المسجد فقال: «يا أبابكر لم منعت فاطمة ميراثها من رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم وقد ملكته فى حياة رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال أبوبكر: هذا فىء المسلمين، فإن أقامت شهوداً أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم جعله لها، وإلّا فلا حق لها فيه، فقال أميرالمؤمنين (عليه السلام): «يا أبابكر أتحكم فينا بخلاف حكم اللَّه فى المسلمين؟» قال: لا، قال (عليه السلام): «فإن كان فى يد المسلمين شى ء يملكونه، ثم ادّعيت أنا فيه، من تسأل البينة؟» قال: إيّاک أسأل البينة، قال (عليه السلام): «فما بال فاطمة سألتها البينة على ما فى يدها وقد ملكته فى حياة رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله) وبعده، ولم تسأل المسلمين بينة على ما ادّعوا شهوداً كما سألتنى على ما ادعيت عليهم؟»... فسكت أبوبكر.

فقال عمر: يا على، دعنا من كلامک، فإنا لا نقوى على حجتک، فإن

أتيت بشهود عدول، وإلا فهو فىء المسلمين لا حق لک ولا لفاطمة فيه.

فقال الإمام على عليه السلام: «يا أبابكر تقرأ كتاب اللَّه؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «أخبرنى عن قوله عز وجل:«إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ»

«اَلرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فيمن نزلت؟ فينا أو فى غيرنا؟» قال: بل فيكم، قال عليه السلام: «فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم بفاحشة ما كنت تصنع بها؟»، قال: كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء العالمين!، قال على عليه السلام: «كنت إذن عند اللَّه من الكافرين»، قال: ولِمَ؟ قال عليه السلام: «لأنّک رددت شهادة اللَّه بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم اللَّه وحكم رسوله أن جعل لها فدكاً وزعمت أنّها فى ء للمسلمين، وقد قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر» فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضاً، وقالوا: صدق واللَّه علىّ (1).

3 - الخطاب السياسى

الخطاب السياسى هو سيل الجمل والكلمات الموجّه عن قصد إلى المتلقى بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب عن طريق الشرح والتحليل والإثارة ويتضمن هذا المضمون أفكارًا سياسيةً، ويهدف السياسى من خطابه إلى تغيير النفوس والعقول والأفكار والواقع مما يجعله فى حالة لها صفات وسمات وهيأة معينة. ويتسم الخطاب السياسى بالشدة والتحدى والقدرة القوية فى الاقناع والتأثير، ولأنه يخاطب جمهورا من الناس فإن مساحة التأثير اقوى من غيره كالخطاب الاجتماعى أو التربوى، ولهذا تحرص الحكومات ان

1- (1) [الاحتجاج للطبرسى: 234/1، وكشف الغمة: 478/1، وشرح النهج لابن أبى الحديد: 274/16].

تكون ذات خطاب واحد بمعنى عدم فسح المجال لمن هم فى غير دفة الحكم بأن يلقوا خطاباتهم بحرية صيانة لكراسيهم، ومن هنا جاء فى الحديث ان افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، فكلمة الحق هذه هى خطاب معارض يفضح السلطة.

ولم يک يتصور الخليفة ان يكون خطاب الزهراء عليها السلام فى المسجد حاملا لشىء من تلک المواصفات ولو علم ذلک ما أباح لها الكلام!! بل ربما انه تصور ان تكون للزهراء عليها السلام كلمة سريعة عاجلة فيها الندب على وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو المرور الخاطف على مسألة فدک لا اكثر!، ولأنها مريضة وقداستحوذ عليها الحزن لفراق ابيها فسيكون كلامها ضعيفا هزيلا خاصة وانه لم تمر مناسبة سابقة تكون الزهراء عليها السلام قد ألقت خطابا مثلا ليتعرف الجاهلون بها والمتجاهلون لها عن المنطق الربانى لسيدة نساء العالمين.

وكان خطاب الزهراء عليها السلام اول خطاب لمعارضة داعمة لأهل البيت عليهم السلام بتعبير آخر كانت عليها السلام هى اللسان الناطق عنهم، اذ لم يعد هناک خطاب واحد كما كان الحال فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بل ظهرخطاب التضاد أو الخطاب المعارض والذى يهدف الى تأجيج الوعى فى عقول الناس وتحريک الاتجاهات فى المسار الصحيح الموالى لآل البيت عليهم السلام.. هو اذن خطاب النخبة الواعية المظلومة والمعصومة.

ص:509

خطبتها الاولى فى المسجد النبوى وامام المسلمين كافة

وعن جماعة قال(1): (قالوا: لما بلغ فاطمـة عليها السـلام إجماع أبى بكر على منعها من فـدك، لاثت خمارها وأقبلت فى لمـة من حفدتها ونساء قومها... حتى دخلت على أبى بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار...

ولنلقِ نظرةً فاحصةً على خطبة الزهراء عليها السـلام فى المسـجد أمام أبى بكر وبين حشود المهاجرين والأنصار، فإنها عليها السلام تناولت فى أغلب جوانبها امتداح الإمام علىّ (عليه السـلام) والثناء على مواقفه الجهادية الخالصة لخدمة الإسـلام، وتسـجيل الحق الشرعى لأهل البيت (عليهم السـلام) الذين وصـفتهم بأنّهم الوسيلة إلى اللّه فى خلقه وخاصته ومحلّ قدسه وحجّته، وورثة أنبيائه فى الخلافة والحكم مع بيان فضلهم على الامة عبر مقارنة ماكانوا عليه وما أصبحوا فيه.

الخطبة الأولى

فى مسجد الرسول صلى الله عليه وآله...

قالت زينب بنت على بن أبى طالب: لَمّا بلغ فاطمـة إجْماعَ أَبى بَكْرٍ عَلى مَنْعها حقَّها من فَدَكٍ، لاثَتْ خِمارَها وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وَأَقْبَلَتْ فى لُمَّةٍ مِنْ حَفَدَتِها وَنِساءِ قَوْمِها تجُرُّ أدْراعَها، وتَطَأُ ذُيُولَها، لا تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، حَتَّى دَخَلَتْ عَلى أبِى بَكْرٍ، وَهُوَ فِى

1- (1) شرح نهج البلاغة / ابن أبى الحديد 211:16.

حَشْدٍ مِنَ المُهاجِرِينَ وَالأنْصارِ وَغَيْرِهِمْ. فَنِيطَتْ دُونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَستْ ثُمّ أنَّتْ أنَّةً أجْهَشَ لَها القَوْمُ بِالْبُكاءِ والنحيب، فَارْتَجَّ الَمجْلِسُ، ثُمَّ أمْهَلَتْ هُنَيَّةً حَتّى إذا سَكَنَ نَشِيجُ القَوْمِ وهَدَأتْ فَوْرَتُهُمْ وسكنت روعتهم، افْتَتَحَتِ الكَلامَ بالِحَمْدِ للهِ وَالثَّناءِ عَلَيْهِ، وَالصَلاةِ عَلى رَسُولِهِ فى كلام طويل من الثناء والتحميد، فَعادَ القَومُ فِي بُكائِهِمْ، فَلمَّا أمْسَكُوا عَادَتْ فِي كَلامِها فَقَالَتْ عليها السلام:

أبْتَدِئُ بحمدِ مَنْ هو أوْلى بالحمدِ والطولِ والمجدِ. الحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلى ما ألْهَمَ، والثَناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغُ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عَدَدُها، وَنَأى عَنِ الجَزاءِ أمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بِالشكْرِ لاتّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلى الخَلائِقِ بِإجْزالِها، وَثنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها.

وَأشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأويلَها، وَضَمّنَ القُلُوبَ مَوْصُولَها، أنارَ فِي الَفِكَرِ مَعْقُولَها. المُمْتَنِعُ مِنَ الأبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ صِفَتُهُ. ابْتَدَعَ الأَشْياءَ لامِنْ شيء كانَ قَبْلَها، وَأنْشَأها بِلا احْتِذاءِ أمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وذَرَأها بِمَشِيَّتِهِ مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تكْوِينِها، وَلا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِها إلاّ تَبْييناً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهاً عَلى طَاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وَإعْزازاً لِدَعْوَتِهِ. ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ عَلى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وحِياشَةً لَهُمْ إلى جَنَّتِهِ.

وَأشْهَدُ أنَّ أَبى مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أنْ أرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أنْ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطَفَاهُ قَبْلَ أنْ ابْتَعَثَهُ إذِ الخَلائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسَتْرِ الأهاوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالَى بِمآئِلِ الأُمُورِ، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ المقدُورِ.

ابْتَعَثَهُ اللهُ إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلى إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ، فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً فِى أدْيانِها، عُكَّفاً عَلى نِيرانِها، عَابِدَةً لِأوْثانِها، مُنْكِرَةً للهِ مَعَ عِرْفانِها، فَأنارَ اللهُ بِأَبى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظُلَمَها، وَكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلا عَنِ الأَبْصارِ عَمَهَها، وعن الأنْفُس غُمَمَها، وَقامَ فِى النَاسِ بِالهِدايَةِ، فَأنْقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وَهَداهُمْ إلى الدينِ القَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ إلى الصراطِ المُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأفَةٍ وَاخْتِيارٍ، وَرَغْبَةٍ وَإيثارٍ، فَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله فِى راحَةٍ مِنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ، مَوضُوعاً عَنْهُ أعْباءُ الأَوْزارِ، وَمَحْفُوفاً بِالْملائِكَةِ الأَبْرارِ، وَرِضْوانِ الربِّ الغَفَّارِ، وَمُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبَّارِ، صَلَّى الله على أبى نَبِيِّهِ وَأمِينِهِ عَلى الَوحْى وَصَفِيهِ، وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيّهِ، وَالسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

ثمّ التفتت عليها السلام إلى أهل المجلس وقالت: وأنْتُم عِبادَ اللهِ نَصْبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ حولكم، زَعِيمُ حَقّ لهُ فيكُمْ، وَعَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ.. وَنحن بَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَها عَلَيْكُمْ، ومعنا كِتابُ اللهِ النَّاطِقُ، وَالقرآن الصَّادِقُ، وَالضياءُ اللاَّمِعُ، بَيِّنَةٌ

بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مَتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أشْياعُهُ، قَائِدٌ إلى الرضْوانِ أتْباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَجاةِ اسْتِماعُهُ، بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وعَزَائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ الْمحَذَّرَةُ، وَبَيناتُهُ الجَالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكَافِيَةُ، وَفَضَائِلُهُ المَنْدُوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ المَكْتُوبَةُ. فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشركِ، وَالصَلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، وَالزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً فِي الرزْقِ، وَالصيامَ تَثْبِيتا لِلإخْلاصِ، وَالحَجَّ تَشْييداً لِلدينِ، وَالعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطَاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الفُرْقَةِ، وَالجِهادَ عِزّاً لِلإسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الوَالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ منْساةً فى العمر ومَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالقِصاصَ حَقْناً لِلدماءِ، وَالوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ المَكائِيلِ وَالمَوَازِينِ تَغْييراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرجْسِ، وَاجْتِنابَ القَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ، وَحَرَّمَ الشرْكَ إخْلاصاً له بِالربُوبِيَّةِ.. فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَأَطِيعُوا اللهَ فِي ما أمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإنَّهُ قال إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ. فاحْمَدُوا اللهَ الذى بِعَظمَتِهِ ونُوْرِهِ ابْتَغَى مَنْ فى السَمَواتِ والأرْضِ إليه الوسيلةَ، فنَحْنُ وَسيلَتُهُ فى خَلْقِهِ ونَحْنُ آلُ رسُولِهِ، ونَحْنُ خاصَّتُهُ، ومَحَلُّ قُدْسِهِ، ونَحْنُ حُجَّةُ غَيْبِهِ، ووَرَثَةُ أنْبيائِهِ.

أيها النّاسُ: أنَا فَاطِمَةُ وَأبِى مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أقُولُها حَقّاً عَوْداً وَبَدْءاً، ما أقُولُ إذ أقُولُ غَلَطاً، وَلاَ أفْعَلُ مَا أفْعَلُ سرفاً ولا شَطَطاً. لَقَدْ

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنَ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَعْزُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمى دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ المَعْزِى إِلَيْهِ صلّى الله عليه، فَبَلَّغَ النذارَةَ صَادِعَاً بِالرِسَالَةِ، ناكباً عَنْ سنن المُشْرِكِينَ، ضَارِباً لأَثْبَاجِهِمْ، آخِذَاً بِأَكْظامِهِمْ، دَاعِيَاً إِلى سَبِيلِ رَبّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَفُضُّ الهام ويجُذُّ الأَصْنامَ، حَتّى انْهَزَمَ الجَمْعُ وَوَلَّوُا الدبُرَ، وحَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلَ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدينِ، وهدأتْ فَوْرَةُ الكفْر، وَخَرسَتْ شَقَاشِقُ الشَّياطِينِ، وَطَاحَ وَشِيظُ النفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الكُفْرِ وَالشِقَاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإِخْلاصِ، فِي نَفَرٍ مِنَ البِيضِ الخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأَنْقَذَكُم منها بنبيّهِ، تعْبُدُونَ الأَصْنامَ وتَسْتَقْسِمُونَ بالأَزْلام مَذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ القدَّ والوَرَقَ، أَذِلَّةً خَاسِئِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ بِنبيّه صلى الله عليه وآله بَعْدَ اللَّتِيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ ما مُنِيَ بِبُهَمِ الرجالِ، وَذُؤْبانِ الَعَربِ، وَمَرَدَةِ أَهَلِ الكِتَابِ، كُلَّما أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَربِ أَطْفَأها اللهُ، أو نَجَمَ قَرْنٌ للضلالة، أو فَغَرَتْ فَاغِرَةُ المُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخَاهُ عليّاً فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِحدِّهِ، مَكْدُوداً فِي طاعة اللهِ ورسوله، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ الله، سَيّداً فِي أَوْلِياءِ اللهِ، مُشَمِّراً نَاصِحَاً مُجِدّاً كَادِحَاً.. وَأَنْتُمْ فِي بُلَهْنِيَةٍ وَادِعُونَ آمِنُونَ فرِحون، وفى رَفَاهِيَةٍ مِنَ العَيْشِ فَكِهُونَ، تأْكُلُون العَفْوَ وتشرَبُوْنَ الصَفْوَ، تَتَوَكَّفُونَ

الأخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النزالِ وَتَفِرونَ مِنَ القِتَالِ!!

فَلَمّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيهِ دَارَ أنْبِيائِهِ، وَمحلَّ أصْفِيائِهِ، ظَهَرَتْ فِيكُمْ حَسِيْكَةُ النفاقِ، وَانْسَمَلَ جِلْبابُ الدينِ، وأخْلقَ عهده، وانتقضَ عقده، وَنَطَقَ كَاظِمٌ، وَنَبَغَ خَامِلٌ، وَهَدَرَ فَنِيقُ الباطِلِ يخْطُرُ فِي عَرَصَاتِكُمْ، وَأطْلَعَ الشّيطانُ رَأسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ صارخاً بِكُمْ، فَألْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُصيخينَ، وَلِلْغِرَّةِ مُلاحِظِينَ، واسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافاً، وَأحْمَشَكُمْ فَألْفاكُمْ غِضاباً، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وأَوَرَدْتُموها غَيْرَ شِرْبِكُمْ.

هَذا وَالعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَر، بِدارَاً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الفِتْنَةِ! ألا فِي الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالكافِرِين.

هَيْهَاتَ مِنْكُمْ؟ وَأينَ بِكُمْ؟ وَأنَّى تُؤْفَكُونَ؟! وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأحْكامُهُ زَاهِرَةٌ، وزَوَاجِرُهُ قاهرة، وَأوَامِرُهُ لائِحَةٌ، وأدلته وَاضِحَةٌ، وَأعْلامُهُ بَيّنَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ!! أرَغْبَةً ويحَكُمْ عَنْهُ تُدْبِرُونَ؟ أمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟! بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً.. وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ.

ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا بعد اجتهاد إلاّ رَيْثَما سكنتَ نِفْرَتُها، وَاسْتَلَسَ قِيادُها، ثُمَّ أخَذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطَانِ الغَوِيّ، وَإِطْفاءِ أنْوارِ الدّينِ الجَلِي، وَإِهْمادِ سُنَنِ النَبيّ الصَفِيّ، تُسِرّونَ حَسْوَاً فِي ارْتِغَاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ فِي الخَمَرِ وَالضَّرآءِ، وَنحن نَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى

مِثْلِ حزّ المُدَى، وَوَخْزِ السنانِ فِي الحَشَا! وَأَنْتُمْ الآنَ تَزْعَمُونَ أنْ لا إِرْثَ لَنَا ولا حظّ! أفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمَاً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ!! بَلى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنى ابْنَتُهُ!

إيْهاً معاشر المُسْتَلمينَ، أأبْتَزُّ إِرْثِيَهْ؟ يَا ابْنَ أبِى قُحافَةَ أفِي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ وَلاَ أرِثُ أبِيَهْ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئَا فَرِيَّاً! جرْأةً منكم على قطيعة الرحِم ونكْث العهْد، أفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُد. وَقَالَ فِي ما اقْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام إِذْ قَالَ: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ. وَقَالَ: وأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ. وَقَالَ: يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظ الأُنْثَيَيْنِ. وَقَال: إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقَّاً عَلى المُتَّقِينَ.

وَزَعَمْتُمْ أنْ لاحظْوَةَ لِي وَلا إِرْثَ مِنْ أبى، وَلاَ رَحِمَ بَيْنَنَا! أفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أخْرَجَ أبِى صلى الله عليه وآله مِنْها؟ أمْ هَلْ تَقُولُونَ: إِنَّا أهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثانِ؟ أوَلَسْتُ أنَا وَأبِى مِنْ أهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أمْ أنْتُمْ أعْلَمُ بِخُصُوصِ القرآن وَعُمُومِهِ مِنْ أبِى وَابْنِ عَمى؟!

فَدُونَكَهَا مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً مزْمومةً، تكون معک فى قبرک، وتَلْقاکَ يَوْمَ حَشْرِکَ، فَنِعْمَ الحَكَمُ اللهُ، وَنعم الزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالمَوْعِدُ القِيامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ المُبْطِلُونَ. وَلِكُل نَبَأٍ مُسْتَقَر، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيه وَيَحِل عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ!

ثُمَّ رَنَتْ عليها السلام بِطَرْفِها نَحْوَ الأنْصارِ وَقالَتْ:

يَا مَعْشَرَ النَّقِيبَةِ، وَأعْضادَ المِلَّةِ، وَحَضَنَةَ الإسْلاَمِ: مَا هَذِهِ الغَمِيزَةُ فِي حَقّى، وَالسِنَةُ عَنْ ظُلاَمَتِى؟! أمَا قال رَسُولُ اللهِ أبِى: الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِى وُلْدِهِ؟ لَسَرْعانَ مَا أحْدَثْتُمْ، وَعَجْلاَنَ ذَا إهالَة، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِما احاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أطْلُبُ وَأزاوِلُ؟! أتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ؟ لعمرى خَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَفُقِد رَاتِقُهُ، وَأظْلَمَتِ الأرْضُ لِغَيْبَتِهِ واكتأبت خِيرَةُ الله لِمُصِيبَتِهِ، وَخَشَعَتِ الجِبالُ، وَأكْدَتِ الآمالُ، وَأُضِيعَ الحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الحُرْمَةُ، فَتِلْكَ وَاللهِ النَّازِلَةُ الكُبْرى، وَالمُصِيبَةُ العُظْمى، لا مِثْلُها نَازِلَةٌ، وَلا بائِقَةٌ عاجِلَةٌ، أعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فى مَمْساكُمْ وَمُصَبَّحِكُمْ، يَهْتِفُ بِهِ فِى أفْنِيَتِكُمْ هِتافاً وَصْراخا، وَتِلاوَةً، وَإلحاناً، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضَاءٌ حَتْمٌ: وَما مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرسُلُ أفَإِنْ مَاتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ.

إيْهاً بَنِى قَيْلَةَ! أأُهْضَمُ تُراثَ أبِيَهْ، وَأنْتُمْ بِمَرْأىً مِنّى وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدى وَمَجْمَعَ؟ تَشْمَلُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَلْبَسْكُمُ الحَيْرَةُ، وفيكم العَدَدُ وَالعُدَّةُ وَلكم الدارُ وعندكم الجُنَنُ والأداةُ وَالقُوَّةُ، وَعِنْدَكُمُ السلاحُ، تُوافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأتِيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغِيثُونَ وَأنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاحِ، والنخْبَةُ الَّتى انتُخِبَتْ لنا أهلَ البيتِ، وَالخِيَرَةُ الَّتى اخْتِيرَتْ فنابذتُمْ فينا صميم العَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاهضْتُمُ الأُمَمَ،

وَكَافَحْتُمُ البُهَمَ، لانَبْرَحُ ولا تَبْرَحُونَ نَأمُرُكُمْ فَتَأتَمِرُونَ، حَتَّى إذا دارَتْ بِنا رَحى الإسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأيَّامِ، وَخَضَعَتْ نخوة الشركِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإفْكِ، وَهَمَدَتْ نِيرانُ الكُفْر وَهَدَأتْ روْعةُ الهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدينِ. فَأنّى حِرتُمْ بَعْدَ البَيَانِ، وَأسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإعْلان، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإقْدامِ وجَبُنْتُمْ بعدَ الشَجاعَةِ، عن قوْمٍ نكَثُوا أيْمانَهُمْ، من بعد عَهْدِهِمْ وطَعَنُوا فى دينكم. فقاتلُوا أئمّةَ الكُفْرِ إنّهُمْ لا أيْمانَ لَهُمْ لَعَلّهُمْ يَنْتَهُوْنَ. ألا تُقاتِلُونَ قَوْمَا نكَثُوا أيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ أتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أحَق أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.

ألا، قَدْ أرى والله أنْ قَدْ أخْلَدْتُمْ إلى الخَفْضِ، وَأبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أحَق بِالْبَسْطِ وَالقَبْضِ، وَخُلِبتُمْ بِالدَّعَة، نجَوْتُمْ مِنَ الضيقِ بِالسعَةِ، فَمَجَجْتُمْ الذى عرفتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِى تَسَوَّغْتُمْ، فَإنْ تَكْفُرُوا أنْتُمْ وَمَنْ فِى الأرْضِ جَمِيعاً فَإنَّ اللهَ لَغَنِى حَمِيدٌ.

ألا وَقَدْ قُلْتُ الذى قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّى بِالخِذْلَةِ الَّتِى خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ الَّتِى اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، ومنية الغَيْظِ، ونفْثَةُ الصدْرِ، ومعذرَةُ الحُجَّة!! فَدُونكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبْرَةَ الظَّهْرِ، مَهِيْضَةَ العَظْمِ خَوْراءَ القناةِ، نَاقِبَةَ الخُفّ، باقِيَةَ العارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ موصولةً بشَنارِ الأبَدِ، متصُلَةً بِنارِ اللهِ المُوقَدَةِ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلى الأفْئِدَةِ.

فَبِعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ، واعملوا إنّا عاملون، وَانْتَظِرُوا إنّا مُنْتَظِرُونَ، وَأنا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ. فكِيْدُونى جَمِيْعاً ثُمّ لا تُنْظِرُون.

وَسَيَعْلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ.

فَأجابَها أبو بكر وَقَال:

يابِنْتَ رَسُولِ اللهِ لَقَدْ كَانَ أَبُوكِ بِالمُؤْمِنِينَ عَطُوفاً كَرِيماً رَؤُوفاً رَحِيماً، وَعَلى الكافِرِينَ عَذاباً أليماً وَعِقاباً عَظِيماً، إِنْ عَزَوْناهُ وَجَدْناهُ أباكِ دُونَ النساءِ، وَأخا إِلْفِكِ دُونَ الأَخِلاَّءِ، آثَرَهُ عَلى كُل أمْرٍ جَسِيمٍ، وَساعَدَهُ عَلى كُل أمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبكُم إلاّ كُل سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إلاّ كُل شَقى، فَأنْتُمْ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ الطَّيبونَ، وَالخِيرَةُ المُنْتَجَبُونَ، عَلى الخَيْرِ أدِلَّتُنا، وَإلى الجَنَّةِ مَسالِكُنا، وَأنْتِ يا خَيْرَةَ النساءِ، وَابْنَةَ خَيْرِ الأَنْبِياءِ، صادِقَةٌ فِى قَوْلِكِ، سابِقَةٌ فِى وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقكِ، وَلا مَصْدُودَةٍ عَنْ صِدْقِكِ. وَاللهِ ما عَدَوْتُ رَأىَ رَسُولِ اللهِ، وَلا عَمِلْتُ إلاّ بِإذْنِهِ، وَإنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أهْلَهُ، وَإنى اشْهِدُ اللهَ وَكَفى بِهِ شَهِيداً أنّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: نَحْنُ مَعاشِرَ الأَنْبِياءِ لا نُوَرثُ ذَهَباً وَلا فِضَّةً وَلا داراً وَلا عِقاراً، وَإنَّما نُوَرثُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَالعِلْمَ وَالنبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوالى الأَمْرِ بَعْدَنا أنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ، وَقَدْ جَعَلْنا ماحَاوَلْتِه فِى الكُراعِ وَالسلاحِ يُقاتِلُ بِها المُسْلِمُونَ، وَيُجاهِدُونَ الكُفَّارَ، وَيُجادِلُونَ المَرَدَةَ الفُجَّارَ، وَذَلِكَ بِإجْماعٍ مِنَ المُسْلِمِينَ لَمْ أنْفَرِدْ بِهِ وَحْدِى، وَلَمْ اسْتَبِدَّ بِما كانَ الرَّأىُ فِيهِ عِنْدِى، وَهذِهِ حالِى وَمالِى هِىَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، وَلا تُزْوى عَنْكِ، وَلا تُدَّخَرُ دُونَكِ، وَأنْتِ سَيدَةُ أُمَّةِ أبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِبَّةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ مالَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأصْلِكِ، حُكْمُكِ نافِذٌ فِيما مَلَكَتْ يَداىَ، فَهَلْ تَرَيْنَ أنْ أُخالِفَ فِى

ذَلِکَ أباکِ.

قالت علیها السلام: سُبْحانَ اللهِ ما کانَ رَسُولُ اللهِ صلی الله علیه وآله عَنْ کِتابِ اللهِ صادِفاً، وَلا لأحْکامِهِ مُخالِفا، بَلْ کانَ یَتْبَعُ اثَرَهُ، وَیَقْتَفِی سُوَرَهُ، أفَتَجْمَعُونَ إلی الغَدْرِ اعْتِلالاً عَلَیْهِ بِالزورِ، وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِیهٌ بِما بُغِیَ لَهُ مِنَ الغَوائِلِ فِی حَیاتِهِ، هَذا کِتابُ اللهِ حَکَماً عَدْلاً وَناطِقاً فَصْلاً یَقُولُ: یَرِثُنِی وَیَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبِ. وَیَقُولُ: وَوَرِثَ سُلَیْمانُ داوُد، فبیّنَ عَزَّ وَجَلَّ فِی ما وَزَّعَ مِنَ الأقْساطِ، وَشَرَعَ مِنَ الفَرائِضِ وَالمِیراثِ، وَأباحَ مِنْ حَظ الذکْرانِ وَالإناثِ ما أزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلِینَ، وَأزالَ التَظَنی وَالشبُهاتِ فِی الغابِرِینَ. کَلاَّ بَلْ سَوَّلَتْ لَکُمْ أنْفُسُکُمْ أمْراً، فَصَبْرٌ جَمِیلٌ وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلی ما تَصِفُونَ.

فَقالَ أبو بکر: صَدَقَ اللهُ وَصَدَقَ رَسُولُهُ وَصَدَقَتْ ابْنَتَهُ، أنْتُمْ مَعْدِنُ الحِکْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدی وَالرَّحْمَةِ، وَرُکْنُ الدینِ، وَعَیْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صَوابَکِ، وَلا أُنْکِرُ خِطَابَکِ، هؤلاءِ المُسْلِمُونَ بَیْنِی وَبَیْنَکِ قَلَّدُونِی مَا تَقَلَّدْتُ، وَباتفاقٍ مِنْهُمْ أخَذْتُ ما أخَذْتُ، غَیْرَ مُکابِرٍ وَلا مُسْتَبِدّ وَلا مُسْتَأثِرٍ وَهُمْ بِذلِکَ شُهُودٌ.

فَالْتَفَتَتْ فاطِمَةُ علیها السلام إلی النَّاسِ وَقَالَتْ: مَعاشِرَ النَّاسِ المُسْرِعَةَ إلی قِیلِ الباطِلِ، المُغْضِیَةَ إلی الفِعْلِ الخاسِرِ، أفَلا تَتَدَبَّرُونَ القرآن أمْ عَلی قُلُوبٍ أقْفالُها. کَلاَّ بَلْ رَانَ عَلی قُلُوبِکُمْ ما أسَأتُمْ مِنْ أعْمالِکُمْ، فَأخَذَ بِسَمْعِکُمْ وَأبْصارِکُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأوّلْتُمْ، وَسَاءَ ما بِهِ أشَرْتُمْ، وَشَرٌ ما مِنْهُ

اغْتَصَبْتُمْ، لَتَجِدُنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقِيلاً، وَغِبَّهُ وَبِيلاً، إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَرَاءَه الضَّراءِ، وَبَدا لَكُمْ مِنَ رَبكُمْ ما لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ. وَخَسِرَ هُنالِکَ المُبْطِلُونَ. ثُمَّ انكفأت إلى قبر أبيها صلى الله عليه وآله وقالت:

قَدْ كانَ بَعْدَکَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْثُرِ الخُطَبُ

إِنّا فَقَدْناکَ فَقْدَ الأَرْضِ وَابِلَها وغاب مذْغِبْتَ عنّاالوحىُ والكُتُبُ

تَهَضَّمَتْنا رِجالٌ وَاسْتُخِفَّ بِنا إِذْ بِنْتَ عنّا فنحن اليوم نُغْتَصَبُ

أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجوْى صُدُورِهِمُ لَمَّا فُقِدْتَ وَحالَتْ دُونکَ الكُثُبُ

قال: فما رأينا يوماً أكثر باكياً وباكيةً من ذلک اليوم.

والمصادر لذلک كثيرة منها(1):

وتنتهى أسانيد الرواية إلى عدد من الرواة، منهم زينب الكبرى بنت على وفاطمة، والحسين الشهيد، والباقر عليهم السلام، وابن عباس، وعبد الله بن الحسن المثنى، وغيرهم.

ردّ فعل أبى بكر على خطاب الزهراء عليها السلام

يقول الطبرى فى دلائل الامامة:

اضطرب المجلس وتفرق الناس وارتفعت الضجة وأصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) حديث الناس فلجأ أبوبكر إلى التهديد والوعيد.

1- (1) من لا يحضره الفقيه للمحدث الشيخ محمد بن على المعروف بالصدوق - ت 381 ه - ودلائل الإمامة للطبرى محمد بن جرير بن رستم - ت 310 ه - وغيرهم.

وروى أنّ أبابكر لما شاهد أثر خطاب الزهراء على الناس قال لعمر، تربت يداک ما كان عليک لو تركتنى(1).

الخطبة الثانية

خطبتها الثانية كانت امام نساء المهاجرين والانصارففى الرواية:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان، قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسينى قال حدثنا أبو الطيب محمد بن الحسين بن حميد اللخمى قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا، قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن المهلبى، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قال: لما اشتدت علة فاطمة بنت رسول الله عليها السلام اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها: يا بنت رسول الله كيف أصبحت، من علتک؟.

فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحا لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأى، و «لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِى الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ» .

لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وشننت عليهم عارها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين، ويحهم أنى زحزحوها عن رواسى الرسالة وقواعد النبوة

1- (1) (دلائل الإمامة، للطبرى: ص 39).

ومهبط الوحى الأمين والطبين بأمر الدنيا والدين «أَلا ذلِکَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ» .

وما نقموا من أبى حسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره فى ذات الله عز وجل، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاعتلقه، ولسار بهم سيرا سجحا لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانا، قد تخير لهم الرى غير متحل منه بطائل إلا بغمر الماء وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلم فاسمع وما عشت أراک الدهر العجب وإن تعجب وقد أعجبک الحادث، إلى أى سناد استندوا؟ وبأية عروة تمسكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا «أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لكِنْ لا يَشْعُرُونَ»، «أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» .

أما لعمر إلهک لقد لقحت فنظرة ريثما تنتجوا، ثم اختلبوا طلاع القعب دما عبيطا وزعافا ممقرا، هنالک يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا، واطمأنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا وزرعكم حصيدا «فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَ نُلْزِمُكُمُوها وَ أَنْتُمْ لَها كارِهُونَ» .

وهاتان الخطبتان تعدّان من أهم خطب صدرالاسلام الأول، لأنّهما تضمّنتا أخطر التحولات التى شهدها تاريخ الإسلام بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كشفت الخطبة عن القدرة البيانية والانسانية والمعرفية فى الخطيبة، ومن المعروف انه كلما قويت العلاقة بالقرآن زادت القدرة البيانية والمعرفية وهذا أسهم فى كشف شخصية المتحدثة امام جمهور المسلمين وبخاصة لمن لم يعرفها عليها السلام بأنها امرأة غير عادية.

وقد تميز الخطاب عموما بامور منها:

أنها حددت الخط القيادى لهذه الامة من خلال بيان مظلومية ومناقب الوصى عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبذلک شخصت وأسهمت فى التعريف والتأكيد على القيادة السياسية الصالحة لهذه الامة من خلال محاججتها للخليفة حيث بان قصور أبى بكر فى الوعى والفهم والرد وبخاصة وان الامر كان امام المسلمين كلهم!!.

كما كان الخطاب طافحا بالمشاعر الانسانية النبيلة والتى وضحت من الخطبة والحوار فالزهراء عليها السلام تذكّر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو أبوها من دون كل الرجال ثم تذكر ماكان سابقا وماحل لاحقا وكيف ورث الناس آباءهم وهى ابنة النبى الصديقة الطاهرة لا تمتلک الحق فى وراثة أبيها!!.. وبهذا القت بالشرعية الكاملة على كل ماقالته وعلى من أوصى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير مما جعل شرعية الحاكم فى تأرجح وتذبذب!!. وسنمر فى الدور الاعلامى على تفاصيل اكثر.

ص:524

4 - اعلان المعارضة السياسية

وقد كانت الاحداث متسارعة وكان السجال علنا امام المسلمين مما اكد على ان الامة على مفترق طرق، فطريق الزهراء وعلى عليهما السلام يسير بعيدا عن دار الخلافة الامر الذى فتح الباب على مصراعيه لبيان خط التشيع الاصيل.. وبهذا اصبح واضحا ان سلب فدك من اهلها انما كان لسحب القوة ممن هم اهل الخلافة الشرعية والامامة والزعامة وبهذا اصبح واضحا ان الزهراء فى الصف المعارض، واعلان معارضتها عليها السلام لنهج أبى بكر يأتى من عدة أمور منها:

دورانها على بيوت الانصار لبيان حقها ومظلوميتها، ففى الرواية:

فلما أن كان الليل حمل على عليه السلام فاطمة عليها السلام على حمار وأخذ بيدى الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحدا من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتاه فى منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته.

ويذكر سلمان الفارسى أن أمير المؤمنين عليه السلام فعل ذلک ثلاث ليال متوالية، فلما لم يجد سوى أربعة أنصار فقط لزم بيته وأقبل على جمع القرآن وتأليفه(1).

وفى رواية اخرى: فدار بها أربعين صباحاً فى بيوت المهاجرين والأنصار، والحسن والحسين (عليهما السلام) معها، وهى تقول: يا معشر المهاجرين

1- (1) (كتاب سليم بن قيس ج 2 ص 580).

والأنصار، انصـروا الله، فإنى ابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بايعتموه: أن تمنعوه وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم، ففوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيعتكم(1).

5 - المقاطعة السياسية

وبعد وضوح الخط الاصـيل لآل البيت عليهم السـلام كان لابد من خطوات تدعيمية، فكانت مقاطعة الزهراء عليها السلام للشيخين والتى استمرت حتى وفاتها.. والبداية كانت بإعلان غضبها على الشيخين ففى الرواية:

كان الصـحابة رجالاً ونساءً يعودون فاطمة عليها السلام بين الحين والحين، إلاّ عمر وأبابكر لم يعوداها لأنها قاطعتهما ورفضتهما ولم تأذن لهمـا بعيادتهـا، وحينما ثقل عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجـدا بـداً من عيادتها لئلا تموت بنت النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم، وهى ساخطة عليهما، وتبقى وصمة العار تلاحق الخليفة وجهازه الحاكم إلى يوم القيامة.

فجاء لعيادتها تحت ضغط الرأى العام، فسألا عنها، وقالا لأمير المؤمنين عليه السلام: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعتذر إليها من ذنبنا.

قال: ذلک إليكما. فقاما فجلسا عند الباب.

1- (1) (جعفر مرتضى العاملى، الصحيح من سيرة الامام على عليه السلام ج 10 ص 91).

ودخل على عليه السلام على فاطمة عليها السلام فقال لها: أيتها الحرة، فلان وفلان بالباب، يريدان ان يسلما عليک فما تريدين؟ قالت: البيت بيتک، والحرة زوجتک، افعل ما تشاء!

فقال: شدى قناعک، فشدت قناعها، وحولت وجهها إلى الحائط. فدخلا وسلما وقالا: ارضى عنا رضى الله عنک، فقالت: مادعا إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا ان تعفى عنا. فقالت: ان كنتما صادقين فأخبرانى عما أسألكما عنه، فإنى لا أسألكما عن أمر إلاّ وانا عارفة، بأنكما تعلمانه، فإن صدقتمانى علمت أنكما صادقان فى مجيئكما. قالا: سلى عما بدالک. قالت: نشدتكما بالله، هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «فاطمة بضعة منى من آذاها فقد آذانى»؟ قالا: نعم.

فرفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم انهما قد آذانى، فأنا أشكوهما إليک و إلى رسولک، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما.

قال: فعند ذلک دعا أبو بكر بالويل والثبور، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من قول امرأة(1).

ثم تلا ذلک اعلان المقاطعة الكاملة مع الشيخين وعدم السماح لهما بملاقاتها عليها السلام:

.. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا فوجدت من ذلک على أبى

1- (1) (البحار: 43l198).

بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد أبيها ستة أشهر فلما توفيت دفنها على عليه السلام ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر(1).

وجاء فى صحيح البخارى، ج 5، ص 82: «غضبت فاطمة من أبى بكر وهجرته إلى أن ماتت».

وقال ابن قتيبة الدينورى فى كتابه تأويل مختلف الحديث: وقد طالبت فاطمة عليها السلام أبا بكر بميراث أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما لم يعطها إياه حلفت أن لا تكلمه أبدا وأوصت أن تدفن ليلا لئلا يحضرها فدفنت بالليل(2).

ويعد سلاح المقاطعة واحدا من اكثر الاسلحة تأثيرا وبخاصة إذا اخذنا نظر الاعتبار مكانة الزهراء عليها السلام من جهة وحداثة رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة اخرى.. وسنرى تألم أبى بكر من عدم السماح له بحضور تشييع الزهراء عليها السلام.

والملاحظ ان سلاح المقاطعة قد استعمل مرات ومرات فى التاريخ البشرى، وقد دعا الكثير من السياسيين وعلماء الدين الى مقاطعة البضائع الاسرائيلية والدول الداعمة لها كعقاب على تجاوزاتها المستمرة على مقدسات المسلمين وسياسة التطهير العرقى التى تنتهجها.

ولم يک امر المقاطعة سهلا على الشيخين بل حاولا كسره مرات ومرات

1- (1) (أيضاً شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 16 ص 217، كشف الغمّة للاَربلى: ج 1 ص 477).
2- (2) (الدينورى، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (المتوفى 276 ه -)، تأويل مختلف الحديث، ج 1، ص 300، تحقيق: محمد زهرى النجار، دار الجيل، بيروت، 1393، 1972.

ففی الروایة:

... فقال عمر لأبی بکر: انطلق بنا إلی فاطمة علیها السلام فإنا قد أغضبناها فانطلقا جمیعا فاستأذنا علی فاطمة علیها السلام فلم تأذن لهما فأتیا علیا فکلماه فأدخلهما علیها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلی الحائط فسلما علیها فلم ترد علیهما السلام(1). بل انهما لما سمعا بدفنها حاولا نبش القبور التی فی البقیع ففی الروایة ان علیا جعل سبعة قبور مزورة فی البقیع لتضلیل الناس عن قبرها وانما ارادا ذلک کی یتخلصا من وصمة العار الابدیة انهما اغضبا بنت النبی التی یغضب الله لغضبها. ففی الروایة:

ارتفعت أصوات البکاء من بیت علی علیه السلام فصاح أهل المدینة صیحة واحدة، واجتمعت نساء بنی هاشم فی دارها، فصرخن صرخة واحدة کادت المدینة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلی علی علیه السلام، وهو جالس، والحسن والحسین بین یدیه یبکیان، وخرجت ام کلثوم، وهی تقول: یا أبتاه یا رسول الله، الآن فقدناک حقا لا لقاء بعده ابدا. واجتمع الناس فجلسوا وهم یضجون، وینتظرون خارج الجنازة

لیصلوا علیها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد اخر إخراجها فی العشیة(2). وأقبل أبوبکر وعمر یعزیان علیا علیه السلام، ویقولان له: یا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة علی ابنة رسول الله صلی الله

1- (1) (ابن قتیبة الإمامة والسیاسة 13/1)

2- (2) (البحار: 43|192).

عليه وآله وسلم(1). ولكن عليا غسلها وكفنها هو وأسماء فى تلك الليلة ثم نادى: يا ام كلثوم، يا زينب يا حسن، يا حسين، هلموا تزودوا من أمكم فهـذا الفراق واللقاء والجنة، وبعد قليل نحاهم امير الؤمنين عليه السـلام(2) عنها. ثم صـلى على على الجنازة، وشـيعها هو والحسن والحسـين وعقيل وسـلمان وأبوذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنه الفضل(3). فلما هدأت الاصوات ونامت العيون ومضـى شطر من الليل أخرجها امير المؤمنين عليه السلام ودفنها سرا وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، فدفنوها وعفوا تراب قبرها.

وروى ان عليا عليه السـلام سوى قبرها مع الأرض مسـتويا، وقيل: سوى حواليها قبورا مزورة سبعة حتى لا يعرف احد قبرها، وروى انه رش اربعين قبرا حتى لاـ يبين قبرها من غيره من القبور خوفا من الاعـداء(4). فلما اصـبح الناس أقبل عمر وأبو بكر والناس يريدون الصـلاة على فاطمة عليها السلام.

فقال المقداد: قد دفنا فاطمة عليها السلام البارحة، قال العباس: انها أوصت ان لاتصليا عليها.

فقال عمر: والله لقد هممت أن أنبشها فأصلى عليها، فقال على عليه

1- (1) (البحار: 43|199).

2- (2) (البحار: ج 43 اص 179)

3- (3) (البحار: 43|183).

4- (4) (البحار: 43|183).

السلام: والله لو رمت ذاک لارجحت الیک یمینک، لئن سللت سیفی لا أغمدته دون ازهاق روحک، فانکسر عمر وسکت وعلم ان علیاً اذا حلف صدق(1).

وهذا یعنی انهما ادرکا مامعنی ان تدفن الزهراء لیلا ولا یصلی علیها احد!.

ولا ـ بأس ان نستعرض بعض ردود الفعل تجاه ماقام به الشیخان، اذ یقول ابن أبی الحدید المعتزلی فی أمر فدک: وسألت علی بن الفارقیّ مدرّس المدرسة الغربیة ببغداد، فقلت له: أکانت فاطمة علیها السلام صادقة؟

قال: نعم.

قلت: فَلِم لم یدفع إلیها أبو بکر فَدَک وهی عنده صادقة؟

فتبسّم، ثمّ قال کلاماً لطیفاً مستحسناً مع ناموسه وحُرْمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها الیوم فدک بمجرّد دعواها لجاءت إلیه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم یکن یمکنه الاعتذار والموافقة بشیءٍ؛ لأنّه یکون قد أسجل علی نفسه أنّها صادقة فیما تدّعی کائناً ما کان من غیر حاجة إلی بیّنة ولا شهود.

وهذا کلام صحیح؛ وإن کان أخرجه مخرج الدُّعابة والهزل(2).

1- (1) (البحار: 43|199).

2- (2) (شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج 16 ص 284).

6 - توجيه الناس الى مظلومية امير المؤمنين عليه السلام

وذلک من خلال عدة مواقف اهمها:

أ - لما أُستخرج أمير المؤمنين من منزله، خرجت فاطمة صلوات اللّه عليها خلفه، فما بقيت امرأة هاشمية، إلا خرجت معها حتى انتهت قريباً من القبر، فقالت لهم: خلوا عن ابن عمى، فو الذى بعث محمداً بالحق، لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعرى ولأضعن قميص رسول اللّه، على رأسى ولأصرخن الى اللّه، فما ناقة صالح بأكرم على اللّه من ولدى.. فقال سلمان: فرأيت واللّه أساس حيطان المسجد تقلعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ، فدنوت منها وقلت: يا سيدتى ومولاتى إن اللّه تبارک وتعالى بعث أباک رحمة، الى ان قال سلمان: فرجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها.. فدخلت فى خياشيمنا(1).

ب - روايتها للكثير من الاحاديث فى فضائل على عليه السلام ذكرنا بعضها ولا بأس أن نشير الى غيرها.

1 - عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، عن فاطمة: بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: أنسيتم قول رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم (من كنت مولاه فعلى مولاه)؟ وقوله صلى الله عليه وآله: (أنت منى بمنزلة هارون من موسى)؟!(2)

1- (1) (الاحتجاج ج 1 ص 113 و 114).

2- (2) (أسنى المطالب، لشمس الدين الجزرى، ص 50).

ب – عن زينب ابنة على، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: أما إنک يا على وشيعتک فى الجنة(1).

ج – عن محمود بن لبيد قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فاطمة عليها السلام تأتى قبور الشهداء وتأتى قبر حمزة وتبكى هناک، فلما كان فى بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها – صلوات الله عليها – تبكى هناک، فأمهلتها حتى سكنت، فأتيتها وسلمت عليها وقلت: يا سيدة النسوان قد والله قطعت أنياط قلبى من بكائک، فقالت: يا أبا عمرو لحق لى البكاء فلقد أصبت بخير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، واشوقاه إلى رسول الله. ثم أنشأت تقول:

إذا مات يوماً ميت قل ذكره وذكر أبى مذ مات والله أكثر

قلت: يا سيدتى إنى أسألک عن مسألة تتلجلج فى صدرى، قالت: سل، قلت: هل نص رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته على على عليه السلام بالإمامة؟ قالت: واعجباه أنسيتم يوم غدير خم؟ قلت: قد كان ذلک، ولكن أخبرينى بما اسر إليک، قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: (على خير من أخلفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدى، وسبطاى وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم إلى يوم القيامة).

قلت: يا سيدتى فما باله قعد عن حقه؟ قالت: يا أبا عمر لقد قال

1- (1) (دلائل الإمامة: ص 2 و 3. ومثله فى (إحقاق الحق) ج 7، ص 307. و (ينابيع المودة) ص 257).

رسول الله صـلى الله عليه وآله: مثـل الإمام مثل الكعبـة إذ تؤتى ولا تأتى - أو قالت مثل على - ثم قالت: أما والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه لما اختلف فى الله اثنان ولورثها سـلف عن سـلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، ولكن قدموا من أخره الله، وأخروا من قـدمه الله، حتى إذا ألحـدوا المبعوث، وأودعوه الجـدث المجـدوث، اختاروا بشـهوتهم، وعملوا بآرائهم، تبا لهم، أولم يسمعوا الله يقول:«وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»1 بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه:«فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ»2 . هيهات بسـطوا فى الدنيا آمالهم، ونسوا آجالهم، فتعساً لهم وأصلّ أعمالهم، أعوذ بک يا رب من الحور بعد الكور(1).

د - إن سيدة النسوان فاطمة عليها السلام لما منعت فدک وخاطبت الأنصار، فقالوا: يا بنت محمد لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأبى بكر ما عدلنا بعلى أحداً، فقالت: وهل ترک أبى يوم غدير خم لأحد عذراً(2).

ه -- فى خطبتها التى ألقتها فى مسـجد أبيها صـلى الله عليه وآله وسـلم، على مسـمع ومرأى من المسـلمين وبضمنهم الحكومة الجديدة، فكان مما قالته: "أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبى وابن عمى؟".

1- (3) (عوالم المعارف: ج 11، ص 228).
2- (4) (الخصال، ج 1، ص 173).

وقالت أيضاً: "أبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض"(1).

وقد أشارت إلى أهمية الامامة فقالت عليها السلام: وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة.

وهـذا امر مهم للغايـة فى بيان امامـة امير المؤمنين عليه السـلام وبخاصـة واننا اذا تتبعنا الاحـداث فيما بعـد نجـد ان الخلفاء عموما سواء العباسـيون أو الامويون ادعوا الامامـة ظلما وعدوانا وذلک فى مخطط التضـليل الاعلامى الخطير الذى كان يهدف الى اسـباغ الشـرعيات على وجودهم فى السـلطة وسـحب البساط عن اهل البيت عليهم السـلام عموما. مثل هـذا جرى كثيرا وهـذه احـدى الشواهـد بين الامام موسى بن جعفر عليهم السلام وهارون العباسى حول فدک.

قال هارون للامام: «حُدَّ لى فدکا حتى أردّها اليک». ظنّ هارون أنه بذلک يسـتطيع أن يسـلب آل البيت شـعار ظلامتهم الذى طالما رفعوه مطالبين بفدک.

امتنع الامام فى أول الامر، وحين أصرّ عليه هارون قال الامام: «لا أخذها إلا بحدودها.

قَبِل هارون بذلک، وبدأ الامام يذكر حدود فدک فقال: «أما الحد الاول فَعَدَن». وَعَدَن تعنى نهاية الجزيرة العربية... تقول الرواية: فتغير وجه هارون وقال: إيها!. قال الامام: «والحدّ الثانى سمرقند» أى أقصى شرق حكومة

1- (1) (دلائل الإمامة، للطبرى، ص 117 والاحتجاج، للطبرسى، ص 137 وبحار الأنوار ج 29 ص 226).

هارون. فاربـدّ وجه هارون. ثم قال الامام: «الحـد الثالث أفريقية» أى أقصـى غرب البلاد الاسـلامية. فاسودّ وجه هارون وقال: هيه! ثم قال الامام: «والحدّ الرابع سيف البحر مما يلى الجزر وأرمينية» أى أقصى شمال العالم الاسلامى آنذاك.

استشاط هارون غضبا وقال ساخرا: فلم يبق لنا شيء، فتحول الى مجلسى... أى اجلس على سرير الخلافة مكانى!

وتقول الرواية بعد ذلک: إن الامام قال: قد أعلمتک أننى إن حددتها لم تردّها، فعند ذلک عزم على قتله(1).

وقالت: ما الذى نقموا من ابى الحسن؟

نقموا والله منه نكير سيفه وقلة مبالاته لحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره فى ذات الله(2).

ز - عن كتاب مصباح الأنوار للشيخ هاشم بن محمد عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام:

«لما حضـرت فاطمة الوفاة بكت، فقال لها أمير المؤمنين عليه السـلام: يا سـيدتى ما يبكيک؟ قالت: أبكى لما تلقى من بعدى، فقال لها: لا تبكى فوالله إن ذلک لصغير عندى فى ذات الله»(3).

1- (1) (البحار 144/48).

2- (2) (المجلسى، البحار ج 43، ص 160، اربلى، ج 1، ص 492 و 493).

3- (3) (بحار الأنوار ج 43 ص 218 ح 49).

ان الزهراء عليها السلام كانت قد علّمت الآخرين اهمية الدفاع والمحافظة على حياة الوصى ولهذا كانت هناك ثلة لا تترك الامام عليه السلام خوف الايقاع به، كما ان دفاع الزهراء عليها السلام عن على عليه السلام كشف للآخرين اهمية الامامة وانها لا تقبل المساومة وان الشرعية السياسية لاتتم إلا بوجود الامام المنصوص عليه وبهذا فهى كيان مقدس لا يمكن استبداله.

7 - التوظيف السياسى للشعر

سيمر علينا فى الدور الاعلامى ان الشعر هو احد الوسائل الاعلامية القديمة، فقد كان الشاعر هو الناطق الرسمى للقبيلة ولهذا اهتم اهل البيت عليهم السلام بدعم الشعراء الموالين لهم، فى حين بذلت السلطات الاموال الكثيرة لكسب ألسنة الشعراء الداعين الى حكمهم. وعادة يكون الشعر اسهل حفظا وأعظم اثرا من النثر عموما وبخاصة اشعار الرثاء فإنّ تأثيرها عميق لا محالة.. وقد كان للشعر الحسينى دوره الكبير فى نشر المعارف الحسينية و إماطة اللثام عن ظلم واستبداد الحكومات والحكام والخلفاء.

على هذا فقد كان للشعر صداه السياسى والمعرفى والاعلامى والتربوى، وقد كشف الشعر السياسى عن الكثير من الوقائع والاحداث، كما كان عاملا من عوامل انطلاق الثورات وبث الارادة لدى الشعوب كما قال الشاعر ابو القاسم الشابى:

اذا الشعب يوما اراد الحياة فلابد ان يستجيب القدر

ولابد لليل ان ينجلى ولابد للقيد ان ينكسر

حيث اصبحت هذه الابيات نشيدا يردده الثائرون فى كل ساحات التغيير والجهاد.. ولما نعود الى الزهراء عليها السلام نجد انها قالت جل اشعارها بعد رحيل ابيها صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تبتغى تحريک المشاعر وتوظيفها فى اطار خدمة مسيرة اهل البيت عليهم السلام ونصـرة الولاية، ولهذا نجد ان للشـعر الزهراوى مزاياه من حيث كونه مصدرا للعواطف النبيلة ومنبعا للفضائل الانسانية وهو ايضا حاكيا عن ظلم (الخلافة الراشدة) وشاكيا وجع الامة وانحراف مسيرتها، تقول عليها السلام:

قد كان بعدک أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

انا فقدناک فقد الارض وابلها واختل قومک فاشهدهم فقد نكبوا

تجهمتنا رجال واستخف بنا بعد النبى وكل الخير مغتصب

قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا فغبت عنا فكل الخير محتجب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به عليک تنزل من ذى العزة الكتب

فقد لقينا الذى لم يلقه أحد من البرية لا عجم ولا عرب

سيعلم المتولى ظلم حامتنا يوم القيامة انى سوف ينقلب

فسوف نبكيک ما عشنا وما بقيت لنا العيون بتهمال له سكب

وهذه الابيات قالتها امام الملأ بعد اكمال الخطبة، ومن البديهى ان كل حاضـر كان من كان سـيحس بمظلوميتها عليها السلام وألمها، وقد كان بالامكان ان تكتفى بالخطبة ولكنها آثرت ان تصب شكواها فى هذا القالب

الشعرى الذى يسهل حفظه ونقله وخزنه إضافة الى عمق تأثيره وهكذا جل الابيات التى اوردنا بعضها فى الدور الثقافى انما كانت تنطلق من هذا التأثير.. تقول عليها السلام:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختى وندائيا

صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

قد كنت ذات حمى بظل محمد لا أختشى ضيماً وكان حما ليا

فاليوم أخشع للذليل وأتقى ضيمى وأدفع ظالمى بردائيا

فإذا بكت قمرية فى ليلها شجناً على غصن بكيت صباحيا

فلأجعلن الحزن بعدک مؤنسى ولأجعلن الدمع فيک وشاحيا

ماذا على من شم تربة أحمدٍ أن لا يشم مدى الزمان غواليا(1)

8 - الاحتجاج السياسى الخالد

وذلک من خلال وصيتها عليها السلام بعدم اعلان مراسم تشييع عامة لها ودفنها سرا! وهذا دليل على عدم رضاها عما فعله الشيخان بل على ماقدمته الامة ايضا من دعم لهما واهمال لحقها، فلقد أرادت عليها السلام ان تسجل الموقف تاريخيا ليتساءل المسلمون دوما عن قبرها وعن وفاتها السريعة بعد ابيها... و ليقول المسلمون كلما حلت بهم من ويلات ومصائب ان كل ما جرى لنا هو من السقيفة وبهذا مزقت الزهراء عليها السلام السقيفة تاريخيا

1- (1) (أعيان الشيعة) ج 1، ص 323.

ونسفت كل ماتأسس فيها من ظلم لآل البيت عليهم السلام.

وهـذه رسالـة خالـدة أوصـلتها الزهراء عليهـا السـلام الى الاجيـال على مر التاريـخ، ليبقى التساؤل مطروحا دائما اين هو قبر الزهراء عليها السلام؟ ولن تجد الاجيال على مدى التاريخ جوابا!!، ولقد كان قبر امير المؤمنين عليه السلام مُغيبا ولكن الله عرّف به كى تقصده الناس من كـل حـدب وصوب، لكن قبر الزهراء عليهـا السـلام بقى سـرا دفينا!! لانه يمثل الوجع الاول للامـة، وهو يمثل ايضا ظلامتها بل هو ظلامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه أوليست هى عليها السلام ام ابيها وبهجة قلبه التى من آذاها فقد آذى رسول الله ومن آذى رسول الله فقد آذى الله ومصـيره الى النار!! فكل عاقل يعلم ان بضعة المصطفى قد غاب قبرها ليعرف الناس ظلامتها دوما وابدا، ولهذا لم ينفع التأويل والتزييف الـذى حصل فيما بعد فى اقصاء الناس عن ساحة المظلومية والتى تسـتمر كنسـيج متواصل مع مظلومية آل البيت عليهم السـلام حتى تصل الى صاحب الامر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وسنمر على تفاصيل اكثر من خلال الدور الاعلامى.

ص:540

الحركة الفاطمية تحت المجهر

المتتبع للحركة الفاطمية المطالبة بحقها فى فدک وفى دفاعها عن الامامة يصل الى معطيات عدة اهمها:

قـد تكون الظروف ضاغطة على الرجل ولا تسـمح له بالتحرک ولكن حركة المرأة أيسـر وأسـهل مما يمنحها قوة التأثير بالشـكل الذى يكون معبرا عن القضايا المطلوبـة، وهـذا ماوجـدناه فى حركة الزهراء عليها السـلام، فالظروف لم تكن تسـمح للإمام عليه السـلام بأن يدخل فى معترک مع أبى بكر لكنها كانت مناسبة جدا للزهراء عليها السلام.

وأنّ صبر أمير المؤمنين عليه السـلام على القوم ما كان إلاّ بعهدٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر عند خذلان الأُمّة(1)، وأنّه عليه السـلام كان يقول واصـفاً حاله بعد البيعة: «فنظرتُ فإذا ليس لى معين إلاّ أهل بيتى، فضـننتُ بهم عن الموت، وأغضـيتُ على القذى، وشربت على

1- (1) (الاحتجاج | الطبرسى: 75)

الشجا، وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمرّ من طعم العلقم»(1).

وقال عليه السلام: «وطفقت أرتئى بين أن أصول بيدٍ جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أنّ الصبر على هذا أحجى، فصبرتُ وفى العين قذىً، وفى الحلق شجىً، أرى تراثى نهباً...»(2).

2 – ان المرأة والرجل كليهما مسؤولان عن صيانة الامة وحمايتها وحفظ رسالتها، ويبدو ان أبى بكر لم يكن يدور فى خلده أبدا أن الزهراء عليها السلام ستدخل معه هذا المعترك القاسى وبهذا الشكل وامام الجماهير والناس كلهم لتكشف القناع عن الانحراف الذى بدأ يدب فى جسد الامة، وقد تحدثنا سابقا ان مفهوم الدور ينطلق على ماقام به الشخص وما ينبغى القيام به وماهو متوقع منه وقد كان سحب الشرعية عن الخليفة الحاكم مما ينبغى القيام به ولكنه ربما غير منتظر أو هودور غير متوقع من الزهراء الزاهدة العابدة التى ترى ان افضل شىء للمرأة ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل!!، لأن التكليف واحد للمرأة والرجل على حد سواء.

قال تعالى:«وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضٌ هُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِکَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»3 .

1- (1) (نهج البلاغة | صبحى الصالح: 68 الخطبة 26).

2- (2) (نهج البلاغة | صبحى الصالح: 48 الخطبة 3).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «أنّ عليّاً عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام على حمارٍ وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة عليها السلام الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل)(1).

وأيضا فى خصال الصدوق: أن فاطمة الزهراء لمّا منعت فدكاً وخاطبت الأنصار، فقالوا: يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأَبى بكر ماعدلنا بعلى أحداً. فقالت: «وهل ترك أبى يوم غدير خمّ لأحد عذراً»(2).

أو يقول الناس: لو كان ابن عمک سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به فقال على عليه السلام: أكنت أترک رسول الله ميتاً فى بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم فى سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغى له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»(3).

إن الاعتراض والمطالبة بالحق والعدالة ليسا من شأن جماعة دون أخرى، بل من اختصاص كل شرائح المجتمع بما فيهم النساء لأنهن عنصر من عناصره بل ربما يشكلن السواد الاعظم والاخطر فى موازين البناء الاجتماعى من حيث التأثير الآنى والمستقبلى.

3 – اتبعت الزهراء عليها السلام كل الوسائل المتاحة لها فى الدفاع عن حقها المغصوب فى فدک وحق زوجها عليها السلام المغصوب فى الامامة ابتداءً

1- (1) الخصال: 173.

2- (2) (الخصال: 173).

3- (3) (الإمامة والسياسة، ابن قتيبة 12:1. وشرح ابن أبى الحديد 13:6).

من الكلمـة واقامة البينة والحجة واسـتعمال اسـلوب الخطاب الجماهيرى فى اشد الاماكن تأثيرا وهو المسـجد النبوى الذى كان مكانا عاما يحضـره كل المسلمين بلا استثناء، وهذا التنوع فى الاساليب كشف من ناحية عن قوة شخصيتها عليها السلام وسعة آفاقها وكشف من جهة اخرى عن اهمية هذا التنوع من اجل زيادة مساحة التأثير والاثار، فربما كان هناک جمهور من المسلمين قد تأثروا بخطبتها فى المسجد اكثر من اسلوب محاججتها وربما هناک من تأثر بمظاهر الحزن على ابيها اكثر من اى شكل آخر.

4 – لم تصب الزهراء بالتشـنج امام مطالبـة الخليفـة اياها بالبينـة والـدليل على تملكها فـدک! وهى الصديقـة الصدوقة، بل سايرت الخليفة وجاءت بالشـهود والبينة وامام كل المسـلمين لئلا تبقى هناک حجة على احد ولكى تزيح الشكوک والاوهام من مخيلة المسلمين الآخرين بمعنى انها تمتعت بسعة صدر ومرونة فى احتواء الاحداث كى تصل الى المبتغى.

وبعد خطبة فاطمة (عليها السـلام) فى المسـجد وكلام أبى بكر – فقالت أم سـلمة (رضـى الله عنها) حين سـمعت ما جرى لفاطمة (عليها السلام): ألمثل فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقال هذا القول؟ هى والله الحوراء بين الإنس، والنفس للنفس، ربيت فى حجور الأتقيـاء، وتناولتها أيـدى الملائكـة، ونمت فى حجور الطاهرات، ونشأت خيره نشأة، وربيت خير مربى، أتزعمون أن رسول الله حرم عليها ميراثه ولم يعلمها؟ وقد قال الله تعالى:«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ» أفأنذرها وخالفت متطلبه؟ وهى خيرة النسوان

وأم سادة الشبان، وعديلة مريم، تمت بأبيها رسالات ربه، فوالله لقد كان يشفق عليها من الحر والقر، ويوسدها يمينه ويلحفها بشماله، رويدا ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمرأى منكم، وعلى الله تردون واها لكم، فسوف تعلمون. قال فحرمت عطاءها تلك السنة(1).

لقد أتمت السيدة فاطمة عليها السلام الحجة على الجميع، وأدت ما عليها من الواجبات، وسجلت آلامها فى سجل التاريخ الطويل!.

ان مجرّد تكذيب الزهراء سلام الله عليها وعدم قبول قولها مصيبة عظمى وجناية كبرى ليس بحق الزهراء عليها السلام بل بحق الرسول والرسالة والاسلام كله فإذا كانت المرأة التى يغضب لغضبها الله تُكَذّب فما بال الآخرين!!.

عن عبدالرحمن بن عوف: أنّه سمع أبا بكر يقول فى مرضه الذى توفى فيه: وددت أنى لم أكن فتّشت بيت فاطمة وأدخلته الرجال، ولو كان أُغلق على حرب. وفى رواية: ليتنى لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيءٍ، وتركته ولو أُغلق على حرب(2).

5 - مواقف الزهراء عليها السلام عموما كانت مواقف شجاعة وجريئة ليس فيها اى تردد أو تراجع بل كانت مواقف صامدة وهذا الامر على الرغم

1- (1) (دلائل الإمامة للطبرى 39).

2- (2) (المعجم الكبير ا الطبرانى 62ا1:43. وتاريخ الطبرى 3:430 حوادث سنة (13 ه -). وتاريخ اليعقوبى 2:137. وكنز العمال 632ا5:14113. وشرح ابن أبى الحديد 2:46-47، و 6:51. ومجمع الزوائد 5:203).

من انها كانت فی ظروف حرجة وصـعبة للغاية من وفاة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم وحزنها ومرضها حيث تشير الروايات الى ان خطبتها فی المسجد كانت بعد عشرة ايام فقط من وفاة ابيها.

وكانت عليها السـلام الجريئـة فی طرح موقفها، وقالت لبعض هؤلاء: «لأدعونّ عليک فی كل صـلاة» وهذا التهديد من امرأة الى من جلس مكان ابيها وزوجها لعلامة كبرى على شجاعتها ورباطة جأشها.

6 – خطبتها فی المسـجد كانت لها اصداء واسـعة من حيث التعريف بقضـيتها وشخصـها، فحتى الذى لـم يلق الرسول صلى الله عليه وآله وسـلم ولم يسـمع الاحاديث عن الزهراء عليها السـلام فإنه يصل الى فهم اولى عن هذه الشخصـية العظيمة من خلال ماتكلمت به والهيئة التى دخلت بها المسجد ومن خلال القضية نفسها.

7 – اصـطحاب ابنتها زينب عقيلـة بنى هاشم عليها السـلام معها الى المسـجد كان اعدادا لها لادوارها المسـتقبلية القادمة من جهة، وهذه الصورة حافظت على نسائيـة الحـدث فهى لـم تأخـذ الحسـنين معها الى المسـجد!، ومن جهـة اخرى فاذا ما علمنا ان السـيدة زينب عليها السلام هى احد رواة الخطبة ادركنا اهمية حضورها فی هذا الظرف المفصلی.

8 – لقد كانت حركة الزهراء عليها السـلام هى اول حركة نسوية بعد وفاة الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم بل يمكن القول انها اول حركة اسلامية قوية ومؤثرة بعده صلى الله عليه وآله وسلم كما كانت خطبتها

كـذلک، اضافة الى ذلک انها كانت حركة متعددة الاساليب والآثار بل ان اخفاء قبرها وعدم حضور المسـلمين جنازنها ابقى مظلوميتها فى قلب التاريـخ والامـة وجعل رسالـة فـدک تهز ضـمير الامـة، ومن ثم بقى الخلفاء فيما بعد يفكرون فى اعادة فدک الى اهل البيت لكسـب محبوبية الناس.

والى هذا يشير الشيخ حسين الكورانى قائلا (اى دور يمكن ان يكون اعظم من هذا الدور؟ لنفترض ان شخصا قام بانقلاب ويريد ان يقضى على ثورة عظيمـة جـدا وجاء شـخص آخر ابطل مفعول هذا الانقلاب.. اولا يكون هذا الشـخص قد قام بدور عظيم.. لقد أبطلت الصديقة الكبرى مفعول اخطر انقلاب فى تاريخ البشرية ولولا ذلک لاستحكمت الفتنة وخيم الظلام(1).

9 – أرادت الزهراء عليها السـلام من خلال مواقفها تعليم الامـة كيفيـة الـدفاع عن حقوقها وكيفية صـيانة العقيدة وحمايتها والمحافظة على بيضـة الـدين وهى علّمت هذه الامور للرجال والنساء على حد سواء، وعلمت النساء بشـكل ادق الامور الدينية والدفاعية والحقوقية وآليات المطالبة بها.. فقد ورد ان الناس لما اجتمعوا على ابى بكر قسم قسما بين نساء المهاجرين والانصار فبعث الى امراة من بنى عدى قسمها مع زيد بن ثابت فقال: ماهذا؟ قال: قسم قسمه ابو بكر للنساء قال: اتراشونى عن دينى والله لا أقبل منه شيئا فردته عليه(2).

1- (1) (الشيخ حسين الكورانى، فى محراب فاطمة).

2- (2) (ابن ابى الحديد شرح نهج البلاغة ج 1 ص 133).

10 – انقسام الناس بين مؤيد للزهراء عليها السلام ومعارض لها، ونجد ان هذا الانقسام قد غزا البيت النبوى نفسه فشهدت عائشة بنت ابى بكر ضد الزهراء عليها السلام اما ام سلمة فقد وقفت الى جانب الحق الزهراوى!. كما عرضنا لذلک، فهذه المحنة كشفت النوايا والسرائر.

11 – تكامل الادوار بين الجنسين

فنلاحظ ان عليا والزهراء عليها السلام كليهما قد قاما بدورهما فى نصرة الحق وبذلا كل ما بوسعهما، فعلى عليه السلام يطوف مع الزهراء عليها السلام على بيوت الانصار والمهاجرين يذكّران الامة بوعد الغدير وبفدک وبمقام الزهراء، ونفس الشىء قامت به الزهراء من نصرة امير المؤمنين عليه السلام كدفاع علنى عن خط الامامة الذى يبدأ من على بن ابى طالب، وكان موقف الزوجين قويا جريئا ثابتا واضحا، وهذا يدل على ان الاساس فى الشريعة هو قيام المرأة والرجل بأدوارهما المطلوبة لتحقيق استخلاف سليم على وجه الارض والفارق يكمن فى الاساليب التى تتناسب مع مؤهلاتهما ووظائفهما الحياتية ومع ماهو متاح لكل منهما.

يقول السيد الحكيم:

(أما الزهراء (عليها السلام) فكان دورها استثنائياً؛ لأنَّها (عليها السلام) بالأصل غير مكلفة بالجهاد، ولكن وجدت أن علياً (عليه السلام) معرض للقتل، وكان من المحتمل أن يُقتل (عليه السلام) بسبب رفضه للبيعة. فالزهراء (عليها السلام) كان موقفها هو التظلم لعلى (عليه السلام)

ص:548

ولنفسـها، وكشف الحقيقـة، الأـمر الـذى يصب فى نفس موقف الإمام على (عليه السـلام) وهو تسـجيل الرفض باتجاه الخلافـة والأوضاع الجديدة.

فكلا الموقفين كان صـلباً، غايـة الأمر أن الزهراء (عليها السـلام) قامت بواجبها ووظيفتها التى لم يكن من الممكن لعلىّ (عليه السـلام) أن يقوم بها؛ لأن شخصـية الزهراء وظروفها كامرأة منتسبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، كان دورها – التظلم – يعطيها فرصة للحركة، وشيئاً من الأمان من القتل. وإن كانت لم تأمن الضرب والاعتداء والتجاوز، إلا أن موقفها كان يعطيها أماناً نسبياً من القتل(1).

12 – ان الزهراء عليها السـلام نجحت فى سـحب الشـرعية الدينيـة من الخلافـة بشـكل أو بآخر وهى بهـذا كانت قد فصـلت بين منهجين اساسـيين.. الطريق الاول تمثل فى العصـمة الكاملـة التى تبدأ من الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم الى امير المؤمنين عليه السـلام والى الائمـة الاثنى عشـر عليهم السـلام وهو طريق التكامل وهو صـراط واحـد غير مفترق وثابت ايضا الى يوم القيامة، والطريق الثانى هو منهج الخلافة (اللا معصومة) والقابل للخطأ (اخطأ عمر واصابت امرأة) وهو طريق غير ثابت وغير مستقيم وقد استهل اعماله باغتصاب الحق من اهله..

13 – وقد كانت النتيجة تأخير بيعة امير المؤمنين عليه السلام للخليفة الاول.

1– (1) [الحكيم، محمد باقر، فاطمة الزهراء عليها السلام].

ومن هنا نجد فی الروایات أنّه ما بایع أمیر المؤمنین علیه السلام حتی ماتت فاطمة علیها السلام، وکان له وجه فی الناس طیلة حیاتها، روی الزهری عن عائشة، أنها قالت: کان لعلی علیه السلام من الناس وجه فی حیاة فاطمة علیها السلام، فلمّا توفیت فاطمة علیها السلام انصرفت وجوه الناس عنه عند ذلک.

وقیل للزهری: فلم یبایعه علیّ حتی ماتت فاطمة علیها السلام؟ قال: ولا أحد من بنی هاشم حتی بایعه علی علیه السلام(1).

والمدة الزمنیة مابین تولیة الخلافة الی حین رحیل الزهراء علیها السلام کانت فرصة مناسبة لغربلة الامة من جهة وکشف من کان مع الامام ومن هو لیس فی خط الامامة، کما کانت فرصة لبیان مظلومیة الامام علیه السلام واهل البیت علیهم السلام عموما، وهی ایضا بیان وکشف لمقام الزهراء علیها السلام فی حیاة امیر المؤمنین بل فی حیاة الامة کلها.

14 - والسؤال هل نجحت الحرکة الزهراویة؟

والجواب یکون حاضرا فی وعینا الحالی.. فنحن بعد أربعة عشر قرنا علی شهادتها نعید فی الذاکرة مظلومیتها ونفتش عن قبرها فیؤلمنا ان لنساء النبی قبوراً معروفة أما بضعته ومهجة قلبه فلا قبر معروفاً لها!!، وحینما نتبین الحقائق المُرة نحاول ان نصدق ماحصل! اذ کیف حصل کل هذا الظلم لسیدة

1- (1) (سنن البیهقی 300:6. وشرح ابن أبی الحدید 46:6. وراجع صحیح البخاری 288|5:256 - کتاب المغازی - باب غزوة خیبر. وصحیح مسلم 1380|3:52 - کتاب الجهاد والسیر).

نساء العالمين بعد رحيل المصطفى بأيام؟! فلا نتمالک انفسنا الا بالدعاء على من ظلمها عليها السلام وظلم آل البيت عليهم السلام بالويل والثبور، وهـذا الفكر يجسده مئات الملايين من البشـر منتشـرون فى كل اصـقاع الدنيا وهذا بحد ذاته نجاح منقطع النظير، اضافة الى نتائج الموقف من التبصـرة بالحقائق وتعلم آليات الـدفاع عن الحق والجهر بالحق ولو على حساب الجسم والحياة وهـذا كله نجاح خالد وابدى، بل ان نظرة سـريعة للاحداث التى جرت بعد ذلک ومواقف السيدة زينب عليها السلام وباقى النساء فى ارض الطفوف لهو مؤشر على نجاح الحركة الفاطمية بنفس الشـكل الذى نجح فيه الامام الحسـين عليه السـلام، فالمعروف ان هدف ثورة الامام الحسـين عليه السـلام كان هو الانتصار للحق والامر بالمعروف واماطة اللثام عن الوجه الاموى المنحرف عن خط الرسالة، وقد نجح الحسـين عليه السـلام فى ذلک على مدى الدهر وان كان عليه السلام قد فشل عسكريا بل ان النجاح العسكرى لـم يكن ضمن ماخطط له الامام عليه السلام امام اهدافه السامية، ونفس الشـىء يُقال عن الزهراء عليها السـلام التى قادت عمليـة استشـهادية تعلم انها لاتغير الواقع الذى كان لكنه سـيمهد لظهور الجماعة الصالحة المؤمنة بمظلومية آل البيت عليهم السلام فيكونون انصاراً لهم ولولدها الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف فى ثورته الكبرى.

اما على الصعيد الآنى فالزهراء عليها السلام كانت قد اوقدت الجمرة الحارقة التى جعلت أبى بكر نفسه يتمنى لو لـم يفعل ذلک:

.. فقالت (عليها السلام): نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: رضا فاطمة من رضاى، وسخط فاطمة من سخطى، فمن أحب فاطمة ابنتى فقد أحبّنى، ومن أرضى فاطمة فقد أرضانى، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطنى.

قالا: نعم، سمعنا، من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

قالت: فإنى أُشهد الله وملائكته، أنكما أسخطتمانى، وما أرضيتمانى، ولئن لقيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم لأشكونكما إليه. والله لأدعون الله عليک فى كل صلاة.

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطک يا فاطمة!

ثم انتحب أبو بكر يبكى، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهى تقول: والله، لأدعون الله عليک فى كل صلاة أصليها. ثم خرج باكياً... الخ(1).

لقد اثبتت الزهراء عليها السلام فى محاججتها امام الملأ قصور الخليفة فى الفهم المطلوب وأثبتت خطأ مابرّره من ان (معاشر الأنبياء لا يورثون) بمعنى ان هذا البيان زاد من تعريف المسلمين بقصور الوعى عند الخليفة وتكامله عند آل البيت عليهم السلام وهذا كشف مهم ليس للامة فحسب بل للتاريخ وللاجيال كلها وقداستطاعت الزهراء عليها السلام ان تحركه فى اتجاه تعاطف الامة معها وباتجاه مظلومية آل البيت عليهم السلام وهو الذى ابقى اوج فدک مستعرا فى النفوس.

1- (1) (الإمامة والسياسة، ابن قتيبة: 20/1).

كما ان الزهراء عليها السلام كانت قد ضخت الامة بروح تعبوية اولية ربما ماكان هناک من يعير لها اهمية ولكن كانت البداية، وهذه الروح التعبوية استطاع على عليه السلام ان يظهرها كمكون اجتماعى واضح لعب دورا فى الثورة الحسينية فكانت التعبئة الخالدة للامة على مفاهيم التضحية والايثار والفداء.

15 – اما الشىء الاخير فهو ترسيخ المشاركة السياسية للمرأة، فقد استدل علماء مدرسة اهل البيت عليهم السلام على جواز المشاركة السياسية للمرأة من خلال الدور السياسى للزهراء عليها السلام، ولهذا لانجد المرأة الموالية انها كانت قد عاشت ازمة الحق السياسى أو ازمة الدور السياسى التى عاشتها باقى النساء والتى ناضلت من اجلها الحركة النسوية العالمية ضمن الموجة الاولى الى قرابة قرن من الزمان لكنها لم تصل الى تفعيل الدور السياسى والوظائف السياسية للنساء بالشكل المطلوب، ويكفى ان نطل على التاريخ لنجد الدور الزينبى فى واقعة الطفوف يتألق فى المشهد العام للثورة.

ولا بأس من اشارة حيث ان السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله ينظر الى ان ادوار الائمة فى الحياة السياسية تدور فى اربعة محاور هى:

ا – تربية الامة على كراهة الظلم

ب المقاطعة

ج الثورة واسناد الثوار واستعمال القوة

د – المقاومة السياسية

وهذه الأدوار هى الاطار العام الذى رافق مسيرة اهل البيت والزهراء عليها السلام من بينهم فهى عليها السلام تجتمع معهم فى كل الامور ماعدا المقاومة المسلحة غير ان دورها تأسيسى وهو الفيصل والمنطلق باعتبار انه فاتحة الادوار الاخرى. فنحن نرى ان تربية الامة على كراهة الظلم كان قد بدأ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه لم يكن بذلك الوضوح التام، فالمسلمون المهاجرون تعرضوا للظلم من قبل قريش وحاربوها ولكن جاء عفو الطلقاء كمنهجية مطلوبة لوقتها اما فهم الامة الواسع للظلم بمعنى انه استبعاد الوصى ومصادرة الحقوق وغيرها، فإنه يبدأ منذ قيام الزهراء عليها السلام بدورها العظيم فى بيان مظلومية امير المؤمنين عليه السلام وكل آل البيت عليهم السلام واهمية نُصرة المسلمين له وهذا الدور بالذات يلتقى مع احد اهداف الثورة الحسينية.

أما المقاطعة فقد أشرنا اليها سابقا وهو ايضا احد الادوار التى مارسها الائمة عليهم السلام طيلة مسار حياتهم فقد كانو دوما مقاطعين للحكومات.. فعندما أرسل المنصور العباسى للإمام جعفر الصادق يقول له: – لماذا لا تغشانا – أى لا تزورنا – كما يغشانا الناس؟ فكتب الإمام جعفر الصادق للخليفة يقول: أما بعد فليس عندى من الدنيا ما أخاف عليه، وليس عندك من الآخرة ما أرجوك له.

وهو ايضا يأخذ له بداية من منهجية الزهراء عليها السلام فى مقاطعة الشيخين حتى الممات كما رأينا.

ص:554

الدور الاعلامی

اشارة

ص:555

يُعرّف الاعلام بانه (تزويد الناس بالاخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأىٍّ صائب فى واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأى تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم(1).

فالإعلام هو نقل المعلومات والمعارف، والثقافات الفكرية والسلوكية، بطريقة معينة، عبر أدوات وسائل الإعلام والنشر، بقصد التأثير.

والاعلام "هو التعريف بقضايا العصر وبمشاكله، وكيفية معالجة هذه القضايا فى ضوء النظريات والمبادئ التى اعتُمدتْ لدى كل نظام أو دولة، من خلال وسائل الإعلام المتاحة داخلياً وخارجياً، وبالأساليب المشروعة أيضاً لدى كل نظام وكل دولة"(2).

ويذكر ابن منظور أن الإعلام بمعنى التبليغ، ويقال: بلّغتُ القوم بلاغاً أى أوصلتهم الشىء المطلوب.

1- (1) (الاعلام له تاريخه ومذاهبه، د. حمزة عبد اللطيف ص 75).

2- (2) (الإعلام فى ضوء الإسلام، د. عمارة نجيب ص 16).

وفى الوسيط "ع ل م" :علم الشىء علماً: عرفه

وفى القرآن الكريم «لا تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ» . وع ل م الشىء، وبه: شعر به ودرى.

وفى الاية "ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين" .وأعلم فلان الخبر، وبه: أخبره به على هذا فالاعلام هو عملية نقل ونشر وعرض للمعلومات والحقائق عبر الاستفادة من وسائل معينة وآليات موجودة وهناك غاية من خلال هذا النشر والعرض الا وهى التأثير فى الطرف الآخر المتلقى للمادة المعروضة.

وقد يكون الاعلام ايجابيا يهدف الى نشر الحقائق والقيم الايجابية والمثل السامية وقد يكون على العكس من ذلك بعيدا عن النزاهة والصدق والامانة ويروج لمفاهيم سلبية كما هو الحال فى كثير من مناهج الاعلام المعاصر التى تعتمد على الاثارة الغريزية وعلى تشّىء المرأة وعرضها بشكل سلعى وسوقى اكثر مما هو انسانى!!.

والإعلام الإسلامى هو: "تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامى، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة، بواسطة قائم بالاتصال لديه خلفية واسعة ومتعمقة فى موضوع الرسالة التى يتناولها، وذلك بغية تكوين رأى عام صائب، يعى الحقائق الدينية، ويدركها، ويتأثر بها فى

معتقداته وعباداته ومعاملاته(1).

وقد اعتمد الاعلام الجاهلى على آليات الاتصال اللفظى وغير اللفظى حيث كان الشعر والخطابة والاسواق المزدهرة فى مواسمها هى وسائل الاعلام انذاك اضافة الى الخطابة التى كانت تأتى فى الدرجة الثانية بعد الشعر، اما فى صدر الاسلام فقد اضيفت لذلك وسائل اخرى منها ارسال البعثات والوفود الى الدول الاخرى والرؤساء والملوك (د. عبد اللطيف حمزة، الاعلام فى صدر الاسلام).

والاعلام فى العصر الجاهلى كان يتحرك مع التجارة التى تنطلق فى رحلتى الشتاء والصيف اضافة الى حركة السفر وقد كان هناك اعلام عام عن قرب ظهور نبى عند اليهود الذين كانوا فى المدينة وانتشر اعلامهم الى خارج المدينة، وكانت وسائل الاعلام تمثل الخبر المنقول شفهيا والقصيدة الشعرية، فالشاعر كان يقوم مقام الصحيفة بالنسبة للاحزاب فى الوقت الحاضر فهو الناطق الرسمى عن قبيلته وهوالمناضل عنها بشعره وهوالمحفز لها فى اوقات الحروب.

واسواق العرب ايضا كانت محطات اعلامية للالتقاء ونقل الاخبار واقامة المباريات الشعرية ومنها سوق عكاظ وسوق دومة الجندل والمربد وحتى المنازعات بين القبائل كانت تُفض فى الاسواق وكان هناك اسلوب المناداة فى الاسواق والاماكن المكتظة وهى عادة بقيت وربما مازالت فى بعض القرى

1- (1) (الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية، د. محيى الدين عبد الحليم، (ص: 147).

النائية، وكانت دار الندوة محطة اجتماع القبائل واصحاب النفوذ لحل المشكلات واقرار الاحلاف والمواثيق كحلف الفضول.

وفى الاسلام تطورت وسائل الاعلام فتقدمت الخطابة على الشعر وكان لنزول آيات القرآن بشكل تدريجى اعلان واعلام عن آخر التطورات النزولية أو الدينية أو الفكرية أو الحياتية وكلها اسماء وعناوين صحيحة (للمزيد راجع د. عبد اللطيف حمزة، الاعلام فى صدر الاسلام، والذى يرى ان الايات القرآنية تمثل سيلاً اعلامياً عاكساً لفكر الهداية والقيم والدعوة فى القرآن الكريم وكذلك الاحاديث النبوية)، ثم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يستفيد من المناسبات والاحداث فيقول الاحاديث التى تدخل ضمن سُنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهى ايضا تشمل آخر المستجدات على الساحة النبوية والجهادية فالحديث النبوى كان هو الآخر وسيلة خبرية واعلامية موجهة ومؤثرة ومتميزة.

وقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الأذان كوسيلة للاعلان عن موعد الصلاة أو لتحشيد الناس فى الظروف الحرجة.

ويمكن القول ان هناك مسارين اعلاميين فيما يخص الزهراء عليها السلام:

المسار الاول يشمل الاساليب والآليات التى اعتمدها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتسليط الضوء على الزهراء عليها السلام نفسها.

أما المسار الثانى فيشمل الاساليب والوسائل التى اعتمدتها الزهراء عليها السلام فى التبليغ والدعاية ونصرة الرسالة.

ص:560

المسار الاول:

1 - الروايات والاحاديث

اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آلية اعلامية فى تسليط الاضواء على الزهراء عليها السلام نفسها من خلال الاحاديث التى قالها صلى الله عليه وآله وسلم ومن خلال ارسال الفقراء الى بيتها ومتابعة الحدث وعرض النتائج بعدها كما فى رواية التصدق بالعقد (التى ذكرناها فى الدور الاجتماعى). وايضاً من خلال اشراكها فى الامور المهمة كفتح مكة والمباهلة والتى جاءت كعرض الهى للتعريف بالشخصيات الافضل التى كانت موجودة فى ذلک الوقت، والمراد بتعريفها ليس فقط آنيا بل على مدى الزمان والقرون بأن هذه هى افضل الشخصيات التى كانت فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

عن سلمان الفارسىّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان، مَن أحبّ فاطمة ابنتى فهو فى الجنّة معى، ومَن أبغضها فهو فى النار.

يا سلمان، حُبّ فاطمة ينفع فى مئةٍ من المواطن، أيسر تلک المواطن: الموت، والقبر، والميزان، والمحشر، والصراط، والمحاسبة. فمَن رضِيَتْ عنه ابنتى فاطمة رضِيتُ عنه، ومَن رضيتُ عنه رضىَ اللهُ عنه، ومَن غضِبت عليه ابنتى فاطمة غضبتُ عليه، ومَن غضبتُ عليه غضب الله عليه.

يا سلمان، ويلٌ لمَن يظلمها ويظلم بَعلَها أميرَ المؤمنين علياً، وويلٌ لمَن يظلم ذريّتَها وشيعتها(1).

ولا ننسى ان لصوق بيت الزهراء عليها السلام بالمسجد النبوى قد ساهم فى تعريفها اعلاميا من خلال معاناتها ومساعدة الصحابة لها وكذلک – وهو الاهم – من خلال سد ابواب المسجد من قبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم الا باب الزهراء عليها السلام والاعلان بأن هؤلاء هم اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

روى الترمذى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم، أمر بسد الأبواب، إلا باب على عليه السلام(2).

وروى الإمام أحمد فى مسنده بسنده عن ابن عمر قال: كنا نقول زمن النبى صلى الله عليه – وآله – وسلم: رسول الله خير الناس – إلى أن يقول: ولقد أوتى ابن أبى طالب رضى الله عنه، ثلاث خصال، لأن تكون لى واحدة منهن، أحب إلى من حمر النعم، زوجه رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم، ابنته وولدت له، وسد الأبواب إلا بابه فى المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر(3).

وفى الرواية:

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أخذ بيد فاطمة عليها

1- (1) (البحار: 116/27 ح 94، ورواه الخوارزمى فى مقتل الحسين: 59/1. القندوزى، ينابيع المودة: 263).
2- (2) (صحيح الترمذى 301/2).
3- (3) (مسند الإمام أحمد 26/2).

السـلام وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهى فاطمة بنت محمد، وهى بضعة منى، وهى قلبى الذى بين جنبىَّ، فمن آذاها فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله جلّ وعلا(1).

وتعريفها للامة بهذه الصورة هو بيان لمقامها واذا سـلمنا ان الاحاديث النبوية كانت وسائل اعلامية لتسـليط الضوء على امور مهمة (راجع د. عبد اللطيف حمزة، الاعلام فى صدر الاسلام) فمعنى ذلک ان منهجية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت تتطلب بيان نقاط التميز للزهراء عليها السلام عن غيرها وان موقف التعريف فى الرواية يشبه الى حد كبير موقف التعريف بالوصى فى بيعة الغدير.

يقول السيد منير الخباز فى احدى محاضراته المنبرية:

ما معنى أن يخرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم آخذاً بيد فاطمة عليها السلام؟! إن عمله هذا كعمله فى حق علىٍّ يوم الغدير، حيث أصعد ذلک الرجل الفريد معه على المنبر، وأخذ بيده ورفعها!

وفى هذا اليوم عندما خرج آخذاً بيد فاطمة المرأة الفريدة فى العالم، قال: من عرفها فقد عرفهاومن لم يعرفها فليعرفها!

لاحظوا كيف قدمها النبى صلى الله عليه وآله وسلم الى الأمة، وعرفهم مقامها درجةً درجة!

إن لكلامه صلى الله عليه وآله وسلم فى أنفس مستمعيه وقارئيه جاذبيةً

1- (1) (مناقب ابن شهر آشوب: 332/3).

خاصـة منوعة! فى المرتبة الأولى قال: بضـعةٌ منى لاحظوا كلمة (بضـعة) ثم انتقل الى الأعلى الى المرتبة الثانية فقال: (وهى قلبى الذى بين جنبىّ)! وعنـدما يقول النبى (أنا) فالأنا هنا غير كلمة بدنى، فالبدن مضاف وضـمير المتكلم مضاف اليه هنا تعابير خاصة: بضـعةٌ منى، وهى أبلغ من بضعة من بدنى، وقلبى الذى بين جنبى غير قلبى، إنها قلب بين جنبى الشخص الذى (إنيته) مبدأ ومنشأ لكل الفضائل البشرية!

وهذه الرواية تسـتحق التأمل فمن باب ان النبى يأخذ بيد ابنته ويطوف عليها امام الناس ليعرفهم بها وبمناقبها وهو شيء لم يحصل حتى فى مجتمعاتنا التى يخفى البعض فيها اسم الاخت ويكتفى بالقول رضـيعتى!!.. وهو اراد ان يعّرف بها وبفضائلها ولا ادرى هل كان يريد ذلک لخلق الاستعداد النفسى لدى الامة لما يحصل مستقبلا؟ الله اعلم.

الفتاة إنسان، والإنسان شـريک فى بناء الحضارة، وفى بناء الحياة يجب أعداد الفتاة منذُ صـغرها على أنها شخصـية قادرة على بناء الحضارة، وعلى بناء الإنسان، وعلى بناء الحياة بشتى ألوانها تماماً إلى جانب الرجل...

النبى أقحم الزهراء فى قلب الأحـداث، النبى أقحم الزهراء فى قلب المعركـة التى يخوضـها من أجـل تبليغ رسالته، النبى صـنع من الزهراء شريكاً فى بناء الدولة الإسلامية، النبى صنع من الزهراء عضواً فاعلاً فى بناء كيان الدولة الإسلامية آن ذاک الزهراء عانت مع النبى كل ألامه.

وقد سُئلت عائشة: أيُّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه

وآله؟ فقالت: فاطمة، فقيل لها: مِن الرجال؟ قالت: زوجُها، إن كان ما علمتُ صَوّاماً قَوّاماً(1).

عن الإمام الباقر عليه السلام – فی حدیث – قال: «قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: إنّ ابنتی فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إیماناً ویقیناً إلی مشاشها، ففرغت لطاعة الله»(2).

وعن الامام الحسین علیه السلام، قال: رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فاطمة بهجة قلبی وابناها ثمرة فؤادی وبعلها نور بصری والائمة من ولدها امناء ربی وحبله الممدود بینه وبین خلقه من اعتصم به نجا ومن تخلف عنه هوی(3).

واقول: اننا لو جمعنا کل الاحادیث التی قالها الرسول صلی الله علیه وآله وسلم عن الزهراء علیها السلام مضافا الیها الآیات القرآنیة التی نزلت فیها جمعناها جمعا مبارکا لا نجد له مثیلا فی ای امراة اخری بل ربما ای رجل غیر علی علیه السلام واولاده!!.

وفی الروایة.. قالت ام سلمة: تزوجنی رسول الله وفوض امر ابنته الیّ وکانت والله آدب منی واعرف بالاشیاء وکیف لا تکون کذلک وهی سلالة الانبیاء(4).

1- (1) (الاستیعاب 2:751، الصواعق المحرقة لابن حجر المکّی الشافعی: 72).
2- (2) (دلائل الإمامة | الطبری: 139|47. والمناقب | ابن شهرآشوب 3:337).
3- (3) (المجلسی، البحار 23:10 ح 16).
4- (4) (دلائل الامامة: 21/81).

ويكفى ان نعرف ان مجرد تفويض امر الزهراء عليها السلام الى ام سلمة هى بمثابة قراءة لهذه الشخصية العظيمة ولكن من باب آخر يزيدها تعريفا لدى الآخرين.

ان هذا الاسلوب الاعلامى فى التعريف كان قد اتبعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكذلک المعصومون كلهم لما فيه من اهداف وآثار تعليميـة ودعائيـة وتوجيهية وهو نفس الاسـلوب الذى اتبعه بنو أمية فى ترويج المفاهيم الخاطئة كالتى تبرر سبَّ على عليه السـلام أو اعلاء شأن بنى امية مع الفارق ان ما استند عليه بنو امية كان كاذبا مختلقا يهدف الى طرد واقصاء اهل البيت عليهم السلام عن وعى الامة.

فقد روى أن معاوية كان قد أعطى سمرة بن جندب من بيت المال مائة ألف درهم على أن يخطب سمرة فى أهل الشام ويشهد كذباً بأن قوله تعـالى:«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يُعْجِبُکَ قَوْلُهُ فِی الْحَیاةِ الـدُّنْیا وَ یُشْهِدُ اللّهَ عَلی ما فِی قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ»1 أنهـا نزلت فى على بن أبى طالب (عليه السلام) وآية:«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ»2 .

فلم يقبل سمرة هذا العرض، فبذل معاوية له مائتى ألف درهم، فرفضها، فبذل له أربعمائة ألف درهم، فقبل، وخطب بها فيهم(1).

1- (3) (شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج 4 ص 78 فصل فى ذكر المنحرفين عن على (عليه السلام)، والمناقب ج 1 ص 110 فصل فى معجزات أقواله (عليه السلام).

روى ابن أبى الحديـد عن أبى جعفر الاسـكافى وقال: إن معاويـة وضع قوماً من الصـحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة فى علىّ عليه السـلام تقتضـى الطعن فيه والبراءة منه، وجعـل لهم على ذلـک جُعلاً يُرغب فى مثله، فاختلقوا ما أرضاه... منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير، روى الزهرى: أنَّ عروة بن الزبير حدّثه قال:

حدّثتنى عائشة، قالت: كنت عند رسول اللّه إذ أقبل العبّاس وعلىّ، فقال: يا عائشة! إن هذين يموتان على غير ملّتى، أو قال: دينى(1).

وهـذه احاديث خطيرة تركت آثارها حتى الان وهى اشارة واضـحة الى تأثير الحديث النبوى فى الاعلام من حيث انه يمكن تحريفه وتأويله وتغييره بالصورة التى لا يمكن التلاعب بالايـة القرآنيـة بهـذا الشـكل اللهم الا فى التأويل كما فى رواية سـمرة بن جندب، فهناک اذن ثورة بيضاء تعتمد الصدق والحق والدعاية البيضاء والعكس فى الثورة السوداء التى تستند على دعاية سوداء بعيدة كل البعد عن الصدق والنزاهة.

وهذه الحالة الاعلامية موجودة فى عصـرنا، فما اكثر ماتُشترى الاقوال والصـحف ووسائل الاعلام فهناک صـحافة مأجورة واخرى مُسَيَّسَة واخرى كاذبة واخرى محاصرة مجهض عليها لانها اللسان الناطق بالحق.

1- (1) (شرح النهج، ابن ابى الحديد، ط 1. مصر ا ج 1 ص 358).

2 - المباهلة

وقد مررنا على المباهلة فى الدور السياسى، وقدحدثت واقعة المباهلة حينما كان هناک وفد من نصارى نجران جاءوا لمناقشة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما تعرضه الايات المباركة حول عيسى عليه السلام.

وفى تفسير العياشى، بإسناده عن حريز عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) سئل عن فضائله فذكر بعضها ثم قالوا له زدنا فقال إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتاه حبران من أحبار النصارى من أهل نجران فتكلما فى أمر عيسى فأنزل الله هذه الآية:«إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» إلى آخر الآية فدخل رسول الله فأخذ بيد على والحسن والحسين وفاطمة ثم خرج ورفع كفه إلى السماء، وفرج بين أصابعه، ودعاهم إلى المباهلة، قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام) وكذلک المباهلة يشبک يده فى يده يرفعهما إلى السماء فلما رآه الحبران قال أحدهما لصاحبه: والله لئن كان نبيا لنهلكن وإن كان غير نبى كفانا قومه فكفا وانصرفا(1).

لقد كانت المباهلة مناظرة خطيرة استعد لها الرسول حينما جاء صلى الله عليه وآله وسلم ومعه الحسنان والسيدة الزهراء عليهم السلام وامير المؤمنين عليه السلام الذى كان نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وشاركت الزهراء عليها السلام كممثلة عن (نساءنا) اى عن كل النساء المسلمات انذاک بما فيهن امهات المؤمنين!! وهذا دليل على افضليتها على

1- (1) (الطباطبائى الميزان ج 3 ص 229).

نساء النبی صلی الله علیه وآله وسلم ونساء المسلمین قاطبة، وهذا مؤشر علی انها الاعلم والافضل والاکمل سلام الله علیها.

(ولو کـان فی الأمـة الإسـلامیة من یساویهما لـدعاه کما دعاهما ولما لم یکن فی النساء من یقاس فی بضـعته الزهراء، نری الرسول الأعظم یسـتغنی بوجودهـا عن وجود غیرهـا، فکأنه صـلی الله علیه – وآله – وسـلم إذ دعاها دعا النساء جمعاء، لأنها أم الأئمـة وسـیدة نساء هـذه الأمة(1).

3 – القدوة الحسنة

ویمکن القول ان کـل مـا ذکرناه اعلاه کان یهـدف الی تسـلیط الضوء علی بضـعة المصـطفی وسـیدة نساء العالمین علیها السـلام لطرحها (لوحدها من النساء) کقدوة مطلقة خالدة مدی الزمان فالزهراء علیها السـلام حسب ایة المباهلة التی نزلت فی زمن الرسول صلی الله علیه وآله وسـلم هی النموذج الاکمل للانسان وهی مثال الایمان الکامل والتقوی الرفیعة والسمو الاخلاقی وهی علیها السلام صاحبة الفضائل کلها وما نزول سورة الدهر والایات المتعلقة بالزهراء علیها السلام إلاّ إنعکاساً لبیان مقامها من لدن حکیم خبیر والایات النازلة کثیرة منها:

قال تعالی:«اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ طُوبی لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ»2 .

1- (1) (شرح احقاق الحق السید المرعشی ج 24 ص 2 نقلا عن محمود شلبی فی حیاة فاطمة علیها السلام ص 260 دار الجیل بیروت).

أخرج القندوزی فی (ینابیع المودّة) قال: أخرج الثعلبی عن الباقر (رضی الله عنه) قال: سئل رسول الله صلی الله علیه وآله عن قوله تعالی:«اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ طُوبی لَهُمْ وَ حُسْنُ مَآبٍ» فقال (صلی الله علیه وآله): «هی شجرة فی الجنة أصلها فی داری وفرعها علی أهل الجنّة.

فقیل له: یا رسول الله – صلی الله وعلیه وآله – سألناک عنها فقلت: هی شجرة فی الجنّة أصلها فی دار علیّ وفاطمة وفرعها علی أهل الجنةّ؟

فقال: صلی الله علیه وآله: إنّ داری ودار علیّ وفاطمة واحد غداً فی مکان واحد، وهی شجرة غرسها الله تعالی وتبارک بیده، ونفخ فیها من روحه، تنبت الحلیّ والحلل، وإنّ أغصانها لتری من وراء سور الجنّة(1).

«إِنّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ»2 .

أخرج أصحاب العدید من التفاسیر نزول هذه السورة بشأن فاطمة الزهراء بنت الرسول سلام الله علیه وعلیها ومنهم الفخر الرازی، فی تفسیره الکبیر، قال:

الکوثر أولاده صلی الله علیه – وآله – وسلم لأنّ هذه السورة إنّما نزلت ردّاً علی من عابه علیه السلام بعدم الأولاد، فالمعنی: أنه یعطیه نسلاً یبقون علی مرّ الزمان، فانظر کم قتل من أهل البیت ثم العالم ممتلئ منهم، ولم یبق من بنی أمیة فی الدنیا أحد یعبأبه(2).

1- (1) (ینابیع المودة/ 131).

2- (3) (التفسیر الکبیر/ج 30 /تفسیر سورة الکوثر).

«إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» 1 .

عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية فی رسول الله وعلی وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام):«إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» 2 .

«قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی» 3 .

قيل يا رسول الله من قرابتک هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال صلی الله عليه – وآله – وسلم (علی وفاطمة وابناهما).

قوله عزَّ وجلَّ:«وَ آتِ ذَا الْقُرْبی حَقَّهُ» 4 .

فقد روی الصدوق رحمه الله عن الريان بن الصلت عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «لما نزلت هذه الآية علی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم، قال: أدعوا لی فاطمة فدعيت له، فقال: يا فاطمة.

قالت: لبيک يا رسول الله، فقال: هذه فدک مما هی لم يوجف عليه بالخيل ولا ركاب وهی لی خاصة دون المسلمين وقد جعلتها لما أمرنی الله تعالی به فخذيها لک ولولدک»(1).

1- (5) (عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج 2، ص 211).

وروى الشيخ الطوسى رحمه الله عن على بن أسباط قال لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدى وجده يرد المظالم فقال له: «ما بال مظلمتنا لا ترد»؟!.

فقال له: وما هى يا أبا الحسن؟.

فقال: «إن الله عز وجل لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فدک وما والاها ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم «فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هم فراجع فى ذلک جبرائيل عليه السلام فسأل الله عز وجل عن ذلک فأوحى الله إليه: «إن ادفع فدک إلى فاطمة عليها السلام» فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لها: «يا فاطمة ان الله تعالى أمرنى أن أدفع إليک فدک.

فقالت: «قد قبلت يا رسول الله من الله ومنک» فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(1).

وأخرج الطبرسى فى مجمع البيان عند تفسيره لهذه الآية فقال: المُحَدِّثون الأَثبَاث رَوَوا بالإسناد إلى أبى سعيد الخدرى أنه قال: لما نزل قوله تعالى:«وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ» ، أعطى رسولُ الله فاطمة فدكاً، وتجد ثَمَّةَ هذا الحديث مِمَّا ألزم المأمون بِرَدِّ فَدَک على وُلد فاطمة (عليها وعليهم السلام).

وقد طرح الاسلام قدوته الزاهرة فى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

1- (1) (التهذيب للطوسى: ج 4، ص 148).

واهل بيته عليهم السلام كقدوات مطلقة معصومة لا يمكن ان يصدر عنها الخطأ أو الضلال ابدا، وهى نماذج خالدة ومناسبة لكل عصر ومكان، وكان اسلوب القدوة هو احد الوسائل الاعلامية التى اتبعها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام ومازال الاعلام المعاصر يتبع هذا المنهج للتوجيه نحو نماذج معينة بقصد التأثير على المتلقى، حيث تسعى كل نظرية تربوية الى تقديم النموذج الذى يجسد افكارها واطروحتها ومن ثَم التاثير على الرأى العام من خلال قوانين الجذب، وكلنا يعلم كيف طرح الاعلام المعاصر صور ابطاله من الاباحيين والنساء السافرات مما ادى الى شيوع هذه الصفات وهذه النماذج فى المجتمعات المسلمة وبسرعة وتمرد عجيبين!!.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام – ومازالو – هم القدوة الحسنة لهذه الامة على مر الدهور قال تعالى:

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللّهَ وَ الْيَوْمَ الآخِرَ وَ ذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً» 1 .

وعموم القدوات – كما اسلفنا فى الاصول التربوية عند الزهراء عليها السلام – تساعد على التعلم السريع وايصال الفكرة وتوضيحها وتصحيح الاخطاء فيها ولهذا فالقدوة الصالحة من عوامل الرقى والكمال والعكس صحيح أيضاً.

وقد اشار القرآن الى اسلوب القدوة قال تعالى:«أُولئِکَ الَّذِينَ هَدَى»

«اَللّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ» 1 .

.. ومن هنا ندرک لماذا کان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم یؤکد علی الزهراء علیها السلام فی الاحادیث التی اشرنا الیها.

وتعتبر القـدوة وسـیلة اعلامیة وتربویة وثقافیة فهی الاسـلوب الصامت فی التربیة، وتعتمد علی غریزة التقلید والمحاکاة وهی تُسـهل عملیة الاقناع أو الترویج لرأیٍّ معین أو تبدیل السلوک.

ان الزهراء علیها السـلام لهی القـدوة الکاملـة ومواقفها فی حیاة ابیها صـلی الله علیه وآله وسـلم وبعیـد رحیله ومواقف نسائه معها واطلاع الصحابة علی بعض شؤونها (تعبها وعناءها وثیابها) کل ذلک شکل زخما اعلامیا لها فی زمن ابیها ومابعده.

ویمکن للقدوة ان تکون فاعلة ومؤثرة من خلال سیرتها وعلاقاتها مع الآخرین.

وقد مررنا علی علاقتها بأبیها صـلی الله علیه وآله وسـلم وزوجها علیها السلام واولادها واشرنا الی تعاملها مع الشرائح المختلفة من الناس بما فی ذلک زوجات الرسول وباقی الصـحابة وعموم نساء المسـلمین ورجالاتهم، فلم تکن علیها السلام معزولة عن المجتمع فتحتاج الی آلیات معقدة لاثبات وجودها أو التعریف بها فبیتها علیها السلام کان مقصدَ الفقراء والانصار والصحابة وبقیة المسلمین رجالا ونساءً..

المسار الثانی:

وهو یشـمل کل ماقامت به هذه السیدة العظیمة من وسائل من اجل نصرة الدعوة الاسلامیة والتعریف والدعوة والتبلیغ لها، ولا یخفی علینا ان هـذا الـدور المهم هو نفسه الـدور الذی قام به اهل البیت علیهم السـلام عموما وعلی مدی تاریخهم بما یناسب العصـر الذی کانوا فیه وماهو متاح لهم، فقد انبری الامام زین العابدین علیه السـلام بالدعوة الی الاسـلام الحق عن طریق الدعاء وقام الامام الصادق علیه السـلام بدوره التبلیغی عن طریق النشر المعرفی، وکلا الدورین قامت بهما السیدة الزهراء علیها السلام فی بدایة الدعوة وبهذا فأن کل ما عرضناه من ادوار ومواقف ومـا سـنعرضه لاحقا یـدخل ضـمن الـدور الاعلامی التبلیغی الـذی قامت به سواء فی تعلیم المسـلمین والمسـلمات أو فی التأصـیل والتأسـیس للقیم الجدیـدة أو فی نصـرة الرسالـة وصـیانة السـنة النبویة والدفاع عن الامامة، فهذه کلها رسائل اعلامیة تبلیغیة کان الهـدف الاساس منها – بعـد الرضا الالهی – هو التعریف بالرسالـة والرسول والوصـی والـدعوة الیها وبیانها وهـذا هو الهدف الاسـمی فی الاعلام الاسلامی الذی نراه حالیا.

والمسار الثانی یمر بمرحلتین ایضا: الاولی هی الدور الاعلامی لها فی حیاة ابیها صلی الله علیه وآله وسلم وقد مر بنا، اما الثانیة فهی الدور الاعلامی للزهراء بعد وفاة الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم وهو ماسـنقف عنده ولا ننسـی ان کل ما تطرقنا الیه سابقا ومانشبر الیه لاحقا یدخل ضمن هذا الدور

ص:575

بما فی ذلک اقوالها والاحادیث التی روتها، فاقوال الزهراء علیها السلام کانت وسائل تعلیمیة وترتبط باهداف الاسلام الاساسیة فی التبلیغ ونشر الدعوة وکانت فی اقوالها احیانا تحاول التراکیز علی فکرة معینة أو غایة معینة مثل الاحادیث الداعمة لولایة علی علیه السلام مثل حدیث اللوح..

عن جابر الجعفی، عن أبی جعفر محمد بن علی الباقر علیهما السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاری قال: دخلت علی مولاتی فاطمة علیها السلام وقدامها لوح یکاد ضوءه یغشی الأبصار، فیه اثنا عشر اسماً ثلاثة فی ظاهره وثلاثة فی باطنه، وثلاثة أسماء فی آخره، وثلاثة أسماء فی طرفه، فعددتها فإذا هی اثنا عشر اسماً، فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء الأوصیاء أولهم ابن عمی وأحد عشر من ولدی، آخرهم القائم (صلوات الله علیهم أجمعین). قال جابر: فرأیت فیها محمداً محمداً محمداً فی ثلاثة مواضع، وعلیا وعلیا وعلیا وعلیا فی أربعة مواضع(1).

عن فاطمة الزهراء علیها السلام قالت: سمعت أبی رسول الله صلی الله علیه وآله فی مرضه الذی قبض فیه یقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: أیها الناس یوشک أن أقبض قبضاً یسیراً، وقد قدمت إلیکم القول معذرة إلیکم، ألا إنی مخلف فیکم کتاب ربی عز وجل وعترتی أهل بیتی. ثم أخذ بید علی فقال: هذا علی مع القرآن والقرآن مع علی لا یفترقان حتی یردا علی الحوض، فأسألکم ما تخلفونی فیهما(2).

1- (1) (عیون اخبار الرضا ج 1 ص 41 ح 1).

2- (2) (ینابیع المودة: ص 40).

الدور الاعلامی للزهراء علیها السلام بعد وفاة الرسول صلی الله علیه وآله وسلم

اشارة

بعد وفاة الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم مباشـرة طفت علی السـطح الاحقاد الکامنة فی النفوس وانشغل المسلمون عن دفن رسول الله صلی الله علیه وآله وسـلم بانتخاب الخلیفة بعده!!، رغم ان النبی صلی الله علیه وآله وسلم کان قد عین لهم الوصی کما هو من معروف من بیان حدیث الغدیر!!، ثم سـرعان ماأُخرج عامل الزهراء فی فدک حیث تمت مصادرة فدک الامر الذی دفع بالزهراء علیها السلام الی تسخیر قضـیة فـدک للمطالبة بتنفیذ مابایع المسـلمون علیه زوجها علیها السـلام فی یوم الغدیر وصـیانة الولایة المهددة بالخطر والدفاع عن ساحة الامامـة المقدسـة... کانت ایاما ساخنـة تمثل بدایـة الانحراف عن النهـج المحمـدی، فکان لابد من موقف قوی یشـجب القرارات الظالمة ویکشف حقیقتها امام الملأ، والامر لیس بالیسـیر خاصة وان الامة کانت قد اجمعت علی محاصـرة بنی هاشم فی شِعب ضـیق کی تحقق طموحاتها التی ماکان بالامکان عرضها أو الاعلان عنها فی

زمن الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم أبـداً، وكان لابـد لمن اراد ان يقوم بمهمـة (ازاحـة القناع) ان يتمتع بمواصـفات من قبيل الشـجاعة والجرأة والقوة فى البيان والقـدرة على المحاججة، وكان لابد وان يكون معروفا بالصدق لئلا يقولوا انّه كذّاب!، مضافا إلى ذلک ان الامر لابد وان يتم بعلانية مطلقة وامام الملأ كلهم كيلا تبقى هناک حجة لاحد، ولم يكن من يستطيع القيام بهذه المهمة سوى امير المؤمنين والزهراء عليهما السـلام، فأمّا امير المؤمنين عليه السـلام فكان من غير الصائب ان ينبرى لهـذا الامر اذ قـد تؤدى المدافعة عن الحق الى سـجالات كلامية وربما قتالية تُذهب بكل ماقام به الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم ايام حياته – كما عرضـنا سابقا – ولذا لم يكن هناک غير الزهراء عليها السـلام التى يمكنها ان تنبرى لهـذه المهمـة الثقيلـة وبكل ابعادها.. وهنا يبدو المشـهد الاعلامى للزهراء عليها السـلام حافلا بعدة وسائل وآليات كانت قد شكلت الاعلام المعارض للسلطة والذى مازال مستمرا حتى وقتنا المعاصر.

الوسائل الاعلامية عند الزهراء عليها السلام

اشارة

تعددت الوسائل والآليات الاعلامية التى اتبعتها الزهراء عليها السلام فى الدفاع عن حقها فى فدک وحق زوجها فى الولاية واهمها:

1 – النشر الاعلامى 2 – البيان الاعلامى 3 – الشعر 4 – المقاطعة

5 – البكاء 6 – بيت الاحزان 7 – التعتيم الاعلامى.

ص:578

1 - النشر الاعلامى

حيث ان الزهراء عليها السلام انبرت للدفاع عن قضية الولاية وخطورة اغتصابها رغم ان الامر حصل ومازالت تربة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ندية لم تجف بعد!!، وهذه المبادرة السريعة انما كانت لبيان ان الامر لا يمكن السكوت عليه، فربما يتجاهل القوم الامر أو يتناسوه فلابد إذن من حملة اعلامية قوية تستهدف النشر الاعلامى الذى يساهم فى الدفاع عن قضية الولاية وتسليط الضوء على نقاط الضعف عند الخلافة المغتصبة، ولابد ان يفهم المسلمون على الاقل من كانوا فى المدينة - ملابسات الامر فلابد اذن من ايضاح الحقائق لدى العموم.. ففى الرواية:

عن الإمام الباقر عليه السلام: «أنّ عليّاً حمل فاطمة على حمارٍ وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال على: أكنت أترك رسول الله ميتاً فى بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم فى سلطانه! وقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغى له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»(1).

ويذكر سلمان الفارسى أن أمير المؤمنين عليه السلام فعل ذلک ثلاث ليال متوالية، فلما لم يجد سوى أربعة أنصار فقط لزم بيته وأقبل على جمع

1- (1) (الإمامة والسياسة / ابن قتيبة 12:1 مكتبة مصطفى بابى الحلبى - مصر. وشرح ابن أبى الحديد 13.1:6).

القرآن وتأليفه(1).

وفی روایة اخری: فدار بها أربعین صباحاً فی بیوت المهاجرین والأنصار، والحسن والحسین (علیهما السلام) معها، وهی تقول: یا معشر المهاجرین والأنصار، انصروا الله، فإنی ابنة نبیکم، وقد بایعتم رسول الله (صلی الله علیه وآله) یوم بایعتموه: أن تمنعوه وذریته مما تمنعون منه أنفسکم وذراریکم، ففوا لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم ببیعتکم(2).

ویبدو الامر شاقا خاصة مع الاحداث التی توالت علی الزهراء علیها السلام لکن الامر کان ضرورة مُلحَّةً، وبهذا الدوران الطویل علی بیوت الانصار تکون قد تمت الحجة علی القوم وانکشف ماکان خافیا الامر الذی جعل الامام علی علیه السلام (فلما لم یجد سوی أربعة أنصار فقط لزم بیته وأقبل علی جمع القرآن وتألیفه).

ویمکن القول ان الزهراء علیها السلام کانت قد حاولت من خلال حملتها الاعلامیة اعادة الناس الی باحة الوصیة یوم الغدیر، وقد آثرت ان تطوف علیها السلام علی بیوت الانصار تسألهم عن حقها وتذکّرهم ببیعة الغدیر، وهو اسلوب قدیم فی الاعلام یسمی المناداة.. اذ کان الملوک والحکام یرسلون (منادیا) ینادی فی المدن والامصار لإعلام الناس بآخر المستجدات، ومهمة المنادی ان یطوف علی البیوت والازقة لتعریف الناس، فالمعنی ان

1- (1) (کتاب سلیم بن قیس ج 2 ص 580).

2- (2) (جعفر مرتضی العاملی، الصحیح من سیرة الامام علی علیه السلام ج 10 ص 91).

الزهراء عليها السلام كانت قد استفادت من هذه العادة الرائجة للنشر الاعلامى والحملة الاعلامية، والمناداة وسيلة قديمة حيث يركب الراكب ويطوف على الناس مخبراً اياهم بالاحداث الهامة والقرارات الجديدة والتعليمات.

2 - البيان الاعلامى

وذلک من خلال خطبتى الزهراء عليها السلام، تعتبر الخطبة من اقوى وسائل الاعلام والدعاية والاتصال وللتاثير على الناس فى مشاعرهم واقناعهم بالافكار الجديدة، وهى فن مخاطبة الجمهور، وهى الكلام البليغ الذى يلقيه الخطيب الى جمع من الناس بهدف تغيير الاتجاهات والعقائد والميول ولهذا لابد ان تكون قوية ومؤثرة.

والخطب بأنواعها ذات آثار كبيرة على المستمعين لها سواء ولاءً أو اعراضاً أو شجباً أو تأييداً أو تفاخراً الى غير ذلک، وقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - وكذلک اهل البيت عليهم السلام - اعتماداً كبيراًعلى الخطابة فى نشر الدعوة وفى شرح تعاليم الدين والتبليغ للقضايا المهمة الى غير ذلک من الاهداف والغايات الكبرى.. وخلاصة القول اننا حين نتحدث عن الخطبة النبوية فإنما نتحدث عن قوة من قوى الاعلام تأتى فى الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم والحديث الشريف(1).

وقد حفل التاريخ بخطب كثيرة للرسول واهل بيته عليهم السلام ونجد

1- (1) (حمزة عبد اللطيف، الاعلام فى صدر الاسلام ص 169).

فی نهج البلاغة الکثیر منها وخَطَبَ الامام الحسین علیه السلام عدة خطابات فی یوم العاشر لدعوة الناس الی القتال معه ونصرته والتخلی عن سفک دمه.

وکان سوق الخطابة مزدهرا فی العصر الجاهلی وکذلک فی صدر الاسلام بل بقی شأنها فی کل ثورة حدثت علی وجه البسیطة حتی وقتنا المعاصر، وقد بلغت من الاهمیة فی العصر النبوی بحیث تقدمت علی الشعر نفسه.

و الخطبة لا تکون مؤثرة الا اذا کان الخطیب اکثر القوم فصاحة وبلاغة واکثرهم منطقا ولسانا وهو یجید فن الخطابة والالقاء، جرىء النفس رابط الجأش لا یتلعثم ولا یتردد ولا یتراجع عن أیٍّ من بیاناته مهما کان موقف الناس منه. ولابد ان یکون الخطیب علی بینة بما یدعو الیه وعلی وعی بمستوی تقبل الجمهور الذی یخاطبه.

ولما نعود الی خطبتی الزهراء علیها السلام (اللتین ذکرناهما فی الدور السیاسی) فنحن نحتاج الی اکثر من وقفة تأمل مع الخطاب الفاطمی.

فقد القت الزهراء علیها السلام خطابها علانیة امام الجمهور المسلم المحتشد فی المسجد النبوی، وارادت علیها السلام من خلال ذلک ایصال رسالة الی کل الناس الحاضرین الذین سینقلون الکلام الی الغائبین والبعیدین فی باقی بلاد المسلمین، وکان بالامکان ان تکون هناک جلسة سریة یُناقش فیها الامر لکن ماکانت تریده الزهراء علیها السلام اعظم من ذلک بکثیر.

وعادة تعتمد الخطبة علی مقومات سنقوم بعرضها متواکبة مع الخطاب الفاطمی واهمها:

1 – فن التوقيت: حيث القت الزهراء عليها السلام الخطبة فى وقت ازدحام الناس فى المسجد والخليفة جالس وسطهم.

2 – زمن الخطبة: وقت الخطبة كان قصيرا فهى عليها السلام لم تتحدث لساعات كى يمل السامع ويضّيع بمللة الخطوط الاساسية فيها، ولم يكن وقت الخطبة ضيقا فلا يصل الجمهور الى فهم المعنى والمطلب، بل تكلمت لوقت مناسب وهذا مهم لانه يوصل الرسالة الاعلامية بشكل يحافظ فيه على ذهنية السامع بحيث تبقى مستيقظة فيستمر فى تلقى الرسالة دون تعب ودون شعور بالملل.

3 – العامل المكانى فقد كانت فى المسجد النبوى الذى بناه ابوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهى ابنته وشجنة قلبه، واختيار المكان جعل مساحة التأثير اكبر فهى ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذى لولاه لما عُرف الاسلام اصلا! وهى المغصوب حقها وحق زوجها والغاصبون فى المسجد يتعبدون امام الناس!!.

4 – هيئة المتكلم: والاعلام يكون مؤثراً اذا جاء مع هيئة مؤثرة فلا فائدة فى ان اتكلم عن خبر حزين مع هيئة مفرحة، ولهذا بانت رعاية الزهراء عليها السلام لمظهرها حتى [ان الرائى حينما نظر اليها وهو على علم بانها ذاهبة الى مسجد ابيها انشّد الى مظهرها ومشيتها التى تشبه مشية النبى والرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم] وفى ذلک تأكيد وتذكير على ابوته صلى الله عليه وآله وسلم لها من خلال الصورة والمظهر، تماما كما هو الحال

عند الامام الحسين عليه السلام لما خرج يوم العاشر مرتديا عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما انها احكمت الحجاب فمن المعلوم ان الثوب الطويل اكثر هيبة من الملابس القصيرة ولهذا كانت (تطأ ذيولها) ودخلت المسجد بهيئة حزينة وهو امر مطلوب لمن هو فى موقفها ومكانتها، والملاحظ أنها وضعت ستارة تفصل بينها وبين الرجال فى المسجد وان كانوا ليسمعون صوتها وهو اشارة الى رعاية الحجاب فلا حرج فى الصوت، كما انها لم تدخل بمفردها بل مع (لمة من النساء) وهذا يزيد الهيبة، وهى رسالة اولية الى ان هناك الكثير ممن ضموا اصواتهم الى صوتها فهى تتكلم كناطق رسمى عن جمهور مؤيد!، وهذا تحذير ايضا للخليفة بأن ينتبه لموقفه اكثر فهو لا يكلم طرفا مفردا وانما جمهورا غاضباً!!.

5 – الحوار المفتوح مع الخليفة امام الملأ، كما رأينا فى المحاججة فهى لم تكن بالهمس أو الافراد وانما امام الملأ كله وقد قلنا ان الحال اشبه مايكون بأستجواب سياسى صريح علنى عكس ضحالة ادراك الخليفة للمسائل الدينية وذلك تماماً على عكس من تخاصمه! فقد كانت الايات تصدح من فمها المبارك وبكل شدة وبيان مما دل على استنباط قوى وفهم اقوى مضافا الى الدلائل والبيانات والحجج التى لا يمكن ان تُرد!!.

6 – وجود الثقة الجماهيرية بالخطيبة

فقد كان هناك انصات واضح للخطبة وكان هناك استماع جيد وكأن الطير على رؤوسهم فلم يقاطعها احد ولم يرد عليها احد، بل ان الكثيرين

جاءوا الى المسجد وبقوا فيه منتظرين مجيء بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – لوجود اعلام مسبق – ليكونوا على علم بما يجرى من امور وليتفهموا امر الخلاف بين بضعة النبى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وبين الخلافة الجديدة، ولم يتسرب الى احدهم ادنى شک ان الخطيبة – والعياذ بالله – خرجت عن دائرة الصدق بل وجدوا الخليفة يؤيد صدقها ولا يجد دليلا مقنعا على ماقام به فى حين انها اقامت البيّنة وقدمت ادلتها تترى واحدا بعد آخر، ولهذا قالو للزهراء عليها السلام بعدها:

... فقالوا: يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لاَبى بكر ماعدلنا بعلى أحداً. فقالت: «وهل ترک أبى يوم غدير خمّ لاَحد عذراً»(1).

او يقول الناس: لو كان ابن عمک سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به فقال على عليه السلام أكنت أترک رسول الله ميتاً فى بيته لا أُجهزه، وأخرج إلى الناس أُنازعهم فى سلطانه! وقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغى له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه»(2).

ولا ننسى تأثير المكانة الاجتماعية فقد كانت العرب فى الجاهلية تشترط ان تكون السيادة فى الخطيب والكرم فى خلقه اى انهم حدّدوا شروطا لمن يريد ان يكون خطيبا لكنهم عفوا عن ذلک فى الشعر.

كما ان شخصية الزهراء عليها السلام تركت بصماتها على الخطبة، فهى

1- (1) (الخصال: 173).

2- (2) (الإمامة والسياسة | ابن قتيبة 12:1. وشرح ابن أبى الحديد 13:6).

المرأة المقدسة الوحيدة التى اشار اليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مراراً وتكرارا بانها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء الجنة، ثم انه صلى الله عليه وآله وسلم اعلمها بما سيجرى عليها فهناک اذن احترام عظيم للسيدة وهناک منزلة لها فى النفوس لا تدانيها اى من النساء بما فى ذلک زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم!، وهناک إخبار سابق عن الاحداث الجارية!.

7 – كان هناک اعداد نفسى لتهيئة اذهان المستمعين من خلال الاعلام عن زمان ومكان الخطبة مسبقا من خلال دورانها مع زوجها على بيوت الانصار والمهاجرين، مضافا الى الحال التراكمى فى تكدس الأحداث كانشغال الامام بالدفن وترک القوم لجثة نبيهم مسجاة على الارض وصراعهم على الخلافة ثم طرد عامل الزهراء من فدک كل ذلک كان متزامنا مع عزاء الزهراء عليها السلام على ابيها.

كما انها اوجدت الاستعداد النفسى لسماع الخطبة والتفاعل معها من خلال اثارة الموقف قبل الخطبة... ففى الرواية

.... فنيطت [أى علقت] دونها ملاءة [الملاءة الازار] فجلست ثم أَنَّتْ أَنَّةً اجهش [اجهش القوم: تهيئوا] القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم امهلت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم فى بكائهم، فلما امسكوا عادت فى كلامها، فقالت (عليها السلام): الحمد لله على ما انعم...

هذه (الأنة) مهمة فهى من ناحية تشابه السلام الجمهورى الذى يسبق

ص:586

خطب القيادات والـذى يُراد منه التنبيه الى علو شأن المتكلم أو الى سـمو المقام والمورد، ومن ناحية ثانية فأنها عملية شد الانتباه لمن كانوا فى المسـجد والذين ربما لم يلتفتوا الى دخول الزهراء عليها السـلام الى المسـجد، ثم هى عملية توجع لما آلت اليه الامور بعد المصطفى فما مضت ايام على الرحيل حتى هبَّت الامة تنازع ابنته الوحيدة وبهجة قلبه صلى الله عليه وآله وسلم اموالها التى كانت لها فى حياته صلى الله عليه وآله وسـلم وهذا التوجع وال – (أنّة) من امرأةٍ مظلومة يساهم فى تفعيل حالة التظلم لهذه الاسرة عند المستمع والمشاهد وهو امر مطلوب فى بيان الحقانية.

8 – محتوى الخطبة وقد اشرنا الى ذلک سابقا، فالخطبة الاولى تسمى الخطبة الفدكية الا انها لم تحتوى على اشارة صريحة عن فدک اللهم الا فى المحاججة مع أبى بكر والتى كانت فى نهاية الخطبة.

واما مزايا الخطبة:

1 – حسن الابتداء بالثناء على الله وهى المعزاة بأبيها

اذ قالت عليها السلام:

الحمـد لله على ما انعم، وله الشـكر على ما ألهم، والثناء بما قـدم، من عموم نعم ابتـداها، وسـبوغ آلاء أسداها، وتمام منن اولاها، جم عن الاحصـاء عـددها، ونـأى عن الجزاء امـدها، وتفـاوت عن الادراک ابـدها، ونـدبهم لاستزادتها بالشـكر لاتصالها، واسـتحمد إلى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب إلى امثالها، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريک له، كلمة جعل الاخلاص

تأويلهـا، وضـمن القلوب موصولهـا، وأنـار فى التفكر معقولها، الممتنع من الابصار رؤيته، ومن الالسن صـفته، ومن الاوهام كيفيته، ابتـدع الاشياء لا من شىء كان قبلها، وانشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له فى تصويرها، الا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، واظهارا لقـدرته، تعبـدا لبريته، واعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته، وحياشة [حاش الابل: جمعها وساقها] لهم إلى جنته

وهذا تعريف بالمستوى الايمانى العالى للخطيبة لمن لا يعرفها، كما ان الابتداء بهذا الكلام التعبدى كان قد ساهم فى شد الانتباه والتذكير بخطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقـد تكلمت الزهراء عليها السـلام بلغة دينية ايمانية صـرفة، كما ركزت الزهراء عليها السـلام على التذكير بالامور العقائدية التى هى اساس الشريعة.

2 – ادخال اسمها فى الخطبة

ثم قالت: ايها الناس اعلموا، انى فاطمـة وأبى محمـد صـلى الله عليه وآله وسـلم اقول عودا وبدوا، ولا اقول ما اقول غلطاً، ولا افعل ما افعل شططا [الشَطَط: هو البعد عن الحق ومجاوزة الحد فى كل شىء..

فهى لما قالت عليها السلام خطبتها كانت تضع مخططا لزيادة مدى التأثير الزمانى والمكانى اى لا تجعل الخطاب آنيا ينتهى اثره وذكره ما ان تخرج من المسجد بل جعلت اسمها فى وسط الخطبة وليس فى اوله كى لا يتم بتره

وبذلک یبقی سـند الاثبات فلا یمکن ان یقول احد.. جاءت امراة وخطبت فی المسـجد.. لانه سیمر حتما علی اسمها ومعنی ذلک ان هذه الخطبة هی رسالة الزهراء علیها السلام الی الاجیال کلها.

3 – بیان ان النبی صلی الله علیه وآله وسلم هو ابوها

قالت علیها السلام:

لقد جاءکم رسول من انفسکم عزیز علیه ما عنتم [عنتم: انکرتم وجحدتم] حریص علیکم بالمؤمنین روؤف رحیم.

فان تعزوه وتعرفوه: تجـدوه أبی دون نسائکم، واخا ابن عمی دون رجالکم، ولنعم المعزی الیه (صـلی الله علیه وآله)، فبلّغ الرسالـة، صادعا [الصـدع هو الاظهار] بالنِـذارة [الانذار: وهو الاعلام علی وجه التخویف] مائلا عن مدرجة [هی المذهب والمسـلک] المشـرکین، ضاربا ثبجهم [الثَبَج: وسط الشـیء ومعظمه] آخذا باکظامهم [الکَظَم: مخرج النفس من الحلق] داعیا إلی سبیل ربه بالحکمة والموعظة الحسـنة، یجف الاصـنام [فی بعض النسخ (یکسـر الاصـنام) وفی بعضها (یجذ) أی یکسر] وینکث الهام، حتی انهزم الجمع وولوا الدبر، حتی تفری اللیل عن صـبحه [أی انشق حتی ظهر وجه الصـباح] واسـفر الحق عن محضه، ونطق زعیم الدین، وخرست شـقاشق الشیاطین [الشقاشق: جمع شِقشقة وهی: شیء کالربة یخرجها البعیر من فیه اذا هاج] وطاح [أی هلک] وشیظ [الوشیظ: الرذل من الناس].

وهذا اکمال للشطر الاول فی التعریف بنفسها فرب داخل الی المسجد أو

سامع بخطبتها لاحقا فلا يعرف اى فاطمة هذه والفواطم كُثر، فجاء البيان واضحا فى التعريف بسيد المرسلين وبما قام به من جمع الامة على كلمة التوحيد ونبذ الارباب المتفرقة.. وهى عليها السلام تخطب فى جمهور المسلمين فى المسجد الذى بناه أبوها صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته الى المدينة!. وقد استعرضت فضائل ابيها الذى انتشلهم من الضياع وصّورت لهم بؤسهم قبل البعثة وسيادتهم على الامم بعدها.

4 – مضمون الخطاب الاعلامى كان قويا صريحا

وكانت الكلمات قوية ومفهومة، تعبر عن الحرص على الحقيقة مع القوة فى البيان والمنطق، وقد تميَّز الخطاب بالصدق والموضوعية والحماس والاتزان الانفعالى. ولأن الرسالة الاعلامية التى اخذها المتلقى كانت صادقة وصريحة فهو كشف عن مظلومية واضحة وضوح الشمس!، وهى ايضا صادرة عن بيت النبوة لذا كان المردود ايجابيا وهذا مانلمسه من قولهم (يا بنت محمد، لو سمعنا هذا الكلام قبل بيعتنا لأَبى بكر ماعدلنا بعلى أحداً).

لقد تعمدت الزهراء عليها السلام ان يكون لها اعلامٌ جماهيرىٌ يخاطب جمهور المسلمين بمختلف اتجاهاتهم وميولهم ومستوياتهم الدينية والمعرفية، ولهذا كان الخطاب نسقا واضحا خاليا من التعقيد أو الخطأ أو التذبذب وقد نجح فى الاقناع وتحقيق اعلى نسبة من الجذب.

5 – اعتمدت عليها السلام الجمل القصيرة فى الخطاب

... فجعل الله الايمان: تطهيرا لكم من الشرك، والصلاة: تنزيها لكم

عن الكبر، والزكاة: تزكية للنفس، ونماء فى الرزق، والصيام: تثبيتا للاخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وامامتنا: امانا للفرقة، والجهاد: عزا للاسلام، والصبر: معونة على استيجاب الاجر، والامر بالمعروف: مصلحة للعامة، وبر الوالدين: وقاية من السخط، وصلة الارحام: منساةً فى العمر ومنماة للعدد، والقصاص: حقنا للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييرا للبخس، والنهى عن شرب الخمر: تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترك السرقة: ايجابا بالعفة، وحرم الله الشرک: اخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فانه انما يخشى الله من عباده العلماء.

وعادة تكون الجمل القصيرة اكثر تأثيرا وهى تستوجب الوقوف عند انتهائها مما يعطى للسامع فرصة التفكير فى كل كلمة عكس الجمل الطويلة التى تبتلع الكلمات. كما ان المقاطع الصغيرة اسهل حفظا ونشرا وهذا يعود الى تفكير الزهراء عليها السلام المستقبلى بنشر الخطبة وتخليدها.

6 - مراعاة ادب الحوار فهى لم تقاطع الخليفة فى كلامه

رغم كل ما بينهما من اختلاف بل وخلاف ايضا، فلم نر فى كلام الزهراء عليها السلام فحشا أو سبّاً أو شتما رغم انها خرجت تطالب بحقها من غاصبيها، وجاءت نبرة الصوت مؤثرة وجاءت النبرة الاعلامية قوية

وموثرة وبليغة بحيث انها زرعت التردد فى قلب الخليفة على ماجاء فى الروايات فاعطاها كتابا بردِّ فدک!..

فالمخاطَب أو المتلقى لخطاب الزهراء عليها السلام كان جمهور المسلمين والهدف من الخطاب هو تعديل الاتجهات والقيم وتوجيهها صوب الولاء لاهل البيت عليهم السلام وفى نهاية الحديث انتقلت الزهراء عليها السلام بذكاء واضح لمحاججة الخليفة وربما انه لم يكن يتوقع هذا الانتقال السريع والمفاجىء فى الخطاب!!.

7 – جمعها للثنائيات المتضادة كالخير والشر والحق والباطل والشرعية واللاشرعية والماضى والحاضر

اما اهم المهارات التى بانت فى المحاججة مع الخليفة حيث قالت عليها السلام:

يابن أبى قحافة أفى كتاب الله ترث أباک ولا ارث أبى؟ لقد جئت شيئا فريا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول:«وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ»1 وقال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا اذ قال:«فَهَبْ لِى مِنْ لَدُنْکَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِى وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»2 وقال:«وَ أُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِى كِتابِ اللّهِ»3 وقال:«يُوصِيكُمُ اللّهُ فِى

أَوْلادِكُمْ لِلذّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ»1 وقال:«إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّا عَلَى الْمُتَّقِينَ»2 وزعمتم: ان لا حظوة لى ولا ارث من أبى، ولا رحم بيننا، افخصكم الله بآية اخرج أبى منها؟ ام هل تقولون: أن اهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست انا وأبى من اهل ملة واحدة؟ أم انتم أعلم بخصوص القرآن من أبى وابن عمى؟ فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم اذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

فاجابها ابو بكر عبد الله بن عثمان وقال: يا بنت رسول الله، لقد كان ابوک بالمؤمنين عطوفا كريما، روؤفا رحيما، وعلى الكافرين عذابا اليما، وعقابا عظيما، ان عزوناه وجدناه اباک دون النساء، واخا إلفک دون الاخلاء آثر على كل حميم، وساعده فى كل امر جسيم، لا يحبكم الا سعيد، ولا يبغضكم الا شقى بعيد، فأنتم عترة رسول الله، والطيبون الخيرة المنتجبون، على الخير ادلتنا، إلى الجنة مسالكنا، وأنت يا خيرة النساء، وأبنة خير الانبياء، صادقة فى قولک، سابقة فى وفور عقلک، غير مردودة عن حقک، ولا مصدودة عن صدقک، والله ماعدوت رأى رسول الله، ولا عملت الا بإذنه، والرائد لا يكذب أهله، وانى اشهد الله وكفى به شهيدا، أنى سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (نحن معاشر الانبياء، لا نورث ذهبا ولا فضة،

ولا دارا ولا عقار، وإنما نورث الكتاب والحكمة، والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة، فلولى الامر بعدنا، ان يحكم فيه بحكمه) وقد جعلنا ماحولته فى الكراع والسلاح، يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجار، وذلک باجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدى، ولم استبد بما كان الرأى عندى، وهذه حالى ومالى، هى لک وبين يديک، لاتزوى عنک، ولا ندخر دونک، وانت سيدة امة أبيک، والشجرة الطيبة لبنيک، لا يدفع مالک من فضلک، ولا يوضع فى فرعک واصلک، حكمک نافذ فيما ملكت يداى، فهل ترين ان اخالف فى ذلک أباک (صلى الله عليه وآله)؟

فقالت (عليها السلام): سبحان الله ما كان أبى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفا ولا لاحكامه مخالفا! بل كان يتبع اثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالا عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل فى حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا، يقول:«يَرِثُنِی وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ»1 ويقول:«وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ»2 وبين عزّ وجلّ فيما وزع من الاقساط، وشرع من الفرائض والميراث، واباح من حظ الذكران والاناث، ما ازاح به علة المبطلين، وأزال التظنى والشبهات فى الغابرين، كلا بل سولت لكم انفسكم أمرا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

فقال ابو بكر: صـدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا ابعد صوابک، ولا انكر خطابک، هؤلاء المسـلمون بينى وبينک، قلـدونى ما تقلدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مسـتبد، ولا مسـتأثر، وهم بذلک شهود.

فالتفتت فاطمة (عليها السلام) إلى الناس وقالت: معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل [فى بعض النسخ: قبول الباطل] المغضية على الفعـل القبيـح الخاسـر، افلاـ تتـدبرون القرآن؟ أم على قلوب أقفالهـا؟ كلاـ بـل ران على قلوبكم مـا اسأتم من اعمالكم، فأخـذ بسـمعكم وابصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشـرتم، وشـر ما منه اغتصـبتم، لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، اذا كشف لكم الغطاء، وبان باورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالک المبطلون.

واهم المهارات هنا هى:

1 – مهارة طرح الاسئلة والاستمرار فى المحاججة دون تردد.

2 – مهارة الاجابة السريعة وببيان ومنطق.

3 – مهارة حسن الاستماع فهى لم تقاطع رغم كل آلامها.

4 – مهارة تنظيم الخطبة وختامها بالمحاججة مع الخليفة.

5 – مهارة الاستفادة من الثقل الاكبر وكتاب الله فى المحاججة.

6 – مهارة الاستمرار فى الدفاع حتى بعد ان اكملت الخطاب.

7 – مهارة البلاغة والفصاحة والقدرة على الالقاء بجرأة ورباطة جأش وهى المعزاة بأبيها.

8 – مهارة عرض القضية الاساسية وهى الامامة من خلال عرض قضية فدک.

9 – مهارة صيانة الخطبة والمقاصد من خلال ادخال اسمها فى الخطبة وكذلک تعريفها بأبيها فهى الوحيدة التى تناديه بهذا الاسم «ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لكِنْ رَسُولَ اللّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كانَ اللّهُ بِكُلِّ شَیْ ءٍ عَلِيماً» 1 .

10 – مهارة التعبير الانفعالى والتى تظهر من خلال قدرة الفرد على التعبير عن مشاعره بشكل يسيطر على عوامل الجذب لأنه يعبر عن مشاعر صادقة فهى ابتدأت ب – (أنّة) لكنها لم تستغرق فى البكاء!.

11 – سعة الصدر وهى امام من سرقها حقها وحق زوجها الالهى فى الامامة.

12 – مهارة اتقان عوامل الزمان والمكان والوقت والاسلوب.

13 – مهارة المبادرة السريعة الى اتخاذ موقف سريع فى ظرف صعب.

14 – مهارة السعى لحل المشكلة.

15 – مهارة الاقناع فقد اقنعت الخليفة فاعطاها كتابا بردِّ فدک، بل ان

كلماتها تركت اثرها كما هو واضح فى قول أبى بكر (روى البخارى أيضاً فى صحيحه فى الخمس: أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضبت على أبى بكر، فهجرته قال: فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، ثم خرج أبوبكر باكياً ومعه عمر مطرقاً فذهبا إلى المسجد فإجتمعا بالناس فقال أبوبكر: أيها الناس اقيلونى، يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً باهلهِ وتركتمونى وما أنا فيه، لا حاجة لى فى بيعتكم).

16 - مهارة العناية بالذات من خلال صيانة الحجاب الاسلامى ودخولها مع (لمة) من النساء.

17 - مهارة الاستنباط والاستدلال كما هو واضح فى المحاججة.

18 - مهارة استعراض تاريخ الحاضرين فى الجاهلية وبعدها ودور ابيها فى تغيير النسق الفكرى والاجتماعى وغيره اى مهارة المقارنة بين الماضى والحاضر وعرض النقيضين من الخير والشر والحق والباطل.

19 - مهارة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

20 - مهارة التواصل الاجتماعى مع الملأ رغم اختلاف الرأى.

21 - مهارة الحوار السليم فلم تقاطع الخليفة فى كلامه أبداً.

22 - مهارة تحمل المسؤولية.

23 - مهارة اتخاذ القرارات السليمة فى القاء الخطبة أو فى الدوران على بيوت الانصار أو فى الاستقرار عند بيت الاحزان.

24 – مهارة احترام الذات فلم تاتِ الزهراء عليها السلام متوسلة أو مستجدية بل جاءت بعزة نفس وقوة وشجاعة.

25 – هناک مرونة واضحة فی التعامل مع الخصم.

26 – مهارة ضبط النفس.

27 – نهاية الموقف كان ببثها الشكوى لرسول الله من خلال ابياتها الشعرية كأنها عليها السلام انهت المحاكمة ببث تظلمها الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكن امام الناس! كأنه نشيد جنائزى! لما لم ينجح المظلوم باسترداد حقوقه وهو اعلام من باب اياک اعنى واسمعى ياجارة!!.

ثم عطفت على قبر النبى (صلى الله عليه وآله) وقالت:

قد كان بعدک انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

انا فقدناک فقد الارض وابلها واختل قومک فاشهدهم ولا تغب

وكل اهل له قربى ومنزلة عند الاله على الادنين مقترب

ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لما مضيت وحالت دونک الترب

تجهمتنا رجال واستخف بنا لما فقدت وكل الارض مغتصب

وكنت بدرا ونورا يستضاء به عليک ينزل من ذى العزة الكتب

وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد فقدت وكل الخير محتجب

فليت قبلک كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونک الكثب

والى غير ذلک.

ص:598

ومن ضمن مطالبتها بفدک ودفاعها عن الولاية نجد:

1 – اعتمادها على القرآن اساسا فى المحاجة.

2 – المنهج الاستفهامى الذى قدمته (اترث اباک ولا ارث ابى؟) وهواسلوب يثير الانتباه ويشد السائل، وهو دليل على ذكاء صاحبه.

3 – ولما كانت المحاجة علنية فالنتائج ابلغ اثرا.

4 – الاسلوب الاستدلالى بتقديم الدليل والبرهان ويكون ذلک حجة.

ولا ننسى ان اصطحابها لابنتها السيدة زينب عليها السلام هو تمهيد وإعدادٌ للمستقبل الذى ستقف فيه ابنتها موقفها هذا دفاعا عن الامامة فهو نموذج للتربية الاعلامية المطلوبة كما انها خطوة لصيانة الرسالة باعتبار ان الراوى من البيت النبوى.

ولقد زود الخطاب الزهراوى الناس بالحقائق الواضحة والحجج الدامغة منطلقا من الفهم السليم للدين ومستندا على الايمان بحقانية القضية التى تدافع عنها. ولقد كان الناس بحاجة الى هذا الخطاب الذى ذكرهم بأيامهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبما لهم وماعليهم فكيف وهذه التى تشتكى الظلم هى ابنته صلى الله عليه وآله.

ردّ فعل الخليفة على خطاب الزهراء:

اضطرب المجلس وتفرق الناس وارتفعت الضجة وأصبحت خطبة الزهراء (عليها السلام) حديث الناس فلجأ أبوبكر إلى التهديد والوعيد.

ص:599

ورُوِیَ أنّ أبابکر لما شاهد أثر خطاب الزهراء علی الناس قال لعمر، تربت یداک ما کان علیک لو ترکتنی(1).

3 - الشعر

قلنـا ان الشـاعر هو الناطق الرسـمی الـذی یتکلم عن لسان قبیلته، والشـعر بیان لما یعتمل فی النفوس من عواطف أو اوجاع ای انه العرض الذکی للعواطف والمیول والرغبات بالشکل الذی یشد المستمع ویجذبه الیه بقوة.

قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: إن من الشعر لحکمة.

وقد استمع صلی الله علیه وآله وسلم لقصیدة کعب بن زهیر (بانت سعاد) واجزاه علیها ببردته الشریفة.

ونفس الشیء فعله الامام الرضا علیه السلام مع دعبل الخزاعی لما قرأ تائیته المشهورة.

وقال الامام الصادق علیه السلام: من قال فینا بیت شعر بنی الله له بیتاً فی الجنة.

وقال الامام الصادق علیه السلام: کان أمیر المؤمنین علیه السلام یعجبه أن یُروی شعر أبی طالب وأن یُدون وقال تعلّموه وعلموا أولادکم فانه کان علی دین الله وفیه علم کثیر.

وقال الامام الرضا علیه السلام: ما قال فینا مؤمن شعراً یمدحنا به إلا

1- (1) (دلائل الإمامة، للطبری: ص 142).

بنى الله له مدينة فى الجنة أوسع من الدنيا سبع مرات يزوره فيها كل ملک مقرب وكل نبى مرسل.

كانت الزهراء عليها السلام الناطق الرسمى عن اهل البيت عليهم السلام والمعرّف بمظلوميتهم، ونرى أنّ الزهراء عليها السلام قالت جُلّ اشعارها بعد رحلة ابيها المصطفى وكلها ندبة لرحيله وتوجع لمظلوميتها ومظلومية وصيه عليه السلام، فهو اذا افصاح عن حالة الالم والاذى الذى عاشه اهل البيت عليهم السلام سيما مَنْ رضاها مِنْ رضا الجبار!!.

وفيما قالته عليه السلام من ابيات شعرية فى ذكر الشكوى لأبيها حول ماحل بها من مصائب جديدة بعد ان اخذت قبضة من تراب قبره الشريف:

ماذا على من شمّ تربة أحمد الا يشمّ مدى الزمان غواليا

صبت علىّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

و لها (عليها السلام) وقد لحقت أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما أخرجوه ملببا بحمائل سيفه فلم تتمكن فعدلت الى قبر أبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) فاشارت اليه بحرقة ونحيب قائلة:

نفسى على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدک فى الحياة وانما أبكى مخافة أن تطول حياتى

ولها ايضا:

قلّ صبرى وبان عنى عزائى بعد فقدى لخاتم الانبياء

عين يا عين اسكبى الدمع سمحاً ويک لا تبخلى بفيض الدماء

يا رسول الاله يا خيرة الله وكهف الأيتام والضعفاء

لو ترى المنبر الذى كنت تعلوه قد علاه الظلام بعد الضياء

وهذه الاشارة الاخيرة كافية لبيان بداية الابتعاد عن نهجه صلى الله عليه وآله وسلم وهى كناية عن مسيرة الظلام الذى تخبطت به الامة بعد ترک وصية المصطفى فى يوم الغدير.

وكانت تقول شعرها امام الملأ ولهذا نقل اشعارها رواة الفريقين، وهذا الاعلام العام هو الذى تناقلته الاجيال فيما بعد لعرض مظلومية الزهراء عليها السلام.

4 - اعلان المقاطعة مع الخلافة

والتى استمرت عليه عليها السلام حتى وفاتها ولم تسمح لهم بحضور جنازتها وتركت الامر معلقا فى التاريخ، وهذه المقاطعة ايضا لم تكن مكتومة بل الكل يعلم بها، وهذا اعلان عام عن كونها فى واد والشيخين فى واد آخر لا يلتقى أبداً مع الوادى الاول!!.

5 - بكاؤها عليها السلام امام الملأ

روى الشيخ الصدوق بسند معتبر عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلى بن الحسين عليهم السلام فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار فى خديه أمثال الأودية وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره وحتى قيل له:

«قالُوا تَاللّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ» 1 .

وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: أما أن تبكى الليل وتسكت بالنهار وأما أن تبكى بالنهار وتسكت بالليل فصالحهم على واحد منها.

أما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر - مقابر الشهداء - فتبكى حتى تقضى حاجتها ثم تنصرف.

وأما على بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، ما وُضِعَ بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولاه: جعلت فداك يا بن رسول الله إنى أخاف عليك أن تكون من الهالكين.

قال:«قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ» 2 .

أنى ما أذكر مصرع بنى فاطمة إلا خنقتنى لذلك عبرة.

وفى الرواية: (ما وُضِع أمامه طعام ولا شراب إلا ومزجه بدموع عينيه).

قال الشاعر:

فقلت لها إن البكاء لراحة به يشتفى من ظن ألا تلاقيا

وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام حزن الزهراء عليها السلام كما فى الرواية الصحيحة فى الكافى بالتالى: «وكان يدخلها حزن شديد على أبيها»(1).

وكذلک روى الكلينى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل»(2).

كان حزنها حزناً رسالياً واعلاما واضحا امام الناس كلهم فلابد ان يستمر التذكير بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولابد ان يستمر التعريف بمظلوميتها ومظلومية زوجها ولهذا كان حزنها امام الملأ وقد قال السيد منير الخباز فى احدى محاضراته المنبرية ان الزهراء عليها السلام لم تبكِ فى البيت امام زوجها بل كانت تبكى امام الملأ!، واقول لأن هذا البكاء كان يراد منه غايات وغايات وكان لابد ان يكون معلَما مستمرا يشهده اهل المدينة كلهم ويشهده الحسنان عليه السلام اللذان سيكملان مسيرة المظلومية.

ولما رحلت الزهراء عليها السلام قال علىٌّ عليه السلام عند قبرها مخاطبا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(.. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين).. كانت دموعها هى المعبِّر عما يلوج فى قلبها

1- (1) (الكافى ج 1 ص 241).
2- (2) (الكافى ج 1 ص 240 ح 2).

من احزان من هذه الامة وعلى هذه الامة!!...

ولعل الزهراء عليها السلام بكت فى موقف محدد امام امير المؤمنين عليه السلام.. ففى الرواية:

ولما حضرت فاطمة الوفاة بكت، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: يا سيدتى ما يبكيك؟ قالت: أبكى لما تلقى من بعدى، فقال لها: لا تبكى فوالله إن ذلك لصغير عندى فى ذات الله»(1).

وفى كتاب الكافى يقول بعض الرواة عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يعظ الناس: «مروا أهاليكم بالقول الحسن عند موتاكم»، ويستشهد الإمام علىّ عليه السلام فى هذا الخط بالزهراء عليها السلام فقال: «فإن فاطمة عندما قُبض أبوها أسعدتها بنات بنى هاشم - على طريقة النساء عند الموت - فقالت: اتركن التعداد - أى لا تعددن الآلام والأحزان - وعليكن بالدعاء». فالبكاء الهادف والحزن الرسالى كان له مطلب آخر فى تغيير صورة البكاء (الجاهلى) أو اللاهادف الذى لا يجدى نفعا سوى تبديد الطاقة والجهد والوقت!.

ولقد نزلت النوازل بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحزن واغتم وسمّى عام رحيل زوجته ام المؤمنين خديجة رضى الله عنها وعمه أبى طالب رضى الله عنه بعام الحزن وكأنه اراد من خلال اعلان الحزن على هذا الخطب الجلل وتذكير المسلمين الفرحين بالعودة الى ديارهم بعد انتهاء حصار الشعب

1- (1) (بحار الأنوار ج 43 ص 218 ح 49).

بما داهمه من الم وأسى على فراق الاعزة. كما اشارت الروايات الى حزنه صلى الله عليه وآله وسلم لفراق ولده ابراهيم الذى مات صغيرا وان اظهار الحزن لا يعنى الابتعاد عن الخط القويم. ففى الرواية: قال صلى الله عليه وآله وسلم: ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا مايرضى ربنا وانا لفراقک ياابراهيم لمحزونون(1).

وقد بكى يعقوب كثيرا واعلن بكاءه حيث كان يبثه اى يظهره امام الناس، قال تعالى:

«وَ تَوَلّى عَنْهُمْ وَ قالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (84)» «قالُوا تَاللّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ (85)» «قالَ إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللّهِ وَ أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (86)).»

فيكون معنى البث: هوالحزن العظيم الذى لا يُصبَر عليه فيُبث بين الناس، أى يذاع وينشرفيهم.

ولقد استبد الحزن بمريم بعدما حصل الحمل فدعاها الله عز وجل الى هزِّ النخلة كى تنشغل بشىء ينهى احزانها، فالحزن يؤذى الجنين نفسه، قال تعالى:

«فَناداها مِنْ تَحْتِها أَلاّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (24) وَ هُزِّي»

1- (1) [صحيح البخارى - كتاب الجنائز - باب قول النبى، حديث: 1303 - «إنا بک يا ابراهيم لمحزونون (2/83)]

«إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا (25) فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْناً فَإِمّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا» 1 .

ولنا ان نتصور حال الزهراء عليها السلام التى فقدت مالها واباها وولدها محسنا الذى سماه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ايام حياته بهذا الاسم فهناک اكثر من سبب يدعوها للحزن ولاعلان الحزن. وفى الرواية عن الامام الصادق عليه السلام:

وأما فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائک، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكى حتى تقضى حاجتها ثم تنصرف»(1).

وقد استعمل اهل البيت عليهم السلام اسلوب البكاء كوسيلة اعلامية فهذا الامام الصادق عليه السلام يقول ((أوصانى أبى الإمام الباقر أن أستأجر له عشر جوارٍ يندبنه بمنى أيام منى)) فمهمة هؤلاء النساء الندب والبكاء وهذه الندبة هى وسيلة للتعريف بالميت وبيان واعلاء لشأنه، كما انها وسيلة تذكير بمظلومية هذا الشخص العظيم الذى مات مسموما مظلوما فكيف بندبة الزهراء عليها السلام لأبيها والتى تريد منها تسليط الضوء على مظلومية اهل البيت عليهم السلام والتعريف بخط الامامة الصادق الذى يبدأ من على عليه

1- (2) (الخصال ج 1 ص 272 ح 15).

السلام المسلوب حقه فيها.

وفى الرواية:.. فقال المفضل للصادق عليه السلام: يا مولاى ما فى الدموع من ثواب؟ قال: ما لا يحصى إذا كان من محق. فبكى المفضل (بكاءً) طويلاً ويقول: يا ابن رسول الله إن يومكم فى القصاص لأعظم من يوم محنتكم، فقال له الصادق عليه السلام: ولا كيوم محنتنا بكربلاء وإن كان يوم السقيفة وإحراق النار على باب أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة وزينب وأم كلثوم وفضة وقتل محسن بالرفسة أعظم وأدهى وأمر، لأنه أصل يوم العذاب. (فاطمة بهجة قلب المصطفى للهمدانى الفصل الحادى والثلاثون).

ونفس الشىء قام به الامام الحسين عليه السلام من اصطحاب نسائه واخواته معه رغم نهى الآخرين عن ذلک ((شاء الله أن يرانى قتيلاً وأن يراهن سبايا)) وانما كان هذا الاصطحاب مع المشقة التى كانت فيه للجميع فهو من اجل صيانة الثورة وشخوصها واهدافها بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام فلا تندرس الواقعة الجليلة المصاب كما اندرست غيرها وهذا ماحدث حيث كان للدور الاعلامى للنساء الاثار العظيمة التى يمكن الاطلاع عليها من خلال كتابنا نساء الطفوف.

فى الرواية ((لما قتل الحسين لبسن النساء السواد ولطمن وندبن وكان زين العابدين ينقل إليهن الطعام) وهذا الدعم للمشروع الاعلامى دليل على اهمية هذا الدور وخطره وعظم تأثيره.

وقد كان لمجالس العزاء والبكاء على الامام الحسين عليه السلام بعد

عودة السبايا الى المدينة اثر كبير فى التعريف بالثورة الحسينية وبيان لمظلومية اهل البيت عليهم السلام اضافة الى كشف القناع عن الوحشية الاموية، فاصبحت مجالس العزاء تشكل خطرا على السلطة نفسها، فكان ان ارسل يزيد الى عامله على المدينة امراً بابعاد السيدة زينب عليها السلام عن المدينة لما تثيره من اعلان معادى من خلال الحزن والبكاء، وهذا دليل على ان للبكاء اثاراً سياسية خطيرة وهو نفس الاسلوب التى استعمله الامام زين العابدين عليه السلام طيلة حياته من اجل بيان حقائق واقعة الطف.

عن الإمام الباقر عليه السلام ((من تذكر مصابنا وبكى لما أرتكب منا كان معنا فى درجتنا يوم القيامة ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكى العيون ومن جلس فى مجلسٍ يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)).

وعن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام قال: وما عين أحب الى اللّه، ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه.. وما من عبد باک يبكيه، إلا وقد وصل فاطمة.. عليها السلام وأسعدها عليه.. ووصل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأدى حقنا.. وما من عبد يُحشر إلا وعيناه باكية.. إلا الباكين على جدى.. فانه يُحشر وعينه قريرة.. والبشارة تلقاه، والسرور على وجهه، والخلق فى الفزع، وهم آمنون.. والخلق يعرضون وهم حدَّاث الحسين تحت العرش، وفى ظل العرش(1)..

1- (1) (البحار ج 45 ص 207).

6 - بيت الاحزان.. ثقافة الرمز والصورة

لما ضـجر اهل المدينـة من بكاء الزهراء عليها السـلام اخذت تبتعد عن المدينة بعد ان كلمها أمير المؤمنين عليه السـلام فأجابته إلى ذلک فكانت فى نهارها تخرج خارج المدينة وتصـطحب معها ولديها الحسن والحسـين فتجلس عليها السـلام تحت شـجرة من أراک، فتسـتظل تحتها، وتبكى أباها طيلة النهار فاذا أوشـكت الشـمس أن تغرب تقدمها الحسـنان مع أبيهما ورجعوا قافلين إلى الدار، وعمد القوم إلى تلک الشـجرة فقطعوها فكانت تبكى فى حر الشـمس، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فبنى لها بيتا أسماه "بيت الاحزان" ظل رمزا لأساها على مر العصور، ونسب إلى قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فيه:

ام ترانى اتخذت لا وعلاها بعد بيت الاحزان بيت سرور

يقول العلامة المحدث محمد باقر المجلسـى: «أجتمع شـيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليه السـلام فقالوا له: يا أبا الحسن إن فاطمة عليها السـلام تبكى الليل والنهار فلا أحد منا يتهنأ بالنوم فى الليل على فراشـنا، ولا بالنهار لنا قرار على اشـغالنا وطلب معايشنا، وإنا نخبرک أن تسألها إما أن تبكى ليلاً أو نهاراً، فقال عليه السلام: حبا وكرامة.

فأقبل أمير المؤمنين عليه السـلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهى لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء فلما رأته سكنت هينئة له فقال لها: «يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ان شيوخ المدينة يسألونى

أن أسألک إما أن تبکین أباک لیلاً و إما نهاراً».

فقالت علیها السلام: «یا أبا الحسن ما أقل مکثی بینهم وما أقرب مغیبی من بین أظهرهم فوالله لا اسکت لیلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم»، فقال لها علی علیه السلام: «افعلی یا بنت رسول الله ما بدا لک».

ثم أنه بنی لها بیتاً فی البقیع نازحا عن المدینة یسمی بیت الأحزان وکانت إذا أصبحت قدمت الحسن والحسین علیهما السلام أمامها وخرجت إلی البقیع باکیة فلا تزال بین القبور باکیة فإذا جاء اللیل أقبل أمیر المؤمنین علیه السلام فردها إلی المنزل»(1).

لقد کان وجود بیت الاحزان بحد ذاته ابداعا فریدا ساهم فی ابقاء صورة الزهراء علیها السلام الثائرة المظلومة خالدة فی نفوس المسلمین!، وکانت الدلالات الرمزیة لبیت الاحزان فی قمة التأثیر المستمر حتی وقتنا الحالی.. (فالصورة لیست مجرد خطوط متماوجة بل انها عجین من الدلالات) التی جعلت منها وسیلة تأثیر عاطفیة قویة تمثل قصة الانحراف وتحمل رمزیات المقاومة الفاطمیة ومااردته من هز النفوس وتکریس کثافة التاثیر (وکأنها دلالة حواریة الصورة تستقر فی القلب والعقل)، والرمز فی بیت الاحزان ابقی المشهد ساخنا وهذا الشکل البسیط فی ادواته العظیم فی دلالته تحول الی شعار یجسد المظلومیة الفاطمیة.

1- (1) (البحار: ج 43، ص 178).

ثقافة الصورة

لا احد ينكر ان تأثير الصور المرئية هو اعظم من كل الوسائل الاخرى، فمن ناحية هى لغة بسيطة يفهمها الأمِّى والعالم والجاهل والموالى والمعادى لأن الرؤية البصرية هى أساس التصديق ومن أجل ذلک انتشر المثل المشهور الذى يقول: "إن الصورة تساوى ألف كلمة" .الصورة اذا لغة ومضمون وهى آلة واضحة وسريعة وعصرنا عصر الصورة، مما يعنى هيمنة الصورة وسيادتها لتكون إحدى أهم أدوات عالمنا المعرفية والثقافية والاقتصادية والإعلامية، والصورة خالدة فى العقل الباطن وخالدة مع خلود الفكرة والانسان ولهذا يسهل محو الكلمات ويصعب محو الصور.

ويوضح ابن منظور(1) معنى الصورة، تصورت الشىء: توهمت صورته، فتصور لى، قال ابن الأثير: الصورة ترد فى كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشىء وهيئته، وعلى معنى صفته ".وقريب من ذلک ما جاء عند والفيروزابادى، والمأخوذ من معانى الصورة فى معاجم اللغة، أنها تعنى الشكل والنوع، والصفة، والحقيقة.

وقد عرض القرآن الكريم صورا عديدة منها قوله تعالى:

«سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»2 ، فإن معنى ذلک أن هناک علامات تدل على أن هؤلاء الناس الوارد ذكرهم فى الآية يكثرون من

1- (1) (ص 2523)

السجود وقدلا نتابعهم فى كثرة السجود، ولكن هذه العلامات هى التى دلت على هذا الأمر.

وقـد صور القرآن الكريم مشاهـد يوم القيامـة وجعلها صوراً حاضـرة فى قلوب الناس ووعيهم مما ساهم فى زيادة الخوف من زلزلـة الساعة واهوال القيامة.

(هناک حضور جارف للصور فى حياة الإنسان، فهى حاضـره فى شتى مجالات حياته، تلعب دوراً أساسـياً فى تشـكيل وعيه، فيرتبط تفكيره بها بما يسمى التفكير البصرى، محاولاً فهم العالم من خلال لغة الشكل والصورة، والتفكير بالصورة يرتبط بالخيال، والخيال يرتبط بالإبداع والإبـداع يرتبط بالقـدرة على إنتاج دلالات، والـدلالات تعنى الخروج من الواقع الضـيق المحـدود إلى الآفاق الرحبة الأكثر حرية والأكثر إنسانية.

فهى ذات فوائـد كبيرة فى عمليات تنشـيط الإنتباه والإدراک والتـذكر والتخيل والإبـداع والرمزيـة، إذا ما قُدِمَت بالطريقة المناسـبة، ذلک أن الصورة بألف كلمـة على حد تعبير المثل الصـينى، وهذا ما يؤكده جيروم برونر (Bruner) قوله أن الفرد يتـذكر 10% فقط مما يسمعه و 30% مما يقرأه، و 80% مما يراه أو يقوم به (عبدالحميد. شاكر، عصرالصورة السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، الكويت: 2005 م).

لقد اسـتقرت اعواد بيت الاحزان فى ذاكرة كل موالى وكل محب لاهل البيت عليهم السـلام وكل ناصـر للزهراء عليها السلام استقرت هذه الصورة

ص:613

المتواضعة فى الموروث الثقافى للامة فاصبح بيت الاحزان هو شعار المظلومية الذى اجج الثورات والحركات بل وما زال يؤجج ويغير ويثير ويثور. لكن هذه الصورة لم تبق محبوسة فى المدينة فقد انتقلت الى المدن الاسلامية الاخرى مثل مكة واليمن وذلك عبر وسيلة اعلامية مهمة الا وهى:

التهامس

وأصله من الهمس، وهو اسلوب قديم حيث يتبادل الناس الاخبار بخفية وبصوت غير مسموع حينما يكون هناك خوف من حاكم أو ظالم. وظاهرة نقل الاحداث عن طريق المشافهة قديمة اذ ان الناس فى كل مكان ينقلون مشاهداتهم وما تاثروا به فى سفرهم وتجوالهم من خلال مواقف الناس واحاديثهم واسواقهم، وكان الخلفاء يستعينون بالعجائز لنقل الاخبار لهم خفية، وقد كانت احداث فدک عاصفة وكانت مدار حديث الناس مع المستجدات التى حصلت وقتها كحروب الردّة التى لم تحصل بسبب ارتداد الناس عن الدين كما كتبوا لنا فى مناهجنا الدراسية وانما كانت بسبب رفض اعطاء الحقوق الشرعية الا لمن اوصى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو امير المومنين عليه السلام!!.

وعادة تكون الحياة العامة سجالا فى الاخبار والسرد والحكى بعد رحيل زعيم عظيم ومجيء آخر مكانه، ونرى الان انشغال القنوات الفضائية بسرد وبيان وعرض صور الرحيل والمجيئ، وتصرف اموال طائلة لتثبيت ونشر وسحب افكار معينة من ذهن الناس، فكيف برحيل الرسول صلى الله عليه

وآله وسـلم بعد شـهرين فقط من حجة الوداع وبعد ان جمعهم فى غدير الجحفة ليبلّغ اكمال الدين بتنصيب علىٍّ عليه السلام وليّاً من بعده لهذه الامة، هناک كلام كثير فى الساحة والناس تتساءل عما جرى ومادار والحديث عن ابنة الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم واحتجاجها على أبى بكر الذى انشغل عن دفن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم باختلاس الخلافة ومصادرة حق ابنته عليها السلام وبضعته وبهجة قلبه فى ارضـها وكذلک حق زوجها عليها السلام فى الولاية ثم جاء بيت الاحزان ليكون موردا لحديث اكبر.. فالقاصدون الى المدينة كثرة كاثرة منهم من يروم زيارة قبر الرسول الشـريف ومنهم من يروم رؤية الخليفة الجديد ومنهم من جاء لأغراضٍ اخرى، فالكل اصـبح فى تساؤل عن هـذه الجالسة بحزن تحت السـعيفات فى حر الهجير تشـتكى ظلم الخليفة الجديد وجوره رغم انها ابنة الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم سيـد المرسـلين وحبيب اله العالمين؟!، نعم الكل يتساءل عن قصـة بيت الاحزان ولابـد لكل قاصد ان ينقل خبرا أو يترک اثرا أو يشـير الى ماجرى حسب قراءتهِ للحادثة، ولهذا كان بيت الاحزان اعظم صورة اعلامية مبتكرة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

8 - التعتيم الاعلامى

وذلک من خلال دفنها سرا واخفاء قبرها وهذا تطبيق لوصيتها، وهو امر خطير فالكل علم بمرضها وكان على استعداد لحضور جنازتها ولكن الزهراء عليها السلام اوصت بالدفن سرا (حنطنى وغسلنى وكفنى بالليل

وصلِّ عليَّ وادفنى بالليل ولا تعلم أحدا....

وفى الرواية: وارتفعت أصوات البكاء من بيت على عليه السلام فصاح أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بنى هاشم فى دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع لها، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى على عليه السلام، وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان، وخرجت ام كلثوم، وهى تقول: يا أبتاه يا رسول الله، الآن فقدناک حقا لا لقاء بعده أبداً. واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجون، وينتظرون خارج الجنازة ليصلُّوا عليها، وخرج أبو ذر، وقال: انصرفوا فان ابنة رسول الله قد اخَر إخراجها فى العشية. وأقبل أبوبكر وعمر يعزيان عليا عليه السلام، ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن عليا عليه السلام غسلها وكفنها... ثم صلى على على الجنازة، وشيعها والحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار وبريدة والعباس وابنة الفضل. فلما هدأت الاصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل أخرجها امير المؤمنين عليه السلام ودفنها سرا وأهال عليها التراب، والمشيعون من حوله يترقبون لئلا يعرف القوم، ويمنعهم المنافقون، فدفنوها وعفوا تراب قبرها.

عن ابن نباتة قال: سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن علة دفنه لفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم ليلاً؟ فقال (عليه السلام): (إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام

على من يتولاهم أن يصلى على أحد من ولدها)(1).

وفى بعض الروايات ان امير المؤمنين سوّى عدة قبور كى لا يهتدى القوم الى قبرها مما جعل أبى بكر يطالب بنبش القبور بحجة الصلاة عليها الا ان عليا عليه السلام وقف امامه شاهرا سيفه كما ذكر المقرم فى كتابه وفاة الزهراء عليها السلام.

قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن نفض يديه من تراب قبرها عليها السلام وهو يناجى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وستنبئك ابنتک بتضافر أُمّتک على هضمها، فأحِفها السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليلٍ معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً»(2). وهذا اعلان أو بالاحرى هو البيان التأبينى الذى قاله الامام امام جمع الموالين كاشفا عن مظلوميتها الخالدة مدى الدهور مما زاد من مشاعر التظلم لها.

على هذا فالدور الاعلامى للزهراء عليها السلام تميز بالصدق والثبات والموضوعية والهدفية وانه اعلاء للحقائق القرآنية والتاريخية التى لا يشوبها زيف، وانى ذلک؟ وهى عليها السلام المعصومة التى اذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيرا، اضافة الى السرعة والمبادرة فى بيان ما جرى تحت السقيفة رغم اوضاعها الحزينة اذ كانت تهدف الى تعديل اتجاه حركة الامة واعادتها الى المسار الطبيعى، غير انها تعلم ان هذا الامر قد لا يكلل بالنجاح فالمطامع

1- (1) (أمالى الصدوق ص 523).

2- (2) (كافى 459|1:3).

موجودة ولهـذا كان الهـدف الثانى هو عرض الحقائق على الملأ لئلا يقول قائل (لا اعلم) ولهذا تعددت اساليبها بعد الخطبة من حيث انها اصبحت اكثر مساسا بالجمهور كما فى بيت الاحزان.

والملاحظ ان الـدور الاعلامى يأخـذ صـفة الامتداد فى حياتها وبعده بشـكل متميز عن الادوار الاخرى التى هى ايضا تتمتع بهذه الصـفة، ولكن بشـكل آخر فقد ابتدأ الاعلام من المناوشات السجالية الكلامية ثم الخطبة ثم استمر من خلال بكائها امام الملأ الذى لاقى احتجاجا فجاء بيت الاحزان ليكمل المشوار وقـد اسـتمرت فى الحضور الى بيت الاحزان الى آخر ايام حياتها عليها السـلام على اختلاف الروايات التى تحدد الوقت وبذلک اسـتطاعت ان تكرس الظروف حول مظلوميتها ومظلومية اهل البيت عليهم السـلام من خلال الدفن سرا وتغييب القبر والذى بقى حشـرجة فى قلوب كل المسـلمين وما اكثر الذين اسـلمو وتبصـرّو حينما تتبعوا قبور نساء النبى صـلى الله عليه وآله وسلم وعلموا بمواضـعها واسـتغربو لهذا الضـياع لقبر ابنة المصطفى عليه السلام فبدأ السؤال والتحرى الذى اوصلهم الى مظلوميتها وهو ماكانت تتوخـاه الزهراء عليها السـلام فهى لم تكن تفكر فى نصـر آنى أو فى تغيير آنى بقـدر ماكانت تكرس الامور لبيان انفصال الخلافـة الجديـدة ومابعـدها عن خط الامامـة الربانى وبأن الانحراف بدأ بعد غياب الرسول، وهذه هى الاستراتيجية الاعلامية الصـحيحة وهى قمة النجاح فى الاعلام وذلک بأن تجعل الرسالة الاعلامية ممتدة التأثير مدى الاجيال والقرون تؤتى اكلها كل حين.

ص:618

الدور الثقافى

اشارة

ص:619

كلمة ثقافة هى واحدة من اكثر الكلمات جدلا فى العصر الراهن وأصل الكلمة مأخوذ من كلمة ثقف ولها معنيان رئيسيان متباينان:

الأول: ثَقَفَ: قال الفيروز أبادى: ثَقَفه: أى صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه.

وأُثقِفْتُهُ: قُيِّضَ لى.

وبهذا المعنى جاء قوله تعالى:

«فَإِمّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ).»

والثانى: ثَقِفَ يثقَف، وثُقُفَ يثقُف، ثَقْفاً وثَقَفاً وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فطناً(1).

ومنه:

ثَقِفَ الكلام: حذقه وفهمه بسرعة

وثقَّف الولد: هذّبه وعلّمه.

1- (1) (القاموس المحيط مادة ثقف، 121/3).

وثاقفه مثاقفةً: غالبه فغلبه فى الحذق (بتصرف نفس الكلمة من المنجد والمعجم الوسيط).

ويبين ابن منظور فى لسان العرب أن معنى ثَقَفَ: جدّد وسوّى، ويربط بين التثقيف والحذق وسرعة التعليم. ويعرف المعجم الوسيط الثقافة بأنها (العلوم والمعارف والفنون التى يطلب فيها الحذق)(1).

وهناك تعريف آخر للثقافة: (الثقافة فى اللغة العربية تعنى الحذق والفهم، والتثقيف بمعنى التشذيب والتهذيب والتقويم والحذق والفطانة (الفطنة)، وقد عرفت المعاجم الحديثة للغة العربية هذه الكلمة بأنها العلوم والمعارف والفنون التى يطلب فيها الحذق. وسواء كانت الثقافة هى العلوم والمعارف والفنون التى يطلب فيها الحذق أو هى الحذق وفهم العلوم والمعارف والفنون... الخ(2).

فالثقافة هى القاعدة الأساسية لبناء الحضارة فى أى مجتمع، واستعملت الثقافة فى العصر الحديث، للدلالة على الرقىّ الفكرى والأدبى والاجتماعى للأفراد والجماعات. وهى اشمل من العلم، اذ انها تصوغ شخصية الفرد وتبين هوية الامة وما يميزها عن غيرها.

والتعريف الاصطلاحى للثقافة الإسلامية فهو: جملة العقائد والتصورات، والأحكام والتشريعات، والقيم والمبادئ، والعوائد والأعراف

1- (1) (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة ثقف، ج 1 ص 98 القاهرة مصر).
2- (2) (الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ص 9).

والفنون والآداب، والعلوم والمخترعات التى تشكل شخصية الفرد وهوية الأمة وفق أسس وضوابط الإسلام.

والمصدر الاول لثقافة الانسان المسلم هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وهى تشمل ايضا التقاليد والاعراف، ولأن مصدرها القرآن الكريم الثابت بلا تحريف أو تغيير فأنه يمنح قوة ذاتية خالدة، الامر الذى كان ومازال معينا على نشر وانتشار الاسلام وعلى زيادة التمسك باحكامه وشرائعه وحفظ مقدساته.

ويعرّف الدور الثقافى بأنه: قدرة الفرد على تقييم ما يتلقاه من معارف ومعلومات من وسائل الإعلام المختلفة بما يدعم دوره فى معايشة قضايا العصر والانفتاح على العالم الخارجى. ويلعب التعليم دوراً هاماً فى هذا المجال حيث أنه كلما نال المرء قسطاً أكبر من التعليم كلما كان أكثر فهماً وإدراكاً ومقاومة للإيحاءات والتأثيرات السلبية التى قد ينقلها الاتصال بالعالم الخارجى.

ولقد جاء الاسلام بثقافة خاصة اساسها التوحيد والايمان بالله والملائكة والانبياء واليوم الآخر واركانها العدل والاخلاق، فهى ثقافة شاملة لكل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية وهى تنطلق من العقيدة وهدفها بناء الانسان الصالح وتوجهيه فى مسارات الخير، وبهذا كانت لها ميزاتها من الربانية والواقعية والشمولية والحركية، وقد عرّفت البشرية بنماذج مثقفيها من خلال نماذج المسلمين الاوائل الذين هم الصور الخالدة على مر التاريخ. ولم تكن الثقافة – بما فيها العلم بانواعه – ترفا فكريا بل كانت

اسلوب حياة تهدف الى تنسيق الحياة الاجتماعية والسياسية وتنظيم علاقة الانسان بخالقه.

ان عمليـة التغيير الاجتمـاعى ومـا يتبعه من تغيرات على بـاقى مناحى المجتمع يعتمـد أولاً على الافكار الجديـدة وعلى تطوير وتهـذيب الافكار السابقـة فالفكر هو المنطلق الاساسـى وعبر نشـر هـذا الفكر ضـمن الانساق المعرفيـة المتعددة الموجودة فى المجتمع تبدأ عملية التغيير والتطوير والنهضـة، ويحتاج هذا التغيير الى وقت زمنى وكلما كان هناك تفاعل اكثر مع الافكار الجديدة ومساع حثيثة لنشـرها كلما كانت النتائج اسرع وافضل.. وتلعب القدوة دورا حيويا فى هذا التفاعل والنقل الامر الذى يسهل ايصال الفكرة الجديدة.

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان المجتمع الجاهلى كان يعرض صور مثقفيه من خلال الشعراء بما فيهم اصحاب الهجاء والمجون ويطرح علومه من خلال بعض الاساطير والخرافات التى كان يعتمـدها ومن خلال نموذج الكهنـة والعرّافين!!، اذ ان العلم النافع عندهم هو علم الانساب والكهانـة!!، حيث تغيب العلوم النافعـة – لدى كلا الجنسـين – ولما جاء الاسـلام جاء بدعوة جديدة لطلب العلم والتعلم والتأمل فى آيات الافاق والانفس وجعل لكل ذلك اجرا وثوابا مما ادى الى حصول تغيير ذاتى واجتماعى شامل، فلم يعد الانسان ذلك الفرد الجاهلى الذى همه شن الغارات وقراءة اشـعار الغزل بل اصـبح ذا اهداف عليا وسامية وفى فترة زمنية قصيرة قياسا لما رأيناه فيما بعد من تغيرات ثقافية على الساحة العالمية.

ص:624

ان احـد شـروط ظهور الثقافـة وبيان مرتكزاتها هو وجود الانسان المثقف الذى يحوّل النظرية الى ارض الواقع وهذا اكبر بيان للثقافة.. ولقد كان الصـراع بين الجاهليـة والاسـلام – ومازال – على شـدته وكان لابـد للانسان الرسالى من ان يتسـلح باسـلحة المواجهـة واهمها العلم والعمل والايمان فـدور المثقف – رجلا كان أو امراة – هو كـدور النبى الـذى يتمم رسالتهُ الرسول من خلال اسـتمراره فى المواجهـة ضـد الباطل وضـد الشـرک. فالمثقف من كلا الجنسـين هو المحامى عن العقيـدة وهو عكس الجاهل أو اللامثقف الذى حتى وان رام البناء فأنه يهدمه!!

ولقد كان العلم هو احد مصادر الثقافة وقد شجع الاسلام على طلب العلم وعلى التعلم والتعليم قال تعالى:

«يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»1 .

وحث تعالى على طلب الزيادة فى العلم:«وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً»2 .

ولهذا بدأ الاهتمام بطلب العلم ولكلا الجنسـين، واذا ما أخذنا حث الشريعة على العلم والمعرفة فانها قدمت نماذج رجالية ونموذجاً نسوياً كى يتعلم الناس ويعرفوا ماهى القيم الجديدة النى تجعلهم فى سُلَّم التمايز والتفاضل.

وعرّف الاسـلام العلوم النافعة للافراد الامر الذى اوجد تنافسا فى سبيل تحقيق سبق علمى فى كل المجالات. وافضل العلوم والمعارف هو معرفـة الله اى علوم الـدين فظهرت العلوم التى تعنى بفهم القرآن وتفسـيره ورواية الحديث الى غيره. وقدم الاسـلام منهجا متكاملا لأُسسـهِ الفكرية الواضحة والتى تستند على عقيدة التوحيد والايمان بالله واليوم الآخر.

ولعل واحدا من ميزات الثقافة الاسـلامية انها جاءت برؤية جديدة للمرأة ولدورها الاجتماعى والرسالى فى الحياة وقدمت النموذج الاكمل فى صورة الزهراء عليها السـلام والسيدة خديجة والسيدة زينب عليهما السلام وهى نماذج مثقفة ومتحركة وفاعلة ومؤثرة فى المجتمع، وهى ايضا نماذج جديدة غير مسبوقة..

ولا ننسـى ان ظهور الاسلام قد صاحبه ظهور ظاهرة جديدة ومهمة هى ظاهرة التعلم والتى بدأت اولى خطواتها من خلال تعليم اسرى بدر لعشرة من المسلمين مقابل اطلاق سراحهم، ففى الوقت الذى لم يكن فى المجتمع الجاهلى سوى ثلاثةِ افراد يحسنون القراءة والكتابة ازداد العدد شـيئا فشـيئا وجذب معه النساء ايضا فظهرت اولى بوادر التعليم النسوى فى المدينة على يد الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم وابنته المعلمة الاولى فاطمة الزهراء عليها السلام.

ان العلم يساهم فى تمكين المرأة لبناء شخصـيتها ضمن اسس عقلية ومنطقية مما يساعدها على بناء ذاتها بالشكل الذى يكون منسجما مع الدين

من جهة ومع العصرنة والحداثة من جهة أخرى، ولا يمكن ان يكون هذا البناء الانسانى سليما ما لَمْ يرتكز على الدين الذى يوضح للمرأة – بـل لكـل انسان – مساره فى الحياة واهـدافه والوسائل المتبعـة لتحقيق الغايات الكبرى.. وحينما تتعلم المرأة تتخلص من سـيطرة العادات الجاهلية وعشـعشة الخرافة ويتبلور لديها الفهم والوعى وتُحدَد المساحات الفاصـلة بين الاسلام الحقيقى وبين الاسلام المتطرف والمشوه، وبـذلک تسـتطيع ان تخطوخطواتها نحو القـدوة الحيوية الفاعلة والمؤثرة بعيدا عن اشـباه الاصـنام واشـباه البشـر من القدوات المزيفة التى تحاول الهيمنة الاستكبارية عولمتها لصياغة نموذج للمرأة بعيدا عن الدين والاخلاق ومقطوعة عن التاريخ وتراثه العظيم.

ويمكن ان نـذكر بأنّ مطالبـة النساء الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم بأن يخصـص لهن يوما للتعلم كان دلالة على الوعى الجديد الذى حملته المرأة المسـلمة وكان ذلک بعـد ان رأت النساء نموذج المرأة العالمة المعلمة والعارفة والمثقفة فى الوسط القاحل، وكل ذلک تجلى فى شخصـية الزهراء عليها السـلام..... المثقفـة الاولى والعالمة الاولى الامر الذى شـجع النساء على المطالبة بتعلم العلم اقتداءً بها. ففى الرواية:

عن أبى سـعيد الخـدرى قـال: قـالت النسـاء للنبى: "غلبنـا عليـک الرجـال فاجعـل لنـا يوماً من نفسک، فوعـدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن(1).

1- (1) ("صـحيح البخارى، كتاب العلم، باب هل يُجعل للنساء يوم على حـدة فى العلم، ج 1، ص 195، حديث 101. الاستيعاب، ج 4، ص 464 والاصابة، ج 4).

ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام مارست دورها الثقافى عبر طريقين:

1 – التثقيف المباشـر عن طريق لقاء الناس والـذهاب الى المعارک والقاء الخطب وفتـح المجالس التى هى مدارس تعليمية والاجابة على الاسئلة الى غير ذلک من الوسائل.

2 – التثقيف غير المباشر عن طريق التربية العامة وتقديم نموذج القدوة الصالحة ومعظم ما يتفاعل به الناس يكون عن هذا الطريق فيتأثرون بالصورة والصوت والسـلوک والتعابير المختلفـة وهو اسـلوب التربية الصامتة (كونوا لنا دعاة صامتين) فالناس يأخذون من المحيط ويتأثرون بماحولهم ويتعلمون من التجارب والاحـداث ويأخـذون الخبرات والمهارات، ويمتاز هـذا التأثير بأنه عفوى ويحصل فى اجواء من الحرية وغياب القيود.

ص:628

الزهراء عليها السلام المرأة العالمة

إنّ آل البيت عليهم السلام هم اعلم الناس بالرسالة وهم الصور الناطقة لها فهم القرآن الناطق، وقد بذلوا جلّ جهودهم وحياتهم من اجل الحفاظ على بيضة الاسلام ونصرته وصيانته من التحريف.

ومن خلال ما ذكرناه ندرک ان ظهور نموذج المرأة المثقفة فی الاسلام والتی تتبنی دعم المشروع الحضاری الاسلامی فی نشر الدعوة والدفاع عنها وصيانتها، ندرک ان مجرد وجود هذا النموذج الذی تمثل فی الزهراء عليها السلام هو بحد ذاته ثورة وانقلابٌ عظيمٌ.. اذ لا يخفی علی احد ان الزهراء عليها السلام كانت المثل الاعلی فی العلم والثقافة والادب والفضائل والاخلاق.

فعن الصادق (عليه السلام): «أن الله تعالى أعطى عشرة أشياء لعشرة من النساء: التوبة لحواء زوجة آدم، والجمال لسارة زوجة إبراهيم، والحفاظ لرحيمة زوجة أيوب، والحرمة لآسية زوجة فرعون، والحكمة لزليخا زوجة يوسف، والعقل لبلقيس زوجة سليمان، والصبر لبرحانة ام موسى والصفوة

ص:629

لمريم ام عيسى، والرضى لخديجة زوجة المصطفى، والعلم لفاطمة زوجة المرتضى(1).

وبشـهادة ام سلمة رضوان الله عليها إذ تقول: كانت فاطمة (عليها السلام) اعرف منى بالأشياء(2) كما ان آية المباهلة دليل واضح على انها اعلم نساء زمانها.

وكانت عليها السـلام تستفيد من الاوقات التى تقضيها مع ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فى تبادل العلم والمعرفة، والدليل على ذلک قصة الورقة التى قالت عليها السـلام انها تعادل عندى حسـنا وحسـينا وكانت ملقاة فى القمامة!! وربما لم يطلع على العلم الذى فيها غيرها عليها السلام.

كانت للزهراء عليها السـلام مجالسـها الخاصة لتعليم النساء، وكان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم قد خصص يوما لتعليم النساء امور دينهن، وكانت المجالس التعليميـة اشـبه ماتكون بشـكل مـدارس مصـغرة ثم اسـتمر النهـج على ذلک حتى رأينا فيما بعد ظهور الطبيبات والعالمات الى غيرذلک. وقد اسـتمرت مجالس النساء فكان لابنتها زينب عليها السـلام مجلس خاص أيضاً. وقد سعت عليها السلام بكلّ جهـدها فى نشـر العلم وتعليم الآـخرين فكان من نتاج مدرسـتها السـيدة [فضّـة] وكانت الزهراء عليها السـلام تعلم الامـة وتعلم اولادها وخادمتها، وكان الرسول صلى الله عليه وآله

1- (1) (المناقب لابن شهر آشوب ج 3 ص 321 والبحار ج 43).

2- (2) (الطبرى 1984 ص 12)

وسلم يطلب من بعض النساء تعليم زوجاته لكنه يوكل تعليم النساء الى الزهراء!! لانها عليها السلام الاعلم، فقد كانت الشِفاء من المبايعين الأوائل ومن المهاجرين وقد علَّمت عائشة وحفصة علم الطب والخط بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ان نموذج المرأة العالمة ومن ثم المعلِمة نموذج جديد لم يكن له شبيه سابق ولهذا بحثت النساء الانصاريات عن الوسائل التى تزيد مانقص عنهن من علم بعد ان كان الانسان الجاهلى – رجلا كان أو امرأة – أُمّياً لا يعرف شيئا من العلوم سوى ماهو مربوط بلغته وشعره لا اكثر، فوجد الناس انفسهم امام إمراة عالمة وشاعرة تجيد الخطابة والبلاغة والفصاحة وفضلا عن ذلک هى إمراة تجد عندها لكل سؤال جواب مع شتى العلوم والمعارف وذلک واضح من خلال آثارها الفكرية المتعددة.

كما ان صورة المرأة الخطيبة هى صورة جديدة اذ لم يكن للخطابة نصيب فى الجاهلية والغلبة كانت للشعر، فكيف اذا جاءت كلماتها كسيوف مسلولة فى الوقت الحرج مع البلاغة الواضحة!؟.

فقد كشفت فى خطبتها عن سمو علمها وبلاغتها وحكمة منطقها ووعيها بالامور.

ص:631

العطاء الفكرى للزهراء عليها السلام

اشارة

خلفت الزهراء عليها السلام تراثا ضخما من الادعية والاقوال والحكم والاشعار بالاضافة الى انها كانت اول راوية حديث بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونقلت احاديث خطيرة كحديث الثقلين، كما انها تركت موسوعة فقهية يمكن ان ينتفع منها القارئ فى الكتب المخصوصة بالاضافة الى مصحف فاطمة وسنمر بعجالة لبيان بعض هذه الاثار الخالدة:

1 - بعض ادعيتها

- اللهمّ اجعل أول يومى هذا فلاحاً، وأوسطه صلاحاً، وأخره نجاحاً، اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعلنا ممن أناب إليک فَقبلته، وتوكّل عليک فكفيته، وتضرّع إليک فرحمته(1).

- اللهمّ إنّى اسألک الهدى والتقى والعفافَ والغنى، والعمل بما تحبّ وترضى، اللهمّ إنّى أسألک من قوتک لضعفنا، ومن غناک لفقرنا وفاقتنا، ومن حلمکَ وعلمکَ لجهلنا، اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد، وأعنّا على

1- (1) (مسند أحمد: 282/6).

شکرک وذکرک وطاعتک وعبادتک یا أرحم الراحمین(1).

- دعاء النور

بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور علی نور، بسم الله الـذی هو مـدبّر الأُمور، بسم الله الـذی خلق النور من النور، الحمـد لله الـذی خلق النور من النور، وأنزل النور علی الطور، فی کتاب مسـطور، فی رقّ منشور، بقـدر مقـدور، علی نبیّ محبور، الحمد لله الذی هو بالعزّ مذکور، وبالفخر مشهور، وعلی السرّاء والضرّاء مشکور، وصلّی الله علی سیدنا محمد وآله الطاهرین»(2).

- ومن ادعیتهـا قـالت تـدعو ربها: اللهم فرّغنی لما خلقتنی له ولاتشـغلنی بما تکفلت لی به اللّهم ذلّل نفسـی فی نفسـی وعظم شأنک فی نفسی..

انها تعّرف الناس بالهدف الاساسی من الخلق وتدعو الله ان یفرغها للعبادة.

- مِن دعائها سلام الله علیها:

اللهمّ قنّعْنی بما رزقتَنی، واسترنی وعافنی أبداً ما أبقیتنی، واغفر لی وارحمنی. اللهمّ لا تُعْیِنی فی طلبِ ما لا تُقدِّرُ لی، وما قدّرتَه علیّ فاجعلْه میسّراً سـهلا. اللهمّ کافِ عنّی والـدَیَّ، وکلَّ مَن له نعمةٌ علَیّ خیرَ مکافأة. اللهمّ فرّغْنی لِما خلقتَنی له، ولا تشـغلنی بما تکفّلتَ لی به، ولا تعذّبْنی وأنا

1- (1) (نفس المصدر).

2- (2) [بحار الانوار: 66/43.]

أستغفرک، ولا تحرْمنی وأنا أسألک.

اللهمّ ذلّلْ نفسی فی نفسی، وعظِّمْ شأنک فی نفسی، وألهِمْنی طاعتَک، والعملَ بما یرضیک، والتجنّب لما یُسخطک.. یا أرحم الراحمین.

وهی وعلی الرغم من مقامها السامی عند الله والملائکة فانها تبحث عن ساعة استجابة الدعاء اذ ورد: عن زید بن علی، عن آبائه، عن فاطمة ابنة النبی صلی الله علیه وآله یقول: إن فی الجمعة لساعة لا یوافقها رجل مسلم یسأل الله عز وجل فیها خیراً إلا أعطاه. قالت: فقلت: یا رسول الله أی ساعة هی؟ قال: إذا تدلی نصف عین الشمس للغروب. قال: وکانت فاطمة تقول لغلامها: اصعد علی السطح، فإن رأیت نصف عین الشمس قد تدلی للغروب فأعلمنی حتی أدعو(1).

2 - ومن اقوالها علیها السلام

1 - قالت فاطمة علیها السلام: حُبِّبَ إلی من دنیاکم ثلاث: تلاوة کتاب الله، والنظر فی وجه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، والإنفاق فی سبیل الله.

2 - قالت فاطمة علیها السلام: «البُشرُ فی وجه المؤمن یوجب لصاحبه الجنة، والبُشرُ فی وجه المعاند المعادی یقی صاحبه عذاب النار.

3 - قالت فاطمة علیها السلام: «من أصعد إلی الله خالص عبادته

1- (1) (دلائل الإمامة: ص 5).

أهبط الله إليه أفضل مصلحته»(1).

4 – عن ليث بن أبی سـليم، عن عبـد الله بن الحسن، عن أمه فاطمـة بنت الحسـين، عن أبيها، عن أمه فاطمة ابنة رسول الله "صـلى الله عليه وآله":«خياركم ألينكم مناكبه، وأكرمكم لنسائهم»(2).

5 –... وقالت عليها السـلام (عند ولادتها): أشـهد أن لا إله إلا الله، وأن أبی رسول الله سيد الأنبياء، وأن بعلی سيد الأوصياء، وولدی سادة الأسباط (3).

6 – فقالت عليها السلام: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام(4).

7 –... فقالت عليها السلام: رضيت بالله رباً، وبک يا أبتی نبياً، وبابن عمی بعلاً ووليّاً(5).

8 – عن فاطمة عليها السلام فی حق الام: الزم رجلها فإن الجنة تحت أقدامها(6).

9 – ومن كلامها فی فضل علی عليه السلام:

1– (1) (البحار: 184/71).

2– (2) (دلائل الإمامة: 7).

3– (3) [البحار، ج 43، ص 3].

4– (4) [البحار، ج 43، ص 28].

5– (5) [إحقاق الحق، ج 5، ص 117].

6– (6) [مسند فاطمة، لجلال الدين السيوطی، ص 116].

عن بكر بن أحنف قال: حدثتنا فاطمة بنت على بن موسى الرضا قالت: حدثتنى فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر قلن: حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد قالت: حدثتنى فاطمة بنت محمد بن على قالت: حدثتنى فاطمة بنت على بن الحسين قالت: حدثتنى فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن على، عن أم كلثوم بنت على عليهم السلام، عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لما أسرى بى إلى السماء دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من درة بيضاء مجوفة، وعليها باب مكلل بالدر والياقوت، وعلى الباب ستر فرفعت رأسى فإذا مكتوب على الباب: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على ولى القوم)، وإذا مكتوب على الستر: (بخ بخ، من مثل شيعة على؟) فدخلته فإذا أنا بقصر من عقيق أحمر مجوف، وعليه باب من فضة مكلل بالزبرجد الأخضر، وإذا على الباب ستر، فرفعت رأسى وإذا مكتوب على الباب (محمد رسول الله، على وصى المصطفى)(1).

10 - عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: دخلت على مولاتى فاطمة عليها السلام وقدامها لوح يكاد ضوءه يغشى الأبصار، فيه اثنا عشر اسماً ثلاثة فى ظاهره وثلاثة فى باطنه، وثلاثة أسماء فى آخره، وثلاثة أسماء فى طرفه، فعددتها فإذا هى اثنا عشر اسماً، فقلت: أسماء من هؤلاء؟ قالت: هذه أسماء

1- (1) (البحار: ج 68، ص 76-77).

الأوصياء أولهم ابن عمى وأحد عشر من ولدى، آخرهم القائم (صلوات الله عليهم أجمعين). قال جابر: فرأيت فيها محمداً محمداً محمداً فى ثلاثة مواضع، وعليا وعليا وعليا وعليا فى أربعة مواضع.

11 – قالت عليها السلام:... فو الله يا سلمان، لا أخلى باب المسجد حتى أرى ابن عمى سالماً بعينى. فرجع سلمان إلى على عليه السلام فأخبره بمقالة فاطمة، فقام على وخرج من المسجد، فلما رأته انكبت على كتفيه وهى تقول: روحى لروحک الفداء، ونفسى لنفسک الوقاء يا أبا الحسن، إن كنت فى خير كنت معک، وإن كنت فى شر كنت معک. فبكيا جميعاً صلوات الله عليهما. (نقلت هذه الاحاديث بتصرف من كتاب فاطمة بهجة قلب المصطفى للهمدانى).

3 – بعض أشعارها سلام الله عليها

نسبت للزهراء عليها السلام بعض القصائد الشعرية البليغة، ممّا يدل على تمكّنها من ناصية اللغة ومعرفتها لهذا الفن.

وقد جمع الشعر المنسوب إليها فى ديوان، فبلغ ثمانِ عشرة بين مقطوعة وقصيدة، وأغلبه فى رثاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

1 – حكى عن الزهراء عليها السلام كانت تلاعب الحسن عليه السلام وتقول:

أشبه أباک يا حسن واخلع عن الحق الرسن

واعبد إلهاً ذا منن ولا توالى ذا الإحن

وقالت للحسين عليه السلام:

أنت شبيه بأبى لست شبيهاً بعلى

2 - ولما دفن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلت على أنس بن مالک فقالت: يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وآله التراب؟ ثم بكت ورثته قائلة:

أغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبى كئيبة أسفاً عليه كثيرة الرجفان

فليبكه شرق البلاد وغربها ولتبكه مضر وكل يمان

يا خاتم الرسل المبارک ضوءه صلى عليک مُنزِّلُ القرآن

ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على عينيها ووجهها ثم أنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علىَّ مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

3 - ومن جملة ما ينسب إلى فاطمة عليها السلام فى رثاء أبيها:

نفسى على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدک فى الحياة وإنما أبكى مخافة أن تطول حياتى(1)

1- (1) (إحقاق الحق) ج 10، ص 435.

وحكى البيتان عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد دفن فاطمة عليها السلام.

4 - وقولها ترثيه صلى الله عليه وآله:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى إن كنت تسمع صرختى وندائيا

صبت علىَّ مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

قد كنت ذات حمى بظل محمد لا أختشى ضيماً وكان جماليا

فاليوم أخشع للذليل وأتقى ضيمى وأدفع ظالمى بردائيا

فإذا بكت قمرية فى ليلها شجناً على غصن بكيت صباحيا

فلأجعلن الحزن بعدک مؤنسى ولأجعلن الدمع فيک وشاحيا

ماذا على من شم تربة أن لا يشم مدى الزمان غواليا(1)

5 - قالت الزهراء عليها السلام:

إذا مات يوماً ميتاً قل ذكره وذكر أبى مذ مات والله أزيد

تذكرت لما فرّق الموت بينا فعزيت نفسى بالنبى محمد

فقلت لها: إن الممات سبيلنا ومن لم يمت فى يومه مات فى غد(2)

6 - وقالت عليها السلام:

إذا أشتد شوقى زرت قبرک باكياً أنوح وأشكو لا أراک مجاوبى

فيا ساكن الغبراء علمتنى البكا وذكرک أنسانى جميع المصائب

1- (1) (أعيان الشيعة) ج 1، ص 323، ط بيروت.

2- (2) (البحار) ج 22، ص 523.

فإن كنت عنى فى التراب مغيباً فما كنت عن قلبى الحزين بغائب

8 – أنشدت الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله:

وكنت بدراً ونوراً يستضاء به عليک تنزل من ذى العزة الكتب

وكان جبريل روح القدس زائرنا فغاب عنا وكل الخير محتجب

فليت قبلک كان الموت صادفنا لما مضيت وحالت دونک الحجب

إنا رزئنا بما لم يرز ذو شجن من البرية لا عجم ولا عرب

ضاقت على بلاد بعد ما رحبت وسيم سبطاک خسفاً فيه لى نصب

فأنت والله خير الخلق كلهم وأصدق الناس حيث الصدق والكذب

فسوف نبكيک ما عشنا وما بقيت من العيون بتهمال لها كسب(1)

4 – فقه الزهراء عليها السلام

تركت الزهراء عليها السلام موارد فقهية موجودة فى بعض المصنفات، وكنت اتمنى لو سلط الفقهاء عليها ضوءا اكثر، ونشير هنا الى واحدة منها لضيق المكان:

عن على بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبى نجران، وسندى بن محمد، ومحمد بن الوليد جميعا عن عاصم بن حميد عن يزيد بن خليفة قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله أتصلى النساء على الجنازة؟ قال: فقال: أبو عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله

1- (1) (البحار) ج 43، ص 195-197

علیه وآله کان فیما هـدر دم المغیرة بن أبی العاص، وحَدَّثَ حدیثا طویلا، وان زینب بنت النبی صـلی الله علیه وآله توفیت وإن فاطمة علیها السلام خرجت فی نسائها فصلت علی أختها(1).

- عن علی، عن فاطمة رضی الله عنهما، قالت: قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: یا حبیبة أبیها کل مسکر حرام، وکل مسکر خمر(2).

5 - مصحف فاطمة علیها السلام

اشارة

لفظ المصـحف کما ورد فی کتاب لسان العرب: المصـحف والمصـحف الجامع للصّحف المکتوبـة بین الدفتین کأنه أصـحف والکسـر والفتح فیه لغة.

وفی المصـباح المنیر: والصحیفة قطعة من جلد أو قرطاس کتب فیه... والجمع صحف بضمتین وصحائف... والمصحف بضم المیم أشهر من کسرها.

مصحف فاطمة فی الأحادیث الشریفة

فی حـدیث عن أبی عبـدالله علیه السـلام: ومصـحف فاطمـة ما أزعم أنّ فیه قرآناً وفیه ما یحتاج الناس إلینا، ولا نحتاج إلی أحد حتّی إنّ فیه الجلده ونصف الجلده وثلث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش.

وعن حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبدالله علیه السلام یقول: تظهر

1- (1) (الاستبصار - الشیخ الطوسی، باب الصلاة علی جنازة معها امرأة، ج 1 ص 485-486).
2- (2) (دلائل الامامة: 3).

زنادقة سـنة ثمانية وعشـرين ومائة، وذلک لأنّی نظرت فی مصحف فاطمة. قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال: إنّ الله تبارک وتعالی لمّا قبض نبیّه صـلی الله علیه وآله وسلم دخل علی فاطمة من وفاته من الحزن ما لا یعلمه إلا الله عزّ وجلّ، فأرسل الیها ملکاً یسلّی عنها غمّها ویحدّثها، فشـکت ذلک إلی أمیر المؤمنین علیه السلام فقال لها: إذا أحسست بذلک وسمعت الصوت قولی لی. فأعلمته، فجعل یکتب کلّ ما سمع حتّی أثبت من ذلک مصحفاً. قال: ثم قال: أما إنّه لیس الحلال والحرام، ولکن فیه علم ما یکون(1).

وفی حدیث آخر قال له الراوی: فمصـحف فاطمة؟ فسکت طویلاً ثمّ قال: إنّکم لتبحثون عمّا تریدون وعمّا لا تریدون، إنّ فاطمة مکثت بعد رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم خمسـة وسـبعین یوماً وقد کان دخلها حزن شدید علی أبیها، وکان جبرئیل یأتیها فیحسن عزاءها علی أبیها، ویطیّب نفسها، ویخبرها عن أبیها ومکانهِ، ویخبرها(2).

قلت: جعلت فداک فلمن صار ذلک المصحف بعد مضیّها؟ قال: دفعته إلی أمیر المؤمنین علیه السلام، فلمّا مضی صار إلی الحسن ثم إلی الحسـین علیهما السلام، ثم عند أهله حتّی یدفعوه إلی صاحب هذا الأمر. فقلت: إنّ هذا العلم کثیر! قال: یا أبا محمد، إنّ هذا الذی وصفته لک لفی ورقتین من أوّله، وما وصفت لک بعد ما فی الورقة الثانیة ولا تکلّمت بحرف منه(3).

1- (1) (البحار: 43|80).

2- (2) (البحار: 43|80).

3- (3) (دلائل الإمامة للطبری: 27-28).

وأيّاً كانت الروايات حول مصحف فاطمة فهو غير موجود حاليا بين ايدينا، فهو يرمز الى رعاية الهية خاصة لهذه المرأة العظيمة، فالله تعالى ارسل الملائكة لتواسى الزهراء عليها السلام كما ارسل ملائكة لتكلم مريم وهذا ليس بالامر الغريب، وهو ما اجمع عليه علماؤنا، والذى اقوله ان الله تعالى اراد ان يعرّف الناس قدر فاطمة عند الله تعالى بعد الاحداث الساخنة فقرن اسمها بهذا المصحف لتبقى فى وجدان الانسان وفى ضمير كل مسلم، فهو ليس للتسلية فحسب انما هو تطييب للخواطر وتعريف بما سيكون فيما بعد، وهو تهذيب للامة بأن الانسان الممتحن والذى يمر بمحنة أيّاً كان شكلها بحاجة الى مواساة الآخرين وتصبيرهم لا كما حصل مع الزهراء عليها السلام من الهجوم على دارها واسقاط جنينها!، كما انه اشارة الى عناية الزهراء عليها السلام بهذه الاملاءات فنرى انها جمعتها فى مصحف صيانة لها من التلف وهو يدل على حرص الزهراء على مافيها من العلم والخوف من ان تفقد منه شيئا وهو اشارة الى الابداع عندها عليها السلام والى اهتمامها بالنظم والتنظيم.

ولعله – والله اعلم – كان نزول الملائكة على الزهراء عليها السلام وانشغال على عليه السلام بكتابة المصحف – كعهده منذ كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – تسلية لخاطر امير المؤمنين عليه السلام ايضا بعد رحيل رسول الله وما لاقى من ظلم واذى من قبل المسلمين.

كانت الزهراء عليها السلام تُحدِّثُ الملائكة وكان نتاج هذا الحديث هو مصحف فاطمة فسميت عليها السلام بالمحدَّثة بفتح الدال وقد كانت محدثة

بكسر الدال تحدث امها وهى جنين فى بطنها اما المحدثة بالفتح:

فهى التى يطلعها أحد على الوقائع والحقائق من وراء حجاب، أو التى تستلهم الأخبار من قبل الله تعالى، عن طريق الوحى وهو الملک.

(والمحدَّث من تكلمه الملائكة بلا نبوة ولا رؤية صورة، أو يلهم له ويبقى فى روعه شىء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى، أو ينكت له فى قلبه من حقايق تخفى على غيره، أو غير ذلک من المعانى التى يمكن أن يراد منه).

وقال (العلامة الأمينى رحمه الله فى كتابه القيم:(1) (إن فى هذه الأمة أناساً محدَّثين كما كان فى الأمم الماضية، وأمير المؤمنين وأولاده الأئمة الطاهرون علماء محدثون وليسوا بأنبياء. وهذا الوصف ليس من خاصة منصبهم ولا ينحصر بهم بل كانت الصديقة كريمة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم محدثة، وسلمان الفارسى محدثا. نعم كل الأئمة من العترة الطاهرة محدثون، وليس كل محدث بإمام، ومعنى المحدث هو العالم بالأشياء بإحدى الطرق الثلاث المفصلة فى الأحاديث.

ويستفاد من أحاديث عديدة أنّ الملائكة كانت تنزل على فاطمة (عليها السلام) من قبل الله، وتطلعها على ما يحدث وما سيحدث فى المستقبل، إنّ الوحى الذى خصّ بالرسالة والأحكام ونزول الآيات القرآنية قد انقطع مع وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنّه خاتم الأنبياء، ولا يأتى رسول بعده،

1- (1) (الغدير ج 5 ص 49).

وهـذه عقيـدتنا كما إنّ الـدين كامل والنعمة تامّة بولاية أهل البيت (عليهم السـلام)، ولكنّ الوحى لـم ينقطع بالإيحاء للأولياء والإخبار عن المسـتقبل، فإنّ الله سبحانه يوحى عن طريق ملائكته لمن يشاء ومتى يشاء، لأنّ الوحى لا يقتصر على الأنبياء، فالله أوحى إلى أُمّ موسى «وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ» .

وأوحى الله إلى النحل والى السـماء، إذ ليست سـيّدة نساء العالمين وبنت سيّدة الأنبياء والمرسلين بأقلِّ شأناً من مريم بنت عمران، أو سارة زوجـة إبراهيم، أو أُمّ موسـى، وليس معنى ذلـک أنّ مريم أو سارة أو أُمّ موسـى كنَّ من الأنبياء، وكـذلک ليس معنى ذلک أنّ السـيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كانت نبيَّةً.

- عن إسـحاق بن جعفر بن محمـد بن عيسـى بن زيـد بن على قال: سـمعت أبا عبد الله عليه السـلام يقول: إنما سـميت فاطمة مُحدَّثة لأن الملائكـة كـانت تهبـط من السـماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمـة، إن الله اصـطفاک وطهرک واصـطفاک على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتى لربک واسجدى واركعى مع الراكعين(1). فتحدثهم ويحدثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العـالمين مريم بنت عمران؟ فقـالوا: إن مريم كـانت سـيدة نساء عالمها، وإن الله جعلک سـيدة نساء عالمک وعالمها وسـيدة نساء الأولين والآخرين(2).

1- (1) (إشارة إلى الآية 42 و 43 من سورة آل عمران)

2- (2) (البحار: ج 43، ص 78).

– عن عبد الله بن الحسن المؤدب عن أحمد بن على الأصـفهانى، عن إبراهيم بن محمد الثقفى، عن إسـماعيل بن بشار قال: حدثنا على بن جعفر الحضـرمى بمصـر منذ ثلاثين سـنة قال: حدثنا سليمان قال: محمد بن أبى بكر لما قرأ:«وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ»1 . ولا مُحـدَّث، قلت: وهل يحـدث الملائكة إلا الأنبياء؟ قال: إن مريم لم – تكن نبيَّةً وكانت مُحدَّثةً، وأم موسـى بن عمران كانت محدَّثةً ولم تكن نبيَّةً، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشـروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، ولم تكن نبيَّةَ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت محدَّثةً ولم تكن نبيَّةً (1).

وإنّ الأئمّة (عليهم السلام) كانوا جميعهم محدّثين فى زمانهم، أى أنّهم كانوا يستلمون الأخبار الجديدة من قبل الله تعالى(2).

6 – خطبتا الزهراء عليها السلام

للزهراء عليهـا السـلام كما هو معروف خطبتان الاولى ألقتها فى المسـجد النبوى والثانيـة فى تجمع لنساء الانصار وكلاهما بعـد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسـلم، وهى اولى الخطب النسائية فى الاسـلام، وقد ازدهرت الخطابة فى عصر الاسلام وطغت على الشعر الذى كان الاول فى العصور التى قبله

1– (2) (البحار: ج 43، ص 79).

2– (3) (البحار: ج 43، ص 79).

وذلک لما فی الخطابـة من قـدرة علی ایصال وتوضـیح المعانی الجدیـدة التی رافقت الدعوة وفی التأثیر علی جماعة المسـلمین وقد کانت هناک عدة خطب لرسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم آخرها خطبة الغدیر التی تم فیها تنصـیب امیر المؤمنین علیه السـلام والتی مثلت وصیة الرسول صلی الله علیه وآله وسلم الی الامة.

وقد القت خطبتها علیها السلام وهی فی الثامنة عشرة فهی من اهل بیت زقو العلم زقا وکانت کلا الخطبتین قد استجمعتا الفصاحة والبلاغة وقوة المعانی والاستدلال والبیان وتوضیح المقاصد وعلل الشرائع بشکل یوحی بکمالها العلمی وقدرتها الثقافیة وکیف لا وهی اعظم النساء شأنا فی العلم والمعرفة. وقد عرضنا الخطبتین فی الدور السیاسی.

قال الإمام السـید شرف الدین رحمه الله: وللزهراء علیها السلام حجج بالغة، وخطبتاها فی ذلک سائرتان، کان أهل البیت یلزمون أولادهم بحفظهما کما یلزمونهم بحفظ القرآن(1).

1- (1) (المراجعات المراجعة 103).

الاسهامات الثقافية للزهراء عليها السلام

اشارة

تعددت عطاءات الزهراء عليها السلام الثقافية خاصة فى المجتمع المدنى الذى استقبل الاسلام واستقبل ثقافته الجديدة برحابه صدر. وقد كان للزهراء عليها السلام دورها الواضح فى بلورة الثقافة الاسلامية من عدة جوانب منها:

أ - رواية الحديث

تعتبر الزهراء عليها السلام اول النساء اللائى حفظن السنة المطهرة من خلال رواية الحديث ومن خلال الدفاع عن الاصول العامة فيها كالامامة من خلال رواية الاحاديث المفصلية المهمة كحديث الثقلين.

ولا يغيب عن بالنا ان رواية الحديث عن شخصية عظيمة كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان امرا جديدا بحد ذاته وكان مهما للغاية ويتسم بقدسية وكانت تمثل ربطا بالنبوة والنبى صلى الله عليه وآله وسلم ووسيلة اعلامية قوية ومؤثرة، ولهذا نجد - على الجانب الآخر - ظهور ظاهرة التحريف المشوه للاحاديث مع نشر الحديث الكاذب والذى انتشر فى العهد الاموى لتحقيق منافع آنية كاسقاط القداسة عن شخصيات مهمة كامير

المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام واهل بيته ولترويج مفاهيم مغلوطة كاسباغ القداسة على الحكام الظلمة واعتبار الخروج عليهم ذنبا لا يغتفركما اشـرنا الى ذلک. مضافا الى ذلک ان روايـة الحديث امر يحتاج الى معرفة وعلم وقدرة على الحفظ والاسـتظهار وجرأة فى بيان الحـديث وان وجد من يخالفه كحديث الثقلين، كما ان عدم تدوين السـنة النبوية كان هو السـبب فى كل ما تعانيه الامة المسـلمة الآن من انشـقاق واختلاف لاختلاف الاحاديث المروية واختلاطها بالكاذب، والملاحظ ان الزهراء عليها السـلام لم تنقل احاديث خاصة عن حياة الرسول الخاصة وان كانت هى الحاضـرة معه دوما بل اننا نجد ذلک حتى فى اقوالها فهى لم تتفوه بشىء عن علاقتها مع امير المؤمنين اوعن محطات حرجة كما تحدثت بذلک بعض زوجاته وهذا اشارة الى ادبها والى تقديسها للحياة الاسرية وصيانة لاسرارها.

وجمع الحافظ جلال الـدين السـيوطى حـديث الزهراء عليها السـلام المروى عن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم فى (مسـند فاطمة الزهراء عليها السلام) فكان فيه 282 حديثاً فى مجمل أحوالها وتاريخها وما روى عنها، وقد جمعه من كتب العامّة المعتبرة. وجمع الشـيخ عزيز الله العطاردى فى (مسـند فاطمة الزهراء) 112 حـديثاً مروياً عنها من مصادر الشـيعة وبعض مصادر العامّة، موزعة على 16 باباً من أبواب القرآن والفقه والدعاء والعقائد والاحتجاج والحكم والمواعظ وغيرها(1)، وعدّ فى آخر المسند تسعة

1- (1) (مسند فاطمة عليها السلام | العطاردى: 471-586، منشورات عطارد نقلا عن الهمدانى بهجة

وعشرين صحابياً ممن روى عنها عليها السلام.

وفى آخر عوالم الزهراء عليها السلام للشيخ عبدالله البحرانى، جمع محققو الكتاب مسند الزهراء عليها السلام من كتب الفريقين فى أواخر الجزء الثانى منه، تحت عنوان (الأحاديث الغراء من مسند فاطمة الزهراء عليها السلام) فبلغ 219 حديثاً فى عناوين مختلفة(1).

وقال الاستاذ توفيق أبو علم عن هذه النقطة بالذات: (أخذت الزهراء عن أبيها الكثير من الأحاديث بما تسمعه منه أو ما كان يأمر بكتابته لها، وقد أخذ عنها ابناها الحسن والحسين وأبوهما علىّ وحفيدتها فاطمة بنت الحسين مرسلاً وعائشة وام سلمة وأنس بن مالک وسلمى أم رافع رضى الله عنهم، وقد ساعدها على ذلک أنّها ألمّت بكثير من علوم القرآن وإحاطتها بأُمور من الشرائع السابقة، وكانت تعرف القراءة والكتابة، ولقد فطمها الله بالعلم، وكان أبوها رسول اله صلى الله عليه وآله وسلم يستكتب لها الصحف التى تسترشد بها فى أمر دينها وتبصّرها بأُمور دنياها، فالسيّدة فاطمة من أهل بيت اتّقوا الله وعلّمهم الله)] ولنعم هذا الاقتباس من قوله تعالى:«وَ اتَّقُوا اللّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللّهُ»2 .

بعض الاحاديث التى روتها عليها السلام.

1- (1) (عوالم الزهراء عليها السلام | البحرانى 2:855-934).

1 – حدیث الثقلین

عن فاطمـة الزهراء علیها السـلام قالت: سـمعت أبی رسول الله صـلی الله علیه وآله فی مرضه الذی قبض فیه یقول وقد امتلأت الحجرة من أصـحابه: أیها الناس یوشک أن أقبض قبضاً یسـیراً، وقـد قـدمت إلیکم القول معذرة إلیکم، ألا إنی مخلف فیکم کتاب ربی عز وجل وعترتی أهل بیتی. ثم أخـذ بیـد علی فقال: هذا علی مع القرآن والقرآن مع علی لا یفترقان حتی یردا علیَّ الحوض، فأسألکم ما تخلفونی فیهماوقال القندوزی: وفی (الصواعق المحرقة): روی هذا الحدیث ثلاثون صحابیاً وإن کثیراً من طرقه صحیح وحسن(1).

2 – عن محمـد بن یحیی، عن محمـد بن الحسـین، عن ابن محبـوب، عن أبی الجـارود، عن أبی جعفر علیه السـلام عن جـابر بن عبـد الله الأنصاری قال: دخلت علی فاطمـة علیها السـلام وبین یـدیها لوح فیه أسـماء الأوصـیاء من ولـدها، فعددت اثنی عشـر آخرهم القائم علیه السلام، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علی(2).

3 – عن زینب، عن فاطمـة بنت رسول الله علیهما السـلام: إن رسول الله صـلی الله علیه وآله قال لعلی: یا أبا الحسن أما إنک وشـیعتک فی الجنة(3).

4 – عن شیبة، عن فاطمة بنت الحسین، عن فاطمة قالت: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: "کل بنی أم ینتمون إلی عصبتهم الا ولد

1- (1) (ینابیع المودة: ص 40).
2- (2) (الکافی – الشیخ الکلینی – ج 1 – ص 5321).
3- (3) (إحقاق الحق: ج 7، ص 307).

فاطمة فإنی أنا أبوهم وأنا عصبتهم(1).

5 – محمد بن أحمد بن داود عن علی بن حبشی بن قونی قال: حدثنا علی بن سلیمان الزراری عن محمد بن الحسین بن أبی الخطاب عن محمد بن إسماعیل عن الخیبری عن یزید بن عبد الملک عن أبیه عن جده قال: دخلت علی فاطمة (علیها السلام) فبدأتنی بالسلام ثم قالت: ما غدا بک؟ قلت طلبت البرکة قالت: اخبرنی أبی وهو ذا، هو انه من سلم علیه وعلی ثلاثة أیام أوجب الله له الجنة، قلت لها: فی حیاته وحیاتک؟ قالت: نعم وبعد موتنا(2).

6 – من الاحادیث التی روتها حدیث الکساء

رَوَی هذا الحدیث الشّیخ عبد الله بن نور الله البحرانی فی کتابه "عَوالِمِ العلوم "بسندٍ صحیح عن جابر بن عبد الله الانصاری.

7 – عن الحسین علیه السلام، عن أمه فاطمة رضی الله عنها، قالت: قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: إیاک والبخل، فإنه عاهة لا تکون فی کریم. إیاک والبخل فإنه شجرة فی النار واغصانها فی الدنیا فمن تعلق بغصن من أغصانها أدخله النار. وعلیک بالسخاء، فإن السخاء شجرة من شجر الجنة، أغصانها متدلیة إلی الأرض، فمن أخذ منها غصناً قاده ذلک الغصن إلی الجنة(3).

1- (1) (تهذیب الکمال للمزی: 483/19، تاریخ بغداد للخطیب البغدادی: 283/11، المعجم الکبیر للطبرانی: 423/22).
2- (2) (تهذیب الأحکام، الشیخ الطوسی، ج 6 – ص 9).
3- (3) (أهل البیت لتوفیق أبو علم: 130-131).

8 – عن فاطمة الصغرى بنت الحسين عليه السلام، عن أبيها، عن جدتها فاطمة الكبرى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله: يدفن من ولدى سبعة بشاطئ الفرات، لم يبلغهم الأولون، ولم – يدركهم الآخرون(1).

9 – روى الشيخ الكلينى بالإسناد عن زرارة، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «جاءت فاطمة عليها السلام تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعض أمرها، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كُريسة، وقال: تعلّمى ما فيها، فإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت(2).

10 – عن عبد الله بن حسن عن أمه فاطمة بنت حسين عن جدتها فاطمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل المسجد صلى على النبى صلى الله عليه وآله وقال: اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على النبى صلى الله عليه وآله وقال اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك(3).

11 – عن محمد بن عمر الكناسى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن على بن الحسين، عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن على، عن فاطمة بنت

1– (1) (بحار الأنوار: 131/8).

2– (2) (الكافى 6:2l667).

3– (3) (المعجم الكبير للطبرانى: 424/22، سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القزوينى: 253/1).

محمـد صـلى الله عليه وآله خرج علينـا رسول الله (صـلى الله عليه وآله) فقـال: إن الله عز وجـل بـاهى بكم، فغفر لكم عامـة، وغفر لعلى خاصة، وإنى رسول الله إليكم غير هائب لقومى ومحاب لقرابتى، هذا جبرائيل عليه السـلام يخبرنى: إن السـعيد، كل السعيد، حق السعيد، من أحب علياً فى حياتى وبعد وفاتى(1).

12 - وعن بكر أحمـد القصـرى: حـدثتنا فاطمـة بنت على بن موسـى الرضا: حدثتنى فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسـى بن جعفر قلن: حـدثتنا فاطمـة بنت جعفر بن محمـد الصادق: حدثتنى فاطمة بنت محمد بن على: حدثتنى فاطمة بنت على بن الحسـين: حدثتنى فاطمة وسكينة ابنتا الحسين، عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، عن فاطمة: بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: أنسيتم قول رسول الله صـلى الله عليه وآله يوم غـدير خم (من كنت مولاـه فعلى مولاـه)؟ وقوله صـلى الله عليه وآله: (أنت منى بمنزلـة هارون من موسى)(2).

13 - عن سـيدة النساء فاطمة ابنة سـيد الأنبياء صـلوات الله عليهم أنها سألت أباها محمداً صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبتاه ما لمن تهاون بصـلاته من الرجال والنساء؟ قال: يا فاطمة من تهاون بصـلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشـرة خصـلة، ست منها فى دار الدنيا، وثلاث عند موته، وثلاث فى قبره، وثلاث فى القيامة إذا خرج من قبره.

1- (1) (أسنى المطالب لشمس الدين الجزرى، ص 66).

2- (2) (أسنى المطالب، لشمس الدين الجزرى، ص 50).

وأما اللواتی تصیبه فی دار الدنیا: فالأولی یرفع الله البرکة من عمره، ویرفع الله البرکة من رزقه، ویمحو الله عز وجل سیماء الصالحین من وجهه، وکل عمل یعمله لا یؤجر علیه، ولا یرتفع دعاؤه إلی السماء، والسادسة لیس له حظ فی دعاء الصالحین.

وأما اللواتی تصیبه عند موته: فأولهن أن یموت ذلیلاً، والثانیة یموت جائعاً، والثالثة یموت عطشاً، فلو سقی من أنهار الدنیا لم یرو عطشه. وأما اللواتی تصیبه فی قبره: فأولهن یوکل الله به ملکاً یزعجه فی قبره، والثانیة یضیق علیه قبره، والثالثة تکون الظلمة فی قبره.

وأما اللواتی تصیبه یوم القیامة إذا خرج من قبره: فأولهن أن یوکل الله به ملکاً یسحبه علی وجهه والخلائق ینظرون إلیه، والثانیة یحاسب حساباً شدیداً، والثالثة لا ینظر الله إلیه ولا یزکیه وله عذاب ألیم)(1).

14 - عن علی بن موسی الرضا، عن أبیه موسی بن جعفر، عن أبیه جعفر بن محمد، عن أبیه محمد بن علی، عن أبیه علی بن الحسین، عن أبیه الحسین، عن فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وآله: أن النبی صلی الله علیه وآله قال: من کنت ولیه فعلی ولیه، ومن کنت إمامه فعلی إمامه(2).

15 - فی حدیث طویل عند رؤیة النبی صلی الله علیه وآله أنواع العذاب لنساء أمته لیلة الإسراء: فقالت فاطمة علیها السلام: حبیبی وقرة

1- (1) (مستدرک الوسائل: ج 1، ص 171-172، سفینة البحار: 43/2).
2- (2) (البحار: ج 68، ص 76-77).

عینی أخبرنی ما کان عملهن وسیرتهن حتی وضع الله علیهن هذا العذاب؟ فقال: یا بنتی أما المعلقة بشعرها فإنها کانت لا تغطی شعرها من الرجال، وأما المعلقة بلسانها فإنها کانت تؤذی زوجها، وأما المعلقة بثدیها فإنها کانت تمتنع من فراش زوجها وأما المعلقة برجلیها فإنها کانت تخرج من بیتها بغیر إذن زوجها، وأما التی کانت تأکل لحم جسدها فإنها کانت تزین بدنها للناس، وأما التی شدت یداها إلی رجلیها وسلط علیها الحیات والعقارب فأنها کانت قذرة الوضوء قذرة الثیاب، وکانت لا تغتسل من الجنابة والحیض، ولا تتنظف، وکانت تستهین بالصلاة، وأما العمیاء الصماء الخرساء فإنها کانت تلد من الزنا فتعلقه فی عنق زوجها، وأما التی تقرض لحمها بالمقاریض فأنها تعرض نفسها علی الرجال، وأما التی کانت تحرق وجهها وبدنها وهی تأکل أمعاءها فإنها کانت قوادة، وأما التی کان رأسها رأس خنزیر، وبدنها بدن الحمار فإنها کانت نمامة کذابة، وأما التی کانت علی صورة الکلب، والنار تدخل فی دبرها وتخرج من فیها فإنها کانت قینه نواحة حاسدة، ثم قال علیه السلام: ویل لامرأة أغضبت زوجها، وطوبی لامرأة رضی عنها زوجها)(1).

16 - قالت علیها السلام: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من تختم بالعقیق لم یزل یری خیراً(2).

1- (1) البحار: ج 8، ص 309-310).

2- (2) (أمالی الطوسی: ج 1، ص 318).

17 – عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أنها قالت: ما يصنع الصائم بصيام إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه(1).

18 – الحكم بن أبى نعيم قال: سمعت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحدث عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أعتق رقبة مؤمنة كان له بكل عضو منها فكاك عضو منه من النار(2).

19 – حدثنا أحمد بن يحيى الصوفى، عن عبد الرحمن بن دبيس الملائى، عن بشير بن زياد الجزرى، عن عبد الله بن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى قالت: قال النبى صلى الله عليه وآله: إذا مرض العبد أوحى الله إلى ملائكته أن ارفعوا عن عبدى القلم ما دام فى وثاقى، فإنى أنا حبسته، حتى أقبضه أو أخلى سبيله. قال: فذكرت لبعض ولده فقال: كان أبى يقول: أوحى الله إلى ملائكته: اكتبوا لعبدى أجر ما كان يعمل فى صحته.

20 – روى السيد محمد الغمارى الشافعى فى كتابه: عن فاطمة بنت الحسين الرضوى، عن فاطمة بنت محمد الرضوى، عن فاطمة بنت إبراهيم الرضوى، عن فاطمة بنت الحسن الرضوى، عن فاطمة بنت محمد الموسوى، عن فاطمة بنت عبد الله العلوى، عن فاطمة بنت الحسن الحسينى، عن فاطمة

1- (1) (مستدرک الوسائل: ج 1، ص 565).
2- (2) (أمالى الطوسى، ج 2، ص 4).

بنت أبی هاشم الحسینی، عن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن موسی المبرقع، عن فاطمة بنت أحمد بن موسی المبرقع، عن فاطمة بنت موسی المبرقع، عن فاطمة بنت الإمام أبی الحسن الرضا علیه السلام، عن فاطمة بنت موسی بن جعفر علیهما السلام، عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمد علیهما السلام، عن فاطمة بنت الباقر محمد بن علی علیهما السلام، عن فاطمة بنت السجاد علی بن الحسین زین العابدین علیهما السلام، عن فاطمة بنت أبی عبد الله الحسین علیه السلام، عن زینب بنت أمیر المؤمنین علیه السلام، عن فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وآله، قالت: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: (ألا من مات علی حب آل محمد مات شهیداً).

21 - عن أبی الطفیل، عن أبی ذر رضی الله عنه، قال: سمعت فاطمة علیها السلام تقول: سألت أبی علیه السلام عن قول الله تبارک وتعالی «وَ عَلَى الْأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ» قال: هم الأئمة بعدی: علی وسبطای وتسعة من صلب الحسین، هم رجال الأعراف، لا یدخل الجنة إلا من یعرفهم ویعرفونه، ولا یدخل النار إلا من أنکرهم وینکرونه، لا یعرف الله إلا بسبیل معرفتهم.

وبعض من روی عنها علیها السلام:

1 - ابن أبی ملیکة.

2 - أبو أیوب الأنصاری.

3 - أبو سعید الخدری.

4 – أبو هريرة.

5 – أسماء بنت عميس.

6 – ام كلثوم.

7 – بشير بن زيد.

8 – جابر بن عبدالله الأنصارى.

9 – الحسن بن على عليه السلام

10 – الحسين بن على عليه السلام

11 – الحكم بن أبى نعيم.

12 – ربعى بن خراش.

13 – زينب بنت أبى رافع

14 – زينب بنت على عليهما السلام

15 – سلمان الفارسى المحمدى.

16 – سهل بن سعد الأنصارى.

17 – شبيب بن أبى رافع.

18 – العباس بن عبد المطلب.

19 – عبدالله بن الحسن.

20 – عبدالله بن العباس.

21 – عبدالله بن مسعود.

22 – على بن أبى طالب عليه السلام

23 – على بن الحسين عليهما السلام

24 – عوانة بن الحكم.

25 – فاطمة بنت الحسين عليه السلام

26 – القاسم بن أبى سعيد الخدرى.

27 – هارون بن خارجة.

28 – هشام بن محمد.

29 – يزيد بن عبد الملك(1).

وكثرة عدد الرواة دليل واضح على انها لم تكن بمنأى عن الحياة الاجتماعية بل كانت حاضرة بين الناس يسمعون منها ويسالونها ويبحثون عن جواب لاسئلتهم بين الاحاديث الشريفة.

وقد ازدهرت حركة الرواية النسائية بفضل الزهراء عليها السلام فنشأ جيل من المحدثات امثال اسماء بنت يزيد الانصارية والتى كانت معها حينما القت خطبتها فى المسجد وام سلمة رضى الله عنها اضافة الى جملة الرواة الذين ذكرناهم.

1- (1) مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام) للشيخ عزيز الله العطاردى: 590-602. عن كتاب الهمدانى بهجة قلب المصطفى الفصل التاسع عشر).

ب - تعليم النساء المسلمات

واكبت الدعوة الاسلامية اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعملية التعليم والذى بدأ من خلال تعليم اسرى بدر لعشرة من المسلمين مقابل اطلاق سراحهم، ولم تكن المرأة مستثناة عن هذه القاعدة فقد اوصى الرسول الشفاء: (ألا تُعلّمين هذه - يريد حفصة - رقية النملة كما علمتها الكتابة). [سنن أبى داوود]. من عظمة فعل الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان أمّيّاً وأمر بتعليم زوجته المسنة حفصة الكتابة!.

ويعتبر تعليم النساء احد اهم عوامل التنمية فى المجتمع وهو يساهم فى تحسين صورة المرأة عن ذاتها وبلورة مواهبها اضافة الى انه احد مؤشرات التقدم فى المجتمع. وبما ان للمرأة ادوارا متعددة فهى حاضنة الاجيال ومعلمتهم فان التعليم السليم يساهم فى تطوير المرأة من خلال التسلح بالفكر الواعى الذى يقضى على الخرافة والجهل اضافة الى انه يشكل اهم احد عناصر القوة فى شخصية المرأة ولهذا حرص الاسلام على تعليم النساء وحثهن على طلب العلم فقد خصص الرسول يوما خاصا لهن لطلب العلم منه شخصيا كما جعل صلى الله عليه وآله وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة..

وحصول المرأة على التعليم هو أيضاً عامل مهم فى ما يتعلق بمستويات التغذية وصحة الطفل. فثمة دراسات من أفريقيا تبيّن أن أطفال الأم التى أنفقت خمس سنوات فى التعليم الابتدائى تزيد بنسبة قدرها 40 فى المائة

احتمالات أن يعيشوا إلى ما بعد سن الخامسة.

مضافا الى ذلک فان التعليم يساهم فى تطوير المجتمع من خلال الثقافة الجديدة، وبالعكس فأن الامية تساهم فى اعادة وانتاج الثقافة التقليدية التى كانت سيماء المجتمع الجاهلى خاصة فيما يتعلق بدور المرأة وحقوقها وواجباتها الامر الذى قد يتعارض تماما مع ثقافة الاسلام.

هذا وتُصنفُ كثير من الدول الاسلامية – للأسف – على رأس قائمة الدول الأكثر أميةً!!، وذلک لأسباب عديدة من أهمها أن الأسرة المسلمة طيلة أربعة قرون من الانحطاط أعطت الأولوية لتعليم الرجل، وهمّشت تدريس النساء، وحصرت دورهن فى خدمة الرجل.

وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استوصوا بالنساء خيرا. له مدلولات عدة منها علموهن ما ينفعهن من امور دينهن ودنياهم وكم وجدنا – للاسف – زوجات لعلماء كبار ولكنهن لا يفقهن من الدين شيئا!! وكم رأينا نساءً – وكذلک رجالاً – حاصلات على اعلى الشهادات الجامعية لكنهن اميات فى القرآن ولا يمتلكن حتى قدرة النطق الصحيح للآية مع ان لسان القرآن هو لسانهن!! وهذا الاستيصاء يشمل كل ماينفع المرأة ويخلصها من الشعور بالقهر والهوان والانكسار وهى دعوة انسانية حملها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لنبذ كل اشكال الاستغلال السّيّئ للمراة بل وجعل مقياس التفاضل هو الخيرية للنساء (خيركم خيركم لنسائه).

قال الحسين عليه السّلام: من كفل لنا يتيما قطعته عنّا محنتنا باستتارنا

فواساه من علومنا الّتی سقطت إلیه حتّی أرشده بهداه قال اللّه عزّ وجلّ: یا أیّها العبد الکریم المواسی إنّی أولی بهذا الکرم منک، اجعلوا له یا ملائکتی فی الجنان بعدد کلّ حرف علّمه إیّاه ألف ألف قصر وضمّوا إلیها ما یلیق بها من سائر النعم(1).

وقال علیّ بن الحسین علیهما السّلام: «أوحی اللّه عزّ وجلّ إلی موسی حبّبنی إلی خلقی وحبّب خلقی إلیّ، قال: یا ربّ کیف أفعل؟ قال: ذکّرهم آلائی ونعمائی لیحبّونی فلئن تردّ آبقا عن بابی، أو ضالا عن فنائی أفضل لک من عبادة مائة سنة بصیام نهارها وقیام لیلها، قال موسی علیه السّلام: ومن هذا العبد الآبق منک؟ قال: العاصی المتمرّد، قال: فمن الضالّ عن فنائک؟ قال: الجاهل بإمام زمانه تعرّفه، والغائب منه بعد ما عرفه، الجاهل بشریعة دینه تعرّفه شریعته، وما یعبد به ربّه، ویتوصّل به إلی مرضاته(2).

وقد کانت للزهراء علیها السلام مجالسها الخاصة فی تعلیم النساء، وهی اول مجالس عرفها الاسلام فی تعلیم النساء ای المدارس الاولی لتعلیم النساء فی الاسلام، وکانت تجیب علی اسئلة السائلین رجالا ونساءً، وکانت ترحب بالسائلین وتبدی فرحها بالسؤال رغم مشاغلها مما یجعل السائل یجد الباب متسعا لاسئلته الکثیرة وهذه اشارة الی حلمها وسعة صدرها اضافة الی سعة علومها ویمکن القول ان الزهراء علیها السلام کانت عین رسول الله النافذة

1- (1) (الکاشانی، المحجة البیضاء، ج 1 ص 31).

2- (2) (الکاشانی، المحجة البیضاء، ج 1 ص 31).

فى المجتمع النسوى حيث تبدى النساء اسئلتها فتجد الجواب الشافى وهن لا يتحرجن عن سؤالها.. على هذا تكون هى المبلغة الاولى التى مارست التبليغ فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهى اعظم نموذج للمرأة الداعية والمبلغة.

وكانت نساء الأنصار جريئات فى السؤال عما يتعلق بأحوال النساء وخصائصهن وقد أثنى عليهن رسول الله فى إحدى المرات إذ دعا لهن بالرحمة فقال: (رحم الله نساء الأنصار لا يمنعهن حياؤهن أن يسألن عن أمور دينهن. وفى الحديث:

جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه - وآله - وسلم فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ فَقَالَ اجْتَمِعْنَ فِى يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِى مَكَانِ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه - وآله - وسلم فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّه (رواه البخارى - باب هل يجعل للنساء يوم على حدة فى العلم).

وفيما نقل عن الزهراء عليها السلام:

1 - جاءت امرأة من نساء المسلمين تسأل فاطمة عليها السلام مسائل علمية فاجابتها فاطمة عن سؤالها الاول وظلّت المرأة تسألها حتى بلغت أسئلتها العشرة ثم خجلت من الكثرة فقالت لا أشق عليک يا ابنة رسول الله، فقالت فاطمة: هاتى وسلى عما بدا لک إنى سمعت أبى يقول: ان علماء أمتنا يحشرون فيخلع عليهم من الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم فى

ارشاد عباد الله(1).

وهـذه اشاره الى سـعة الصـدر التى كانت عنـدها مع الناس العاديين كما انها علامـة على ان النساء كن بحاجة الى من يرشدهن الى جادة الحق والصواب ولكن الحيـاء يمنعهن من السؤال والحـال يتغير اذا كان المعلم إمرأة فهنا قـد يرتفع الشـعور بالحرج، كما انهن بحاجـة الى الشعور بانهم لا يثقلون على من يسألونه كى يجمعوا شجاعتهم ويفهموا امر دينهم.

2 – بالإسـناد عن أبى محمد (العسـكرى) عليه السـلام قال: قالت فاطمة عليها السلام – وقد أختصم إليها امرأتان فتنازعتا فى شىء من أمر الـدين، احداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها، فاسـتظهرت على المعاندة، ففرحت فرحاً شديداً فقالت فاطمة عليها السـلام – إن فرح الملائكـة بإسـتظهارک عليهـا أشـد من فرحـک، وإن حزن الشـيطان ومردته بحزنها أشـد من حزنها، وإن الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسـكينة الأسـيرة من الجنان ألف ألف ضـعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنة فى كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معانداً مثل ألف ألف ما كان معداً له من الجنان(2).

3 – لـم تقتصـر توجيهاتها وتربيتها صلوات الله وسلامه عليها على النساء بل كانت سلام الله عليها يأتى إليها الرجال بقصد الاستفادة.. فقد جاء رجل

1– (1) (بحار الأنوار 3/3:2).

2– (2) (البحار: ج 2، ص 8).

إلى فاطمة بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترک رسول الله عندک شـيئاً تطرفينيه، فقالت: «يا جارية، هاتى تلک الحريرة» فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «ويحک اطلبيها، فانها تعدل عندى حسـناً وحسيناً» فطلبتها فإذا هى قد قمّتها فى قمامتها، فـإذا فيها: «قال محمـد النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جـاره. ومن كـان يؤمن بـالله واليوم الآـخر فليقـل خيراً أو يسـكت. إنّ الله يحبّ الخيّر الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضـنين السَّئآل الملحف. إنّ الحياء من الإيمان، والايمان فى الجنة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء فى النار(1).

4 - وقال رجل لامرأته: اذهبى إلى فاطمة بنت رسول الله صـلى الله عليه وآله فاسأليها عنى أنى من شـيعتكم أم ليس من شيعتكم؟ فسألتها فقالت: قولى له: إن كنت تعمل بما أمرناک، وتنتهى عما زجرناک عنه فأنت من شـيعتنا وإلا فلا. فرجعت فأخبرته، فقال: يا ويلى ومن ينفک من الـذنوب والخطايـا؟ فأنا إذا خالـدٌ فى النار، فإن من ليس من شـيعتهم فهو خالـد فى النار. فرجعت المرأة فقالت لفاطمـة ما قال زوجها، فقالت فاطمة: قولى له:

ليس هكـذا، شـيعتنا من خيار أهل الجنة، وكل محبينا وموالى أوليائنا ومعادى أعدائنا والمسـلم بقلبه ولسانه لنا، ليسوا من شـيعتنا إذا خالفوا أوامرنا ونواهينا فى سائر الموبقات، وهم مع ذلک فى الجنة، ولكن بعدما يطهرون من

1- (1) (المعجم الكبير 1024/413:22. ودلائل الإمامة: 1/65).

ذنوبهم بالبلايا والرزايا أو فى عرصات القيامة بأنواع شدائدها أو فى الطبق الأعلى من جهنم بعذابها إلى أن نستنقذهم بحبنا منها وننقلهم إلى حضرتنا(1).

يقول السيد العاملى فى كتابه مأساة الزهراء:

وأصبح بيتها موئلا للداخلات والخارجات وكان "..يغشاها نساء المدينة، وجيران بيتها" .وصار الناس يقصدونها لتطرفهم بما عندها من العلم والمعرفة وكان الناس يترددون عليها لطلب المعرفة أيضا).

هذا السعى للتعليم والتعلم لو اردنا ان نقايسه باوضاعنا لوجدنا المكيال طافحا، فاليوم تبلغ معدلات الامية فى المغرب 69% وفى سوريا 44% وفى مصر 61% مع كل التقدم التكنولوجى والمناداة بحقوق المرأة!!، اما المرأة المتعلمة فقد اكتفت بالتعليم الذى يؤهلها للحصول على وظيفة واهملت كتاب الله والفقه والذى هو اساس الحياة بل لتجدنها بعيدة عن الاسلام ومعارفه فهناک أمية كتابية وأميّة دينية وأميّة تربوية وسياسية ومارتفاع معدلات الطلاق والعنوسة والخلع الا احد مؤشرات تدنى الثقافة الزوجية.

يقول مورو برجر، وهو يهودى أمريكى معاصر فى كتابه: "العالم العربى اليوم":"إن المرأة المسلمة المتعلمة هى أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين، وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيدا عن الإسلام(2)!

وفى صفحتى 88 و 89 جاء تقرير من أعمال وقرارات مؤتمر" لكنو،

1- (1) (البحار: ج 68، ص 155).

2- (2) (جاهلية القرن العشرين ص (333-332)

.LAKNO

التنصيرى الذى عقد سنة 1911 أنه وضع فى برنامجه عدة أمور منها استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين التعليم النسائى (نفس المصدر) فهل انتبه المسلمون؟ وياترى هل اعددنا الخطط كى نقضى على الدمار القادم والموجود؟.

ج - تعليم خادمتها فضة

اشارة

كانت فضة تلميذة للزهراء سلام الله عليها فضلاً عن قيامها بالخدمة المنزلية، فقد وهبها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه الجارية كى تستعين بها فى امور المنزل، وذلک بعد ان تحسن وضع الامة بسبب الغنائم بعد فتح خيبر، ولكن الملاحظ ان بيوت المعصومين عليهم السلام لم تخلُ من الخدم - ونفس الحالة موجودة الان عند بعض علمائنا الكبار - فهم يستعينون بالخدم ليس فقط من اجل امور المنزل بل من اجل تعليمهم أو اسناد بعض المهام الدعوتية أو الاسلامية اليهم - والتى قد لا يستطيعها العالم نفسه - ولا ننسى ان وجود هؤلاء الخدم فى بيوت مقدسة كهذه سيساهم فى تربيتهم على الفضائل وزيادة عدد الموالين للعقيدة فقد صنعت فاطمة عليها السلام من فضة رمزاً للمرأة المؤمنة الصالحة التى لاتتكلم إلا بالقرآن وقصتها يوم انقطعت عن القافلة فى ذهابها لحج بيت الله الحرام معروفة حيث التقت بشخص كلما سألها بسؤال عن أحوالها أجابته بآية من القرآن الكريم حتى الحقها بأولادها فى القافلة فقالوا هذه أمنا فضة جارية الزهراء ما تكلمت منذ

ص:668

عشرين سنة إلا بالقرآن(1).

روى الخوارزمى بالاسناد عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه على بن الحسين عليه السلام أنّه ذكر تزويج فاطمة عليها السلام ثم قال: «إنّ فاطمة عليها السلام سألت من رسول الله خادماً - إلى أن قال: - ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساحل البحر، فأصاب سبياً فقسمه، فأمسک امرأتين إحداهما شابة، والأُخرى قد دخلت فى السنّ ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة عليها السلام وأخذ بيد المرأة فوضعها فى يد فاطمة عليها السلام وقال: يا فاطمة، هذه لک ولا تضربيها، فإنّى رأيتها تصلى، وإن جبرئيل نهانى أن أضرب المصلين، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصيها بها، فلمّا رأت فاطمة عليها السلام ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت: يا رسول الله، علىّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالبكاء وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم)»(2).

وروى الطبرى والراوندى بالاسناد عن سلمان رضى الله عنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، والحسين فى ناحية الدار يبكى من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاک وهذه فضّة؟

1- (1) (مناقب آل أبى طالب لابن شهر اشوب ج 3 ص 43).

2- (2) (مقتل الحسين عليه السلام | الخوارزمى 1:69).

فقالت: «أوصانی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أن تکون الخدمة لها یوماً، فکان أمس یوم خدمتها..»(1).

وفی الإصابة: روی عن الإمام الصادق عن آبائه، عن علی (علیهم السلام) أنّه قال: (إنّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) أخدم فاطمة ابنته (علیها السلام) جاریة اسمها فِضّة النوبیّة. والنوبیة نسبة الی البلاد التی کانت تسکنها حیث عرفت هذه البلاد بارتفاع درجات الحرارة وکانت تشاطر الزهراء الخدمة، فعلّمها رسول الله (صلی الله علیه وآله) دعاءً تدعو به. فقالت لها فاطمة: أتعجنین أو تخبزین؟ فقالت: بل أعجن یا سیّدتی واحتطب. فذهبت واحتطبت وبیدها حزمة، فأرادت حملها فعجزت، فدعت بالدعاء الذی علّمَها (صلی الله علیه وآله). وکان الدعاء هو: (یَا واحدُ لَیس کَمِثلِهِ أَحَد، تُمیتُ کُلَّ أحدٍ وأنتَ علی عَرشِکَ وَاحِد لا تَأخُذهُ سِنَةٌ وَلا نَوم). فجاء أعرابی فحمل الحزمة إلی باب فاطمة الزهراء (علیها السلام).

واما عن محبتها لآل البیت علیهم السلام فقد روی عن ورقة بن عبد الله الأزدی قال: خرجتُ حاجّاً إلی بیت الله الحرام، راجیاً لثواب الله ربِّ العالمین). فبینما أنا أطوف وإذا أنا بجاریة سمراء ملیحة الوجه، عذبة الکلام، وهی تنادی بفصاحة منطقها وتقول: ربِّ البیت الحرام، والحفظة الکرام، وزمزم والمقام، والمشاعر العِظام، وربِّ محمد (صلی الله علیه وآله) خیر الأنام، البررة الکرام، أن تحشرنی مع ساداتی الطاهرین، وأبنائِهم الغرِّ المحجلین المیامین.

1- (1) (دلائل الإمامة: 140|48. والخرائج والجرائح 6:2|530. وبحار الأنوار 28|43:33).

ثم قالت: ألا فاشـهدوا يا جماعـة الحُجّاج والمعتمرين، أنّ موالیَ خيرة الأخيار، وصـفوة الأبرار، الـذين عَلا قـدرهم على الأقـدار، وارتفع ذكرهم فى سائر الأمصار، المرتـدين بالفخار. قال ورقة: فقلتُ: يا جارية، إنّى لأظنّک من موالى أهل البيت (عليهم السـلام)؟ فقالت: أجل. فقلت لها: ومَن أنتِ من مواليهم؟

قالت: أنا فِضّة، أَمَةُ فاطمة الزهراء (عليها السلام) بنت محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله).

فقلت لها: مرحباً بک، وأهلاً وسـهلاً، فلقـد كنتُ مشـتاقاً إلى كلامکِ ومنطقکِ، فأريدُ منکِ الساعة أن تجيبنى عن مسألة أسألک. فإذا أنت فرغتِ من الطواف قفى لى عند سوق الطعام حتى آتيک، وأنت مثابة مأجورة.

فافترقنـا فى الطواف، فلمّـا فرغتُ من الطواف وأردتُ الرجوع إلى منزلى جعلتُ طريقى على سوق الطعـام، وإذا أنا بها جالسـة فى معزل عن الناس. فأقبلتُ عليها واعتزلتُ بها، وأهـديتُ إليها هديـة، ولـم أعتقـد أنّها صدقـة ثم قلت لها: يا فِضّـة، أخبرينى عن مولاتک فاطمـة الزهراء (عليها السلام)، وما الذى رأيتِ منها عند وفاتها (عليها السلام) بعد موت أبيها محمد (صلى الله عليه وآله)؟ قال ورقة: فلمّا سمعتْ كلامى تغرغرت عيناها بالدموع، ثم انتحبت باكية، قالت: يا ورقة هيّجت علىَ حزناً ساكناً، وأشجاناً فى فؤادى كانت كامنة.

وقال عبد الله بن المبارک: خرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر

نبیه محمدٍ علیه وعلی آله الصلاة والسلام.

فبینما أنا فی بعض الطریق إذ أنا بسَوَادٍ، فتمَیَّزْتُ ذاک فإذا هی عجوزعلیها درع من صوف.

فقلت لها: أین تریدین؟

قالت:«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی»1 .

فقلت لها: أنت منذ کم فی هذا الموضع؟

قالت:«ثَلاثَ لَیالٍ سَوِیًّا»2 .

فقلت: ما أری معک طعامًا تأکلین؟

قالت:«هُوَ یُطْعِمُنِی وَ یَسْقِینِ»3 .

فقلت لها: إن معی طعامًا، فهل لک فی الأکل؟

قالت:«ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّیامَ إِلَی اللَّیْلِ»4 .

فقلت: لیس هذا شهر رمضان.

فقالت:«وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَیْراً فَإِنَّ اللّهَ شاکِرٌ عَلِیمٌ»5 .

فقلت: قد أبيحَ لنا الإفطار فى السفر.

فقالت:«وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»1 .

فقلت: لم لا تكلمينني مثلما أكلمک؟

قالت:«ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»2 .

فقلت: فمن أى الناس أنتِ؟

قالت:«وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِکَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً»3 .

فقلت: قد أخطأتُ فاجعلينى فى حِلٍ.

قالت:«لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ»4 .

فقلت: فهل لکِ أن أحملک على ناقتى هذه فتدرکى القافلة؟

فقالت:«وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ»5 .

فأنختُ ناقتى..

فقالت:«قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ»6 .

فغضضتُ بصرى عنها وقلت لها اركبى

فلما أرادت أن تركب نفرَت الناقة فمزقت ثيابها..

فقالت:«وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ»1 .

فقلت لها: اصبرى حتى أَعقِلها..

فقالت:«فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ»2 .

فعقلتُ الناقة..

وقلت لها: اركبى.

فلما ركبت قالت:«سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) وَ إِنّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ»3 .

فأخذتُ بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصيح..

فقالت:«وَ اقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ»4 .

فجعلتُ أمشى رويدًا رويدًا وأترنم بالشعر

فقالت:«فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ»5 .

فقلت لها: لقد أوتيتِ خيرًا كثيرا

فقالت:«وَ ما يَذَّكَّرُ إِلاّ أُولُوا الْأَلْبابِ»6 .

فلما مشيتُ بها قليلاً..

قلتُ: ألكِ زوج؟

قالت:«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ»1 .

فسكتُّ ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة

فقلت لها: هذه القافلة، فمن لک فيها؟

فقالت:«اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا»2 .

فعلمتُ أن لها أولادًا..

فقلت: وما شأنهم فی الحج؟

قالت:«وَ عَلاماتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»3 .

فعلمتُ أنهم أدلاء الركب.

فقصدتُ بها القباب والعمارات

فقلت: هذه القباب، فمن لک فيها؟

قالت:«وَ اتَّخَذَ اللّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً»4 .

«وَ كَلَّمَ اللّهُ مُوسى تَكْلِيماً»5 .

ص:675

«یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ»1 .

فناديتُ: يا إبراهيم، يا موسى، يا يحيى.

قالت:«فَابْعَثُوا أَحَدَکُمْ بِوَرِقِکُمْ هذِهِ إِلَی الْمَدِینَةِ فَلْیَنْظُرْ أَیُّها أَزْکی طَعاماً فَلْیَأْتِکُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ»2 .

فمضى أحدهم فاشترى طعامًا فقدمه بين يدىّ..

فقالت:«کُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِیئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِی الْأَیّامِ الْخالِیَةِ»3 .

فقلتُ: الآن طعامكم علىّ حرام حتى تخبرونى بأمرها.

فقالوا: هذه أمّنا فضة منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن مخافة أن تزلَّ فيسخط عليها الرحمن، فسبحان القادر على ما يشاء.

فقلتُ:«ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ»4 .

وقال أبوالقاسم القسرى: انقطعتُ فى البادية عن القافلة، فوجدتُ امرأة فقلتُ مَن أنت؟

فقالت:«وَ قُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ»5 ، فسلمتُ عليها وقلت: ما تصنعين ها هنا؟

قالت:«مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ»1 .

فقلت: أمن الجنّ أنتِ أم من الإنس؟

قالت:«يا بَنِی آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ»2 .

فقلت: من أين أقبلتِ؟

قالت:«يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ»3 .

فقلت: أين تقصدين؟

قالت:«وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ»4 .

فقلت: متى انقطعتِ؟

قالت:«اَلَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِی سِتَّةِ أَيّامٍ»5 .

فقلت: أتشتهين طعاماً؟

فقالت:«وَ ما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لا يَأْكُلُونَ الطَّعامَ»6 .

فأطعمتها، ثم قلت: هرولی وتعجّلی.

فقالت:«لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها»7 .

ص:677

فقلت: أردفِكِ.

فقالت:«لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللّهُ لَفَسَدَتا»1 .

نزلت فأركبتها فقالت:«سُبْحانَ الَّذِی سَخَّرَ لَنا هذا»2 .

فلمّا أدركنا القافلة قلت لها: ألكِ أحد فيها؟

قالت:«يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناکَ خَلِيفَةً فِی الْأَرْضِ»3 ،«وَ ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ»4 ،«يا يَحْيی خُذِ الْكِتابَ»5 ،«يا مُوسی إِنَّهُ أَنَا اللّهُ»6 .

فصحتُ بهذا الاسماء، فإذا بأربعة شباب متوجّهين نحوها، فقلت: مَن هؤلاء منک؟

قالت:«اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا»7 .

فلمّا أتوها قالت:«يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِیُّ الْأَمِينُ»8 .

فكافؤونی بأشياء، فقالت:«وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ»9 فزادوا لی.

فسألتهم عنها، فقالوا: هذه امّنا فضّة جارية الزهراء، ما تكلّمت منذ عشرين سنة إلاّ بالقرآن(1).

الخادمة فى عصرنا

اهتم الاسلام بأمر الخدم ووضع عدة توصيات فى التعامل الحسن معهم والقائم على الرحمة بهم وعدم هضم حقوقهم، فهذا أنس بن مالک يصف معاملة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: (فخدمته فى الحضر والسفر، فوالله ما قال لى لشىء صنعته: لم صنعت هذا هكذا، ولا لشىء لم أصنعه: لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا؟) ولم يهمل الاسلام امر تهذيبهم وتعليمهم الشريعة ولو بالقدر الميسور مع اهمية الحفاظ على مكانتهم ووضع ضوابط معينة لاختيار الاكفأ منهم ومن يتمتع بالخلق الحسن والامانة وغير ذلک.

ونرى الزهراء عليها السلام توكل امر الخدمة المنزلية الى خادمتها فضة وتحتفظ هى بالامور الاخرى والتى هى اكبر اهمية واعظم اثراً كتربيتها لاولادها وادارتها لشؤون المنزل الامر الذى يساعد على تحديد الوظائف المطلوبة للكل، كما إنّ هذا التقسيم فى المهام يتيح لربة البيت مزيدا من الاشراف على الامور المهمة.

ولا ـ تعنى الرحمة بهم تركهم يفعلون مايحلو لهم بل لابد من متابعتهم وتوجيههم وتعريفهم باخطائهم وربما معاقبتهم اذا ما ارتكبو الاخطاء الشنيعة، كما ولابد من تهذيبهم وتربيتهم على ترک الفحش من القول

1- (1) (الدر المنثور فى طبقات ربّات الخدور: 439، تراجم أعلام النساء 363:2، الإصابة 376:4).

والسلوک وعلی کتم الاسرار واداء الامانة واحترام من فی البیت، کما ان جنس الخادم وعمره وکذلک موطنه الاصلی ودینه وثقافته کلها عوامل مؤثرة فی علاقته بافراد الاسرة واصلاحها أو افسادها – والعیاذ بالله –.

وکان اهل البیت علیهم السلام یرون فی وجود الخدم فرصة لتعلیمهم وتأدیبهم بأدب الاسلام وهو ما انتج لنا صورة فضة خادمة الزهراء.. المرأة المتکلمة بالقرآن.

هذا من جانب ومن جانب آخر نری ان امر حصول الزهراء علیها السلام علی الخادم قد تأخر لحین العثور علی الخادم المناسب، فعامل الانتخاب له اثر کبیر علی اوضاع الاسرة عموما، فعادة مایعیش الخدم فی البیوت لمدة غیر قصیرة فهم یطلعون علی الاسرار، کما ان بینهم وبین اعضاء الاسرة جمیعا علاقات مستمرة طویلة الامد – بحکم بقائهم – وهی علاقات مؤثرة وذات آثار علی الجمیع بلا استثناء، ولهذا نجد فی الدراسات الحدیثة اشارات وارقام خطیرة علی تأثیر الخادمات علی لغة الاولاد خاصة اذا لم تکن تحمل نفس لغة الاسرة وایضاً تأثیرها علی البناء القیمی خاصة للاولاد الصغار الذین یرتبطون بها مما ادی الی خلخلة هذا البناء اضافة الی ضعف ظاهرة الانتماء للوالدین أو الوطن، وعموما فالخادمة الاجنبیة تترک آثارها علی اعضاء الاسرة بالکامل وحتی لو ساهمت فی اعداد الطعام فقط للاسرة وکانت من دین آخر فان قدسیة الغذاء تتعرض للتمزق.

ومما یؤسف له ان نسبة الخادمات المسلمات لا تزید عن 8% من مجموع

ص:680

الخادمات المستقدمات فى منطقة دول الخليج!! والباقى غير مسلمات ولكنهن يُستخدمن فى بيوت مسلمة!!.

وفى الكويت مثلا هناك مئتا الف خادم لمليونى نسمة!

كما ان 77% من الاسر فى السعودية لديها خادمة أو اكثر

وقد أظهرت نتائج الدراسات الميدانية والوثائقية أن قرابة 25% من أطفال الأسر التجريبية فى المرحلة الأولى، يقلدون المربيات فى اللهجة، وأن أكثر من 40% منهم تشوب لغتهم لكنة أجنبية، ويتعرضون لمضايقات من أقرانهم بسبب ذلك.

مضافا الى كل ذلك ان اسـلوب التعامل مع الخادم يؤثر على الابناء انفسـهم فالتعامل الرحيم يساهم فى الاعداد المستقبلى لتعامل رحيم، ولكن الاسـراف فى العطف قد يؤدى الى ظاهرة اسـتغلال الخدم لاعضاء الاسرة – اى العكس كما ان نظرات التحقير والاهانة وابتزاز انسانية الخدم تجعل من اعضاء الاسرة صورا عاكسة لهذا السلوك حتى مع غير الخدم مستقبلا.

ان الزهراء عليها السلام كانت معنية بامر خادمتها فبدأت معها من نقطة الصفر حتى اصبحت نموذجا يحتذى به اما نحن:

1 – فهل حقاً نبحث عن الخادمة المسلمة المؤمنة التى تشيع قيم الاسلام؟

2 – وكم من الاسر تحرص على تعليم الخادمة وتوجيهها الوجهة الصحيحة المتقومة مع الدين والاخلاق؟

ص:681

3 – وماهو السبب الذى يدعونا للمجىء بالخادمة؟ هل هى تربية الاولاد ام للمساعدة فى شؤون المنزل؟ فاذا كان لتربية الاولاد فالى اى مدى نطمئن اليها حينما نسلم لها فلذات اكبادنا؟ وماهو دور الام هنا ومالذى ستفعله حينما يربى الاطفال على ثقافة معاكسة بل ربما معادية لثقافتنا؟.

د – تعليمها عليها السلام لأولادها

ومن كلامها عليها السلام فى تعليمها ولدها الحسين عليه السلام دعاءً نقرأ:

– عن الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام قال: ضمنى والدى عليه السلام إلى صدره يوم قتل والدماء تغلى وهو يقول: يا بنى احفظ عنى دعاء علمتنيه فاطمة عليها السلام وعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلمه جبرائيل عليه السلام فى الحاجة والمهم والغم والنازلة إذا نزلت والأمر العظيم الفادح. قال: ادع بحق يس والقرآن الحكيم، وبحق طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما فى الضمير، يا منفس عن المكروبين، يا مفرج عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج إلى التفسير، صل على محمد وآل محمد، وافعل بى كذا وكذا.

ص:682

المرأة المثقفة المعاصرة

رغم ان عصرنا الحالى هو عصر التطور التكنولوجى وعصرالقرية الواحدة الذى سهّل انتقال الكم الهائل من المعلومات فى اقل وقت إلاّ اننا نرى ان هنـاک ثقافـة هامشـية للمرأة تقتصـرعلى الموضـة والزينـة والصورة!!، وهى تكاد تسـتأثر بكل اهتمامات المرأة!، اما تطهير القلب أو الوصول الى حالة التوازن بين الفكر والروح وتنمية الفضائل فهو امر بات اما مفقوداً أو مهملاً. فمازالت هناک مسافات بعيدة بين المتعلمات وبين الثقافـة الاسـلامية!، وفى كثير من الاحيان فأننا نرى متعلمات بلا وعى أو ثقافـة!! رغم انهن يمتلكن من العلم الذى يتيح لهن الحصول على افضـل الوظـائف لكنهن يفتقـدن للعلم الـذى يعلمهن كيـف يطـورن انفسـهن؟ وكيف يتعـاملن مع الاـخرين وكيف يجـدن الحلول لمشكلاتهن؟ وكيف يقدمن نماذج معاصرة للمرأة المسلمة بعد افول نجمها دهورا طويلة فى عصور الظلام والتخلفّ؟.

وكان لظهور النفظ والتغييرت التى طرأت على ثقافة الاسـتهلاک اثره فى ترسـيخ المفاهيم السلبية کحب الكسل والراحة واللجوء الى الثقافة التبريرية أو

التغريبيـة. فنرى الأمية الأبجدية والثقافية والتكنولوجية والسياسـية والدينية بين النساء!! وهذا ان اشار الى شـيء فانما يشـير الى ان هناك فرقا كبيرا بين المتعلمـة التى تجيـد القراءة والكتابـة وبين المرأة المثقفة التى هى اساس النهضة والتطور فالمثقفة (هى التى تعلمت وتسامت فى إيمانها وشـعورها، وامتد خيالها وتفكيرها إلى آفاق الوجود.. هى التى تنمى معرفتها وتغريها بمنتوج العقول وفيض القرائح، وتستمد من كل ثقافة مسـموعة أو منظورة قوة تستعين بها على الحياة هى التى تتبع كل جديد سديد، ولا تبخل بثقافتها على جهود تبذلها لإسعاف الإنسانية البائسة، هى التى تسمعها فلا تسأم حديثها وتود لو أنها لا توجز..).

واذا كانت المرأة المسـلمة هى من اكثر الشرائح العالمية والاجتماعية تأثرا بالافكار الموجهة فى اسفين الغزو الثقافى الموجه ضدها من جهة ومن جهـة اخرى فهى الاكثر تضـررا من التفسـيرات الخاطئـة للدين والتى تميل مابين التطرف والقشـرية مما يوحى بوجود مشـكلة حقيقية للمرأة التى تعد الاجيال وتنقل القيم وتصون التراث، ومن ذلک كله ندرک حاجة المجتمع الى المرأة المسـلمة المثقفة التى تتسلح بسلاح العلم والمعرفة والوعى الدينى والاجتماعى والسياسـى فتعيد انتاج الادوار الزهراوية بروح من العصـرنة متوافقة مع المنهج القويم، وتمارس دورها التبليغى فى اطار الحجاب والصون والتعبد.

وقد تكون مسألة تثقيف المرأة من الامور التى يجب ان تهتم بها النخب النسوية الواعية فى كل مجتمع، ولكن هذا لايكفى اذ تكون الحركة هنا فى اتجاه

واحد.. فلابد ان يتم تحريک المرأة المسـلمة نفسها لاستثمار طاقاتها وقدراتها والانطلاق برؤية ثاقبة للحياة والدين فالحركة اذا لابد ان تكون من اتجاهين من المرأة الى الثقافة ومن المجتمع الذى يريد نشـر الوعى الثقافى الى المرأة وبالعكس وهذه معناه اصـلاح رؤية المرأة لنفسها واهدافها واعادة الثقة اليها بأنها قادرة على اعادة انتاج التاريخ بروح التقدم والتطور.. وبما ان المرأة المسـلمة قد شَقّتْ طريقها فى واقع الحياة فهناک الطبيبـة والمحاميـة والاعلاميـة والى غير ذلک فيبقى ان ماتحتاج اليه من الثقافة المطلوبة امر يمكن الوصول اليه بيسـر للتخلص من تراكمات التخلف والضبابية.

من كل الذى قلناه عن الدور الثقافى نصل الى نقطة مهمة هى ان الزهراء عليها السـلام كان لها دور كبير فى التنمية الثقافية التى حصلت فى صـدر الاسـلام الاـول من خلالـ مشاركتهـا فى تقـديم النموذج الراقى للمرأة المسـلمة المثقفـة اضافـة الى دورهـا الكبير فى زيـادة عـدد المتعلمات وراويات الحديث والمتفقهات فى الدين.

ص:685

الدور الاقتصادى

اشارة

ص:687

الـدور الاقتصـادى يمثـل ما يقوم به الفرد من نشاطات لإشـباع حاجاته وحاجات الاسـرة الاقتصاديـة، وهو بهـذا العمل يساهم فى التنمية الاقتصادية للمجتمع وفى دفع عجلة التطور والتقدم وتخليصه من الفقر الذى يعتبر اكبر عقبة فى طريق التنمية والتطور.

واذا اردنا ان نشير الى الدور الاقتصادى للزهراء عليها السلام فاننا يمكن ان نأخذ به من عدة جوانب منها:

1 – ماقامت به عليها السلام من اعمال بهدف تأمين المعيشة لاسرتها الكريمة من خلال قيامها عليها السلام بالغزل كما فى الرواية:

وفى روايـة طويلـة مـذكورة فى أسـباب نزول سورة هـل اتى ان عليا عليه السـلام قال مخاطبا اليهودى: هل لک أن تعطينى جزةً من صوف تغزلها لک بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثة أصوع من شعير؟» قال: نعم.

ص:689

فأعطاه الصوف والشعير. فقبلت فاطمة عليها السلام(1).

2 – ماقامت به عليه السلام من تقديم الاعانات للفقراء بهدف تحسين اوضاعهم وتخفيف وط ء الفقر عنهم وهذا نجده من امور اهمها:

ا – الاعانات التى قدمتها للفقراء من باب صدقاتها واحسانها كما فى الروايات السابقة التى عرضناها فى الدور الاجتماعى.

ب – الاعانة التى قدمتها لعموم فقراء الامة من خلال تخصيص ريع فدک والذى قدر بما ذكره الشيخ المجلسى عن كشف المحجة أن وارد فدک كان أربعة وعشرين ألف دينار فى كل سنة، وفى رواية أخرى سبعين ألف دينار ولعل هذا الاختلاف فى واردها حسب اختلاف السنين، فحسب الروايات فهى عليها السلام قد تملكت فدک فى العام السابع للهجرة لكن المستوى الحياتى لها عليها السلام لم يتغير بل بقيت عليها السلام على قناعتها واقتصادها وزهدها، حيث جعلت اموال فدک خالصة لفقراء المسلمين وخاصة لبنى هاشم الذين تحرم عليهم الصدقات، وهى بهذه الثروه الكبيرة كانت قد قدمت الدعم المادى لمشاريع ابيها صلى الله عليه وآله وسلم فى الاعمار الذى حصل فى المدينة من قبيل الاهتمام بالزراعة أو الجند أو غير ذلک. وهذا الدعم المادى يشبه دعم امها خديجة رضى الله عنها للدعوة الاسلامية والذى شكل العمود الفقرى الاقتصادى للدولة الفتية.

– روى الحلبى عنه عليه السلام "أن فاطمة عليها السلام جعلت

1– (1) (إحقاق الحق ا الشهيد التسترى 10:264 عن تفسير الثعلبى).

صدقاتها لبنى هاشم وبنى المطلب(1).

وفى الرواية.. فجمع الناس الى منزلها واخبرهم أن هذا المال لفاطمة. ففرقه فيهم وكان كل سنة كذلک وتأخذ منه قوتها(2)...

ومع الاسف الشديد لم اجد رواية تبين لنا طريقة الانفاق لكى يكون الامر واضحا وانما اكتفى علماؤنا بالقول انها عليها السلام جعلت وارد فدک للفقراء.

وقد بذل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مساعى كثيرة لانتشال المسلمين من الفقر منها المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ومنها الحث - كما هو الحال فى القرآن الكريم - على الاحسان والاعانة ورعاية الفقراء، ومانجده فى الشريعة من فرض الزكاة والخمس والديات والكفارات فما هى الا أمورٌ يراد بها اعانة الطبقة الفقيرة بما يساهم من تخفيف وطأة الفقر فى المجتمع، وما وجد هذا الحال الا لحفظ كرامة الانسان الفقير واجبار الغنى على تذكره ومواساته وارساء العدالة الاجتماعية فى المجتمع بما يحقق للجميع الحياة الكريمة. ولهذا حث الاسلام على الانفاق الطوعى ورغّب فيه (كما فى انفاق الزهراء عليها السلام لمال فدک على الفقراء) كما فى الايات المباركة:

قال تعالى:«وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ

1- (1) (من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج 2، ص 38، ح 1639).
2- (2) (بحارالانوار: ج 29، ص 118. المناقب: ج 1، ص 142).

فَطَلَّ وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»1 .

وقال ايضا:«مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِی سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِی كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَ اللّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (261) اَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِی سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ ما أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»2 .

وقال:«لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ وَ الْمَلائِكَةِ وَ الْكِتابِ وَ النَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السّائِلِينَ وَ فِی الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَى الزَّكاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَ الصّابِرِينَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ، أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»3 .

واوجب الزكاة والكفارات ليتم الاستفادة من الاموال المكدسة عند الاغنياء بل ان التكافل الاجتماعی فی الإسلام ليس معنياً به المسلمون فقط بل يشمل كل بنی الإنسان علی اختلاف مللهم واعتقاداتهم داخل ذلک المجتمع كما قال الله تعالی:«لا يَنْهاكُمُ اللّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِی الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ»4 .

والتكافل فی الإسلام، يعنی التزام القادر من أفراد المجتمع تجاه أفراده

الباقين ماديا ومعنويا بما يمكن ان يخفف من مساحة الفقر فى المجتمع ويساعد على انتشال الفقراء من كثير من الاضطرابات النفسية والاجتماعية والخلقية، حيث ان رعاية الفقراء فى المجتمع والاهتمام بهم يخلصهم من كثير من العقد التى ان ترسخت فانها تدفعهم الى الانحراف، وبهذا يتعزز الشعور لدى الفقير انه ليس شيئا هامشيا أو مهملا بل له حقوقه التى يجب على المجتمع تداركها. اضافة الى ان العمل الخيرى يساهم فى اعادة توزيع الدخل لمصلحة الفقراء والفئات الضعيفة وهو مما يساهم فى زيادة الاستقرار الاقتصادى ويساعد على تلبية الحاجات الاساسية للفئات الفقيرة وهذا الامر يساهم فى تقوية الانتماء الدينى والاجتماعى للمسلمين للدولة الجديدة ويساهم فى تعزيز الامن حيث يساهم الدعم المالى (فى القضاء على الاحقاد والميول العدوانية المعادية للدولة وعلى زيادة المودة والحب للمعينين) مما يعنى زيادة المودة والحب لاهل البيت عليهم السلام وهذا الدعم المالى يساهم فى التخفيف من استغلال الفقراء من قبل الاغنياء ويطوق العامل الربوى لهم.

وقد نشأت فكرة الضمان الاجتماعى فى نهاية الحرب العالمية الثانية، وروعى فى تقريرها أن السلام الاجتماعى لا يمكن أن يتحقق فى حياة الشعوب إذا ترك الفرد يواجه محنه وشدائده بمفرده دون أن يشعر بأن المجتمع من حوله على استعداد لمد يد المعونة إليه وقت ضعفه ومحنته، اما الاسلام فقد سبق العالم فى نظام التكافل الاجتماعى والذى يساهم فى تعزيز الشعور بمسؤولية الفرد تجاه الاخرين وبهذا ينسلخ عن انانيته وفرديته ويعيش الهم العام.

ص:693

والارجح ان الزهراء عليها السلام قد جعلت خراج فدک وقفا لاصلاح امور المسلمين (خاصة فقراء بنى هاشم) وهوبمثابة اعمال خيرية جارية المنافع ولهذا حدث تحسن فى اوضاع المسلمين المعاشية وهو تأديب لنا على آليات الاستثمار الصحيح للاموال بما يقوى الصالح الاسلامى العام وفيما ينفع عموم المسلمين ويغير احوالهم نحو الاحسن.

3 – ويمكن ايضا ادراج آليات الانفاق السليم والذى يبتعد عن التبذير والاسراف والاكتفاء بالحد الادنى الى مستوى الكفاف أو دونه (حسب الظروف) مما يعلمنا صورة عن اهمية الاقتصاد الاسرى وتأثيره على اقتصاد الدولة(1).

1- (1) يعرف تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام 1997 التنمية بأنها عملية زيادة الخيارات المطروحة على الناس ومستوى ما يحققونه من رخاء، وهذه الخيارات ليست نهائية أو ثابتة. وبغض النظر عن التنمية فإن عناصرها الأساسية الثلاثة تشمل القدرة على العيش حياة طويلة وفى صحة جيدة، واكتساب المعرفة، والتمتع بفرص الحصول على الموارد اللازمة لعيش حياة لائقة. ولا تقف التنمية عند هذا الحد، فالناس أيضاً يقدرون جيداً الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وإتاحة الفرص أمامهم للإبداع والإنتاج.وعرّفت الأمم المتحدة تنمية المجتمع بأنها العمليات التى يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمعات ولمساعدتها على الاندماج فى المجتمع والمساهمة فى تقدمه بأقصى قدر مستطاع.

بمجمل القول ان الزهراء عليها السلام ساهمت فى التنمية الاقتصادية

اشارة

ابان صدر الاسـلام، فلقد كانت السـنوات التى اعقبت الهجرة ضـيقة للغاية وكان المسلمون عموما فى ضنک شديد لعل اجلى شواهده هم فقراء الصّفّة الذين كانوا فى المسجد، ولكن هذا الحال لم يستمر طويلا اذ يذهب اكثر المؤرخون الى ان السنة السابعة للهجرة [وهى السنة التى اعطيت فيها فدک للزهراء عليها السـلام] وما بعدها كانت الدولة الفتية قد شـهدت انفراجا للوضع الاقتصادى يعلله البعض بان السبب يعود الى فتح خيبر والصدقات وفرض الجزية (وصارت الاوضاع تؤول الى وضع احسن فى السنوات التالية.. وبدأت المعالجات الاقتصادية التى جـاءت متدرجـة تظهر نتائجها فى تقـديم معادلـة ذات طابع انسانى واجتماعى واقتصادى ترمى الى تحريک المال من جهـة الى جهة اخرى.. وتقلل الفوارق المالية بين فئات الناس وتعمل على تنشيط الاقتصاد وزيادة الانتاج وتكثيره كما فى اقطاع الارض الموات(1)...

1- (1) (الحياة الاقتصادية فى العصور الاسلامية الاولى، د. محمد ضيف الله بطاينة، دار طارق، عمان، الاردن ص 6).

ان الزهراء عليها السلام لم تنفق اموال فدک على حياتها الخاصة ولو كانت كذلک لخلفت ميراثا ضخما من الاموال كما هو الحال عند (الصحابة) الذين تكدست عندهم الثروة مع ماكان عليه المسلمون من فقر شديد!، مما كان سببا فى التفاوت الطبقى بين المسلمين والذى كان على مرحلة خطيرة واشير الى بعض الارقام:

فالزبير بن العوام بنى داره المشهورة بالبصرة، وفيها الأسواق، والتجارات، وبنى دوراً فى الكوفة، ومصر، والإسكندرية، وبلغ ثُمن ماله خمسين ألف دينار، وترک ألف فرس، وألف مملوک، وخططاً بمصر والإسكندرية، والكوفة والبصرة(1).

وقالوا: كان للزبير خمسون مليوناً ومئتا ألف.

وقيل: بل مجموع ماله سبعة وخمسون مليوناً وست مئة ألف(2).

1- (1) (حياة الصحابة ج 2 ص 242 وحلية الأولياء ج 1 ص 90، البداية والنهاية ج 5 ص 345).
2- (2) (حياة الصحابة ج 2 ص 244 والبداية والنهاية ج 7 ص 249).

الدور القيمى

اشارة

ص:697

القيم هى المعتقدات التى يحملها الفرد نحو الأشياء والمعانى وأوجه النشاط المختلفة والتى تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض والصواب والخطأ وهى تتصف بالثبات النسبى.. والقيمة كما رآها د. حامد زهران هى: تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الاشخاص والمعانى واوجه النشاط والقيم هى تعبير عن دوافع الانسان وتمثل الاشياء التى نوجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها وتقترب القيم من المثل والمثل تمثل الحوافز الطويلة الامد أو الغايات التى تسعى لتحقيقها(1) وهى حكم يصدره الإنسان على شىء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التى ارتضاها لنفسه وفق التعاليم الشرعية محددا المرغوب فيها والمرغوب عنه من السلوك.

والقيم هى ايضا الامور المرغوبة والمثل المنشودة فى ثقافة معينة وقد تواكبت البشرية على محبة جملة من الفضائل والقيم كالشجاعة والاباء ومحاربة الظلم والنظافة الى غير ذلك من الامور التى هى مقاييس للتمييز بين ماهو مرغوب وماهو منبوذ.

1- (1) (الزهران، علم النفس الاجتماعى، ص 124)

وقـد تكون هـذه المثل والمقاييس فرديـة خاصة بالفرد نفسه فتمثل قيم الشخصـية التى تهدف الى تطوير الشخصـية وتنمية البناء الذاتى بما يحقق لصـاحبه النجـاح والنمو والتقـدم، امـا المثل الاخرى التى ترتبط بالجماعـة فهى المثل الاجتماعيـة التى تهـدف الى تحسـين الاداء الاجتمـاعى للفرد وايجـاد روابـط سـليمة بينه وبين بـاقى اعضـاء المجتمع. والقيم تشـكل باعثـا على السـلوك والاخلاق و (هى تزرع نحو المسـتقبل الـدائم فهى دائما واعدة الى غد افضل من اليوم وامس، كما ان الحضارة لا تقوم الا على القيم والمثل قبل اى شـىء آخر.. وهى تشـكل الثقافـة، وعن طريقها يبـدو طريق النمو والتقـدم وبقـدر وحدة القيم يكون تماسك المجتمع وبقدر التباين والتفاوت فى القيم يكون تفكك المجتمع(1).

أما القيم الإسـلامية فهى كما عرفها د. على خليل مصـطفى (عبارة عن مجموعة المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسـية عن الكون والحيـاة والإنسـان والإله، كما صورها الإسـلام، تتكون لـدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتيـة المختلفة بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته وتتفق مع امكاناته وتتجسد من خلالها الاهتمامات أو السـلوك العملى بطريقة مباشـرة أو غير مباشرة)(2).

1- (1) (د. اسماعيل عبد الفتاح القيم السياسية فى الاسلام ص 18).

2- (2) [أبو العينين، على خليل مصـطفى، الأخلاق والقيم التربويـة فى الإسـلام موسوعـة نضـرة النعيم فى مكارم أخلاق الرسول الكريم الطبعة الأولى جدة دار الوسيلة للنشر والتوزيع، 1418 ه -، 1998 م، المقدمة ص. 153].

ويعتبر الـدين المصـدر الاساسـى للقيم مضافـا الى الاـعراف والتقاليـد، والقيم الدينيـة تكون جامعـة لكل القيم الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية والاخلاقية لانها تنبع من الاسلام وما اقره من اوامر ونهى عنه من نواهٍ، ولهذا يبدو التفاوت واضحا بين التصنيفات المتعددة للقيم والتى تجعل القيم الدينية جزءاً من القيم وبين الرؤية الاسلامية التى تجعل من الدين هو القيم كلها بما فيها من اخلاق وتشريعات وضوابط ومعايير تحدد وتوجه السـلوك بمعنى كل مايساهم فى بناء الشخصـية الاسـلامية ويجعلها قادرة على اداء دورها الاسـتخلافى على صـعيد الفرد والمجتمع.

وبناءً على المفهوم الدينى للقيم ذكر الباحثون عدداً منها، مثل: قيم الإيمان، والتقوى، والصلاة، والحق، والحرية، والمسؤولية الى غير ذلك.

ولقد تميزت القيم الاسـلامية بانها قيم ربانية المصدر والمنهج والغاية والهدف فهى ليست قيماً دنيوية مقطوعة بل هى متصـلة اتصالا وثيقا بالدار الاخرة التى هى دار البقاء والمجازاة، وهى تسعى الى تحقيق التكامل الانسانى من خلال الرحلة البشرية الى المطلق الكامل فهى من جهـة تحسن العلاقـة مع الخالق وتربى الفرد وتبين له سبيل النجاة، ولانها ربانيـة فلابد ان تكون متوافقة مع الفطرة الانسانية واى انحراف عن الفطرة قـد يقود الى التطرف والغلو، ولانها ربانيـة فلابـد ان تكون واقعيـة تتماشـى مع الحياة الانسانيـة ولابـد ان يكون الفرد نفسه قادراً على تطبيقها اذ ماجعل الله فى الدين من حرج.

ص:701

قال تعالى:«لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها»1 .

وهـدف القيم الاسـلامية هو تربيـة الفرد المسـلم على الفضائـل الانسانيـة وابعـاده عن الرذائل وهى تزوده بالمعايير التى يعرف من خلالها الحسن والقبيـح والجيـد والردىء، والقيم توقظ فى داخله عزما وشوقا وسـعيا مما يؤجج الطاقات الكامنة عنده باعتباره خليفة الله فى ارضـه فلابد ان يسـعى لترشـيد المجتمع البشرى نحو ارادة من استخلفه، ولهذا جاءت التضحيات عظيمة من اجل صيانة القيم أو احيائها أو نشرها فثورة الامـام الحسـين عليه السـلام كـانت من اجل صـيانة القيم الاسـلامية وتفعيل ماتجمـد منها. كما ان القيم تمنـح وتعلم الفرد آليات الاختيار بين عـدة انماط من السـلوك والاختيار الصائب وهو ما توافق مع الـدين والعقيـدة حتى وان كانت هناك مقاومة وهو ما حصل فى واقعة الطف. على هذا تعتبر القيم احد اهم عوامل توجيه السـلوك الانسانى الفردى والاجتماعى وهى تقدم صورة للفرد عن ما ينبغى القيام به أو الابتعاد عنه.

وهناک رأى يقـدمه د. فوزى طايل وهو «يلحظ الباحث أن فقهاء المسـلمين لم يفردوا أبواباً خاصـة بالقيم؛ لأن القيم الإسـلامية هى الـدين ذاته؛ فهى الجامع للعقيـدة والشـريعة والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ولمنهاج الحياة والمبادئ العامـة للشـريعة، وهى العُمُد التى يقام عليها المجتمع الإسلامى؛ فهى ثابتة ثبات مصادرها، وهى معيار الصواب والخطأ، بها يميز المؤمن الخبيث

من الطيب، ويرجع إليها عنـد صـنع القرارات واتخاذها.. وهى التى تحدث الاتصال الذى لا انفصام له بين ما هو دنيوى وما هو أخروى فى كل مناحى الحياة»(1).

وقـد احـدث الاسـلام ثورة قيميـة كبرى ازاح من خلالهـا قيم الجاهليـة العفنـة كمـا حافظ على بعض القيم التى كانت متوافقـة مع الاطر الاسـلامية، وكان مجتمع المدينـة بحـد ذاته مجتمعا قيميا تصاعديا وكان مجتمعا مثاليا فى أبعاده المتعددة، ومن البديهى ان التغيير القيمى يحتـاج الى نماذج تمشـى على الارض لبيان هـذه الانماط الجديـدة وامكان تطبيقها، على ذلک يمكن القول ان اهل البيت عليهم السـلام كلهم ساهموا فى هذا المشـروع الطويل الامد وما دولة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشـريف) الا ثمرة لتطبيق هذه القيم كلها فى الدولة المهدوية. ويمكن القول ان مجموع ماقامت به الزهراء عليها السـلام فى ادوارها المتعددة يمثل القيم الجديدة التى دعا اليها الاسلام فى اطروحته الحضارية.

ولقد اشار جعفر بن ابى طالب فى حواره مع النجاشى الى جملة من القيم التى كانت سائدة فى الجاهلية بقوله:

أيها الملک كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصـنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلک حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه

1- (1) [فوزى محمد طايل: كيف نفكر استراتيجيًّا، مركز الإعلام العربى، القاهرة 1997، ص 30-31.

فـدعانا إلى الله لنوحـده ونعبـده ونخلع ما كنا، نعبـد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصـدق الحديث وأداء الأمانة وصـلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والـدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقـذف المحصـنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشـرك به شـيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنـا مـا حرم علينـا، وأحللنا ما أحل لنا، فعـدا علينا قومنا، فعـذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نُظْلَمَ عندك أيها الملك.

وقد اشارت الى ذلک الزهراء عليها السلام فى خطبتها:

وَكُنْتُمْ عَلى شَـفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فأنْقَـذَكُم منها بنبيّهِ، تعْبَـدُونَ الأصْـنامَ وتَسْتَقْسِـمُونَ بالأزْلام مَذْقَـةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ العَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ، تَشْـرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ القدَّ والوَرَقَ، أذِلَّةً خَاسِئِينَ، تَخَافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأنْقَذَكُمُ اللهُ بِنبيّه صلى الله عليه وآله بَعْـدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ ما مُنِيَ بِبُهَمِ الرجالِ، وَذُؤْبانِ الَعرب، وَمَرَدَةِ أهَلِ الكِتَابِ، كُلَّما أوْقَدُوا نَاراً لِلْحَربِ أطْفَأها اللهُ، أو نَجَمَ قَرْنٌ للضـلالة، أو فَغَرَتْ فَاغِرَةٌ المُشْـرِكِينَ، قَـذَفَ أخَاهُ عليّاً فِي لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتّى يَطَأ ضِـماخَها بِأخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِحدِّهِ، مَكْدُوداً فِي طاعة اللهِ ورسوله،

مُجْتَهِداً فِي أمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ الله، سَيّداً فِي أوْلِياءِ اللهِ، مُشَمِراً نَاصِحاً مُجِداً كَادِحاً.. وَأنْتُمْ فِي بُلَهْنِيَةٍ وَادِعُونَ آمِنُونَ فرِحون، وفى رَفَاهِيَة مِنَ العَيْشِ فكِهُونَ، تأْكُلُون العَفْوَ وتشربُوْنَ الصَفْوَ، تَتَوَكَّفُونَ الأخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النزالِ وَتَفِرونَ مِنَ القِتَالِ!!

مذقة الشارب [أى شربته] ونُهزة [أى الفرصة]، وقبسة العجلان [مثل فى الاستعجال] وموطئ الاقدام [مثل مشهور فى المغلوبية والمذلة] تشربون الطَرق [ماء السماء الذى تبول به الابل وتبعر].

وتقتاتون القِدّ [جلد غير مدبوغ] اذ كان العرب يقتاتون جلد المعزى لسوء حالتهم المعاشية

وقالت عليها السلام ايضا:

فرأى الأُمم فرقاً فى أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدةً لأوثانها، منكرةً لله مع عرفانها، فأنار الله تعالى بأبى محمد ظُلمها، وكشف عن القلوب بهمها وجلى عن الأبصار غممها، وقامَ فى النّاس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية، وهداهم إلى الدّين القويم، ودعاهم إلى الصّراط المستقيم.

فالقيم فى الحياة الجاهلية كانت تسمو إلى بناء المجد الشخصى، وحسب قول مالك بن نبى فإن "البطولة فى الجاهلية كانت تهدف إلى إعلاء شأن ال – (أنا)، لكن الإسلام حوّل محور البطولة لتجد مسوّغاتها فى عالم الآخرين؛ أى أصبحت تعبر عن اهتمام أسمى، يرتبط بغريزة ال – (نحن) أكثر منه بال – (أنا).

ولما كانت القيم تصل فى احايين كثيرة الى حـد القداسـة فسوف ندرک کم من جهد بذله الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم لانتزاع صورة القداسة هذه التى كانت تحاصر الانسان الجاهلى وتقوقعه فى اطار العصبية والقبلية وتحويله الى انسان مسلم يدعوالى الهداية والنور ويتبنى القيم الجديدة.

ولما كانت الزهراء عليها السـلام قـد عاشت حالـة الانتقال القيمى فهى كانت فى المجتمع المكى الذى مثّل القيم الجاهلية ثم انتقلت الى المجتمع المـدنى الـذى كان ساحـة ظهور ونمو القيم الجديـدة، فلابد ان يكون لها دور واضح فى هذه النقلة النوعية الحضارية الامر الذى يجعلنا نصل الى قناعـة انها عليها السـلام تبنت القيم الاسـلامية وكان لها دور فى نشـرها واحيائها بل ان وجود الزهراء المعصومـة الكاملة يرسم صورة عن النموذج القيمى الذى يريده الاسـلام وعن اهم سـماته وفضائله ولهذا نقول ان الزهراء عليها السلام رسخت القيم الجديدة وسـاهمت فى الحفاظ على البناء القيمى مع رسول الله واهل بيته الكرام بل ان وظيفـة صـيانة الفضائل وتثبيتها واحيائها كان واحـدا من اهم ادوار الائمة عليهم السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ويمكن القول ان الزهراء عليها السلام ساهمت ب -:

1 - التعريف بالقيم.. وهذا جلى فى خطبتها واقوالها.

2 - تحريک القيم وتفعيلها كما فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من خلال المطالبة بفدک.

3 – المشاركة فى التاسيس القيمى خاصة فى القيم الخاصة بالمرأة والاسرة والزواج.

4 – البناء القيمى من خلال تأصيلهِ فى النفوس وتقديم النموذج والاسوة الحسنة.

ولما كانت القيم شاملـة متنوعة كثيرة فلابد من وضع تصـنيف سـليم لها وهناك عدة تصانيف منها التصـنيف الخماسـى الذى اعتمدناه فى كتابنا السابق (نساء الطفوف) وسنعتمده الان مع اضافة القيم الاسلامية الاصيلة.

ص:707

1 - القيم الدينية

وهى تتعلق بالتعاليم الدينية والسلوك الدينى مثل معرفة ما وراء العالم الظاهرى ومعرفة اصل الانسان ومصيره وهو يحاول ان يصل نفسه بالقوة التى تسيطر على العالم وهو الله تعالى ويتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه الصفة باتباع تعاليم الدين فى كل النواحى(1).

ويعرّفها محمد كامل حتة بأنها (القيم المستمدة من الدين والتى تتجه الى تكوين الانسان الصالح فاذا تم ذلك تحقق قيام المجتمع القوى السليم الذى يتعاون افراده على البر والتقوى وتستقر فيه دعائم الكفاية والعدل والسلام(2).

واذا كان الدين هو مصدر القيم وهو العامل الاساس فى تنظيم علاقة الفرد مع نفسه وخالقه ومجتمعه فأنه من خلال البناء القيمى السليم للفرد يتم بناء المجتمع الصالح.

ص:708

1- (1) (الزهران علم نفس الاجتماعى ص 126).

2- (2) (حتة، محمد كامل، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف، القاهرة 1974).

وهنـاک رؤی معاصـرة لـدی الکثیر من علماء النفس والاجتماع والتربیـة الی ان خلاص العالم من المشـکلات المعاصـرة التی یواجهها لا یکون الا عن طریق الالتزام بالقیم الدینیة.

ومصدر القیم فی الاسـلام هو القرآن الکریم والسنة النبویة وکذلک سیرة اهل البیت الکرام علیهم السلام والهدف هو بناء الانسان الصالح، قال تعالی:

«لَیْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَکُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الآخِرِ وَ الْمَلائِکَةِ وَ الْکِتابِ وَ النَّبِیِّینَ وَ آتَی الْمالَ عَلی حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبی وَ الْیَتـامی وَ الْمَسـاکِینَ وَ ابْنَ السَّبِیـلِ وَ السّـائِلِینَ وَ فِی الرِّقابِ وَ أَقامَ الصَّلاةَ وَ آتَی الزَّکاةَ وَ الْمُوفُونَ بِعَهْـدِهِمْ إِذا عاهَـدُوا وَ الصّابِرِینَ فِی الْبَأْساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِینَ الْبَأْسِ أُولئِکَ الَّذِینَ صَدَقُوا وَ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» 1 .

واهم القیم الدینیـة هی الایمان بالله والیوم الآخر والملائکـة والغیب والرسل وتأدیـة الفروض والواجبات الدینیـة. کـذلک هناک قیم الصبر والصـلاة والـدعوة الی الله والجهاد والصـدق والعدل والتسامح والولایة لاهل البیت علیهم السـلام والتبری من اعدائهم ومحبة الله ورسوله واهل بیته والامر بالمعروف والنهی عن المنکر والحجاب والعبادة والایثار وبر الوالـدین والتواضع والرحمة والزهد والتوکل والخشوع وصـلة الارحام والجرأة فی الحق والشعور بالمسؤولیة الی غیر ذلک.

وقد عمد بعض الباحثین الی جمع القیم الدینیة مع القیم الاخلاقیة

لارتباطهما الوثيق وفى الحـديث (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) بل ان بعض المقاييس العلمية لقياس القيم الدينية تعتمد على الصدق والايثار والحلم لأمكانيـة قياس هـذه الامور قياسا الى الامور العقديـة أو التعبديـة، ولكن الحقيقة ان القيم الدينية هى الاساس فى كل القيم فمثلا يرى الاسـلام ان النظافة قيمة دينية وهى ايضا قيمة اخلاقية والباحث الصحى يراها قيمة صحية والاجتماعى يراها قيمة اجتماعية لتأثير النظافـة على مجمل الاوضاع الاجتماعيـة وآخر يراها انسانيـة والاخير يراها سياسـية لانها تمثل صورة البلد امام بقية البلدان بل ربما يخرج الساسة فى مناورات لحماية البيئة وتنظيفها من الاشعاعات!! وهكذا تنوعت القراءات.

وتتسم القيم الاسلامية الدينية بأنها ثابتة وربانية عكس القيم الوضعية التى هى من صنع البشر والتى تعكس املاءاتهم وافكارهم وتصوراتهم ولهـذا فهى ليست ثابتـة، كما ان القيم الدينيـة تتسم بالقداسة ولذلك فهى مصانة من قبل المتعلقين بها حتى لو تطلب الامر التضـحية ففى قيمة الايمان بنبوة الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم والتى توجب محبته وطاعته ونصرته شهدنا كيف ثارت ثائرة المسلمين امام محاولات انتقاص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والاستهزاء به – والعياذ بالله – من خلال الرسوم الكاريكاتورية أو الافلام الشيطانية.

وهناك من يقسم القيم الدينية الى قسـمين هى القيم العقائدية كالايمان بالله واليوم الاخر والملائكة والرسل والايمان بالقرآن الكريم وغيره وقيم

تعبدية كالصلاة والصوم والحج والزكاة وتلاوة القرآن والذكر والدعاء إلى غير ذلک. وقد مررنا وسنمر على الكثير مما نعتبره قيما دينية كالزهد والصدق والتواضع والقناعة وغيرها. اما الايمان بالله فهو قمة القيم الدينية.

1 - الايمان بالله تعالى

وهو الركيزة الاساسية فى العقيدة وهو اساس القيم الاخرى ويعنى الايمان بالله الايمان بوجوده ووحدانيته واسمائه وعدله وقضائه وقدره والتوكل عليه والثقة به ومنه ينطلق الايمان ببعثة الانبياء سيما خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وان الامامة هى امتداد لخط النبوة، ولهذا لابد ان يكون الامام معصوما ومعرّفاً بالنص، ومن ركائز عقيدة التوحيد هوالايمان باليوم الموعود والحساب والثواب والعقاب الى غير ذلک من متطلبات العقيدة الخاتمة.

يقول سيد الموحدين وإمام المتقين الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأهُ، ومن جزّأهُ فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه، كائن لا عن

حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شـيء لا بمقارنة، وغير كل شـيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصـير إذ لا منظر إليه من خلقه، متوحد إذ لا سـكن يسـتأنس به، ولا يسـتوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضـطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها وانتهائها..)(1).

ولاشک ان من لطف الله هو ارسال الانبياء ولهـذا كان الركن الثانی من الايمان هو الايمان بالرسل وبخاتميـة الرسالة المحمدية، يقول أمير المؤمنين (عليه السـلام): (فبعث محمـداً (صـلى الله عليه وآله) بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشـيطان إلى طاعته بقرآن قد بيَّنهُ وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقروا به إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه..)(2).

واهل البيت عليهم السلام هم (ابواب الايمان) كما ورد فی الزيارة الجامعة، كما ان رضا الزهراء عليها السلام هو مقياس لرضا الله (ان الله يرضی لرضاها) وهذا المقياس هو تعريف بالمعدن الايمانی لاهل البيت عليهم السلام والذی يأتی ممزوجا مع العصمة اضافة الی ان هذا المقياس ثابت مدی الدهور والسنين.

1- (1) (نهج البلاغة: 39، صبحی الصالح).
2- (2) نهج البلاغة الخطبة (1).

ومن القيم الملحقة بالايمان بالله هو الايمان بالرسل والملائكة والكتب المنزلة واليوم الآخر. هذا ويساهم الايمان بالله فى بناء الشخصية وتكاملها عن طريق تعديل الاتجاهات والميول وتعديل السلوك واصلاح البواطن بالاخص النوايا مما يكون عاملا مساعدا على الاستقامة سواء الفكرية أو السلوكية أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية الى غيره، كما يساعد الايمان بالله على ازالة مشاعر الخوف والقلق وازاحة التوتر مما يؤدى الى تحسين الصحة النفسية، كذلک يؤدى الايمان باليوم الآخر الى توجيه الاهداف وتوحيد الغايات وتخفيف التعلق بالدنيا وتقبل فكرة الموت والاستعداد الايجابى له. والايمان بالله يسعى الى تحويل النفس الامارة بالسوء الى نفس لوّامة ثم الى نفس مطمئنة قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ»1 .

وللايمان بالله تعالى دور كبير فى تخفيف مشاعر الاثم والشعور بالذنب عن طريق الاستغفار والتوبة وهو يخدم كرامة الإنسان ويدعو الفرد إلى القيم والمبادئ السائدة فى المجتمع.

والإيمان بالله يدفع بصاحبه أيضاً إلى الشعور بالرضا والقناعة لعلمه أن الأرزاق بيد الله تعالى وهو الذى قسمها وقدرها بين الناس. قال تعالى:

«اَللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَىْ ءٍ

عَلِيمٌ» 1 .

وعلى اساس الايمان مثلا يتم اختيار الزوج اواتخاذ قرار الهجرة لإعلاء كلمة الدين والدفاع عن الحق نصرة لعقيدة التوحيد والدفاع عن النبوة لما تمثله من قيادة الهية وكذلک الدفاع عن الامامة لما فيها من امتداد لرسالة التوحيد والنبوة، اضافة الى اقامة الشعائر والعبادات وكل ما من شأنه ان يقرب الى الله تعالى. وللقيم الدينية إسهامها العالى فى شعور الفرد بالسعادة والرضا، فالملتزمون دينياً يرتفع لديهم معنى الحياة، أى شعور الفرد بالحب والسعادة والعلاقة الطيبة مع الآخرين.

والاشخاص الذين تكون عندهم القيم الدينية هى المتأصلة وهى الاساس تكون قراراتهم واختياراتهم تبعا لهذا الامر كما هو الحال فى موافقة الزهراء عليها السلام على الزواج من امير المؤمنين عليه السلام وهو الفقير الذى باع درعه ليكون مهرا لها رغم تقدم الاغنياء لخطبتها!!، فى حين نرى ان الذين تكون لديهم القيم الاقتصادية مثلا هى الحاكمة على سلوكهم وهى الموجهة لحياتهم فانهم عند الزواج يجعلون الامور المادية مقدمة على غيرها.

ان الشىء الذى لا ينكر ان الايمان بالله تعالى كان محور حياة اهل البيت عليهم السلام ومنهم الزهراء عليها السلام وهو المحور الذى دارت عليه حياتها وشهادتها وهجرتها وجهادها!.

ففى خطبتها تشير الى الايمان بالله وآثاره على الفرد والامة قائلة:

فجعل الله الايمان: تطهيرا لكم من الشرک، والصلاة: تنزيها لكم عن الكبر، والزكاة: تزكية للنفس، ونماءً فی الرزق، والصيام: تثبيتا للاخلاص، والحج: تشييدا للدين، والعدل: تنسيقا للقلوب، وطاعتنا: نظاما للملة، وامامتنا: امانا للفرقة، والجهاد: عزا للاسلام، والصبر: معونة على استيجاب الاجر، والامر بالمعروف: مصلحة للعامة، وبر الوالدين: وقاية من السخط، وصلة الارحام: منسأةً فی العمر ومنماة للعدد، والقصاص: حقناً للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضا للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييرا للبخس، والنهی عن شرب الخمر: تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف: حجابا عن اللعنة، وترک السرقة: ايجابا بالعفة، وحرم الله الشرک: اخلاصا له بالربوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون، واطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فانه انما يخشی الله من عباده العلماء.

بل ان الخطبة لتفيض بالكثير من المعانی الايمانية فتبدأ بذكر الله وحمده وهی التی صبت عليها المصائب بل ان مسلسل الحمد يتوالی بشكل بلاغی يطيح بالالباب اذ تقول:

الحمد لله علی ما انعم، وله الشكر علی ما الهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن اولاها، جم عن الاحصاء عددها، ونأی عن الجزاء امدها، وتفاوت عن الادراک ابدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلی الخلائق باجزالها، وثنی بالندب إلی امثالها، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريک له، كلمة جعل الاخلاص

تأولهـا، وضـمن القلوب موصولهـا، وأنـار فى التفكر معقولهـا، الممتنع من الابصار رؤيته، ومن الالسن صـفته، ومن الاوهام كيفيته، ابتـدع الاشياء لا من شىء كان قبلها، وانشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له فى تصويرها، الا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، واظهارا لقـدرته، تعبـدا لبريته، اعزازا لـدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته...

وتقدم عليها السلام وصفاً جليا للخالق سبحانه فى خطبتها وهو وصف جليل ربما لم يكن قبله شبيه!!.

ان الايمان بالله يعبر عن نفسه عمليا من خلال اداء العبادات والعمل الصالـح وبهـذا نحتاج الى وقفة تأملية عن عبادة الزهراء عليها السـلام وعلاقتها العميقـة مع الله تعالى، وكل ماقامت من اعمال سواء انفاقها أو سـلوكها مع الناس والخادمـة أو ماقامت به فى بيتها ينـدرج ضـمن انماط الاعمال الصالحـة التى قامت بها، فمحوريـة الله هى المـدار الـذى دارت حوله حياة الزهراء عليها السـلام طول عمرها، فى حين اننا نتأرجح فى محاورنا فتارة مع الله وتارة فى الجهة المعاكسة!!، ولهذا تعيش الشخصـية المعاصـرة حالة من عدم الاسـتقرار أو التوازن النفسى لتعدد مرجعياتها بما قد يؤدى الى التعارض وحصول الصراع وظهور التذبذب أو القلق فى الشخصية.

ومن اسـماء الزهراء عليهـا السـلام الزكيَّة والزاكيـة، لاهتمامهـا بتزكيـة النفس الموصـلة إلى الفلاـح وتمركز حياتهـا حول هـذا القطب، قال تعالى:«قَدْ

أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها.»

وفی حدیث: فسأل (النبی صلی الله علیه وآله وسلم) علیا علیه السلام: کیف وجدت أهلک؟ قال: نعم العون علی طاعة الله. وسأل فاطمة، فقالت: خیر بعل(1).

ومن اقوالها علیها السلام:

- حُبِّبَ إلی من دنیاکم ثلاث: تلاوة کتاب الله، والنظر فی وجه رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، والإنفاق فی سبیل الله.

- وفی حدیث طویل قالت علیها السلام: یا أبت فدیتک ما الذی أبکاک؟ فذکر لها ما نزل به جبرائیل من الآیتین «وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِینَ (43) لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِکُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ»2 . فسقطت فاطمة علیها السلام علی وجهها وهی تقول: الویل ثم الویل لمن دخل النار(2).

بل ان الزهراء علیها السلام - وهی نموذج الانسان الکامل والمعصوم - تجعل من کل ساعات الیوم واوقاته محطات للعروج الی الله والانس بجواره، فالنوم الذی ننظر الیه علی انه ساعة انعتاق وتحرر من کل شیء تنظر الزهراء علیها السلام الیه علی انه محطة عبادیة ومحطة قرب الیه تعالی ففی الروایة:

عن الزهراء صلوات الله علیها قالت: دخل علیَّ رسول الله صلی الله

1- (1) (مناقب ابن شهر آشوب، ج 3، ص 356).

2- (3) (البحار: ج 8، ص 303).

علیه وآله وقد افترشت فراشی للنوم، فقال: یا فاطمة لا تنامی إلا وقد عملت أربعة: ختمت القرآن، وجعلت الأنبیاء شفعاءک، وأرضیت المؤمنین عن نفسک، وحججت واعتمرت، قال هذا وأخذ فی الصلاة، فصبرت حتی أتم صلاته، قلت: یا رسول الله أمرت بأربعة لا أقدر علیها فی هذا الحال! فتبسم صلی الله علیه وآله (وقال) إذا قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فکأنک ختمت القرآن، وإذا صلیت علیَّ وعلی الأنبیاء قبلی کنا شفعاءک یوم القیامة، وإذا استغفرت للمؤمنین رضوا کلهم عنک، وإذا قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أکبر، فقد حججت واعتمرت.

- وشهد الرسول صلی الله علیه وآله لها قائلاً: إنّ ابنتی فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إیماناً إلی مشاشها ففرغت لطاعة الله(1).

2 - الصلاة

وهی عمود الدین التی ان قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وان رُدَّتْ رُدَّ ماسواها، وتشکل الصلاة رأس العبادات والاوامر الالهیة ومفتاح قبول الاعمال کلها، وهی الدعاء والتبریک والتمجید... والصلاة هی العبادة المخصوصة وقال بعضهم اصل الصلاة من الصلاء قال ومعنی صلی الرجل ای انه ازال عن نفسه بهذه العبادة الصلاء الذی هو نار الله الموقدة(2).

والتأکیدات القرآنیة والنبویة واضحة وجلیة فی هذا الجانب:

1- (1) (بحار الأنوار: 46/43، المشاش: رأس العظم اللیّن).

2- (2) (الراغب الاصفهانی. مفردات الفاظ القرآن)

قال تعالى «إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً» 1 .

وقال أيضاً:«إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ» 2 .

وهذه هى غاية الصلاة العملية وهى ايضا مقياس قبول الصلاة وقد جاء فى الحديث: من لم تنهه صلاته عن منكر فلا صلاة له.

وقد شبهها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحمة التى تزيل الاوساخ والقذارة حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: ارأيتم لو ان امام دار احدكم نهرا يغتسل فيه فى اليوم خمس مرات هل يبقى عليه شيء من الدرن..؟

وايضا عُدت الصلاة واحدة من اسلحة المواجهة ففى الحديث (ان الصلاة سلاح الانبياء).

وعُرفت الصلاة بانها قربان كل تقى والمقصود بالقربان كل مايتقرب به العبد من اعمال صالحة الى ربه ليفوز بقربه الدائم.

وايضا فى الحديث:

اذا قام المصلى الى الصلاة نزلت عليه الرحمة من عنان السماء الى عنان الارض وحفت به الملائكة وناداه ملك لو يعلم هذا المصلى مافى الصلاة ما انفتل.

ان الصلاة تساهم فى اشباع حاجة الدين والارتباط بالمطلق والتى تمثل

احـدى الحاجات الاساسـية للفرد والتى ادى اهمالها فى عصـرنا الحالى الى خواء روحى واضـح ترک اثره فى نظرة الفرد الى المجتمع والى الحياة مما سبب فى حدوث ازمات نفسية حادة.

كمـا ان قيـام الفرد للصـلاة بين يـدى خالقه يساهم فى توفير الاشـباع الـذاتى لحاجـة الانتماء الاجتماعى من خلال احساسه بالانتماء الى العقيدة الدينية ومشاركته ملايين المسـلمين فى اداء الفريضة حيث يشعر المصلى بانه واحد من الملايين من البشر الذين اتجهوا نحو مكان واحـد لعبادة رب واحـد واداء عمل واحـد هو الصـلاة وهـذا الشـعور يقوى عنـده الاحساس بالقوة والعزة رغم ان الحالـة الظاهريـة العادية للمسـلمين قد تزرع الشـعور بالانكسار والوهن والتراجع.!! وهذا الشعور بالقوة يذلل امام الفرد المصلى الكثير من احساسه بمواقع الضعف والجبن والوهن كما يجعله امام بصـيرة واحـدة تقول (ان العزة لله جميعا) والعزة تأتى من التقوى والايمان. وهـذا مما يساعد فى زوال عُقدة الشعور بالحقارة والنقص والتى قد تتولد لدى الفرد نتيجة مهنة حقيرة أو طبقة متدنية وغيرها، الامر الذى يعزز فى رفد الشعور بالمساواة لدى الفرد (خاصة فى الحج وفى صـلاة الجماعة) مما يزيد من تقبله لذاته ورضاه عن واقعه ويشـجعه على البحث عن اسـلوب التفاضل الواضح بين النـاس الاـ وهو التقوى، وبهـذا يكون للصـلاة شـرف عظيم لانهـا تسـاهم فى تحريره من الطواغيت والرؤسـاء والحكام ومن اسـباغ نير العبودية على هؤلاء الذين هم دائما فى مقام النقص الواضح.

واذا كان الهـدف من العبادات هو تقويـة رابطـة العبد بالله من خلال تركه لامور الدنيا – مهما بلغت قيمتها – والتفرغ لعبودية الله تعالى فى اوقات محـدودة لم يخترها الانسان لنفسه انما ارادها الله تعالى بهـذه الصورة الثابتة منذ أربعة عشـر قرنا من الزمان.. فهذه التقوية الايمانية تشجع صاحبها على ترك المنكرات والقيام بالواجبات وعلى السير فى نهج الطاعة.

– رُوى عن الحسن البصرى أنه قال: "ما كان فى هذه الأمة أعبد من فاطمة، كانت تقوم حتى تتورّم قدماها(1).

– وحول الاية «كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ»2 : نزلت فى على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام(2).

– وقالت فاطمة عليها السلام: من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله إليه أفضل مصلحته(3).

– وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن عبادتها أنّها متى قامت فى محرابها بين يدى ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّوجل لملائكته: يا ملائكتى انظروا إلى أمتى فاطمـة سـيّدة إمائى قائمـة بين يـدىّ ترتعد فرائصـها من خيفتى وقد أقبلت بقلبها

1– (1) (البحار، ج: 43، ص: 84. وعوالم الزهراء، ص: 224).

2– (3) (شواهد التنزيل: 2:268. عوالم العلوم: فاطمة الزهراء عليها السلام فى المستدرک: 85).

3– (4) (البحار: ج 71، ص 184).

على عبادتی، أشهدکم أنّی قد أمّنت شیعتها من النار(1).

وعن الإمام الصادق علیه السلام: أنّ أُمّه الزهراء علیها السلام کانت تصلی للاَمر المخوف العظیم رکعتین، تقرأ فی الأُولی الحمد و (قُل هو الله أحد) خمسین مرة، وفی الثانیة مثل ذلک، فإذا سلّمت، صلّت علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم، ثمّ ترفع یدیها بالدعاء: «اللهمَّ إنّی أتوجّه بهم إلیک، وأتوسّل إلیک بحقّهم العظیم الذی لایعلم کنهه سواک، وبحقّ من حقّه عندک عظیم، وبأسمائک الحسنی، وکلماتک التامات التی أمرتنی أن أدعوک بها...» إلی آخر الدعاء(2).

وعنه علیه السلام: أنّها کانت إذا أصبحت یوم الجمعة تغتسل وتصفّ قدمیها وتصلی أربع رکعات مثنیً مثنیً، تقرأ فی أول رکعة فاتحة الکتاب و (قل هو الله أحد) خمسین مرة، وفی الثانیة فاتحة الکتاب والعادیات خمسین مرة، وفی الثالثة فاتحة الکتاب و (إذا زلزلت) خمسین مرة، وفی الرابعة فاتحة الکتاب وإذا جاء نصر الله خمسین مرة، فإذا فرغت منها قالت: «إلهی وسیدی، من تهیّأ أو تعبّأ أو أعدّ أو استعدّ لوفادة مخلوق رجاء رفده وفوائده ونائله وفواضله وجوائزه...، فإلیک یا إلهی کانت تهیئتی وتعبیتی وإعدادی واستعدادی، رجاء رفدک ومعروفک، ونائلک وجوائزک، فلا تخیبنی من ذلک، یا من لا یخیّب مسألة سائل، ولا تنقصه عطیة نائل...» إلی آخر الدعاء،

1- (1) (أمالی الصدوق، المجلس: 100/24).

2- (2) (مصباح المتهجد l الطوسی: 302 - مؤسسة فقه الشیعة - بیروت).

وذلک مما علّمها الرسول صلی الله علیه وآله وسلم(1).

وتعتبر العبادة بشکل عام وسیلة التکامل الفردی والاجتماعی وقد کان نموذج المرأة العابدة قبل الزهراء علیها السلام متمثلا فی شخصیة السیدة مریم علیها السلام ولکن الملاحظ ان هناک فروقاً واضحة بین هاتین الشخصیتین منها ان مریم علیها السلام کانت متفرغة للعبادة ولیست لها مهام اسریة أو اجتماعیة بل لم تکن لها اعمال اصلا بما فی ذلک اعداد طعامها!!، فی حین کانت الزهراء علیها السلام مثقلة بشتی المشاغل والاعباء المتنوعة، هذا من جهة ومن جهة اخری کانت مریم علیها السلام تعبد الله فی ظرف استرخائی مریح ویأتیها طعامها ورزقها دون عناء «کُلَّما دَخَلَ عَلَیْها زَکَرِیَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ یا مَرْیَمُ أَنَّی لَکِ هذا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ یَرْزُقُ مَنْ یَشاءُ بِغَیْرِ حِسابٍ»2 فی حین کانت الزهراء علیها السلام تعبد الله علی الطوی وتعیش مع باقی المسلمین الجوع والفقر. وکانت حیاة مریم علیها السلام فی المحراب فی المسجد ماخرجت منه الا لطارئ کولادتها لعیسی علیه السلام فی حین کان محراب الزهراء علیها السلام هو کل مساحات حیاتها!!، بکل اثقالها ومسؤولیاتها ومتطلباتها وبما قدمته من خدمات واعمال صالحة اشاد ببعضها القرآن الکریم فی آیات خالدات، حتی فراش نومها الخشن کان محرابا للدعاء وللذکر بما عرّفته لنا من اذکار خاصة عند النوم بل وحتی حضورها المعرکة سواء کان للغوث أو

1- (1) (مصباح المتهجد | الطوسی: 318).

لتفقد ابيها أو لعلاج الجرحى كان محرابا للسير نحو الله تعالى. فى حين ان الانسان المعاصر يمارس العبادات كحركة فردية وطقوس بلا روح وبلا حياة ولهذا لاتكون من عوامل التكامل أو الرقى أو الحركة نحو الله فالصلاة شىء اعتاده الانسان لذا تكون صلاته كنقرالغراب! ولهذا لا تمنعه عن منكر!! فتجده يصل اصدقاء السوء ويقطع الارحام أو يتصدق امام الناس رياءً وهو ابخل الناس على عياله!..

وفى الحديث: سُمّيت فاطمة عليها السلام بالبتول لانقطاعها إلى عبادة الله(1).

- وفى حديث: فسأل (النبى صلى الله عليه وآله وسلم) عليا عليه السلام: كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله. وسأل فاطمة، فقالت: خير بعل(2).

وأبت السيدة الزهراء عليها السلام إلا أن تكون الصلاة آخر أعمالها رغم مرضها الشديد. فقد ذكر الخوارزمى أنها عليها السلام قُبَيلَ رحيلها قامت فى بيتها فصلَّت ركعتين، ثم جلَّلت وجهها بطرف ردائها وقضت نحبها.

روى أنّ فاطمة عليها السلام كانت تنهج فى صلاتها من خيفة الله تعالى"(3).

1- (1) (مجمع البيان / الطبرسى 568:10. والمصباح / الكفعمى: 659)

2- (2) (مناقب ابن شهر آشوب، ج 3، ص 356)

3- (3) (المناقب | ابن شهر آشوب 341:3. ومقتل الحسين عليه السلام| الخوارزمى 80:1).

3 - الدعاء

الـدعاء هو مـخ العبـادة وهومحطـة الانعتاق الى رحاب الله والتـذلل والاسـتغاثة وطلب الحاجات من صاحب الاكوان، والبوح بما يخالج النفس من شـعور بالتقصـير وهو عبـادة كاشـفة عن علاقـة القرب مع الله تعالى وهو (تعبير طبيعى عن إحساس نفسـى وشـعور حى لـدى الإنسان، الذى يدرک وجود حقيقتين فى حياته: الله، والإنسان، ويدرک النسبة الحقيقية بين الوجودين:

فوجود الله الذى هو مصدر الغنى والكمال والإفاضة فى هذا العالم.

ووجود الإنسان الذى هو وعاء الفقر والحاجة والمسكنة، المتقوّم بالإفاضة والعطاء المستمر). قال تعالى:

«وَ أَيُّوبَ إِذْ نادى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَكَشَفْنا ما بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْناهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَ ذِكْرى لِلْعابِدِينَ» 1 .

«وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى فِى الظُّلُماتِ أَنْ لا إِلهَ إِلاّ أَنْتَ سُبْحانَکَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَ نَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذلِکَ نُنْجِى الْمُؤْمِنِينَ» 2 .

والدعاء اشارة الى الارتباط الفاعل والايجابى بالغيب وتأكيد على

الايمان به وهو يساهم فى تخفيف معاناة الشعور بالذنب ويساعد على التقليل من اضرار الازمات النفسية، كما انه وسيلة من وسائل تقوية العلاقات الاجتماعية سواء من خلال الدعاء للآخرين (ولو فى غيابهم) أو من خلال المشاركة فى الدعاء بشكل جماعى كما نرى ذلك فى المواسم الكبرى للدعاء كيوم عرفة أو ليالى الجمعة الى غير ذلك.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض)(1).

وقال عليه السلام:

(يا ميسر: ادع ولا تقل: أنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله عزّ وجلّ منزلة لا تنال إلا بمسألة، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل، لم يعط شيئاً، فسل تعط، يا ميسر، أنّه ليس من باب يقرع إلا يوشک أن يفتح لصاحبه)(2).

وقد ورد فى الحديث الشريف:

(أفضل العبادة الدعاء)(3).

(وأحب الأعمال إلى الله عزّ وجلّ فى الأرض الدعاء)(4).

1- (1) (الكلينى، أصول الكافى، ط 3 / ج 2 / ص 468. السيوطى، الجامع الصغير، ج 1 / ص 574)
2- (2) (الكلينى، الكافى، ج 2 / ص 466).
3- (3) (الكلينى، الكافى، ج 2 / ص 466. المتّقى الهندى، كنز العّمال، ج 2 / ص 64).
4- (4) (الكلينى، الكافى، ج 2 / ص 467).

واذا كانت الزهراء عليها السلام اعبد هذه الامة فلها مع الدعاء نجوى طويلة.. فهذا ابنها الإمام الحسن عليه السلام يحدّثنا قائلاً: "رأيت أمى فاطمة عليها السلام قامت فى محرابها ليلة جُمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشىء، فقلت لها: يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك، فقالت: يا بنى الجار ثم الدار(1).

- وفى الرواية: كانت فاطمة عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام، وتتأهب لها من النهار وتقول: محروم من حُرم خيرها(2).

- روى الطبرى فى دلائل الإمامة بإسناده عن زيد بن على عن آبائه عن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم قالت:" سمعت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن فى الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً إلاّ أعطاه إياه. قالت: فقلت: يا رسول الله أى ساعة هى؟ قال: إذا تدلّى نصف عين الشمس للغروب".

قال: وكانت فاطمة عليها السلام تقول لغلامها: اصعد على السطح، فإن رأيت نصف عين الشمس قد تدلّى للغروب فأعلمنى حتى أدعو(3).

1- (1) (البحار، ج: 43، ص: 253. وعوالم الزهراء، ص: 225، نقلاً عن علل الشرائع).
2- (2) [بحار الأنوار، ج 97، ص 10].
3- (3) (دلائل الإمامة، ص: 71).

ومن ادعية الزهراء عليها السلام

اللهم فرّغنى لما خلقتنى له ولا تشغلنى بما تكفلت لى به اللّهم ذلّل نفسى فى نفسى وعظم شأنک فى نفسى.

ويروى السيد الجليل ابن طاووس فى كتابه اقبال الاعمال فى اعمال ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان مامضمونه:

فكرت بالاعمال المرويـة لليلة القدر فوجدتها كثيرة لا اسـتطيع ان اقوم بها جميعا ففكرت بأن آتى بأهم الاعمال فوجدت ان الدعاء من اهم الاعمال ففكرت ان ابدأ الدعاء لابوى لكنى رأيت انهما مسـلمان مؤمنان صالحان، ثم فكرت ان ابدأ بسائر المسـلمين والمسلمات فرأيت ان اسـلامهم يشـفع لهم عند الله فيغفر لهم ربهم ويعفو عنهم وان كانو «خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً» لكن «عَسَى اللّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» 1 .

ثم يقول: ففكرت أن أبدأ بالكفار والجاحدين لنعم الله والمسـتخفّين بحرمته، فأخذتنى الشـفقة عليهم لأنهم لا يرتبطون مع الله برابط يمكن أن يكون شـفيعاً لهم، وقلت فى نفسـى إن هؤلاء لا يتمسـكون بأى حبل من حبال الله، فعلىّ أن أبـدأ" ليلـة القدر "هذه بالابتهال إلى الله أن يهـدى هؤلاء ويفتـح عقولهم على الحق ويحرک خطواتهم فى طريق الاسـتقامة، لأن جنايتهم على الربوبيـة أشد من جناية العارفين بالله.. يقول: ولما فرغت من الدعاء لهم دعوت لأهل التوفيق والإسلام ثم دعوت لنفسى ومن يهمنى أمره.

ص:728

تسبیح الزهراء علیها السلام

عن أمیر المؤمنین علیٍّ علیه السلام قال: لما رأیت ما أصاب فاطمة الزهراء من العناء فی خدمة البیت وقد جاء سبی إلی النبی صلی الله علیه وآله وسلم قلت لها: هلا أتیت أباک تسألیه خادما یکفیک مشقة خدمة البیت؟ فأتت النبی صلی الله علیه وآله وسلم وإذا عنده جماعة، فانصرفت، وعلم أبوها أنها جاءت لأمر أهمها، فغدا إلی دارها صباحا، وسألها علیها السلام (عما) جاءت له، فاستحت أن تذکر له، فقلت له: أنت تعلم ما تلاقیه فاطمة من القیام بشؤون البیت من الاستقاء والطحن والکنس. وقد أثر ذلک علیها، فقلت لها: لو سألت أباک یخدمک من یکفیک مشقة ما أنت فیه من العمل. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: «یا فاطمة أعطیک ما هو خیر لک من خادم، ومن الدنیا بما فیها: تکبرین اللَّه بعد کل صلاة أربعاً وثلاثین تکبیرة، وتحمدین اللَّه ثلاثاً وثلاثین تحمیدة، وتسبحین اللَّه ثلاثاً وثلاثین تسبیحة، ثم تختمین ذلک ب - (لا إله إلا اللَّه)، وذلک خیر لک من الذی أردتِ ومن الدنیا وما فیها، فلزمت صلوات اللَّه علیها هذا التسبیح بعد کل صلاة، ونُسب إلیها»(1).

یقول الراغب الأصفهانی فی مفرداته: السبح: المرُّ السریع فی الماء وفی الهواء، یقال: سَبَحَ سبْحاً وسباحة، والتسبیح تنزیه اللَّه تعالی، وأصله المرُّ السریع فی عبادة اللَّه تعالی وجعل ذلک فی حبل الخیر، کما حبل الأبعاد فی

1- (1) (بحار الأنوار 85 336).

الشر، فقيل: أبعده اللّه»(1).

سُئِلَ أبو الحسن على بن أبى طالب عليه السلام عن معنى التسبيح فأجاب: «هو تعظيم اللَّه عزّ وجلّ وتنزيهه عما قال فيه كل مشرک...»(2).

وقد استفاضت الأخبار فى الحث على الإتيان به حيث قال الإمام الباقر عليه السلام: ما عُبِدَ الله بشىء أفضل من تسبيح فاطمة كل يوم دبر كل صلاة، ولو كان شىء أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة.

قال الصادق (عليه السلام): «من بات على تسبيح فاطمة عليها السلام كان من الذاكرين للَّه كثيراً والذاكرات»

ويقول الصادق عليه السلام: تسبيح فاطمة فى كل يوم دبر كل صلاة أحب إلى من صلاة ألف ركعة فى كل يوم(3).

وفى بيان كيفيته بعد الصلاة وعند النوم فهو أربع وثلاثون تكبيرة، ثم ثلاث وثلاثون تحميدة، ثم ثلاث وثلاثون تسبيحة.

ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يعطِ ابنته فاطمة الخادم حينما سألته اول الامر اذ ان المسلمين كانوا فى مضيقة وشدة وكان الأولى توجيه الاهتمام لرعاية الفقراء والمعوزين، ولهذا لم يقبل صلى الله عليه وآله وسلم اول الامر لكنه فيما بعد وهب لها جاريتها فضة بعد ان جاءه سبى وبعد ان

1- (1) المفردات (مادة سبح) ص 226.

2- (2) (معانى الأخبار 9).

3- (3) (الكافى كتاب الصلاة 343).

حصل المسـلمون على الغنائم الكثيرة، وهـذا يعنى انه كان يدرک حاجة ابنته الى الخادم لكنه كان ينتظر الوقت المناسب الذى تنحسـر فيه آثار الضـيق الاقتصادى، كما ان الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم لم يک يريد ان تكون ابنته متميزة عن باقى النساء بما لديها من خدم بل اراد ان يجعلها تعيش حياتها المتواضعة كباقى النساء.

وفى رواية: أنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

يا فاطمة والذى بعثنى بالحق، إن فى المسجد أربعمائه رجل ما لهم طعام وثياب ولولا خشيتى لأعطيتک ما سألت، يا فاطمة وإنى لا اريد أن ينفک عنک أجرک إلى الجارية، وإنى أخاف أن يخصـمک على بن أبى طالب (عليه السلام) يوم القيامة بين يدى اللَّه - عز وجل - إذا طلب حقه منک، ثم علمها صلاة التسبيح.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «مَضَيْتِ تريدين من رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله) الدنيا فأعطانا اللَّه ثواب الآخرة»(1).

وهـذه الامور تعكس الرحمة الابوية التى تبرمج اولوياتها ضـمن الامور العامة التى تجعل الناس كلهم سواسـية ليس بينهم اى تمييز، فهى حركـة تربويـة مهمـة جدا انذاک لان المدينة كانت محطة البناء الذاتى والاجتماعى للمسـلمين الاوائل ولابد من توخى الحذر والعدالة مع الاشفاق، ولهذا لم يرّدها صلى

1- (1) [بحارالأنوار: 85/43].

الله عليه وآله وسلم خائبة بل اعطاها عليها السلام التسبيح لتبقى خالدة فى ضمير كل مسلم ومسلمة فهذه ابنة القائد والحاكم لكنها شاركت المسلمين الحياة بحلوها ومرها حتى ان الرسول كان يبكى لمرآها وهو القائل: «تجرعى يا فاطمة مرارة الدنيا... لنعيم الآخرة».

وهذه دروس للآباء والامهات فهم قد لا يستطيعون تنفيذ كل ما يريده الاولاد أو قد يقفون عاجزين امام مطاليبهم الكثيرة فلا يردوهم خائبين انما يقومون بتسلية خاطرهم ولو بتسبيح ولو بدعاء جميل أو ثناء أو وعد مفتوح.

وقد اورد فقهاؤنا استحباب التسبيح فى وقتين: أحدهما بعد الصلاة، والآخرعند النوم.

اننا نعلم انه من خلال تغيير الافكار الموجودة فى اذهاننا فأنه يمكن تغيير المحتوى الداخلى والنفسى والذى يعتبر المؤثر الاكبر لانتاج السلوك، فنحن نتحرك حسبما نفكر، ولقد علّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ابنته عليها السلام هذا التسبيح كى تنشغل عن آلامها وتعبها - بسبب تزايد الاعباء البيتية مع عدم وجود المساعدة - بذكر الله وهى عملية صرف للذهن عن المشاغل الآنية، وهذا يعود لما يسمى بقانون التعويض فالعقل ينشغل بفكرة ما ايجابية كانت ام سلبية فاذا تعززت الافكار الايجابية ولدّت الشعور بالارتياح وافضل الافكار الايجابية تلك المرتبطة بالقيم الدينية وبالعلاقة مع الله والتى تساعد على ازاحة الفكرة السلبية وبذلک تمنح الفرد الشعور بتحسين الحال، ومن المؤكد ان اهل البيت عليهم السلام لا تداخلهم الافكار

السلبية ولكن الشعور الجسدى بالتعب يحتاج لازاحته الى شعور نفسى بالراحة، مع استرخاء جسدى ولهذا قال بعض المفسرين حول الآية «لا يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها» ان الوسع هنا نفسى لانه قادر على ازاحة (عدم الوسع الجسدى)، ونحن نرى احيانا اننا لانمارس عملا ولا نشعر بالتعب البدنى ومع ذلک فأننا مرهقون نفسيا ولا نستطيع القيام بأى عمل!! والعكس صحيح فمشاعر الفرح مثلا قادرة على بعث النشاط والتفاؤل فى وقت يكون الارهاق والاعياء قد استبد بنا!!.

وربما لوكان هناک من يعيش عناء الزهراء عليها السلام الذى وصفه زوجها امير المؤمنين لأُصيب ب - (الجلطة النفسية) اى توقف الزمن حول هذه النقطة ويصبح جامدا!! فلا يستطيع القيام بأى حركة لانه حبس تفكيره وذاكرته فى اطار هذه النقطة المحدودة وهى العناء والتعب!، ولهذا لابد ان نغير افكارنا كى ننطلق الى حياة افضل، والتسبيح هو اشغال للفكر بذكر الله الذى تطمئن له النفوس وترتاح اليه القلوب فينطلق الفرد نحو سماء التوحيد العالية والواسعة فسينسى أو يتناسى ألمهُ وحزنه وتعبه.

ثم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يقدم كلمات سلبية.. لا تفكرى بالتعب، لا تتألمى، لا تنشغلى باتعابک بل طار مع ابنته إلى سماء الوحى الإيجابية من خلال مفردات ايجابية ايمانية تدعو الى التفكر فى العدد والرقم والتسلسل والتكرار وغير ذلک. فهو صلى الله عليه وآله وسلم رسم صورة عقلية لمستقبل تتغير فيه الاحوال بفضل قدرة الله.

ص:733

قال الإمام الباقر عليه السلام: «ما عُبد الله بشيءٍ من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام»(1).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «تسبيح فاطمة عليها السلام فى كل يومٍ دبر كلّ صلاة أحبّ إلىَّ من صلاة ألف ركعة فى كل يوم»(2).

وعن أبى هارون المكفوف، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «يا أبا هارون، إنّا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة، فالزمه فإنّه لم يلزمه عبد فشقى»(3). والامر ثابت عند الفريقين، قال ابن حجر العسقلانى(4): قال ابن تيمية فيه: إن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه أعياء، لأن فاطمة شكت التعب من العمل فأحالها صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك.

قال الصادق (عليه الصلاة والسلام): «إذا شككت فى تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام فأعده»(5).

والغريب ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى علم فاطمة الزهراء هذا التسبيح فلماذا اقترن باسمها عليها السلام وليس باسمه صلى الله عليه وآله وسلم؟

1- (1) (الكافى، الكلينى 14/343:3. والتهذيب، الطوسى 398/105:2).
2- (2) (الكافى، الكلينى 15/343:3. والتهذيب، الطوسى 399/105:2).
3- (3) (الكافى، الكلينى 13/343:3. والتهذيب، الطوسى 397/105:2).
4- (4) (إرشاد السارى) ج 6، ص 117، بمطبعة الكبرى الأميرية مصر.
5- (5) (الكافى، كتاب الصلاة، ص 342).

هنا تبدو المسألة منطلقة من امرين:

الامر الاول: هو تخليد معاناتها وعنائها لكى يعيش الجميع دوما هذه الصورة بكل مافيها من مشقة وعناء، فلا ترك للعبادة ولا هجر للمجتمع أو الانصراف عن تقديم العون بحجة التعب أو بحجة عدم وجود الوقت أو المعين.

والامر الآخر الذى اعتقده - والله اعلم - هو لتخليد اسم الزهراء عليها السلام فى ذاكرة كل مسلم فهى بعمرها القصير وعطائها الكبير وظلامتها الخالدة لابد من وجود علامة تذكير بها خاصة بعد ان ضاع قبرها وبقى بل وسيبقى مجهولا، لابد من شىء يكشف عن تاريخها ومكانتها وجهادها ولاشىء اسمى من هذا التسبيح الذى لابد ان يُذكر بعد كل صلاة وعند النوم وكأنه وقفة تجديد للعهد مع ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبهجة قلب المصطفى فى كل ابعاد حياتها المتعددة الصور.

عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: من سبح تسبيح الزهراء عليها السلام ثم استغفر، غفر الله له، وهى مائة باللسان، وألف فى الميزان، وتطرد الشيطان، وتُرضى الرحمن»(1).

شكى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام إليه ثقلاً فى أذنه فقال عليه السلام: «عليک بتسبيح فاطمة»(2).

1- (1) (ثواب الأعمال للصدوق: ص 163).

2- (2) (الدعوات للراوندى: ص 197).

قال المحقق البحرانی صاحب الحدائق رحمه الله نقلاً عن الطبرسی والمجلسی رحمهما الله: «أن فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کانت سبحتها من خیط صوف مفتل معقود علیه عدد التکبیرات فکانت علیها السلام تدیرها بیدها تکبر وتسبح إلی أن قتل حمزة بن عبدالمطلب سید الشهداء رحمه الله فاستعملت تربته وعملت المسابیح فاستعملها الناس.

4 - الامر بالمعروف والنهی عن المنکر

وتعتبر هذه القیمة من اهم الفضائل الاسلامیة خاصة مع تعدد صور المنکر وتعدد اشکاله وصوره، وهو ایضا علامة علی قوة الدین وقوة الشخصیة فلا یخاف صاحبه فی الله لومة لائم.

قال تعالی:«کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ» 1 .

وقال تعالی:«اَلتّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاکِعُونَ السّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النّاهُونَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ الْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ» 2 .

وقال تعالی:«یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْیَوْمِ الآخِرِ وَ یَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ یَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ یُسارِعُونَ فِی الْخَیْراتِ وَ أُولئِکَ مِنَ الصّالِحِینَ» 3 .

وقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (عليهم السلام) روايات مستفيضة فى الحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقد روى عن الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن الله ليبغض المؤمن الضعيف الذى لا دين له. فقيل: وما المؤمن الضعيف الذى لا دين له؟ قال: الذى لا ينهى عن المنكر))(1).

وقال الإمام على (عليه السلام): ((إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، ولكن يضاعفان الثواب ويعظمان الأجر، وأفضل منهما كلمة عدل عند إمام جائر))(2).

وفى الحديث: ((لا دين لمن لا يدين الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر))(3).

وكل هذه الأحاديث الشريفة تدل على وجوب الأمر بالمعروف والجهر بالحق، ومعارضة بل ومحاربة كل أشكال المنكر.

و (المعروف) كلمة مأخوذة من مادة (عرف) بمعنى الظهور والارتفاع، وانتشار الرائحة الطيبة، وما كان كذلك فهو معروف مأنوس غير مجهول. والاعتراف هو الإقرار، وأصله إظهار معرفة الذنب، والمعروف هو ما عرفته العقول السليمة، وأنستْ إليه الطباع المستقيمة، وهو أيضاً اسم لكل فعل يُعرف بالشرع أو العقل حسنه، والعُرْف المستحسن الذى هو ضد المنكر. وقد

1- (1) (ميزان الحكمة، ج 5، ص 1941، رقم الحديث 12698).
2- (2) (ميزان الحكمة، ج 5، ص 1944، رقم الحديث 12719).
3- (3) (بحار الأنوار، المجلسى، ج 97، ص 86، رقم 59).

عرَّف المحقق (الحلى) المعروف بأنه: كل فعل حَسَن، اختص بوصف زائد على حسنه، إذا عرف فاعله ذلک، أو دلّ عليه(1).

وعليه.. فإن كل أمر أو فعل حَسَن هو معروف.. فالصدق والأمانة والوفاء وحسن الخلق والعدل والحاكم الصالح كلها مؤشرات عن المعروف.

اما كلمة (المنكر) فهى مشتقة من مادة (نكر) وهى مادة تدل على الجهل، والصعوبة، والاشتداد، والاستيحاش، والقبح، والنفور، وكراهية النفوس، يقول: أنكره، أى جهله إذا وجده على غير ما عهده، ويقال: أنكر فلان كذا، أى كرهه فلم يقره.

والمنكر هو الباطل، لأن العقول السليمة تنكره وترفضه، ولذلک قال علماء الأخلاق: إن المنكر هو ما تستقبحه العقول السليمة، ويحكم الدين بقبحه، وهو ضد المعروف، ويقول الأصفهانى: المنكر كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف فى استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة.

وقال المحقق (الحلى): المنكر كل فعل قبيح، عرف فاعله قبحه، أو دلَّ عليه(2).

ويتجلى لنا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بكل وضوح فى مطالبة

1- (1) (تحرير الأحكام، العلامة الحلى، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، الطبعة الأولى 1420 ه -، ج 2، ص 238).
2- (2) (تحرير الأحكام، العلامة الحلى، مؤسسة الإمام الصادق، قم - إيران، الطبعة الأولى 1420 ه -، ج 2، ص 239).

الزهراء عليها السلام بفدک وجعل قضية فدک وسيلة ومدخلا للمطالبة بتنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى غدير خم بتولى علىٍّ عليه السلام بعده شؤون الامة، ولولا هذا الدفاع لما فهم الناس ان ثمة انحرافا ومنكرا بدأ ينخر فى عمود الدولة الاسلامية حيث تَعَود الناس على وجود المعصوم الذى لا يأتى بخطأ أو منكر والذى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تستوعب الامة بعد فكرة التغيير الحاصل بعد وفاته وبعد ان اهملت وصيته فى على عليه السلام وظهر التمرد عليها مما يعنى خروج الدولة عن مسيرة العصمة التى ارادها واوصى بها من خلال بيعة الغدير والنص على على عليه السلام، فمطالبة الزهراء بفدک ودفاعها عن الولاية والامامة بهذا الشكل الذى جعلها شهيدة بكِلا المعنيين للشهادة الشهادة على الامة والشهادة بالتضحية يكشف لنا مدى ادراک الزهراء عليها السلام لهذا الامر واهتمامها بالامامة، فمن كان يصدق ان الزهراء عليها السلام التى ترى ان افضل شىء للمرأة هو (ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل) تخرج من بيتها وتخاطب الملأ كلهم وتطوف على بيوت الانصار كل ذلک دفاعا عن الولاية وتفعيلا لقيمة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتى تحددت فى هذا الظرف.

عن أحمد بن ابى عبدالله عن يعقوب بن يزيد رفعه قال: قال ابوعبدالله عليه السلام: الامر بالمعروف والنهى عن المنكر خلقان من خلق الله تعالى فمن نصرهما أعزه الله تعالى، ومن خذلهما خذله الله تعالى(1).

1- (1) (التهذيب ج 6 ص 177).

5 - الحجاب

وقد آثرتُ ان اضع الحجاب فی القیم الدینیة باعتباره فرضا الهیا علی کل مسلمة، ویمکن ایضا ان نضعه ضمن القیم الاجتماعیة لدوره فی صیانة المجتمع من الانحراف والجرائم المختلفة، ویمکن ان نضعه ضمن قیم تکامل الشخصیة وضمن قیمة المظهر تحدیدا لما للمظهر الخارجی من تأثیر علی سلوک الانسان واتجاهاته ونواياه، والحجاب امر الهی قال تعالی:

«وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ یَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ یَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لا یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلاّ ما ظَهَرَ مِنْها وَ لْیَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلی جُیُوبِهِنَّ» 1 .

وقال تعالی:«یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِأَزْواجِکَ وَ بَناتِکَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِینَ یُدْنِینَ عَلَیْهِنَّ مِنْ جَلاَبِیبِهِنَّ ذلِکَ أَدْنی أَنْ یُعْرَفْنَ فَلا یُؤْذَیْنَ وَ کانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِیماً» 2 .

وتتباین الاتجاهات حول الحجاب وتنطلق اکثر هذه الاتجاهات من الرؤیة التی یُنظر بها للدین واهم هذه الاتجاهات:

1 - من یعتقد ان الدین هو عقیدة الهیة ینطلق منها نظام شامل للحیاة یعرف ان الحجاب امر الهی مفروض علی کل مسلمة فی کل عصر وزمان لان الشریعة الاسلامیة هی الشریعة الخاتمة فحلال محمد حلال الی یوم القیامة، وانما جاء هذا الفرض لفوائده الکثیرة علی المجتمع بشقیه المرأة والرجل، وهو

وان خص المرأة المسلمة ولكن مقدماته من غض البصر وغيره موجهة لكلا الجنسين، وعلى هذا فحتى لولم نفهم اثر الحجاب على المرأة والمجتمع فأننا كمسلمات ملزمات بتطبيق الشريعة وتنفيذ الاوامر الالهية.

2 – من يرى ان الدين مسألة شخصية وله مساحته المحدودة فى الحياة ووجوده لا يزيد عن المسجد والكنيسة، فهذا الفرد ينظر الى الحجاب ايضا على انه مسألة شخصية لا ـ فرض الهى واجب، وبالتالى فهو حر فى ان ينفذ هذا المطلب أو لا!، وعموم الرؤى العلمانية تقصى الدين عن الحياة والمجتمع بل عن الحياة كلها!، وهى نظرة ان كان لها اصل فى الوضع المسيحى فانها غير صحيحة بالنسبة للاسلام الذى قدم الى العالم كله اطروحته فى اقوى واكثر الحضارات الانسانية تأثيرا وامتدادا، واصحاب هذه الرؤية يعيشون الازدواجية بين كونهم مسلمين بالولادة وعلمانيين بالسلوك، لذا يبحثون عن اساليب يطوقون بها الدين ويقصونه عن دائرة الحياة.

3 – اما المسلمون الجدد فأنهم يعيدون قراءة النص القرآنى مع تحريف المضمون فهناك من يرى ان آيات الحجاب خاصة بزمانها وخاصة فقط لنساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم!!، وهؤلاء يعيدون قراءة النص بشكل يلغى طابع الدوام خاصة وان الاية واضحة قال تعالى:«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ وَ بَناتِكَ وَ نِساءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً»1 . وبذلک فالحجاب فرض ولكنه لا

يشمل زماننا!! حسب زعمهم.

4 – هناک من يرى ان الحجاب علامة التخلف فى العالم الاسلامى!!، وهؤلاء لا يفرقون (فى المعنى والمصطلح) بين العرف والدين والتقاليد والفرائض، وهذه الاشكالية عندهم الجأتهم الى هذا التفسير المشوه، وهم يقفون عاجزين عن تفسير سبب التطور التصاعدى لأوضاع النساء فى صدر الاسلام وبعد تأسيس الدولة الاسلامية من زيادة عدد النساء الراويات للحديث والمثقفات والطبيبات بشكل واضح حتى سقوط الدولة الاسلامية عام 656 ه –، فالملاحظ ان العصور المظلمة تبدأ من هذا التاريخ الذى ازيح فيه الاسلام تماما عن باحة الدولة والقوانين، فقد كسحت هذه العصور بظلامها كل تطور أو رقى لدى المرأة والرجل والمجتمع بشكل عام. هؤلاء يرون الحجاب قيدا للمرأة ومانعا لها من التقدم أو الرقى فى حين ان الرؤية الاسلامية للحجاب انه شُرّع اساسا ليعطى المرأة حرية الانطلاق الى المجتمع للعمل أو للتعلم أو لقضاء حوائجها وكل مافى الامر انه صيانة للمجتمع عن التمحور حول الشهوات فالاسلام يريد ان يكون خروجها الى الحياة الاجتماعية انسانيا لا يرتكز على اثارة الفتنة أو تهييج الشهوات.

5 – هناک من لا يرى الحجاب فرضا الهيا بل هو صورة للهيمنة الذكورية!!، ولا ادرى هل هم يعتقدون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاء بفرض الحجاب – والعياذ بالله – من تلقاء نفسه؟، وهذا هجوم ساحق على كل عقائد المسلمين والتى تؤمن جميعها ان القرآن كلام الله لم

يدخله اى تحريف!! ولا ادرى كيف استمرت هذه الهيمنة حتى عصرنا الحالى عصر الانفتاح والتحرر!! حيث تخوض المرأة المسلمة معركة ضارية من اجل صيانة الحجاب بل قدمت النساء المسلمات المعاصرات تضحيات جمة فى هذا السبيل ومعظم المحاميات عن الحجاب العصرى يمثلن الثلة المثقفة للنساء والتى تبدأ من اعلى المناصب البرلمانية نزولا الى الدوائر الاخرى.

ولا يحتاج الامر الى نقاش فمادام الامر بالحجاب من الله تعالى خالق الانسان وهو العدل المطلق فاذاً لا هيمنة ولا سيطرة بل هو تنظيم لشؤون المجتمع الانسانى للوصول الى المجتمع السليم الذى لا تسوقه الشهوات.

ويمثل الحجاب مصدر قلق للعلمانيين لانه علامة على التمسک بالاصالة والحفاظ على الهوية والماهيّة كما انه يمثل اكبر تحدٍ للعلمانية التى كانت ومازالت تنفق الاموال وتوجه الاعلام لاقصاء الدين عن الوعى الانسانى، على اننا نجد انه رغم التضييق على الحجاب وانتشار المد العلمانى والعولمى فأن الحجاب يزداد انتشارا وتزداد النساء وعيا ودفاعا وتضحية واستماتة من اجله مما يدل على انه قيمة انسانية لاصقة بالفطرة لارتباطه بالعفة وهى خلق ثابت.

وقدعرف عن الزهراء عليها السلام شدة التستر ونورد هذه الروايات:

عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال على عليه السلام: استأذن أعمى على فاطمة عليها السلام فحجبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لها: لم حجبته وهو لا يراک؟ فقلت عليها السلام: إن لم

يكن يرانى فإنى أراه وهو يشم الريح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أشهد أنک بضعة منى.

فالمنطلق هنا امران:

الاول: هو الامر الالهى بأن ترتدى المرأة الحجاب امام الرجل الاجنبى وهنا كان الرجل حاضـرا وان كان لايرى وهذا يدل على طاعة الامر الالهى.

امـا الامـر الثـانى: فهو الشـعور الـداخلى انهـا امرأة امـام رجـل اجنبى وعليها ان تتحجب حتى لو كان هناک من لا يرى وهنا عمق الوعى بالحجاب.

قال الامام على عليه السلام: زكاة الجمال، العفاف(1).

وفى خبر زفاف فاطمـة الزهراء عليها السـلام "فكان مما اشتروه: قميص بسـبعة دراهم، وخمارٌ بأربعـة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية، وعباءة قطوانية، و.. و..

وفى رواية: قال النبى لها: اى شىء خير للمرأة؟ قالت: ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض(2).

وهو دعوة صـريحة الى تجنب الاختلاـط الـذى لا مبرر له، ولكنه لا يمثل دعوة الى حجر المرأة بين الجـدران الاربعـة ابـدا! فالزهراء عليها السـلام حضرت مغازى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى احد والخندق، والقت خطبتها فى المسجد النبوى وجلست فى بيت الاحزان اياما واسابيع والمعنى واضح..

1- (1) (غرر الحكم، الفصل 37، الرواية 5).
2- (2) (مناقب آل ابى طالب - ابن شهر آشوب ج 3 ص 119).

فقول الزهراء عليها السلام هوكناية عن التستر والابتعاد عن كل مواضع الفتنة والاختلاط الزائد، واذكر انه كانت لى صديقة ترفض العمل فى وسط فيه رجال لا لشيءٍ الا الخوف من تأثرها بهم قبل الخوف من تأثرهم بها ربما بالفكرة والخاطرة!.

وعن الفضيل، عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وما كان خمارها إلا هكذا: وأومأ بيده إلى وسط عضده...(1)

وروى ابن بطريق (رحمه الله) أيضاً فى كتاب المستدرک عن كتاب حلية الأولياء (42:2) عن الحافظ أبى نعيم بإسناده عن عمران بن حصين أنّ النبىّ (صلى الله عليه وآله) قال: ألا تنطلق بنا نعود فاطمة فإنّها تشتكى؟ قلت: بلى.

فانطلقنا إلى أن انتهينا إلى بابها فسلّم واستأذن لى، فقال: أدخل أنا ومن معى؟

قالت: نعم ومن معک يا أبتاه، فوالله ما علىّ إلاّ عباءة.

فقال لها: أصنعى بها كذا واصنعى بها كذا فعلّمها كيف تستتر.

فقالت: والله ما على رأسى من خمار.

قال: فأخذ خرقة ملاءة كانت عليه [فرمى بها اليها] فقال: اختمرى بها ثمّ أذنت لهما فدخلا(2).

ولما دخلت المسجد لإلقاء خطبتها كانت كما روى العلامة الطبرسى فى

1- (1) (مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسى ص 93).
2- (2) (ابن بطريق فى كتاب المستدرک عن كتاب حلية الأولياء (42:2).

كتـابه الاحتجاج بسـنده عن عبـد الله بن الحسن [هو عبـد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن طالب (عليهم السـلام)] باسـناده عن آبائه (عليهم السـلام): انه لما أجمع [أى أحكم النية والعزيمة] أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكا وبلغها ذلک لاثت [أى لفته] خمارها [الخِمار: المقنعة، سـميت بذلک لان الرأس يخمر بها أى يغطى] على رأسـها، واشـتملت [اشـتمال الشىء جعله شاملا ومحيطا لنفسه] بجلبابها [الجلباب: الرداء والازار] واقبلت فى لمـة [أى جماعـة وفى بعض النسخ فى لميمة بصـيغة التصـغير أى فى جماعـة قليلـة] من حفـدتها [الحَفَدَة: الاعوان والخـدم] ونساء قومها تطأ ذيولها [أى ان اثوابها كانت طويلة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشـى] ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله) [الخُرم: البرک، النقص، والعدول] حتى دخلت على أبى بكر وهو فى حشد [أى جماعة] من المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت [أى علقت] دونها ملاءة [الملاءة الازار] فجلست... الى آخر الخطبة.

تطأ ذيولها [أى ان اثوابها كانت طويلـة تستر قدميها فكانت تطأها عند المشـى وهذا دليل على ان ثوبها كان عريضا فضـفاضا لا يحكى عن معالم الجسم، ولانه كان كذلک كانت عليها السلام تطاؤه بقدمها ولو كان ضيقا لكان له ذيل واحد. وسنواصل الكلام عن هذه الصورة عند الحديث عن قيم المظهر الخارجى.

2 - القيم الاجتماعية

اشارة

وهى تنطلق من تعامل الفرد مع المجتمع الكبير وموقفه من الجماعة الانسانية من قبيل الاهتمام بالاخرين وحبهم ومساعدتهم وتنمية العطف والحنان والايثار وخدمة الغير والاحساس بالمسؤولية الاجتماعية، والذين يتميزون بهذه القيمة يتميزون ايضا بالعطف والحنان والايثار وخدمة الغير ويجدون فى ذلک اشباعا لهم وينظرون الى غيرهم على انهم غايات وليسوا وسائل لغايات اخرى(1).

ويرى سبرينجر" أن القيم الاجتماعية فى أنقى صورها تتجرد عن الذات وتقترب جدا من القيم الدينية".

ولا ننسى ان الاسلام جاء بقيم جديدة اهمها على الصعيد الاجتماعى:

احترام المرأة واكرامها بنتا وامّاً وزوجة وعضوا فى المجتمع وانسانا كالرجل تماما لا تنتقص انسانيتها على اساس الجنس ابدا بل هى متساوية مع الرجل تماما فى الحقوق والواجبات والحساب والثواب والعقاب وان ظهر

1- (1) (سهير كامل احمد، سيكولوجية الشخصية نقلا عن الزهران ص 155).

تفـاوت جزئی فأنمـا یعود الی الخصـائص الفسـیولوجیة لکـل منهما ومتطلبات المجتمع، وهـذا ما افرز قیم رعایـة المرأة باعتبارها نصـف المجتمع فی تعداده وکل المجتمع فی تربیته.

2 – احترام الاطفـال ومحبتهم واکرامهم فهم بشـر لهم الحقوق الانسانیـة کاملـة، وفی تربیتهم ما لا یعـد من الاجر والثواب، وهـذا الاکرام والاـحترام یسـاهم فی دعم شخصـیاتهم ونموهم نموا انسانیا سـلیما، وبهـذا کان الاسـلام هو اول من دعا الی رعایـة الطفل ووضع له قیمة اجتماعیة وانسانیة ودعا الی الاهتمام بشأنه.

3 – احترام شـرائح المجتمع الاـخری من قبیـل الطبقات الفقیرة والمستضـعفین وکـذلک الجالیات والاقلیات الدینیـة والعرقیـة والمـذهبیة والخادم الذی یخدم غیره من الانسان وغیرهم من العاملین بمختلف الوظائف فهم بشر یستحقون الاکرام والاحترام لانسانیتهم کما قال امیر المؤمنین علیه السلام فی عهده لمالک الاشتر:

(فإنّهم صنفان: إمّا أخ لک فی الدین، أو نظیر لک فی الخلق).

وقد مررنا علی بعض القیم التی رسختها الزهراء علیها السلام فی الجانب الاحتماعی والتی تکاد تحولت الی سنن واهمها:

ا – الزواج سـنة، فالی فترة ماقبل الاسـلام کانت مریم علیها السـلام هی أنموذج المرأة الکاملة وکانت عابدة منصـرفة عن الدنیا ولم تتزوج، مما مهد لنشر صورة العزوبیة المقرونة بالکمال، لنتأمل هذا الحدیث:

روى الكلينى بسند صحيح عن عبد الصمد بن بشير، قال: «دخلت امرأة على أبى عبد الله عليه السلام فقالت: أصلحک الله إنى امرأة متبتلة، فقال: وما التبتل عندک؟ فقالت: لا أتزوج، قال: ولم؟ قالت: ألتمس بذلک الفضل، فقال انصرفى فلو كان ذلک فضلا لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منک، أما إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»(1).

وهذا دليل على ترسخ فكرة الكمال مع الرهبنة والعزوبية فكان لابد من تصحيح المفهوم وضرب المثل والنموذج فى صورة حية حاضرة ومقدسة. ونفس الشىء يقال عن الرجال فقد كان عيسى عليه السلام آخر نبى قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن متزوجا وكذلک كان يحيى عليه السلام ولهذا جاء التصدى من قبل رسول الله بالقول: الزواج سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى.

ب – الاسرة كيان مقدس ومحبب الى الله تعالى.

وهذا ما نلحظه من عناية الزهراء عليها السلام بأُسرتها بحيث استغرقت كل اهتمامها ورعايتها.

ج – المهر القليل فى الزواج.

د – الكفاءة حسب الدين والاخلاق.

ذ – تقسيم أعمال الحياة الزوجية.

وقد مررنا على اهم القيم فى الجانب الاجتماعى من خلال حياتها

1- (1) (الكافى ج 5 ص 509 ح 3 باب كراهية أن تتبتل النساء ويعطلن أنفسهن).

الزوجية وتربيتها لأولادها.

اما باقى القيم الاجتماعية فهى:

1 - بر الوالدين

وهى من اقدس العلاقات وقد تحدثنا عنها سابقا واشرنا الى ذلک من خلال علاقتها بأبيها وقبلاً بأمها السيدة خديجة رضى الله عنها ولا بأس ببعض الامثلة:

- وجاءته (اى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) فى حفر الخندق بكسرة من خبز فرفعتها اليه فقال: ما هذه يا فاطمة؟ قالت: من قرص اختبزته لابنىّ جئتک منه بهذه الكسرة، فقال: يا بُنيّة: أما إنّها لأوّل طعام دخل فم أبيک منذ ثلاثة أيّام.

- عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسين، عن أبيه الحسين بن على، عن أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت: لما نزلت على النبى صلى الله عليه وآله «لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً» قالت فاطمة فتهيبت النبى صلى الله عليه وآله أن أقول له: يا أبه، فجعلت أقول له يا رسول الله، فأقبل علىَّ فقال لى: يا بنية لم تنزل فيک ولا فى أهلک من قبل، أنت منى وأنا منک، وإنما نزلت فى أهل الجفاء والبذخ والكبر، قولى: يا أبه، فإنه أحب للقلب وأرضى للرب. ثم قبّل النبى صلى الله عليه وآله جبهتى، ومسحنى بريقه، فما احتجت

إلى طيب بعده(1).

ان علاقة الزهراء عليها السلام بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وماكانت تختصه به من احترام هوعلامة صادقة على بر الوالدين، وهذا شيء لم يُراعَ فى الجاهلية وركزت عليه القيم الاسلامية.

2 - صلة الرحم

من قبيل ما ذكرناه فى الدور الاجتماعى من اعانتها لزوجة جعفر بن ابى طالب.. ففى الرواية:

- ولمّا استشهد جعفر بن أبى طالب فى مؤتة أمرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تتخذ لأَسماء بنت عميس طعاماً ثلاثة أيام، فجرت بذلك السُنّة، وأمرها أن تقيم عندها ثلاثة أيام هى ونساؤها لتسليها عن المصيبة ثم اصبحت تلك سُنَّة عامة(2).

وحبها لاختها امامة وغير ذلك.

3 - محبة الناس واحترامهم

وتعنى تنمية العلاقة بين الفرد والاخرين من ابناء المجتمع وتقديم المساعدات للمحتاجين منهم ومشاركتهم فى السراء والضراء، وهذا يعنى ان الفرد لا يعيش منزويا عن المجتمع بل هو يتفاعل معه ويعيش اوضاعه ويشارک

1- (1) (المناقب، لابن المغازلى، ص 364).

2- (2) (على موسى الكعبى سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ص 81 نقلا عن المحاسن للبرقى).

الاخرين افراحهم واحزانهم.

فهـذا ابنها الإمام الحسن عليه السـلام يحدّثنا قائلاً: "رأيت أمى فاطمة عليها السـلام قامت فى محرابها ليلة جُمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصـبح، وسـمعتها تدعو للمؤمنين وتسـميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسـها بشـىء، فقلت لها: يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسک كما تدعين لغيرک، فقالت: يا بنى الجار ثم الدار(1).

وقد مرَّ علينا فيما سبق جملة من نشاطها الاجتماعى.

والـذى اريد ان اقوله ان الفرد فى الجاهلية كان يعيش هَّم نفسه وقبيلته ولم يُبالِ بالآخرين سواء احتراما أو اهتماما!، فكانت مواقف آل البيت عليهم السـلام فى مساعدة الناس والاهتمام بشؤونهم قد ساعدت على ترسيخ القيم النبيلة من قبيل قيم الايثار والتضحية بالمصالح الخاصة من اجل المصالـح العامة. كما فى اجابتها لاسـئلة السائلة المتكررة مع تشـجيعها على السؤال (ذكرناها فى الدور الثقافى) وفى اعانة الناس ومساعدتهم ومواساتهم فى الفقر والانفاق عليهم واحترامها لخادمتها... وروى الطبرى والراوندى بالاسـناد عن سـلمان رضـى الله عنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير، والحسين فى ناحية الدار يبكى من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاک وهذه فضّة؟

فقالت: «أوصانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون الخدمة

1- (1) (البحار، ج: 43، ص: 253. وعوالم الزهراء، ص: 225، نقلاً عن علل الشرائع).

لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها..»(1).

4 - الكرم والعطاء

وتقديم العون للاخرين دون انتظار لجائزة أو هدية «إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَ لا شُكُوراً» . فصداق فدک كان للفقراء من المسلمين وأهل الصُّفَّة وتبرعها عليها السلام بالقلادة والسوارين الى غير ذلک مما عرضنا له آنفا.

يقول غريغ اندرسون فى كتابه مبادئ الحياة السليمة:

(ان رسالتک فى الحياة تصبح مفعمة من خلال تقدمة الخدمة التى هى فكرة العناية بالآخرين.. وان افضل طريقة نستطيع بها اتمام افضل مستوى من العيش السليم يتم عن طريق خدمة الآخرين، لا يقاس النجاح فى الحياة بطول العمر أو بالثروة أو الامتيازات أو بالسيطرة، فالناس الذين يسيرون رحلة العيش السليم يقيسون النجاح بالخدمة وبالدرجة التى نساعد بها الآخرين(2).

وقد نشرت bbc تحت عنوان الإحسان" يجعلک أكثر سعادة":

يقول باحثون كنديون إن جنى مبالغ طائلة من الأموال لا يجلب السعادة للإنسان، بل مايعزز شعوره بالسعادة هو إنفاق المال على الآخرين.

ويقول فريق الباحثين فى جامعة بريتيش كولومبيا إن إنفاق أى مبلغ

1- (1) (دلائل الإمامة: 140l48. والخرائج والجرائح 530l2:6. وبحار الأنوار 28l43:33).

2- (2) (اندرسون، غريغ، ترجمة د. قيصر زحكا، مبادى الحياة السليمة ص 105).

على الآخرين ولو كان خمسة دولارات فقط يبعث السعادة فى النفس.

وتقول البروفيسور إليزابيث دان التى ترأست الفريق" إن كيفية إنفاق الناس لأموالهم هى على الأقل على نفس القدر من الأهمية ككيفية كسبهم لهذه الأموال".

وتضيف" بغض النظر عن حجم الدخل الذى يحصل عليه الفرد فإن أولئک الذين أنفقوا أموالاً على آخرين كانوا أكثر سعادة من أولئک الذين أنفقوا أكثر على أنفسهم".

ويوصى العلماء المعاصرون الاشخاص الذين يعانون من القلق المزمن بان يساعدوا الاخرين للتخلص من قلقهم!!.

والملاحظ ان الزهراء عليها السلام كانت قد جعلت فى وصيتها انها(1) قد جعلت لجميعهن هذا القدر رغم انهن كن متباينات فى محبتها عليها السلام ومودتها، وكانت ام سلمة رضى الله عنها اكثر نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولاءً لاهل البيت عليهم السلام.

5 - الايثار

هو تقديم الغير من المؤمنين على النفس فى المال أو الراحة أو ما إلى ذلک من نعم الله، وهو أرفع درجات الجود والسخاء، لأن الإنسان فيه يجود بالشيء وهو محتاج إليه. والإيثار هو أن يقدم الإنسان حاجة غيره من الناس

1- (1) (أوصت لأزواج النبى لكل واحدة منهن اثنتى عشرة أوقية (البحار: 43l192).

على حاجته، برغم احتياجه لما يبذله، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروى سواه.

والايثار (سلوک إرادى تطوعى، كما أنه هدف فى حد ذاته بقصد خير الآخرين وثواب الآخرة، وهو مبدأ اعتقادى خلقى، ويشمل هذا السلوک التمسک بالأخلاق، والمشاركة الاجتماعية، وتحمل المسؤولية تجاه الآخرين، واحترام مشاعر وسعادة الآخرين، والثقة والحب وقد أطلق عليه بعض علماء الغرب اسم [الغيرية]) وهو دليل على تفضيل المصلحة العليا أو العامة أو مصلحة الجماعة على المصلحة الخاصة، وهو سلوک لا يخلو من مشقة لان الانسان يجود بما يحتاج اليه وفى وقت الضيق قربة الى الله تعالى فهو كشف لمدى العلاقة القوية مع الله والرغبة فى الاخرة، وهو يبتدأ من الشعور بالتعاطف تجاه الآخر ومن الشعور بالمسؤولية تجاه الآخر دون اى انتظار لأى جزاء دنيوى.

قال تعالى:«وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» 1 .

وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

والايثار يأتى بعد حصول حالة من التعاطف مع الشخص مما يعنى وجود بُعد ادراكى بأن هناک من هو محتاج للمساعدة كما ان هناک القدرة على

الاعانـة، الامر الـذى يساهم فى تحديـد الاسـتجابة المطلوبة. والايثار كالالتزامٍ خلقى ينضج منذ الطفولة من خلال العلاقة القوية بين الام والطفل، بالاضافة الى تعويد الذات على الضبط الداخلى والسيطرة على الشهوات.

وقـد يبادر الشـخص للايثار وهو على كره لمن يقدم له وقد يكون العطاء عن حب والحالة الاولى اعظم ثوابا لكن كلاهما مطلوبة فالمحرك للسلوك هنا هو الحس الانسانى.

والايثار عكس الاثرة فالأثرة: هى حب النفس، وتفضيلها على الآخرين، وهى صفة ذميمة تعبر عن الأنانية والفردية وحب الذات المفرط.

وايثار الزهراء عليها السـلام لا يقـدر بوصف بعـد ان نزل القرآن الكريم يمـدح اهل البيت عليهم السـلام فى سورة (هل اتى) وخلدت هذه الصورة بكل مافيها من سمو وعلو.

6 - تنمية الروح الجماعية والتعاون

وكشاهد على ذلك:

ذهابها عليها السلام مع ثلة من النساء الى ارض المعركة فى احد.

فهى لم تـذهب بمفردها وانما ارادت بهـذا الـذهاب الجماعى ان ترسم صورة واضـحة عن اهميـة التعاون بين الافراد خاصـة فى الحوادث الطارئـة التى تؤثر على المجتمع كله، وربما كانت النساء بحاجـة الى من يبعث فيهن الهمـة للـذهاب الى ارض المعركـة البعيدة نسبيا عن المسجد النبوى وربما جاء الامر

لتثبيت دور للمرأة المسلمة التى لم يكتب عليها القتال لكن الاعانة والمساعدة مطلوبة منها خاصة فى الكوارث الطبيعية والحروب.

كذلک ذهابها عليها السلام مع ثلة من النساء الى المسجد لما القت خطابها.

كذلک اسنادها عليها السلام جانب زوجة جعفر فى محنتها وهو امر جديد على المسلمين.

ومن مجمل ما عرضناه نصل الى رؤية اولية هى ان الزهراء عليها السلام كانت تحب الخير (يسارعون فى الخيرات) وتقدم العون للجميع، وهذا دليل على حبها للانسانية وبذلها كل ما فى الوسع لاعانتها فالنظرة الى الاخرين على انهم غاية انسانية تستحق الاعانة والخدمة والعطاء يساهم فى انسنة المجتمع عكس الرؤية التى تنظر اليهم كوسائل فانها تدفع الى استغلال الشرائح المستضعفة كالنساء والاطفال والجاليات من اجل تحقيق اكبر نسبة من المنافع المادية.

ص:757

3 - القيم المعرفية

اشارة

وهی التی تتضـمن الاهتمام بالعلم والمعرفـة والسـعی الی اکتشاف الحقیقة ومحاربة الامیة اضافة الی الابداع فی مجالات الحیاة المختلفة والسعی الی نشر الثقافة الصحیحة بین الناس مع تکریس حب العلم والعلماء وتقدیرهم.

ویقصد بهذه القیم اهتمام الفرد الی اکتشاف الحقیقة والتعرف علی العالم المحیط به والاشخاص الذین یضعون هذه القیم فی مستوی اعلی من غیرها بنظرة نقدیة معرفیة تنظیمیة یکونون عادة من العلماء(1).

وکانت اول آیات القرآن الکریم تدعو الی القراءة والتعلم «اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ» وتوالت الایات الداعیة الی الاهتمام بالعلم والعلماء، قال تعالی:

«قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ»2 .

وقال ایضا:«یَرْفَعِ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ

1- (1) (الزهران ص 125).

دَرَجاتٍ»1 .

وقال تعالى:«.. وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً»2 .

وقال تعالى:«إِنَّما یَخْشَی اللّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللّهَ عَزِیزٌ غَفُورٌ»3 .

وقال رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم:

«العلم نورٌ وضیاءٌ یقذفه اللهُ فی قلوب أولیائه، ونطق به علی لسانهم».

وقال الإمام علیّ علیه السلام: «العِلمُ مصباح العقل»(1).

وقال ایضا: «العِلمُ حجابٌ من الآفات»(2).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: علیکُمْ بِالعِلمِ قبلَ انْ یقبضَ وقبل انْ یُجمعَ وجَمعَ بینَ اصْبَعْیهِ الوسطی والَّتی تَلی الابهامَ ثُمَّ قال العالِمُ والمتعَلِّم شریکانِ فی الاجْرِ ولا خیرَ فی سائِرِ الناسِ بعدُ(3).

وقال أمیر المومنین علیه السلام الناسُ ثلاثة عالمٌ ربانیٌّ ومتعلمٌ علی سبیلِ النجاهِ وهَمجٌ رعاعٌ (4).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: باب من العلم یتعلّمه

1- (4) (غرر الحکم للآمدی: 32).

2- (5) (غرر الحکم: ح 720).

3- (6) (البحار ج 1 ص 176).

4- (7) (البحار ج 75 ص 9 وغررالحکم ج 2 ص 132).

الانسان خير له من الف ركعة تطوّعاً.

قـال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: رحم الله خلفائى فقيل: ومن خلفاؤک يا رسول الله؟ قال: الـذين يحيون سـنتى ويعلّمونها عباد الله(1).

وقال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: «تعلّموا العلم، فإنّ تعلّمَه حسـنة، ومُدارسـتَه تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمَه مَن لا يعلمه صدقـة، وبـذله لأهله قُربـة؛ لأنّه معالم الحلال والحرام، وسالکٌ بطالبه سُـبلَ الجنّـة، ومونسٌ فى الوحـدة، وصاحبٌ فى الغُربة، ودليلٌ على السـرّاء، وسلاح على الأعداء، وزَينُ الأخلاّء. يرفع الله به أقواماً يجعلهم فى الخير أئمّةً يُقتدى بهم، تُرمَق أعمالهم، وتُقتبس آثارهم، وترغب الملائكة فى خلّتهم؛ لأنّ العلم حياةُ القلوب، ونورُ الأبصار من العمى، وقوّة الأبدان من الضعف، ويُنْزل اللهُ حاملَه منازلَ الأحبّاء، ويمنحه مجالسةَ الأبرار فى الدنيا والآخرة.

بـالعلم يُطـاع الله ويُعبـد، وبـالعلم يُعرَف الله ويُوحَّد، وبه تُوصَـل الأرحام، ويُعرَف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل، والعقل يُلهِمه الله السعداء، ويَحرمه الأشقياء»(2).

وسنمر على اهم القيم المعرفية التى جسدتها الزهراء عليها السلام.

1 - محبة العلم والاهتمام به

كما فى الرواية:

1- (1) (المحجة البيضاء ج 2 ص 19).

2- (2) (تحف العقول لابن شعبة الحرّانى: 27، أمالى الصدوق: 713 / ح 982).

عن ابن مسعود، قال: جاء رجل إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترک رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندک شيئاً تطرفينيه، فقالت: «يا جارية، هاتى تلک الحريرة» فطلبتها فلم تجدها، فقالت: «ويحک اطلبيها، فانها تعدل عندى حسناً وحسيناً» فطلبتها فإذا هى قد قمّتها فى قمامتها، فإذا فيها: «قال محمد النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت. إنّ الله يحبّ الخيّر الحليم المتعفّف، ويبغض الفاحش الضنين السَّئآل الملحف. إنّ الحياء من الإيمان، والايمان فى الجنة، وإن الفحش من البذاء، والبذاء فى النار»(1).

وقد كانت الزهراء عليها السلام اعلم نساء زمانها بالقرآن فى كلماته وتفسيره ومعانيه بدليل حضورها المباهلة. وكانت قد شهدت نزول الوحى منذ صغرها فكانت محدِّثة نقلت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة ولم تحتج الى واسطة ونقلت احاديث عظيمة كحديث الثقلين.. وقد عُرفت ببلاغتها وفصاحتها ووعيها لمعانى الالفاظ وكانت قد قالت الشعر والقصيدة والحكمة والخطبة الى غير ذلک من فنون اللغة وهذا شيء نادر لم نجده حتى عند زوجات الرسول أو بقية نساء عصرها.

ولقد دعا القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى طلب

1- (1) (المعجم الكبير 413|22:1024. ودلائل الإمامة: 65|1).

العلم ولم يكن الانسان الجاهلى مكترثاً به وقد ساهمت الزهراء عليها السلام فى ترسيخ هذه القيمة فى الوسط النسوى (بل وحتى فى الوسط الرجالى) من خلال طرح نموذج المرأة العالمة الامر الذى جعل نساء الانصار يتسابقن لطلب العلم فظهرت نماذج النساء العالمات وراويات الحديث والمتفقهات فى الدين كما ساعدت الزهراء عليها السلام على توجيه انماط الفنون الادبية باتجاه الغايات الاسلامية بمعنى آخر اسلمة الشعر والادب والخطبة.

2 - النشر المعرفى

ونشر العلم والمعرفة بين النساء بل وحتى الرجال حيث تجيبهم على اسئلتهم، كما ان كثرة عدد الرواة الذين ينقلون الرواية عنها وعن أبيها لدلالة واضحة على انها عليها السلام لم تكن معزولة عن الناس وان الجميع كان يحب ان يتعلم منها ويأتى اليها ليسألها. ومن خلال الدور الثقافى يمكن التعرف على ماقامت به الزهراء عليها السلام فى النشر المعرفى.

3 - الابداع

الإبداع فى اللغة مشتق من الفعل بدع أو أبدع. وقد ورد معنى الإبداع فى كثير من معاجم اللغة، وابدع الشيء اى اخترعه لا على مثال، والله بديع السماوات والارض، وأبدع الشاعر جاء بالبديع، اما التعبير الاجرائى فهو يمثل القدرة العقلية التى تمكن الإنسان من انتاج (فكرة، وسيلة، أداة، طريقة..). لم تكن موجودة من قبل، أو تطوير رئيسى لها دون تقليد، بما يحقق نفعًا

للمجتمع، فهو عمل هادف يقود إلى (مختّرعات) أصيلة وغير معروفة سابقاً، اى إنتاج جديد يتوصل إليه الفرد من خلال تفاعله مع المثيرات البيئية المتاحة، ولابد أن تكون للفرد المبدع القابلية على فهم المشكلات وان يتمتع بفائض من الافكار (سيولة فكرية) التى يمكن استدعاؤها فى وقت واحد وبهذا فهو لايفكر تقليديا وانما يسعى للتغيير. ويتصف المبدعون بالقدرة على التأثير على الآخرين، وإقناعهم، وتوجيههم. ومن المظاهر القيادية التى يتصفون بها هى القدرة على التفكير، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات والالتزام بها، والثقة بالنفس، وركوب المخاطر إذا لزم الأمر، والعمل باستقلالية، والصدق مع النفس، والتوجه الإيجابى لمساعدة الآخرين عند الحاجة، والمبادرة، والاتزان والنضج الانفعالى، والإحساس بالمسؤولية وتحملها، والإحساس بآمال وآلام الآخرين، وقد كانت للزهراء عليها السلام ابداعات كثيرة وفى جوانب شتى:

فمجالسها لتعليم النساء كانت ابداعا جديدا.

ونعشها كان ابداعا. وهو أول نعش فى الإسلام.

والاسس التربوية التى اعتمدتها فى تربية اولادها كانت ابداعا.

وحياتها مع زوجها بما فيها من قيم وتسامى كانت ابداعا.

وايثارها وعطاؤها كان ابداعا.

ومطالبتها بفدک واتباعها وسائل سلمية ابقت الدين والشريعة محورا اساسيا لكنها حققت المطلوب كان ذلک ابداعا.

ص:763

واختيارها عليها السلام مسجد ابيها صلى الله عليه وآله وسلم لإلقاء خطابها فى وقت اجتماع الناس كان ابداعا.

وماجرى من قطيعة مع الشيخين والتذكير بالحزن والمظلومية فى بيت الاحزان كان ابداعا وهلمَّ جرّا.

روى إبراهيم بن محمد الثقفى: إن فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مسبحتها من خيط صوف مفتل معقود، عليه عدد التكبيرات، فكانت عليها السلام تديرها بيدها وتسبح إلى أن قتل حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء، فاستعملت تربته وعملت المسابيح، فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين عليه السلام عُدِلَ بالأمر إليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية بمعنى ان استعمال المسبحة من التراب كان ايضا ابداعا.

واهتمامها بتعليم خادمتها كان سُنّةً جديدة وابداعا.

واما خطبتها التى هى اول خطبة نسائية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانت قمة فى الابداع الادبى والعلمى والفنى.

ولأجل ان يكون الفرد مبدعاً لابد ان يبدأ فى تحريک قواه العقلية وتوجيه طاقاته الكامنة نحو انتاج اشياء جديدة.

والابداع يكشف عن الذكاء العالى وعن كيفية توظيف القدرات العقلية والفكرية تجاه القضايا الاسلامية كما هو الحال فى الاليات التى اتبعتها عليها السلام فى المطالبة بحقها فى فدک وفى الدفاع عن الولاية ومما عرضناه فى ادوارها المختلفة تظهر لنا مواهبها العقلية.

كما ان اهتمامها عليها السلام بتجميع الاخبار والمعلومات فى مصحف فاطمة دون ان تُهمل منه شيئا دليل على عمق نظرها وسعة فكرها.

لقـد كانت الزهراء عليها السـلام تحمل انواع الـذكاءات المطلوبـة التى تعرفنا عليها فى عصـرنا بفضل التطور العلمى، فالذكاء اللغوى كان واضـحا من خطبتها والـذكاء الاجتماعى كان مَعلما من معالم شخصـيتها فهى تجيـد التعامل مع المحسن والمسـىء والمذنب والمسـلم والكبير والصغير ومن هو معها فى خطها ومن يضمر العداء والحقد لها ولبيتها، ثم ذكاؤها العاطفى الذى وجهته فى البداية نحو ابيها وبانت ملامحه للناس من خلال تحويل الحزن وتوجيه العاطفـة صوب المطالب الحقـة التى حملتها وكل هـذه الامور تظهر مواهبها العقلية وهى تحكى عن كمال إمرأة... وهى رسالة موجهة الى النساء ان يكنَّ على نهجها وسيرتها.

ص:765

4 - القيم السياسية

اشارة

ونعنى بها القيم التى تعبر عن اهتمام الفرد بالنشاط السياسى والعمل السياسى وحل مشكلات الجماهير. ويتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالقيادة فى نواحى الحياة المختلفة ويتصفون بالقدرة على توجيه غيرهم(1) واهم هذه القيم:

1 - الحرية

قال ابن منظور فى لسان العرب:

والحر بالضم نقيض العبد، والجمع أحرار وحرار... والحرة: نقيض الأمة، والجمع حرائر». والحر من الناس أخيارهم وأفضلهم، وحرية العرب: أشرافهم، والحرة الكريمة من النساء، والحر يعنى أيضا الفعل الحسن، يقال: ما هذا منك بحر، أى بحسن ولا جميل. ويقابل مفهوم الحر العبد، وهو الإنسان

1- (1) (الزهران علم النفس الاجتماعى ص 125)

المملوک، وفی حدیث: «لا یقل أحدکم لمملوکه عبدی وأمتی، ولیقل فتای وفتاتی» تحاشیا للاستکبار علیهم، ونسب عبودیتهم إلیه.

والحریة فی الاسلام تارة تکون بمعنی مقابل العبودیة وتارة بمعنی الاختیار والقبول والرضا وایا کان المفهوم فانه لا یعنی الغاء المسؤولیة بل یعنی ان الحر یؤدی مسؤلیاته کاملة، فهو یعرف ماله وما علیه من حقوق وواجبات، وفی نفس الوقت فأن حریته لا تلحق ضرراً بأحد، (شرورهم مامونة) فالاسلام حرر الناس من القیود والاغلال النفسیة والاجتماعیة والمادیة وحررهم ذاتیا واجتماعیا من خلال توجیه العبودیة نحو الله تعالی وحده.

والحریة جزء من حیاة الانسان ومن اجلها یحیی ویجاهد ویناضل، والحریات فی الاسلام کثیرة منها الحریة الشخصیة وحریة الملکیة وحریة الاعتقاد والتعبیر عن الرأی والتصرف فی الاموال والحریات السیاسیة تخول الفرد المشارکة السیاسیة والانتخاب والتصویت والی غیر ذلک.

والزهراء علیها السلام رائدة التحرر سواء فی مواقفها الکثیرة التی عرضناها ویمکن ان نقسمها الی قسمین:

القسم الاول یضم جملة ما قدمناه فی ادوارها السابقة من قبیل انفاقها الذی بارکته السماء فی سورة (هل اتی) وفی غیره من الانفاق والتصدق والکرم فلولا انها کانت تملک حریتها فی اموالها لما وضعت اموال فدک مثلا صدقة لفقراء المسلمین.

اما القسم الثانی فهو حریتها فی الرأی والتعبیر والدفاع عن الحق فهی لم

تسكت على الظلم ولم تتردد فى المطالبة وبكل جرأة فالحرية تمثل كرامة الانسان فى ان يقول كلمته ويعلن صرخته

والمراد بالحرية السياسية ان يكون لكل انسان ذى اهلية الحق فى الاشتراك فى توجيه سياسة الدولة من الخارج والداخل وفى ادارتها ومراقبة السلطات التنفيذية فالحرية السياسية متاحة للجميع فى ظل الاسلام من خلال المشاركة السياسية والنقد السياسى والتوجيه السياسى والممارسة السياسية والمعارضة السياسية لأن الاسلام يبنى المواطن الايجابى الفاعل فى بيئته ومجتمعه (د. عبد الفتاح، اسماعيل، القيم السياسية فى الاسلام ص 111) فكيف اذا كان هذا المواطن معصوما؟!.

فمواقفها عليها السلام البطولية مع الشيخين واختيارها لبيت الاحزان كان تعبيراً حُرّاً عن رفضها لما قام به الشيخان بل ان المطالبة بفدك وبالولاية كان بحد ذاته موقفا حرا صامدا ثابتا وقد قالت كلمتها بحرية مطلقة.. ولانكاد نجد ابداعا واضحا فى عالمنا الاسلامى لسيادة لغة القهر والاذلال مما يجعل العقل نفسه جامدا اذ ان واحداً من عوامل الابدع هو التحرر والشعور بالحرية والاستقلالية.

2 - العدالة

العدل ضد الظلم، وهو مناعة نفسية، تردع صاحبها عن الظلم، وتحفّزه على العدل، وأداء الحقوق والواجبات. والعدل اعطاء كل ذى حق حقه قال تعالى:

«إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ»1 .

وقال عز وجل:«إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ»2 .

والعدالة تمثل قمة الهرم القيمى فى الحضارة الاسلامية التى جعلت من مبدأ العدالة المحور الذى يسيطر على جميع ابعاد الحركة ويتحكم فى جميع ابعاد التطور، ولقد اصبحت العدالة هى المبدأ الاسمى الذى تسعى الجماعة السياسية الى تحقيقه.(1)

وروى الطبرى والراوندى بالاسناد عن سلمان رضى الله عنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسة قدامها رحى تطحن بها الشعير وعلى عمود الرحى دم سائل، والحسين فى ناحية الدار يبكى من الجوع. فقلت: يا بنت رسول الله، دبرت كفاك وهذه فضّة؟

فقالت: «أوصانى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تكون الخدمة لها يوماً، فكان أمس يوم خدمتها..»(2).

فى الرواية: دخل النبىّ (صلى الله عليه وآله) ذات ليلة بيت فاطمة (عليها السلام) ومعه الحسن والحسين عليهما السلام، فقال لهما النبىّ (صلى الله عليه وآله): قوما فاصطرعا، فقاما ليصطرعا وقد خرجت فاطمة صلوات

1- (3) (القيم السياسية فى الاسلام ص 46).

2- (4) (دلائل الإمامة: 140l48. والخرائج والجرائح 530l2:6. وبحار الأنوار 28l43:33).

الله عليها فی بعض خدمتها، فدخلت، فسمعت النبیّ (صلی الله علیه وآله) وهو، یقول: ایه یا حسن شدّ علی الحسین، فأصرعه، فقالت له: یا أبه واعجباه أتشجّع هذا علی هذا؟ تشجّع الکبیر علی الصّغیر؟

فقال لها: یا بنیّة أما ترضین أن أقول أنا: یا حسن شدّ علی الحسین، فأصرعه وهذا حبیبی جبرئیل (علیه السلام) یقول: یا حسین شدّ علی الحسن، فأصرعه.(1)

والعدالة هی التی تصون الحریة اذ لاحریة لامة مستعبدة، وکلما ترسخت العدالة شعر الناس بالکرامة والمساواة مما یعزز عندهم الشعور بالانتماء. وضمن مفهوم العدالة یدخل مفهوم العدالة الاجتماعیة والتی ارسی قواعدها الاسلام بشکل لا نظیر له.

والعدل عکس الظلم والذی هو من القبائح وهو وضع الشیء فی غیر موضعه، فالشرک ظلم عظیم، لجعله موضع التوحید عند المشرکین.

قال تعالی:«إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظّالِمُونَ»2 .

وقال تعالی:«وَ لا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا یَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنَّما یُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِیهِ الْأَبْصارُ»3 .

وقال سبحانه:«وَ لَوْ أَنَّ لِکُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِی الْأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ

1- (1) (بحار الأنوار 189:100، ومستدرک الوسائل 517:2).

وَ أَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا یُظْلَمُونَ» 1 .

قال الصادق علیه السلام: «العامل بالظلم، والمعین له، والراضی به، شرکاء ثلاثتهم»(1).

عن ابن محبوب، عن إسحاق بن عمار، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن الله عزوجل أوحی إلی نبی من أنبیائه فی مملکة جبار من الجبارین أن ائت هذا الجبار فقل له: إننی لم أستعملک علی سفک الدماء واتخاذ الاموال وإنما استعملتک لتکف عنی أصوات المظلومین، فإنّی لم أدع ظلامتهم وإن کانوا کفارا(2).

وقال أمیر المؤمنین علیه السلام: «واللّه لو أعطیت الأقالیم السبعة بما تحت أفلاکها، علی ان أعصی اللّه فی نملة أسلبها جُلب شعیرةٍ ما فعلت، وإن دنیاکم لأهون علیّ من ورقة فی فم جرادة، ما لعلیّ ونعیم یفنی ولذة لا تبقی»(3).

وما وجدنا فی سیرة الزهراء علیها السلام من ظلم لخادم أو قریب أو زوج ابدا وانی یکون ذلک وهی المعصومة المطهرة من کل الرذائل؟

- حدثنا أحمد بن یحیی الصوفی، عن عبد الرحمن بن دبیس، عن بشیر بن زیاد، عن عبد الله بن حسن، عن أمه، عن فاطمة الکبری علیها السلام،

1- (2) (الکافی ج 2 ص 333 ح 16).
2- (3) (نفس المصدر ح 14).
3- (4) (نهج البلاغة: ص 347 الخطبة 224).

قالت: قال رسول الله صـلى الله عليه وآله: ما التقى جنـدان ظالمان إلا تخلى الله منهما، فلم يبال أيهما غلب، وما التقى جندان ظالمان إلا كانت الدائرة على أعتاهم.

وذكرنا ان السـيد الشهيد الصدر ينظر الى ادوار الائمة فى الحياة السياسية على انها تدور فى اربعة محاور اولها تربية الامة على كراهة الظلم وهذا الدور الجامع لكل الائمة عليهم السـلام تبتدأه الزهراء عليها السـلام من خلال انها اول من ظُلمت من اهل البيت عليهم السـلام مع زوجهـا امير المؤمنين عليه السـلام ومن خلالـ انهـا اول من اعلنت مظلوميتهـا وانهـا عرّفت الامـة بهـا ثم طالبت بالعـدل من أبى بكر فى خطبتها:

ثم قالت عليها السـلام: ايها الناس اعلموا، انى فاطمة وأبى محمد (صلى الله عليه وآله) اقول عودا وبدوا، ولا اقول ما اقول غلطاً، ولا افعل ما افعل شـططا [الشَّطَط: هو البعـد عن الحق ومجاوزة الحد فى كل شـىء] لقد جاءكم رسول من انفسـكم عزيز عليه ما عنتم [عنتم: انكرتم وجحدتم] حريص عليكم بالمؤمنين روؤف رحيم.

وكـذلک فى محاججتها مع الشـيخ وفى التعريف بمظلومية زوجها عليها السـلام كما اشـرنا الى ذلک سابقا. فمحاججتها الخليفة انما كان لتعريف الناس بالظلم الذى حصل وبالخروج عن خط العدالة عند من يدعى العدل والعدالة، ولقد كان اهتمام الائمة عليهم السلام ينصب على توجيه الناس نحو رفض الظلم وبغضه ونصرة المظلوم، وجل اهل البيت عليهم السلام

كـانوا مظلومين وجل الحكام والملوك الـذين عاصـروهم كانوا ظالمين لكن بدايـة مسـيرة المظلوميـة كانت من الزهراء عليها السـلام التى اشعرت الامة بمظلوميتها ومظلومية زوجها عليها السلام فاستقرت صورة فاطمة المظلومة فى الوجدان الشعبى مما ساهم فى تشديد الحقد على الظالمين وتأجيج الثورات عليهم.

3 - المساواة

اكد الاسـلام على مبدأ المساواة بين المسلمين فى الحقوق والواجبات وان ليس هناک افضلية لعربى على اعجمى الا بالتقوى «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ» وكذلک بالعلم والعمل الصالح فهذه امور التفاضل بين الناس. وقد عاشت الزهراء عليها السـلام كباقى الناس ليس هناک مايميزها عنهم الا ذاتها الربانيـة وايمانها وعلمها وكرمها ونسـبها العظيم فكانت عليها السـلام فى ثيابها وبيتها المتواضع لا تكاد تُعرف انها ابنة الرسول والنبى الخاتم واحب الخلق الى الله، كانت عليها السـلام كبقية المسـلمين وقد عاشت بؤسـهم وفرحهم وحزنهم وضيق الحياة عليهم وتعبهم والى غير ذلک.

عن جابر الأنصارى: رأى النبىّ صـلى الله عليه وآله فاطمـة عليها السـلام وعليها كساء من أجلـة الإبل وهى تطحن بيـديها، وترضع ولدها، فـدمعت عينا رسول الله صـلى الله عليه وآله فقال: يا بنتاه، تعجّلى مرارة الـدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه، فأنزل الله:«وَ لَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضى» 1 .

ص:773

وعن عليٍّ (عليه السلام) قال: «إنّ الزهراء استقت بالقربة حتى أثّرت فى صدرها، وطحنت بالرّحى حتى مجلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبّرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتّى دكنت ثيابها، فأصابها من أجل ذلک ضرر شديد» فقال لها علىّ (عليه السلام) يوماً: «لو أتيت أباک، فسألتيهِ خادماً»؟ فجاءت فوجدت عنده قوماً فاستحت وعادت..(1)

ولايفوتنا ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو واحد من اقوى القيم السياسية حيث ان الطاغوت هو المنكر الاكبر الذى يجب ازاحته.

1- (1) (علل الشرائع للشيخ الصدوق: 366 / ح 1، ذخائر العقبى لمحبّ الدين الطبرى: 50، حلية الأولياء لأبى نُعَيم 1:70.. وغيرها. مَجَلَت: تقرّحت من العمل، وتكوّن ماء بين الجلد واللحم. دَكِنَت: اسودّت).

5 - القيم الاخلاقية

اشارة

وقد بُعث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتمم مكارم الاخلاق فاقرَّ اخلاقا ونبذ اخرى وجعل حسن الخلق ميزة للقرب منه صلى الله عليه وآله وسلم، وقد مدح القرآن خلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

«وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ» 1 .

ولا نستطيع فى عجالة ان نلم بكل مكارم اخلاقها عليها السلام وقد ذكرنا الايثار والتعاون والتواضع والخلق الحسن والعدالة والتعاون والكرم والقناعة والرضا والصبروالتصبر وغيره فى مواضع مختلفة من هذا الكتاب، وهى قيم مشتركة وسأمر على قيمة واحدة هى الصدق للاختصار.

قيمة الصدق

وهو: مطابقة القول للواقع.

قال تعالى:«وَ الَّذِی جاءَ بِالصِّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أُولئِکَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33)

لَهُمْ ما يَشاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِکَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ» 1 .

وقال النبى صلى الله عليه وآله: «زينة الحديث الصدق».

وعن سيدة نساء العالمين عليها السلام قالت عائشة: (ما رأيت احداً كان اصدق لهجة منها إلا ان يكون الذى ولدها)(1).

ولهـذا سـميت بالصديقـة والصدّيقـة وهى صـيغة مبالغـة فى الصدق والتصديق، وقد عرفت الزهراء عليها السـلام بالصديقة، وهو واحد من مقاماتها الساميـة والصديقـة الكبرى، أى كانت كثيرة التصديق لما جاء به أبوها صـلى الله عليه وآله وسـلم وقويّة الإيمان به، كما انّها كانت صادقة فى جميع أقوالها بأفعالها(2).

روى الشيخ الكلينى باسناده عن على بن جعفر، عن أخيه أبى الحسن عليه السلام، قال: (إنّ فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة)(3).

وأخرج المحبُّ الطبرى فى (الرياض النضـرة) أنّ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم قال للإمام على عليه السلام: (أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحـد ولا أنا: أوتيتَ صـهراً مثلى، ولم أوت أنا مثلك، وأوتيت زوجـة صديقة مثل ابنتى ولم أُوت مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسـين من صلبك ولم أوت من صلبى مثلهما، ولكنكم منى وأنا منكم)(4).

1- (2) (مستدرک الصحيحين ج 3 ص 160-161].

2- (3) (مرآة العقول | العلاّمة المجلسى 315:5).

3- (4) (الكافى 458|2:1).

4- (5) (الرياض النضرة | المحب الطبرى 172:3 دار الكتب العلمية - بيروت).

وقال صـلى الله عليه وآله وسلم للاِمام على عليه السلام: (يا على، إنى قد أوصيت فاطمة ابنتى بأشياء، وأمرتها أن تلقيها إليک فأنفذها، فهى الصادقة الصدوقة)(1).

وفى وصيتها عليها السلام للإمام على عليه السلام تقول:

يابن عم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتک منذ عاشرتنى.

فقال (عليه السلام) لها: «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخک بمخالفتى»(2).

وقد اشرنا سابقا إلى ان تكذيب الزهراء عليها السلام الصادقة الصديقة الصدوقة كان اعظم من غصب فدک نفسها!!.

6 - القيم الصحية

ونحن نجـد فى بعض اقولها عليها السـلام اشارة الى بعض هذه القيم مثل رعاية اداب المائدة حيث تقول الزهراء عليها السـلام: فى المائدة إثنتا عشرة خصلة، يجب على كل مسلم أن يعرفها، أربع فيها فرض، وأربع فيها سنة، وأربع فيها تأديب.

فأما الفرض: فالمعرفة والرضا والتسمية والشكر.

وأما السنة: فالوضوء قبل الطعام، والجلوس على الجانب الأيسر،

1- (1) (بحار الأنوار 22:491 عن كتاب الطرف للسيد ابن طاووس).
2- (2) بحار الأنوار، ج 34، ص 191.

والأكل بثلاث أصابع (.

وأما التأديب فالأكل مما يليک، وتصغير اللقمة، والمضغ الشديد، وقلة النظر فی وجوه الناس(1).

بل انها حـذرت من الاسـراف فی تناول بعض الاطعمة فعن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسـين عن فاطمة الكبرى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يلومن إلا نفسه من بات وفی يده غمر(2).

الغمر بالتحريک: الدسم والزهومة من اللحم.

اشارة الى الاثر السيئ الذى يتركه الاسراف فی تناول الدهون واللحوم على الجسم.

7 - قيم التكامل الذاتى

اشارة

وهى:

أ - الثقة بالنفس واحترام الذات

الثقة بالنفس هى إيمان الإنسان بأهدافه وقراراته وبقدراته وإمكاناته، اى الثقة بوجود الإمكانات والأسـباب التى أعطاها الله للإنسان وان هذه الطاقات والمواهب مودعة فی ذاته ولهذا لابد ان يعرف نفسه ويكتشف ذاته ليسخر

1- (1) مستدرک عوالم العلوم، ج 11، ص 429، نقلاً عن نفائس اللباب.
2- (2) (كشف الغمة لابن أبى الفتح الإربلى: 176).

امكاناته فى طريق الخير ليصبح قوى الشخصية، أما عدم تعرفه على ما عنده من إمكانات، ومن ثم عدم ثقته فى وجودها، فإن ذلک يؤدى الى ضعف الشخصية ولا تكون قادرة على اتخاذ قرارها، اى ان الثقة بالنفس تأتى من المعرفة الواعية للهوية الذاتية فكلما شعر الفرد بانه إنسان مغمور بالطاقات، ايجابى، قادر على القيام بالأعمال المناطة به ازدادت ثقته بنفسه والعكس صحيح أيضاً.

وتعبر ازمة الثقة بالنفس عند النساء من اوسع الازمات النفسية انتشارا اذ ينخفض مؤشر الثقة بالنفس عندهن ويعود السبب الى التربية وتقاليد المجتمع والى انخفاض قيمة المرأة اصلا فى المجتمع، كما ويساهم الاعلام فى طرح النموذج السلبى للمرأة وهو النموذج الخائف الضعيف المتردد العاجز عن حل مشكلاته دون اللجوء الى آخر، ويفترض ان يكون الانسان المؤمن بالله اكثر ثقة من غيره بنفسه لثقته بالله تعالى وثقته بدينه.

ولعل خروجها عليها السلام الى المسجد لإلقاء خطبتها لأقوى دليل على ذلک خاصة وانها عليها السلام كانت فى ظرف صعب من فقدان ابيها وغصب حقها وحق زوجها، ومع ذلک فهى لم تكن مترددة ولا وجلة بل كانت فى قمة الهرم فى الثبات على المبدأ.

ثم ان الآليات التى اعتمدتها عليها السلام لتعبر تعبيرا دقيقا على انها كانت على ثقة بنفسها وبنجاح خطتها السلمية فيما بعد اضافة الى ما تشير إليه الروايات من ان أبى بكر كان قد سلمها كتابا بارجاع فدک لها ولكن عمر

كان قد مزقه وهو الذى اراد ان يعطى فدک فيما بعد لبنى هاشم حينما تولى خلافة الامة فرفضوا ذلک اى انه تراجع عن اصل الفكرة!.

وفى هذا المقطع تتجلى الثقة العالية بالنفس فى اعظم صورة:

قالت عليها السلام: أيها الناس اعلموا أنَى فَاطِمَةُ وَأبِى مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، أقُولُها حَقَّاً عَوْداً وَبَدْءاً، ما أقُولُ إذ أقُولُ غَلَطَاً، وَلاَ أفْعَلُ مَا أفْعَلُ سرفاً ولا شَطَطَاً. لَقَدْ جَاءَ كُمْ رَسُولٌ مِنَ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنينَ رَؤُوفٌ رَحيمٌ. فَإِنْ تَعْزُوهُ تَجِدُوهُ أبِى دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمى دُونَ رِجالِكُمْ، وَلَنِعْمَ المَعْزِى إلَيْهِ صلّى الله عليه وآله،.

وهذا تعريفها عليها السلام بنفسها لما بدأت بالقاء خطبتها فى المسجد، حيث انها لا تكتفى بتعريف نفسها وابيها ونسبها بل تبين انها تتسامى عن القيام بالاعمال اللاهادفة أو اللغو أو الثرثرة الفارغة والعياذ بالله وهى المعصومة – وهى بهذا تؤكد عليها السلام صدقها وعلو شخصيتها وتنزهها عن سفاسف الامور.

واننا نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرف ويُعرّف بثقته بابنته عليها السلام من خلال ارسال الفقراء الى بيتها فهو صلى الله عليه وآله وسلم واثق انها لا تردهم خائبين ولو على حساب نفسها.

ب – الاهتمام بالمستقبل

وقد اشرنا الى هذه القيمة فى الاصول التربوية عند الزهراء عليها

السلام. وقد تركت الزهراء عليها السلام صورة بيت الاحزان حزينة فى قلب كل موالٍ لاهل البيت عليهم السلام وتركت قبرها مخفيا لكى تفهم الامة ظلامتها وتذكر حقها المغصوب وهذه غاية الحكمة، بل وتركت لولديها ارث جدهما النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليبقى مدى الدهر علامة على حب النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهما.

أتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله هذان أبناک فورّثهما شيئاً، فقال: امّا الحسن فانّ له هيبتى وسؤددى، وامّا الحسين فانّ له شجاعتى وجودى(1).

ج - الشجاعة والاقدام

لا احد ينكر ان الشجاعة هى الصفة الواضحة عند اهل البيت عليهم السلام جميعهم رجالا ونساءً ونحن نستعرض بعض مواقف الشجاعة لدى الزهراء عليها السلام منها:

- ذهابها الى ارض المعركة فى احد وكان المشركون قد انسحبو للتو فقد تكون الحالة عند الغير ادعى الى التريث أو التراجع.

- كذلک بقاؤها فى مكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع وجود احتمالات كثيرة لتعرضها للاذى من قبل قريش.

1- (1) (البحار ج 43 ص 263).

– ذهابها الى مجلس الخليفة دون احد من رجالها مع ان الموقف كان حرجا للغاية وربما تطرح كثير من الاحتمالات الوجلة لهذا الحضور.

يقول مرتضى مطهرى فى كتابه التربية والتعليم فى الاسلام:

... فى الدفاع عن الحق، بمعنى الدفاع عن الحقوق الاجتماعية وهو أصل إسلامى مسلم، ليس هناك اختصاص بالرجل أو المرأة «لا يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَنْ ظُلِمَ» . إن كلمة (من) لا اختصاص لها بالرجل أو المرأة، وقوله تعالى:«وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ * أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ * وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ وَ ذَكَرُوا اللّهَ كَثِيراً وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا» .

ثم يضيف تحت عنوان شجاعة الزهراء:

إن قضية الزهراء تثير العجب حقاً، فمن جهة أن علياً والزهراء زوجان أظهرا عدم اعتنائهما بالمادة وجمع الثروة والدنيا وما فيها وقال الإمام: وما أصنع بفدك وغير فدك؟ والنفس مظانها فى غدٍ جدث جدث.

ماذا يصنع بفدك؟ إنه رجل متحرر من الدنيا بجميع أبعادها المادية، وقد أظهرا عدم اعتنائهما بفدك... نعلم أنها كانت مريضة وملازمة للفراش، فكان من الواضح لديها أنه لم يبق من عمرها شىء، عندها يغتصبون منها فدك، إن فدك بما هى ثروة تفقد قيمتها عند الزهراء، إلا أن فدك بما هى حق مغتصب (ولابد من إحقاق الحق) ترتفع قيمته لدى الزهراء، بحيث تأتى بنفسها إلى مسجد المدينة (فى حشد من نسائها) بحضور الخليفة، وتلقى

خطبتها الغراء، تصفعُ بها خصمها، وتدافع عن حقها، لماذا لم تخف؟ هل كان موقفها على خلاف التربية الإسلامية؟ هل كان يقبح بالمرأة أن تأتى إلى مسجد المدينة وتطالب بحقها أمام عدة آلاف من الناس وتتكلم على مال الدنيا؟ كلا، ليس فيه قبح أصلاً، بل كان دفاعاً عن الحق، تلك الزهراء التى لا تبالى بالدنيا وما فيها بما هى مادة وثروة شخصية وسبب للترف والنزهة الفردية، وتلك الزهراء المطمئنة التى ستفارق الدنيا بعد عدة أيام، والإنسان عندما يعلم أنه سيموت بعد أيام قلائل تتلاشى أطماعه بأعراض الدنيا كلياً بما هى مدافعة عن الحق ولا ينبغى لها أن تترك الحق مضيعاً وأن تحيى سنة إضاعة الحقوق، تأتى بشجاعة تامة تدافع عن حقها، وتذهب بشخصها إلى بيت الخليفة وتأخذ الأمر منه، وبعد ذلک تأخذه منه بالعنف، وبعدها تحضر مع أمير المؤمنين فى مسجد المدينة بشكل آخر وتحدث تطورات عجيبة أجبرت فى نهايتها على مخاصمتهم بشكل رسمى.

د - قيم المظهر الخارجى

المظهر الخارجى احد سمات الشخصية وهو يؤثر على صاحبه من جهة ويؤثر على الناس ايضا من جهة اخرى، فهو يكشف للناس عن هوية صاحبه وقيمه التى يؤمن بها وما عنده من نزعات ورغبات.. وللمظهر الخارجى تاثيره على النفس الانسانية نفسها فارتداء ملابس الرياضة يضاعف الحماس والهدفية للفوز ونفس الشىء يقال عن ملابس الجنود فى الحرب بينما الملابس العارية تحاول مضاعفة التوجه الغرائزى واثارة الشهوات ولباس

الدين يذكر بالله والاخرة الى غير ذلک.

وفى المظهر الخارجى للزهراء عليها السلام نجد أموراً منها: الحجاب وشدة التستر والتواضع والبساطة مع الهيبة والوقار اى الهيئة والهيبة والتواضع، وقد اشرنا الى شدة تستر الزهراء عليها السلام من خلال الكلام عن الحجاب، وكذلک تكلمنا عن التواضع. اما الهيبة فهى الاجلال والتوقير و (لاتأتى الهيبة اعتباطاً أو فرضاً بالقوة، وانما هى خصلة مطبوعة تنبع من داخل الانسان نفسه وجزء من شخصيته الباطنة والظاهرة، حين تتوفر صفات معينة فيه، أولها احترام الانسان لذاته، وثانيها احترامه لغيره، وثالثها الثقة بالنفس وبالقدرات، ورابعها الحزم فى التعامل مع الآخرين عند الخطأ والعدوان، وخامسها الصلابة والمبدئية والثبات فى الأزمات، وسادسها الحكمة فى اتخاذ القرارات، وسابعها قوة الارادة والوقوف على الرجلين فى مواجهة الأخطار والعواصف، وثامنها عدم التهاون مع الأعداء حالة الاعتداء والرد المناسب المبنى على العقلانية والدراسة والتفكير العميق، وتاسعها عدم التهور فى التصرف، وعاشرها العمل الدؤوب على التزود بكل ما يُغذّى النفس والعقل ويبنى الذات والتعلّم من التجارب لفهم ما يجرى فى الحياة الذاتية وما حول الذاتية كالمحيط الخارجى والبيئة التى ينشأ فيها المهيوب. وفوق كل ذلک توفر العقل الرصين والقلب الثابت والرؤية الثاقبة والحكمة والحِلم والقراءة الواعية لما فى الداخل والخارج فردياً وجماعياً)..

ولنتأمل مظاهر الهيبة والاجلال لدى الزهراء عليها السلام من خلال

هذه الروايات:

... لاثَتْ خِمارَها وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وَأَقْبَلَتْ فی لُمَّةٍ مِنْ حَفَدَتِها وَنِساءِ قَوْمِها تجُرُّ أذْراعَها، وتَطَأُ ذُيُولَها...

ای هیبـة هذه وای اجلال وای عظمة؟ فهی لم تدخل بمفردها بل مع جماعة من النساء وهؤلاء کانوا علی رأیها حتما والا لما خرجوا معها.. وهی بـذلک تریـد ان توصل رسالة بانها لیست وحدها فی المعترک بل هناک من یؤید رأیها وهو ایضا مثلها یسـتنکر علی الخلیفة موقفه فی مصادرة فدک..... ثم ان مشـیتها کانت علی غرار ما کان علیه ابوها صـلی الله علیه وآله وسلم ولا سمات اعلی من سمات رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فالطریقة التی کان یمشی بها صلی الله علیه وآله وسلم هی افضل انواع المشی والذی یبعث الهیبة فی نفس من یراه.

روی أحمد عن ابن عباس – رضی اللَّه عنهما – أن رسول اللَّه صلی الله علیه وآله وسلم کان إذا مشی مشی مجتمعا لیس فیه کسل(1).

وروی عن علی علیه السلام قال: کان رسول اللَّه صلی الله علیه وآله وسلم إذا مشی کأنما ینحدر من صبب(2).

عن أمیر المؤمنین علیه السـلام: "ما رؤی مقـدِّماً رجله بین یـدی جلیس له قطّ. ولا خیّر بین أمرین إلاّ أخـذ بأشدهما. وما انتصـر لنفسه من مظلمة

1- (1) (أحمد (328/1) من حدیث داود بن أبی هند).

2- (2) (الترمذی 3637).

حتى ينتهـک محارم اللّه فيكون حينئـذ غضـبه للّه تبارک وتعالى... وكان نظره اللحظ بعينه... وكان إذا مشـى كأنما ينحط فى صـبب... ولا يتنازع أصحابه الحديث عنده. وكان المحدث عنه يقول: لم أرَ بعينى مثله قبله ولا بعدهُ"(1).

ومشـيها عليها السـلام بهـذا الشـكل هو ايضا رسالة ثانية للتذكير بموقعها بانها بنت المؤسـس لهذه الدولة التى آل حكمها الى فلان الذى تعجل فى ظلم اهل البيت عليهم السلام سيما الزهراء التى يرضى الله لرضاها!!، وفى الرواية:

قالت عائشـة: أقبلَت فاطمـة تمشـى، لا والـذى لا إله إلاّ هو ما مِشـيتُها تخرم مِن مشـية رسول الله، فلَمّا رآها قال لها: «مرحباً بِآبنتى، مرحباً بابنتى»(2).

وعن عائشـة: ما رأيتُ من الناس أحـداً أشـبهَ كلاماً وحـديثاً برسول الله من فاطمة، كانت إذا دَخَلَت عليه رحّب بها وقبّل يَدَيها وأجلسـها فى مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به وقبّلت يديه..(3)

وفى بيت الاحزان ترى الزهراء عليها السلام تأخذ ولديها الى البقيع:

... ثم إنه بنى لها بيتا فى البقيع نازحا عن المدينة يسـمى بيت الأحزان وكانت إذا أصـبحت قدمت الحسن والحسـين عليهما السـلام أمامها وخرجت إلى البقيع باكيـة فلا تزال بين القبور باكيـة فإذا جاء الليل أقبل أمير المؤمنين عليه السـلام إليها وساقها بين يديه إلى منزلها ولم تزل على ذلک إلى أن مضى

1- (1) (مكارم الأخلاق، صفحة 22).

2- (2) (أمالى الطوسى: 333-334، عنه: بحار الأنوار 43:23 / ح 19).

3- (3) (أمالى الطوسى: 400 - عنه: بحار الأنوار 43:25 ح 22).

لها بعد موت أبيها سبعة وعشرون يوما واعتلّت العلة التى توفيت فيها(1).

هنا الموقف يتطلب ان يكون هناک افراد اخرون لزيادة العدد اولا وللتذكير بمقام الحسنين عليهما السلام وبموقع الزهراء عليها السلام من النبى صلى الله عليه وآله وسلم وربما للحماية كى لا يتعرض لها احد والموقف يختلف كثيرا لو كانت بمفردها ولم يكن معها سيدا شباب اهل الجنة عليهما السلام.

ان كل اهل البيت عليهم السلام عرفوا بالهيبة والوقار وسبب هيبتهم تغلغل حب الله وخشيته فى ذواتهم فهم عليهم السلام قمة التواضع رغم انهم قمة البشر!! وهم فى اعلى سلّم الهيبة رغم بساطة ملابسهم وحياتهم!. فى حين يحاول الانسان المعاصر ان يعزز شعوره بالهيبة من خلال البطش أو الظلم أو تحاول المرأة والعياذ بالله القاء ثوب الكرامة والاستلقاء فى متاهات الرذيلة!! انها خيبة وليست هيبة.

اما عن زهدهم ولباسهم البسيط فهو شيء كان قد قرره الرسول نفسه ولنقرأ هذه الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«فإنّ هؤلاء أهل بيتى، ولا أُحب أن يأكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا»(2).

حدثتنى اسماء بنت عميس، قالت: كنت عند فاطمة جدتک اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى عنقها قلادة من ذهب كان على بن ابى طالب عليه السلام اشتراها لها من فيء له; فقال النبى صلى الله عليه وآله

1- (1) (فى بحار الأنوار: ج 43 ص 177).
2- (2) (المناقب / ابن شهر آشوب 3:343. ومسند أحمد 5:275).

وسلم: لا يغرنک الناس ان يقولوا «بنت محمد» وعليک لباس الجبابرة! فقطعتها وباعتها واشترت بها رقبة فاعتقتها فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلک(1).

يشير الشيخ فوزى آل سيف الا ان هناک خطين اساسين فى تفسير المظهر الخارجى عند اهل البيت عليهم السلام:

الاول هو ما كان عليه اهل البيت عليهم السلام من ارتداء الملابس الخشنة والغليظة فينقل انه كان أمير المؤمنين قد رئى (عليه السلام) وعليه أزارخلق مرقوع فقيل له فى ذلک: فقال يخشع له القلب وتذل به النفس ويقتدى به المؤمنون(2).

فهنا ربما لضيق الوضع الاقتصادى فى هذا العصر وربما لانهم قوم اجلت طيباتهم وهذا خط التقشف والزهد.

اما الخط الثانى من الروايات فهو يمثل دعوة الى التجمل واظهار النعم خاصة بعد ان تحسن وضع المسلمين بعد الفتوحات ويشير الى ان اهل البيت عليهم السلام كانو يلبسون الملابس الجيدة.

وقال الامام الصادق عليه السلام فى جواب سفيان الثورى بعد ان قال للإمام: انت تروى أن على بن ابى طالب كان يلبس الخشن وانت تلبس القوهى والمروى؟! قال الصادق (عليه السلام) ويحک إن على بن ابى طالب

1- (1) (بحارالانوار، ج 43، ص 26).

2- (2) [بحار الأنوار: 431/76].

(عليه السلام) كان فى زمان ضيق فإذا اتسع الزمان فابرار الزمان اولى به(1).

هذان الخطان ولّدا سوء فهم عند المسلمين والموالين فاقترن التدين فى الذاكرة المعاصرة بالملابس البالية والخشنة الامر الذى جعل الناس تضيع بين تكلف الزهد واصل الزهد وهو ان لا يملكك شيء.

ثم يضيف:

بناءً على ذلک فإننا نعتقد ان الاصل لديهم (عليهم السلام) فى حياتهم الخاصة والعبادية هو تناغم حقيقة الزهد (فى قلوبهم) مع مظاهره (فى الخارج)، واما فى الحياة الاجتماعية فالاصل فيها التجمل والتأنق - فى اعتدال - فالله يحب الجمال والتجمل ويبغض البؤس والتباؤس وقد خلق الله الزينة لعباده والابرار اولى بها من غيرهم.

ولذا فإن احد مصاديق الاعراض عن الدنيا وهو المطلوب من المؤمنين هو الكف عن التجمل والتزين ذلک ان المؤمنين (ارادتهم الدنيا فلم يريدوها واسرتهم فافتدوا انفسهم منها). (فوزى آل سيف، الحياة الشخصية لاهل البيت، كيف وماذا يلبسون؟، الموقع).

والذى اقوله ان الزمان الذى عاشته الزهراء عليها السلام وما نقل لنا من روايات تحكى عن زهدها يشير الى الضيق الذى كان عليه المسلمون اول الهجرة اى فى السنوات الاولى، وكان هناک فقراء الصّفّة الذين ضاق بهم المسجد النبوى بحيث ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمتنع عن اعانة

1- (1) (بحار الأنوار: 307/76).

الزهراء بالخادم اول الامر لوجود اولويات اهم فى المجتمع، لكن الحال كان قد تغير بعد ان فتحت خيبر وزادت الغنائم فنجد ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو من يجد الخادم للزهراء عليها السلام ويرسله اليها!!، وحتى الرواية التى تشير الى تعجب سلمان من ثياب الزهراء عليها السلام كانت فى اوائل ولادة الحسنين يعنى سنوات الضيق والتى يقدرها بعض المؤرخين انها تنتهى بعد فتح خيبر وزيادة واردات الدولة الاسلامية اى فى العام السابع للهجرة.

والمهم ان لو تؤخذ الدنيا بزخرفها فينشغل الناس بالملابس ويقيّمون الناس على مايرتدون كما هو شائع الان بحيث ان الموضة استنزفت اموال واوقات وقلوب وعقول الكثيرين شيبا وشبانا ونساءً ورجالا!! ولكن الامر بين امرين فيكون امام الناس بما يصون وجهه ويعرّف بنعم الله.. واذكر ان الشهيدة بنت الهدى رحمها الله كانت متواضعة للغاية فى ملابسها فكانت النساء الثريات قليلا ما يحضرن مجالسها لكنها بدأت تهتم بالمظهر ضمن حدود الاقتصاد وعدم الاسراف والزهد فازداد الاقبال على مجالسها مما ادى الى زيادة نسبة المحجبات فى الاوساط الثرية، وهو مما احدث توازنا فى جغرافيا الحجاب فى المنطقة اذ لم يعد قاصرا على الفقراء كما كان يلوح البعض بذلک والسبب انها – رحمها الله – اعطت معنى الزهد الصحيح فى ان لا يملكک شيءُ وان ملكت كل شيء.

اننا لا ننسى ان كل لحظة تفكير فى الدنيا هى خسران من ذخيرة الاخرة!، فأهل البيت عليهم السلام عموما ومنهم الزهراء عليها السلام لم

تشـغلهم هذه الدنيا بما فيها من مغريات، فبقى العمر عندهم يدور فى رحاب الله وطاعته وعبادته تعالى، وهى عليها السلام لما تكون بهذه المواصـفات فهى تقـدم لنا دعوة الى عـدم الاسـتغراق فى الدنيا بل ان يأخذ الفرد حاجته ليس اكثر وان يعيش هم الاخرة، وللاسف اننا نرىَ نساء عصرنا يقتلن العمر كله فى الموضة والتزين حتى اصبحن اسيرات الموضة والاكسسوار ناسيات ان الحسن الحقيقى فى حسن الاخلاق والذات وفى تحصيل الاخرة واعطائها ما يليق من الاهتمام.

ان أمير المؤمنين عليه السـلام فى قوله (قيمـة المرء مـا يحسـنه) أى أن القيمـة ليست بـالمظهر كى تتباهى المرأة بمظهرها وبمفاتنها، وإنما القيمـة فى انسـنة انسانيتها وفيما تحسـنه وتجيـده من مهارات، ولهـذا أكدَّ الإسـلام على صون كرامتها كى لا يتعرض لها أحد بسوء وأمرها بالتستر وعدم التبرج للحفاظ على تلك الكرامة.

واشـير الى سوء اسـتفادة البعض من الروايات التى تظهر ثياب الزهراء عليها السلام بهذا التواضع فقد قال احدهم على المنبر: ان الزهراء لم تطـالب علياً بثوب ونساؤنـا كل يوم يطالبن بعباءة قلت له: ياشـيخ ليت المطالبـة بالعباءة تزداد على الاقل انها ستر نافع وحجاب اسـلامى مبارک!!.

على ان الامر يتباين فى حياتها الخاصة فلنقرأ هذه الرواية:

قالت ام سـلمة فسالت فاطمة عليها السـلام هل عندک طيب ادخرتيه لنفسک؟ قالت: نعم فاتت بقارورة فسـكبت منها فى راحتها فشممت منها

رائحة ما شممت مثلها قط (1).

وفی الروایة ایضا ان الزهراء علیها السلام قالت لاسماء بنت عمیس: هاتی طیبی الذی اتطیب به(2).

عن سعد بن عبد الله، عن إبراهیم بن هاشم وغیره عن خلف بن حماد، عن الحسن بن زید الهاشمی، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: جاءت زینب العطارة الحولاء إلی نساء رسول الله صلی الله علیه وآله وبناته وکانت تبیع منهن العطر فدخل رسول الله صلی الله علیه وآله وهی عندهن فقال: إذا أتیتنا طابت بیوتنا، فقالت: بیوتک بریحک أطیب یا رسول الله، فقال: إذا بعت فاحشی ولا تغشی، فإنه أتقی وأبقی للمال(3).

ولدینا فیض من الروایات حول اهتمام الرسول بمظهره من خلال تمشیط لحیته وتعدد ثیابه. وعن أبی عبد اللّه الصادق علیه السلام. قال: "کان رسول اللّه صلی الله علیه وآله وسلم ینفق فی الطیب أکثر ممّا ینفق فی الطعام"(4).

وفی الروایة ایضا.. کنت عند فاطمة جدتک اذ دخل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وفی عنقها قلادة من ذهب کان علی بن ابی طالب علیه السلام اشتراها له من فیء له.

1- (1) (الطوسی الامالی ص 41 والبحار ج 43 ص 114، 95).
2- (2) (البحار ج 43 ص 185 وکشف الغمة ج 1 ص 500).
3- (3) (بحار الأنوار، العلامة المجلسی، ج 57، ص 83).
4- (4) (الکافی: ج 6، ص 512).

عن زرارة، عن أبی جعفر (علیه السلام) قال: کان رسول الله (صلی الله علیه وآله) إذا أراد السفر سلم علی من أراد التسلیم علیه من أهله ثم یکون آخر من یسلم علیه فاطمة (علیها السلام) فیکون وجهه إلی سفره من بیتها، وإذا رجع بدأ بها.

فسافر مرة وقد أصاب علی (علیه السلام) شیئا من الغنیمة فدفعه إلی فاطمة فخرج فأخذت سوارین من فضة وعلقت علی بابها سترا، فلما قدم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم دخل المسجد فتوجه نحو بیت فاطمة کما کان یصنع، فقامت فرحة إلی أبیها صبابة وشوقا إلیه فنظر فإذا فی یدها سواران من فضة وإذا علی بابها ستر، فقعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم حیث ینظر إلیها، فبکت فاطمة وحزنت وقالت: ما صنع هذا بی قبلها.

فدعت ابنیها فنزعت الستر من بابها وخلعت السوارین من یدیها، ثم دفعت السوارین إلی أحدهما والستر إلی الاخر ثم قالت لهما: انطلقا إلی أبی فأقرئاه السلام وقولا له: ما أحدثنا بعدک غیر هذا فشأنک به، فجاءاه فأبلغاه ذلک عن امهما فقبلهما رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم والتزمهما وأقعد کل واحد منهما علی فخذه، ثم أمر بذینک السوارین فکسرا فجعلها قطعا ثم دعا أهل الصفة(1).

وفی عرس فاطمة کان هناک ثوب عرس وکانت هناک زینة وتزین حیث

1- (1) (البحار ج 43 ص 83).

امر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتزيين الزهراء عليها السلام وكان هناک الطيب وتنظيف البيت ورش الارض الى غير ذلک

وكان مهرها عليها السلام من ثمن الدرع الذى باعه امير المؤمنين عليه السلام بأربعمائة وثمانين، يقال أربعمائة درهم، فأمره صلى الله عليه وآله وسلم ان يجعل ثلثها فى الطيب، وثلثها فى المتاع.

قال علىّ (عليه السلام): قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قمّ فبع الدّرع فقمت فبعته وأخذت الثمن ودخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسكبت الدّراهم فى حجره، فلم يسألنى كم هى ولا أنا أخبرته، ثمّ قبض قبضة ودعا بلالا، فأعطاه فقال: ابتع لفاطمة طيباً، ثمّ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدّراهم بكلتا يديه فأعطاها أبا بكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت واردفه بعمّار بن ياسر وبعدّة من أصحابه(1).

وفى زواج الزهراء عليها السلام دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام لأن يصنع طعاماً ويدعو الناس عامة لتكون سنة فى أُمّته، روى الشيخ الطوسى بالاسناد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: «ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا على، اصنع لأهلک طعاماً فاضلاً، ثم قال: من عندنا اللحم والخبز، وعليک التمر والسمن، فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذراعه، وجعل

1- (1) (التويسركانى مسند فاطمة ص 138).

يشـدخ التمر فى السـمن حتى اتخـذه حيساً، وبعث إلينا كبشاً سـميناً فذبـح، وخُبز لنا خبز كثير، ثم قال لى رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم: ادعُ من أحببت»(1).

وأخرج ابن ماجة عن عائشة وأُمّ سـلمة، قالتا: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نجهز فاطمة عليها السلام حتى ندخلها على على عليه السـلام فعمدنا إلى البيت، ففرشناه تراباً ليناً من أعراض البطحاء، ثم حشونا مرفقتين ليفاً، فنفشناه بأيدينا... وعمدنا إلى عود فعرضناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلّق عليه السقاء(2).

وأمر نساءه أن يزيّن ويصلحن من شأنها(3).

وكان لها ثوب زفاف كباقى النساء وقـد اهـدته لها بعض النساء وقامت عليها السـلام باهـدائه بعـد المراسم (وكثيرا من النساء حاليا يفضـلن استئجار ثوب العرس تخفيضا للتكاليف).

ولا ننسـى ان الشـريعة الغراء قد شـجعت المرأة على التزين فى الاطار الشـرعى وضـمن الحياة الزوجية بل جعلت هذا التزين سـببا للاجر الكبير والثواب.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الجامورانى، عن

1- (1) (أمالى الطوسى: 42l45. وبحار الأنوار 95l43:5).

2- (2) (سنن ابن ماجة 616l1:1911).

3- (3) (التويسركانى، مسند فاطمة ص 139).

ابن أبی حمزة عن عمر وبن جبیر العزرمی، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: جاءت إمرأة إلی رسول الله (صلی الله علیه وآله) فقالت: یارسول الله ماحق الزوج علی المرأة؟ قال: أکثر من ذلک، فقالت: فخبرنی عن شیء منه فقال: لیس لها أن تصوم إلا بإذنه یعنی تطوعا ولا تخرج من بیتها إلا بإذنه وعلیها أن تطیب بأطیب طیبها وتلبس أحسن ثیابها وتزین بأحسن زینتها وتعرض نفسها علیه غدوة وعشیة وأکثر من ذلک حقوقه علیها(1).

ان الذی اراد الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بیانه انه کقائد دولة لا یرضی لابنته ان تبدی ای تفاوت مع فقراء المسلمین، ومن ناحیة اخری انه لما اشتری علیٌّ علیه السلام لها القلادة – کأی زوج یحب ان یری الزینة فی جید امرأته – فقد اراد صلی الله علیه وآله وسلم ان یعّده مستقبلیا حینما یکون خلیفة للمسلمین ففی موقعه کصهر للنبی القائد قد تبدو المسألة صعبة!.

ان المشکلة المعاصرة لدی کلا الجنسین هی مشکلة المظهر الخارجی سواء ما یرتدیه الانسان أو الهیئة التی خلقه الله بها، فهناک طغیان لثقافة الصورة بل انها تکاد تکون الاساس والمحور الذی تدور علیه حیاة الناس وکانت التهمة التی اتُهمت بها المرأة هی الافراط فی الاهتمام بالناحیة التجمیلیة الا ـ ان الاحصائیات تثبت ان لا فرق بین الجنسین فی العملیات التجمیلیة!! التی کانت سابقا من اجل ازالة وتخفیف تشوهات الحوادث والحروق فاصبحت من اجل تغییر الصور والملامح!!، وهوس اوهستیریا التجمل هو الهاجس الملازم

1- (1) (فروع الکافی ج 5 ص 508).

للانسان المعاصر، وكثيرا ما تؤذى البنات انفسهن من اجل اكتساب المعايير العالمية فى الرشاقة والنحافة ويقابل ذلک اهمال للعقل والعلم والايمان فثقافة الصورة الهوسية هى الحاكمة. ان الانسان المتوازن يوازن فى اهتمامه بالمظهر بحيث لا يكون على حساب انتمائه الدينى أو قيمه الاخلاقية أو بشكل يكون مستنزفا للعمر والوقت والمال والجهد والتفكير.

وهناک حالتان سلبييتان فى العلاقة مع المظهر، الاولى ان يكون هناک اهتمام مفرط بحيث يتحول الشكل الى هاجس ونجد ذلک من خلال الشخصية النرجسية التى لا ترى الا ذاتها والشخصية الشكاكة والهستيرية مما يعنى وجود شخصية سطحية استعراضية كاذبة ومزيفة لانها لا تملک عوامل النضج الصحيح أو التقييم السليم للغير وهى شخصية غير سوية.

كما ان (الامتثال الزائد لمعايير المظهر يدل على الخضوع والامتثال والجمود والعقلية البيروقراطية وشدة التأثر بالآخرين وتقليدهم وضعف تقدير الذات وقلق القبول والرفض من الآخر أو الآخرين. ويمكن أن يصبح الاهتمام بالشكل الخارجى مرضاً بذاته.. وهو الخوف المرضى من سوء شكل الجسم أو توهمه، وهو يصيب الذكور والإناث بنسب متقاربة ويظهر مبكراً فى سن الشباب، وهو نوع من الوسواس المرضى المزمن يتمثل بالخوف من تشوه وعدم اعتدال مظهر الجسم.. ويتفحص الإنسان نفسه مرات عديدة يومياً بواسطة المرأة أو بدونها بحثاً عن ذلک التشوه وتأكيداً له).

وهناک خط منحرف آخر يؤدِي الى اهمال الصورة دون الاكتراث بالنظافة

ص:797

أو اللياقة بل وحتى الحشـمة مثلما نرى من رواج ثقافة العرى وكأن الانسان بعظامه وجلده فهذا دليل على عدم السـلامة النفسية بمعنى اخر ان اهمال المظهر دليل على الاكتئاب وعـدم الرضا عن الـذات. بل نرى ان بعض الحركات الاسـلامية تشـجع على اهمال المظهر والنظافة بشكل يدعو احيانا الى التقزز!!.

ه - حسن التكيُّف

وهو عمليـة تلاؤم الفرد مع البيئـة التى يعيش فيها وقـدرته على التأثير فيها، وهى أيضا محاولات الفرد النشّطة والفعّالـة التى يبـذلها خلال مراحل حياته لتحقيق التّوافق والتّلاؤم والانسجام مع بيئته. وهذا التلاؤم يساعد الفرد على البقاء والنمو وأداء دوره ووظيفته الاجتماعية بصورة طبيعية. ونحن نرى الهزات العنيفة التى تعرضت لها الزهراء عليها السـلام فى حياتها لكنها خرجت منها منتصـرة قوية الايمان غنية بالشـكر والصبر، اذ اسـتطاعت عليها السـلام ان تـذلل الصـعوبات وان تواصل مسـيرتها الحياتيـة دون تلكؤ وهو المطلوب اذ ما اكثر الناس الـذين يتعرضون للانهيـار جرّاء المصـائب الـتى تعترض طريقهم ولم يسـتطيعوا تحصـيل آليـات التكيف السـليم مع المتغيرات الجديـدة فنراهم يسيرون باتجاه الانحراف أو الانتحار وهذه صور سوء التكيف.

ان الزهراء عليها السـلام كانت قـد عاشت الحصار الذى اثقل كاهل المسـلمين وماتت امها رضـى الله عنها وهى صـغيرة وشاهدت معاناة ابيها صـلى الله عليه وآله وسـلم فى دعوته وما كان يلاقيه من مشـركى مكة لكننا لا نرى لها الاصبرا وسموا وايمانا، وهذا هو التكيف السليم مع الضغوطات الحياتية

وهو درس سليم كى يتعلم الآخرون آليات التكيف الناجح، وتساعد الرؤية السليمة للحياة والتى تقدمها الفلسفة الدينية على حسن التكيف مع الاحداث والازمات من خلال الايمان بالله والايمان بالقضاء والقدر.

و - التصميم والإرادة

والارادة تعنى قدرة المرء على اتخاذ القرار، وبخاصة فى القضايا المصيرية، أو على الاختيار بين مختلف البدائل، أو العمل فى بعض الحالات من غير أن تقيد إرادته عوائق طبيعية أو اجتماعية أو غيبية.

لقد كان هناك اصرار من الزهراء عليها السلام على اشعال الموقف بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتوالى مسلسل الظلامات، اذ كان يجب عليها ان تحاجج الخليفة فى قضية فدك وان تعلن غضبها عليهما وان لا تكلمهما رغم كل التوسلات التى جاءوا بها، ونرى رفضها لان يشيعها احد أو ان يعلم مكان قبرها!! وهذه كلها معالم لشخص ذى ارادة حرة وتصميم مبدئى كما هو الحسين عليه السلام الذى رفض البيعة ليزيد وبقى مُصِرّاً على الموت بكرامة وعزة.

وقد سعى الشيخان مراراً أن يستأذنا على فاطمة فلم تأذن لهما فأتيا علياً فكلماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها إلى جهة الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام ثم قالت: (نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاى وسخط فاطمة من سخطى فمن أحبّ فاطمة ابنتى أحبنى ومن أرضى فاطمة فقد أرضانى ومن أسخط فاطمة

فقد أسـخطنی؟ قالا نعم سمعناه من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قالت: فانی أشهد الله وملائکته أنکما أسخطتمانی وما أرضیتمانی ولئن لقیت النبی لاشکونکما الیه).

ز - ادب التعامل مع المصاب الجلل

فی الروایة: اجتمعت نسوة بنی هاشم وجعلن یذکرن النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فقالت فاطمة علیها السـلام: اترکن التعداد، وعلیکن بالدعاء(1). وهذا الادب الجدید الذی طرحته الزهراء علیها السلام فی التعامل مع الاحداث الجسام وفی التأدب امام قضیة الموت فالدعاء للموتی له اثر کبیر لیس علی المیت فحسب بل علی الـداعی له من حیث تخفیف الاذی وتقبل المصـیبة والتخلص من الجزع والاسـتعداد للآخرة. وما ذکرناه حول بکاء الزهراء علیها السـلام علی ابیها صلی الله علیه وآله وسلم فهو ضمن الخطة الاعلامیة والسیاسیة التی اتخذتها ضمن المواجهة مع الخلافة الغاصبة.

وفی وصـیتها علیها السـلام لمّا احتضـرت أوصت علیّاً علیه السـلام فقالت: "إذا أنا متّ فتولَّ أنت غسلی وجهّزنی، وصلّ علیَّ وأنزلنی قبری وألحدنی، وسوِّ التراب علیّ، واجلس عند رأسی قبالة وجهی، فأکثر من تلاوة القرآن والدعاء فإنّها ساعة یحتاج المیت فیها إلی أُنس الأحیاء" .وهذا ارشاد للآخرین الی اعانة الموتی بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن وهوتثبیت ایضا ان الموت بدایة حیاة ولیس فناء.

1- (1) البحار، ج 22، ص 522.

8 - القيم الاقتصادية

اشارة

وهى القيم التى يعبر عنها اهتمام الفرد وميله الى ماهو نافع ويتخذ من العالم المحيط وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها عن طريق الانتاج والتسويق والاستهلاک واستثمار الاموال ويتميز الاشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بنظرة عملية(1).

وتبدو القيم الاقتصادية ذات اهمية قصوى خاصة مع ما نراه من تدهور الاوضاع الاقتصادية عالميا والحاجة الى توجيه وضخ كل الطاقات نحو تدعيم الاقتصاد العام، وهذا يعنى اهمية دعم القيم الاقتصادية من اجل تحقيق نهوض اقتصادى يستمر من خلال تدريب العناصر الجديدة على مبادئ علم الاقتصاد.

واهم هذه القيم:

1- (1) (الزهران علم النفس الاجتماعى ص 125).

أ - محبة العمل

ويُشار الى ذلک من خلال ما كانت تقوم به الزهراء عليها السلام من اعانة لأُسرتها عن طريق الاعمال اليدوية التى كانت تقوم بها واهمها الغزل، ففى الرواية:

لما دخل النبى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة، كانت صناعة الالبسة كلها بيد اليهود، وكان المسلمون محتاجين اليهم من هذه الناحية، فلما رأى النبى ذلک اشترى لفاطمة مغزلاً وقال لها: اغزلى يا فاطمة، فصارت الزهراء عليها السلام تغزل ثيابها وثياب حسنيها وثياب بعلها وابيها، وقد كان لعلى قميص من غزل فاطمة عليها السلام يلبسه تحت لامته فى الحروب.

وقد تأثرت نساء المسلمين فى المدينة بفاطمة عليها السلام فصرن يغزلن، وهكذا تحوّل هذا المغزل الى سلاح فعّال جعل المسلمين فى غنى عن اليهود.

عن على (عليه الصلاة والسلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جملة كلامه: ونعم اللهو المغزل للمرأة الصالحة(1).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (وعلموهن الغزل)(2).

وفى رواية طويلة مذكورة فى أسباب نزول سورة هل اتى ان عليا عليه السلام قال مخاطبا اليهودى: هل لک أن تعطينى جزةً من صوف تغزلها لک بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاثة أصوعٍ من شعير؟» قال: نعم.

1- (1) (الوسائل ج 12 ص 174 ح 2 باب 64، علل الشرائع ص 94).
2- (2) (الوسائل ج 12 ص 174 ح 2 ب 64 مثله).

فأعطاه الصوف والشعير. فقبلت فاطمة عليها السلام(1).

وحينما أُوقِفَ الامام زين العابدين عليه السلام أمام يزيد بن معاوية بعد واقعة كربلاء، طالب الامام عليه السلام بالاشياء التى سلبت من خيمة أبيه الحسين عليه السلام، فقال له يزيد: وما فيها؟ فقال الامام عليه السلام: إنّ فيها مغزل أُمِّنا فاطمة.. فقال عليه السلام: «أما مالک فلا نريده، وهو موفر عليک، وإنما طلبت ما أُخِذَّ منا، لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد ومقنعتها وقلادتها وقميصها»(2).

قالت عائشة: كنّا نخيط، ونغزل، وننظم الأبرة باللّيل فى ضوء وجه فاطمة. (عليها السلام)(3).

نعم كانت ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقائد الامة ولكنها لم تک تستنکف عن هذه الحرف اليدوية، وكان علىٌّ عليه السلام يعينها على ذلک ويجلب لها ما تحتاج اليه من الصوف لتقوم بغزله وهو يأخذ هذا الصوف من يهودى فى المدينة.

قالت أم الحسن النخعى مرَّ علىَّ أمير المؤمنين عليه السلام فسألنى.. أى شىء تفعلين؟ قلت: أغزل فقال: اعلمى أن الغزل من طيبات الكسب.

ان العمل اليدوى بالاضافة الى انه يساهم فى تحريک القدرات العقلية من خلال التعلم والابداع، فانه يساعد ايضا فى تحقيق استثمار نافع للوقت

1- (1) (إحقاق الحق ا الشهيد التسترى 264:10 عن تفسير الثعلبى).

2- (2) (اللهوف ص 224).

3- (3) (أخبار الدول وآثار الأُوَل للمؤرّخ أحمد بن يوسف القرمانى: 87 - ط بغداد).

ويكون خير معين للاسـرة خاصة فى الازمات الاقتصادية ففى الارياف العراقية تصنع النساء النسيج المعروف بالبساط اليدوى وفى الارياف الايرانية مثلا تقضـى النساء وقت الفراغ فى حياكة السـجاد اليدوى الشهير وهى بذلک تشارک فى عملية التنمية الاقتصادية للمجتمع ككل وللاسـرة ايضا.. وبـديهى ان ساحـة العمل اليـدوى هى ساحـة حرة متعددة الاشـكال والانماط والانواع وان محبة هذا النمط من العمل أو ترغيب شىء على حساب نوع آخر هو الدافع لتعلمه والعمل به.

كانت الزهراء تقوم بالغزل وبهـذا تكون عليها السـلام إمرأةً عاملة ولكن فى البيت وكان عملها هذا له اسـتحقاقاته المالية كما كان يساهم فى توفير بعض متطلبات الاسرة وهذا يعنى ان الاسرة العلوية الفاطمية كانت اسرة منتجة ضمن المفهوم المعاصر.

ب - محبة العامل

وهو واضح من سيرتها عليها السلام من خلال التعامل مع خادمتها فضة وتقسيم العمل بينهما وتعليمها والاهتمام بأمرها.

ان الزهراء عليها السـلام كانت مـديرة البيت ومسؤولـة عن تـدبير شؤونه وكانت لديها خادمة فى الاوقات المتأخرة من حياتها هى فضة ومن خلاـل ذلـک رسـمت لنـا آليات التعامل الصـحيح مع العمال وعرّفت بمهمات رب العمل واثر الاخلاق فى تربيـة العوامل البشـرية ودفع مسيرتها الانسانية فى الاتجاه الصحيح. وقد اشرنا فى الروايات السابقة الى مدى رعاية الزهراء عليها

ص:804

السلام لخادمتها وبكل اشكال الرعاية من تقسيم العمل معها الى تعليمها وعدم تحميلها مالاطاقة لها به.

ج - الانفاق السليم

فلم يعرف عنها عليها السلام الاسراف مثلا حتى لمّا كان عندها المال الكثير بعد هبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم اياها فدكا اى بعد ان اصبحت إمرأة ثرية قد لا تدانيها إمرأة بهذا الثراء لكنها بقيت على ماهى عليه من الزهد وبساطة العيش والقناعة.

د - القناعة

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل(1).

وعن أبى حمزة عن الباقر والصَّادق (عليهما السلام) قال: من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس(2).

وقال ابو عبد الله (عليه السلام) أيضاً لرجل يعظه: أقنع بما قسم الله لک، ولا تنظر إلى ما عند غيرک: ولا تتمن ما لست ناقله، فإنه من قنع شبع، ومن لم يقنع لم يشبع، وخذ حظک من آخرتک(3).

وعن الرضا (عليه السلام) أنه قال: لا يسلک طريق القناعة إلاَّ

1- (1) (الكافى ج 2 ص 111 ح 3).
2- (2) (الكافى ج 2 ص 112 ح 9).
3- (3) (الكافى ج 8 ص 243 ح 337).

رجلان: إما متعبد يريد أجر الآخرة أو كريم يتنزه عن لئام الناس(1).

وعن على بن الحسين (عليهما السلام) سئل عن أفضل الأعمال؟ فقال: هو أن يقنع بالقوت، ويلزم طول السكوت، ويصبر على الأذية، ويندم على الخطيئة(2).

وعن على عليه السلام: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه القناعة فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف(3).

وفى دعاء الزهراء عليها السلام:

اللهمّ قنّعْنى بما رزقتَنى، واسترنى وعافنى أبداً ما أبقيتنى، واغفر لى وارحمنى. اللهمّ لا تُعْيِنى فى طلبِ ما لا تُقدِّرُ لى، وما قدّرتَه علىّ فاجعلْه ميسّراً سهلا. اللهمّ كافِ عنّى والدَىَّ، وكلَّ مَن له نعمةٌ علَىّ خيرَ مكافأة. اللهمّ فرّغْنى لِما خلقتَنى له، ولا تشغلنى بما تكفّلتَ لى به، ولا تعذّبْنى وأنا أستغفرك، ولا تحرْمنى وأنا أسألك.

اللهمّ ذلّلْ نفسى فى نفسى، وعظِّمْ شأنك فى نفسى، وألهِمْنى طاعتَك، والعملَ بما يرضيك، والتجنّب لما يُسخطك.. يا أرحم الراحمين(4).

ونقول لولا القناعة التى كانت تملكها الزهراء عليها السلام لما استطاعت ان تتحمل الاوضاع الصعبة التى مر بها البيت العلوى، والفقر

1- (1) (البحار ج 78 ص 349).
2- (2) (البحار ج 73 ص 168 باب 129 فضل القناعة).
3- (3) (غرر الحكم ج 1 ص 322 ح 163).
4- (4) (مهج الدعوات، للسيّد ابن طاووس 175).

مشكلة الرجل والمرأة على حد سواء ولكن المرأة قد تحتاج الى رعاية اكثر وتوفير للحد الادنى من الوسائل أو المستلزمات خاصة فى فترات الحمل والرضاعـة، فاذا كانت ذات اليد قليلة فالضـرر يلحق بجسدها أو جنينها أو وليدها وتعتبر مشـكلة الفقر واحدة من المشاكل العالمية التى اصـبحت فى حدود التأنيث فاكثر من 70% من فقراء العـالم هن من النساء واكثرهن من الامهات!! الامر الـذى يؤدى الى زيادة نسـبة الوفيات عند الاطفال وكثيرا مايسوغ الفقر لمرضى النفوس فى استغلال النساء والاطفال وبشكل بشع.

عن الصادق عليه السّلام قال: ثلاث من النساء يرفع اللّه عنهن عـذاب القبر ويكون محشـرهن مع فاطمـة بنت محمـد عليها السّلام: إمرأة صبرت على غيرة زوجهـا، وإمرأة صبرت على سوء خلق زوجهـا، وإمرأة وهبت صـداقها لزوجهـا، يعطى اللّه كـل واحـدة منهن ثواب ألف شهيد، ويكتب لكل واحدة منهن عبادة سنة(1).

فالمرأة الصابرة على فقر زوجها تكبت رغبة داخلية ملحة فى التزين والتجمل وهو مما لايسـتطيع الزوج توفيره لها، وواحدة من اهم أسـباب ارتفاع الطلاق فى المجتمعات الحديثة هو الفقر وعدم القدرة على تأمين متطلبات الحياة وهو من عوامل زيادة العنوسة ولكلا الجنسين!.

1- (1) (وسائل الشيعة: ج 15 ص 37 باب 26 ح 3)..

كيف نرسخ القيم الزهراوية لدى الجيل المعاصر

اشارة

القيم الزهراويـة هى القيم الانسانيـة العليا وهى قيم دائمـة مسـتمرة مع اسـتمرار الوجود الانسانى، وفى دراسـة ميدانية اجريت للتعرف على مصادر القيم والمثل العليا فى عـدة مـدن امريكيـة للاطفال والمراهقين بين 6-20 سـنة وُجِدَ ان الغالبية كانت مصادر القيم والمثل العليا عندهم هم الشخصيات التاريخية والزعماء(1) وذلک لانهم يعتبرون هـذه الشخصـيات هى القدوات السامية والمثل الاعلى الذى يُقتدى به، فالقدوة والاسوة الحسـنة هى افضل واقوى وسيلة للتغيير اذ انها توصل لنا نموذج الصورة المطلوبة وترشدنا الى امكانية تطبيق الفكرة من خلال النموذج الذى يمكن الاقتراب منه ان كان من الصـعب اعادة صياغته، فكيف اذا كان هذا النموذج هو صورة الانسان الكامل الذى لا يكفُّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الاشادة بانه نموذج ربانى يغضب الله لغضبه ويعاقب من اسخطه بالنار!!. على هذا نحتاج

1- (1) (القيم السياسية ص 63)

الى توثيق العلاقة مع هذه الشخصيات الخالدة بما يساهم فى التغيير الذاتى والمجتمعى.

ونحتاج فى عملية التغيير الى وسائل عديدة لنقل القيم والحفاظ عليها منها:

1 - الاسرة

فالاسـرة هى منبع القيم، ففى الحديث يقول الرسول محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصـرانه أو يمجسانه). فالوالـدان هما الـذان ينقشان القيم والافكار والمعتقدات على الصـفحات البيضاء لقلب الطفل، وهما القدوة الاولى للطفل ومن الواجب عليهما تعريف ابنائهما بالقيم الاسـلامية والاخلاق الفاضلة ومتابعة الطفل وتوجيه كيانه الى الاقتداء بآل البيت عليهم السلام وبالرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم المثل الاعلى ومنار القيم وصورتها الخالدة.

ولاـ ننسـى انه كلمـا ابتعـد الوالـدان عن الانمـاط والقيم السـلبية فى التربيـة كانت النتائـج افضل والقيم السـلبية من قبيل الاهمال والقسوة والاسـتبداد والتحقير والأنانيـة والجبن والبخل والكـذب والظلم الى غير ذلك، فالام التى تعتمد القيم المخالفة للاسـلام كالسـفور والاغراء والاثارة امام الغرباء تقضى على انسانية ابنتها وتحولها الى جسد متموج لا اكثر!!.

والابوان هما القدوة الحاضرة التى تصل الى مرادها عن طريق التربية

ص:809

الصامتـة من خلال السـلوک والناطقـة من خلال التوجيه مع اعتماد آليات التربيـة بالحب والموعظـة والترغيب وجعل العقاب اليسـير آخر الـدواء لان التعزيز الايجابى بالمكافاة والتشـجيع افضل من السـلبى بالعقاب والتوبيـخ ويمكن مراجعـة فصل الاليات التربوية عند الزهراء عليها السلام لنعرف كيف نرسخ القيم عند الابناء.

ولا ننسـى ان الام هى اول وسـيط فى التنشـئة الاجتماعيـة وهى المجتمع الاول الـذى يراه الطفل ويرتبط به وجـدانيا وسـلوكيا، ولما كانت شخصـية الطفل تتشـكل خلال السنوات الاولى والتى تزداد فيها مساحة تاثير الام فدورها فى نقل وصيانة وحفظ القيم أساسىٌّ، إذ (إن وعى المرأة بـذاتها وبـدورها كقيِّم على الأسـرة وحارس للقيم والمبادئ، يعنى فى ميزان القيم أنها تعى تماما دورها وحقيقتها، وأنها حقيقة تعرف وجودها ووظيفتها، وأنها مستخلفة الله فى الأرض، عابدة لله وحده دون سواه).

والام الحافظـة للقيم والناقلـة لها عبر مسـيرة الاجيال هى المرأة المتحررة.. واعنى تحررها من كل النماذج المشوهـة للقيم و (بذلک تحقق ذاتها وأن تسد الثغرة التى ينبغى أن ترابط عليها، فلا يؤتى الإسلام من قبلها).

وعلى هذا فالمطلوب ان تسود الاجواء السليمة داخل الاسرة للوصول الى تربية ناجحة، ولابد من متابعة الاولاد للوقوف عن كثب على نمط وانواع القيم الموجودة عنـد الاولاد، كما يلعب المسـتوى التعليمى للوالـدين ومـدى معرفتهما بالقيم الصـحيحة والخاطئة اضافة الى مكانة الاسرة فى المجتمع

ص:810

وعلاقاتها مع الاسر الاخرى وباقى افراد المجتمع دورا بالغ الاهمية فى الاكتساب القيمى للاولاد ويكون الدين والتدين هو الاصل فى تنمية الاتجهات القيمية الايجابية عند الابناء.

2 - المجتمع

المجتمع بمؤسساته المختلفة واولها المدرسة التى باتت الان تلعب دورا كبيرا فى التربية بسبب انشغال الآباء وعدم اكتراثهم للشأن التربوى، وتلعب عناصر الوسط التربوى من الادارة المدرسية والمعلمين وباقى الموظفين دورا كبيرا فى البناء القيمى للاولاد، وينطلق التأثير بالدرجة الاولى من عامل الاقتداء خاصة وان الاولاد فى المراحل المختلفة من الدراسة يتأثرون بشكل كبير بسلوك المعلمين ويقلدونهم فى حركاتهم، كما ان المنهج الدراسى مهم اذ انه كلما تمت صياغته بشكل متوافق مع القيم والاخلاق والعقائد الاسلامية كان موثراً، ولهذا ظهرت (معركة المناهج الدراسية) فى الآونة الاخيرة حيث انطلقت دعوات من هنا وهناك تطالب بتحديث المناهج الدراسية لكن ليس التحديث المتزامن مع التطور العلمى والتقنى ولكن التحديث الذى ينظر الى الاسلام (كشىء قديم) انتهى دوره اى تجريد المناهج الدراسية من الفكر الاسلامى والقيم الاسلامية!.

ويعانى المسلمون المقيمون فى غير بلادهم من مشكلة المناهج الدراسية التى تلقن الاولاد افكارا وسلوكيات وقيما غير متوافقة مع الشريعة مما يجعلهم فى صراع مستمر.

ص:811

ونفس الشيء يقال عن الاعلام الذى هو احد ابرز المؤسسات التربوية اذ كثيرا مايتبنى الاعلام (حتى فى بلاد المسلمين) قيما سلبية كالسفور وترك الصلاة واعانة الظلمة والكذب فى نقل الاخبار والوقائع مما يجعل الاولاد بحاجة الى درع حصين لمواجهة هذه الاختلالات وهذه الدرع تأتى من الاسرة والوالدين. فالاعلام سلاح ذو حدين تارة باتجاه القيم وتارة ضدها مما جعل الانسان المعاصر يعيش صراعا واضحا يفقده الشعور بالطمانينة والامن والاستقرار، فالاعلام السلبى يركز قيما سلبية خاطئة، كما انه الاكثر انتشارا واغراءً وقوة امام الاعلام الاسلامى الذى مازال فى مراحله الاولى، الامرالذى يجعل دور الوالدين حازما فى مسألة التوجيه نحو القيم الاسلامية والقيم السليمة.

وتلعب المؤسسات المجتمعية الاخرى كالمسجد والنوادى الثقافية والمراكز الدينية والاجتماعية دورا واضحا فى البناء القيمى ويُفترض ان تؤدى مهامها فى اجواء مفتوحة ومتوافقة.

هذا ويتبنى المجتمع قيما وعقائد موروثةً قد تكون سليمة أو على العكس كما هو الحال فى الدول التى تتبنى القيم والافكار الرأسمالية أو الشيوعية اى القيم السلبية، ولما كان دور الاسرة فاعلاـ فى نقل القيم فأنها اذا ما ترسخت فى الطفولة عن فهم وقوة فأنها تصمد امام الضغوطات الخارجية وتبقى محافظة على فاعليتها.

ص:812

ادوار اخری

اشارة

ص:813

هناک ادوار اخری للزهراء علیها السلام من قبیل دورها فی التنمیة الشاملة والمجتمعیة والذی یعنی اسهامها علیها السلام فی کل انماط التنمیة فمثلا التنمیة الثقافیة من خلال زیادة عدد المتعلمین والمتعلمات، والاجتماعیة من خلال بیان اسس التنمیة الاسریة والتربویة والتکافل الاجتماعی، والتنمیة السیاسیة من خلال ترشید الوعی السیاسی لدی الامة، وهناک الدور القانونی والحقوقی فمطالبة الزهراء علیها السلام بفدک تعطینا صورة عن الآلیات القانونیة فی المطالبة التی اتبعتها من قبیل تشکیل الدعوی واقامة البینة والشهود وهذا مما یدخل فی الدراسات الحقوقیة.

هذا ویذهب السید محمد باقرالحکیم رحمه الله الی ادوار اخری للزهراء علیها السلام واهمها دورها فی التکامل الفردی والاجتماعی، الامر الذی اسهم فی اعداد الجماعة الصالحة التی کان لها دور کبیر فی حمایة الدین وصیانته والدفاع عنه حیث یعرّف بهذا الدور فیقول:

ص:815

الدور الأول: الهوية الإنسانية التكاملية

وهـو مـا يمكن أن نسـتنبطه من نصـوص القرآن الكريم، والأحـاديث الشـريفة الـتى وردت عن الرسول الأـكرم صـلى الله عليه وآله وسـلم بخصوص فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو جانب الكمال فى الهوية الإنسانية.

ان القرآن الكريم والرسالـة الإسـلامية أرادا أن يعطيا هـذه الصورة وهـذا الفهم، حول هوية المرأة فى مضـمونها وموقعها فى مسـيرة الحياة الإنسانية، فالقرآن الكريم والسـنة النبوية الشريفة تؤكدان أن المرأة من حيث هويتها الإنسانية، تحظى وتتصف بهوية كاملة فى انسانيتها، ولا يوجـد فيها أى جانب من جوانب النقص فى هـذه الهوية، بحيث يعيق حركتها الإنسانية التكاملية. والله تبارک وتعالى اراد للإنسان فى هذه الحياة أن يقوم بواجبات ومسؤوليات كثيرة، وأعطى لهذا الإنسان حقوقا فى هذه الحياة من أجل أن يواصل مسيره إلى الله سبحانه وتعالى:«يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلى رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِيهِ» ، ويبلغ فى هذا المسير درجات الكمال الإنسانى القريب من الله تعالى.

ص:816

إذاً المرأة فى شخصـيتها وفى هويتها هى شخصـية كاملـة وجسـدت هـذا الكمال وعبّرت عنه. وانطلاقا من هذا الفهم لشخصـية المرأة فى الحيـاة الإنسانيـة، يمكن أن نقول بـأن المرأة تتحمـل المسؤوليات العامـة فى المجتمع الإنسانى، كما يتحملها الرجل على حـدٍ سواء. وقد يختلف الحال فى تقسـيم الأدوار، فيكون لشـخص ما دور ما ولشـخص آخر دور آخر وهكـذا، لكن من حيث الأساس فى حركة المجتمع تكون الواجبات واجبات مشتركـة، ولـذلک كانت الواجبات العامة، كالصـلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها من الواجبات العامة، التى يؤكد الحديث الشـريف على أنها أركان الإسـلام، ومما قام عليها الإسـلام، يتساوى فيها كل من الرجل والمرأة، فكما تجب الصلاة على الرجل تجب على المرأة ايضا، وكما وجبت الزكاة على الرجل وجبت على المرأة.

ص:817

الدور الثانی: حرکة التکامل الفردی

اشارة

لقد أراد الله تبارک وتعالی لهذا الإنسان أن یتحرک باتجاه الکمالات المطلقة، التی یتصف بها الله سبحانه وتعالی. وبطبیعة الحال لا یمکن للإنسان أن یصل إلی ذلک الکمال المطلق، وإنما أرید له أن یتحرک باتجاه ذلک الکمال، باتجاه العلم لأجل أن یکون فی صراط العلم الإلهی الکامل، وأرید له أن یتحرک باتجاه الجود وفی طریق الإحسان والخیر، وباتجاه کل ما یوصله للکمالات الإلهیة من خلال الخلوص فی العبودیة لله سبحانه وتعالی، کما یبیّن ذلک القرآن الکریم:«وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِیَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ حُنَفاءَ وَ یُقِیمُوا الصَّلاةَ وَ یُؤْتُوا الزَّکاةَ وَ ذلِکَ دِینُ الْقَیِّمَةِ» .

هذا الأمر هو الذی یعبر عن هذه المسیرة فی حرکة الإنسان نحو التکامل، وعند ما نأتی إلی الزهراء علیها السلام نجد فیما نجد من صفاتها هذه الخصیصة، وهذا الأمر الذی أکدت علیه الآیات الشریفة التی وردت فی سورة الدهر، عندما تحدّثت عن أولئک العباد الأبرار الذین وصلوا إلی أعلی

درجات التكامل، فی حركة العبودية لله تعالی، والتقوی والارتباط بالله سبحانه وتعالی، فالزهراء عليها السلام مثلت أيضا المحور فی هذه الحركة التی تحدث عنها القرآن الكريم.

هذا التحرک فی طريق التكامل هو من الأمور ذات العلاقة بدور المرأة فی الحياة، فكما أن الرجل لابد له أن يتحول فی حركته إلی عبد صالح مخلص فی عبوديته لله سبحانه وتعالی، وأن يتصف بالدرجات الكمالية العالية من التقوی والصلاح والعلم والتواضع والصبر والإحسان والجود والبذل والعطاء، إلی غير ذلک من الدرجات العالية التی دعا إليها الإسلام فی مسيرة كمالات الإنسان، وجهاد النفس والرقی نحو الله تعالی، كذلک أريد للمرأة فی أدوارها أن تسلک هذا الطريق وأن تتكامل فی هذا الجانب، لأن قابليتها فی الرقی والكمال والوصول إلی الله تعالی قابلية كاملة، ومؤهلاتها فی ذلک مؤهلات كاملة(1).

وتعليقا علی ما كتبه السيد الحكيم اقول انه لابد من الاشارة الی جملة امور منها: ان التكامل الاجتماعی ينطلق من تكامل افراده من كلا الجنسين ولا يمكن ان يكون هناک ای من التكامل فی هذا المضمار قاصرا علی جنس واحد، وان الاسلام طالما يعتبر ان المجتمع هو مجموعة اسر فالبداية تكون من الاسرة وكان البيت الذی جمع امير المؤمنين والزهراء عليهما السلام هو نموذج الاسرة الكاملة والصالحة والتی هی مقدمة ونواة تشكيل المجتمع الصالح الذی

1- (1) (مجلة رسالة الثقلين عدد 30).

هو هدف التربية الاسلامية.

ومن خلال التكامل الفردى يتم التمهيد للتكامل الاجتماعى ولهذا كان لابد ان تكون هناك صورة الانسان الكامل فى صورة إمرأة بعد ان تعددت الصور الرجالية فى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والامام على عليه السلام ومن ثم الائمة الباقين عليهم السلام والانبياء قبلهم، وكأن هناك رسالة اسلامية تعلن ان المرأة تستطيع السير فى طريق التكامل وذلك باتباع الخط الزهراوى والذى مررنا على اصوله من خلال العلم والعلاقة الطيبة والمستمرة مع الله (حتى لما ترضع اولادها أو لما تحرك الرحى) مضافا الى الحضور الفاعل فى الساحة العامة بكل ابعادها الثقافية والسياسية والاجتماعية بل حتى فى ساحة الحرب – اذا تطلب الامر – وواضح من خلال ذلك ان الامومة والزوجية ليست موانع ان لم تكن وسائل وامدادات نحوالتكامل لكن المشكلة ان المتعلقات القلبية كثيرة ولم تصل الكثير من النساء الى صياغة سليمة اسلامية لهذه المتعلقات!، اذ اننا نربى بناتنا على الاهتمام بالصورة والمظهر ومراعاة الادب العام والتفوق الدراسى لكن نهمل برنامج التكامل الانسانى الذى ينطلق من الشعور بمعية الله وعبوديته والامتثال لأوامرِهِ مهما تغير الزمان والمكان.

ولكى يشق الانسان – الذكر والانثى – طريقه نحو التكامل لابد ان يعتمد على آليات وسبل كى يحقق المطلوب عبر توفير الحاجات الانسانية لهذا الطريق من قبيل الحاجات المادية التى تساعد على صيانة وجوده ونشاطه

ص:820

وفعاليته فى المجتمع اضافة الى تربية العقل وتهذيب الوجدان وتنمية مواهبه، كما ولابد ان يكون هناك اهتمام ورعاية للقيم والفضائل الانسانية وتخليص الروح والنفس من الرذائل كى لا يعيش الانسان نزعته المادية فقط فيهمل الجانب المعنوى الذى هو اساس تكامله.

انه يمكن النظر الى التكامل على انه يشمل الجانب الفردى والاجتماعى ويُنظر الى التكامل على انه وراء تحقيق الفرد لقيمه واهدافه التى يؤمن بها على صعيد الفرد والمجتمع بتعبير آخر ان التكامل هو حركة نحو تدعيم الخلافة الربانية «إِنِّى جاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً» والخلافة تعنى اعمار الكون اجتماعيا وطبيعيا ودينيا وبالتالى هو سوق للمجتمع والفرد نحو ترشيد التوحيد سواء اكان التكامل على مستوى الذات أو النفس أو الفرد أو على مستوى المجتمع، وقد اعتمد آل البيت عليهم السلام ومنهم الزهراء عليها السلام على منهجية معينة لتوجيه الانسان نحو تكامله منها تقديم نموذج الانسان الكامل الذى تجلى فى شخوصهم فهم القدوة الكاملة ومن خلال التربية العملية للافراد كما فى تربية الزهراء عليها السلام لاولادها ولخادمتها فضة أو فى نموذج التربية الصامتة التى هى للجميع، ولعل من اهم الامور هو النظر بعين الله وتحديد الهدف والغاية بأن تكون الى الله ومعه تعالى وفى كل عمل وكل فكر، والتأكيد على النوايا الصالحة والصبر على المصاعب، ولم يهمل الاسلام عملية توجيه الغرائز والميول بل اهتم بتصريفها بشكل متوازن فهو فى الوقت الذى لم يهمل الاهداف السامية للغرائز كغريزة الجنس فى ادامة النسل وضع

لها ضوابط لتنظيم التصريف السليم لا الكبت ولا ننسى ان التكامل يجب ان ينطلق من ابعاده المتعددة الذاتية والاسرية والاجتماعية ولابد من رعايـة كل هـذه التشـعبات، فلا يمكن ان يكون شـخص ما متكاملا فى مسـيرته الذاتيـة ولكنه متعثرٌ فى علاقته باسـرتهِ أو مجتمعه!! بل التكامل يمرُّ على كل المحطات (خيركم خيركم لنسائه).

ورد أنّ سـعد بن معاذ وهو من أصـحاب رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم توفّى، فمشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازته دون حذاء أو رداء، ونزل فى قبره، وسـجّاه فى لحده، واهتمّ به، فلمّا رأت أمّ سعد ذلک قالت: يا سعد، هنيئاً لک الجنّة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يا أمّ سعد مه، لا تجزمى على ربّک، فإنّ سعداً قد أصابته ضمّة. ولمّا سئل رسول الله عن ذلک قال صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، إنّه كان فى خلقه مع أهله سوء"(1).

وبهـذا فالرجل المتكامل يعيش هـذا السـلوک الكامل مع ذاته واسـرته ومجتمعه وكذلک المرأة المتكاملة تصون هذه العلائق الثلاث، وقد فشـلت الاطروحات المعاصـرة التى رسـمت للمرأة طريقا (للتكامل) لا يمر بالبيت أو الاسرة اذ تعتبر المرأة كائنا مجردا وهو ما افرز جملة متناقضـات ادت الى التمرد على اسـاس الفكر النسوى.. كمـا ان ايجـاد الموازنـة بين اطراف التكامـل الثلاـث يؤدى الى تحقيق السواء فى الشخصية والاتزان النفسى الذى هو مطلب مُلِحٌّ

1- (1) (الأمالى، الشيخ الصدوق، ص 468).

فی الوقت المعاصر مع تزاید الضغوطات والاضطرابات، فلا افراط ولاتفریط بمعنی انی لا ابدد طاقتی الاجتماعیة بحجة انشغالی المطلق بنفسی أو اسرتی والعکس صحیح.

علی هذا فان للزهراء علیها السلام دورها الخاص فی تکامل المجتمع وتکامل الانسان وتکامل المرأة.

فاطمة الزهراء علیها السلام سیدة نساء العالمین

اشارة

عن ابن عباس قال: خط رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فی الأرض أربعة خطوط قال: تدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم: فقال رسول صلی الله علیه وآله وسلم: أفضل نساء أهل الجنّة خدیجة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد، وآسیة بنت مزاحم إمرأة فرعون، ومریم بنت عمران(1).

وعن عمران بن حصین أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قال لفاطمة: أما ترضین أن تکونی سیدة نساء العالمین، قالت: فأین مریم بنت عمران؟ قال لها: أی بنیه تلک سیدة نساء عالمها وأنت سیدة نساء العالمین علیها السلام(2).

وعن المفضل بن عمر قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: أخبرنی

1- (1) (مسند احمد ج 1|293، رواه مثله فی الاسیتعاب: 4|376، ومستدرک الحاکم: 2|497، وج 3|160 من طریقین والإصابة: 4|378 وأسد الغابة: 5|437، والبدایة والنهایة: 2|60، وذخائر العقبی: 42).

2- (2) (حلیة الأَولیاء 2|42، ذخائر العقبی: 43).

عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى فاطمة أنها سيدة نساء العالمين، أهى سيدة نساء عالمها؟ فقال: ذاک لمريم كانت سيدة نساء عالمها، وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين(1).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: إنها سيدة نساء العالمين، وإنها عديلة مريم بنت عمران، وإنها إذا مرت فى الموقف نادى مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وهذا من الأحاديث الصحيحة(2).

وقال النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:" فاطمة سيدة نساء أهل الجنة(3).

وجاء فى لسان العرب... قيل فى قوله عز وجل: (وسيداً وحصوراً)، السيد: الذى يفوق فى الخير.

وفى مفردات القرآن ان السيد: المتولى للسواد، أى: الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلک فيقال: سيد القوم، ولا يقال: سيد الثوب، وسيد الفرس، ويقال: ساد القوم يسودهم، ولما كان من شرط المتولى للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلا فى نفسه سيد. (الراغب الاصفهانى حرف السين).

1- (1) معانى الأخبار ص 107.

2- (2) (شرح النهج: ج 9، ص 119).

3- (3) (صحيح البخارى بشرح الكرمانى، ج: 15، ص: 4. وأمالى الصدوق، ص: 187. وبحار الأنوار، ج 21، باب: 27، ص: 142، رواية: 5. ومسند الإمام أحمد، ج: 3، ص: 498، وج: 6، ص: 542).

ان السيد هو اكمل قومه فى الفضائل والاعتبارات والملكات والقيم التى يحملها ولو كان الامر غير ذلک لانتفت سيادته اذ كيف يسود قوما يكون فيهم من هو افضل منه!، وبهذا تكون الزهراء عليها السلام افضل نساء الامة وقد جمعت كل الكمالات الانسانية، وهى نموذج نساء اهل الجنة الذى عاش فى الارض دهرا ليعطى نموذج الانسان الذى يخلد فى الجنة من خلال اعماله وصفاته.

روى المجلسى رحمه الله قال: قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملک من المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم، فيقولون: يا فاطمة «إِنَّ اللّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاكِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ»1 .

وكما ان سيادة شباب اهل الجنة هى على كلا الجنسين كذلک سيادة نساء العالمين هى مطلقة وعامة ولكلا الجنسين، فالتعريف بالسيدة الزهراء على انها سيدة نساء العالمين لا يراد منه بيان مقامها للنساء فقط فهى قدوة الرجال والنساء على مر العصور والدهور بل هى القدوة الخالدة ونموذج الانسان الكامل الذى يحتاجه كل انسان كى يقتدى به. كما هو فى المثال الذى ضربه تعالى للذين آمنو:

«وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِنْدَکَ»

«بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَ نَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ (11) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا وَ صَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وَ كُتُبِهِ وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ (12)» التحريم.

وعن أبی جعفر علیه السلام فی حدیث طویل: "ولقد کانت علیها السلام مفروضة الطاعة علی جمیع من خلق الله، من الجن والانس والطیر والوحش والأنبیاء والملائکة"(1).

والزهراء والسیدة مریم علیهما السلام هما السیدتان المعصومتان بین کل نساء الارض، علی هذا فهما افضل النساء وخیر النساء، وقد اورد علماؤنا قراءات کثیرة فی من هی الافضل بینهما وجلها تشیر الی افضلیة الزهراء علیها السلام علی مریم علیها السلام، واستدلوا علی ذلک من جملة امور منها ان هذه الامة هی خیر امة اخرجت للناس فکل مافیها افضل من غیرها، وقال العلامة المجاهد السید شرف الدین رحمه الله:

تفضیلها علی مریم علیها السلام أمر مفروغ عنه عند أئمة العترة الطاهرة وأولیائهم من الإمامیة وغیرهم، وصرح بأفضلیتها علی سائر النساء حتی السیدة مریم کثیر من محققی أهل السنة والجماعة کالتقی السبکی، والجلال السیوطی، والبدر، والزرکشی، والتقی المقریزی، وابن أبی داود وغیرهم.

والسؤال هنا اننا قد مررنا علی اسماء والقاب کثیرة فی عالم الرجال فهناک

1- (1) (دلائل الإمامة: 28).

نـبى وامـام ورسـول ومعصوم وسـيد شـباب اهـل الجنـة فهـل نحتـاج الى إمرأة بهـذا اللقب؟ ان النـاس دائمـاً وأبـداً بحاجـة الى التعريف بالاشـخاص.. فمن هو محمد صـلى الله عليه وآله وسـلم؟ نقول هو رسول الله ونبيه وخاتم الانبياء وسيد المرسلين وسيد البشر وهذا عامل توجيه وجذب وتنبيه الى المنزلة السامية له والمكانة العظيمة التى يمتلكها مما يجعلنا نتعامل بأدبٍ واحترام فلا نذكره دون الصـلاة عليه ولا نرضـى بإهانة ساحته المقدسة، ونحن كبشـر عاديين نسـعى للاقتداء بالانسان الكامل الذى نرى فى صورته العظيمة ومناقبه الكريمة ما يدلنا على ذلک، وقـد لا نهتـدى اليه بسـهولة فنحتاج الى اعانة وتلميح وتعريف، فالتعريف بمنزلة الاشـخاص عن طريق الالقاب والكنى يساعد على جـذب الانتباه وعلى رسم الصورة السامية لهم عند الاجيال الحاضـرة والقادمة، ونحن نرى فى تسـمياتنا الحديثة ان هذا امير للشـعراء وذاک عميد المنبر وذاک ابو الكرة.. كلها اسماء والقاب يراد منها طرح النموذج الافضل والاحسن والتعريف بشخوصهم.

ويأتى بيان سيادة الزهراء عليها السلام على نساء العالمين رغم انها المرأة الزاهدة التى ليس فى لباسها أو مظهرها مايشير الى الرفعة أو التميز عن بـاقى النسـاء.. وهـذا تأديب لنا كى نعرف آليات التقييم الصـحيح التى لا تقوم على اساس الصورة أو المظهر أو خزائن المال أو اى من الاعتبـارات الدنيويـة بل الميزان على ما يمتلكه الانسان من الفضائل الانسانيـة وعلى مالـديه من علم ومعرفـة وخلق وتسامٍ ومايقـدمه من خدمة للاخرين.

ص:827

ولأنها عليها السلام سيدة نساء اهل الجنة فهى عملية ربط بالاخرة لتعليم الانسان – بصورتيه – ان الاعتبارات الاخروية هى نفسها فى الدنيا ولا تقوم على الصور والاجساد والهياكل البشرية، وانما على الاعمال والفضائل وان الدنيا مزرعة الاخرة.

وحينما تمر امام اعيننا صورة الزهراء عليها السلام نعرف ان طريق الكمال لابد ان يكون مسايرا للحشمة والعفة ولهذا مهما طرح الغرب من نماذج انحدارية فهى حالة مؤقتة طارئة لأن الاصل هو الستر والعفاف وهو ماتريده فطرة الانسان التى لن تتغير مهما تغير الزمان.

(وعليه، فأن تكون فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، معناه أنها استجمعت فى عقلها وقلبها وفضائلها كل عقل وقلب وفضائل نساء أهل الجنة، بل وتفوّقت عليهنّ فى ذلک).

ان اللقب الحسن يترک اثره على الطرف المقابل وقد استعمل القرآن الكريم الكثير من الالقاب لبيان المنزلة من جهة وهو ايضا اسلوب تربوى يدعو الى الاقتداء بصاحب اللقب، قال تعالى:

«إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِى الدُّنْيا وَ الآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَ يُكَلِّمُ النّاسَ فِى الْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ مِنَ الصّالِحِينَ (46)» سورة آل عمران.

واطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على سلمان الفارسى لقب المحمدى وانما اراد بذلک نبذ التفرقة الجاهلية القائمة على التمييز والعنصرية

من جهة ولبيان مكانة سـلمان رضى الله عنه العالية عند اهل البيت عليهم السلام، ونفس هذه الالقاب نجدها فيما نسب اليه صلى الله عليه وآله وسـلم فى ان الحسـنين عليهما السـلام هما سـيدا شـباب اهل الجنة واراد صـلى الله عليه وآله وسلم من خلال ذلک ان يعرفنا بصورة خالـدة عن سـمات اهل الجنـة وانهم من الشـباب، ولكى تواصل الامـة الاقتـداء بهم ونصـرتهم طلبا للجنـة، وبهذا تكون الالقاب والكنى والاسـماء داخلة ضـمن التربية الصامتة التى تساهم فى تقريب القدوة الحسنة من الناس، ومن المؤكد انى – كانسان مسلم – احب الاقتداء بسيدى شباب اهل الجنة وبسيدة نساء العالمين عليهم افضل الصلاة والسلام.

ويبـدو ان معركة الالقاب مسـتمرة فأن الروايات حول سـيدات نساء العالمين تارة تختزل الى اثنتين هما مريم وآسـية وتارة ثلاث ورابعة يتم ادخال اخريات بتشبيه التفضـيل على النساء كفضل الثريـد!! وهـذا يعكس لنا اهميـة صـيانة الالقاب لمسـتحقيها وان منح اللقب هو وسام يتقلده صاحبه لكى يعرف الآخرون مآثره.

وفى المقابل نجـد ان هناک نهيا قرآنيا عن التنابز بالالقاب لما يؤدى اليه من اسـقاط للشخصـية اجتماعيا ونفسـيا وتربويا بل قد يكون سـببا لهجر وتدمير الشخصية نفسها.

قـال تعـالى:«يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْـخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسـى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسـى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ»

«وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِکَ هُمُ الظّالِمُونَ» (11) الحجرات.

وقد لعبت التسميات دورا مهما فی العبث بالتاريخ اذ اطلق حكام السوء على انفسهم لقب ولاة الامر أو يد الله أو (امير المؤمنين) أو يطلقون على زوجاتهم لقب (ام المؤمنين) الى غير ذلک كی يضفوا على انفسهم حالة من القدسية تكون عونا لهم للبقاء على كراسی الحكم غارقين فی الملذات ومنتهكين للحرمات وعابثين بثروات المسلمين مستحلين لارواحهم وذممهم!!.

ان هناک نوعين من الذات هما الذات المثالية وهو مايريد الفرد ان يصل اليه، والذات الواقعية التی هی الصورة التی نحن عليها الآن، فما اجمل ان تكون الذات المثالية لنا هی صورة سيدة نساء العالمين عليها السلام بكل ما فی هذه الصورة من معانٍ وقيم.

ومادمنا مررنا على السيدة مريم عليها السلام فلا بأس من بيان بعض الامور:

ان كلتا الاثنتين (السيدة الزهراء ومريم عليهما السلام عاشتا الاصطفاء الالهی قال تعالى:

«وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ وَ اصْطَفاکِ عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ (42) يا مَرْيَمُ اقْنُتِی لِرَبِّکِ وَ اسْجُدِی وَ ارْكَعِی مَعَ الرّاكِعِينَ (43)» آل عمران.

فكما أن الله تعالى اهتم بمريم وأنبتها نباتاً حسنا فكذلک جاءت العناية

الملكوتية بالزهراء لتكون نفسا اقدس من مريم كما مر بنا فى ولادتها اذ حضرتها مريم عليها السلام نفسها لتكون عونا لأمِّها فى ذلک.

ومريم عليها السلام كفلها نبى هو زكريا عليه السلام ليس فى مرتبة الرسول الخاتم سيد الانبياء والمرسلين وخير البشر وحبيب رب العالمين، وكل هذه العناية كى يولد عيسى عليه السلام الذى يصلى خلف المهدى عليه السلام ما يعنى افضلية المهدى عليه فكيف بالزهراء التى كان من نسلها احد عشر اماما اخرهم مهدى هذه الامة؟!.

كما ان الابتلاء والمحن التى مرت على مريم عليها السلام كانت محدودة فما لاقته الزهراء اعظم بكثير، اذ واكبت ألَم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة منذ البداية حتى الرحيل، كما ان الزهراء عليها السلام هى صاحبة الشفاعة الكبرى وليست هناک إمرأة تمتلک هذا المقام ففى الحديث:

فى تفسير فرات... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله عزّ وجلّ: يا بنت حبيبى، ما التفاتک وقد أمرت بک إلى جنتى؟ فتقول: يا رب! أحببت أن يعرف قدرى فى مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبى ارجعى فانظرى من كان فى قلبه حب لک أو لأحد من ذريتک خذى بيده فأدخليه الجنة. قال أبو جعفر عليه السلام: والله.. يا جابر إنها ذلک اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردىء. فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقى الله فى قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل: يا أحبائى ما التفاتكم وقد شفّعْتُ فيكم فاطمة بنت حبيبى؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قـدرنا فى مثل هذا اليوم؛ فيقول الله: يا أحبائى ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سـقاكم شـربة فى حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة فى حب فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنـة. قـال أبو جعفر عليه السـلام: والله.. لا يبقى فى الناس إلا شاك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات، نادوا كما قال الله تعالى:«فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ (100) وَ لا صَـدِيقٍ حَمِيمٍ» فيقولون:«فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» . قال أبو جعفر عليه السـلام: هيهات هيهات منعوا ما طلبوا «وَ لَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ» 1 .

كما ان الارض تزدهر بنور المصـطفى من خلال ذريته الكريمة فى الائمة الاثنى عشـر وآخرهم الامام المنتظر عجل الله فرجه الذى سيقود الثورة التى تقلب الموزاين وتطهر الارض من الشـرک ويؤسـس لدولـة الحق التى بقيت أملاً يـداعب عيون الموالين والموحـدين، فى حين تغيب ذرية مريم عليها السـلام فالمسـيح عليه السلام لم يتزوج وليس له ذرية وهو يصلى خلف ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم التى كانت الزهراء عليها السلام هى كوثرها الكثير.

كما ان السـيدة الزهراء عليها السـلام تميزت بادوارها المهمـة والخطيرة فى الحياة العامـة والخاصـة، وقلنا سابقا ان ادوارها تاسـيسة جديـدة ممتدة وهى

الحجر الاساس الذى ننطلق منه لفهم التصور الاسلامى عن الانسان والمرأة، ولأن ادوارها ممتدة التأثير – حتى الظهور – فهى توظف المرأة والرجل على حد سواء ليكونا مدافعين عن الولاية والامامة ومطلوب منهما النصرة قبل وابان وبعد الظهور، ونجد فى الروايات ان مع الحجة خمسين إمرأة ضمن ال – 313 كما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام(1).

وفى حديث جابر عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: قلت لِمَ سميت فاطمة، زهراء فقال: لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين وقالوا إلهنا وسيدنا ما هذا النور فأوحى الله إليهم هذا نور من نورى أسكنته فى سمائى من عظمتى أخرجه من صلب نبى من أنبيائى أفضله على جميع الأنبياء واخرج من ذلک النور أئمة يقومون بأمرى يهدون إلى حقى واجعلهم خلفائى فى ارضى بعد انقضاء وحيى.

وقد كانت حياة مريم عليها السلام رهبنة منقطعة الى الله تعالى ولم يكن لها تعاطٍ مع المجتمع الا فى حدود ضيقة فى حين ان الزهراء عليها السلام كانت حياتها كلها جهاداً وحركة دائبة مستمرة الى الله من اجل نصرة الدين حتى راحت شهيدة مظلومة.

وقد ذكرنا سابقا ان مريم كانت متفرغة للعبادة وكان يأتيها رزقها فى حين ان الزهراء عليها السلام كانت حياتها كلها عبادة لكنها وسعت المجتمع

1- (1) (البحار: 223/52).

بأسره مع خواء البطن وقلة ذات اليد..

عن الإمام الصادق عليه السلام: هى فاطمة الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى(1).

وقد آثرت ان اعرّف بمقامات الزهراء عليها السلام لاتمام الفائدة وهى:

أ – مقامها عند الله تعالى

ب – مقامها عند الملائكة

ج – مقامها عند الأنبياء والنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم

د – مقامها عند الأئمة عليهم السلام

ه -- مقامها يوم القيامة.

1 – مقامها عليها السلام عند الله تعالى

إنّ من المقامات التى خصت بها فاطمة الزهراء عليها السلام هو مقام الرضا أى ان الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها.. وهذا مما يدل على كونها ذات مقام عالٍ وشريف وسامٍ لها عند الله تعالى: إذ لا معنى ان يرضى الله لشخص من دون أن يكون له عند الله منزلةٌ وكرامةٌ عليه.

عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يا فاطمة ان الله ليغضب لغضبک ويرضى لرضاک"(2).

1- (1) امالى الطوسى، ج 2، ص 280.

2- (2) المناقب: 3l106).

2 – مقامها عليها السلام عند الملائكة

فى حديث طويل.." ...فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر، الذى قد أشرقت به السموات والأرض؟ فأوحى الله إليها: هذا نور اخترعته من نور جلالى لأمتى فاطمة ابنة حبيبى، وزوجة وليّى وأخى نبيّى وأبى حججى على عبادى، أُشهدكم ملائكتى أنّى قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة.

وهذا يعنى انها عليها السلام لها مقام النور الزاهر عند الملائكة فهم يعرفونها فى السماء بالنور الزاهر الذى أزهرت السماوات والأرض به ولأجل ذلك سميت بالزهراء.

3 – مقامها عليها السلام عند الأنبياء والنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم

أما عند الأنبياء فهذا ما يدل عليه الحديث المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام الذى يقول: ما تكاملت نبوة نبى من الأنبياء حتى أقرّ بفضلها ومحبتها وهى الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى، حيث يظهر من هذا الحديث ان لها مقاماً سامياً عند الأنبياء لأنه ما تكاملت نبوتهم حتى أقروا بمنزلتها ومقامها وفضلها.

4 – مقاماعليها السلام عند الأئمة عليهم السلام

ورد عن الإمام الحسن العسكرى عليه السلام أنه قال:

"نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا.

وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة الذى أعطى لفاطمة عليها السلام وعلى لسان حفيدها الحسن العسكرى عليه السلام أكبر شهادة عظمى بحقها.

عن الإمام المهدى (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أنه قال:" وفى ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى أسوة حسنة..."(1).

5 - مقامها عليها السلام يوم القيامة

إن أفضل مقام تعطى فاطمة عليها السلام يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى والذى من خلال هذه المنزلة يظهر قدر ومقام فاطمة عند الله تعالى يوم القيامة وأمام الخلائق جميعاً، فلقد ورد فى تفسير فرات... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله عزّ وجلّ: يا بنت حبيبى، ما التفاتک وقد أمرت بک إلى جنتى؟

فتقول: يا رب! أحببت أن يعرف قدرى فى مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا بنت حبيبى ارجعى فانظرى من كان فى قلبه حب لک أو لأحد من ذريتک خذى بيده فأدخليه الجنة.

قال أبو جعفر عليه السلام - والله - يا جابر إنها ذلک اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الردىء. فاذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقى الله فى قلوبهم أن يلتفتوا فإذا التفتوا فيقول الله عز وجل:

1- (1) (البحار: 53l179 و 180، الاحتجاج: 2l277).

يا أحبائى ما التفاتكم وقد شفّعْتُ فيكم فاطمة بنت حبيبى؟

فيقولون: يا رب أحببنا أن يعرف قدرنا فى مثل هذا اليوم؛ فيقول الله: يا أحبائى

ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة فى حب فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة فى حب فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة(1).

1- (1) (بتصرف المسعودى، الاسرار الفاطمية ص 97-108).

كلمة اخيرة

لقد حاولت فى هذه السطور المتواضعة ان أُعيد قراءة سيرة الزهراء عليها السلام من زاوية اجتماعية.

بالشكل الذى يمكن ان يوصلنا الى فهم معاصر لهذه الشخصية العظيمة، وفى النفس امنية فى ان لا تتحول السيرة الى مجرد ترف فكرى نتباهى به أو حشو ذهنى عاجز عن الولوج الى ساحة التطبيق العملى من باب الاقتداء بها، فالمطلوب هو الاعانة على السير العملى نحو هذه الصورة العظيمة التى يقول عنها صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف:

وفى ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى اسوة حسنة(1).

فاذا كان هذا هو قول الامام المعصوم فما نقول نحن؟ فحجية الزهراء على النساء اعظم بكثير من حجيتها على عموم المؤمنين!!.

وعلى هذا فنحن نحتاج الى آليات متعددة لزيادة الفهم والاقتداء منها:

1 - ادراج سيرتها عليها السلام فى مناهج التدريس وفى كافة المراحل

1- (1) (البحار ج 53 ص 180 179).

الدراسية بما يتناسب مع مستوى الفهم والادراک على ان تراعى فى ذلک مضافا الى الصدق والمصداقية الاستفادة من آليات العصرنة لتحقيق اكبر قدر من الجذب نحو هذه الصورة الانسانية العظمى شريطة ان لا يتم التجزىء اى طرح النموذج للنساء فقط فالعمومية مطلوبة والوقوف عند الخصوصيات امر فى غاية الاهمية لقلة النماذج العليا فى هذا الجانب.

2 – الاهتمام بالخط الزهراوى من خلال دراسة سيرة المجاهدات والشهيدات والكاتبات والناشطات المسلمات بما يمكن ان يطرح وعيا جديدا للصورة المعاصرة للزهراء عليها السلام.

3 – تفعيل دور النخب النسوية فى المجتمع، والاهتمام بنشر الوعى الثقافى خاصة فيما يرتبط بفهم المرأة المسلمة لأمور الدين ومكانتها ودورها فى الشريعة. ونحتاج الى تطوير الاداء النسوى أو بالاحرى الدخول الى قضايا المرأة من ابعادها المختلفة فما زلنا نتعثر فى امور الفقه والنص والواجب والمسؤولية ويجب ان يتم الامر بعيدا عن التطرف والانفعالية التى تتسم بها اكثر الكتابات.

4 – تبدو المرأة المسلمة المعاصرة بحاجة الى اعادة النظر فى صياغة الذات على اساس ما أقرته الشريعة بعيدا عن الافراط والتفريط، كما انها بحاجة الى دراسة التيارات والرؤى العالمية المطروحة عن المرأة كى تصل الى فهم اعمق واصوب للدين، ولنجعل من الخط الزهراوى الذى هو خط الاستقامة الذى يحاذى الوسطية منهجا فى الحياة.

ص:839

وواحـدة من كبريات اخطائنا اننا حجمنا اهل البيت عليهم السـلام فى دائرة ضـيقة هى دائرة المذهب فجعلنا الحسـين عليه السـلام شـهيد المذهب ورجل حريته فى حين انه شـهيد الانسانية والمدافع العالمى عن الحرية والكرامة والانسانية، وهذا التضييق يجعل شخصية الزهراء عليها السلام تُطرح ضمن اطار محدود الصورة والتأثير، ولهذا فالنجاح كل النجاح لما نجعلها فى محلها اى سيدة نساء العالمين ونقوى من عوامل الجذب نحو هذه الصورة المقدسة لكل البشرية.

اللهم إنى لو وجدت شـفعاء أقرب إليک من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار، لجعلتهم شـفعائى، فبحقهم الذى أوجبت لهم عليک، أسألک أن تـدخلنى فى جملة العارفين بهم وبحقهم، وفى زمرة المرحومين بشـفاعتهم، إنک أرحم الراحمين، وصـلى الله على محمد وآله الطاهرين، وسلم تسليما كثيرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ص:840

المصادر

اشارة

1 – القرآن الكريم.

2 – أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات؛ لبنان.

3 – الامام على بن الحسين عليه السلام، رسالة الحقوق.

المعاجم

4 – ابراهيم انيس ورفقاؤه، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 2004 م.

5 – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين ابوعمرو، دار الفكر ط 1998 2.

6 – ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، 2003 م

7 – الفيروز آبادى، القاموس المحيط، المكتبة العصرية، بيروت، 2009 م.

8 – الحموى، ياقوت، معجم البلدان طبعة دار احياء التراث العربى، بيروت، 1399 ه –.

9 – الجوهرى، اسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1990 م.

10 – المعجم الوجيز، اصدارات مجمع اللغة العربية الخاص بوزارة التربية والتعليم، 1994 م، مصر.

11 – إبن أبی الحدید المعتزلی، عبد الحمید، شرح نهج البلاغة، منشورات دار مکتبة الحیاة، بیروت، لبنان، سنة 1983 م.

12 – ابن الاثیر، علی بن أبی الکرم محمـد بن محمـد الشـیبانی، الکامل فی التاریـخ، دار الکتب العلمیة، بیروت، الطبعة الأولی، 1407 ه 1987 ه.

13 – ابن الجوزی، سبط، تذکرة خواص الأمة فی خصائص الأئمة، ط 1، دار الکتب العلمیة، بیروت، 2004 م.

14 – ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة تاریخ ابن خلدون، دار ابن الهیثم، ط 1، 2009 بیروت، لبنان.

15 – ابن سعد، محمد، الطبقات الکبری، تحقیق محمد عبدالقادر، ط 1 سنة 1410 ه – دار الکتب العلمیة، بیروت.

16 – ابن شهراشوب، محمّد بن علی المازندرانی، مناقب آل أبی طالب، دار الأضواء، بیروت، لبنان، ط 2، عام 1991 م.

17 – ابن طاووس، علی بن موسی الحلّی، اللهوف علی قتلی الطفوف، دار التیار الجدید للطباعة والنشر والتوزیع، ط 1، بیروت، 1992 م.

18 – ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ط 1، 1994.

19 – ابن طیفور، أبو الفضل أحمد بن أبی طاهر، بلاغات النساء، المکتبة العصریة للطباعة والنشر، ط 1، 2005 م.

20 – ابن عساکر الدمشقی، علی بن الحسن، تاریخ دمشق تحقیق: علی شیری، دار الفکر، ط 1، بیروت، لبنان 1415 ه –.

21 – ابن قتیبة الدینوری، أبو محمد عبد الله بن مسلم (المتوفی 276 ه –)، تأویل مختلف الحدیث، ج 1، تحقیق: محمد زهری النجار، دار الجیل، بیروت، 1972 م.

22 – ابن قتیبة، الإمامة والسیاسة، دار الکتب العلمیة، ط 1، 2008 م.

23 – ابن قتیبة، عیون الأخبار، ط سنة 1383 ه –، المؤسسة المصریة العامة.

24 – ابن كثير، اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق احمد ابو معلم، دار الكتب العلمية، 1985 م، لبنان.

25 – ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقى، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة 1412 ه – 1992 م.

26 – ابن كثير، جامع الاسانيد والسنن، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان 2006.

27 – ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2002 م.

28 – ابن هشام، سيرة ابن هشام، تحقيق طه سعد، ط سنة 1411 ه –، دار الجيل، بيروت.

29 – ابو الحسين، ورام بن ابى فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ط 1، 1995 م.

30 – ابو داوود، سليمان بن اشعث السجستانى الازدى، سنن ابى داوود، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان.

31 – ابو علم، توفيق، أهل البيت عليهم السلام، مكتبة الإرشاد، / 1982 م، لبنان.

32 – ابو علم، توفيق، فاطمة الزهراء، دار المعارف، ط 1، 1998 م.

33 – أحمد بن حنبل، أبو عبد الله، فضائل الصحابة تحقيق: د. وصى الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1983 م.

34 – احمد بن حنبل، مسند احمد، عالم الكتب، 1998 بيروت، لبنان.

35 – الاديب، دور ائمة اهل البيت فى الحياة السياسية، دار التعارف، بيروت، لبنان، 1988 م.

36 – الاربلى، على بن عيسى، كشف الغمة فى معرفة الائمة، دار الاضواء، بيروت ط 2، 1405 ه –.

37 – الأزرقى، أبو الوليد محمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، دار الشعاع للنشر، ط 1، 2007 م.

38 – الأصفهانى، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، دار المعرفة للطباعة، والنشر، 2005 م، ط 1.

39 – الاصفهانی، ابو نعیم، حلیة الاولیاء وطبقات الاصفیاء، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، لبنان، ط 1، م 2001.

40 – الراغب الصفهانی، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الکتب العلمیة، بیروت لبنان، 1425 ه –.

41 – الآلوسی، محمود، روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی، دار الکتب العلمیة، بیروت، 1425 ه –.

42 – الآمدی، عبد الواحد، غرر الحکم ودرر الکلم، ط 3، طهران، 1360 ه –.

43 – الامینی، إبراهیم، فاطمة الزهراء المرأة النموذجیة فی الإسلام، ترجمة: علی جمال الحسینی، طهران.

44 – الامینی، عبد الحسین، الغدیر فی الکتاب والسنة والادب، دار الکتاب العربی بیروت، لبنان، 1397 ه –.

45 – البحرانی، عبد الله، عوالم العلوم والمعارف والاحوال، دار الکتاب الإسلامی، بیروت، 1412 ه –.

46 – البحرانی، عوالم الزهراء علیها السلام، تحقیق مؤسسة الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف، قم.

47 – البحرانی، هاشم، تفسیر البرهان، دار إحیاء التراث العربی، ط 1، بیروت، لبنان.

48 – البخاری، ابو عبد الله، صحیح البخاری، المکتبة العصریة، بیروت، لبنان، 2008.

49 – البخاری، محمد بن اسماعیل، الجامع الصحیح، دار احیاء التراث العربی، بیروت لبنان، 1401 ه –.

50 – البدری، سامی، السیرة النبویة، ط 2، سنة 1423 ه –، دار طور سینین للطباعة والنشر، بغداد، العراق.

51 – البرقی، أحمد بن محمّد (م 280 ق)، المحاسن، تحقیق: السیّد مهدی الرجائی، المجمع العالمی لأهل البیت (علیهم السلام)، 1413 ه –، ط 1، قم.

52 – البصری، ابن شبة، تاریخ المدینة المنورة، دار الکتب العلمیة، ط 1 بیروت لبنان، 1996.

53 – البلاذری، أحمد بن علی بن جابر (ق 3) أنساب الأشراف، تحقیق الشیخ محمد باقر المحمودی، دار التعارف، بیروت، 1397 ه –.

54 – البلاذری، أبی العباس أحمد بن یحیی، فتوح البلدان، مؤسسة المعارف بیروت، لبنان، 1407 ه – 1987 م.

55 – البیهقی، ابو بکر احمد بن الحسین، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشریعة تحقیق: عبد المعطی امین قلعجی، دار الکتب العلمیة، ط 1، بیروت، لبنان، 1405.

56 – البیهقی، ابو بکر احمد بن حسین بن علی بن عبد الله بن موسی، السنن الکبری دار الحدیث، بیروت، لبنان، ط 1، عام 2008.

57 – التستری، نور الله ابن السیّد محمّد شریف الدین بن نور الله الحسینی، إحقاق الحق، مکتبة السید المرعشی، قم، ایران.

58 – التمیمی، أحمد بن علی بن المثنی، مسند أبی یعلی، دار المأمون للتراث، دمشق وبیروت، تحقیق حسین سلیم أسد، ط 2، 1989.

59 – التویسرکانی، حسین، مسند فاطمة الزهراء، مراجعة محمد الحسینی الجلالی، ط 1، دار الصفوة،، بیروت، لبنان، 1413 ه –.

60 – الترمذی، سیرة ابن هشام، تحقیق عمر عبد السلام، دار الکتاب العربی، ط 3، بیروت، لبنان 1410 ه.

61 – الترمذی، ابو عیسی محمد بن عیسی، الجامع الصحیح أو سنن الترمذی، تحقیق: محمود محمد محمود حسن نصار، دار الکتب العلمیة، ط 3، بیروت، 2011، لبنان.

62 – الجزری، ابن الأثیر علی بن محمد، أسد الغابة فی معرفة الصحابة، تحقیق علی محمد معوض وعادل احمد، دار الکتب العلمیة، بیروت، لبنان، ط 1، 1415 ه –.

63 – الجزری الشافعی الدمشقی، شمس الدین ابو الخیر محمد بن محمد، اسمی المناقب فی تهذیب اسنی المطالب تصحیح الشیخ المحمودی، الدار الاسلامیة، بیروت، لبنان.

64 – الحافظ القندوزی، سلیمان، ینابیع المودة، مؤسسة الأعلمی، بیروت، ط 1، 1997.

65 – الحاكم الحسكانی، أبو عبد الله، شواهد التنزیل لقواعد التفضیل، مؤسسة الأعلمی، ط سنة 1393 ه –، بیروت، لبنان.

66 – الحاكم النیسابوری، أبو عبد الله محمد بن البیع، المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمیة، بیروت، لبنان 2008.

67 – الحر العاملی، وسائل الشیعة، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، لبنان، ط. 1404.

68 – الحرانی، ابن شعبة، ابو محمد الحسن بن علی، تحف العقول عن آل الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، مؤسسة الاعلمی، بیروت، لبنان، 1974.

69 – الحسنی، هاشم معروف، سیرة الأئمة الاثنی عشر، دار التعارف للمطبوعات، 1406 ه –، لبنان.

70 – الحسنی، سیرة المصطفی، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ط 1، بیروت 1996.

71 – الحكیم، محمد باقر، فاطمة الزهراء علیها السلام، مؤسسة تراث الشهید الحكیم، العراق، 2006.

72 – الحكیم، محمد باقر، دور اهل البیت فی بناء الجماعة الصالحة، المجمع العالمی لاهل البیت، ط 2 سنة 1425.

73 – الحلبی، علی بن برهان الدین، السیرة الحلبیة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بیروت، لبنان، ط 1، 1990.

74 – العلامة الحلی، أبو منصور، الحسن بن یوسف بن علی بن مُطهّر الأسدی، تحریر الأحكام، مؤسسة الإمام الصادق، قم، إیران، ط 1، 1420 ه –.

75 – الحلو، محمد علی، مقامات فاطمة الزهراء فی الكتاب والسنّة، دار الأمیرة للطباعة والنشر والتوزیع، ط 1 لبنان، 2011.

76 – الحموینی، محمد بن ابراهیم جوینی، فرائد السمطین، مؤسسة المحمودی، بیروت، ط 2008 1.

77 – الحویزی، عبد علی بن جمعة العروسی، تفسیر الثقلین، مؤسسة التاریخ العربی للطباعة والنشر والتوزیع، ط 1، 2001.

78 – الخطیب البغدادی، ابو بکر احمد بن علی، تاریخ بغداد، دار الکتب العلمیة، ط 1 بیروت، لبنان سنة 1417 ه – 1997 م.

79 – الخوارزمی، الموفق بن احمد المکی، مقتل الحسین (علیه السلام)، دار انوار الهدی، قم، ایران.

80 – الخوارزمی، الموفق بن احمد المکی، المناقب، مؤسسة النشر الأسلامی، قم، ایران.

81 – الدارقطنی، ابو الحسن علی بن عمر، سنن الدار قطنی، تحقیق: ابو الطیب محمد آبادی، عالم الکتب، ط 4، بیروت، لبنان 1406 ه –.

82 – الدارمی، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمی، دارالمحاسن، القاهرة، تحقیق عبد الله هاشم الیمانی 1386 ه.

83 – الدمیری، محمد بن موسی، حیاة الحیوان الکبری، منشورات الشریف الرضی، قم، ایران.

84 – الذهبی، شمس الدین، تذکرة الحفاظ، تحقیق عمیرات، ط 1 سنة 1998 م، دار الکتب العلمیة، بیروت.

85 – الذهبی، شمس الدین محمد بن عثمان، سیر أعلام النبلاء، دار إحیاء التراث العربی، بیروت لبنان 2010.

86 – الذهبی، المغازی، دار الکتاب العربی، بیروت، لبنان.

87 – الرازی، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسین التیمی الرازی الملقب بفخر الدین الرازی، مفاتیح الغیب أو التفسیر الکبیر، دار الفکر، بیروت، ط 1، 1981.

88 – الرازی، عبد الرحمن بن ابی حاتم، الجرح والتعدیل، دار احیاء التراث العربی، ط 1، بیروت، 1988.

89 – الراوندی، قطب الدین، الخرائج والجرائح، مدرسة الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف، قم ط 1، سنة 1409.

90 – الراوندی، قطب الدین ابو الحسین سعید بن هبة الله، الدعوات، مدرسة الإمام المهدی عجل الله تعالی فرجه الشریف قم، ایران.

91 – الراوندی، فضل الله بن علی، النوادر، تحقیق: سعید رضا عسکری، دار الحدیث، قم، ط 1، 1999

92 – الریشهری، محمد، میزان الحکمة، الدار الاسلامیة للطباعة، بیروت، لبنان، 1985.1403 ه –.

93 – الزنجانی الخوئینی، إسماعیل الأنصاری، الموسوعة الکبری عن فاطمة الزهراء سلام الله علیها، منشورات دلیل ما، ط 1، قم، 1428.

94 – سلیم بن قیس، المطبعة الحیدریة، النجف الأشرف، العراق.

95 – السرخسی، شمس الدین، المبسوط، دار المعرفة، بیروت، لبنان 1406 ه.

96 – آل سیف، فوزی، الحیاة الشخصیة عند أهل البیت، دار محبی (موقع الشیخ فوزی آل سیف).

97 – السیوطی، جلال الدین، الدر المنثور فی التفسیر المأثور، دار الفکر، ط 1، بیروت لبنان 1414 ه.

98 – السیوطی، جلال الدین، الجامع الصغیر فی احادیث البشیر النذیر، دار الفکر، ط 1 بیروت لبنان، 1401.

99 – السیوطی، جامع الاحادیث، ط 1، دار الفکر العربی، بیروت، 1998.

100 – السیوطی، مسند فاطمة الزهراء، دار ابن حزم، 1994، بیروت، لبنان.

101 – السبحانی، جعفر، سیرة سید المرسلین، دار الاضواء للطباعة والنشر، بیروت لبنان، 2003.

102 – د. شریعتی، علی، فاطمة هی فاطمة، ترجمة وتحقیق خلیل علی ومحمد حسین بزی، دار الأمیر للثقافة والعلوم، 2007.

103 – الشلبی، محمود، حیاة فاطمة، ط 3، دار الجیل، بیروت، 1409 ه –.

104 – الشافعی، ابن المغازلی، علی بن محمد بن محمد بن الطیب، مناقب الإمام علی

عليه السلام مناقب أمير المؤمنين عليه السلام تحقيق وتعليق: محمد باقر البهبودى. دار الأضواء، بيروت، لبنان سنة الطبع: 1424 ه -.

105 - الشافعى، كمال الـدين بن محمـد بن طلحـة، مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول، تحقيق: ماجـد بن أحمـد العطيـة، مؤسـسة أم القرى، 1420 ه.

106 - الشيرازى، ناصر مكارم، الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، دار إحياء التراث العربى، ط 2، بيروت، لبنان، 2005.

107 - الشيرازى، ناصر مكارم، الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

108 - الصدر، محمد باقر، فدک فى التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان 1410 ه -.

109 - الصدوق، إبن موسى بن بابويه القمى، الامالى، مركز الطباعة والنشر فى مؤسسة البعثة، قم 1417 ه -، ط 1، ايران.

110 - الصدوق، إكمال الدين وتمام النعمة، ط 1405 ق، مؤسسة النشر الإسلامى، قم، إيران.

111 - الصدوق، الخصال: 58 تحقيق: على أكبر غفارى، بيروت، مؤسّسة الأعلمى، 1410 ه -، ط 1.

112 - الصدوق، ثواب الأعمال، منشورات الشريف الرضى، قم.

113 - الصدوق، علل الشرايع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة 1385 ه - 1996 م.

114 - الصدوق، عيون اخبار الرضا، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، ط 1، 1404 ه -.

115 - الصدوق، معانى الاخبار، مؤسسة النشر الأسلامى، قم.

116 - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، دار الأضواء، بيروت، 1985.

117 - الصفار، ابوجعفر محمد بن الحسن، بصائر الدرجات كتاب فى فضائل آل محمد عليهم السلام، الأعلمى، طهران، ايران، 1404 ه.

118 - الطباطبائى، محمد حسين، الميزان فى تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربى،

ط 1، بيروت، لبنان، 2006.

119 – الطبرانی، أبو القاسم سلیمان بن أحمد، المعجم الأوسط، أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی، تحقیق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهیم الحسینی، ط 1، دار الفکر للنشر والتوزیع، 1999.

120 – الطبرانی، سلیمان بن أحمد بن أیوب أبو القاسم، المعجم الکبیر، مکتبة ابن تیمیة، القاهرة، مصر، ط 2، 1994.

121 – الطبرسی، رضی الدین أبو نصر الحسن بن الفضل، مکارم الاخلاق، مؤسسة الاعلمی، بیروت، 1972

122 – الطبرسی، ابوعلی فضل بن الحسن، مجمع البیان، سنة 1379 ه –، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، لبنان، وط العرفان صیدا، لبنان.

123 – الطبرسی، ابو منصور احمد بن علی، الاحتجاج علی اهل اللجاج، تحقیق: ابراهیم البهادری، دار الاسوة، 1413، ط 1.

124 – الطبری، ابن جریر، دلائل الإمامة، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ط 2، سنة 1988.

125 – الطبری، محمد بن جریر، تاریخ الطبری، دار الکتاب العربی، ط 1، بیروت، لبنان، 2005.

126 – الطبری، ابو جعفر محمد، جامع البیان فی تفسیر القرآن، دار الجیل للطبع والنشر والتوزیع، ط 1، بیروت، لبنان 1987.

127 – الطبری، عماد الدین أبو جعفر محمد بن أبی القاسم، بشارة المصطفی لشیعة المرتضی، تحقیق: جواد القیومی الاصفهانی مؤسسة النشر الاسلامی، قم، ایران.

128 – الطبری، أحمد الشهیر بالمحب الطبری، الریاض النضرة فی مناقب العشرة المبشرین بالجنة، دار الندوة الجدیدة، بیروت، ط 1، 1408 ه –.

129 – الطوسی، ابو جعفر محمد بن الحسن، تهذیب الاحکام فی شرح المقنعة للشیخ المفید، تحقیق: محمد جواد الفقیه ویوسف البقاعی، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزیع، ط 2، 1992.

130 – الطوسی، أبی جعفر محمد بن الحسن، الاستبصار فیما اختلف من الأخبار، الطبعة رقم 1، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، لبنان، 2005.

131 – الطوسی، أبو جعفر محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، ط 1، مؤسسة الاعلمی، بیروت، لبنان، 2004.

132 – الطوسی، الامالی، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزیع، قم، 1414.

133 – الطوسی، أبو جعفر محمد بن الحسن، أوصاف الأشراف دروس فی السیر والسلوک، الطبعة 1، مؤسسة الاعلمی، بیروت، لبنان، 2001.

134 – العاملی، جعفر مرتضی، الصحیح من سیرة الامام علی، دار الکتب العلمیة، بیروت، لبنان، 1407 ه –.

135 – العاملی، جعفر مرتضی، الصحیح فی سیرة الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، دار الهادی، ط 4، بیروت، لبنان 1995.

136 – العاملی، جعفر مرتضی، مأساة الزهراء علیها السلام، دارالسیرة، ط 2، بیروت، لبنان، 1997.

137 – العاملی، محسن الأمین الحسینی، أعیان الشیعة، تحقیق: السیّد حسن الأمین، بیروت: دار التعارف، 1403 ه –، ط 5.

138 – العسقلانی، ابن حجر، الإصابة فی تمیز الصحابة، تحقیق البجاوی، ط 1 سنة 1412 ه –، دار الجیل، بیروت، لبنان.

139 – العسقلانی، ابن حجر، ارشاد الساری، دار احیاء التراث العربی، ط سنة 1304 ه –، بیروت، لبنان.

140 – العسقلانی، ابن حجر، فتح الباری، ط 1، مصطفی البابی الحلبی، 1998.

141 – العسقلانی، تهذیب التهذیب، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیة، ط 1 بیروت، 1415 ه.

142 – العسکری، مرتضی، معالم المدرستین، مؤسسة النعمان، بیروت، 1410.

143 – العطاردی، عزیز الله، مسند فاطمة علیها السلام، منشورات عطارد، طهران،

1412 ه‍ـ.

144 – العطاردی، عزیز الله، مسند الإمام الرضا علیه السلام نشر المؤتمر العالمی للإمام الرضا علیه السلام 1406 ه‍ـ.

145 – د. عکام، محمد، الزهراء بین الثناء والولاء، ط 1، دار فصلت، عام 1418، سوریا.

146 – العیاشی، ابی النظر محمد بن مسعود بن عیاش السلمی السمرقندی، تفسیر العیاشی، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ط 2، بیروت، 2010.

147 – الفیروز آبادی، مجد الدین محمد بن یعقوب، القاموس المحیط، دار الکتب العلمیة، ط 2، بیروت، لبنان، 1999.

148 – الفیض الکاشانی، محمّد بن مرتضی، المحجة البیضاء فی احیاء الاحیاء، ط 2، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، 1404 ه‍ـ.

149 – القرشی، باقر شریف، ام المؤمنین السیدة خدیجة، ط 1، مکتبة الامام الحسن علیه السلام النجف الاشرف، العراق 1429 ه‍ـ.

150 – القرشی، محمد باقر، حیاة الإمام الحسن علیه السلام، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، سنة 1375 ه‍ـ.

151 – القرشی، محمد باقر، حیاة الامام الحسین علیه السلام ج 1، ج 2، دار البلاغة، بیروت، ط 1، 1413 ه‍ـ.

152 – القرطبی، ابو عبد الله محمد، تفسیر القرطبی الجامع لاحکام القرآن، تحقیق محمد عبد الرحمن المرعشلی، دار احیاء التراث العربی، ط 1، بیروت، لبنان 1405.

153 – القرمانی، أحمد بن یوسف، أخبار الدول وآثار الأُوَل، عالم الکتب، ط 1، بیروت،. 1992.

154 – القزوینی، محمد کاظم، فاطمة الزهراء علیها السلام من المهد الی اللحد، مؤسسة النور للمطبوعات، ط 1 بیروت، لبنان، 1991.

155 – القمی، عباس، بیت الاحزان فی ذکر احوالات سیدة نساء العالمین، دار التعارف

للمطبوعات، 1419 بيروت، لبنان.

156 – القمی، علی بن ابراهیم، تفسیر القمی، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، ط 1، بیروت، 2007.

157 – الکعبی، علی موسی، سیدة النساء فاطمة الزهراء، مؤسسة الرسالة، قم، ایران، 2010.

158 – الکفعمی، إبراهیم بن علی العاملی، المصباح فی الأدعیة والصلوات والزیارات، منشورات اسماعیلیان، قم، ایران.

159 – الکلاباذی، أبو بکر، معانی الأخبار، دار الکتب العلمیة، بیروت، ط 1، 1999

160 – الکلینی، ثقة الإسلام محمد بن یعقوب، الکافی؛ دار صعب ودار التعارف، بیروت، لبنان.

161 – الکلینی، محمد بن یعقوب، فروع الکافی، دار الأضواء، بیروت، ط 3، 1985 م.

162 – الکنجی الشافعی، محمد بن یوسف، کفایة الطالب فی مناقب علی بن أبی طالب، المطبعة الحیدریة، النجف الأشرف، العراق، 1390 ه –.

163 – الکورانی، حسین، فی محراب فاطمة الزهراء علیها السلام، دار الهادی للطباعة والنشر والتوزیع، ط 1، 2002.

164 – الکوفی، محمد بن سلیمان، مناقب الإمام أمیر المؤمنین، مجمع احیاء الثقافة الاسلامیة، قم، 1412 ه –، ایران.

165 – المازندرانی، محمد صالح السروی، شرح أصول الکافی، ط 1 دار إحیاء التراث العربی للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، لبنان، 2000 م.

166 – المازندرانی، محمّد مهدی حائری، شجرة طوبی، قم، دارالقلم، 1425 ه –، ایران.

167 – المالکی، ابن صباغ، الفصول المهمة فی معرفة احوال الائمة علیهم السلام، دار الأضواء، بیروت، لبنان، 1988.

168 – المالکی، ابو عمر یوسف بن عبد الله القرطبی، الاستیعاب فی معرفة الاصحاب تحقیق: علی محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، دار الکتب العلمیة، ط 1

بيروت، لبنان، 1415 ه -.

169 - المباركفورى، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان، 2011.

170 - المتقى الهندى، على المتقى ابن حسام الدين، كنز العمال فى سنن الاقوال والافعال، مكتبة التراث الاسلامى، ط 1، بيروت، لبنان، 1397.

171 - المجلسى، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، دار احياء التراث، 1412، بيروت، ط 1، لبنان.

172 - المجلسى، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، طهران، ايران..

173 - المجمع العالمى لاهل البيت عليهم السلام (سلسلة اعلام الهداية) فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة النساء، رقم 3، طهران.

174 - محمد، عبد الزهراء عثمان، الزهراء فاطمة بن محمد، ط 1، دار الهادى للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

175 - المزى، يوسف بن الزكى عبدالرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 1، تحقيق: د. بشار عواد معروف، 1980.

176 - المسعودى، محمد فاضل، الأسرار الفاطمية فى المقامات الملكوتية والمعانى الروحانية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، محمد فاضل المسعودى، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط 1، 2005، بيروت، لبنان.

177 - المسعودى، مروج الذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981.

178 - مطهرى، مرتضى، السيرة النبوية، ترجمة جعفر صادق خليلى، مؤسسة البعثة، ط 2، بيروت، لبنان 1992.

179 - المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الامالى، بيروت، دار المفيد، 1414 ه -.

180 - المفيد، الإرشاد، دار المفيد، الثانية 1993/1414، بيروت، لبنان.

181 - المفيد، الإختصاص، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان سنة 1414 ه -، 1993 م.

182 – المقرم، عبد الرزاق، وفاة الصديقة الزهراء، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط 1، عامه 1403.

183 – المناوی، محمد عبد الرؤوف، سيدة نساء اهل الجنة فاطمة الزهراء، تحقيق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، مصر.

184 – الموسوی، عبد الحسين شرف الدين، المراجعات، المجمع العالمی لاهل البيت عليهم السلام، الطبعة الثانية، ايران، 1416.

185 – الموسوی، عبدالحسين شرف الدين، النص والإجتهاد، ط سنة 1386 ه –، النجف الأشرف، العراق.

186 – الميلانی، فاضل الحسينی، الزهراء ام ابيها، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان 1413، ط 6.

187 – المهاجر، عبد الحميد، اعلموا انی فاطمة، ط 1، دار الكتاب العشرة، 2007.

188 – مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، عالم الكتب، 1998، بيروت، لبنان.

189 – مطهری، مرتضی، السيرة النبوية، ترجمة جعفر خليلی، مؤسسة البعثة، بيروت 1992.

190 – النراقی، محمد مهدی، جامع السعادات، بيروت، مؤسسة الاعلمی، 1408 ه –.

191 – النسائی، أحمد بن شعيب، سنن النسائی، بيروت، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداری، سيد كسروی حسن، دار الكتب العلمية، 1991.

192 – النسائی، أحمد بن شعيب، خصائص أمير المؤمنين علی بن أبی طالب، مكتبة المعلا، الكويت، ط 1، 1406.

193 – النميری، ابن شبة، تاريخ المدينة، 1410 ه –. دار الفكر، قم، إيران.

194 – النيسابوری، محمد بن الفتال، روضة الواعظين، ط 1، موسسة الاعلمی للمطبوعات، بيروت، 1406 ه –.

195 – الهلالی، سليم بن قيس العامری الكوفی، تحقيق: محمد باقر الأنصاری الزنجانی، ط 1، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

196 – الهمدانی، أحمد الرحمانی، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزیع، ط 1، بیروت، لبنان، 2005.

197 – الهیثمی، ابن حجر المکی، الصواعق المحرقة فی الرد علی أهل البدع والزندقة، ط 1، المکتبة العصریة، بیروت، لبنان، 2004.

198 – الهیثمی، نور الدین علی بن ابی بکر، مجمع الزوائد، دار الکتاب العربی ط 1402 3 بیروت، لبنان.

199 – الواقدی، محمد بن عمر، المغازی (ت 207)، ط 3، دار عالم الکتب 1404 ه –، 1984.

200 – الیعقوبی، احمد بن ابی یعقوب، تاریخ الیعقوبی، دار بیروت للطباعة والنشر، ط 1، بیروت، لبنان، 1999.

کتب متنوعة

201 – أبو العینین، علی خلیل مصطفی، الأخلاق والقیم التربویة فی الإسلام، موسوعة نضرة النعیم فی مکارم أخلاق الرسول الکریم ط 1، جدة دار الوسیلة للنشر والتوزیع 1418 ه –، 1998 م.

202 – ابو حجیر، مجید محمود، المرأة والحقوق السیاسیة فی الاسلام، مکتبة الرشد، الریاض، ط 1، 1997، السعودیة.

203 – د. ابو یحیی، محمد، د. راشد شهوان وآخرون، الثقافة الاسلامیة ثقافة المسلم وتحدیات العصر، دار المناهج، ط 1، عمان، الاردن، 2001.

204 – ابییز، آلان وباربار، المرجع الاکید فی لغة الجسد، مکتبة جریر، الریاض، السعودیة، ط 1، 2008.

205 – د. البستانی، محمود، دراسات فی علم النفس الاسلامی، دار البلاغة، ط 2، بیروت، 1999.

206 – د. الجزائری، غیاث الدین، معجزة الاطعمة، طهران، ط 14، ایران.

207 – الجوادی الآملی، جمال المرأة وجلالها، دار الهادی، بیروت، ط 1، 1994.

208 – الجوهرى، عايدة، رمزية الحجاب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، لبنان، 2007.

209 – الحداد، كفاح، المرأة والعمل السياسى، دار الهادى، بيروت، ط 1، لبنان، 2001.

210 – الحداد، كفاح، النجاح فى عالم المرأة، دار الهادى، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.

211 – احمد، سهير كامل، سيكولوجية الشخصية، مركز الاسكندرية للكتاب، 1998.

212 – الخطيب، محمد عجاج، اضواء على الاعلام فى صدر الاسلام، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط 2، 1987

213 – د. الزنتانى، عبد الحميد، اسس التربية الاسلامية فى السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط 2، 1993.

214 – د. الزهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعى ط 5، عالم الكتب، القاهرة، مصر. 1984.

215 – د. الكندرى، احمد محمد مبارك، علم النفس الاسرى، ط 2، مكتبة الفلاح، الكويت 1992.

216 – اندرسون، غريغ، مبادى الحياة السليمة، ترجمة د. قيصر زحكا، مطبعة اليازجى، دمشق، سوريا، 1999.

217 – د. انكلمان، كلاوديا، بلوغ النجاح فى الحياة الزوجية، تعريب د. سامر نصرى، مكتبة العبيكان، بيروت، لبنان، 2005.

218 – د. باقرى، خسرو، نظرة معاصرة الى التربية الاسلامية، انتشارات مدرسة، 2006، ط 13، طهران، ايران.

219 – د. بطاينة، محمد ضيف الله، الحياة الاقتصادية فى العصور الاسلامية الاولى، دار طارق، عمان، الاردن.

220 – الشهيدة بنت الهدى، المرأة مع النبى، الانترنت.

221 – حتة، محمد كامل، القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف، القاهرة 1974، مصر.

222 – ديورانت «ويليام جيمس، قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيى الدّين صَابر،

ص:857

ترجمـة: الـدكتور زكى نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم، تونس، 1408 ه -- 1988 م.

223 – د. راجح، احمد عزت، اصول علم النفس، ط 7، دار الكتاب العربى، القاهرة، 1968.

224 – د. رفعت، محمد، قاموس الطفل الطبى، دار ومكتبة الهلال، ط 1.

225 – د. سبوک، حديث الى الامهات، ترجمة وتحقيق: منير عامر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، بيروت، 1999.

226 – سبوک، بنيامين، فن الحياة مع المراهق، تحرير منير عامر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2002، ط 1

227 – د. سقال، ديزيره، العرب فى العصر الجاهلى، دار الصداقة العربية، ط 1، بيروت، لبنان، 1995.

228 – د. السعداوى، نوال، وهبة رؤوف عزت، المرأة والدين والاخلاق، دار الفكر المعاصر ط 1، دمشق، سوريا، 2000

229 – شمس الدين، محمد مهدى، بين الجاهلية والاسلام، المؤسسة الدولية للطباعة والنشر، ط 4 بيروت، لبنان، 1995.

230 – د. طبـارة، رجاء مكى، دراسات نظريـة وعمليـة لتقنيات وميادين فى علم النفس الاجتماعى، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000.

231 – طايل، فوزى محمد، كيف نفكر استراتيجيًّا، مركز الإعلام العربى، القاهرة 1997.

232 – عبد الحليم، محى الدين، الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية، مطبعة الخانجى، مصر، 1980

233 – د. عبد الحليم، محى الدين، الدعوة الاسلامية والاعلام الدولى، دار الفكر، القاهرة، مصر.

234 – عبدالحميد، شاكر، عصرالصورة السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، الكويت، 2005.

235 – د. عبد الفتاح، اسماعيل، القيم السياسية فى الاسلام، ط 1، الدار الثقافية للنشر،

القاهرة، مصر 2001.

236 – د. عبد اللطيف، حمزة، الاعلام فى صدر الاسلام، دار الفكر العربى، القاهرة، مصر.

237 – د. عبد اللطيف، حمزة، الاعلام له تاريخه ومذاهبه، دار الفكرالعربى، القاهرة، مصر، 1965.

238 – د. عبد الناصر، ميرفت، هموم المرأة، مكتبة مدبولى، القاهرة، مصر.

239 – عثمان، عبد الكريم، معالم الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة أبيروت، 1999.

240 – غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 2009.

241 – غيدنز، انتونى، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2005.

242 – د. فايز قنطار، الامومة، سلسلة عالم المعرفة، رقم 166، الكويت.

243 – قطب، محمد، جاهلية القرن العشرين، دار الشروق، مصر، 1998.

244 – د. كنعان، احمد على، ادب الطفل والقيم التربوية، دار الفكر، سوريا، ط 2، 1999.

245 – مجموعة من الباحثين، المرأة فى الفكر الاسلامى المعاصر، كتاب المنهاج، الغدير للطباعة بيروت، لبنان، ط 1، 2002.

246 – مجلة رسالة الثقلين عدد 30.

247 – د. مرسى، كمال ابراهيم، العلاقة الزوجية والصحة النفسية فى الاسلام وعلم النفس، دار القلم ط 2، بيروت، لبنان، 1995.

248 – د. مرسى، عبد العظيم، فى الاصول الاسلامية للتربية، ج 1، المكتبة الجامعية، مصر 2000.

249 – مطهرى، مرتضى، التربية والتعليم فى الاسلام، دار الهادى، بيروت، ط 4، 2005.

250 – مطهرى، مرتضى، حجاب المرأة المسلمة فى القرآن والسنة، ترجمة، تحقيق: جعفر صادق خليلى – مختار الأسدى، ط 1، دار الكتب العراقية للطباعة والنشر والتوزيع، 2011

ص:859

251 – مطهری، مرتضی، نظام حقوق المرأة فی الاسلام، ترجمة ابو زهراء النجفی، ط 1، سبهر، طهران، ایران 1985.

252 – مظاهری، حسین. الاخلاق البیتیة دار المحجة البیضاء للطباعة والنشر والتوزیع، ط 2، 1997.

253 – مل، جون ستیوارت، استعباد النساء، ترجمة د. امام عبد الفتاح محمد، ط 1، مکتبة مدبولی، القاهرة، 1998.

254 – د. میلر، سوزانا، سیکولوجیة اللعب، ترجمة حسن عیسی، سلسلة عالم المعرفة رقم 120، الکویت. 1987.

255 – د. نجیب، عمارة، الإعلام فی ضوء الإسلام، ط 1، مکتبة المعارف، الریاض، 1400 ه –.

256 – نوفل، عبد الرزاق، عالم الجن والملائکة، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، مصر.

257 – د. هاشم، سعید، دور المرأة الرسالیة فی دولة النبوة، مؤسسة الفجر، لندن

258 – د. واطسون، روبرت وهنری کلای، سیکولوجیة الطفل والمراهق، ترجمة دالیا المؤمن، مکتبة مدبولی، مصر، ط 1، 2004.

259 – الیازجی، ندرة، الاعمال الکاملة، تأملات فی الحیاة النفسیة، مطبعة الیازجی، دمشق، ط 1، 1998.

260 – د. یوسف مراد فی کتابه سیکولوجیة الجنس، ط 2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1994.

ص:860

المحتويات

الاهداء 7

المقدمة 8

مدخل: لماذا السيرة الفاطمية؟ 10

الفصل الاول

السيرة الفاطمية

الولادة المباركة 26

الأبوان المباركان: محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة عليها السلام 27

بين الثرى والثريا 40

المكان المبارک: مختلف الملائكة 50

الزمن المبارک، الغذاء المبارک 63

وفی الدعاء: اللهم طهر بطوننا من الحرام والشبهة 69

الظروف المحيطة بولادتها 72

المحيط الاسرى 76

ص:861

الاجواء الخارجية 92

خلاصة مولدها عليها السلام 95

طفولة الزهراء عليها السلام 98

الحصار 102

المسلمون فى شِعب ابى طالب 106

نهاية الحصار 110

وفاة السيدة خديجة عليها السلام 116

الرعاية الابوية 125

هجرة الزهراء عليها السلام 138

الى يثرب 141

الحياة الجديدة 146

زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 147

زواج الزهراء عليها السلام 153

استشارة البنت فى الزواج 154

العوامل المؤثرة على اختيار الزوج 162

أنماط الإختيار الزواجى 166

الزواج فى رحاب الدين 172

فلسفة المهر فى الاسلام 181

غلاء المهور.. مصائب ام فوائد؟ 186

زفاف الزهراء عليها السلام 191

الدعاء للزوجين 195

كلام الناس 197

الاسرة الجديدة 203

وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 205

الايام الساخنة فاطمة... بعد ابيها 213

وداعا 217

عمر الزهراء عليها السلام 233

الفصل الثانى

الزهراء عليها السلام... ادوار حضارية

ماهو الدور؟ 239

الدور الاجتماعى

الدور الاجتماعى للزهراء عليها السلام فى الحياة الخاصة 258

فاطمة البنت البارّة 258

ام ابيها 263

الزهراء زوجة امير المؤمنين عليه السلام 266

1 - اسلوب القسوة والتسلط 267

2 - اسلوب النبذ والاهمال 271

3 – اسلوب التدليل المفرط 273

4 – اسلوب المودة والرحمة 274

لغة العيون 284

الغضب فى الحياة الزوجية 291

التسامح والتغافل 295

الاسس العامة فى الحياة الزوجية للزهراء عليها السلام 297

1. التكريم 297

2. تقسيم العمل والتعاون فى امور المنزل 304

رؤية فى العمل المنزلى 308

رأى علماء النفس والاجتماع 310

رأى دعاة تحرير المرأة 312

3 – اخلاق المودة والرحمة 321

أ – الخلق الحسن لكليهما 322

ب – ادب السلام والتحية 324

ج – ادب الحوار 325

د – التواضع 327

ه –– الرفق والمداراة 330

و – الهدية 330

ز – عدم التكليف فوق الوسع 331

4 – الصبر والتحمل 333

نزول سورة الإنسان 338

5 – الرضا 341

6 – فن احتواء المشاكل 349

7 – رعاية حقوق الآخر 352

8 – الامن الاسرى 361

9 – الآخرة.. الهدف المنشود لكليهما 366

البيت الالهى 371

الزهراء عليها السلام فى رياض الامومة 373

ولادة الامام الحسن بن على عليهما السلام 380

1 – الاهتمام بالالوان (ثقافة اللون) 381

2 – قراءة الأذان 385

3 – الاسم الحسن 387

4 – الشكر على سلامة الولد والدعاء له 390

5 – العقيقة 392

6 – مداراة النفساء 394

الأصول التربوية عند الزهراء عليها السلام 396

1 – العدل 403

2 – مبدأ التدرج 406

3 – مرحلة الرشد 412

4 – مبدأ الاعتدال 413

5 – رعاية ظواهر الاوضاع وبواطنها 417

6 – استثمار المحيط 419

7 – الزهد 420

8 – المحبة 426

9 – الذكر والتذكر 434

10 – الحكمة والتفكر (التعقل) 435

11 – المتابعة 438

12 – التصبر على تحمل المصاعب 443

13 – التخطيط للمستقبل 448

14 – تقديم النموذج أو القدوة الحسنة 450

التربية الزهراوية تربية متكاملة 452

التربية الدينية عند السيدة الزهراء عليها السلام 453

تأملات تربوية من حديث الكساء 460

اضاءات 463

1 – ادب السلام 463

2 – النداء بأحب الاسماء 464

3 – رعاية الاب وبره ومساعدته رغم ان له ازواجا كُثر! 464

4 – مراعاة حقوق الاخرين 465

4 – الدعاء بخير لافراد الاسرة وبيان منزلتهم 465

5 – توقير الكبار 466

6 – الاخلاق العالية 466

الدور الاجتماعى للزهراء عليها السلام فى الحياة العامة 468

1 – التكافل الاجتماعى (سنتحدث عنه فى الدور الاقتصادى) 468

2 – المشاركة الاجتماعية 471

3 – المساندة الاجتماعية 474

4 – توظيف المسائل الاجتماعية لخدمة قضية الامامة 479

الدور السياسى

المشاركة السياسية للزهراء عليها السلام فى حياة ابيها صلى الله عليه وآله وسلم 491

أ – فى المجتمع المكى 491

ب – فى المجتمع المدنى 493

الدور السياسى للزهراء عليها السلام بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم 496

فدک 497

آليات الحركة السياسية عند الزهراء عليها السلام 505

1 – الاستجواب السياسى 505

2 – الشورى السياسية 506

3 – الخطاب السياسى 508

خطبتها الاولى فى المسجد النبوى وامام المسلمين كافة 510

الخطبة الأولى 510

الخطبة الثانية 522

4 – اعلان المعارضة السياسية 525

5 – المقاطعة السياسية 526

6 – توجيه الناس الى مظلومية امير المؤمنين عليه السلام 532

7 – التوظيف السياسى للشعر 537

8 – الاحتجاج السياسى الخالد 539

الحركة الفاطمية تحت المجهر 541

الدور الاعلامى

1 – الروايات والاحاديث 561

2 – المباهلة 568

3 – القدوة الحسنة 569

الدور الاعلامى للزهراء عليها السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم 577

الوسائل الاعلامية عند الزهراء عليها السلام 578

1 – النشر الاعلامى 579

2 – البيان الاعلامى 581

3 – الشعر 600

4 – اعلان المقاطعة مع الخلافة 602

5 – بكاؤها عليها السلام امام الملأ 602

6 – بيت الاحزان.. ثقافة الرمز والصورة 610

ثقافة الصورة 612

التهامس 614

8 – التعتيم الاعلامى 615

الدور الثقافى

الزهراء عليها السلام المرأة العالمة 629

العطاء الفكرى للزهراء عليها السلام 632

1 – بعض ادعيتها 632

2 – ومن اقوالها عليها السلام 634

3 – بعض أشعارها سلام الله عليها 637

4 – فقه الزهراء عليها السلام 640

5 – مصحف فاطمة عليها السلام 641

مصحف فاطمة فى الأحاديث الشريفة 641

6 – خطبتا الزهراء عليها السلام 646

الاسهامات الثقافية للزهراء عليها السلام 648

أ – رواية الحديث 648

ب – تعليم النساء المسلمات 661

ج – تعليم خادمتها فضة 668

الخادمة فى عصرنا 679

د – تعليمها عليها السلام لأولادها 682

المرأة المثقفة المعاصرة 683

الدور الاقتصادى

بمجمل القول ان الزهراء عليها السلام ساهمت فى التنمية الاقتصادية 695

الدور القيمى 697

1 – القيم الدينية 708

1 – الايمان بالله تعالى 711

2 – الصلاة 718

3 – الدعاء 725

ومن ادعية الزهراء عليها السلام 728

تسبيح الزهراء عليها السلام 729

4 – الامر بالمعروف والنهى عن المنكر 736

5 – الحجاب 740

2 – القيم الاجتماعية 747

1 – بر الوالدين 750

2 – صلة الرحم 751

3 – محبة الناس واحترامهم 751

4 – الكرم والعطاء 753

5 – الايثار 754

6 – تنمية الروح الجماعية والتعاون 756

3 – القيم المعرفية 758

1 – محبة العلم والاهتمام به 760

2 – النشر المعرفى 762

3 – الابداع 762

4 – القيم السياسية 766

1 – الحرية 766

2 – العدالة 768

3 – المساواة 773

5 – القيم الاخلاقية 775

قيمة الصدق 775

6 – القيم الصحية 777

7 – قيم التكامل الذاتى 778

أ – الثقة بالنفس واحترام الذات 778

ب – الاهتمام بالمستقبل 780

ج – الشجاعة والاقدام 781

د – قيم المظهر الخارجى 783

ه – حسن التكيف 798

و – التصميم والإرادة 799

ز – ادب التعامل مع المصاب الجلل 800

8 – القيم الاقتصادية 801

أ – محبة العمل 802

ب – محبة العامل 804

ج – الانفاق السليم 805

د – القناعة 805

كيف نرسخ القيم الزهراوية لدى الجيل المعاصر 808

1 – الاسرة 809

2 – المجتمع 811

ادوار اخرى

الدور الأول: الهوية الإنسانية التكاملية 816

الدور الثانى: حركة التكامل الفردى 818

فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين 823

1 – مقامها عليها السلام عند الله تعالى 834

2 – مقامها عليها السلام عند الملائكة 835

3 – مقامها عليها السلام عند الأنبياء والنبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم 835

4 – مقامهاعليها السلام عند الأئمة عليهم السلام 835

5 – مقامها عليها السلام يوم القيامة 836

كلمة اخيرة 838

المصادر 841

المعاجم 841

كتب متنوعة 856

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹